الموسوعة الكبرى للجماعات الإسلامية المسلحة



الدكتور بلهول نسيم



الموسوعة الكبرى للجماعات

الإسلامية المسلحة

الموسوعة الكبرى

للجماعات الإسلامية

المسلحة

الدكتور

بلهول نسيم





الطبعة الأولى
2014

رقم التصنيف	: 278.1
المؤلف ومن هو في حكمه	: بلهول نسيم
عنوان الكتاب	: الموسوعة الكبرى للجماعات الإسلامية المسلحة
بيانات الناشر	: أمواج للنشر والتوزيع، عمان – الأردن
عدد صفحات الكتاب	: 1065
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية	: 2014/1/172.
الرقم المعياري الدولي (ISBN)	: 978 -9957 -567 -67 -5
الواصفات	: /الجهاد//المسلمون/

- **يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.**
- **تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية**

رؤيتنا: العلم والثقافة أساسان متينان للحياة السوية على طريق النجاح والعمل الإبداعي
رسالتنا: نشر الإبداعات في شتى صنوف العلم والمعرفة بما يسهم في التطور مع المحافظة على الموروث لإعداد جيل صالح يرتقي بالأمة نحو الآفاق ويضعها في صدارة الأمم.
قيمنا: منارات ترشدنا لتحقيق رؤيتنا ورسالتنا

أمواج للطباعة والنشر والتوزيع
المملكة الأردنية الهاشمية - عمان
تلفاكس: 0096264888361 /0096264889651

:amwajpub@yahoo.com
www.amwaj-pub.com



إهـــداء

إلى رجـال مـؤمنين، وشـباب صـادقين، أراهـم ينظـرون إلى قـوى الكفـر الصـليبية الصهيونية الزاحفة، وقد تداعت علينا بقيـادة أمريكـا تـداعي الأكلـة إلى قصـعتها، تزهـق الأرواح، وتنتهك المحرمات، وتحتل المقدسات و تدوس البلاد وتنهب أقوات العباد..

فيملأ الحزن قلوبهم، ويخنق القهر حناجرهم، ويحـبس كبريـاء الرجولـة دمـوع الألم في عيونهم. وتدوي في خواطرهم آيات اللــه تنـاديهم: ﴿ وَمَـا لَكُـمْ لا تُقَـاتِلُونَ فِي سَـبِيلِ اللـه وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ.. ﴾ (النساء: من الآية75)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِـرُوا فِي سَـبِيلِ اللــه اثَّـاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (التوبة:38)

فيملأ الأسـف والحسرة نفوسـهم. ويتسـاءلون ! ومـاذا عسى أحـدنا أن يفعـل أمـام هـذا الطوفان الزاحف من الصليبيين واليهود وحلفائهم من المرتدين والمنافقين بين أظهرنا..؟!

فيأتيهم الرد الحاسم من كتاب اللـه:

﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللـه لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُـؤْمِنِينَ عَسَى اللــه أَنْ يَكُـفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللـه أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً﴾

﴿ إِنَّ اللـه اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَـاتِلُونَ فِي سَـبِيلِ اللـه فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾ (التوبة: من الآية111)

فيرفـرف الأمـل في أرواحهـم، ويشرق العـزم في نفوسـهم، وتنعقـد النيـة في قلـوبهم. ويجأرون إلى ربهم: لبيك اللـهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك. بعنـا يـارب بعنـا..، لانقيـل ولا نستقيل.

إلى هؤلاء الرجال المتحفزين للدفاع عن دين اللـه والمستضعفين من المؤمنين في كل مكان طلبة علم و نخبة تصدع لامر اللـه.

أهدي هذه الموسوعة..

راجيا من اللـه الحليم الكريم، العـلي العظـيم، الغفـور الـرحيم. الحنـان المنـان، أن لايحرمني صحبتهم في الرفيق الأعلى مـع النبيـين والصـديقين والشـهداء والصـالحين. أمـلي باللـه كبير، وبـبشرى حبيبـه المصـطفى صـلى اللــه عليـه وسـلم ؛ أن الـدال عـلى الخـير كفاعله، وأن العالم والمتعلم شريكان، وأن المرء يحشر مع من أحب.

هذه الموسوعة

بفضل ما يسر الـلـه بعونه، ووفق إليه بفضله، تحتـوي هـذه الموسـوعة عـلى مـواد كثيرة. منها ماهو سرد لمسار التاريخ، لا تخلو مادته من إمتاع وعبرة..

ومنها ماهو تحليلات سياسية، وفكرية لذلك التاريخ ومساره، ولا تخلو تلك الفصـول من فائدة وفكرة..

ومنها ماهو سبحات فكرية و فلسفية، لا تخلو أيضا من دروس ونظرة..

وفيه فصول نقدية لمسارما يسمى بالصحوة وتجارب جماعـات الجهـاد عـبر العقـود المنصرمة..

وفي الموسوعة فصول تربوية، وأحكام فقهيـة، ودروس شرعيـة.. وتوجيهـات منهجيـة وأصولية..

وفيه مواد تربوية، ودروس في الأخلاق والرقائق، ونصوص شرعية في مسـائل الجهـاد، وفي غير ذلك.. وفيه خلاصة دروس تجارب لجماعـات جهاديـة كثـيرة، عسـكرية وسياسـية وحركية وأمنية..إلخ

تقديم

- تعيش الأمة الإسلامية مطلع القرن الحادي والعشرين الميلادي وقائع الغزو الأمريكي الصهيوني الصليبي الغربي، ووقائع التحالف الكامل الذي تبديه الأنظمة الحاكمة وقوى النفاق في العالم العربي والإسلامي في تعاونها مع قوى الكفر الغازية..
- لقد تفانت كثير من كوادر التيار الجهادي وانقرضت شريحة كبيرة من قواعده، بفعل الهجمة العسكرية الأمنية لهذا الحلف.،، وأصبح التيار الجهادي مهددا في استمراريته، وفي الحفاظ على تراثه الفقهي والمنهجي الأصيل.
- كما تعيش الصحوة الإسلامية ترديات فكرية وشرعية بفعل جهود المنافقين وضلالات المنهزمين من قيادات الصحوة الإسلامية، ترديات تهدد الصحوة في قواعدها وجمهورها، وتهدد الأمة في عقيدتها وهويتها ووجودها..
- ربما لاينصرم العقد الأول من القرن العشرين إلا وقد بدأت حرب الأفكار الأمريكية، والهجمة على المناهج التعليمية والثوابت الأساسية للأمة تؤتي أكلها إذا استمرت الأحوال على ما تبدو عليه الآن.. وهناك ضرورة لحفظ الهوية العقدية والفكرية والثقافية للأمة، ولحفظ الفكر والمنهج في الصحوة الإسلامية.
- وربما ستتولد ردود أفعال ناتجة عن الجهالة والاضطراب في أوساط مختلف أشكال المقاومة التي سيبديها المسلمون. وسيستغل حلف الأعداء تلك الأخطاء لتشويه الجهاد، ولدق الإسفين بين المقاومة وجمهورها في الأمة.،، ومن ثم دفعها في طريق التبعثر والهزيمة.
- ان الموسوعة تحتوي خلاصة الأساسيات السياسية الشرعية، والفكرية المنهجية التي تربى عليها التيار الجهادي منذ نشأته وعبر مساره الطويل.
- كما يضم تاريخ التجارب الجهادية وخلاصة الدروس المستفادة منها.

- كما يتضمن خلاصة مسار الصراع بين المسلمين والروم عبر القرون ولا سيما الروم المعاصرين– الأمريكان والأوربيين - ومؤامراتهم في القرنين الماضيين لإبعاد المسلمين عن دينهم وأسباب قوتهم وانتصارهم.
- لتكون تلك المعلومات أرضية فكرية توفر للباحث أساسيات لفهم مسار هذا الصراع الدائر اليوم وجذوره، وطريقة الأعداء في إدارته.
- وبهذا أرجو أن تكون هذه الموسوعة قد ضمت بين دفتيها بمجموع فصولها و رسائلها، منهجا متكاملا وهوية فكرية سياسية شرعية تكون مرجعا بين الباحثين لتفكيك قيادات جماعات الجهاد والمقاومة وقواعدها، ودستورا يضبط حركتها، ومحورا للتفرقة بين مختلف فصائل الجهاد والمقاومة التي أرى أطياف جموعها تتكون في رحم هذه الأمة الجريحة التي مازالت طائفة مجاهدة منها عبر الأزمان تثبت أنها خير أمة أخرجت للناس. وأسال اللـه تعالى أن يرزقني فيه الإخلاص والقبول، ويجعله موطئا يغيظ الكفار، وينفع المؤمنين. وأن يكتب لي به عملا صالحا، وعلما نافعا لا ينقطع أجره، وأساله أجر الدال على الخير، وأن يرزقني الصدق والثبات ويجمع لي أجر الجهاد بالسيف والقلم، ويختم لي بالشهادة في سبيله، إنه حليم كريم. وأستغفر اللـه العظيم وأتوب إليه. وصلى اللـه على رسوله الأمين، وآله وصحبه الطيبين الطاهرين. والحمد لله رب العالمين.

مقدمة

الحمد لله وحده،أهل الحمد والثناء.. الحمد لله وحده، رب الأرض والسماء.. اللــهم لك الحمد كله.. ولك الملك كله وإليك يرجع الأمر كله رب الطيبين وولي الصالحين لك الحمد يا من له الأمر والخلق وحده.

الحمد لله وحده. صدق وعده. ونصر عبده. وأعز جنده. وهزم الأحزاب وحده.لا شي قبله ولا شي بعده. مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا وقرة أعيننا، قائدنا وشفيعنا إلى ربنا، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. اللـهم صل وسلم وبارك وأنعم عليه، واجزه خير ما جزيت نبيا عن أمته.. فقد أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة.. وجاهد في اللــه حق جهاده حتى أتاه اليقين..

فصل اللـهم وبارك عليه وعلى آله وأزواجه الطيبين الطاهرين.. وعلى أصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.. صلاة تشملنا بها برحمتك وكرمك وعفوك وسترك، وترزقنا بها الشهادة في سبيلك يا أرحم الراحمين.. وبعد:

فلقد أعلنت الحملات الصليبية اليهودية المعاصرة بقيادة أمريكا، على العالم العربي والإسلامي أهدافها بكل جلاء، وهي أهداف تشمل كافة مقومات الوجود الحضاري والديني والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمسلمين.. ولقد أعلنت إدارة بوش بكل جلاء أن أهدافهم تشمل خلال العشر سنين القادمة..

1. تغيير الخارطة السياسية في الشرق الأوسط والعالم العربي الإسلامي أي تغير الأنظمة وإعادة تركيبها أو تبديلها أو صياغتها من جديد.
2. تغيير الخارطة الجغرافية لبعض البلدان بما يخلق مزيدا من التشرذم والنزاعات المحلية الدينية والعرقية والسياسية.

3. تغيير مقومات الهوية الثقافية والتكوين الاجتماعي بإزاحة الأسس الدينية والفكرية والأخلاقية لشعوب المنطقة وإعادة صياغتها بحسب أسس الفكر الغربي ولا سيما الأمريكي والصهيوني..
4. السيطرة على مصادر الثروة في المنطقة ولا سيما النفط والغاز والثروات المعدنية وسواها من المصادر الزراعية والحيوانية لضخها في شريان المحتل الغازي القادم من وراء البحار، وفي شريان الكيان الصهيوني المزروع في قلب المنطقة.. وتحويل المنطقة إلى سوق لتصريف المنتجات الاستعمارية عبر ما يسمى باتفاقيات الشراكة والتجارة الحرة في الشرق الأوسط..

ولقد كشفت وسائل الإعلام المختلفة عن أن أمريكا وحليفتها بريطانيا ومن ورائها إسرائيل، يعاونها كافة دول الناتو وأوروبا الدائرين في فلكها طوعا أو كرها. كشفت عن أنها استباحت كل الوسائل العسكرية والاستخباراتية والاقتصادية والإعلامية وغيرها لتحقيق هذه الأغراض..

و باختصار.. فإن العالم يشهد أعتا وأشرس هجمة استعمارية بربرية عرفها في تاريخه على أيدي الحضارة الغربية التي آلت قيادتها لشرذمة من المتطرفين الصليبيين المتصهينين في الإدارة الأمريكية.

ويمكن القول أن هذه (الحملات الصليبية الثالثة) إن جاز التعبير هي استمرار بشكل شرس ومنظم للحملتين السابقتين اللتين قامتا قبلا، الأولى خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلادي، والثانية التي قامت منذ القرن السابع عشر إلى منتصف القرن العشرين..

إننا أمام عدوان عسكري مسلح بأحدث الآلات العسكرية والتكنولوجية العلمية.. ومجهز بأفتك المخططات الاستخباراتية والأمنية والأجهزة البوليسية. حيث تحمل إلينا دباباتهم برامج تغير اجتماعي وديني وثقافي، تشتمل على مناهج لتبديل مفاهيم الدين الإسلامي وتفكيك المكونات القومية للعرب والمسلمين. وبرامج إعادة صياغة المجتمعات، والمكونات الفكرية والثقافية، والمناهج الدراسية والتعليمية وبرامج وسائل الإعلام، وتعيد صياغة كل شيء

حتى خطب الجمعة على منابر مساجد المسلمين، بما فيها أكبر مراكز الإشعاع الديني والفكري كالمسجد الحرام في مكة، والمسجد النبوي في المدينة المنورة، والجامع الأزهر في القاهرة، وما يعادلها في التأثير من مساجد المسلمين، في كل بلد ومدينة وقرية وزاوية من بلاد المسلمين..

باختصار.. لقد اتسع الخرق على الراقع. ونحن مطالبون بوقفة تفكر في أساليب مواجهة هذه الحملة بعيدا عن تأثيرات العواطف السطحية الفارغة، أو ردود الأفعال المتشنجة..

إن هذه المصيبة الطامة تبلغ ذروتها المأسوية إذا علمنا أنه ولأول مرة في تاريخ المسلمين وربما تاريخ الشعوب المستعمرة والمتعرضة للغزو.. يرتكز فيها المستعمر الهاجم بكل هذه القوة وأدواتها على طابور خامس هائل منزرع في مختلف مكونات المجتمعات العربية والإسلامية..

فالهجمة الأمريكية اليوم تعتمد بكل بساطة مهما تكن هذه الحقيقة مفجعة، على تعاون كامل من قبل الغالبية الساحقة إن لم تكن كافة الأنظمة الرسمية الحالية في بلاد العرب والمسلمين. هذه الأنظمة التي التقت أسباب بقائها وحماية مصالحها وعروش فراعنتها مع مخططات المستعمر الأمريكي وأعوانه. فانضوت - بكل ما لهذه الكلمة من معنى- تحت قيادة الجيوش الغازية تنفذ أفكارها وتحارب دين شعوبها ومقومات وجودهم وكافة مصالحهم.. وقد جندت بالتالي هذه الأنظمة كافة أجهزتها الأمنية والإعلامية والسلطوية لسحق أي بذور مقاومة لهذا الغزو.. بدءا من قمع أي شكل من أشكال التغيير والتظاهر والرفض السلمي، وانتهاء بقتل وسجن وتشريد كل من تسول له نفسه أي شكل من أشكال المقاومة ولا سيما بذور المقاومة المسلحة والجهاد المشروع..

وتبلغ المصيبة بعدها المأسوي عندما ترى معظم علماء المسلمين قد استجرتهم أبواب السلاطين وسيفه وذهبه، للعب الدور الأبشع لصالح المستعمر الغازي بإصباغ الشرعية عليه ونزعها عن المقاومة!

وجعل جنده وعسكره في حكم المعاهدين والمستأمنين وصون دمائهم وأموالهم وعتادهم، والحكم على من جاهدهم واعتدى عليهم بأنهم مفسدون في الأرض جزاؤهم أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض!!.

وليت المصيبة انتهت بتحالف الأنظمة الحاكمة وأجهزتها الدينية والإعلامية والأمنية مع العدو الغازي، فالمصيبة أكبر.. لأن شرائح لا يستهان بها من مكونات المجتمعات العربية والإسلامية قد تم مسخها فكريا وثقافيا وسياسيا، لتكون في خندق المحتلين، حتى وإن كان بعضها في القطاع المعارض للأنظمة الحاكمة المارقة، فإن هذه المعارضات تقدم نفسها على أنها أكثر منها استعدادا لخدمة المستعمر الغازي.

حتى أن كثيرا منها يتحالف مع العدو لإسقاط تلك الأنظمة، لا لأنها عملية للمستعمر خائنة لشعوبها، ولكن لعرض خدماته وكفاءاته المخلصة على المستعمر ذاته، على أنه سيكون أكثر إخلاصا وخدمة لأمريكا من الفراعنة الذين عبدوها عشرات السنين، وعبّدوا شعوبهم لها ولهم وللشيطان.. حيث أصبح النموذج الأفغاني و العراقي للمعارضة العميلة مثلا ناجحا يُحتذى..

وهكذا تصطف الخيارات والبدائل العميلة أمام أمريكا في عقر دارنا، من قبل أبناء جلدتنا الذين يتسمون بأسمائنا، ويلبسون لباسنا ويتكلمون بألسنتنا. تعرض خدماتها على المستعمر لاغتيال أمتها وهزيمة دينها، وقتل أبنائها وإزالة كافة مكوناتها الحضارية.. ولا تقتصر هذه الفئات العميلة على تيار فكري بعينه، ولا زمرة عرقية أو دينية معينة.. ففي هذا الطابور الخبيث من يرفع رايات من مختلف الشعارات والهويات.. بدءاً من الإسلامية المزعومة، ومرورا بكامل ألوان الطيف العلماني والسياسي في بلادنا سواء من الشعوب العربية أو غيرها من الشعوب الإسلامية..

ومن بعض أبعاد الكارثة.. أن كثيرا من الطيبين من علماء الإسلام ودعاته وقيادات أحزابه وتجمعاته.. قد سحقتهم الهجمة الإعلامية.. فراحوا يروجون للانبطاح وعدم إمكانية المقاومة، وينساقون في طرق رسمها العدو ذاته. من

طلب العيش السلمي، والتبادل الحضاري، والحوار الهادئ، والتفاهم الفكري مع المستعمر الذي يدكنا صباح مساء بقنابله وصواريخه الذكية، ويفتك بنا جنوده وعبيدهم من أبناءنا الأغبياء..

كل ذلك بدعوى الوسيطة تارة، والاعتدال أخرى، والحكمة مرة، وعدم المجازفة والانتحار بلا جدوى مرة أخرى..

وهكذا يُهجر دين الله تعالى وما يأمر به بكل جلاء، من وجوب جهاد هذه الهجمة وقتال أعداء الله بكل متيسر، والإعداد لهم بكل ما استطعنا من قوة، ومقاومتهم حتى الرمق الأخير.. وهكذا انقمعت الصيحات المخلصة المنبعثة هنا وهناك من الشرفاء، من مختلف شرائح المجتمعات العربية والإسلامية. وتخامدت صيحات الاعتراض والتظاهرات في المسلمين، تحت ضربات عصي (قوى الخوف) المدعوة (قوى الأمن)، وقنابلها المسيلة للدموع. وتحت وطأة الآلة الإعلامية المدججة في طليعتها بأخبث فتاوى وآراء علماء السلطان وفقهاء القعود ودعاة الانبطاح والخزي والعار.

ولم يبق في الميدان إلا بعض القلوب الطاهرة، والسواعد المجاهدة، والعزائم المؤمنة. تقاوم المستعمر هنا وهناك. شراذم مستضعفة يسقط شهداؤها بلا مردود ولا جدوى في أكثر الأحيان، اللهم إلا فوزا شخصيا ونصرا ذاتيا يحمل صاحبه من بين هذا النتن والعفن الطاغي على الأرض، وظلمات الظلم والقهر فيها، إلى جنات الخلد ورضوان الله رب العالمين بإذن الله..

ولا شك أننا مهددون إن بقي الحال هكذا..

لا أقول مهددون بالزوال والاندثار، لأن الله تعالى، وكذلك رسوله- صلى الله عليه وسلم- بشر هذه الأمة بالبقاء والظفر والنصر.

ولكننا مهددون لا سمح الله بمزيد من القهر والعناء والعذاب. ولباس الجوع والخوف والقتل والذل والعار..

ولا بد أن تقدم النخبة المثقفة المخلصة الشريفة في هذه الأمة، على التفكير في سبيل النهوض، وتوسيع رقعتها، كي تنهض الأمة وتنخرط في مواجهة أعداء الله، وتحافظ على مكونات وجودها ودينها وحضارتها..

محاور الجماعات

أعتقد - وهذا حال لا يخفى على أي متبصر- أن حجم الجماعات الاسلامية المسلحة، صغير ومحدود في الأمة بشكل مخيف ومرعب. لا أقول بسبب شراسة هجمة الأعداء فقط. ولكن بسبب ما يبدو من الغثائية والانهيار والقابلية الذاتية للاستعمار والهزيمة في الأمة هذه الأيام. ولا أدل على ذلك من متابعة نشرات الأخبار ووسائل الإعلام التي تحمل صباح مساء ما يملأ النفس حسرة وألما، وما يحطم العزائم، ويحمل الخور إلى الهمم..

وأعتقد أنه لا بد من أجل خوض هذه الحرب طويلة الأمد كما تبدو ملامحها، من برنامج متعدد المناحي لتوسيع القاعدة البشرية المولدة لبذور الصحوة في الأمة..

فحمل السلاح والاستعداد للجهاد في سبيل الله ومقاومة الأعداء، هو في النهاية ثمرة للمناخ العام، الذي يجب أن ترتفع فيه حرارة الوعي والعاطفة، وترسخ وتتضح فيه مفاهيم العقيدة القتالية، كي يصل إلى ما يمكن دعوته بـ (المناخ الجهادي الثوري) الذي يُولّد بشكل تلقائي آليات المقاومة..

وأظن أن الأمر أو سع بكثير من أن يقع على عاتق النخبة حاليا. لا سيما وأنها تعرضت إلى ما يقارب الانقراض في ظل هجمة مكافحة الإرهاب العالمية التي شنتها أمريكا بالتعاون مع حكام الدول العربية والإسلامية ذاتها. فضلا عن حلفائها في الغرب وباقي دول العالم، منذ عام 1990م وإطلاق النظام العالمي الجديد. لتصل ذروتها بعد أحداث سبتمبر 2001م. حيث صارت حربا عالمية ضروسا بكل معنى الكلمة تدور رحاها في كافة أنحاء المعمورة.

وقد أسفرت هذه الهجمة باستغلال أمريكا لأحداث سبتمبر، عن استهلاك كثير من كوادر وعناصر وجماعات الجهاد في العالم، وكثير من شرائح الصحوة الإسلامية المؤيدة للجهاد.

وأعتقد أن على النخبة المؤمنة والواعية والمثقفة، من مختلف القوى الغيورة الشريفة في الأمة أن تعمل الآن في ثلاثة مناحي:

أولا: المنحى الديني والثقافي

بوضع برامج عمل وتوعية ومناهج، للحفاظ على الهوية الدينية، والمكونات الفكرية والثقافية والاجتماعية الأصيلة، للشعوب العربية والإسلامية.

ثانيا: المنحى السياسي والفكري

بوضع برامج عمل ومناهج فكرية لتنشيط الدعوات السياسية، والمؤسسات الأهلية، والهيئات الاجتماعية المدنية..، والنشاط الإعلامي السلمي الذي يغذي الوجود الفكري والثقافي للأمة العربية والإسلامية.

ثالثا: المنحى العسكري

بالعمل على وضع برامج ومناهج عمل دعوية ومنهجية، في مجال العقيدة الجهادية القتالية، والإعداد في مختلف مناحيه التربوية والنفسية، وبرامج التدريب والعلوم العسكرية اللازمة، من أجل إطلاق (صحوة إسلامية عالمية) ووضعها موضع التنفيذ فورا، لتواجه أمريكا وحلفاءها في أرض بلادنا العربية والإسلامية - أولا- وفي عقر دارها ودار حلفائها وفي كل العالم ـ ثانيا -.

إن هذه الأطر الثلاثة التي أضعها في هذه المقدمة جديرة بالتفصيل والشرح. ولكني لا أريد أن تخرج المقدمة وعموم الرسائل عن الاختصار الممكن. رغم أنها ستستغرق مئات الصفحات. وسأترك ذلك لمجال آخر خاص بهذه الفكرة وتفصيلاتها إن شاء اللـه. ولكن ضمن ما تحتمله هذه المقدمة ألخص بعض التفاصيل في نقاط موجزة:

1. إن العمل العسكري والفعل الجهادي الثوري المسلح للمقاومة، هو الذي سيجبر العدو على التقهقركما كان الحال بالأمس بالنسبة للجزائر، ويقود هذه الأمة إلى النصر إن شاء اللـه. وبدون المقاومة العسكرية، فإن كل عمل سلمي مهما بلغ من الأهمية في مجالات الدعوة والخطابة والكتابة والتأليف.. أوفي أعمال التظاهر والعمل السياسي والإعلامي وسوى

ذلك.. ستذهب آثاره أدراج الرياح، ولن يغير مـن واقـع الأمـر شـيئا مـن دون عمـل عسكري مقاوم.

و مادام المستعمر الغازي الصـليبي الصـهيوني الكـافر جـاثم عـلى صـدورنا وأرضـنا، ستبقى الأمة بكاملها آثمة ومسئولة أمام اللـه تعالى، عن عدم قيام الكفاية بدفع العدو..

إننا أمام فرض عين ليس أوجب بعد توحيد اللـه منه، كما نقل العلماء الإجماع على ذلك. ويزيد هذا الفرض تأكيدا وقد دخل الصائل علينا في عقر دارنا..

2. إن فعل الجهاد والمقاومة المسـلحة، لا يـأتي مـن فـراغ ولا يتحـول إلى ظـاهرة بـالحجم المطلوب ما لم يولده مناخ جهادي ثوري، يعمل على إنشائه جهود كثيرة في مجـالات العمل غير القتالي، من الدعوة والإعلام والتربية والحفاظ على مكونات الدين... ومن العقيدة الإسلامية وأحكام الشريعة التي تملأ قلب المـؤمن بالقناعـة بواجبـه القتـالي كفرض شرعي ديني..

3. إنّ تكوّن الخلفية الفكرية والوعي السياسي والمنهجي والعقدي، أسـاس لازم إلى جانـب المعتقد الديني في ذهنيـة الفـرد المسـلم وضـميره، كي يتحـول إلى الممارسـة الفعليـة للقتال والمقاومة، كفرد مجاهد يحمل عقيدة جهادية وإرادة قتالية وعاطفـة دينيـة تحمله على مباشرة الفعل والصبر على متابعته ونشره بين الناس ودعوتهم إليـه عـلى بصيرة..

4. إن الإقدام على الجهاد اليوم، وحمل السلاح في وجه أمريكا وحلفائها، وما يتبع ذلـك مـن الاصطدام بطليعتها في أمتنا والمكونة من السلطات الكـافرة العميلـة الخائنـة وأجهـزة إعلامها وأمنها وعسكرها من المنافقين أولياء الكفـار، لا يقـوم بـه في العـادة إلا نسـبة من الأمة وصل لديها الإيمان والعزيمة والقناعة والإرادة، لحد مبـاشرة الفعـل. في حـين أن ثمة قطاع كبير من الأمة مقتنع بحكم الواقع بالمواجهة، ولكن عزيمتـه مازالـت دون الوصول إلى حد نقله إلى ذروة سنام الإسلام، وقد يكـون كثـير مـن هـؤلاء مـن النسـاء

والشيوخ والمعذورين شرعا عن القيام بفريضة القتال، أو العاجزين عنها لسبب مشروع و حقيقي، أو لسبب موهوم فظنون، نتيجة الضعف في اليقين أو الإمكانيات..

فما دور هؤلاء في هذه المواجهة ؟!

لا شك أن لهم دورا مهما بالغ الأهمية، يؤدونه في مجالات الجهاد السلمي، وهو العمل في المجالات التي أشرت إليه في الفقرة [1 وَ 2].

5. إذا لم تقم النخبة الفاهمة لدينها المدركة للواقع، بعمل يحبط برامج العدو في تحطيم البنية الدينية والحضارية ومكونات الوعي في الأمة، والتي وضعها العدو أصلا لاجتثاث مقومات المقاومة من جذورها. فإن النخبة الجهادية ستنقرض – لا قدر الله - بفعل العمل العسكري والأمني للعدو.

ولن تولد الأمة مع الوقت عوضا عنها، وستذوب في برامج العدو الإعلامية والتربوية التي رسمها، والتي طالت حتى مناهج الأطفال التعليمية، وطالبت حتى بتعديل وتشويه نصوص القرآن والسنة التي تتحدث عن الجهاد ومناحي الاعتقاد..، وقد جرى أكثر ذلك بأيدي كثير من علمائنا وللأسف، واشتملت الخطة الخبيثة للعدو، على وضع مئات الخطباء والوعاظ في كل بلد إسلامي، في دورات للتأهيل ضد (التطرف)! لحقنهم بالمورثات الجينية (للوسطية) المصنعة في أمريكا.. من أجل استنساخ (مشايخ البنتاغون) و (فقهاء الاستعمار) المناسبين.

6. إن العمل في مجال الحفاظ على الدين والمكونات الحضارية في الأمة، يحتاج لبرامج عمل قد يضطر القائمون عليها في بعض البلاد إلى النشر والتربية السرية إن لزم الأمر. كما حصل في نظام الحجرات السرية التي حافظ فيها المسلمون على دين أبنائهم تحت الاحتلال السوفيتي وبرامجه في محو الهوية في الجمهوريات الإسلامية. وكذلك ما فعله المسلمون في الصين تحت الحكم الشيوعي وثورته الثقافية..

وقد تُمكّن أجواء (الديمقراطية المزعومة) التي تحملها أمريكا إلى بلادنا على فوهات المدافع.. قد تمكن من تأسيس الجمعيات الأهلية وغير الحكومية وتمكنها من القيام بأعمال التربية والتعليم والتثقيف على غرار ما فعله الشيخ (ابن باديس) وجمعية العلماء المسلمين في الجزائر، عندما قاوم بنجاح (خطة الفرنسة) ومسخ الهوية التي وضعتها فرنسا لمسح العروبة والإسلام من الجزائر. وقد كانت خطة ناجحة عندما وجد الشيخ المجاهد ابن باديس أن بذور المقاومة وجذورها قد وهنت، فعمد إلى الحفاظ على جذورها وأرضيتها وبذرها من جديد. وهكذا وفر هذا العمل التربوي المجيد خلال الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات، بذور المقاومة وأجيالا قدمت وقود الثورة والمقاومة ضد فرنسا فيما بعد.

ويجب أن يكون للمساجد والكتاتيب والزوايا الدينية دورا كبير في هذا المجال. كما أن لحلقات التدريس والتعليم الديني المنزلي دور هام. وللنساء والداعيات وسط الأسر ومن خلال البيوت، دورا كبير في الحفاظ على دين ولغة وثقافة الأجيال..

والعمل في هذا المجال عمل سلمي لا يحمل مخاطر القتال والمقاومة المسلحة، التي يجب أن ينخرط فيها - منذ الساعة - المعتقدون العازمون على التضحية.. لأنها فرض عين على كل مسلم.

7. أما مجالات العمل السياسي والإعلامي والفكري والثقافي.. فإنها كذلك مجالات عمل سلمي، يستطيع العاملون فيها نشر فكر المقاومة المدنية ومبرراتها، ويستطيعون أن يدافعوا عنها في داخل البلاد وخارجها.. كما أن مجال التأليف والنشر والتظاهر والاعتصام وغير ذلك من أعمال المقاومة المدنية..، عمل ربما سيكون مشروعا ممكنا ضمن ما تتيحه (الديمقراطية الزائفة) للاستعمار ونوابه الخونة في بلادنا من أجل خداع الناس. وسيكون العاملون في هذه المجالات في مأمن من وضعهم تحت طائلة تهمة (الإرهاب) لأنهم في مجال العمل السياسي والإعلامي والمدني..

وهناك ملاحظتين هامتين جدا للعمل في مجال المقاومة السلمية المدنية سواء في المجال الديني أو السياسي أو الفكري وهما:

أولا: لا يجـوز بحـال مـن الأحـوال، ويحـرم شرعـا، الانتسـاب للأجهـزة السـلطوية والحكومية تحت دعوى (المقاومة السلمية وخدمة الدين)، سواء كـان ذلـك تحـت إدارة الاسـتعمار مبـاشرة - كـما يحصـل في العـراق وفلسـطين - أو تحـت حكـم وإدارة الحكـام المرتدين الحاليين الحاكمين بغير ما أنزل اللـه المـوالين لأعـداء اللــه المسـتعمرين – كـما يحصل من كثـير مـن الإسـلاميين في مختلـف الـبلاد - ولا يجـوز العمـل في أي جهـاز مـن أجهزتهم السلطوية التشريعية والتنفيذية والقضائية. وهذا له تفصيل ودلائل سيأتي بيانهـا في الباب الأول من الفصل الثاني من الجزء الثاني إن شاء اللـه.

ثانيا: لا يجوز بحال من الأحوال أن يقع العامل في مجال المقاومة المدنيـة والـدعوة والسياسـة والإعـلام، في جريمـة التشـنيع عـلى الجهـاد والمجاهـدين والمقـاومين المسـلمين، بدعوى دفع الشبهة عن نفسه ومؤسسته، وبدعوى زعم الوسـطية والاعتـدال، أو بـدعوى الحفاظ على نشاطاته وأخذ الإجازة من المستعمر أو نوابـه المرتـدين مـن الحكـام الخونـة لاستمرار عمله.

لأن الغرض من وجوده ومبرر عمله في ذاك المجال هـو خلـق منـاخ الجهـاد ودعـم المقاومة. فكيف ستولد هذه المقاومة وتستمر إذا تـولى كبـار الـدعاة والمفكـرون والقـادة والمثقفون في الأمة تشويه الجهاد والمجاهدين ؟! وتحطـيم سـمعة المقاومـة والمقـاومين؟!. كما يفعل المغفلون والفجرة والتـائهون اليـوم، مـن بعـض علـماء الإسـلام ومثقفـي الأمـة ومفكريها!.

وفي الوقت ذاته، يجب على المجاهدين المقـاومين وإعلامهـم الجهـادي، أن لا ينجـر للتشنيع على العاملين في مجال الدعوة والمقاومة السلمية وتهمتهم بالقعود وعدم الجهاد – ولو كان هذا صحيحا في حق أكـثرهم - طالمـا أنهـم لم يـدخلوا سـياق دعـم المسـتعمر والاعتراف به، أو محاربة الجهاد والدعاية ضـد المقاومـة. لأنهـم يـؤدون عمـلا مهـما جـدا لأرضية المقاومة، ومكملاً لجهودها.

الجماعات المسلحة

إن المشاركة في المقاومة والتدرج في ميدان الجهاد في سبيل اللـه ومواجهة أعداء اللـه يمر لدى كل فرد في ثلاث مستويات:

- العاطفة الدينية الإسلامية:

وهذه يكوّنها المفهوم العام للدين، والموروثات الطبيعية للنخوة و الشرف، والإباء والحمية لدى الفرد. كرد فعل طبيعي على حال الاحتلال والظلم، وكسر الكبرياء وهتك أستار الكرامة الدينية والحضارية والوطنية من قبل المستعمر وأعوانه. وهذه العاطفة تحمل صاحبها على المشاركة في مجال المقاومة المدنية أو ردود الأفعال العاطفية تجاوبا مع جيشان هذه العواطف في قرارة الضمير.

- إرادة القتال:

وهذه أساس تكوّن القدرة على فعل المقاومة والجهاد. فالإرادة هي عزم يتكون في العقل والقلب والنفس للإقدام على العمل. وهي أول مراحل العمل، وبدونها لا يقدم المرء على أي عمل..

قال تعالى عن المنافقين القاعدين عن الجهاد:

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللـه انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (التوبة:46)

فمراحل الإقدام على الجهاد والقتال هي (إرادة – إعداد – انبعاث). وتتكون إرادة القتال بعد نضوج العاطفة الدينية والقناعة بالقتال. ويساعد على تشكيلها إذا كان الضمير حيا والقلب سليما ما يمارسه العدو من أعمال العدوان والمظالم والقتل والدمار وما يلبسه للأمة من القهر والذل والخوف والجوع. فيحمل المرء السلاح ويقاوم.

- العقيدة الجهادية:

وهذه لا تأتي إلا عبر التربية والتلقي. وهي أساس في أمور غاية في الأهمية:[1]

- فبالعقيدة الجهادية وفهم أركانها واعتقادها، يكون القتال جهادا في سبيل اللـه، لأنها توضح العزم والقصد. وهو من قاتل لتكون كلمة اللـه هي العليا فهو في سبيل اللـه، حيث أن القتيل في ذلك هو الشهيد و إلا فلا.
- وبالعقيدة الجهادية يعرف المرء أحكام هذه الفريضة وآدابها ومقتضياتها ويقدم على القتال على بينة وبصيرة من ربه ودينه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللـه فَتَبَيَّنُوا ﴾ (النساء94).
- وبالعقيدة الجهادية وأركانها يرسخ في نفس المجاهد المنهج والفكر الجهادي، والوعي الكامل بناء على معرفة أحكام اللـه الشرعية، وبناء على فهم مقتضيات هذه الأحكام من فقه الواقع الذي يدور من حوله.
- وبدون العقيدة الجهادية. إما أن يحبط العمل ويسوء المصير لا سمح اللـه ولا قدر، أو تنقطع السبل بالمقاتل على محن الطريق و محكّاته من القتل والأسر و التشريد. فهي الضامن بعد اللـه تعالى، في تثبيت المجاهد على نيته وعزيمته في وجه عواصف التضليل الإعلامي، والفتنة والزيغ الذي يحاوله أعداء الإسلام وآلاتهم المنافقة، وخاصة علماء السوء وفقهاء الضلالة، الذين يحاولون تلبيس الأمر على المجاهدين، لصرفهم عن سبيل اللـه. فلا بد للعاملين في مجال المقاومة والجهاد والعمل العسكري المباشر ضد أعداء اللـه، أن يكون لهم علماؤهم ومفكروهم، ومثقفوهم وآلاتهم الفكرية والمنهجية، وأدوات إعلامهم. لتوجيه العواطف الجياشة في نفوس المؤمنين، وتحويلها عبر الإعلام والدعاية الجهادية إلى إرادة قتال، وصقلها وترسيخها كعقيدة جهادية تمكن الأجيال من استمرار المقاومة وتوارثها...

---

[1] سيأتي مزيد من التفاصيل في الباب الأول من الجزء الثاني من الكتاب إن شاء اللـه.

ولابـد مـن ذكـر الحقيقـة المـرة ؛ وهـي أن عشرات الملايـين مـن شـباب المسـلمين المخلصين، ما زالوا إزاء هذه المـدلهمات المظلمـة المتتابعـة مـن النـوازل في هـذه الأمـة، تائهون متحيرون عجزة! يترددون في مجال العاطفة الدينية وحسب، يتجرعـون الـحسرات والمرارات ويرتكبون بعض ردود الأفعال غير المجدية.. ولم تتحول هذه العواطـف إلى إرادة قتال، إلا عند النزر اليسـير مـن المئـات هنـا وهنـاك، وربمـا الـعشرات أو الآحـاد في بعـض البلدان العربية والإسلامية..

وبنظرة إلى الظاهرة الجهادية وروادها، منذ انطلقت خلال العقود الأربعـة الماضـية كما سيأتي تفصيله في الفصل السادس إن شاء اللــه، نجـد أن أعـدادهم لم تجـاوز المئـات حتى في دول مليونية كمصر وبلاد الشام، ولم تجـاوز الـعشرات في دول أخـرى ! في حـين لم تقم أي بادرة جهادية في أكثر بلاد المسلمين. رغم ما يعتريها مـن حـالات الاحـتلال المبـاشر وغير المباشر مـن قبـل مختلـف دول الاسـتعمار، ومـا يظهـره حكامهـا مـن الكفـر والـردة والخيانة، فضلا عن المظالم والمفاسد التي أحالت حياة أكثر الشعوب جحيما..

بل إن الإحصائيات المؤسفة تشير، إلى أنه ومنذ استعلن الأمريكان باحتلال جزيرة العرب، ونزلوا فيها جهارا سنة 1990م وما زالوا إلى يومنا هذا أي منذ نحو 13 عاما، حيث يسرح ويمرح في أنحائهـا مئـات آلاف الجنـود الأمريكـان والإنجليـز والأوروبيـين ويتسـكع فيهـا مئـات آلاف المدنيين منهم بأسرهم..، و يشرفون على النهب والسلب الاقتصـادي والفسـاد والإفسـاد.. ومـع ذلك لم يجاوز عدد العمليات الجهادية رغم بساطتها، لم يجاوز إلا بعض العمليات لم يـزد فيهـا مجموع خسارة الأمريكان على بضع عشرات.. هذا رغـم أن واردات الاسـتعمار الأمـريكي منهـا (مجموع بلدان الجزيرة) تجاوز يوميا المليار دولار من النفط فقط، هذا المستعمر الذي يمـوت في بلده مـن مواطنيـه جـراء حـوادث السـير أسـبوعيا مئـات الأشـخاص، عـدا الآلاف ممـن يقضون في باقي الجرائم وتناول الخمور والمخدرات ! وينشر الأمريكان في منطقتنـا العربيـة والإسلامية التي يسمونها (منطقة العمليات الوسطي) زهاء مليون ونصـف المليـون جنـدي أمريكي عدا جنود حلفائه، فكيف يغادر مثل هذا المحتل مثل هـذه الدولـة؟! التـي تحـوي

أقدس مقدسات المسلمين وتشكل عقر دارهم ؟! وهذه ظاهرة نادرة في تاريخ الاستعمار والمستعمَرين على مر البشرية..!!

أما الأشد أسفا من ذلك فهو أن تقوم دار الإسلام في أفغانستان أيام طالبان، وتفتح على مصراعيها لمدة ستة سنوات، وتنشأ فيها المعسكرات وخطوط القتال، وتفتح فرصة الجهاد تحت رايات الشريعة، ولم يزيد عدد من دخلها للهجرة والجهاد على 1500 مجاهد، منهم نحو 300 مجاهد بأسرهم..أي نسبة واحد في المليون من الأمة !! ولم يستفيد من فرصة الإعداد والتدريب وحضور ميدان الجهاد إلا أعداد محدودة ممن أنعم الله عليهم ! بل الأنكى من ذلك، أنه لم يهاجر إليها عالم واحد من علماء المسلمين ولاسيما مشاهيرهم، ولا من ورموز الدعوة الذين ملأوا الدنيا زعقا فارغا عن الهجرة والجهاد.

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار عدد الذين نفروا للجهاد لغوث إخوانهم الذين وقعوا تحت بطش الاحتلال الصارخ في أفغانستان سابقا أيام الروس، أوفي البوسنة أو الشيشان أو فلسطين أو غيرها من بلاد المسلمين التي تعرضت للاحتلال المعاصر.. نجد أن النسبة تبقى في خانة الآحاد للمليون، رغم ما طبل الإعلام وزمر من أجل تضخيم ظاهرة الجهاد المسلح أو ما يسمونه بـ (الإرهاب) من أجل تبرير أهدافهم العدوانية..[ودع عنك الأرقام الخيالية التي نشرتها استخبارات أمريكا عبر وسائل إعلامها من أرقام أدخلتها تحت مسمى القاعدة من أجل تحقيق أهدافها. وأنا أؤكد ما ذكرته من أرقام وبصفتي أحد الذين خبروا هذه المرحلة ميدانيا والحمد لله].

فإذا ما قسنا هذا الحال مع حجم النفير للجهاد الذي قام به المسلمون عبر تاريخهم القديم وحتى الحديث أيام الاستعمار، نجد أن حال الأمة هذه الأيام يدعو للإحباط، لولا الأمل بالله، و ما تشير إليه بوادر الأمل والانبعاث في بعض شرائح الأمة، والتي تحتاج إلى جهود تثمّرها وتطلقها وتأصل لها، وصولا إلى تحويلها إلى (مقاومة إسلامية عالمية) ناجعة تحمل عقيدة جهادية وإرادة قتال فعلية تغذيها عاطفة مجدية..

ومن أجل هذه الغاية وعملا على بث بذور هذه المقاومة والدعوة لها والعمل على قيامها.. وضعت مواد هذا الكتاب وجعلت عنوانه معبرا عن محتواه:

(الصحوة الإسلامية العالمية – الدعوة – المنهج – الطريقة)..

محاولا أن أضع بحسب ما يسر الله لي ؛ وضع أسس نظريات عمل تسهم في تحليل جيل الجماعات الجهادية الانية، للإجابة على سؤال هام في غاية الإستراتيجية والأهمية الدينية والعملية.. هذا السؤال هو:

كيف تواجه الجماعات الاسلامية المسلحة النظام العالمي الجديد؟ وكيف تقاتل الأعداء في عالم ما بعد سبتمبر؟ وكيف تقاوم الحملات الصليبية الثالثة بقيادة أمريكا؟..

لقد وضع هذا الكتاب وأسس هذه الجماعات من أجل الإجابة على هذا السؤال.. والله المستعان.

الجيل الثالث من الجهاديين

جيل الجماعات الإسلامية المسلحة العالمية:

أعتقد أن جيلا جهاديا يولد اليوم مع وصول حدة الصراع إلى ما وصلت إليه، بعد أحداث سبتمبر واحتلال العراق، ووصول الانتفاضة الفلسطينية إلى ذروتها. ووقوفها على مفترق الطريق، بعد أن أعطى أهلنا المؤمنون هناك كل ما في جُعبتهم. في حين تقف الأمة من تضحياتهم موقف المتفرج، بفعل سكوت علمائها وقمع حكامها لها وشلها عن الحركة.

فإذا أخذنا بعين الاعتبار التجارب الماضية، منذ انطلاق الجهاد أواسط الستينيات، أي قبل نحو 40 عاما وإلى اليوم، يمكنني أن أقول أن جيلان جهاديا ن قد مضيا حتى الآن في هذه الصحوة. حيث سنعرض لتاريخهما بشيء من التفصيل في الفصل السادس إن شاء الله.. جيل المؤسسين والدفعة الأولى، والذي أشعل مشعل الفكر الجهادي وقدم أولى تجاربه مطلع الستينات إلى أواخر السبعينات من القرن المنصرم، حيث لم تأت الثمانيات إلا وقد قضى معظمهم على هذا الدرب المنير.. ثم الجيل الثاني الذي قام بمتابعة المسيرة منذ مطلع الثمانينيات، وإلى أواخر القرن العشرين. حيث انتعش الجهاد في مصر والشام ثم شمال إفريقيا وغيرها.. ثم فتحت بوابة الجهاد على مصراعيها لعشاق الفريضة الغائبة في أفغانستان، حيث تكون على مدى الثمانينيات إلى مطلع التسعينيات الجيل الجهادي الثاني، وكانت مدرسة الأفغان العرب تجربة متميزة انطلق الجهاد مع روادها إلى مختلف بقاع العالم الإسلامي، وساهمت ساحات البوسنة و الشيشان، ثم مرحلة أفغانستان الثانية والإمارة الإسلامية بعطاء زاخر شهد أواخره لحاق طلائع الجيل الجهادي الثالث..

ثم جاءت أحداث سبتمبر 2001م، ودخل الجيل الثاني في أتون المحنة، لينصرم القرن العشرون، وتفتتح الألفية الثالثة بمذبحة مروعة وأخدود عظيم، التهم معظم كوادره وقياداته وأكثر قواعده، ولم يسلم منهم من القتل أو الأسر إلا النذر اليسير..

وقد حاولت أن أغطي ذلك في بعض فصول هذه الموسوعة بإيجاز. كما أن في فهم سياق تاريخ الأمة بعمومها وما حل بها ومسارها العام إجمالا والسياسي خاصة قسط أساسي من المعرفة، لابد لجيل الجهاد القادم الحقيقي القائم على المعرفة الحقة بالكتاب و السنة على فهم سلفنا الصالح والقائمين عليه من معرفة وفهم مجرياته، وهو ما يمكن تسميته بالتاريخ الحديث للعرب والمسلمين خلال القرن الماضي. منذ سقوط الخلافة عام 1924.. كما أن قسطا من المعرفة حول تاريخ صراعنا الحالي مع الروم المعاصرين أعداؤنا الأزليين، أقصد معرفة خلاصة تاريخ صراعنا مع الروم وحملاتهم التاريخية، وكيفية أداء أجدادنا في ذلك الصراع، وخلاصة دروس الانتصارات والهزائم عبر تلك الملاحم. أمر مهم جدا لتلمس خطى المسار القادم..

إن فهم ذلك وربطه بتاريخ الصراع كله، وبجذور هذا النظام الدولي القائم ونشأته عبر العصور، واستخلاص خلاصة أسس الصراع بين الحق والباطل منذ وجد البشر على هذه البسيطة، يمهد لهضم وفهم مكونات إنشاء نظريات العمل المناسبة للمرحلة الحالية..

وإذا وسع الفرد المجاهد العادي أن يجهل كثيرا من ارتباطات هذه السلسلة من المعارف والدروس والتجارب، فإنه لا يسع النخبة القادمة من قيادات الجهاد وجيله القادم أن تجهل الحكمة والعبرة من هذا السياق كله..

ولذلك حرصت على أن تشتمل الفصول الأولى أو ما يربو على نصف هذه الموسوعة خلاصة ذلك بطريقة متسلسلة منطقية وموجزة.. نعم موجزة رغم ضخامتها..

لقد أصبحت المعرفة أهم أسلحة هذا العصر. ولا يمكن أن يقود الجهلة هذا الصراع مهما كان من إخلاصهم المفترض..

ولقد جهدت أن أُعمل الفكر وأقضي الساعات الكثيرة في المناقشات والحوار مع كثير من العاملين في هذا التيار الجهادي إبان زيارتي البحثية لباكستان و سنوات تولي مهامي الوطنية كضابط في القوات الخاصة الجزائرية،

وخاصة من كوادره وقياداتـه المجـربين.. وفي التفكـير في طبيعـة هـذه الطامـة النازلـة بنـا وطرق مواجهتها. وأن أضع خلاصة ذلك بين دفتي هذه الموسوعة، وعبر رسـائلها المتتاليـة، كي أوجز في ذلك ما يساهم في خدمة الأمة، ويعينها على استئناف المسار..

إن النظرية الجهادية العملية لا تولـد في رؤوس المـؤلفين والمفكـرين فـوق المكاتـب الأنيقة. ولا من خلال حياة الدعة المريحة. ولا تنزل على أصحابها من قمة الهرم التنظيمي لحركتهم.. بل تولد في خنادق القتـال وسـاحات الإعـداد، ومسـار المحنـة وأتونهـا. نظريـة تكلف أصحابها العناء، وتجعلهم يدفعون ثمن كل خطأ وتجربـة مـن دمـائهم ومعانـاتهم، حتى يتلمس اللاحقون ما يناسب كل مرحلة قادمة من الخطوات الصائبة.

إن التجارب الفاشلة باهظة الثمن، ولكن الفشل في كثـير مـن الأحيـان أكـثر إثـراء للمسار من النصر. إذ يجمع التجربة إلى المجرب. فإذا مـا قـيض لـه الثبـات والعـزم عـلى المسير، فإنه يشكل له أرضية الانتصار الحاسم القادم بإذن اللـه.

لقد مثـلت أمريكا والحضارة الغربية، وما أحلته بنا وبغيرنا من بني آدم، داءاً أصاب البشرية بكل ماتعنيه كلمة (داء) من معاني.. ولا شك أن بلاء دائها ودواءها داخـل في مـا روي عنه صلى اللـه عليه وسلم:

(ما أنزل اللـه من داء إلا وأنزل له دواء، عرفه من عرفه، وجهله من جهله)..

وقد حاولت في هذا الكتاب أن أساهم في البحث عـن مواصـفات هـذا الـدواء لعـل اللـه يجعلنا و من سيسير على خطى من مضى؛ ممن عرفه..

لعلنا نستطيع أن نريح أمتنا، وربما البشرية كلها مـن وراء ذلـك، مـن أعـراض هـذا الداء – أمريكا وحلفائها - وما أحله في الأبرياء من بني البشر عامة والمسلمين خاصـة مـن ويلات. فيكون في ذلك الشفاء بإذن اللـه..

فصل في الغربة والغرباء والظاهرين على الحق:

في هذا العصر اليهودي الأمريكي كما يزعمون..أظلتنا أيام أصبح فيها المسلمون في أهل الأرض الكفار غرباء.. وأصبح المصلون في مئات ملايين المسلمين غرباء.. وأصبح الملتزمون بما أمر اللـه ونهى من دينهم في المصلين غرباء.. وأصبح الداعون للإيمان والاعتقاد الصحيح في الملتزمين غرباء.. وأصبح الداعون إلى اللـه الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر في هؤلاء المؤمنون غرباء.. وأصبح الداعون لجهاد أعداء اللـه ودفع صائل الكفار والمرتدين والمنافقين عنها أغرب الغرباء..

وصدق رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم وها نحن نسير إلى ما بشر به بقوله: (بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء)..

والحمد لله أن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم قد بشر بأنه: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال). وأخبر عن ثباتهم صلى اللـه عليه وسلم فقال: (لا تزال أمة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر اللـه وهم ظاهرون على الناس)..

ولأننا نكتب هذه الموسوعة لأولئك الغرباء الظاهرين على الحق الذين لا يضرهم من خذلهم، يقاتلون على هذا الدين حتى يأتي أمر اللـه..

ولأننا نكتبه وقد أصبحت الثلة المؤمنة الثابتة في وجه أعاصير أمريكا الهوجاء وحلفائها صابرة صامدة لا تعبأ باستكبار أمريكا، ولا كثرة حلفائها ولا تخذيل عبيدها، أصبحت من أغرب الغرباء في الناس.. غرباء ظاهرون على الحق يقاتلون على الحق هنا وهناك... ولأننا نكتب هذه الموسوعة لهم..

ولأننا نكتبه ونحن نعيش بفضل اللـه الذي يؤتيه من يشاء ـ ونسأله الإخلاص والثبات والقبول برحمته ـ نعيش وإخواننا المجاهدين والمهاجرين في سبيل اللـه أشد حالات الغربة والحصار والمطاردة والقتل والأسر. فإنا نورد هنا من الزاد ما نشد به عضدنا ونثبت به أنفسنا.. ونقدمه بشائر إلى أولئك الصابرين

الثابتين الذين نحسب أنهم صدقوا ما عاهدوا اللـه عليه فمـنهم مـن قضى نحبـه ومـنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا.. كما نقدمـه إلى كـل العـازمين عـلى الانضـمام لقافلـة الغربـاء وركب الظاهرين على الحق من الأجيال القادمة الذين سـيرفع اللــه بهـم إن شـاء اللــه راية دينه. ويري كل فرعون وهامان من فراعنة الكفار والمرتدين.. وكل جنودهم منهم ما كانوا يحذرون.

فإن من خير الزاد، و من بشارة عاجل الخير وآجله، أن نقدم لفصول هذه الموسوعة ببعض عبير السنة المطهرة، وما جاء من بعض الآثار المباركـة مـن صـفات وأحـوال الغربـة والغرباء والظاهرين على الحق الذين يقاتلون على هذا الدين غير عابئين بمن خـذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر اللـه، ومـا جـاء مـما أعـده اللــه لهـم مـن البشـارة في الـدنيا والكرامة في الآخرة.

آملين أن يكون فيهـا مـا يـربط عـلى قلـوب الشـباب المـؤمن العـازم عـلى المقاومـة. مقاومة طغيان أمريكا وحلفائها، بقلب عامر بالإيمان، و بيد تشد على الزناد.

فإلى أولئك الذين أحبوا الموت في سبيل اللـه كما أحب عباد أمريكـا الحيـاة.. إلـيهم ومعهم نتنسم عبير هذه الآثار النبوية العطرة وأنوارها:

جاء في باب الغربة من كتاب مدارج السالكين للإمام العامل ابن القيم رحمـه اللــه تعالى ما نقتطف منه باختصار ما يلي:

(باب الغربة)

قال اللـه تعالى: ﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّـةٍ يَنْهَـوْنَ عَـنِ الْفَسَـادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (هود:116)

استشهاده بهذه الآية في هذا الباب يدل على رسوخه في العلم والمعرفـة وفهـم القرآن، فإن الغرباء في العالم هم أهل هذه الصفة المذكورة في الآية، وهـم الـذين أشار إليهم النبي صلى اللـه عليه وسلم في قولـه (بـدأ الإسـلام غريبـا وسـيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء قيل ومن الغرباء يا رسول اللـه قال الذي يصلحون

إذا فسد الناس...)، وعن عبد اللـه بن مسعود قال رسول اللـه صلى اللــه عليـه وسـلم (إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء قيـل ومـن الغربـاء يـا رسـول اللـه قال النزاع من القبائل) وفي حديث عبد اللـه بن عمرو قال: قال النبي صلى اللــه عليه وسلم ذات يوم ونحن عنده (طوبى للغرباء قيل ومن الغربـاء يـا رسـول اللــه قـال ناس صالحون قليل في ناس كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم).

وقال أحمد عن عبد اللـه بن عمرو عن النبي صـلى اللــه عليـه وسـلم قـال: (إن أحب شيء إلى اللـه الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفرارون بـدينهم يجتمعـون إلى عـيسى ابن مريم عليه السلام يوم القيامة).

وفي حديث القاسم عن أبي أمامة عن النبي صلى اللـه عليه وسلم قال عـن اللــه تعالى: (إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاته أحسن عبـادة ربـه وكان رزقه كفافا وكان مع ذلك غامضا في الناس لا يشـار إليـه بالأصـابع وصبر عـلى ذلـك حتى لقي اللـه ثم حلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه)، وقال الحسن: المـؤمن في الـدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها، ولا ينافس في عزها، للناس حال وله حال. الناس منه في راحـة وهو من نفسه في تعب.

وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقا، وأكثر الناس بل كلهم لائم لهم. فلغربتهم بين هذا الخلق يعدونهم أهل شذوذ وبدعة ومفارقة للسواد الأعظم.{فانظر إلى هذا الوصـف وقارنه بحال المجاهدين للأمريكان واليهود وأوليائهم اليوم.. وكيف يتناولهم الإعـلام حتـى أكثر خطباء الجمعة على منابر المساجد }.

ومعنى قول النبي صلى اللـه عليه وسلم هم النزاع من القبائل، أن اللـه سـبحانه بعث رسوله وأهل الأرض على أديان مختلفة، فهم بـين عبـاد أوثـان ونـيران، وعبـاد صـور وصلبان، ويهود وصابئة وفلاسفة، وكان الإسلام في أول ظهوره غريبا، وكان من أسلم مـنهم واستجاب لله ولرسوله غريبا في حيه وقبيلته وأهله وعشيرته.

فكان المستجيبون لدعوة الإسلام نزاعا من القبائل، بل آحادا منهم، تغربوا عن قبائلهم وعشائرهم ودخلوا في الإسلام، فكانوا هم الغرباء حقا. حتى ظهر الإسلام وانتشرت دعوته ودخل الناس فيه أفواجا. فزالت تلك الغربة عنهم. ثم أخذ في الإغتراب و الترحل حتى عاد غريبا كما بدأ، بل الإسلام الحق الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هو اليوم أشد غربة منه في أول ظهوره وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفة، فالإسلام الحقيقي غريب جدا وأهله غرباء أشد الغربة بين الناس. وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جدا غريبة، وسبعين فرقة ذات أتباع ورئاسات، ومناصب وولايات، ولا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول. فإن نفس ما جاء به يضاد أهواءهم ولذاتهم وما هم عليه من الشبهات والبدع، التي هي نص فضيلتهم وعملهم والشهوات التي هي غايات مقاصدهم و إراداتهم.

{ أنظر سبحان الله ما يقول ابن القيم في القرن الثامن الهجري أن الإسلام في زمانه أشد غربة من وقت ظهر...فماذا نقول نحن اليوم والله المستعان !!}.

فكيف لا يكون المؤمن السائر إلى الله على طريق المتابعة غريبا بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهواءهم وأطاعوا شحهم وأعجب كل منهم برأيه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:(مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمرا لا يد لك به فعليك بخاصة نفسك، وإياك و عوامهم فإن وراءكم أياما صبر الصابر فيهن كالقابض على الجمر). ولهذا جعل للمسلم الصادق في هذا الوقت إذا تمسك بدينه أجر خمسين من الصحابة. ففي سنن أبي داود والترمذي من حديث أبي ثعلبة الخشني قال:(سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية:

﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ فقال: بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام الصبر، فيهن مثل قبض على الجمر

للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله. قلت يارسول اللـه أجر خمسين منهم قال أجر خمسين منكم). وهذا الأجر العظيم إنما هو لغربته بين الناس والتمسـك بالسـنة بين ظلمات أهوائهم وآرائهم.

فإذا أراد المؤمن الذي قد رزقه اللـه بصيرة في دينه، وفقها في سنة رسـوله وفهـما في كتابه، وأراه ما الناس فيه من الأهواء والبدع والضـلالات وتنكـبهم عـن الصراط المسـتقيم الذي كان عليه رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم وأصـحابه، فـإذا أراد أن يسـلك هـذا الصراط فليوطن نفسه على قدح الجهال وأهل البـدع فيـه، وطعـنهم عليـه وإزرائهـم بـه وتنفير الناس عنه وتحذيرهم منه. كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه صلى اللـه عليه وسلم. فأمـا إن دعـاهم إلى ذلـك وقـدح فـيما هـم عليـه، فهنالـك تقـوم قيامتهم ويبغون له الغوائل وينصبون له الحبائل، ويجلبون عليه بخيل كبيرهم ورجله.

فهو غريب في دينه لفسـاد أديـانهم. غريـب في تمسـكه بالسـنة لتمسـكهم بالبـدع، غريب في اعتقاده لفساد عقائدهم، غريـب في صلاته لسـوء صـلاتهم، غريـب في طريقـه لضلال وفساد طرقهم، غريب في نسبته لهم لمخالفة نسبهم، غريب في معاشرته لهـم لأنـه يعاشرهم على ما لا تهوى أنفسهم.

وبالجملة فهو غريب في أمور دنياه و آخرته. لا يجد من العامة مسـاعدا ولا معينـا، فهو: عالم بين جهال، صـاحب سـنة بـين أهـل بـدع، داع إلى اللــه ورسـوله بـين دعـاة إلى الأهواء والبدع، آمر بالمعروف ناه عن المنكر بين قوم المعروف لديهم منكر والمنكر لـديهم معروف]. انتهى كلام ابن القيم رحمه اللـه.

ومن الآثار النبوية التي جاءت في الغرباء وكرامتهم وفضل الغربة وأحوالها:

- جاء في (مجمع الزوائد) عن عبد اللـه ابن عمرو بن العاص عـن رسـول اللــه صـلى اللــه عليـه وسلم أنه قال: (هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق اللـه عز وجل؟ قالوا اللـه ورسـوله أعلم. قال: الفقراء المهاجرون الذين تسـد بهـم الثغـور، وتتقـى بهـم المكـاره، ويمـوت أحـدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، فيقول اللـه عز وجل لمن يشـاء مـن ملائكتـه: ائتـوهم

فحيوهم. فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك، وخيرتك من خلقـك، أفتأمرنـا أن نـأتي هؤلاء فنسلم عليهم. قال: إنهم كانوا عبادا يعبدوني لا يشركون بي شيئا، وتسـد بهـم الثغور، وتتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لهـا قضـاء. قال فتأتيهم الملائكة ثم ذلك. فيدخلون عليهم من كل باب سلام علـيكم بمـا صـبرتم فنعم عقبى الدار).

- وفي مسند الإمام أحمد (7072) عن عبد الـلـه بن عمرو قال ثم كنت ثم رسـول الـلــه صلى الـلـه عليه وسلم وطلعت الشمس فقال: (يأتي الـلـه قوم يوم القيامـة نـورهم كنور الشمس فقال أبوبكر أنحن هم يارسول الـلـه قال لا ولكم خـير كثـير، ولكـنهم فقراء المهاجرين الذين يحشرون من أقطار الأرض) (مسند أحمد 2-222).
- وفي (فيض القدير 4-274): (قال الثوري - رحمه الـلـه -: إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط. لأنه لو نطق بالحق لأبغضوه.
- وقال الغزالي – رحمه الـلـه - وقد صار ما ارتضاه السلف من العلوم غريبا بل انـدرس وما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع وقد صـارت علـوم أولئـك غريبـة بحيـث يمقـت ذاكرها.)

هذا بعض ما جاء من الآثار في الغربة والغرباء. جعلنا الـلـه منهم ومعهـم في الـدنيا والآخرة.

ومما جاء من الآثار النبوية وأقوال أهل العلم في الطائفة المنصـورة الظـاهرين عـلى الحق يقاتلون على هذا الدين ما نقتطف منه ما يلي:

- عن معاوية رضي الـلـه عنه يرفعه: " لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الـلــه لا يضرهـم من خذلهم و لا من خالفهم حتى يأتي أمر الـلـه وهم على ذلك" (البخاري 3641).
- عن جابر بن سمرة رضي الـلـه عنه يرفعه: " لـن يـبرح هـذا الـدين قائمـا يقاتـل عليـه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة " مسلم (66/13).

- عن جابر يرفعه: " لا تـزال طائفـة مـن أمتـي يقـاتلون عـلى الحـق ظـاهرين إلى يـوم القيامة " رواه مسلم (66/13).
- و في رواية النسائي (214/3) عن سلمة بن نفيل الكندي قال: كنت جالسا عنـد رسـول الـلـه فقال رجل يا رسول الـلـه أذال الناس الخيل ووضعوا السـلاح وقـالوا لا جهـاد قد وضعت الحرب أوزارها فأقبل رسـول الـلــه بوجهـه و قـال: " كـذبوا الآن جـاء القتال ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق و يزيغ الـلــه لهـم قلـوب أقـوام و يرزقهم منهم حتى تقوم الساعة وحتى يأتي وعد الـلــه والخيـل معقـود في نواصـيها الخير إلى يوم القيامة وهو يوحى إلي أني مقبوض غير ملبـث و أنـتم تتبعـوني أفنـادا يضرب بعضكم رقاب بعض و عقر دار المؤمنين الشام ".
- عن المغيرة يرفعه " لا يزال ناس من أمتي يقاتلون على الحق ظـاهرين حتـى يـأتيهم أمر الـلـه " أحمد (248/4).
- عن معاوية يرفعه: " من يرد الـلــه بـه خـيرا يفقهـه في الـدين و لا تـزال عصـابة مـن المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة "مسلم 13/ 67.
- عن معاوية يرفعه: " لا تقوم السـاعة إلا وطائفـة مـن أمتـي ظـاهرون عـلى النـاس، لا يبالون من خذلهم و لا من نصرهم " ابن ماجة (9).

فأقول والـلـه الموفق:

أن المستفاد مما سبق، أن العلماء اعتبروا الأقسام التالية للطائفة المنصورة:

أهل العلم بالكتاب و السنة.

أهل الدعوة والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

أهل الجهاد و القتال في سبيل الـلـه.

والذي يبدو لي جمعا بين هذه الأقوال - والـلـه أعلم - ما يلي:

1) أن معظم السلف ممن جعلهم أهل الحديث وأهل العلم قالوا ذلك لأنهم كـانوا أسـبق الناس إلى الجهاد والقتال إذا تعينت الفريضة أو إذا لم تحقق الكفاية في القتـال، بـل قد ورد عن بعض السلف أنه دخل الثغور أكثر من مئة مرة ليس بقصد القتال و إنما لأخذ الحديث لكثرة (أهل الحديث) في مواقع الرباط، وثغور الجهـاد. وهـذا عنـدما كان أهل الحديث أهل الجهاد وليس عندما صار أكثرهم (أهل حديث). وأهل قيـل وقال وكثرة سؤال..

أن الطائفة المنصورة هم الذين يتصدرون لأهم الأولويات و الفـروض والواجبـات في زمانهم من هذه الأبواب الثلاثة - العلم- الدعوة والأمر والنهي – القتال والجهاد.

ففي زمن مثل زمن البخاري والإمام أحمد رحمهما الـلـه تعالى، كانـت الخلافـة الإسـلامية قوية مهيمنة غازية لأعدائها، واضعة للجزية والصغار على من جاورهـا مـن الكفـار، فكان حريا أن يكون رؤوس الطائفـة المنصـورة مـن أمثـال أولئـك الأئمـة متصـدرين للأولوية الأولى، وهي العلم بالسنة وجهاد البـدع وهـو جهـاد البيـان، أو متصـدرين لجهاد أئمة الباطل وأمراء الجور، من الذين ظلموا أو ابتدعوا كموقـف الإمـام أحمـد رحمه الـلـه من بني العباس وبدعة خلـق القـرآن، فكانـت ثغـرة شـاغرة في حـين لم يكن هناك من صائل محارب على الأمة. بينما نجد الإمام ابـن تيميـة جعـل جـيش الشام ومصر - على ما كان فيهم من البدع والجهل - من أخص من عمهـم الإنـتماء للطائفة المنصورة، لدفعهم العدو عن دين الـلـه وبيضـة المسـلمين وحـوزتهم، رغـم عدم اتصافهم بالعلم، ولم يكن المماليك من أهل الحديث كما هو معلوم.. بل كـانوا للجهل والبدع أقرب منهم للعلم بعمومهم. ولكنهم كانوا على الثغرة الشاغرة وهـي دفع الصائل..

2) لاشك أن القتال من غير علم بدين الـلـه، ودون انطلاق مـن أصـوله، وإن كان أصحابه مأجورين بنيتهم في دفع أعداء الـلـه عن الـدين والأنفـس و الأعراض والأموال، لا يجعـل القـائمين بهـذا عـلى تمـام صـفة الطائفـة

الظاهرة على الحق، لأنهم لا يكونون ظاهرين على الحق ولا قائمين بأمر اللـه تماما وكمالا إلا بالعلم مع الجهاد.

3) ليس بالضرورة أن يكون كل فرد في الطائفة المنصورة من أهل العلم، ولكن يكفي أن يكون ومن لهم الأمر والقيادة فيها قد توفرت في مجموعهم صفات العلم والدعوة مع الجهاد والقتال، ويحكم للطائفة بحكم الراية العامة والقيادة. والمنهج والمعتقد.

4) أخيراً - ولا شك - لا بد من البيان أن الكمال في الطائفة المنصورة ورؤوسها أن تجمع العلم إلى الدعوة والأمر والنهي إلى القتال والثبات على ذلك، كما كان حال أئمة الإسلام العظام من أمثال الإمام ابن المبارك رحمه اللـه، وهو من كبار علماء الإسلام و محدثيهم وفقهائهم ومن كبار المجاهدين المرابطين في الجهاد، وكذلك الإمام ابن تيمية رحمه اللـه وهو كذلك من كبار العلماء وأهل الحديث، ومن كبار المجاهدين كلما نزل الصائل، ومن أولئك الإمام الجليل العز بن عبد السلام، وهو كذلك سلطان العلماء ومن مجاهديهم أيام التتار.

5) الخلاصة أن الطائفة المنصورة هي الطائفة القائمة بأمر اللـه، الظاهرة على الحق الثابتة عليه، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، يقاتلون على هذا الدين. ولا شك أن القتال و الجهاد هو من أبرز خصائصهم في النصوص (حتى يكاد يكون شرطا عليهم)، لاسيما إذا تعين أو لم تقم به الكفاية كما هو حالنا اليوم... فلا يمكن للطائفة المنصورة الظاهرة على الحق – وهم نخبة أهل الإسلام- أن يتركوا عندئذ أوجب الواجبات بعد الإيمان، وهو دفع الصائل قتالاً !!.

إذن وحسب ما تقدم ؛ من هم الطائفة المنصورة في هذا الزمان ؟ وهنا يجب أن نعلم مواصفات هذا الزمان، تلك المواصفات التي أصبح العلم بها من المعلوم من العقل والفهم و النظر بالضرورة...

أولاً: بـلاد الإسـلام مـن أقصـاها إلى أقصـاها محتلـة بصـائل اليهـود أو النصـارى أو الملحدين أو الشيوعيين أو المشركين الوثنيين، مباشرة بالغزو والاحتلال الظاهر كما هو حال فلسطين والشام عموما، والبوسنة و الشيشان، وجمهوريات وسط آسيا وتركستان الشرقيـة التي تحتلها الصين، و كشمير التي تحتلها الهند، وبـلاد كثـيرة وخلـق لا يعلمهـم إلا اللــه تحت حكم الكفار الأصليين. أو بصورة غير مباشرة عبر توليـة الكفـار الأصـليين للمرتـدين. كما في عموم باقي بلاد المسلمين..

ثانياً: كافة بلاد الإسلام من أقصاها إلى أقصاها، استبعد فيهـا الحكـام المرتـدون شرع اللـه، وبارزوه العداء، وحكموا بغير ما أنزل اللـه، وبدلوا شرائعه ووالوا أعداءه.

ثالثا: كافة بلاد الإسلام، يسام فيها أهل الإسلام عموما، وأهل الدين والدعوة والالتزام خصوصا، الظلم والجور والعسف، و القتـل وهتـك الأعـراض و السـجون و العـذاب، مـما أصبح معلوما للقاصي والداني...

- فهل يعقل في مثل هذه الحالات... أن نقول أن الطائفة المنصـورة اليـوم هـم الـذين لا يعبؤون بكل هذا، ويتفرغون لتنقيح الأسانيد، وتصنيف الكتب، ورواية الحديث؟!
- هل يعقل أنهم الذين لا يهمهم من أمر المسلمين شـيئا، ويتفرغـون للعبـادة و النسـك وترديد الأوراد والاعتزال في الزوايا؟!
- هل يعقل أنهم الذين لم يتكلموا في كـل هـذه النـوازل ببنـت شـفة، ثـم لا يكـون مـن شغلهم إلا تنقيح العقيـدة الصـحيحة بـزعمهم، ومحاربـة الأضرحـة والقبـور و شرك الأموات ؟! والكفر يحكمهم ويحيط بهم، ويدخل الفسوق و العصيان والعهر عليهم و على ذراري المسلمين بكل وسائل الإعلام، وحالهم معهم على أحسن ما يرام؟!

- أم هـل يكـون مـن الطائفـة المنصـورة أولئـك الـذين يجلسـون في بـلاد الكفـار و بـين أحضانهم، وينادون ويفتون بأحكام الجهاد والهجرة ؟! ويفتتحـون المراكـز الإسـلامية على مقاييس الإسلام الغربي.
- أم تراهم أولئك الذين يجلسون تحـت أحكـام المرتـدين أو الكفـار، يعافسـون الأمـوال والأزواج والأولاد، وينهشـون في لحـوم المجاهـدين في سـبيل اللــه والمهـاجرين إلى اللـه، بأي دعوى من دعـاوى الـتسرع، وهـدم الـدعوة، و تعجـل المراحـل، وصـحة الرايات، وفذلكات الكلام ؟!

لا نشك قيد لحظة بأن الطائفة المنصورة في هذا الزمان وفي مثل هـذه الأحـوال هـم أهل الجهاد..أهل القتال... أهل السلاح المجاهدين تحت راية لا إله إلا اللـه محمد رسول اللـه.. يدفعون صائل الكفار والمرتدين.

إذن لقد دخل الصائل الكافر وانحـاز إليـه صـائل المرتـدين و المنـافقين، فـإذا كانـت الطائفة المنصورة هي صفوة أهل هذا الدين، فلا يعقل أن تفرط بأوجـب الواجبـات بعـد التوحيـد -وهـو دفـع الصـائل - بـدعوى القيـام بـالأعمال التـي هـي دون ذلـك بـإجماع العلماء،لأن من فعل ذلك هو من الطائفة المدحورة وليس من الطائفة المنصورة، إنـه مـن الفئة القاعدة الفارة من الزحف، هذا حكمه وقد فجأنا العدو في عقر دارنا.

فالطائفة المنصورة في هذا الزمان هم حملة العلم و السـلاح ورايـات الجهـاد لـدفع هذا الصائل:

أولاً: دفع صائل الكفار الأصليين مـن يهـود ونصـارى ومشركـين وملحـدين ومرتـدين وأعوانهم..

دفعهم بالسلاح والسيف، وهذا جهاد السنان. فمن قام بذلك اليوم فهم مـن أرومـة الطائفة المنصورة وأعيانها وأهلها، أفرادا كانوا أم جماعات.

ثانياً: دفع صائل المنافقين والمجادلين عن هؤلاء الأعداء بالباطل من علـماء السلاطين و مبتدعة الدعاة والمرجفين والمخذلين، دفعهم بالحجة و البينـة بقـال

الـلـه وقال رسول الـلـه صلى الـلـه عليه وسلم، وهذا هو جهاد البيان الذي بينه العلماء.

فمن قام بهذا اليوم و تحمل في سبيل ذلك مشاق المطاردة و المحاربة والتشويه فهو من أعوان الطائفة المنصورة ونرجو أن يلحق بهم، وهم دون أهل القتال ما لم يكن من أهل العذر الشرعي. ولا شك عندي بذلك.

وأما من جمع السيف إلى القلم، و الرشاش إلى اليراع، والقتال إلى العلم والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن لمنكر، فلا شك أنهم من رؤوس الطائفة المنصورة و قادتها وأعلامها و علمائها و دعاتها المجاهدين. وهم فوق سابقيهم بالمرتبة ولا شك.

نسأل العلي القدير برحمته و فضله الذي يؤتيه من يشاء. أن يجعلنا منهم و معهم، دنيا و آخرة، تحت لواء حبيبه المصطفى صلى الـلـه عليه وسلم.

الجماعات الإسلامية المسلحة العالمية

الجزء الأول

(الجذور- التاريخ – التجارب)

(فصول تمهيدية في التاريخ و التحليل السياسي وفقه الجماعات الجهادية الحركية)

- الفصل الأول: واقع المسلمين اليوم.
- الفصل الثاني: أحكام شرعية في ضوء هذا الواقع.
- الفصل الثالث: جذور النظام الدولي ومسار الصراع من قابيل إلى جورج بوش.
- الفصل الرابع: الصراع مع الروم ومعادلات القوى فيه عبر التاريخ.
- الفصل الخامس: خلاصة مسار الصحوة الإسلامية (1930- 2004)م.
- الفصل السادس: خلاصة مسار التيار الجهادي المسلح (1965-2004)م.
- الفصل السابع : الحلول التي طرحت لدى الجهاديين للخروج من الأزمة.



الفصل الأول

واقع المسلمين اليوم

الفصل الأول

واقع المسلمين اليوم

قال اللـه تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (طـه:124)

وروي عن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم أنه قال:

(إن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة).

(يا معشر المهاجرين: خمس خصال أعوذ باللـه أن تدركوهن:

- ما ظهرت الفاحشة في قوم قط حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا.
- وما نقص قوم المكيال إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان.
- وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا.
- ولا خفر قوم العهد إلا سلط اللـه عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم.
- وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل اللـه في كتابه إلا جعل بأسهم بينهم شديداً). (لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل، ويخون الأمين ويؤتمن الخائن، وتهلك الوعول، وتظهر التحوت، قالوا يا رسول اللـه وما التحوت والوعول ؟ قال الوعول وجوه الناس وأشرافهم. والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس ليس يعلم بهم).

يقول اللـه سبحانه وتعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى *قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى).

وقد روي عن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم في الحديث الذي صححه الحاكم من رواية أبي سعيد الخدري أنه قال: (إن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة).

والحقيقة ليس أوجز لوصف واقع أكثر المسلمين اليوم من هذه الآية وهذا الحديث..

إذا يمكن تلخيص واقع المسلمين اليوم تحت عناوين رئيسية ثلاثة:

أولا: ذهاب الدين عند أكثرية المسلمين.

ثانيا: ذهاب الدنيا لدى الغالبين الساحقة من المسلمين.

ثالثا: تسلط الأعداء وتحكمهم في كافة مناحي حياة المسلمين.

ولنقف على نبذة من التفصيل في هذه العناوين.

أولاً: ذهاب الدين

فإن الأمة كادت تفقد معظم مقومات دينها، ويتجلى ذلك في مظاهر انهيار الحياة الدينية وفسادها لدى معظم المسلمين، وكذلك فساد أحوالها وضياع مقدساتها، وأهم ذلك غياب الحكم بشرع اللـه عنها. ويمكن إبراز أهم وجوه ذلك فيما يلي:

1. غياب الحكم بشرع اللـه عن كافة بلاد المسلمين:

فكما روي عن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم قوله:(لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها،فأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة)

(رواه أحمد 21139)*

وقد تحقق إخبار رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم بذلك. ونقض الحكم بشكل متدرج إلى أن اندثر بالكامل. فقد كانت الثلمة الأولى بانصرام الخلافة الراشدة التي سارت على هدي النبوة بعد ثلاثين سنة من وفاته صلى اللـه عليه وسلم. وعقب ذلك تحول الحكم إلى نظام الملك العضوض الوراثي على يد بني

أمية، ثم استمر ذلك في ملك بني العباس ومن تلاهم من الملوك الطوائف. مع ما يتبع ذلك مما يلازم نظام الملوك في الحكم حيث تدرجت القصور -وهي مراكز الحكم المركزي- في الفساد حتى بلغت من ذلك مبلغا عارما..

وبتسلل الضعف إلى خلافة بني العباس نهايات القرن الثالث الهجري، تفككت الممالك في أطراف الدولة الإسلامية لتقوم بذلك سلطنات وممملكات وإمارات تعتمد القهر والجبروت، وتتفاوت فيها وتختلط مظاهر الصلاح والفساد. وتحولت الخلافة شيئا فشيئا إلى رمز شكلي أكثر منه نظام حكم وسلطة.

وكلما أوغل الحكم مع الوقت بعدا عن شريعة الله الكاملة، بسبب تلاعب أهواء الملوك وتدليس علماء السلطان، دبت بسبب ذلك مظاهر الفساد في كافة مرافق حياة المسلمين. إلى أن وصلت الأحوال إلى اجتياح التتار لمشرق بلاد الإسلام وغزو الخلافة في عقر دارها، بعد أن نشطت الهجمات الصليبية على يد الروم والممالك المسيحية الأوروبية وتمكنت من إقامة مستعمرات صليبية على سواحل الشام، إلى أن تواصل التردي ليبلغ قمته في سقوط بغداد بيد التتار سنة 656 هجرية، وتقطع أوصال الخلافة العباسية لتدخل كافة بلاد الإسلام تحت وطأة سلاطين الحكم الجبري بالكامل. ولكن مع بقاء مبدأ الحكم بالشريعة كأساس في معظم تلك الممالك بشكل عام.

ثم حصلت نهضة استثنائية ولفترة محدودة بقيام الدولة العثمانية التي نقلت الخلافة إليها، وأعادت إليها هيبتها المركزية ردحا من الزمن. ثم ما لبثت أن دب إليها الانحلال. وبدأ الفساد يطال مجال التشريعات والحكم بما أنزل الله. ثم تكالبت عليها الدول الاستعمارية الأوربية، وتآمر عليها اليهود كي يصلوا إلى فلسطين، حيث تمكن حلف الخصوم من إسقاط الخلافة العثمانية سنة 1924 ميلادية وتبع ذلك سقوط كافة البلاد الإسلامية تحت استعمار مختلف الدول الأوربية الصليبية وعلى رأسها إنجلترا وفرنسا وروسيا وغيرها. وخلال فترة الإستعمار نشأت مذاهب العلمانية في بلاد الإسلام وانتشرت في أوساط الطبقات المثقفة من أبناء المسلمين برعاية المستعمر الذي أنشأ على عينه منها

أحزابا سياسية وشخصيات وأسر مالكة مهد لها استلام السلطة من بعده في مرحلة ما بعد الإستعمار، أو ما أطلق عليه اسم (الاستقلال). ليقوم بذلك حكم الطواغيت بغير ما أنزل اللـه في كافة بلاد الإسلام برعاية وإشراف الدول الاستعمارية.

وهكذا مر الحكم الذي نقض عروة عروة بالمراحل التي أخبر عنها رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم فيما روي عنه من حديث حذيفة: (تكون النبوة فيكم ما شاء اللـه أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها.ثم تكون خلافة على منهاج النبوة.فتكون ما شاء اللـه أن تكون ثم يرفعها إذا شاء اللـه أن يرفعها. ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء اللـه أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها.ثم تكون ملكا جبريا فتكون ما شاء اللـه أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون خلافة على منهاج النبوة.ثم سكت) رواه مسلم. وفي رواية غاية في الأهمية أوردها ابن حماد في كتاب الفتن من حديث أنس رضي اللـه عنه قال: (إنها ثم ثم ملك عضوض ثم جبرية ثم طواغيت). وهذا الذي حصل في بلاد المسلمين منذ رحيل الإستعمار وقيام حكومات الطواغيت لترعى مصالحه وتحكم بشرائعه إلى يومنا هذا. حيث تجاهر معظم حكومات بلاد المسلمين بحكمها بغير ما أنزل اللـه، بل وتجاهر أكثرها بعدم صلاحية الشريعة الإسلامية للحكم في العصور الحديثة ! بل وتنسب تخلف المسلمين الحالي ومشاكلهم إلى الشريعة ذاتها !.

وهكذا وضعت الدساتير، وسنت في ضوئها آلاف القوانين التي تحارب اللـه ورسوله ودين المسلمين، وتعاكس شريعة ربهم بكل صفاقة ودون أي مواربة ولا حياء.

ففي كثير من بلاد الإسلام أزيلت حاكمية الشريعة نصا من تلك الدساتير، وأبقيت في بعضها مجرد عنوان ممزوج بالشرك الصريح بقولهم (الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع) جاعلينها مصدرا إلى جانب مصادر أخرى. في حين زعمت بعض البلاد كما (السعودية) (أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد للتشريع) ولكنها جعلت إلى جانب المحاكم الشرعية محاكم مدنية أو وضعية أو مختصة بحسب ما أسموها وكلها تحكم بتشريعات وقوانين ولوائح

تنظيمية مستمدة أو مستوحاة من تشريعات أوروبا أو من تلك التي ابتدعها كفار العلمانيين والمشرعين المنتسبين لهذه الأمة بالأسماء والأشكال. فاستعلنت تلك التشريعات وصارت لها المحاكم والهياكل الإدارية والقوانين التي تنفذ وتحكم في رقاب المسلمين إلى جانب ما بقي في بعض البلاد من قوانين الشريعة الإسلامية في بعض مجالات الأحوال الشخصية. حيث تتولى السلطات الكافرة الحاكمة بالحديد والنار إنفاذ قوانين الكفر وإخضاع الناس لها.

وهكذا اكتمل نقض الحكم في كافة بلاد الإسلام بلا استثناء. وهذا البلاء هو أهم مظاهر ذهاب الدين، وأساس كافة أنواع البلاء الأخرى من مظاهر فساد الدين و ذهاب الدنيا وتسلط الأعداء. و لا جرم أن كل ما نحن فيه مما سنورد بعضه في هذا الفصل متفرع عن هذه الطامة العظمى وهي (الحكم بغير ما أنز ل الله وتبديل شرائعه على يد حكامنا المرتدين الخونة وولايتهم لليهود والنصارى من أسيادهم الكافرين).

2. احتلال المقدسات الثلاثة في ملة الإسلام:

وهي مكة المكرمة وفيها الكعبة والمسجد الحرام. والمدينة المنورة وفيها مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. والقدس الشريفة وفيها المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

فعلى عكس ما هو شائع ومعروف من أن القدس كانت أول المقدسات ذهابا وذلك سنة 1967م. وأن مكة والمدينة وجزيرة العرب عقر دار الإسلام قد وضعت تحت نفوذ الأمريكان و قوات التحالف الصليبي التي أطبقت عليها إبان حرب الخليج الثانية سنة1991م. ثم الثالثة سنة 2003م.

فإن الحقيقة أن مكة والمدينة كانت قد ذهبت ووضعت تحت نفوذ الصليبيين قبل ذلك بكثير. وأن ذهاب القدس كان تبعا لذهاب مكة قبله. وأن قوى الردة التي سيطرت على مكة كانت صاحبة دور أساسي في ذهاب القدس على أربعة مراحل رئيسية، وهي: (1936- 1947 -1967- 2002)م.

وذلك أن بريطانيا الإمبراطورية كانت قد احتلت منذ مطلع القرن السادس عشر وعبر القرون الثلاثة التي تلته كثيرا من أطراف العالم الإسلامي، وبسطت سيطرتها المباشرة عليها، ومنها أطراف جزيرة العرب (سواحل اليمن وعمان وإمارات الخليج والكويت)

وقد تنبهت بريطانيا لما تشكله بلاد الحجاز من قدسية لدى المسلمين وما تميزت به بلاد نجد من الإستقلال الذاتي حتى عن مركزية الخلافة العثمانية. فعمدت إلى مكر خبيث منذ مطلع القرن التاسع عشر من أجل السيطرة عليها

وفي عام (1936م) قامت الثورة الكبرى التي أشعلها الشيخ عز الدين القسام رحمه الله في فلسطين ضد المستوطنين اليهود، الذين بدؤوا يزحفون على فلسطين بإشراف الإنجليز الذين كانوا قد تعهدوا بإعطاء فلسطين وطنا قوميا لليهود عبر وعد بلفور رئيس وزراء بريطانيا سنة(1917م). وعجزت بريطانيا عن إخماد الثورة، فاستنجدت بعميلها (الملك عبد العزيز)، الذي أرسل ولده ووزير خارجيته (فيصل) ليتحايل على عرب فلسطين وزعماء ثورة (1936م)، من أجل إيقافها بعد أن كفل لهم وفاء (صديقتنا بريطانيا) على حد وصفه، فأوقفت الثورة ثم أخمدت، وكان ذلك أول خطوات ضياع القدس.

ثم أشرفت الجيوش العربية السبعة وحكام بلادها على الانسحابات الشكلية للجيوش العربية بإشراف بريطانيا، لتقوم على إثر تلك الهزائم المبرمجة دولة إسرائيل سنة (1947م) على أكثر أرض فلسطين، وليضيع معها النصف الغربي للقدس.

وعبر مؤامرة شبيهة سنة (1967م) تم لإسرائيل احتلال القدس الشرقية وفيها مسجد الصخرة والمسجد الأقصى ضمن ما احتلت من الضفة الغربية وأجزاء من سوريا ومصر والأردن.

ثم تتالت فصول المؤامرة – وليس هذا الكتاب محل تفصيلها - لتمر بمحطة مؤتمر مدريد للسلام سنة (1991م) من أجل التطبيع مع اليهود حيث شاركت فيه السعودية وصدرت الفتاوى التاريخية بإباحة ذلك والتدليل عليه

بالآيات والأحاديث من قبل هيئة كبار العلماء في السعودية ورئيسها – أبوهم الوالد - الشيخ (عبد العزيز بن باز). بعد أن كانوا قد أفتوا بإباحة دخول جيوش الصليبيين الأوربيين والأمريكان لجزيرة العرب بدعوى ضرورة مواجهة خطر صدام حسين !

ثم تابع قطار المؤامرة والكوارث مسيره ليصل إلى (مبادرة الأمير عبد الله بن عبد العزيز) ولي العهد السعودي، والحاكم الفعلي الحالي للرياض أواسط عام (2002م) ليعرض التطبيع الكامل مع اليهود والاعتراف بإسرائيل مقابل إعادة ما احتلته سنة (1967م) متنازلا عن باقي فلسطين ! ولينعقد مؤتمر القمة العربي الذي حول مبادرته إلى مشروع عربي كان الغرض منه إجهاض الإنتفاضة التي انطلقت بعنف وقوة في رجب (1423هـ) أي قبل المبادرة بسنة. وقام (سعود الفيصل) وزير خارجية السعودية بتسويق المبادرة عربيا وعالميا ليكمل ما قام به أبوه وعمه وجده من قبل.. رغم أن إسرائيل قبلت نصف المبادرة (التطبيع و الاعتراف بها) ورفضت نصفها (الانسحابات مما احتلته سنة 1967) وتوجت ذلك بالإطاحة بالسلطة الفلسطينية وإعادة احتلال ما خولتها إياه من الضفة الغربية وقطاع غزة. وصعدت مجازرها للفلسطينيين منذ ذلك الحين.

وخلال تلك السنيين وفي أواخر (1990م) وأوائل (1991م) زحفت جيوش التحالف الدولي وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا لتنزل في جزيرة العرب مليون جندي بمعداتها وآلياتها العسكرية وبوارجها وطائراتها تحت ستار تحرير الكويت ليبدأ الإحتلال والتمركز المنظم للأمريكان والهجمة الصليبية الحديثة على الشرق الأوسط (جزيرة العرب والشام ومصر والعراق). وهكذا وضعت مقدسات المسلمين الثلاثة (مكة والمدينة وبيت المقدس) تحت الإحتلال الصليبي المباشر بإشراف حكام آل سعود وأمراء جزيرة العرب التي توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوصي المسلمين وينشدهم بقوله (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب). وبوجود (القدس) تحت احتلال اليهود بمساعدة الأمريكان وتعهد الإنجليز تكون مقدسات المسلمين الثلاثة قد وضعت تحت احتلال اليهود

والصليبيين وهذا من أظهر مظاهر فساد الدين لدى المسـلمين الـذين خلـوا بـين أعـدائهم وأقدس مقدساتهم وللأسف.

3. فساد عقيدة التوحيد لدى معظم المسلمين وانتشار البدع واندثار السنة:

فإن الناظر في أحوال المليار وربع المليار مـن المنسـوبين لملـة الإسـلام اليـوم يجـد أن أغلبهم لم يعد لديهم من الدين إلا رسمه، بل ربما إلا اسمه. و يجد أن الملتـزمين بالشـعائر منهم وهم في أهل الإسلام قلة في هذا الزمان، قد توفروا على عقائـد مشـوهة، لـيس فيهـا مما كان عله سلف هذه الأمة ورعيلها الأول إلا النذر اليسير.

فقد درست معالم العقيدة السمحاء التي جاءنا بها رسـول اللــه صـلى اللــه عليـه وسلم ووصف أصحابها خلاصـة بقولـه (مـا أنـا عليـه اليـوم وأصـحابي). قـد وهـت هـذه العقيدة في نفوس أكثر من ينسبون إلى الالتزام بل إلى الإنتماء للصحوة الإسلامية ومدارسها المختلفة. وحصل ما أخبر به صلى اللـه عليـه وسـلم مـن افـتراق هـذه الأمـة عـلى ثـلاث وسبعين شعبة كلها في النار إلا واحدة، كما تحقق ما أخبر عنه من قيام دعـاة عـلى أبـواب جهنم من أجابهم إليه قذفوه فيها. وقد تدرج اندراس هذه العقيدة لـدى المسـلمين منـذ القرن الثاني الهجري، وما زال البلاء والبـدع والانحرافـات تطـرأ تـدريجيا عليهـا بمـا أفسـد الملوك وفجار القراء من هذا الدين. كما قال ابن المبارك رحمه اللـه:

وهل أفسد الدين إلا الملوك

وأحبار سوء ورهبانها.

والناظر في أحوال العلماء اليوم وتلاميذهم وأحوال المنسـوبين لقيـادة مـدارس الصـحوة الإسلامية..لا نجد ممن يدعوا إلى ما كان عليه الرعيل الأول إلا أحاد الغرباء هنا وهناك. فمـن نجا من (ترهات) المبتدعة والضلال والمنحرفين وأهل الأهواء والملل والنحـل المختلفـة، لم يـنج في الغالب من البلاء العام في زماننا هذا وهو عقيدة الإرجاء، وهو دين الملـوك في زماننـا هـذا وكل زمان. فلا تجد في أكـثر قـادة وعلـماء ورمـوز مـن ينسـبون للصـحوة الإسـلامية والعمـل

الإسلامي والدعوة، من أقصى المتصوفة إلى أقصى السلفية مرورا بمعظم رواد الحركات الإسلامية والدعوية، إلا مسبحا بحمد السلاطين، مواظبا على موائد الحكام ومجالسهم، مستجديا لرضاهم. مما أضعف مكانة الدين كله في نفوس العامة. فقد مسخت عقيدة الإرجاء توحيد الألوهية وتوحيد الحاكمية في ضمير أكثر الأمة. حتى أصبح الحكام المرتدون العملاء الحاكمون بغير ما أنزل الله، الظالمون لرعيتهم وأهل ملتهم، الفاسقون في سلوكهم وأحوالهم، الكافرون بشريعة ربهم أصبحوا لدى أغلب علماء اليوم وكأن القران – حاشاه – قد نزل فيهم: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم المؤمنون الصالحون !! وليس كما نزل بالحق والعدل والصدق ﴿ فأولئك هم الكافرون ﴾ ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾ ﴿ فأولئك هم الفاسقون ﴾.[كما عبرعن ذلك شهيد الإسلام سيد قطب رحمه الله].

وهذا من أعظم مناحي فساد العقيدة لدى العامة والخاصة. ناهيك عما انتشر بين من بقي في أنفسهم للدين مكانة، من أنواع الخرافات والبدع و(الخزعبلات) والتعلق بالأموات والقبور والمزارات و شعوذات المشعوذين.هذا عند أكثر من ينسب للتدين.

أما الدهماء والعوام، فقد نسي معظمهم الله فأنساهم أنفسهم. وأصبح أكثرهم يعبد الحكومات، أو يعبد المال، أو يعبد أهواء نفسه، أو يعبد القنوات الفضائية وشاشات التلفزيون يقوم عليها الليل ويعتقد بكل ما تدسه في رأسه من سموم..

وصارت إله العصر(أمريكا والغرب) وثقافتهم وأفكارهم، تعبد وتقدس ويُعتقد بها أكثر مما يتعبد الناس لله بعقيدتهم الصحيحة. وصار أكثر الناس يعتقدون في رؤسائهم وكبرائهم وأغنيائهم أنهم ينفعون ويضرون، ويرزقون ويحرمون، ويعطون ويمنعون ويرفعون ويخفضون، بل يحيون ويميتون... فأي معنى وأي إيمان بقي لأسماء الله الحسنى وصفاته العلى في نفوس أئمة وعلماء هؤلاء ناهيك عن عوامهم؟!، وأي طعم بقي لزعمهم تصحيح العقائد..

وأما أكثر من يسمون (طلاب علم) فقد تفشى في أكثرهم داء عبادة الأحبار والرهبان الذين أحلوا لهم الحرام فتبعوهم، وحرموا عليهم الحلال فصدقوهم، ونافقوا لملوكهم ورؤسائهم فاقتدوا بهم.. ونشروا فيهم بدعا وضلالات ما أنزل الله بها من سلطان... على أنها دين الله فتبعوهم.

وأما (دعاة للإسلام) والعاملون في الحركات الإسلامية فقد أنزلوا أحزابهم وقياداتهم، مثل ما أنزل طلاب العلم مشايخهم من الإتباع والطاعة العمياء. رغم علمهم بأن ذلك مناف لأبسط مقومات عقائد الولاء و البراء، وأن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ثم لا تجد إلا متمحكا لتبريرات،ومتعسفا لتعليلات من أجل تسويغ الإتباع الأعمى وعبادة الرجال.إلا من رحم الله وقليل ما هم.

والمصيبة أن كثيرين منهم يظنون أن تصحيح العقيدة هو مجرد التوغل في بحوث الأسماء والصفات، ومحاربة القبور والموتى والمزارات. وما دروا أن صحة الاعتقاد تشمل كافة مناحي الحياة عقيدة وعبادة وسلوكاً واتباعاً.

حتى صار الداعي إلى الله، وإلى حقيقة العودة إلى دينه غريبا بين الناس، قابضا على جمرة الصبر، منطويا على حرقة المعاناة تماما كما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم.فقد انتشرت البدع، واندثرت كثير من السنن حتى عند الملتزمين من المتدينين وهم القلة في الأمة.وأما أكثر باقي الأمة، فما هم في السنة ولا في البدعة لقد أصبح أكثرهم يستن بسنن المغنيين والمغنيات والراقصين والراقصات والرياضيين والرياضيات،الأحياء منهم والأموات.. وأصبحت دور الأزياء ورموز الفن والمجلات،ونجوم الشاشات الصغيرة والكبيرة نموذجا للتقليد والإتباع.ولم يعد عند هؤلاء من النسبة لأهل الإسلام إلا التسمي بالأسماء والتمسك ببعض العادات والتقاليد ذات الأصول الدينية مع بعض رسوم العبادات والمواسم الدينية.

4. انتشار الفسوق والعصيان والمجاهرة بالمنكرات:

فقد صار هذا سمت أغلب المنسوبين للإسلام. وماذا نسوق من الأمثلة وعن ماذا نعرض؟! فالبلاء عام، والكوارث طامة.

فإذا جئت لدنيا المال والأعمال ومعايش النـاس; لرأيـت أكـثر النـاس لا يبـالون هـل حصلوا رزقهم من حلال أم ومن حرام، و لرأيت التعامل بالربا قد حل في كل زاويـة، و أن النـاس يـأكلون أمـوال بعضـهم بالباطـل، بـالغش والخـداع وبيـع العينـة ونظـام البنـوك والتعاملات، وأما معاملات الأسواق فقائمة أصلا على الحرام، هذا ناهيك عن تفشي الرشوة والفساد والسرقات والاحتيال والنهب.

وإن جئـت لوسـائل الإعـلام مـن الفضـائيات و الدشـوش وشاشـات التلفزيـون إلى محطـات الإذاعـة إلى شـبكات الانترنـت والمعلومـات الدوليـة إلى الصـحف والمجـلات، إلى المنتديات والمراكز الثقافية... إلخ، لرأيت غالبيتها مصدر البلاء وبوابات الشياطين على بني البشر. فإن سمتها الأساسية قائمة على أنواع المحرمات والموبقات. مـن الموسـيقى والطـرب إلى اللـــهو والعـري وعـروض الاخـتلاط وبـرامج الزنـا والـدعارة.. إلى نشر الرذيلـة وأفكـار الفساد وموديلات الأزياء الغربية الفاضحة. هذا ناهيك عن نشر فلسفات الإلحاد وأفكـار العلمانية والثقافات المحاربة لله ورسوله ودين المسلمين. هذا فضـلا عـما ابتـدعوه حـديثا من عرض ما أسموه (الإسلام المعتدل) ونموذج حياة أصحابه وطـرق تفكـيرهم، وقـد صـار لبوابات الضلال هذه فقهاء ومفتون وأسسا تؤطر للكفر والمروق من الدين باسـم الإسـلام (المعتدل) بدعوى مواكبة الـعصر وعـدم إعطـاء الحجـة لأعـداء الـدين بتهمتنـا بـالتطرف والإرهاب. ويكفيك أن تتابع على الفضائيات برامج (فتاوى على الهوا) ولو صدقوا لكتبوها بالألف المقصورة لتصبح (فتاوى على الهوى) على هوى كفار الحكام و فساق المحكومين.

وأما حياة أكثر المسلمين الاجتماعية والأخلاقية، فلم تعـد تقـوم عـلى أصـول الإسـلام مـن الحياء والحشمة والصدق والإخلاص والرحمة والتعاون على الـبر والتقـوى...فحيـاة أكـثر العامـة قائمة على الريـاء والنفـاق والغيبـة والنميمـة، وقطيعـة الـرحم، و التـدابر و التنـاكر، والتحاسـد والكذب، والغش والمكاسب الحرام..هذا ناهيـك عـن انتشـار السـفور حتـى صـار الحجـاب نـادرا ومحاربا على الصعيد الرسمي والاجتماعي، كما أدت حياة الاختلاط وعمل المرأة في أوساط الرجال

في كـل مجـال إلى انتشـار الفسـاد والرذيلـة والخيانـات الزوجيـة، وتـفشى الزنـا، وانتشـار الطلاق.. مما أورث المجتمعات أمراضا خطيرة لم تكن فيها من قبل..هذا فضلا عن مصائب السياحة وشواطئ العـراة، وأنديـة الرذيلـة ومقـاهي الفسـاد، وصـالات الأفـراح، وملاهـي المجون، وانتشار الخمور والمخدرات وصالات القمار ومختلف أنواع المحرمات..

وأما عن الحياة الثقافية والفكرية ! فثقافات مستوردة من شرق وغـرب، وفلسـفات قائمة على الإلحاد والعلمانية والتنكر لدين هذه الأمة وهويتها وأصالتها في كافـة مجـالات الفكر والثقافة والأدب والفنون. وكأنه لم يكفنا مـا حصـل لنـا عـبر العقـود المتواليـة منـذ الإحتلال وما تلاه من بلاء حكومات الإستقلال، فها هي أمريكا اليـوم تطاردنـا بمخططـات تغير مناهج التعليم والإعلام والتدريس الديني على كل صعيد. وتصنع لنـا بـرامج التغيـير الثقافي لتطال كل مجال.. في اللغـة والتـاريخ والـدين والثقافـة وكـل مكوماتنـا الحضـارية والدينية..

وأما عن الحياة السياسية...فمجال أخصب للفساد والبعد عن الدين ; فقد انـتشرت الأحزاب والتيارات والتجمعات السياسية القائمـة عـلى معتقـدات وأفكـار مناهضـة لـدين الإسـلام. ويكفـي أن تسـتعرض الشرائـح السياسـية في بـلاد المسـلمين داخـل مـا يسـمى (البرلمانات). ويكفي أن تطلع على قوانين تشكيل الأحزاب وسير الإنتخابـات، حتـى تعلـم أي نوع من البشر صار هؤلاء الذين يسمون (مسلمين)! ولتدرك أن بيـنهم وبـين كـل أمـة نسب إلا مع أمتهم ودين آبائهم وأجدادهم!.

فقـد صـارت (الديمقراطيـة) ونموذجهـا الغـربي دينـا يعتقـد وتسـيل في سـبيله الـدماء في المظاهرات وعلى صناديق الاقتراع..، وأمـا الأحـزاب التـي تسـمى (إسـلامية) فبرامجهـا السياسـية قائمة على مزيج من الأصول الإسلامية والديمقراطية الغربية مع كم من الفكر المستورد ومنوعات من الإنحرافات والبدع التي اخترعها أصحابها ومزجوها بـبعض أصـول الـدين ليسـموها (بـرامج

إسلامية) و(أحزاب إسلامية)... بل ليطلقوا على ضلالها مصطلح (فقه برلماني)!

وهكـذا دب الفســاد في كافـة مرافـق الحيــاة... السياسـية،والدينية، والاقتصـادية، والاجتماعية، والأخلاقية، والفكرية،والثقافية...إلخ.

وكيف لا ينتشر الفساد والرذيلـة ومقومـات الصـلاح في أمـة الإسـلام قـد دب فـيهما العطب:فكما روي في الأثر:(صنفان مـن النـاس إذا صـلحا صـلح النـاس وإذا فسـدا فسـد الناس، العلماء والأمراء).

كيف لا ينتشر الفساد ويجاهر بالمنكرات ؟ والحكومات القائمة في كافة بـلاد الإسـلام مشجعة على ذلك ؟! تنفق ميزانياتها ومصادر ثرواتها في وجوه الفساد والإفساد.. كيـف لا والقيـادات السياسـية والأمـراء مـن الملـوك والرؤسـاء والسـلاطين وحاشـيتهم ووزرائهـم ومشرعيهم وقياداتهم العسكرية والأمنية والسياسية،هم أئمة الرذيلة والفسـاد، وهـم مـن أكابر رواد مراتع المنكر وهم المستخفّون بلا حياء بشرائع الدين وشـعائر الإسـلام ؟! إنهـم باختصار:أئمة الكفر والفساد.

وكيف لا وعلماء المسلمين ومشايخهم وقادتهم قد هجـروا الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر وصـار أكـثرهم مجـرد (ديكـور) يكمـل بـه الحكـام موائـدهم ومنصـاتهم وصالوناتهم. في الإجتماعـات والحفـلات والمناسـبات ! كيـف لا والصـالحون مـنهم اكتفـوا بالسكون في جحور العجز وأعذار الرخص والتقية ! حتى صـغر شـأنهم وهيبـتهم في أعـين العامة ولم يعودوا قدوة تحتذى بل زهدوا الناس في أمور الدين وصار كثيرا مـنهم نموذجـا للضعة والتخلف والعمالة والجهل.

غربة أهل الحق:

ومن جراء مظاهر فساد الدين واستعلاء أهل الضـلالة، وكـون أكـثر أكـابر النـاس في مجتمعات المسلمين هم أكابر المجرمين ممن قـدمنا أحـوالهم مـن أعيـان رجـال السياسـة والتجارة والفنون والفساد ومن في حاشيتهم من المنحرفين.

فقد أصبحت الفئة المتمسكة بدينها،الآمرة بالمعروف الناهية عـن المنكر،الداعيـة إلى تغييره، صارت غريبة في المجتمع . وأصبحت الثلـة المؤمنـة المتمسـكة بالاعتقـاد الصـحيح والسلوك الملتزم بقواعد الدين غريبة في تلك الفئة الصـالحة، وصـارت القلـة المجاهـدة في سيبل اللـه، المواجهة لأعداء اللـه في الداخل والخارج مـن أجـل تصـحيح هـذه الأوضـاع ودفع هذا البلاء، صارت هذه القلة غريبة في تلك الثلة. وصار حالها إلى مـا وصـف رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسلم مـما قـدمنا لـه في فصـل الغربـة والغربـاء والظـاهرين عـلى الحق.

وعـلى هـذا الحـال انصرم القـرن المـيلادي الـعشرون ودخلنـا في القـرن الحـادي والعشرين، لتجد أن أكثر الناس وكأنهم يتهيئون لإتباع المسيح الدجال،لا يحول بينهم وبين ذلك إلا خروجه.والعياذ باللـه ونسأل اللـه السلامة في ديننا وأعراضنا وأنفسـنا و ذرياتنـا وكل أمرنا.

ثانيا: ذهاب الدنيا

وأما عن ذهاب دنيا أكثر المسـلمين. فـإن الأكثريـة السـاحقة للمليـار وربـع المليـار مـن المسلمين تعيش في هذا الزمان معيشة ضنكا، من سوء حال دنياهـا، وضـيق معايشـها، فضـلا عما قدمنا من فساد دينها وبعدها عن ربها. ويكاد يطابق حال أكثرهم ما وصف رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابن ماجة وصححه الحاكم من رواية أبي سـعيد الخدري رضي اللـه عنه حيث قال: (إن أشقى الأشقياء من اجتمع عليـه فقـر الـدنيا وعـذاب الآخرة) فكأن غالبهم يصير إلى هذا الحال ما لم تتداركهم رحمة اللـه وعفوه.

وتتجلى مظاهر ذهاب دنيا المسلمين وأسبابها في أمور كثيرة لعل أهمها ما يلي:

1. سرقة بيت مال المسلمين وثرواتهم الأساسية:

فمن المعلوم للقاصي والداني أن منطقة الخلـيج العـربي تحتـوي عـلى أكـبر احتياطي للنفط المعروف في الكرة الأرضـية. وهـو خـزان الـنفط الأول في الأرض كما أن الكشوف الحديثة أثبتت أن الخزان الثاني في الأهمية على مستوى العـالم

هو في منطقة جمهوريات وسط آسيا الإسلامية، والمنطقة الممتدة من بحر قزوين إلى القفقاس. بالإضافة إلى أن ثروات نفطية وغازية هامة أخرى تتركز في بلاد العراق والشام، وهنالك بحيرة نفطية أخرى في جنوب السودان والقرن الأفريقي وثالثة ممتدة من مصر إلى الجزائر..هذا على صعيد الثروات الأساسية في العالم الحديث وهي مصادر الطاقة التي تشكل الثقل الأساسي اقتصاديا وسياسيا بل واستراتيجيا على كل المستويات.. فإذا ما أضفنا إليها أن العالم الإسلامي الممتد من أفغانستان و الباكستان والفلبين شرقا إلى شواطئ المحيط الأطلسي وسواحل المغرب وموريتانيا والسنغال غربا ومن أوسط آسيا و القفقاس والبلقان وشمال أفريقيا شمالا وإلى جنوب آسيا وجزر إندونيسيا وأواسط أفريقيا السوداء جنوبا إذا علمنا أن هذا العالم الإسلامي يمتلك من الثروات المعدنية المختلفة مخزونا هائلا استراتيجيا، بحيث أن عددا من دوله تعتبر من الدول الأولى المصدرة لمعادن صناعية هامة وإذا أضفنا إلى ذلك الثروات الحيوانية والزراعية التي تتوفر عليها هذه المناطق. بالإضافة لما توفره مصادر المواصلات البرية والبحرية والجوية وحقوق (الترانزيت) لهذه المنطقة التي تحتوي على أهم أربع مضائق ومعابر مائية عالمية من أصل خمسة هي مضيق هرمز، وباب المندب، وقناة السويس، ومضيق جبل طارق وتشكل أجواؤها عقدة مواصلات بين الجهات الجغرافية الأربع في العالم ; لعجبنا كيف أن هذه المنطقة تشتمل على بلاد قد تصدرت قوائم الدول الأكثر فقرا وتخلفا وجهلا وأمية في العالم !! وأن الأكثرية الساحقة لشعوب هذه المنطقة بما فيها شعوب دول نفطية ذات عضوية في منظمة الأوبك تعيش تحت خط الفقر. رغم أن الإحصائيات الإقتصادية المنشورة علنا من قبل مراكز الدراسات العالمية، تشير إلى ثروات خيالية، تفوق الحصر وتذهل المطلع.

ويكفي على سبيل المثال أن نعلم أن 65% من استهلاك أوروبا للغاز الطبيعي يأتي من الجزائر مرورا بالمغرب. وأن نعلم أن جزيرة العرب وهي عقر دار الإسلام وبيت مالهم الأساسي تحوي 75% من احتياطي النفط المعروف في الأرض. وأنها تنتج نحو 16 مليون برميل نفط يوميا !! وأن أحد حقول النفط

في جنوب العراق قادر على إنتاج 5 مليون برميل نفط يوميا هذا عدى ما ينتج من الغاز فيها.. هذا عدا ما هو معلوم من احتياطي النفط والغاز في بلاد مثل إيران والجزائر وسوريا والسودان.. وعن ثاني أكبر احتياطي للنفط في العالم في محيط ببحر قزوين..

فكيف اتفق هذا ؟! أن تكون شعوب أغنى بقعة في الأرض، هي أفقر شعوب الأرض!.

يزول العجب إذا اطلعنا على آلية السرقة التاريخية الأسطورية التي يمارسها الغرب بدوله المختلفة، وعلى رأسها أمريكا ودول أوروبا الناتو وروسيا..وهم العدو الصليبي الزاحف علينا اليوم.. حيث يمول حروبه التي تزهق أرواح أطفالنا بأموالنا وثروات بيت مالنا.. إنهم ببساطة يأخذونها ويذبحوننا بها ! يأخذون بترولنا ليحركون به طائراتهم وأساطيلهم ودباباتهم الآتية لقتل أطفالنا ونسائنا، ولتعود أرباحه على شعوبهم لتعيش رفاه العيش.

إن الثروات تسرق من مصادرها،لأنها تستخرج كلها عبر شركات أجنبية تشرف على مراحل الاستخراج والتسويق والتجارة، وتدير البنوك الدولية حيث تستقر الأرصدة، فتستكمل دائرة السرقة من البداية إلى النهاية!!

ذلك أن السرقة تبدأ من عقد العقود مع الحكومات الخائنة عميلة اللصوص المستعمرين الذين يمتلكون ويديرون تلك الشركات. حيث يذهب ما بين 40-60% إليهم عبر عقود الشراكة، وهذه أول مراحل السرقة ! ثم تأتي المرحلة الثانية من السرقة بتزوير كميات المواد المستخرجة لأنهم هم المشرفون على استخراجها بواسطة مهندسيهم وخبرائهم، فضلا عن رشوتهم للمشرفين من حاشية حكامها على هذه الثروات من أجل تزوير الكميات في العديد من البلاد. ثم تأتي ثالث مراحل السرقة، في تحديد أسعار هذه المواد وتسويقها عالميا بأبخس الأثمان. ويكفي أن نعرف أن السعر الحقيقي المفترض أن يكون لبرميل النفط الخام إذا ما قيس بأسعار المواد المصنعة، ودوره في تشغيل مصانعها هو بحسب بعض مراكز الدراسات الإقتصادية العالمية في بلاد الغرب ذاته 26 يجب أن يكون 260 دولار للبرميل الواحد. في حين لم يتجاوز في الحقيقة سعره عالميا

في تاريخه 45 دولار!!. وقد تراوح في معظم وقتـه حـول 20دولار للبرميـل ! وانخفـض في بعض الأحيان عن 10 دولار!! كل ذلك لأن أسـياد البورصـة العالميـة التـي تلعـب باسـعار البضـائع الأساسـية، وقيمـة العمـلات الدوليـة،هم مـن اليهـود ومـن كبـار الرأسـماليين الصليبيين،أي نفس المحتل المستعمر لبلادنا ! ثم نضيف للمأساة فصلا جميلا حين نعلم أن حكومات بلادنا العميلة، واللصوص المحليين من حكامنا وملوكنا وأبنائهم وإخوانهم وكبـار حاشيتهم...يحصلون من هذا البترول على هبات من خارج الحصص المقـرر إنتاجهـا عالميـا في تلـك الـبلاد، فيبيعـوه بنحـو3 دولار للبرميـل الواحـد في الميـاه الدوليـة وأعـالي البحـار، فيخسفون بسعر النفط عالميا، ولكن ناقلة صغيرة من نصف مليون برميل تكفي عائـداتها (1.5مليون دولار) لتغطية مصاريف نزواتهم من الزنا والفجور والقمار لعدة أسابيع!!!

هذا مثال واحد من عالم النفط وقس عليه كافة الثروات وطرق سرقتها.....

ثم تأتي المرحلة الرابعة من السرقة... حين تنتقل حصة بلادنا من ثمن هذه المـواد إلى بنوكهم، لتتحول إلى أرقام و أصفار الكترونية متراكمة عندهم في الحسـابات يشـغلون بهـا اقتصـادهم ولا يسـمحون لحكوماتنـا أن تسـحب منهـا إلا كميـات محـدودة ومحسـوبة، لتذهب معظمها في شراء المواد الصناعية والأسلحة واحتياجاتنا مما نسـتورده مـن عـالمهم المصنع،حيث يفرضون أسعار موادهم كما يحبون ويشتهون ! بل يفرضون على بلادنا نـوع وكميات السلاح والذخائر الـذي نسـتورده ! وسـعره طبعـا ! يكفـي مثـالا أن أحـد نـواب مجلس الأمة الكويتي قد فجر فضيحة حين كشف عـن فـاتورة بمليـارات الـدولارات التـي تحاسب بها أمريكا الكويت عن نفقات قواتها هناك، حيث سجل في مصاريف الطعام ثمن (الخسة) من الخضار المستخدمة في السلطة 30 دولار أمريكي !!.

لتكتشف في نهاية المطاف أننا لا نحصل من ثرواتنا إلا عـلى نسـب مئويـة مضـحكة يـذهب معظمهـا للحسـابات السريـة لحكامنـا وجلادينـا في البنـوك السويسرية والأوروبية والأمريكية ذات الإدارة اليهودية. ولا يصـل للشـعوب إلا

ما يغطي نفقات تلك الحكومات وبعض مشاريعها الأساسية. أما معظم الـثروات المعدنيـة فهي تسرق بنفس الطريقة وتنقل غالبا على شكل فلـزات وأحجـار ومـواد خـام للتصـدير، بحيث لا تصنع وتستخلص محليا حتى لا يكون في أكثر تلك البلاد بنى تحتيـة صـناعية ولا تستعمل اليد العاملة المحلية فيها إلا على صفة حمالين من المناجم إلى موانئ التصدير.!!

وهكـذا تحولـت تلـك الـثروات والنعمـة العظيمـة التـي منحهـا اللــه بـلاد عبـاده المسلمين، إلى نقمة صـارت سـببا لتصـارع الحكومـات والانقلابـات السياسـية والعسـكرية محليا من أجل تولي السلطة، والإشراف على نهب هذه الثروات وتسليمها للسيد المستعمر من قبل الحكام المرتـدين المتعـاقبين عـلى حكـم بلادنـا.وسـببا في النهايـة للغـزو الأجنبـي والحروب والموت ولباس الخوف والجـوع.هـذا ناهيـك عـما تفرضـه أمريكـا عـلى معظـم حكومات بلادنا ولاسيما في عقر دارهم وبيت مالهم (جزيرة العـرب) مـن فـواتير تكـاليف غزواتها في بلادنـا عـلى شـكل نفقـات قـوات (حفـظ السـلام) و (المسـاعدات العسـكرية) المزعومـة !! وهـو الاسـم الملطـف للاسـتعمار العسـكري الحـديث. كـما فعلـت أمريكـا بالسعودية عنـدما قـدرت تكـاليف (عاصـفة الصـحراء/ تحريـر الكويـت) بــ (560 مليـار دولار)! فاستولت على ميزانية السعودية لديها وجعلت ما عجزت عنه عـلى شـكل ديـون ربوية جعلت السعودية – أكبر مصدر للنفط في العالم – دولة مدينة ربويا لصندوق النقد الدولي !! هذا بعض ما كشفته وسائل الإعلام، والمخفي عنا أدهى وأعظم وأمر.

2. سوء توزيع الثروة في بلادنا الإسلامية:

لا تنتهي مأساة سرقة بيت مال المسلمين وثرواتهم عند حـد سرقتهـا، فالمصـيبة الأعظـم هي أن ما يسلم من الثروات المحلية وما يصل منها لبلادنـا يتـولى سرقـة معظمـه حفنـة مـن الحكام الفراعنة المسيطرين على مقدرات البلاد والعباد لينهبوا معظمـه، وليتقاسـموا بعضـه مع المقربين من حاشيتهم وشركائهم وعملائهم وكبار التجار والقائمين على أجهزتهم السلطوية و الطاغوتية ! فيكفي أن تعلم أن ثروات بلاد الخليج النفطية والغازية التـي تجـاوز مواردهـا

المليار دولار يوميا.. يتقاسمها أسر حاكمة ومالكة لا يتعدى تعداد أفرادها في بعض الدول العشرات من الأمراء. وهم بمجموعهم في دول الخليج العربي لا يزيدون على بضعة مئات من الملوك والأمراء وكبار أبنائهم.. يتقاسمون ثروة الأمة الإسلامية بكاملها.. فيكفي أن تعلم مثلا أن المصروف اليومي للأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لملك ما يسمى بـ (المملكة العربية السعودية) يبلغ 3 مليون دولار يوميا بحسب بعض مراكز الدراسات الملمة بإحصائيات دنيا المال والأعمال وحياة الأغنياء! حيث تغطي هذه المبالغ خدمات قصوره الممتدة من سواحل أمريكا إلى أوروبا إلى شرق آسيا بما فيها من خدمات اللهو والدعارة والقمار والفساد.

وقس غيره عليه، ومن الطريف المحزن أن تعلم أن الأخبار قد نشرت أن فيصل بن فهد ملك السعودية مات فجأة بسكة قلبية لأنه خسر على موائد القمار في بعض معاركه على طاولة الميسر (10 مليار دولار) يعني عشرة آلاف مليون دولار.. وقس عليه حكام باقي بلاد العالم الإسلامي المنكوب حيث يتولى أبناء الملوك والرؤساء وكبار أعوانهم وقواد جيوشهم وأجهزة استخباراتهم تقاسم ثروات البلاد، بحيث يعيش معظم أفراد الشعوب الإسلامية عمليا تحت خط الفقر بموجب إحصائيات دراسات اقتصادية واجتماعية يتفطر لها القلب ويندى لها الجبين فسوء توزيع الثروة يتدرج على كل المستويات..

فثمة سوء توزيع للثروة بين البلاد الإسلامية ذاتها بحكم التقسيم السياسي الاستعماري لبلاد العالم الإسلامي وتوزيعها بين دول غنية متخمة ودول فقيرة هالكة.. ففي حين يصل متوسط دخل الفرد في بعض البلاد الإسلامية مثل بنغلادش وأفغانستان وبعض البلاد الأفريقية الإسلامية ليقل عن 100 دولار في السنة للفرد ! أي نحو ربع دولار يوميا يصل متوسط دخل الفرد في البلاد الخليجية إلى عشرات آلاف الدولارات سنويا للفرد الواحد حيث تسجل بعضها -مثل الكويت وقطر- أعلى معدل لدخل الفرد في العالم. ثم هناك سوء توزيع ثروة داخل كل بلد..

ففي حين تصل ثروة بعض الأفراد في بعض البلاد الإسلامية حتى الفقيرة ولاسيما في طبقات السلطة العليا في كل بلد إلى مرتبة المليارديرات.. حيث يتصدر بعض حكام بلاد المسلمين وبعض أبنائهم وإخوانهم قوائم أغنى عشر مليارديرات في العالم.. تجد بعض أفراد رعيتهم يموتون جوعا وتسحق البطالة معظم أفراد شعوبهم.

كل هذا علما أن من أساسيات ديننا أن أمة الإسلام واحدة... وأن ذمتهم واحدة، وتكاملهم واحد. حتى أن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم..أخبرنا بأنه ما آمن من بات شبعا وجاره جائع. (الحديث).

فثروات المسلمين هي ملك المسلمين، بمعنى أن جميع الثروات لجميع المسلمين.

ولكن تقسيمات وزارات المستعمرات الغربية لبلادنا قسمت الثروات ووزعت الفقر والغنى. فأين حال الأمة مما كان عليه الأمر الأول؟!.

فقد روت الآثار أن الصحابة رضوان اللـه عليهم لما فتحوا العراق وكثرة الغنائم والمال..نظر عمر في سعة الأرض بعد فتوح العراق وما أفاء اللـه على المؤمنين..فجمع الصحابة وناظرهم في أنه يرى ترك أراضي سواد العراق لبيت مال المسلمين، ثروة لمن يأتي من بعدهم رغم أن بعض الصحابة احتج وطالب بأن تقسم على المجاهدين الذين غنموها، وكان لهم في ذلك أدلة ونصوص من كتاب وسنة.

ومما جاء من الآثار في ذلك:

(عن أسلم: قال: سمعت عمر يقول: اجمعوا لهذا المال فانظروا لمن ترونه وإني قد قرأت آيات في كتاب اللـه. سمعت اللـه يقول: ﴿ ما أفاء اللـه على رسوله من أهل القرى ﴾ - إلى قوله – ﴿ والذين جاؤوا من بعدهم ﴾ واللـه ما من أحد من المسلمين إلا وله حق في هذا المال أُعطي منه أو منع حتى راع بعدن). كنز العمال ص 561.

فقد فكَّر رضي اللـه عنه في الذين جاؤوا من بعدهم، وقال رضى اللـه عنه: (واللـه لئن بقيت لهم ليأتين الراعي بجبل من صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه) كنز العمال ص 524.

وقال رضي الـلـه عنه (ما على وجه الأرض مسلم إلا وله في هذا الفيء حق أُعطيه أو منعه إلا ما ملكت أيمانكم) كنز العمال ص 525.

وقد ضرب عمر رضي الـلـه عنه المثال بحق فقير يمني بما فتح الـلـه في العراق، وهي من أبعد ما كان يصل إليه حكمه من ديار الإسلام عن مكان الثروة والمال الجديد. فجعل لأهلها نصيبا مما دخل بيت المال من الثروات حتى الزراعية وهي أرضي سواد العراق... فما بالك بثروات باطن الأرض الطائلة ؟! ولكن السياسات الاستعمارية قسمت البلاد وأذلت العباد، حتى تمكنت من سرقة الجزء الأكبر، وجعلت المسلمين يتفاضلون فيما بقي منه في أسوء مثال لتوزيع الثروة في التاريخ والواقع. وبذهاب الثروة وضياعها وسوء توزيع ما تبقى منها، نتجت نتائج خطيرة جدا على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في بلاد المسلمين، وانعكست بالإضافة لما نتج عن غياب شرع الـلـه والحكم به مما قدمنا، لتولد باقي أعراض ذهاب الدنيا نكد العيش على كل صعيد. ومن بعض وجوه ضياع الدنيا ونكد العيش على سبيل الذكر و للإشارة..

3. الظلم:

إن غياب عدالة الشريعة، وغياب عدالة توزيع المال، جعل أكثر الناس وحوشا ضارية يأكل بعضهم بعضا ويظلم بعضهم بعضا. والناظر في تسلسل مراتب الظلم والمظالم يجده طابعا أساسيا لعيش المسلمين.. فأمريكا والدول الاستعمارية تظلم بلاد المسلمين حكاماً ومحكومين وتخضعهم لجبروتها. والحكام الفراعنة يظلمون من تحتهم من أعوانهم وشعوبهم ويقهرونهم. وكبار الأعوان يظلمون صغارهم بحسب تفاوت قربهم وبعدهم من السلطان، وبحسب مناصبهم وصلاحيات طغيانهم..، وهم بجملتهم يظلمون باقي الناس بحسب قدرتهم أيضا أغنياءَهم وفقراءَهم على حد سواء، ويبتزون أموالهم و ينتهكون

حرماتهم.. وحتى داخل طبقات الشعب ؛ فإنك تجد القوي يظلم الضعيف، والغني يظلم الفقير، وهكذا..، حتى أن الظلم كاد أن يكون عرفا مقبولا،لا تكاد تجد عليه اعتراضا من أحد، وكأنه قدر مقدور لا طاقة ولا قبل لأحد بإزالته، حتى أصبحت المحاكم وهي ما تسمى (بيوت العدالة) أصبحت دورا لأخذ الرشوة وأكل الحقوق.. فأين ينتصف مظلوم من ظالم.. ؟!

4. القهر والذل:

وهكذا ألبس الناس ثياب الذل والانكسار، كل ضعيف تجاه من هو أقوى منه، وكل فقير تجاه من هو أغنى منه، وكل محكوم تجاه من بيده شيء من السلطان أكثر منه. وأصبحت الضغائن ومشاعر القهر تسيطر على معظم الناس تجاه حكامهم خاصة، وفيما بين أكثريتهم عامة، وأورث هذا الناس أمراضا اجتماعية مستعصية من الرياء والنفاق والتحاسد والتباغض..

5. الخوف:

وأما لباس الخوف فهو سربال يتسربل به أكثر المسلمين منذ نعومة أظفارهم بسبب ما تقدم من العوارض. فالمسلمون حكاما ومحكومين يخافون من سيطرة وسلطان الأعداء وعدوانهم، والشعوب تخاف حكامها، وكل ضعيف يخاف من هو أقوى منه.

ففي ظل الأنظمة البوليسية حيث تتعدد أجهزة الإستخبارات، ويتفنن الجلادون في صنوف التعذيب، وتنفق الحكومات قسطا كبيرا من ميزانيتها في بناء السجون، يسيطر الرعب على كافة طبقات الناس، فالموظف يخاف المدير، والأستاذ يخاف المخبر من التلاميذ، والسائق يخاف شرطي المرور، والمواطن يخاف المخابرات، والمتظاهر يخاف القمع.. وخطيب الجمعة يخاف الجاسوس بين المصلين.. والكتاب يخافون الرقابة.. وهكذا.. إلى الحاكم العميل الذي يخاف من أمريكا، ويواليها خوفا وطمعا كي تُبقي عليه، وتضمن توريث ملكه لأبنائه أو ذويه وأتباعه..

6. الجوع والأمراض:

وبسبب سرقة بيت مال المسلمين الأساسي (نفطهم وثرواتهم)، وبسبب سوء توزيع ما تبقي ونهبه من قبل الكبراء. ألبس الناس لباس الجوع مع لباس الخوف. فالأكثرية الساحقة للمسلمين تعيش تحت خط الفقر، وتثبت هذا إحصائيات المنظمات المحلية والعالمية ذات العلاقة بهذا الشأن. كما أن كثيرا من بلاد المسلمين مثل بلاد القرن الأفريقي وبنغلادش وسواها تجتاحها المجاعات والأمراض والكوارث.. التي تحصد مئات آلاف البشر كل سنة. ومعظم بلاد المسلمين نتيجة اختلال موارد الثروة تعيش حياة متدنية على مستوى الخدمات الصحية. مما نشر الأمراض المزمنة والأوبئة وجعل إمكانيات الحكومة دون مستوى التصدي لها، كما جعل تكاليف العلاج بعيدة عن متناول معظم العائلات الفقيرة.

وقد أودى الفقر بكثير من الشباب والرجال إلى الرحيل عن بلادهم طلبا لموارد الرزق، حتى صارت كثير من بلاد المسلمين كالباكستان ودول شمال أفريقيا وتركيا وسواها.. بل معظم بلاد المسلمين مصدرا لتصدير العمالة الرخيصة المهاجرة إلى كافة أنحاء العالم ليضيع الرجال شبابهم بعيدا عن أسرهم ونسائهم وأطفالهم من أجل كفاف العيش.أما عن الجهل فحدث ولا حرج، ويكفي على سبيل المثال أن نعلم أن الإحصائيات تشير إلى وجود (65 مليون) أمي في العالم العرب فقط، علما أن تعداد السكان فيه يناهز الـ300 مليون نسمة!!.

7. القتل الجماعي:

تتعرض كثير من بلاد المسلمين اليوم لحملات للإبادة الجماعية من قبل المستعمر الغربي في ظل النظام العالمي الجديد. وتكاد لا تخلو نشرة أخبار يوميا من خبر أو أكثر عن تلك المجازر. فخلال العقدين الأخيرين فقط...حصدت المجازر مئات آلاف المسلمين في البوسنة، و الشيشان، وكوسوفو، وكشمير،

والهنـد، والفلبـين، وأفغانسـتان، والعـراق، وفلسـطين، ولبنـان، والصـومال، وإندونيسـيا، ونيجيريا، وبورما، واريتريا، و كردستان العراق،... وغيرها.

بل إن حملات القتل المنظم والتجويع نالت ملايين الأطفال كما في العـراق، حيـث لم تكتف أمريكا بقتل أكثر من 300 ألف مدني وعسكري في حـرب الخلـيج الثانيـة (عاصـفة الصحراء).. فقتلت عبر 10 سنوات من الحصار أكثر مـن مليـون ونصـف طفـل مـن سـوء التغذية وانعدام الدواء. وملـف المجـازر الجماعيـة وعمليـات الإبـادة العرقيـة والتصـفية الجسدية الحاصلة للمسلمين اليوم تحتاج إلى مجلـدات قائمـة بـذاتها ومـؤرخين متفـرغين يتابعون تفصيلها وإحصائياتها!!.

هذا ناهيك عن عمليات القتل والإبادة عبر أنظمة وبرامج تحديـد النسـل، والأدويـة المعقِمـة والفاسـدة والنـاشرة للأمراض،التـي يرسـل بهـا الغـرب عـبر شـحنات الأغذيـة والمساعدات التي تدخل بلاد المسلمين المنكوبة تحت عناوين المساعدات الغذائية !!.

ناهيك عن عمليات التصفية والمجازر التي تقوم بها الحكومات وأنظمتها الطاغوتيـة لشعوبها، وخاصة للشباب المسلم في حال شعورها بأي خطر. وقوائم جرائمهم طويلة، فقد قتل صدام خلال حكمه في العراق أكثر من مليون إنسان، وقتل الملـك حسـين في الأردن في أيلول الأسود 1970 عشرين ألف فلسطيني، وقتل حافظ أسد مطلع الثمانينـات أكـثر مـن 40.000 مـن الشـعب السـوري وفي تـل الـزعتر في بـيروت - لبنـان نحـو 60.000 مـن الفلسطينيين، وفي طرابلس كذلك أكثر من 20.000 لبناني، كما حصد النظام الجزائري بعـد الإنقلاب بالعسكري 1991 وإلى اليوم أكثر من 150.000 إنسان...وهلم جرا.

8. التهجير الجماعي:

كذلك وفي كل مناطق الحروب والكوارث، وفي مناطق المجازر آنفـة الـذكر، نجـد أن كثـيرا ممـن سلموا من القتل، خرجوا في أفواج هجرة جماعية فارين مـن عمليـات المـوت الزاحـف. كـما حصـل في البوسنة و الشيشان وأفغانستان والصومال وإرتريا وفلسطين وكشمير وكوسوفو... ويكفي أن تطلع على

إحصائيات المنظمات الدولية لرعاية اللاجئين، لتكتشف أن عشرات الملايين من المسلمين يعيشون مهجرين عن بلادهم في مخيمات تفتقر لأدنى مقومات حقوق الحيوان فضلا عن حقوق الإنسان.

9. انتهاك الأعراض:

وفي كل تلك المناطق المنكوبة بالحروب وعدوان الدول والعصابات الصليبية والهندوسية والملحدة وغيرها من أنواع الكافرين، لم تسلم أعراض المسلمين من أبشع عمليات الانتهاك والاعتداء من قبل الكفرة، بل بلغت مدى مرعبا في بعض مناطق البلاء كما حصل في البوسنة حيث سجلت منظمات حقوق الإنسان أكثر من 50.000 حالة اغتصاب للمسلمات هناك. فضلا عما ترصده الأخبار هنا وهناك من هذه الجرائم.هذا من قبل الأعداء الخارجيين، فضلا عما تقوم به أجهزة الحكومات البوليسية الفاجرة ورجال استخباراتها في بلاد المسلمين من العدوان على أعراضهم في سجونها بلا حسيب ولا رقيب...

هذا عن الانتهاك الإجباري للأعراض، ناهيك عما فشا في المسلمين من انتهاك طوعي للأعراض بفضل سياسات الحكومات وأجهزة إعلامها الداعرة في نشر الرذيلة والفساد وسوء الأخلاق، حتى انتشر الزنا في المسلمين انتشار الوباء..

10. القلق والضياع النفسي:

وهو النتيجة الطبيعية لكل ما سبق، فإن أمة تعيش بعيدة عن دين ربها، غريبة عن معتقداتها، محكومة بشرائع أعدائها، قد هجرت دينها ولم تنسجم في دين أعدائها، فبقيت مغربة لا هي تعيش الإسلام، ولا هي تذوب في دين غيره. يعيش أفرادها انعكاسات كل ما قدمنا من ألوان البلاء.. من الفقر والجوع، والخوف والمرض والقهر والذل والظلم والفساد، وتسلط الفراعنة الحكام، وطغيان الأعداء وعدوانهم. بكل ما أورث ذلك من الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية والنفسية.. لا شك أن أمة كهذه سيعيش أفرادها التيه والضياع والقلق. فلا هي في دنيا مريحة، و لا هي تتسلح

بدين يسعفها بالصبر والتوكل والقدرة على مقارعة الخطوب. وهذا ما أثبتته دراسات مطلعة، وإحصائيات مقلقة، من ازدياد معدلات الانتحار، والطلاق، والأمراض النفسية والاجتماعية، وانتشار كثير من مظاهر الهستيريا وأعراض الإكتئاب. وبالخلاصة، وكما عبر القرآن عن ذلك بكل اختصار وصرامة..، وصدق اللـه تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾

(طـه:124-126)

وما أوجز العبرة فيما روي عن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم فيما روي عنه: (إن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة).

ثالثا:تسلط الأعداء وتحكمهم في كافة مناحي حياة المسلمين

تماماً وحرفياً، وكواحدة من أنصع دلائل النبوة، حل بالأمة ما أخبر بحصوله صل اللـه عليه وسلم، فقد روى أبو داود عن ثوبان أن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم قال: (ثم يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن اللـه من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن اللـه في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول اللـه وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت).

فالعالم الإسلامي اليوم يعيش حالة من التسلط الكامل للأعداء على جميع مقدراتهم وسبل حياتهم بشكل فظيع ما مر في تاريخهم مثله. ويتجلى ذلك في مظاهر عدة من أهمها:

1. تحويل بلاد المسلمين إلى ميدان لنهب الثروات وسوق لتصريف منتجات الأعداء:

أما نهب الثروات فقد مرت نبذة عنه، وخلاصة ذلك إشراف الإستعمار وعلى رأسه أمريكا وأوروبا الغربية على عمليات استخراج الثروات النفطية والمعدنية وغيرها من الموارد، ثم الإشراف على نقلها وتحديد أسعارها والتجارة بها والاستيلاء على أثمانها في بنوكهم الصليبية اليهودية.

وفي مقابل ذلك يقوم الغرب المستعمر في بلادنا التي تضم نحو خمس سكان الأرض، بتحويلها إلى سوق لتصريف منتجاته بدءا من الأسلحة والآليات و الكمبيوترات ومختلف منتجات التكنولوجيا، وانتهاء بالصناعات الاستهلاكية العادية من أنواع الأطعمة والملبوسات والمواد الاستهلاكية المصنعة...

فالمسلمون يستوردون من الغرب حتى الملابس الداخلية و الشباشب.. بل حتى الخبز والورق الناشف، وبالرغم من أن العدو المستعمر يفرض على الدول المستعمرة ومنها العالم الإسلامي أسعار ثرواتها المعدنية و منتجاتها الزراعية والحيوانية. وهي عصب صناعاته وموارد غذائه، بل يفرض عليها قيمة عملاتها الشرائية ; فإنه في الوقت ذاته يفرض أعلى الأسعار والرسوم على منتجاته المصدرة إلينا.بل وتبلغ المأساة مداها إذا علمنا أن الغرب ذاته وعلى رأسه أمريكا يقوم بعملية منع انتشار التصنيع الحديث و التكنولوجيا، بل وحتى التصنيع المتوسط في معظم بلاد العالم الإسلامي، كي نبقى سوقا لتصريف منتجاته بل إنهم يفرضون حتى السياسات الإقتصادية وبرامج التنمية وخطط الزراعة والإنتاج الحيواني، التي يتحكم بها بالتفصيل صندوق النقد الدولي، بحيث لا تصل بلادنا إلى الاكتفاء الذاتي من الأغذية الأساسية كالقمح والسكر والأرز وغيره. وهناك أمثلة كثيرة صارخة على هذا. فقد منع صندوق النقد الدولي السودان – مثلا - من البدء بمشروع اكتفاء ذاتي بالقمح بعد وصول حكومة (البشير) إلى السلطة، ولما أصرت هددها بوقف المساعدات. وأغرتها أمريكا بإمدادها بالقمح لمدة عشر سنوات بقروض غير ربوية. وبكميات من المنح الغذائية على شكل هبات بدون مقابل! وكان الغرض واضح. وهو تحويل الأراضي الخصبة إلى أراضي بور لا تصلح للزراعة. وربط رغيف الخبز في السودان بالقرار الأمريكي.. ويكفي أن نعلم أن مصر التي كانت في العهد الروماني تكفي الإمبراطورية الرومانية من القمح، تعيش اليوم على احتياطي من القمح الأمريكي يكفي المصريين من الخبز لمدة ثلاثة أشهر.. وليس هنا محل سرد الإحصائيات والتقارير. فباختصار يمكن القول بأن الحال الاقتصادي والغذائي والصحي للشعوب الإسلامية مرعب بسبب هذه السياسات.

2. تسخير اليد العاملة الإسلامية لخدمة صناعات الأعداء:

فبسبب سياسات التجويع والحصار وحكومات الظلم... هاجر من بلاد المسلمين ملايين العمال. ومئات الآلاف العلماء والمثقفين وحملة الشهادات إلى بلاد الغرب ولاسيما أوروبا وأمريكا، ليسدوا ثغرات ضخمة في البنية التحتية لمصانعهم بأبخس الأثمان...وفوق ذلك فإن الدول الرأسمالية الغربية جميعها ولاسيما الأوروبية قد أنشأت مصانعها المتخصصة في لصناعات البسيطة والمتوسطة في بلاد المسلمين، ولاسيما في مجالات الأغذية والملبوسات والمواد الإستهلاكية تحت مسمى (الماركات) العالمية الشهيرة التابعة لها. لتستفيد من رخص اليد العاملة في بلادنا دون أن تخل بالقاعدة الصارمة المفروضة من قبلهم بأن لا تكون تلك الصناعات من مستوى التكنولوجيا حتى لا تستفيد تلك البلاد من الخبرات الصناعية.

بل إن نظام التسخير للعمالة - شبة المجانية - من قبل الغرب لليد العاملة في البلاد الإسلامية وبلدان العالم الثالث ولاسيما غير المسيحي، دخل المجال العسكري منذ الحرب العالمية الأولى والثانية.. ويكفي أن نعلم أن وقود المعارك الضخمة التي دارت رحاها في شمال أفريقيا وغيرها من ساحات المواجهة بين دول الحلفاء ودول المحور – كمعركة العلمين وغيرها - كانت من الجنود المجندين من دول المستعمرات ومعظمها دول عربية وإسلامية.. وأن نعلم أن فرنسا خسرت في فيتنام في معركة سقوط (دان بيان فو)، أكثر من 16000من القوات الخاصة كان منهم الآلاف من الجزائريين والمغاربة وجنود المستعمرات الإفريقية وكثير منهم مسلمون... واليوم تشكل قوات الأمم المتحدة و قوات حفظ السلام في مختلف مناطق التوتر ولاسيما في البلاد الإسلامية من جنود ومرتزقة و متطوعين من المسلمين، أو من قطعات عسكرية ساهمت بها حكومات نوابهم الطواغيت في بلادنا ! وها هي أمريكا اليوم تقوم باستخدام جنود بعض بلادنا لغزو بلاد أخرى، ولما تفتحها، تشكل من أبنائها شرطة و عساكر، تجعلهم درعا واقيا لعساكرها، وتستخدمهم في ذبح أبناء بلدهم المستعمَر ذاته !! كما يجري الآن في العراق.

بل إن نظام الاستعباد والعمالة المسخرة لخدمتهم وصل إلى مجال الدعارة والترفيه في استيراد نساء المسلمين للترفيه عن جنود المستعمرين الغزاة لبلادنا كما حصل وذكرت بعض الصحف ووسائل الإعلام عن استخدام القوات الأمريكية والغربية في حرب الخليج الثانية لما يسمى بعاصفة الصحراء أو تحرير الكويت لمئات العاهرات من بعض الدول العربية استقدمن بالاتفاق مع حكومات تلك البلاد للترفيه عن القوات الأمريكية والغربية في استراحات معارك عاصفة الصحراء، وهم يحررون الكويت !

فهذا النظام الاستعبادي الجديد هو اختراع جديد لإعادة نظام العبودية بأسلوب معاصر يتناسب مع العقلية العبقرية لحضارة ما يسمونه الجنس الأبيض الأوربي الأمريكي...

3. سلب الإرادة لصالح العدو:

في ظل أنظمة الفراعنة القائمة في بلاد المسلمين، فإن المواطن العادي مسلوب الإرادة. مقهور من قبل السلطة. وحتى رجال الفكر والثقافة والفعاليات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فإنهم مسلوبي الإرادة لصالح أجهزة القمع السلطوية المتشعبة. ولا تنتهي هذه المصيبة هنا. فإن حكوماتنا ذاتها مسلوبة الإرادة لصالح إرادة العدو المستعمر، ولاسيما أمريكا وحلفاءها الأوروبيين في ظل النظام العالمي الجديد.

فلا عقود تجارية ولا نظام تسليح، ولا نظام تحول للسلطة، ولا انتخابات ديمقراطية أو انقلابات عسكرية إلا بإشراف السيد الخفي الظاهر (أمريكا وحلفائها).

والأمثلة كذلك تحتاج لمجلدات متخصصة بالتاريخ السياسي للمنطقة العربية والإسلامية.ومن ذلك على سبيل النموذج :

- هلك حافظ أسد في سوريا سنة (2000م)، فحضرت (أولبرايت) وزيرة الخارجية الأمريكية - اليهودية - وأشرفت على نقل السلطة، وراحت تتنقل بين القاهرة وعمان ودمشق وتل أبيب، ولم تغادر المنطقة إلا بعد أن

صرحت في مؤتمر صحفي بكل وقاحة بأن أمريكا مرتاحة لعملية انتقال السلطة في سوريا! وذلك أن حافظ أسد كان قد رتب خلافته لولده الأكبر باسل ورتبت عقود النفط المستقبلية، كما وقعت اتفاقية التطبيع السرية مع إسرائيل وغير ذلك من المؤامرات باسمه، ولكن باسل اختطفه القدر وهلك في حادث تحطم سيارته فجأة، وتطلع عمه (رفعت الأسد) للاستيلاء على السلطة ودعمه بعض رؤوس النصيرية، وكذلك تطلع بعض ضباط السنة من حزب البعث الحاكم للسلطة. ولكن حافظ أسد وبترتيب مع أمريكا وحلفائها استدعى ولده الأصغر بشار الذي كان يدرس في بريطانيا. حيث جرى تعديل الدستور لتخفيض عمر الرئيس من 40 سنة إلى عمر بشار 36 سنة وصوت البرلمان السوري في جلسة عاجلة استغرقت نصف ساعة فقط ليحصل الإجماع على ولاية بشار لما مات أبوه! بإشراف أولبرايت رغم أنف الأكثرية من الطائفة السنية المحكومة، والأقلية من الطائفة النصيرية الحاكمة على حد سواء.

- ومثل ذلك دون أن ندخل في التفاصيل الخارجة عن موضوع الكتاب، نذكر ما حصل من ولاية عهد الملك حسين رغم أنف الأسرة الهاشمية، حيث استبعد أخاه وولي عهده لأكثر من أربعين عاما (الأمير حسن) وعين ابنه (عبد الله) وعدل الدستور كذلك لإزالة شروط تقف في وجه تعيينه ملكا، وتم كل ذلك خلال الدقائق الأخيرة من حياة الملك حسين..

- ومن ذلك قتل الملك فيصل في السعودية لما لم يلتزم في بعض مواقفه بما تعهد به أبوه من الولاء فوق سطح البارجة الأمريكية لروزفلت !

- ومن ذلك اغتيال الرئيس الباكستاني (ضياء الحق) والإشراف على تعيين القيادات المتوالية في باكستان وصولا إلى الإنقلاب الأمريكي الذي جاء بـ (برويز مشرف) ليشرف على الإطاحة بطالبان، ثم أشرفت أمريكا على إعادة نموذج أمريكي للديمقراطية في باكستان لمتابعة لعبة غزوها لباكستان ووسط آسيا والشرق الأوسط. وكما قلنا فالأمثلة كثيرة يضيق عنها المجال. و يكفي أن نعلم أن من المعلومات التي حصل عليها الطلاب الإيرانيون

عندما احتلوا السفارة الأمريكية بعيد ثورة (خميني) سنة 1979م أن المخابرات الأمريكية (CIA) كانت تدفع أكثر من 250 ألف مرتب شهري لعملاء في منطقة الشرق الأوسط تتراوح مراكزهم من رؤساء دول.. إلى وزراء وقيادات حزبية وسياسية حاكمة ومعارضة على حد سواء..وتتسلسل المراتب من العملاء، لتصل إلى تجار و فنانين وكناسين في الشوارع !!!.هذا من عالم السياسة.

ومن الأمثلة من عالم الاقتصاد بعد السياسة:

- فقد أرادت الحكومة السعودية سحب مبالغ كبيرة من ودائعها لبعض مشاريعها الداخلية، فاعترضت الحكومة الأمريكية بحجة أن الاقتصاد الأمريكي لا يحتمل ذلك، ولم يستطع (فهد) خلال زيارة قام بها لأمريكا أن يحصل على موافقة من (ريغان) وعاد خائبا، في حين أن إدارة (ريغان) أرادت خفض عائدات إيران من النفط إبان حرب الخليج الأولى مع العراق، فطلب (ريغان) من (فهد) هاتفيا خفض سعر برميل النفط من (40 دولار) إلى (15 دولار) للبرميل.ومن أجل أن تحافظ السعودية على وارداتها - أو بالأحرى أن تحافظ البنوك الأمريكية اليهودية على مداخيلها من ودائع السعودية - فأمره بزيادة الإنتاج اليومي من (5 مليون) إلى (10 مليون) برميل. وهكذا خسرت السعودية 10.000.000 × 25 - = ـ 250 مليون دولار. هذا عدا آلاف الملايين من الدولارات التي سببتها من الخسارة لكل الدول الإسلامية المصدرة للنفط، كلما أشرقت الشمس وغربت من أموال المسلمين الذين يموت الملايين منهم جوعا، بل خسرت معها كل الدول المصدرة للنفط في العالم، ولم يكلف ذلك (ريغان) إلا هاتفا فقط !!
- وأما تدخل المؤسسات المالية الدولية في السياسات المالية والاقتصادية للدول العربية والإسلامية فأشهر من أن ننقل الأمثلة عليه..

وقد وصل الأمر اليوم بفقدان الأمة الإسلامية لإرادتها، وسلب العدو لهذه الإرادة، أن يصل ذلك لمجال أخص خصوصيات الأمة، وهو مناهج التربية

والتعليم التي تتدخل أمريكا والغرب اليوم فيها، وتملك القدرة على أن تحذف وتضيف فيها..! ووصل الأمر حتى للخطب في المساجد..! والحبل على الجرار.

فالأمة الإسلامية مسلوبة الإرادة أمام حكامها،وحكامها لا إرادة لهم أمام أعدائها.

4. الإحتلال العسكري المباشر وغير المباشر لكافة بلاد العالم الإسلامي:

العالم الإسلامي اليوم محتل من قبل مختلف أنواع الكفار،من اليهود، والصليبيين، والهندوس، والملحدين، والوثنيين...إما مباشرة وإما بصورة غير مباشرة.

فبقاع كثيرة ترزح تحت الإحتلال المباشر كالفلبين، وأجزاء من إندونيسيا وبورما، وأجزاء من الهند وكشمير، وتركستان الشرقية، والمقاطعات الإسلامية في روسيا، و القفقاس و الشيشان، والبلقان والبوسنة وكوسوفو، وفلسطين وأجزاء من بلاد الشام، وبقع من المغرب الأقصى...والعراق أخيرا وليس آخرا..، والسودان التي يبدو أنه قد حان دورها..، والإشارات بوضع سوريا ومصر، وبقاع من جزيرة العرب على القائمة أيضا..

وأما باقي بلاد العالم الإسلامي قاطبة، فهي تحت الإحتلال غير المباشر من قبل دول الغرب الصليبية بنيابة الحكام المرتدين، وباستحكام الإحتلال الاقتصادي للاحتكارات الرأسمالية الكبرى. وبانتشار القواعد العسكرية البرية والبحرية والجوية في جميع أجزائه، وبشبكة مكاتب الإستخبارات الأجنبية ولاسيما (CIA) و(FBI) التي انتشرت في جميع بلاد المسلمين بشكل علني أو بستار المنظمات والمؤسسات المتنوعة.

5. التبعية الثقافية والفكرية للعدو:

بسبب مظاهر الإحتلال العسكري والاقتصادي والسياسي والأمني التي ربطت الأمة بعجلة العدو الصليبي اليهودي الكافر في كافة المجالات، جاء دور الإستعمار الفكري والثقافي والاجتماعي.. حيث تسن القوانين وتوضع

المخططات وتعقد المعاهدات وتبرمج وسائل الإعلام والتربية والتعليم والثقافة لتغريب مجتمعاتنا وإعادة صياغتها وهيكلتها تبعا لهوى المستعمر. فتارة باسم حقوق الإنسان، وتارة باسم تحرير المرأة، وتارة باسم التطبيع الثقافي، وتارة باسم التطوير الاجتماعي، وأخرى لتحديث المناهج التعليمية، ولبرامج إعادة صياغة المجتمعات.. وهكذا..

حتى طال تدخل العدو برامج تدريس الأطفال في المرحلة الابتدائية فما فوقها. حيث تتدخل الأمم المتحدة وبرامج اليونسكو، فضلا عن سفارات الدول الغربية في تقرير ما يجوز ومالا يجوز في مواد الدراسة. بل بلغ تدخل الحكومات الطاغوتية بأوامر أسيادها في تحديد ما يقال وما لا يقال في خطب الجمعة حتى منعوا فيها ذكر اليهود والنصارى بالسوء، حتى في السعودية ! بلاد التوحيد المزعومة.

ناهيك عن ما يسمح بنشره وما لا يسمح في الصحف والمجلات وجميع أوجه النشاط الفكري والأدبي. وقد أجبر الغرب حكومات بلادنا على توقيع معاهدات على برامج اجتماعية تتنافى مع أسس ديننا وأعرافنا وتقاليدنا. ولم تعد أخبار حرب الأفكار التي أعلنها وزير الدفاع الأمريكي (رامسفيلد) بخافية على أحد.. هذا ناهيك عما استفحل في مجتمعاتنا من حمى تقليد الغرب اختيارا، في أساليب تفكيره وعيشه وطرق طعامه ولباسه بل وحتى بناء حماماته ودور خلائه !.

والخلاصة:

باختصار، فإن ن هذا بعض من واقع المسلمين خلال العقود السبعة الأخيرة من القرن العشرين، والذي تدرج فيه البلاء منذ سقوط الخلافة وتجزئة بلاد المسلمين على شكل مستعمرات تحت الإحتلال الصليبي، ثم ما تلا ذلك من مرحلة ما سمي (حكومات الإستقلال) إلى أن بلغ البلاء قمته بعد انهيار لإتحاد السوفييتي وتفرد أمريكا وحلفائها في أوروبا الناتو بإطلاق ما سمي (النظام العالمي الجديد) منذ مطلع التسعينات وإلى اليوم.

وكان من المفروض أن يقف لكل هـذه الانهيـارات حملـة الإسـلام وحراسـه مـن العلـماء والدعاة وما سمي بجماعات الصحوة الإسلامية والحركات الجهاديـة.. ولكـن وكـما سنفصـل في الفصول القادمة، فقد شهدت العقود الأربعة الأخيرة مخاضا صـعبا، كانـت خلاصـته أن معظـم علماء الهيكل الديني المعروف لأهل السنة في كافة بلاد العالم الإسلامي قد توزع إما في متاهـات النفـاق للحكـام والـدخول في تبريـرات عرجـاء مـن أجـل تسـويغ خيانـاتهم للـدين وعمالـتهم للمستعمرين الجدد، وإما في جحور العجز والتسويغات المعتسفة، من أجل تفادي دفع ضريبـة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و قولة الحق عند سلاطين جائرين فسقة ظلمة كافرين.

وأما ما سمي بالصحوة الإسلامية التي انطلقـت بعيـد سـقوط الخلافـة بقليـل، فقـد خرجت من مصادماتها مع حكومات بلادها مقلمة الأظافر مدجنة، تتقاسمها التشـكيلات السياسية والحزبية المسماة (إسلامية) ! لتجد لها أمكنة في منتصف الطريق مع الجاهلية، بعد أن انسلخت عن معظم مبادئها وشعاراتها وبرامجها وأفكار مؤسسيها الأوائل رحمهم اللـه. ليتحول شعارها من كونه (اللـه غايتنا والرسول قدوتنا، والقـرآن دسـتورنا والجهـاد سـبيلنا والمـوت في سـبيل اللـــه أسـمى أمانينـا) ليتحـول وكأنـه صـار (البرلمـان غايتهـا، والديمقراطية الغربية قدوتها، والدسـتور العلـماني دسـتورها وعليـه قسـمها، والانتخابـات سبيلها، والفوز بالمقاعد في حكومات الكفر أسمى أمانيها !!).

وأما الصحوة العقدية لإعادة المسلمين إلى ما كان عليه السلف الصالح، فقد توزعت جهودها في جدليات الأبحاث والانشغال بمكافحة أنواع البدع ومكافحة القبـور والأمـوات. وانتهت إلى الإرجاء وتقديس الملوك وأولياء الأمر ومكافحة مناوئيهم، وأخذت بحظهـا مـن السعي للبرلمانات أيضا.

وأما الجماعات الإصلاحية والصوفية و التبليغية.. فقد ازدادت عبثية وبعدا عن واقع المسلمين.

وأما التيار الجهادي المسلح وتنظيماته في بلاد عربية وإسلامية كثـيرة. فقـد أبلت بلاء حسـنا وقـدمت وسـعها منـذ مطلـع السـتينات، وضـحى أفرادهـا في

أجواء قعود الصحوة وخذلانها، وقعود عامة الأمة وضياعهم وتيههم، فانفرد العدو بها وسجل روادها ومجاهدوها أسمائهم في سجلات الشهداء والأسرى والمشردين في سبيل الله، ليكونوا شهود أخدود جديد على أمة مقهورة قاعدة مفككة. أمة نسي معظم شعوبها الله فأنساهم أنفسهم وأعقبهم نكد العيش، وحكومات كافرة بالله محكمة لشرائع أعدائه، وعلماء كانوا السبب الأساسي في تخدير هذه الأمة من بين منافق وعاجز.. ودعاة لما سمي صحوة إسلامية، انتهى كثير منهم دعاة على أبواب جهنم. وهكذا انفردت حكومات الفراعنة بشراذم الجهاديين ذبحا وسجنا وتعذيبا وتشريدا وقهرا.

وانهارت بؤر الجهاد واحدة تلو الأخرى ولم ينصرم القرن العشرون إلا ومعظم المحاولات الجهادية مفككة مشتتة، تتقاسم من بقي من روادها ثابتا على الطريق متاهات الهجرة والتشريد والغربة، يعيشون أكبر مطاردة لأهل الحق عرفها تاريخ البشرية.

وانصرم القرن العشرون، وانصرمت الألف الثانية للميلاد، لنستقبل القرن الحادي والعشرين وألفيته الثالثة، ولتفتتحه أمريكا وحلفاؤها من أوروبا الناتو بمخططات جعلت من الإسلام والمسلمين عدوها الإستراتيجي والتاريخي القائم والقادم. ولتتبنى سياساتها على مبادئ صراع الحضارة الغربية النصرانية مع حضارة الإسلام والمسلمين. ولتنطلق الحملات الصليبية الثالثة صراحة وعلنا.

وصحا العالم على دوي انفجارات الحادي عشر من سبتمبر، قبل أن ينصرم العام الأول من القرن الحادي والعشرين. وابتدأنا ما سمي (عالم ما بعد سبتمبر).

فما هو واقع المسلمين اليوم في ضوء ظروف هذا العالم ؟؟.

واقع المسلمين اليوم في عالم ما بعد 11- سبتمبر-2001م

كما أسلفت في التقديم فإن ما نعيشه اليوم من أوضاع في العالم الإسلامي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ليس أبدا نتيجة لذلك الحدث المحدود وإن كان عظيما. فما نحن فيه هو مرحلة جاء دورها وفق مخططات الأمريكان

والأوروبيين وأسيادهم اليهود. وهي فصول من مقتضيات النظام العالمي الجديد الذي انطلق مطلع التسعينات، بعد تفكيك حلف وارسو وإدخال مكوناته في حلف الناتو، وبدء مرحلة القطب الواحد (الأمريكي اليهودي) الذي يريد إدارة شؤون العالم.

ولذلك فإن قولنا (واقع المسلمين بعد سبتمبر) هو من باب التأريخ الزمني وليس قناعة بما تريد أمريكا إقناع العالم به من كون ما نحن فيه نتيجة لسبتمبر.

ويكفي من الأدلة على ذلك ما نشر من المخططات الصهيونية عن عزم اليهود على استكمال احتلال فلسطين وهدم المسجد الأقصى، وطرد من تبقى من الفلسطينيين منها، وفرض سياسة التطبيع الشامل مع جيرانها من حكام العرب والمسلمين.هذا التطبيع الذي أعلنت خططه في مؤتمر مدريد 1991م.

ومن الأدلة على ذلك أيضا ما نشر عن برامج الأمريكان لإعادة احتلال الشرق الأوسط والسيطرة على منابع النفط فيه وفي وسط آسيا. وتشكيل قوات التدخل السريع في أمريكا من أجل ذلك منذ أيام كارتر سنة 1973م. وما تبع ذلك من سياسات استعمارية أمريكية معلنة.

وما العاصفة الأمنية الحالية التي تثير هياجها أمريكا وما أسمته (الحرب العالمية لمكافحة الإرهاب) إلا تنفيذا لبرامج المؤتمرات الأمنية التي انطلقت منذ 1990م وتتابعت بمعدل مؤتمر عالمي أو إقليمي كل ثلاثة أشهر; مثل مؤتمرات برشلونة، وباريس، وميلانو، وشرم الشيخ.. واجتماعات وزراء الداخلية العرب في تونس وجدة والقاهرة كل ستة أشهر. والمؤتمرات الأمنية لدول المتوسط التي شاركت فيها أوروبا وحكام العرب وإسرائيل وأمريكا رغم بعدها عن المتوسط ! ثم تتابع المؤتمرات الأمنية في آسيا وأفريقيا..

ومن الأدلة على هذه الحملة قبل سبتمبر، أن عدد مكاتب الـ(FBI) العلنية قد بلغ في الشرق الأوسط إلى ما قبل سنة 2001م، (23) مكتبا، في الرياض وعمان والخرطوم وتونس والمغرب.. وغيرها. هذا عدا مئات المكاتب السرية للـ (CIA).

وكما قلت، فنحن نعيش الآن حالة استغلال إعلامي أمريكي يهودي مبرمج. وتضخيم إعلامي لسبتمبر وتداعياته وأصحابه، من أجل تبرير عدوانهم وإقناع العالم بعكس الحقيقة التي تدل على أن سبتمبر وغيرها من العمليات، وكذلك الإنتفاضة وسواها من أعمال المقاومة.. ما هي إلا ردود أفعال على عدوان وليست عدوانا ابتداءا كما أقنعوا معظم العالم بذلك وحتى كثيرا من المسلمين.

وإذا ما أردنا أن نجمل القول عن واقع المسلمين اليوم بعد سبتمبر 2001م فإننا نقول بأن أحوالهم قد ازدادت سوءا وتماديا تحت كافة العناوين التي أوردناها سابقا، من ضياع دينهم ودنياهم وتسلط الأعداء عليهم.

ففي ضياع دينهم، ازداد إصرار الحكومات ومبرراتها لتبديل الشرائع ومحاربة الإسلام. كما ازدادت حالة احتلال المقدسات صراحة. وتفاقمت موجة إفساد العقائد ونشر البدع وسعار الفسوق والضلال، بسبب شراسة الهجمة الإعلامية وانتشار الفضائيات الهادفة إلى سياسات الإفساد. وازدادت غربة المؤمنين والمجاهدين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بفعل شراسة الهجمة الأمنية.

وأما تحت عنوان ذهاب الدنيا: فنحن اليوم لسنا أمام تمادي سرقة الثروات بالحيلة والنيابة، وإنما أمام حالة إعادة احتلال لمصادر الثروات. وأما سوء توزيع الثروة والظلم والقهر والذل والخوف والقتل و انتهاك الأعراض فازدادت معدلاته المخيفة، وانتشرت حيث لم تكن قائمة قبل سبتمبر. في مجتمعات كانت أكثر أمنا واستقرارا كمجتمعات الخليج العربي وبلدان المسلمين البعيدة عن مركز الشرق الأوسط كبلاد آسيا وأفريقيا الإسلامية.

وأما تسلط الأعداء فهو سمة عالم ما بعد سبتمبر المعلنة الموغلة في العدوانية..فلم يعد هناك إرادة حكومات وخصوصيات شعوب... والبرنامج اليوم عبارة عن إعادة احتلال شامل...هذا إذا أردنا الإجمال. ولكن يجدر بنا تسليط الضوء من باب التأريخ الموجز، ومن باب التوصيف المفيد، من أجل

تحريك دواعي المقاومة لدى الأمة. وذلـك بـذكر بعـض مـا حـل بالمسـلمين بعـد أحـداث الحادي عشر من سبتمبر 2001. ومن أهم ذلك باختصار:

1. تدمير الإمارة الإسلامية في أفغانستان:

فقد كانت أمريكا وحلفائها قد أعلنت سياستها وإرادتها بإسقاط حكومة طالبـان في أفغانستان منذ أواسط 1997م. وتزايدت وتيرة نواياها ظهورا مع الوقـت واتخـذت لـذلك إجراآت اقتصادية وسياسـية مـن الحصـار والعقوبـات والتلـويح بـالغزو والحـرب. إلى أن جاءت أحـداث سـبتمبر فوضـعت نواياهـا موضـع التنفيـذ. وبتعـاون غـربي ولاسـيما مـن بريطانيا وأوروبا النـاتو. ووسـط سـكوت دولي وخيانـة صريحـة مـن الحكومـات العربيـة والإسلامية، ولاسيما حكومات باكستان والسعودية وإيران، تم إسـقاط حكومـة طالبـان في ديسمبر 2001م عـبر حملـة عسـكرية أمريكيـة. تحركـت في طليعتهـا عـلى الأرض قـوات المرتدين العملاء في أفغانستان، الذين دخلوا كابل بحماية الطائرات الأمريكية. وهكذا تـم إجهاض التجربة الوحيدة الوليدة لإقامة الدولة الإسلامية منـذ سـقوط الخلافـة العثمانيـة. ونصبت أمريكا حكومة عميلة في كابل لتحول أفغانستان إلى قلعة أمريكيـة تسـيطر منهـا على كافة المنطقة في وسط آسيا ذات الأهمية الإقتصادية والإستراتجية.

2. محاولة إبادة خلاصة الصحوة الجهادية في العالم الإسلامي:

من المعلوم أن قيام الإمارة الإسلامية ورسـوخ حكـم طالبـان، في ظـل أوضـاع دوليـة كانت تتصاعد فيها هجمة الغرب وحلفائه على التيار الجهادي المسلح، منذ انفراط عقـده في أفغانستان 1992م، وما تبع ذلك من تصفية جيوبـه في البوسـنة و الشيشـان، و إغـلاق ملاذاتهم الآمنة مؤقتا في أوروبا والسودان واليمن وتركيا وبعض الـبلاد العربيـة، جعـل مـا تبقى من خلاصة التيار الجهادي تفيء طبيعيا إلى أفغانستان، التي لجأ إليها أيضا كثير من المجاهدين من وسط آسيا.

وقد اتخذت أمريكا من أحداث سبتمبر ستارا، ومن دمار الإمارة الإسلامية وسيلة. من أجل تحقيق هدفها في ذبح ما تبقى من خلاصة هذا التيار المجاهد الذي يمثل آخر خطوط دفاع أمة الإسلام عن نفسها في هذا الزمن المؤسف.

وعبر معارك القصف الجوي المتوحش. والهجمات الضارية للمرتدين الأفغان الذين أسقطوا الحكومة الإسلامية، أنزلت أمريكا وحلفاؤها بالمجاهدين العرب والمجاهدين من وسط آسيا و الباكستان خسائر فادحة قتلا وأسرا. وقد أضافت الحكومة الباكستانية برئاسة (مشرف) فصلا مروعا إلى المذبحة. حيث قتلت على أراضيها العشرات وأسرت عدة مئات من المجاهدين وسلمتهم لأمريكا. وسط صمت وبلادة مخجلة من الشارع الإسلامي في باكستان، رغم ما أبداه بعض الصالحين من الإخوة الباكستانيين من تعاون أنقذ ما يمكن إنقاذه ممن تشردوا عبر باكستان وإيران، وتمكنوا من إعادة الانتشار في الدنيا يلتقطون أنفاسهم بعد المعارك الطاحنة والمطاردة العمياء.

وقد ترافقت هذه الهجمة على أفغانستان، مع هجمة شرسة وتعاون أمريكي روسي لتصفية المجاهدين في الشيشان. والتي نجحت إلى حد كبير. بعد أن كانت حملة غربية أمريكية أخرى قد نجحت في تصفية المجاهدين في البوسنة سنة 1995. و تابعت أمريكا الحملة في محاولة لتصفية الجيوب المسلحة في الفلبين واليمن والقرن الأفريقي وحيثما استطاعت بعد أن خضبت شوكتهم الرئيسية في أفغانستان. وما تزال المواجهة مستمرة مع اليهود في أكناف بيت المقدس منذ نحو ثلاث سنوات.

3. العاصفة الأمريكية الأمنية على الإسلام والمسلمين في جميع أنحاء العالم بدعوى مكافحة الإرهاب بعد أحداث سبتمبر:

وهذا عنوان يكتب تحته كتب بل مجلدات بكاملها. لإحصاء تاريخ وأحداث هذه الهجمة البربرية الظالمة على الإسلام والمسلمين، والذي برمجوا له عبر العقود الثلاثة الماضية مستغلين أحداث سبتمبر.. ولا يتسع المقام هنا للتفصيل، وإنما أورد أهم ما حدث في عناوين:

تصفية معظم التيار الجهادي المسلح على مستوى الجماعات والقيادات والرموز والهيئات و الـمؤيدين والـموالين..عن طريق الاغتيالات المعلنة والسرية وعمليات الخطف والأسر، ونقل المعتقلين إلى سجن غوانتانامو الأمريكي في كوبا، أو سجونها المتناثرة في قواعدها الأمريكية في أفغانستان وفي مختلف أنحاء العالم. أو بالتعاون مع حكومات الردة وسجونها الكبرى المشرعة الأبواب للشباب المسلم في هذا الزمان. ولاسيما الحكومات العريقة في مكافحة الجهاد والإسلام والمسلمين كحكومات السعودية ومصر والأردن والمغرب وسوريا وتركيا وباكستان وتونس والجزائر و...إلخ. وقد طالت هذه الحملة كثيرا من الأبرياء حتى من (التهمة الجهادية) إن جاز التعبير.

محاولة تصفية كامل طيف الصحوة الإسلامية السياسي و الدعوي و الاجتماعي بإطاره العريض العام، تحت دعوى مكافحة الإرهاب، وقطع جذور الأصولية التي تكوِّن محضنا له. بل لقد طالت الحملة كل ما نسب للإسلام والإسلامية.. مؤسسات إغاثية إسلامية إنسانية..هيئات اجتماعية..شركات تجارية.. بنوك إسلامية.. جماعات..أحزاب.. حتى بنوك إسلامية – نصف ربوية! بل لقد نال البلاء حتى شخصيات عادية، نالها الاعتداء الأمريكي لأنهم مسلمون أثرياء يشكلون صيدا للصوصية الأمريكية. كل ذلك باستغلال مسمى الإرهاب والحملة لمكافحته..

البدء بخطة متدرجة لتصفية الجاليات الإسلامية والعربية ووجودها في الغرب. فقد سنت أمريكا وكافة الدول الأوروبية قوانين لمكافحة الهجرة واللجوء السياسي، بل وأحكاما عرفية تتيح لها اعتقال الأجانب وتوقيفهم وسحب جنسياتهم إن كانوا مجنّسين وإلغاء إقامتهم الرسمية إن كانوا مقيمين. واعتقالهم لمدد مفتوحة دون توجيه أي تهمة.. قوانين عرفية أشرس بكثير من الأحكام العرفية التي تسنها الحكومات الانقلابية العسكرية في العالم الثالث. ولم تسلم من هذا حتى أعرق بلاد الديمقراطية كبريطانيا والدول الإسكندنافية و فرنسا. وفي ظل هذا السعار والكلب الذي رافقه موجة إعلامية موجهة من وسائل الإعلام التي يسيطر عليها اليهود والصليبيون عبر التلفزيونات

والصحف والأفلام وكافة وسائل النشر والإعلام. كما تزايدت أعمال الجرائم العنصرية حتى ذكرت إحدى الإحصائيات في أوروبا أن هذه الاعتداءات العنصرية على المسلمين قد تزايدت بعد سبتمبر خلال سنة 2002م بمعدل 66% عن السنة السابقة. وخلال هذا الأسبوع الذي أجري فيه التصحيحات، والإضافات الأخيرة على الكتاب، ونحن في (نوفمبر 2004م) أحرق في هولندا عشرين مسجدا ومركزا إسلاميا في غضون عشرة أيام !!

فقد أحرقت مساجد، وانفجرت قنابل على مراكز إسلامية، وقتل أفراد من الجاليات المسلمة وجرح آخرون، واعتدي على محجبات. حتى أنه قتل بعض الهندوس في أمريكا اعتقادا من الرعاع هناك أنهم مسلمون لأنهم يلبسون عمائم هندوسية! هذا فضلا عن انتشار ما دون ذلك من العدوان من السب والشتم والضرب في الطرقات وإرسال رسائل التهديد.. إلخ.

أجبرت أمريكا كافة دول العالم بالترغيب والترهيب بكافة الوسائل، على الدخول في حملتها لمكافحة الإرهاب وقام وزير خارجيتهم (كولن بول) وسفراؤهم الدبلوماسيون و الأمنيون، فجابوا العالم يعقدون المعاهدات الأمنية والاتفاقيات البوليسية هنا وهناك في كافة أقطار الأرض. وألزمت أمريكا حكومات الدول العربية والإسلامية بالتعاون الكامل في الحملة تحت تهديد السطوة العسكرية. حتى صرح بعض رؤساء الدول العربية بذلك كرئيس اليمن ومصر...

كما ضربت أمريكا بعرض الحائط بكافة الأصوات المعترضة عليها من منظمات حقوق الإنسان أو الهيئات الدولية أو أعيان الشخصيات العامة رغم كثرة المعترضين على تجاوزها لكافة القوانين الدولية ولوائح حقوق الإنسان، وسوء معاملتها للأسرى والموقوفين، واستهتارها خلال عملياتها العسكرية بالمدنيين وقتلهم، وبفضائح سجنها التاريخي في غوانتانامو..فتجاهلت كل ذلك بصرف النظر عن مصدره سواء كان من بلاد المسلمين أو أوروبا أو من الدول الحليفة لها أو حتى من داخل أمريكا.

4. انطلاق الحملات الصليبية الثالثة نحو احتلال الشرق الأوسط:

فقد صرح بوش بذلك علنا وأنه بصدد حرب صليبية، ثم اعتذر ببلاهة معللا ذلك بأنه زلة لسان. ثم توالت زلات لسانه، و ألسنة معاونيه وكذلك تصريحات الوزراء والقيادات العسكرية لبعض دول الناتو بذلك، ناهيك عن آلاف المقالات الصحفية والتصريحات من مختلف المصادر.. وهكذا بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر.

واتخذت أمريكا من مشروع احتلال العراق بداية لبرنامج إعادة رسم خارطة المنطقة سياسيا وجغرافيا..بل تكشفت معلومات عن مشاريع لتقسيم بلاد الشام والعراق ومصر والسعودية وحتى تركيا ة إيران..واحتلال بعضها مباشرة. حيث يتزامن هذا مع برنامج أمريكي كبير للسيطرة على وسط آسيا انطلاقا من أفغانستان وباكستان. وقد تدرجت أمريكا بانتحال الأعذار الواهية من أجل احتلال العراق كبوابة للزحف على الشرق الأوسط، بدءا من ضرورة إسقاط صدام، وانتهاء بتدمير أسلحة العراق للدمار الشامل، التي لم يعثر عليها.. ولست هنا بصدد التأريخ لتفاصيل ما يجري وهو معلوم..

ويكفي أن أقول أن كل التفاصيل تشير بوضوح إلى حملة احتلال صليبية تقودها أمريكا وبريطانيا وإسرائيل، ويتعاون فيها كافة دول الناتو الأوروبية وروسيا وحلفاء أمريكا في المنطقة وعلى رأسها الهند وتركيا و الباكستان وحكام البلاد الإسلامية. كل هذا وسط صمت وبلادة دولية مخيفة.

5. توسيع حلف الناتو ورفع شعارات الحملات الصليبية:

عقد حلف الناتو مؤتمره في شهر 11 -2002م برئاسة بوش ورؤساء 19 دولة أوروبية من أجل ضم عدة دول من أوروبا الشرقية، بعد أن عرض ضم روسيا في مؤتمر آخر قبيل بضعة أشهر. حيث صرح (أثنار) رئيس وزراء أسبانيا (اليميني الصليبي) خلال الحفل بأن دخول روسيا في الحلف يعزز الهوية والروح العقائدية للحلف، في إشارة واضحة إلى التوجه الصليبي.

وهكذا يتجهز العالم الصليبي اليوم برئاسة أمريكا وعضوية أوروبا الغربية ومن لحق بهم من أوروبا الشرقية لبدء المرحلة الرئيسية من الحملات الصليبية الثالثة التي ابتدأت عام 1990م بحرب عاصفة الصحراء، بعد تفكيك الإتحاد السوفيتي.حيث يتحرك الناتو بزعامة أمريكا في هذه الحملة نحو الشرق الأوسط بعد أن وصل عدد أعضائه مطلع (2004م) ليصل أعضاؤه إلى 26 دولة، معظمها أوربية.

6. توسيع الإتحاد الأوروبي على أسس صليبية أيضا:

وذلك بإدخال باقي دول أوروبية الشرقية فيه تدريجيا. واللافت للنظر أيضا، إبراز الهوية المسيحية للإتحاد الأوروبي برفض عضوية تركيا في الحلف رغم استجدائها على بابه لعدة سنوات. ورغم علمانية حكومتها وذلك لأن شعبها مسلم. فقد أرجأ الإجتماع الأخير للإتحاد خلال شهر 12-2002م برئاسة (الدانمرك)، بحث عضويتها إلى أواخر 2004م. وقد أوجز الرئيس الفرنسي الأسبق (ديستان) السبب بصراحة بقوله: (إن الإتحاد الأوروبي يضم دولا مسيحية، وإننا إن قبلنا تركيا فيجب أن نتساءل عن حدود أوروبا). وقد أصبح تعداد سكان دول الإتحاد الأوربي الآن 450 مليون نسمة !

7. انطلاق البرنامج اليهودي التلمودي الكبير:

برعاية شارون الذي يتحرك في حالة من وحدة الصف السياسية والدينية و الاجتماعية في إسرائيل حول هذا المشروع، الذي يشتمل على هدم المسجد الأقصى، وطرد ما تبقى من العرب الفلسطينيين بعد إحداث مجازر مروعة فيهم كما ينبئ بعض ما يتسرب من أخبار.

فقد جاء اليهود بشارون الذي رئس حكومة وحدة وطنية من أجل مواجهة الإنتفاضة التي انطلقت بشراسة وانتقلت إلى المواجهة المسلحة لليهود، منذ عام 2000م، وتبنت أسلوب العمليات الاستشهادية التي أودت بأكثر من400 قتيل ومئات الجرحى من اليهود عبر نحو سبعين عملية استشهادية حتى الآن .

وتجري هذه الأيام سلسلة من المجازر الرهيبة للفلسطينيين على يد الجيش اليهودي وسط دعم أمريكي علني، وأوروبي مبطن، وصمت دولي مخز. وتعاون عربي خياني ولاسيما من حكومتي الأردن ومصر. ويبدو التناغم كاملا بين المشروع الصهيوني الذي يقتضي حضورا أمريكيا وصليبيا كبيرا من أجل دعم التحرك العسكري للجيش الإسرائيلي قليل العدد. وبين المشروع الصليبي الذي يقتضي تعاونا إسرائيليا على الصعيد العسكري، ودعما يهوديا عالميا على الصعيد المالي والسياسي والإعلامي.

8. انعدام أي معارضة دولية لهذه الهجمة والغطرسة الأمريكية الصفيقة:

اللهم إلا شذرات تنطلق على استحياء من بعض الدول مثل الصين وألمانيا وفرنسا وبعض المواقف الروسية بين الحين والأخر. مواقف يمكن اعتبارها تمثيليات دبلوماسية، ومظاهر تململ وإثبات وجود، وسعي لحصة أكبر في قصعة المسلمين التي تشرف أمريكا على توزيع حصصها، أكثر من حملها على محمل الجد. والأدلة كثيرة ولايتسع المجال للاستفاضة بمزيد من التحاليل السياسية هنا.

أحوال العرب والمسلمين في ظل هذا الوضع الدولي بعد أحداث سبتمبر :

1. على الصعيد الرسمي لحكومات الدول العربية والإسلامية

فقد لخصت آخر مؤتمرات للقمة العربية والإسلامية في ظل عالم ما بعد سبتمبر الحال بكل وضوح. فقد انفض المؤتمرون من كل تلك الإجتماعات المخجلة،بعد طول خلاف ولسان حال الأمة يقول:

لا يلام الذئب في عدوانه

إن يك الراعي عدو الغنمِ

فأما مؤتمر القمة العربية الشهير عام 2002، فكان أبرز ما فيه وفي أهدافه:

تبني الدول العربية لمبادرة ولي العهد السعودي (الأمير عبد الله بن عبد العزيز)، والتي عرض فيها على إسرائيل تطبيعا عربيا كاملا، مقابل انسحابها من الأراضي التي احتلتها سنة 1967.

وقد جاء رد إسرائيل مبكرا حتى قبيل انفراط اجتماعات المؤتمر. فقد اقتحم الجيش الإسرائيلي الضفة الغربية وأعاد احتلالها ! ونفذ مجازر واسعة طالت البنية الإدارية والأمنية للسلطة الوطنية الفلسطينية،والبنية التحتية للمنظمات الفلسطينية مخلفة مئات الضحايا الأبرياء وآلاف الأسرى. كما دمرت مخيمات بكاملها.

وأما عن مبادرتهم فقد قبلت إسرائيل نصفها وهو التطبيع. ورفضت نصفها وهو الانسحاب المطلوب مقابل ذلك. وأحرجت صاحبها عبد الله ومملكته السعودية، وذلك بطلبها منه أن يزور إسرائيل أو يسمح لرئيسها أن يزوره في السعودية لمناقشة المبادرات إن كان جادا !!.

وأما مؤتمر قمة منظمة الدول الإسلامية الذي تلاه بعد وقت قصير، فعدا عن ترحيبه بوفد أفغانستان الجديد من المرتدين والعملاء الذين عينتهم أمريكا، فقد خرج المؤتمر بمقررات شبيهة ومن ذلك:

- تأييد المبادرة السعودية التي صارت عربية من أجل التطبيع مع اليهود والتنديد الأجوف بعدوان اليهود، دون طرح أي مقابل لذلك.
- خذلان فلسطين والقدس وعدم تقديم أي مشروع جدي لأجلها.
- تأييد الحملة الأمريكية لمكافحة الإرهاب والتأكيد على أن الإسلام الذي يمثله الحكام المرتدون لأكثر من 52 دولة إسلامية ينبذ (العنف والإرهاب)، وهو المسمى العالمي الجديد للجهاد وحق المقاومة!.

وما يزال الوضع العربي والإسلامي في تدهور منذ سبتمبر 2001..

فقد وضعت الدول العربية والإسلامية ولاسيما تركيا و الباكستان ودول الخليج والأردن أراضيها وبحارها وسماءها وجيوشها في خدمة الحملة الأمريكية البريطانية لاحتلال العراق. حيث تدفق مئات آلاف الجنود ومئات الطائرات وحاملاتها والبوارج والسفن والمعدات الحربية إلى المنطقة. وسط إعلانات أمريكية عن ضرب إيران وسوريا ولبنان وتقسيم السعودية والتجهيز لنزع سلاح الباكستان.. ووصلت الصفاقة و الابتزاز، أن تسرب أمريكا معلومات عن نيتها الاستيلاء على جميع الودائع المالية للحكومة و المواطنين السعوديين في البنوك الأمريكية. وهي مبالغ خرافية من مرتبة مليارات المليارات من الدولارات، وذلك بدعوى دعم الإرهاب.

ولم تزد هذه الأحوال الحكومات الإسلامية إلا انبطاحا وارتماء على أعتاب باب البيت الأبيض.. ثم استضافت قطر قيادة القوات الأمريكية التي نقلت من فلوريدا إليها، وأدارت أمريكا غزو العراق من أراضيها.. وأما الجيش الأردني فقد أجرى مناورات عسكرية مع أربع آلاف جندي أمريكي في المنطقة الممتدة من خليج العقبة إلى حدود العراق قبيل الغزو بقليل. ثم تكشفت الأنباء عن عبور القوات الأمريكية للعراق من غربه عبر الأردن !... وقد أيدت دول الخليج كاملة الحرب عمليا ساعدت فيها، وتغيب معظم رؤسائها عن مؤتمر مجلس التعاون الخليجي قبل أيام منها في قطر، تهربا من مسؤولية المواقف المعلنة. ووضعت الكويت 60 % مساحتها الشمالية كمنطقة عسكرية أمريكية

للتدريب والخدمات اللوجيستية للجيش الأمريكي البريطاني !!حيث عبر منها أكثر من 1400.000 جندي أمريكي بالإضافة إلى 45.000 جندي بريطاني. وترك ثلثها الباقي لاستراحة و استجمام الجنود .. وطار بشار الأسد رئيس سوريا إلى لندن والعواصم الأوروبية ليطمئن على حفظ عرشه من الاهتزاز وسط زلازل حرب العراق ونيران الإنتفاضة في فلسطين.. وحركت إيران المعارضة الشيعية العراقية بين طهران ولندن وواشنطن.. و تابعت باكستان كسائر حكومات البلاد الإسلامية تصيد المجاهدين العرب والطالبان وتسليمهم لأمريكا..

ثم غزت أمريكا العراق، ودخلت عاصمة الرشيد، ودخل جنودها فيها وتبروا ما علو تتبيرا..، ثم أعلنت أمريكا وضع العراق تحت الإحتلال بتأييد من أوربا، وترخيص دولي من مجلس الأمن ! ثم عينت فيه حكومة عميلة، وفرضت الاعتراف بها قسرا على الدول العربية، والجامعة العربية !

ثم استدعى بوش رئيس تونس (بن علي) إليه فيل انعقاد القمة العربية برئاسة بلاده بشهر، وأملى عليه الأوامر الأمريكية لينقلها لباقي أمثاله من الرؤساء العرب ! ثم اجتمع وزراء الخارجية العرب و تشاجروا، بسبب عدم تنسيق مواقفهم تجاه إملاءات بوش، ثم اجتمع مؤتمر القمة العربي 2004، تحت ضغط الشارع العربي ليتمخض عن الفراغ المنتظر، فتمخضوا ولو يلدوا لنا حتى فأرا !!

وهكذا أعلن النظام العربي إفلاسه، ليتابع كل زعيم لهاثه على حده وهرولته خلف إدارة بوش ! والعامل المشترك بين الجميع هو السباق في مكافحة الإرهاب إرضاء لأمريكا وسيد البيت الأبيض.

وها نحن نشارف على نهايات 2004، وما تزال الإستخبارات العربية والإسلامية تعمل جنبا إلى جنب مع ضباط الـ (FBI) والـ (CIA) الأمريكية، في مكافحة إرهاب الإسلام والمسلمين، من سوريا إلى مصر إلى المغرب إلى الجزائر إلى تونس إلى السودان إلى جزيرة العرب..إلى باقي بلاد المسلمين.. الكل

في خدمة أمريكا اليوم.. ويحتاج استقصاء تأريخ وتسجيل ما يجري إلى مجلدات كثيرة...

2. وأما على صعيد الصحوة الإسلامية:

فالمتـابع لأخبارهـا وأخبـار قادتهـا وأحزابهـا وشـبابها وصـحفها.. لا يكـاد يـرى إلا الجدليات، والقيل و القال في مجالسـهم ونـدواتهم ومقـابلاتهم عـلى الفضـائيات. واسـمع عجبا من تفسيرات نصـوص الـدين في نبـذ الإرهـاب، مـع شيء مـن نقـد الأمريكـان عـلى استحياء، والتنويه والتعـريض بحكـام المسـلمين، مـع شيء مـن الطبطبـة عـلى أكتـافهم و مراعاة مشاعرهم. وفتش عن قيادات الصحوة في مقاعد البرلمانـات المشركـة المشرعـة مـن دون اللـه. وفي مناصب الوزارات في حكومات الكفر الحاكمة بغير ما أنزل اللـه، الخائنـة لله ورسوله و المؤمنين. وتوقف أمام أعـذار هـؤلاء الـدعاة (الإسـلاميين الـديمقراطيين !)، و دعاوى الإصلاح والتدرج والتريث والتعقل. لتتذكر قول المتنبي:

يرى الجبناء أن العجز عقلٌ

وتلك خديعة الطبع اللئيمِ

وتابع مقابلاتهم على شاشات التلفزيون، وفتش في ثناياهـا عـن كلمـة حـق تـتلجلج وقد أذابوها في برميل من الكلام الفارغ والتدليس والنفاق.. حتى لا تحسب علـيهم دعـما للإرهاب. فأمريكا بالمرصاد. وأجهزة الرقابة والإستخبارات يحصون الأنفاس، ويكشفون عن الخواطر وراء الكلـمات، وينبشـون الأسرار مـن قعـر الصـدور. والتهمـة جـاهزة..أصـولية، فتشدد، فتطرف، فتأييد للإرهاب. فانتماء للقاعدة!!

وهناك تقع الواقعـة ! فتجمـد الحسـابات في البنـوك. والـدماء في الشرايـين. وتـذاب الأجساد تحت سياط الجلادين. ويعاد تجميعها على كهرباء أجهزة التعذيب المستوردة..

وما لأحد بهذا الإعصار الأمريكي الهـائج لمكافحـة الإرهـاب اليـوم قبـل ولا طاقة. ولا تكفي لحية الداعية المقصوصة إلى ما قبل حد النتف بقليل، ولا قبتـه

البيضاء، ولا (الكرافتة) الأوروبية و البدلة الأنيقة على الطراز الغربي الحديث، ولا المشاركة في الديمقراطية والدعوة إليها، لإثبات الإعتدال !

فعملاء أمريكا واستخباراتهم بالمرصاد على كل حال. والدين عند قيادات الصحوة يسر.. إلى حد ما قاله الشاعر:

(وهذا الدين لفرط يسره...قد احتوى مسيلمة). ويتسع عندهم لما يعرضون منه ملفقا تحت دعوى الإعتدال وأعذار الحنكة السياسية وآخر الإختراعات.. (الشفافية) !!

و(احترام الآخر) !!. من غير أن يفهمونا من هو هذا الآخر؟!

3. وأما أحوال الأمة الإسلامية وشعوبها بعد سبتمبر:

فمن المفارقة أني سمعت فيما كنت أكتب بعض أوراق هذا الكتاب أصوات إطلاق الرصاص و انفجارات الألعاب النارية والموسيقى والصياح.. وتحيرت لأنه لا يتوقع أن تكون القدس قد تحررت فجأة!!.. أو أن الهند قد انسحبت من كشمير ! ونزلت استطلع الخبر.. لقد كانت احتفالات (المسلمين) بدخول السنة النصرانية الجديدة 2003م! إنه عيد رأس السنة الميلادية. لقد دقت الساعة الثانية عشر، وجن جنون البقر !

ودخلت صبيحة السنة الجديدة. ولا شك أنها كانت ليلة حفلات ورقص وخمر ودعارة لملايين (المسلمين) ! ولا شك أن حكوماتهم وأجهزة إعلامهم قد قدمت لهم كل وسائل الفساد ومستلزماته.

وباختصار.. لا تشير وقائع المسلمين هذه الأيام إلا إلى مزيد من التيه والضياع والهزيمة والبوار..

ولولا الأمل باللـه تعالى، وما وعد رسوله صلى اللـه عليه وسلم وما بشر. وذلك حق ولا ريب. لانقطع الرجاء، وانطفأ الأمل. ولكنها نعمة اللـه وأمل الإيمان.

فما أدري واللـه ما الذي يلزم هذه الأمة بعد حتى تتحرك للجهاد ؟!

فماذا أكثر من استغاثة القدس ونداء مسجدها الأقصى ؟! وماذا أكثر من انتفاضة الأقصى وما قدمت ؟! وماذا أكثر من أفغانستان وما أعطت ؟! وماذا أكثر من أخبار الشيشان وما أبلت ؟! والبوسنة وكوسوفو وما عانت ؟ وما تضعه وسائل الإعلام في كل بيت من أخبار البلاء في المسلمين في كل مكان؟!

وماذا يهز كيان الأمة ويحرك وجدانها أكثر من دوي انفجارات سبتمبر؟!.. ومشهد صقور الإسلام وشهدائه يمزقون رمز استكبار أمريكا وجبروتها ويقتحمون نيران الانفجار بأجسادهم الطاهرة ؟ وماذا أكثر من مشهد خمسة وعشرين صبية من نساء وأرامل الشيشان في عمر الورد، وقد حزمن المتفجرات على أجسادهن.يجاهدن في قلب موسكو ؟

وماذا يثير الوجدان أكثر من صور أطفال فلسطين تقل أعمار بعضهم عن السادسة من العمر، يواجهون الدبابات ويجرون خلف جنود اليهود ؟ وماذا أكثر من مشاهد الإنزالات الأمريكية والبريطانية العسكرية الحاشدة في بلاد المسلمين والإعلانات عن تدمير العراق وبرامج احتلال البلاد والعباد؟ ! وماذا؟! وماذا؟

ماذا أكثر من مشاهد الموت والدمار والخزي والمصائب تضعها شاشات التلفزيون في كل بيت من بيوت المسلمين. فيشاهدونها ويتنقلون بينها وبين الأفلام الخليعة والرسوم المتحركة وعروض الأزياء ومباريات الرياضة...وحفلات الرقص والموسيقى ودورات مسابقات الـ (ستار أكاديمي)؟!..

لقد ماتت النفوس.. وتعفنت الضمائر.. ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾.

فالشارع الإسلامي بليد.. ساكن إلا من بعض المظاهرات هنا وبعض صياح الشجب هناك، ولم تبد بعد بوادر الحركة، والأمل في موعود اللـه كبير، ولعله يتحقق ما يتخوف منه الفراعنة وينذرون منه أمريكا اليوم من أن غزوها للعراق وحملاتها العسكرية والأمنية ستخصب تربة الإرهاب على حد زعمهم.

فنسأل اللـه أن يصدق فألهم ويخيب مسعاهم.

ومن باب الإحاطة بتوصيف واقع المسلمين، يجب أن نذكر أن بذور للمقاومة تنتعش هنا وهناك على شكل عمليات محدودة ومبادرات فردية شرقا وغربا.

قليلة هي المبادرات ! ولكن الاستياء عارم والجو مشحون، والمناخ الثوري يسخن، ويبشر بوصوله لحرارة الجهاد، بفضل اللـه ثم بفضل جبروت الأمريكان وشراسة حقد اليهود، وجشع الحملات الصليبية وبفضل انكشاف عورات الفراعنة وسقوط آخر أوراق التوت عنها.

هذه الصحوة النخبية شمس الأمل ; شمس يكاد لم يبق من الدليل على بزوغها الأكيد إلا أنوار فجر البشائر الصادقة. وبصيص لمعان الأمل في صفحات الوعي هذه لا شك (وَعَدَ اللـه الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور:55) ، وصدق اللـه العظيم: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) (القصص: 5).

فقد قارب حال الصابرين ما يبشر بالفرج: (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) (يوسف: 110).

فخلاصة واقع الأمة اليوم هو ما قدمنا وسط دوامة فساد الصليبيين في الأرض وعلو اليهود الكبير فيها. (وَاللـه غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (يوسف: 21).

4. أحوال الجهاديين بعد سبتمبر:

فالتيار الجهادي بكامل طيفه على صعيد الجماعات والقيادات والرموز والأفراد.. بل وكل مؤيد ومناصر، يمرون في هذه الأيام بأشد محنة مرت على التيار الجهادي المعاصر منذ انطلاقه قبل أربعين عاما، وذلك بسبب الحملة الظالمة التي تشنها أمريكا تحت شعار (مكافحة الإرهاب).

لقد مرت جماعات جهادية عديدة عبر مسيرها بأزمات وملاحم ومصائب بالغة الشدة، من قبيل ما حصل في سوريا وتونس وليبيا والجزائر ومصر وغيرها، ولكن محنة الحرب العالمية الحالية على الإرهاب، كما يسمونها، تختلف من حيث اتساعها وزخمها وحجم خسائرها. فقد افتتحتها أمريكا، و جيشت لها حلفاءها من دول الناتو وغيرهم من الكفار، ومن قوى الردة المتمثلة بحكام المسلمين وأجهزة قمعهم. لقد وصلت هذه الحملة إلى ذروتها بعد أحداث سبتمبر. حيث دمرت أمريكا الإمارة الإسلامية في أفغانستان، التي شكلت الملاذ الأخير لنخبة الجماعات الجهادية وكوادرها. حيث قتل المئات من كوادر التيار الجهادي في معركة الدفاع عن الإمارة. ثم أتبعت أمريكا ذلك بأسر أكثر من 600 مجاهد من مختلف البلاد العربية، في باكستان ونقلتهم إلى سجونها. كما ألقت القبض بالتعاون مع حلفائها من الكفار والمرتدين في بلاد المسلمين وغيرها على عدة مئات أخرى، وأدرجت على قائمة الإرهاب عشرات الجماعات الجهادية من مختلف بلاد المسلمين، لتطارد عناصرها في كل بلاد الدنيا، حيث دخل من تبقى من عناصر الجهاديين ولاسيما رموزه وقياداته وقدماء كوادره في حالة من الشتات والتشريد والمطاردة بفعل أكبر حملة أمنية عالمية يشهدها التاريخ، حتى صاروا إلى حال يذكر بما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين في آخر الزمان بقوله (ثم يفشوا الظلم حتى لا يجد المؤمن ملجأ يؤوي إليه). واستقصاء تفاصيل ما حل من نكبات وعناء بالمجاهدين الذين وقفوا لأمريكا وحلفائها بالمرصاد يدافعون عن هذه الأمة ودينها، يحتاج إلى مجلد كبير يروي أروع قصص الثبات والتضحيات والعناء التي نزلت بهم وبنسائهم وأطفالهم و ذويهم وبكل من آواهم ومد يد العون إليهم.

ولا يسمح المجال هنا بالسرد والإطالة. وعلى كل حال فلسان حال من تبقى يلهج بالثبـات والعزم والتحدي..

الفصل الثاني

أحكام شرعية في هذا الواقع

قال الـلـه تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأنعام:55)

وقال الـلـه تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ الـلـه مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ ﴾ (آل عمران:187)



الفصل الثاني

أحكام شرعية في هذا الواقع

نعتقد باختصار أن أحكام الشريعة تقرر أن الجهاد يكون فرض عين على كل مسلم في مثل هذا الواقع اليوم. هذا ما تقرره أحكام الشريعة.

كما أن العقل والمنطق والفهم السليم يدل على أن (الجهاد المسلح هو الحل) من أجل وضع حد لأزمات هذا الواقع.

فأما الأدلة الشرعية على ذلك فهي أوضح من عين الشمس كما سنبين إن شاء الله. فالجهاد فرض عين اليوم على كافة المسلمين من وجوه كثيرة. ولا نورد الأدلة العقلية والمنطقية على ذلك إلا من باب التأكيد، وإفحام من لا تكفيه الأحكام الشرعية للقناعة – والعياذ بالله – و إلا فالمقرر من أساسيات العقيدة أن لا رأي مع رأي الشرع، ولا اختيار مع اختيار الله ورسوله كما قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللـه وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللـه وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً) (الأحزاب:36)

هذه هي الحقيقة: فالمقاومة العامة لهذا الإحتلال الأجنبي الكافر، وهذه القوى المرتدة المتعاونة معه والرازحة على صدور المسلمين، هي فرض واجب تقرره الشريعة الإسلامية، وحقيقة يقتضيها العقل السليم. كما هو الحال في كل أمر حيث تتوافق أدلة الشرع القويم مع مقتضى العقل السليم في كل زمان ومكان.

فهناك أحكام شرعية هامة تتعلق بواقع المسلمين اليوم يجب على علماء الإسلام وقيادات الصحوة والجهاد بيانها للناس، نذكر هنا أهمها بغية الإختصار، تاركين تفصيل أداتها إلى الجزء الثاني من هذه الموسوعة.

فإن من أهم ما تقرره الأدلة الشرعية من أحكام في واقع المسلمين اليوم ما يلي:

أولاً: بلاد الإسلام اليوم في حالة احتلال مباشر أو غير مباشر من قبل الأعداء. وجهادهم فرض عين على المسلمين بالإجماع.

ثانياً: حكومات بلاد المسلمين اليوم مغلوب على أمرها.

وتوجب قتاله.

ولنتناول هذه الأحكام بشيء من التفصيل في أدلتها:

أولاً: بلاد الإسلام في حالة احتلال وعدوان وغزو من قبل الأعداء، وجهاد الغزاة اليـوم فرض عين على المسلمين بالإجماع:

كما أثبتنا في الفصل الأول تحت عنوان (واقـع المسـلمين اليـوم) فإنـه قـد صـار مـن المسلم به اليوم لدى كل عاقل مبصر،أن بلادنا كلهـا مـن أقصـاها إلى أقصـاها محتلـة إمـا مباشرة من قبل الأعداء. وإما بالنيابة من قبل نوابهم المرتدين،مع تواجد عسـكري كثيـف للصليبيين بانتشار قواعدهم في جميع أرجائهـا.مـع احـتلال اقتصـادي كامـل عـبر سـيطرة الاحتكارات الإقتصادية.وبانتشار شبكات استخباراتهم ومراكزهم الأمنية.

وهاهي أمريكا اليوم تعيـد احـتلال العـالم الإسـلامي مـن جديـد جهـارا نهـارا. فقـد احتلت أفغانستان مباشرة. وبسطت سـيطرتها عـلى باكسـتان ووسـط آسـيا. وهـاهي قـد احتلت العراق، ووزعت مئات آلاف الجنود في جزيرة العرب وتركيا وجنوب الشـام فضـلا عن مـا تـنشره في مصر والقـرن الإفريقـي وشـمال أفريقيـا ومـا حـول هـذه المنـاطق مـن بحار.وهاهو بوش يعلن أنه يقود على بلاد المسلمين حملة صليبية ومعه حلفائه في حلف الناتو من الـبلاد الأوروبيـة بالإضـافة للحليـف الـرئيسي (إسرائيـل) التـي تحتـل فلسـطين، وتستعد لهدم المسجد الأقصى وطرد من تبقى فيها من المسلمين.

فما حكم الشريعة في مثل هذه الأحوال؟ وماذا تفرض أحكام الدين على كـل مسـلم تجاهها؟

الجهاد عبادة وفريضة، فرضها اللـــه عـلى المسـلمين. وهـي ثابتـة بتـواتر الآيـات في كتاب اللـه والأحاديث في سنة رسول اللـه صلى اللـه عليـه وسـلم بمـا يغنـي عـن إيـراد الشواهد هنا، فهي أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر.

أولاً: فقهاء الحنفية

قال ابن عابدين في حاشيته ج3 ص238:[وفرض عين إذا هجم العدو على ثغر من ثغور الإسلام، فيصير فرض عين على من قرب منه. فأما من ورائهم ببعد من العدو فهو فرض كفاية إذا لم يحتج إليهم. فإن احتيج إليهم بأن عجز من كان بقرب العدو عن المقاومة مع العدو. أو لم يعجزوا ولكنهم تكاسلوا، ولم يجاهدوا، فإنه يفترض على من يليهم، فرض عين كالصلاة والصوم، لا يسعهم تركه، وثم وثم، إلى أن يفترض على جميع أهل الإسلام شرقا وغربا على هذا التدريج] إهـ.

.وبمثل هذا أفتى الكاساني في بدائع الصنائع ج7 ص72. وكذلك ابن نجيم في البحر الرائق ج5 ص191. وكذلك ابن الهمام في فتح القدير. من أئمة الأحناف.

ثانياً: عند المالكية

جاء في حاشية الدسوقي. الجزء الثاني ص 174:[ويتعين الجهاد بفجئ العدو: أي توجه الدفع بفجئ (أي مفاجأة) على كل واحد وإن امرأة أو عبداً أو صبياً، ويخرجون ولو منعهم الولي والزوج ورب الدين].

ثالثاً: عند الشافعية

جاء في نهاية المحتاج للرملي. في الجزء الثامن الصفحة 58: [فإن دخلوا بلدة لنا، وصار بينهم وبيننا دون مسافة القصر، فيلزم أهلها الدفع، حتى من لا جهاد عليه، من فقير وولد وعبد ومدين وامرأة].

رابعاً: عند الحنابلة

جاء في المغني لابن قدامة في الجزء الثامن الصفحة 345: [ويتعين الجهاد في ثلاث مواضع:

1. إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان.
2. إذا نزل الكفار ببلد يتعين على أهله قتالهم ودفعهم.

3. إذا استنفر الإمام قوما لزمهم النفير.].

يقول ابن تيمية في الجزء الرابع من الفتاوى الصفحة 608: (إذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب، إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير أليه بلا إذن والد ولا غريم ونصوص أحمد صريحة بهذا).

قال اللـه عز وجل:(انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللـه ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (التوبة:41)

وقد جاءت الآية قبلها ترتب العذاب والاستبدال جزاءا لترك النفير، ولا عذاب إلا على ترك واجب أو فعل حرام، قال تعالى في سورة التوبة الآية 39: (إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللـه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

قال ابن كثير رحمه اللـه: أمر اللـه تعالى بالنفير العام مع رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم عام غزوة تبوك لقتال أعداء اللـه من الروم الكفرة من أهل الكتاب وقد بوب البخاري رحمه اللـه:(باب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية) وأورد هذه الآية، وكان النفير العام بسبب أنه ترامى إلى أسماع المسلمين أن الروم يعدون على تخوم الجزيرة لغزو المدينة. فكيف إذا دخل الكفار بلاد المسلمين، أفلا يكون النفير أولى؟ قال أبو طلحة رضي اللـه عنه في معنى قوله تعالى{خفافا وثقالا}، كهولا وشباب ما سمع اللـه عذر أحد) الجزء الثاني ص144. من مختصر تفسير ابن كثير، وقال الحسن البصري: في العسر واليسر.

ويقول ابن تيمية في الجزء 28 ص 358 (فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين، فإنه يصير دفعه واجبا على المقصودين كما قال تعالى: ﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ (الأنفال: 72). كما أمر النبي صلى اللـه عليه وسلم بنصر المسلم سواء كان الرجل من المرتزقة للقتال أو لم يكن، هذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله مع القلة والكثرة و المشي و الركوب، كما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق. لم يأذن اللـه في تركه لأحد) وقال الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى

عينيه، فقيل له إنك لعليل، فقال (إستنفر اللـه الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع) رواه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج8 ص150.

قال صلى اللـه عليه وسلم (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا) رواه البخاري فيجب النفير إذا استنفرت الأمة. وفي حالة هجوم الكفار فالأمة مستنفرة لحماية دينها. ومدار الواجب على حاجة المسلمين و استنفار الإمام. كما قال ابن حجر في شرح هذا الحديث، جاء في فتح الباري الجزء (6- ص20)، قال القرطبي (كل من علم بضعف المسلمين عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضا الخروج إليهم). قال الإمام الجصاص في أحكام القرآن ج1 ص242:(لا نعلم خلافا أن رجلا لو شهر سيفه على رجل ليقتله بغير حق. أن على المسلمين قتله). وفي هذه الحالة – الصيال – إذا قتل الصائل فهو في النار ولو كان مسلما، وإذا قتل العادل فهو شهيد. هذا حكم الصائل. فكيف إذا صال الكفار على أرض المسلمين، حيث يتعرض الدين والعرض والنفس والمال للذهاب والزوال؟! ألا يجب في هذه الحالة على المسلمين دفع الصائل الكافر والدولة الكافرة.

1. قتال الفئة الباغية: يقول اللـه عز وجل ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللـه فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللـه يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات:9) فإذا فرض اللـه علينا قتال الفئة الباغية المسلمة حفاظا على وحدة كلمة المسلمين وحماية دينها وأعراضها وأموالها. فكيف يكون الحكم في قتال الدول الكافرة الباغية؟ أليس هذا أولى وأجدر.
2. حد الحرابة: قال تعالى:﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللـه وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة:33) هذا حكم المحاربين من المسلمين الذين يخيفون عامة المسلمين ويفسدون فى الأرض ويعبثون بأموال الناس وأعراضهم، فكيف

بالدول الكافرة التي تفسد على الناس دينهم ومالهم وعرضهم، أليس قتالها أوجب على المسلمين وأحرى؟!.

هذه بعض الأدلة والمبررات للنفير العام، إذا دخل الكفار أرض المسلمين، أن دفع العدو الكافر هو أوجب الواجبات بعد الإيمان.] انتهى النقل عن كتاب الدفاع عن أراضي المسلمين. باختصار طفيف.

وأقول: فإذا تأملنا أحوال المسلمين اليوم. لوجدنا أن الجهاد قد تعين عليهم من الوجوه الأربعة. في كل الأرض. وأوضح وجوه فرضيته هو الباب الأول (وهو نزول الأعداء في أكثر بلاد المسلمين).

فما من بلد من بلاد المسلمين اليوم، إلا وهو محتل من قبل أنواع الكفار، من اليهود كبلاد فلسطين وأجزاء من بلاد الشام، أو من قبل الصليبين، كبلاد البوسنة والبلقان، و الشيشان و القفقاس، والجمهوريات الإسلامية في وسط آسيا والفلبين... وغيرها. أو من قبل الوثنيين مثل كشمير التي يحتلها الهندوس وتركستان الشرقية وأجزاء من جنوب شرق آسيا التي تحتلها الصين...وغير ذلك.

وكل هذه البلاد قد عجز أهلها ومن جاورهم، ثم من جاورهم. ثم جميع من تلاهم وجاورهم، عجزوا أو تكاسلوا أو فرطوا. فعمت الفريضة العينية بالجهاد كل أهل الإسلام.

وأما باقي البلاد الإسلامية والعربية. بما فيها عقر دار الإسلام و كعبتهم، ومسجد نبيهم صلى الله عليه وسلم. فمحتلة بصورة غير مباشرة من قبل الصليبيين واليهود، بنيابة الحكام المرتدين، وأعوانهم المنافقين الذين وضعوا جيوشهم في خدمة الكفار. بزعامة أمريكا وسيدتها إسرائيل وحلفائهم الصليبيين، الذين ملؤوا البلاد بالقواعد العسكرية البرية والبحرية والجوية. واحتلوا البلاد بهذه الطريقة الحديثة، بتجميع قواتهم فيها في قواعد مركزة، بدل نشرها، واكتفوا بنشر المرتدين لجيوشهم من المنافقين و الجهال والمكرهين والضائعين... الذين يقومون بدور المحتل بالنيابة، حيث يخرج الصليبيون قواتهم

من مراكزها وقت الحاجة. ويكفى أن نعلـم أن لأمريكـا وحلفـائهم الصـليبيين فـوق أرض جزيرة العرب أكثر من مائتي ألف جندي.وسلاحا وعتادا مخزنا يكفي لمليون جندي، يمكن نقلهم خلال أسابيع وقت الحاجة... وبهذه الطريقـة الخبيثـة. بتجميـع القـوات في قواعـد مركزية، والاعتماد على قوات المرتدين في الخـدمات التفصـيلية. يتفـادى المحتلـون الجـدد استفزاز المسلمين للجهاد. ويسمحون للحكام المرتدين بادعاء الإستقلال. ولعلماء السلاطين بصرف الناس عن الجهاد ودعوتهم لطاعة أولياء الأمور المرتدين!

فالمآل واحد، فالبلاد محتلة، والثروات منهوبـة، والكـافرون يسـومون المـؤمنين ألـوان الذل والهوان على أيدي أعوان المرتدين، وشريعة اللـه معطلة، وكلمة الكفار هـي العليـا، والصالحون نزلاء السجون وأقبية التعذيب. والناظر في أحوال بلاد الحـرمين والشـام ومصر وشمال أفريقيا وتركيا و الباكستان وأفريقيا وأسبابها يرى ذلك بأوضح صوره.

وأما إذا جئنا للبند الثاني من فريضة الجهاد العينـي. وهـي (التقـاء صـف المـؤمنين بصف الكافرين). لوجدناها متحققة في كل بلاد المسلمين بـأشرس صـورها، ولكـن بصـورة خبيثة أيضا، فقد نشر الكافرون الصـليبيون، والكفـار المرتـدون، قـواتهم ورصـوا صـفوفهم وأكدوا حضورهم في كل شبر من بلاد المسلمين. عـبر مئـات الآلاف مـن الجـيش والشرطـة والإستخبارات ورجال الأمن والجواسيس والمخبرين...ناهيك عمن ذكرنـا مـن آلاف الجنـود الصليبيين المجمعين في مراكزهم وقواعدهم العسكرية في كل بلد. بحيث أنه ما من مسلم يقف موقف الدفاع عن دينه والالتزام به والدفاع عن قضايا أمته، إلا وتخطفته أيدي تلك العساكر و ترصدته عيون أولئك الجواسيس!! فهل التقى صف الكافرين بصف المؤمنين أم ليس بعد؟ أم يحتاج مشايخنا حتى يبصروا ذلك ويفتون به، أن يتجمع كل أولئك العساكر والمخابرات والجواسيس في صف واحد أمام المساجد وأمام أبوب بيوتهم؟!

وأما إذا جئنا للوجه الرابع من فريضـة الجهـاد العينيـة وهـو (إذا أسر العـدو بعـض المسلمين)، فماذا نقول؟ وماذا نعيد؟ وأين نعد؟ وماذا نزيد؟

- فأسرى الشباب المسلم المخطوف من مختلف بلاد الدنيا إلى سجن غوانتانامو الأمـريكي المخزي قد جاوز اليوم 700 أسير من مختلف الجنسيات بحسب المصـادر الأمريكيـة ذاتها.ومثل هذا العدد في السجون الأمريكية في أفغانستان وباكستان.
- وأكثر من هذا العدد مجموع أسرى الشباب المسلم في سجون أوروبا الغربية(بريطانيا- فرنسا- أسبانيا- ألمانيا- بلجيكا-إيطاليا-...).
- (وأما في روسيا فبالآلاف. وقل مثلها في كشمير والفلبـين و إرتريـا وبـلاد إفريقيـا. وبـلاد وسط آسيا وبلاد التركستان..).
- وأما عن فلسطين فالأخبار العالمية تطالعنا في كل يوم عن قتل المئات وأسر الآلاف. فقد أسر اليهود في يوم واحد من أيام الإنتفاضة أكثر من ألف أسـير.! وقـد طـال الأسر في عموم تلك البلاد النساء والفتيات وحتى الأطفال.
- وأما عن حوادث القتل والتعذيب والاغتصاب وهتك أعراض الرجال والنساء. فـلا تكـاد تخلوا بلد منها!! فهل وجب الجهاد أم لم يجب بعد؟! وعلماء المسلمين قد أفتوا بأنه إذا سبيت امـرأة مسـلمة في المشرق وجـب عـلى أهـل المغـرب تخليصـها. وأن عـلى المسلمين إنقاذ أسراهم ولو استنفذوا في ذلك جميع أموالهم.

ولعل بعض المنافقين أو بعض الجهال، ينفي حالة الإحتلال عن بعض بلاد المسـلمين، ويحرم مقاتلة الغزاة بدعوى أنهم قدموا بموجب اتفاقات مع حكام بلاد المسلمين. فينبغي أن نثبت لهؤلاء أن هذا لا يجوز لحاكم مسـلم لـو كـان مسـلما. وأن نبـين لهـم أن هـؤلاء الحكام قد فقدوا شرعيتهم بكفرهم وردتهم وخروجهم من ملتنا.

وهو ما ستبينه الفقرة التالية:

ثانيا: حكومات بلاد المسلمين اليوم مغلوبة غلى أمرها.

لقد تسرب العديد من أنواع الشرك بالـلـه إلى معتقـدات الكثـير مـن المسـلمين مـع تتالي الأزمان حتى وصلنا إلى هذه الأزمنة التعيسة المتأخرة.

ومن ذلك ما حصل مـن الكثـيرين مـن عبـادة غـيره مـن دونـه، ومعصـيته وإنكـار أحكامه مع طاعة غيره وطاعة أحكامهم، وترك ولايته وولاية أوليائه، ثم ولاية أعدائـه مـن دون أوليائه.

فكل مسلم يعتقد و يعترف ويدعى الإيمان بأن الـلـه هو الخالق، وأنه هـو الـرزاق، وأنه هو المحيي، وأنه هو المميت، وأنه الضار النافع، وأنـه الخـافض الرافـع، وأنـه الحكـم العدل.، إلى آخر أسماء الـلـه وصفاته. ولكن كثيرا مـن المسـلمين في واقعهـم يتوجهـون في جلب النفع ودفع الضر وطلب الرزق، والخوف والرجـاء، والتحـاكم والتشريـع، والتحليـل والتحريم.. على غير ما أمر الـلـه به، إلى البشر من أمثالهم. وخاصة مـن الحكـام والكـبراء، والأحبار والرهبان والعلماء والمشايخ، ومن يعتقدون فيهم من الرجال!

وهذه هي حقيقة العبادة وحقيقة الطاعة، التي تنقض زعمهم الإيمان بالرب الخالق كما يدعون. الرب الذي لا يتم الإيمان به إلا بملازمة عبادته إلها، وطاعتـه وحـده لا شريـك له في أحكامه، تماما كما يجب الإيمان به ربا خالقا رازقا...

إن من أعظم وجوه عبادة الـلـه وطاعته، التزام أحكامه وأوامـره ونواهيـه وشرائعـه وهذا بديهي... فهل ثمة تكذيب أكبر من أن يدعي رجل الإيمان بالـلـه، ثم ينكر تشريعاته و يتنقصها ! ويدَّعي عدم صلاحيتها للعصر! وأنها سبب تخلف المسـلمين!! ويقـدم غيرهـا من شرائع البشر عليها عمليا! ويحكم الناس بها ويقهرهم على قوانينها بالقوة!

إن هذه الطاعة لا يتقبلها أحدهم من زوجته، ولا ولده، ولا خادمـه ـ ولله المثل الأعلى ـ فهل يقبل رب البيت من زوجته ادعـاء حبـه وهـي تطيـع غـيره وتنفذ أوامر غيره في بيته؟! وهل يقبل من ولده ادعاء طاعته ثم يطيـع جـاره و

يعصيه ؟ وهل يقبل من خادمه وعامله الذي يأكل من رزقه، أن يدعي سيادته، ثم يتحرك وفق توجيهات غيره ! فهم لا يقبلون ذلك على أنفسهم ولله المثل الأعلى. ولهذا جاءهم الخطاب أفلا تتقون ؟! أفلا تذكرون ؟! فهذا ادعاء باطل وعمل منكر.

إن كون الحاكمية لله وحده. وأن التشريع منه وحده. وأن الطاعة له وحده، وأن الحلال ما أحله اللـه، وأن الحرام ما حرمه، وأن ما أمر به نافذ، وأن ما نهى عنه يُترك. هي أمور من صميم توحيد الألوهية وعبادة اللـه وحده. وقد أثبت القرآن هذا، وأثبت الكفر لمنكره. كما أثبتته السنة واستقر عليه إجماع هذه الأمة، وسادة علمائها وفقهائها عبر الأزمان والعصور. ولا يكون الدين كله لله في الحقيقة إلا هكذا، والآيات متواترة على هذه المعاني متعاضدة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللـه وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللـه إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللـه أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللـه حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة 49-50)

قال ابن كثير رحمه اللـه في تفسيره:[(وأن احكم بينهم بما أنزل اللـه ولا تتبع أهواءهم). أي فاحكم يا محمد، بين الناس عربهم، وعجمهم، وأميهم، وكتابيهم، بما أنزل اللـه إليك في هذا الكتاب العظيم] ثم قال: [(ولا تتبع أهواءهم): أي آراءهم التي اصطلحوا عليها وتركوا بسببها ما أنزل اللـه على رسله. ولهذا قال تعالى: (ولا تتبع أهواءهم). أي لا تنصرف عن الحق الذي أمرك اللـه به بأهواء هؤلاء الجهلة الأشقياء]. ثم قال ـ وانتبه إلى هذا الأثر العظيم الهام ـ قال ابن كثير رحمه اللـه: [وقوله تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من اللـه حكما لقوم يوقنون) ينكر تعالى على من خرج عن حكم اللـه المحكم، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء، والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة اللـه. كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات و الجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم بها التتار من السياسات الملكية المأخوذة من

ملكهم (جنكيز خان) الذي وضع لهم (الياسق) وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها. ومنها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير. قال تعالى:(أفحكم الجاهلية يبغون) أي يبتغون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون؟ وقوله تعالى:(ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شئ القادر على كل شئ. العادل في كل شئ] اهـ

ومما قاله ابن كثير عن (الياسق) في تاريخه (البداية والنهاية)، قال:[ثم ذكر الجويني نتفا من (الياسا)، من ذلك: أنه منه زنى قتل، محصنا كان أو غير محصن، وكذلك من لاط. قتل ومن تعمد الكذب قتل، ومن تجسس قتل، ومن بال في الماء الواقف قتل، ومن انغمس فيه قتل (...) وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المنزلة على عباده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر. فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه. من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين] اهـ

قلت:

و(الياسا): هو دستور ومجموعة قوانين، وضعها جنكيز خان، (الملك التتري) لما اجتاح المشرق، ورأى تعدد الأديان والفلسفات، فوضع بمشاورة المشرعين عنده هذا الدستور، مما استحسنوه بعقولهم ومن وحي تجاربهم، وخلطوها بأحكام من الإسلام و النصرانية وأديانهم الوثنية.

وهو نفس الفعل الذي يقوم به اليوم حكام المسلمين بمساعدة مشرعيهم وبرلماناتهم، حيث بنوها أساسا على القوانين الفرنسية والإنجليزية، ذات الأصل الروماني، وخلطوا فيها شيئا من الشريعة الإسلامية، وما أملته عليهم أهواؤهم

! ثم كتبوا في أعلاها كما في بعض البلاد الإسلامية:(الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع والتقنين!!) وفي بعض البلاد بخلوا حتى بهذه العبارة الشركية الكاذبة.

فإذا كان ابن كثير قد نقل إجماع المسلمين على كفر من حكم بالياسا أو سواه من جهالات البشر، فكيف بمن حكم بهذه الشرائع الوضعية في المسلمين وأجبرهم عليها بقوة وقهر السلاح!!

ويكفي لكل من أراد أن يطلع على حجم الكفر والفسق والظلم، وتبديل الشرائع، واتخاذ آيات اللـه هزوا، أن يطلع على نسخة من دستور بلاده، والقوانين المعمول بها في المحاكم، والمراسيم التشريعية التي تصدر عن حكومة بلاده كل يوم. وهذه هي الحالة في باكستان وكافة بلاد المسلمين. تماما كما أخبر صلى اللـه عليه وسلم فيما روى عنه الأمام أحمد:(لينقضن عرى الإسلام عروة فكلما انتقضت عروة عروة تشبث الناس بالتي تليها. وأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة). فلا شك أن من حكّم هذه القوانين كافر يجب قتاله بإجماع المسلمين.

وفي قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ (النساء:60) يقول ابن كثير رحمه اللـه:

[هذا إنكار من اللـه عز وجل، على من يدعي الإيمان بما أنزل اللـه على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين. وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب اللـه وسنة رسوله] ثم قال:[فانها-أي الآية – ذامة لكل من عدلوا عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل وهو المراد هنا بالطاغوت. ولهذا قال (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت)] أي كما قال في نفس سورة النساء بعد بضع آيات في قوله تعالى [فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما]: [أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك

تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة. كما ورد في الحديث:(والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)]اهـ.

وفي قوله تعالى من سورة الأحزاب الآية 36: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللـه وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللـه وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً ﴾.

قال ابن كثير رحمه اللـه: [فهذه الآية عامة في جميع الأمور. وذلك أنه إذا حكم اللـه ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هنا ولا رأي ولا قول (.....) ولهذا شَدد في خلاف ذلك فقال:[ومن يعص اللـه ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا] وكقوله تعالى [فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم] اهـ.

- قال الإمام أبو بكر الجصاص في تفسير قوله تعالى: ﴿ فلا وربك لا يؤمنون...﴾ الآية السابقة: (وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئا من أوامر اللـه تعالى أو رسوله صلى اللـه عليه وسلم، فهو خارج من ملة الإسلام، سواء رده من جهة الشك فيه، أو من جهة ترك القبول و الانقياد و الامتناع عن التسليم. وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع عن أداء الزكاة) أحكام القرآن ج2 ـ ص212.
- وقال الإمام ابن تيمية رحمه اللـه تعالى: ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى اللـه ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ النور 51 قال:[فبين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن. وأن المؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا. فإذا كان النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره مع أن هذا ترك محض، وقد يكون سببه قوة الشهوة فكيف بالتنقص ونحوه] اهـ (الصارم المسلول، ص 38).

- كذلك نقل شيخ الإسلام اتفاق الفقهاء فقال: (والإنسان متى حلل الحرام ـ المجمع عليه ـ أو حرم الحلال المجمع عليه ـ أو بدل الشرع ـ المجمع عليه ـ كان كافرا مرتدا باتفاق الفقهاء) الفتاوى ج3 ص267.
- وقال رحمه الله في الفتاوى ج35 ص406: (ومن حكم بما يخالف شرع الله ورسوله وهو يعلم ذلك فهو من جنس التتار الذين يقدمون حكم الياسق على حكم الله ورسوله).
- ويقول أيضا في منهاج السنة ج3 ص22: (فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه عدلا من غير إتباع لما أنزل الله فهو كافر).
- وفي الفتاوى الكبرى ج4 ص515: (ومعلوم بالإضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ إتباع غير دين الإسلام أو إتباع غير شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر).
- ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: عند قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللـه وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللـه وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (النساء: من الآية59) قال: [وهذا دليل قاطع على أنه يجب رد موارد النزاع في كل ما تنازع فيه الناس، من الدين كله، إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. لا إلى أحد غير الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فمن أحال الرد إلى غيرهما، فقد ضاد أمر الله، ومن دعا عند النزاع إلى حكم غير الله ورسوله، فقد دعا بدعوى الجاهلية، فلا يدخل العبد في الإيمان حتى يرد كل ما تنازع فيه المتنازعون إلى الله ورسوله، ولهذا قال تعالى: ﴿ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ وهذا مما ذكر آنفا، أنه شرط ينفي المشروط بانتفائه، فدل على أن من حكّم غير الله ورسوله في موارد النزاع كان خارجا عن مقتضى الإيمان بالله واليوم الآخر.وحسبك بهذه الآية العاصمة القاصمة بيانا وشفاء فإنها قاصمة لظهور المخالفين لها، عاصمة للمستمسكين بها، المتمثلين ما أمرت به] (الرسالة التبوكية).

- وفي نفس هذه الآية قال ابن كثير رحمه اللـه:[فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولم يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنا باللـه ولا باليوم الآخر] اهـ (تفسير ابن كثير).
- ويقول ابن القيم رحمه اللـه: (ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكم الطاغوت وتحاكم إليه.والطاغوت كل ما يتجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير اللـه ورسوله أو يعبدونه من دون اللـه أو يتبعونه على غير بصيرة من اللـه). إعلام الموقعين ج1 ص5.
- وقال رحمه اللـه في مدارج السالكين 1ص 337: (إن اعتقد أن الحكم بما أنزل اللـه غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه حكم اللـه فهذا كفر أكبر).
- يقول القاضي أبو يعلي في أصول الدين ص 271: (ومن اعتقد تحليل ما حرم اللـه بالنص الصريح، أو من رسوله أو أجمع المسلمون على تحريمه، فهو كافر،كمن أباح شرب الخمر ومنع الصلاة والصيام والزكاة. وكذلك من اعتقد تحريم شئ حلله اللـه أباحه بالنص الصريح أو أباحه اللـه عز وجل. والوجه فيه أن في ذلك تكذيب لله تعالى ولرسوله في خبره، وتكذيب للمسلمين في خبرهم. ومن فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين).
- قال الإمام القرطبي في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ (التوبة:12) قال: (استدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل من طعن في الدين إذ هو كافر، والطعن أن ينسب إليه ما لا يليق به، أو يعترض بالاستخفاف على ما هو من الدين لما ثبت من الدليل القطعي على صحة أصوله واستقامة فروعه) ج8 ص82.

فانظروا اليوم في خطابات وتصريحات هؤلاء الرؤساء وأعوانهم، وما فيها من طعن بالدين واستخفاف بشعائره.

- وقال رحمه اللـه: (إن حكم بما عنده على من أنه من عند اللـه فهو تبديل له يوجب الكفر) ج6 ص191.
- وقال:(إن طلب غير حكم اللـه من حيث لم يرض به فهو كافر) تفسير القرطبي.

ونكتفي بهذه الآثار. والشواهد كثيرة جدا، من أقوال الأئمة والعلماء ونصوص الكتاب والسنة.

وقد تكلم في هذه المسألة جمع من علماء المسلمين المعاصرين الذين عاشوا واقع كفر حكامنا في هذا العصر، وبينوا أن ما يصدر عنهم من تشريع وتبديل لشرع اللـه وحكم بغير ما أنزل اللـه هو كفر أكبر. وننقل ههنا طائفة من أقوالهم:

- قال الشيخ محمود الآلوسي في تفسيره: (لا شك في كفر من يستحسن القانون ويفضله على الشرع، ويقول هو أوفق بالحكمة، وأصلح للأمة، ويتميز غيظاً ويتعصب غضبا إذا قيل له في أمر الشرع فيه كذا. كما شهدنا ذلك في بعض من خذلهم اللـه فأصمهم وأعمى أبصارهم. فلا ينبغي التوقف في تكفير من يستحسن ما هو بين المخالفة للشرع منها، ويقدمه على الأحكام الشرعية منتقصا للحق) [روح المعاني ج28ص 20].
- وقال الشيخ محمد أمين الشنقيطي رحمه اللـه:(ومن لم يحكم بما أنزل اللـه معارضة للرسل وإبطالا لأحكام اللـه فظلمه وفسقه وكفره كله مخرج من الملة) أضواء البيان ج2ص104.
- وقال في تعليقه على حديث عدي بن حاتم وقول النبي صلى اللـه عليه وسلم: (ألم يحرموا عليكم ما أحل اللـه ويحلوا لكم ما حرم اللـه فتبعتموهم ؟ قال بلى، قال فتلك عبادتهم). قال رحمه اللـه: (وهذا التفسير النبوي:أن كل من يتبع مشرعا بما أحل وحرم مخالفا لتشريع اللـه أنه عابد له، متخذه ربا،مشرك به كافر باللـه. هو تفسير صحيح لا شك في صحته، واعلموا أيها الأخوان أن الإشراك باللـه في حكمه، والإشراك به في عبادته كلها بمعنى واحد ولا فرق بينهما البتة، فالذي يتبع نظاما غير نظام اللـه، وتشريعا غير تشريع اللـه، وقانونا مخالفا لشرع اللـه، من صنع البشر. معرضا عن نور

السماء الذي أنزله الـلـه على لسان رسوله صلى الـلـه عليـه وسـلم مـن كـان يفعـل هذا هو ومن كان يعبد الصنم ويسجد للوثن، لا فرق بينهم البتة بوجه من الوجـوه فهما واحد كلاهما مشرك بالـلـه هـذا أشرك في عبادتـه وهـذا أشرك في حكمـه) أضواء البيان.

- ويقول في نفس التفسير: (وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غايـة الظهـور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على لسان أوليائه مخالفـة لما شرعه الـلـه جل وعلا على ألسنة رسله، أنه لا يشك في كفرهم إلا مـن طمـس الـلــه على بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم).
- ويقول رحمه الـلـه (وأما النظام الوضـعي المخـالف لتشريـع خـالق السـموات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السـموات والأرض. كـدعوى أن تفضـيل الـذكر عـلى الأنثـى في الميراث ليس بإنصاف، و أنهما يلزم إستواؤهما فى الميراث،ودعوى أن تعدد الزوجـات ظلم وأن الطلاق ظلم للمرأة، وأن الرجم والقطع ونحوهما،أعمال وحشية لا يسـوغ فعلهـا بالإنسـان ونحـو ذلـك، فتحكـيم هـذا النـوع مـن النظـام في أنفـس المجتمـع وأموالهم وأنسابهم وعقـودهم وأديـانهم، كفـر بخـالق السـموات والأرض) أضواء البيـان ج4ص84.

ومن الأدلة الناصعة في القرآن والسنة، على كفر من أعطى نفسه حق التشريـع مـن التحليل والتحريم، وتبديل الشرائع والعدوان على حاكمية الـلـه، وجعل نفسـه بـذلك ربـا يعبد، ما أخبر به سبحانه عن كفر اليهود والنصارى، في قوله: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ الـلـه وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُـدُوا إِلَهـاً وَاحِـداً لا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة:31).

فقد روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير عن طريق عدي ابـن حـاتم رضي الـلــه عنه، كما نقل ذلك ابن كثير في تفسيره، أن عديا لما جـاء رسـول الـلــه صـلى الـلــه عليـه وسلم، ليسلم وكان نصرانيا، وجده يقرأ هذه الآية.فقـال لرسـول الـلــه صـلى الـلــه عليـه وسلم: إنهم لم يعبدوهم. فقال صلى الـلـه عليه وسلم:(بـلى إنهـم حرمـوا علـيهم الحـلال وأحلوا لهم الحرام. فاتبعوهم. فذلك عبادتهم إياهم).

ومعلـوم أن تفسـير القـرآن بالسـنة الثابتـة هـو مـن أصـح التفاسـير. ودلالـة الآيـة والحديث واضحة تماما،تدل على أن من شرع فحلل وحرم، فقد جعل نفسه ربا. وعلى أن من أطاعه فقد عبده، وهذه هي عبادة قوم فرعون لفرعون. فهو لما قال لهم ﴿ ما علمت لكم من إله غيري﴾ القصص - 38. ﴿ فقال أنا ربكم الأعلى﴾ النازعات - 24. لم يطلب منهم أن يعتقدوا أنه هو الذي خلقهم ورزقهم وخلق الكون ودبره، فقد كان للمصريين في عهده آلهة يعبدونها بهذه الصفة، وإنما عبدوه إلها مشرعا بالطاعة. وهو نفس الدور الذي يقوم به حكام المسلمين اليوم ومشرعوهم، وبرلماناتها الكافرة الظالمة الفاسقة. وقد قال تعالى: ﴿فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين ﴾ الزخرف-54.

كيف لا وهم في مراسيمهم وبرلماناتهم يحلون الخمور، تصنيعا وبيعا وترخيصا، ويقبضون عليها الرسوم والمكوس، وكذلك دور الزنا وبنوك الربا، ويساوون في حق التصويت على التشريع،بين المؤمن والكافر، وبين البر والفاجر، وبين الرجل و المرأة، وبين العالم والجاهل... ويعقدون الأحلاف المحرمة، ويبرمون المعاهدات الباطلة، ويمنعون مساجد اللـه أن يذكر فيها اسمه، ويسعون في خرابها، ويحرمون في مقابل ذلك مما أحلوا. الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، والجزية، والاحتساب، وأنواعا من البيع الحلال... ناهيك عن القوانين التي تبيح المكوس الظالمة، وتقنن لقتل وسجن وتشريد الناس ظلما وعدوانا...إلى آخر ما شرعوا وقننوا وأحلوا وحرموا، قاتلهم اللـه أنا يؤفكون.

ويجدر بنا لفت النظر إلى أمر هام. وهو أن بقاء رسوم من أثار الشريعة. ونتفا من أحكامها طي سجلات القوانين الوضعية، كبعض أحكام الأحوال الشخصية، والزواج والطلاق والميراث، في بعض البلاد الإسلامية، لا يجعل الحكم يوصف بأنه حكم الشريعة. كما أن التزوير والضحك على عقول البسطاء بعنونة الدستور بالكلمة الفارغة الخادعة، وهي قولهم(الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع والتقنيين) أو (الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع) كما في بعض البلاد، أو حتى بالمبالغة بالدجل بالقول (الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد للتشريع والتقنيين). ثم التشريع

والتقنيين من دون اللـه تحت هذا العنوان.كما في بعض البلاد كالسعودية والسودان واليمن...فهذا لا يجعل الحكم شرعيا، ولله المشتكى كم يستخفون بعقول شعوبهم، باستخدام بعض العلماء من عملاء السلطان. فمن يقبل أن يشتري قارورة خمر، كتب عليها (حليب) على أنها حليب، أو زيت!!! وهل يطهر الخمر بالكتابة علية؟!. هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فإن من المعلوم في ديننا أن النجاسة تلغى الطهارة، واللـه أغنى الأغنياء عن الشرك، كما أخبر عن نفسه جل جلاله، وقال في الحديث القدسي:(من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) رواه مسلم. واللـه لا يقبل إلا أن يكون الدين كله لله، قال تعالى: ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ (الأنفال/39). وقال تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد اللـه مخلصا له الدين* ألا لله الدين الخالص ﴾ الزمر-3.

والعبرة ليست في كبر وعظم هذا الشرك بالتشريع، أو بحجم ما خلط بالحكم بغير ما أنزل اللـه. وإنما باستحلال هذا الفعل والإقدام عليه، والعدوان على حاكمية اللـه الذي قال: ﴿إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه﴾ يوسف-67. والفتنة التي نحن فيها هي أن الدين في بلادنا لم يعد كله لله. قال ابن كثير في قوله تعالى:[وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله] الأنفال-39. عن ابن عباس: [يعني لا يكون شرك]، وعن عروة وغيره من علمائنا [حتى لا تكون فتنة]: [حتى لا يفتن مسلم عن دينه]، [وعن محمد بن اسحق: ويكون التوحيد خالصا لله ليس فيه شرك. ويخلع ما دونه من الأنداد].

قال الإمام الشاطبي رحمه اللـه: (كل بدعة وإن قلت بتشريع زائد أو ناقص أو تغير للأصل الصحيح، كل ذلك قد يكون ملحقا بما هو مشروع، فيكون قادحا في المشروع. لو فعل أحد مثل هذا في نفس الشريعة عامدا لكفر.

إذ الزيادة و النقصان فيها أو التغير قل أو كثر كفر فلا فرق بين ما قل أو كثر) الاعتصام.

وقال الإمام ابن تيمية: (فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير اللـه وجب القتال حتى يكون الدين كله لله. ولهذا قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللـه

وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فإن لم)فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللـه وَرَسُولِهِ) (البقرة:279).

وهذه الآية نزلت في أهل الطائف لما دخلوا في الإسلام، والتزموا الصلاة والصيام، ولكنهم إمتنعوا عن ترك الربا وبين اللـه تعالى أنهم محاربون له ولرسوله. فإذا كان هؤلاء محاربين لله ورسوله يجب جهادهم، فكيف بمن يترك كثيرا من شرائع الإسلام وأكثرها كالتتار؟! وقد اتفق علماء الإسلام على أن الطائفة الممتنعة، إذا امتنعت عن بعض الواجبات الإسلامية، فإنه يجب قتالهم، إذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلاة والزكاة، أو صيام رمضان أو حج البيت العتيق أو عن الحكم بينهم بالكتاب والسنة أو عن تحريم الفواحش أو الخمر أو نكاح ذوات المحارم، أو استحلال ذوات النفوس والأموال بغير الحق، أو الربا أو الميسر، أو الجهاد للكفار، أو عن ضربهم الجزية على أهل الكتاب...ونحو ذلك من شرائع الإسلام، بأنهم يقاتلون عليها حتى يكون الدين كله لله)ج 28 مسألة 217.

فالخلاصة:

أنه اذا ما اختلط دين اللـه بدين غيره، وتشريعه بتشريع غيره، وحكمه بحكم غيره، كانت الفتنة عن دين اللـه، ووجب القتال حتى لا تكون فتنة. وهذا هو الحاصل اليوم وما جناه حكامنا علينا من فساد في الداخل. وعدوان من الخارج وضنك في الحياة العامة. وذل على يد الأعداء.

ولقد سمى ربنا سبحانه وتعالى أمثال هؤلاء الحكام (الكافرون، الفاسقون، الظالمون)، فجاء من علماء السلاطين من يسمى هؤلاء الحكام مسلمون صالحون، وأولياء أمور شرعيون. وكأن عندهم قرآنا خاصا بهم كتبوا فيه: ومن لم يحكم بما أنزل اللـه فأولئك هم المسلمون المؤمنون الصالحون !!!.

سبحان اللـه!! كيف وقد أوجدوا مختصين بالقانون الوضعي، درسوا في بلاد الصليب الكافرة في الغرب، وأسموا واحدهم(مشرع) هكذا باللفظ الصريح.. ناهيك عن ما يفعله هؤلاء الملوك والرؤساء والأمراء من سن القوانين وتشريع

المراسيم، بما في ذلك حل أجهزة التشريع ذاتها (البرلمان) اذا خطر لهم ذلك!. فالحاكم تارة يعبد المشرع ويطلب من الناس عبادته، وتارة يسجنه، وإذا أراد أن يقتله قتله!!! كما كان عباد الأصنام يصنع واحدهم إلها من تمر ثم يأكله! أو إلها من خشب ثم يحرقه ليطبخ عليه! ناهيك عن وجوه الكفر الأخرى التي تلبسوا بها من ولاء الكافرين، وقتل المؤمنين، وأوجه نواقض الإيمان من الأقوال والأفعال.

عقيدة الولاء و البراء. وحكم موالاة الكافرين وأنواعها وحكم قتال المسلمين إلى جانب الكفرة والمرتدين:

بصرف النظر عن أجناس البشر وألوانهم، واختلاف لغاتهم وشعوبهم، وغناهم وفقرهم، أو أي اعتبار آخر. فقد اعتبرت الشريعة لهم نسبتان فقط هما:

(مؤمن) و (كافر). وقررت بالنصوص الواضحات من الكتاب والسنة، أن أهل الإيمان إخوة، ويشكلون أمة واحدة. فقد قال تعالى: ﴿ إنما المؤمنون إخوة﴾ الحجرات 10.

كما قررت أن الكفار على اختلاف مذاهب كفرهم، وأجناسهم، وشعوبهم، ولغاتهم (ملة واحدة). وبهذا الوضوح تقرر أن أهل التكليف إنسهم وجنهم في هذه الأرض أمتان (أهل الإيمان) و (أهل الكفر).

وقد أمر اللـه سبحانه وتعالى بكل وضوح المؤمنين بموالاة بعضهم بعضا، والبراءة من الكافرين، وعلى هذا بنيت (عقيدة الولاء و البراء). وليست هذه القضية، قضية فرعية من قضايا الإيمان. بل هي قضية أساسية، مرتبطة بأساس التوحيد، إذ يبنى عليها الإيمان أو الكفر، ونسبة الإنسان لإحدى هاتين الأمتين.

وقد قال تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللـه وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللـه وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللـه عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللـه أَلا إِنَّ حِزْبَ اللـه هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة:22)

وأخبر بقوله:[والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض] التوبة – 81. [والذين كفروا بعضهم أولياء بعض] الأنفال – 73.[والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض] التوبة – 67.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللـه وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ الجاثية: 19. فهما نسبتان وجنسيتان، وآصرتان ورابطتان فقط، (مسلم يوالي مسلماً)... و(كافر ومنافق يوالون بعضهم بعضاً).

وقد أمر اللـه باعتقاد هذه العقيدة، وأخبر أننا إن لم نفعلها ﴿ تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾ الأنفال 73. والناظر في آيات القرآن الكريم، يجد أنها غطت مسألة الأمر بولاية المؤمنين وما يترتب عليها، والنهي عن ولاية الكافرين والأمر بالبراءة منهم وما يترتب عليها، بكل التركيز والوضوح. ويمكن أن نورد طرفا من ذلك بالإيجاز من خلال استخلاص الأحكام و التقريرات القرآنية كما يلي:

1. المؤمن ولي المؤمن:

قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللـه وَرَسُولَهُ ﴾ (التوبة: 71).

2. الكافر ولي الكافر:

قال تعالى: ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴾ الأنفال – 72. ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ﴾ التوبة – 67.

3. النهي عن ولاية الكافرين:

قال تعالى: ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من اللـه في شيء ﴾ آل عمران28

وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ النساء-144.

4. ولاية المؤمن للمؤمن هي ولاية لله ورسوله وهي نصر وغلبة:

قال تعالى: ﴿ إنما وليكم اللـه ورسوله والذين آمنوا ﴾ المائدة – 55.

﴿ ومن يتول اللـه ورسوله والذين آمنوا فإن حزب اللـه هم الغالبون ﴾ المائدة –56.

5. ولاية المسلم للكافرين هي ولاية للشيطان،ودخول في حزبه:

وهي خسارة وسخط من اللـه تعالى يوجب الخلود في النار: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللـه عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (المجادلة:14) إلى قوله تعالى: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللـه أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المجادلة:19).

كما قال تعالى: ﴿ تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللـه عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللـه وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (المائدة:80).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللـه فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً ﴾

(النساء: 119)

6. ولاية المسلم للكافرين واهية وسيتبرأ الشيطان من ولايتهم بعد أن ورطهم في الكفر:

قال تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللـه أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (العنكبوت:41)

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللـه أَوْثَاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (العنكبوت:25)

وقال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللـه رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الحشر:16).

7. ولاية المسلم للكافرين تجعله منهم وتحبط عمله وتفضي به إلى الردة:

قال تعالى: في سورة المائدة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللـه لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (المائدة:51).

ثم قال بعدها: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللـه جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللـه بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللـه وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللـه يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللـه وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ المائدة – 54-51.

وبعد أن قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾ (النساء:144). قال بعدها: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴾ النساء – 145.

8. النهي عن اتخاذ الأقرباء والقوم والعشيرة أولياء إن كانوا كافرين:

وأن ودهم مع كفرهم بسبب القرابة مناقض للإيمان: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْأِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللـه وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللـه بِأَمْرِهِ وَاللـه لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة – 24-23).

وقال تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللـه وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللـه وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللـه عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللـه أَلا إِنَّ حِزْبَ اللـه هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة:22).

9. النهي عن اتخاذ الكفرة بطانة وأعوانا وقد بدت البغضاء من أفواههم:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران:118)

10. النهي عن ولاية من قاتلنا وأخرجنا من ديارنا:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللـه عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الممتحنة:9).

11. النهي عن ولاية من اتخذ ديننا هزوا ولعبا:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللـه إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة:57).

12. التشديد في النهي عن ولاية اليهود والنصارى خاصة من بين الكافرين:

إن الناظر في أسباب نزول معظم آيات النهي عن ولاية الكافرين، يجد أنها نزلت في النهي عن ولاية اليهود و النصارى. ومع ذلك فقد سمتهم آيات القرآن صراحة من بين الكافرين المنهي عن ولايتهم جميعا قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ المائدة - 51. وقال تعالى:﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ﴾ المائدة-57.

13. الأمر بالأخذ بملة إبراهيم بالبراءة الكاملة من الكافرين وبغضهم ومعاداتهم:

قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللـه كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللـه وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ

لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللـه مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْـكَ أَنَبْنَـا وَإِلَيْـكَ الْمَصِيرُ ﴾ (الممتحنة:4)

14. حددت الآيات القرآنية أعذار من يتولى الكفار من المسلمين ويقعـون في النفـاق أنهـا إما من أجل طلب العزة أو للخوف من الأذى والدوائر:

وقد رد القرآن عـلى هـذه الأعـذار وأبطلهـا، وحكـم عـلى أصـحابها بالنفـاق والـردة والانتساب للكفار، وذلك بسبب مرض قلوبهم وأن عـاقبتهم النـدم في الـدنيا والآخـرة وأن مصيرهم إلى النار. قـال تعـالى: ﴿ بشر المنـافقين بـأن لهـم عـذابا ألـيما * الـذين يتخـذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً ﴾النساء-138-139.

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْـضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللـه لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَـتَرَى الَّـذِينَ فِي قُلُـوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللـــه أَنْ يَـأْتِيَ بِـالْفَتْحِ أَوْ أَمْـرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ المائدة- 51-52.

ومن أخطر مظاهر موالاة الكافرين:

1. الجلوس مع الكفرة والمرتدين والمنـافقين وهـم يسـتهزئون بآيـات اللــه وشـعائر دينيه وعباده المؤمنين: قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَـاتِ اللـه يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُـمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللـه جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ (النساء:140). طاعـة الكفـار فيما نهى اللـه عنه ولو بشيء قليـل: قـال تعـالى في سـورة محمـد صـلى اللــه عليـه وسلم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُـمُ الْهُـدَى الشَّـيْطَانُ سَـوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللـه سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللـه يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ (محمد:25/26). فطاعة الذين كرهوا شريعة اللـه، في أمـرهم ولـو بشيء قليل طريق للردة.

2. اتخاذ الكفرة بطانة و مستشارين، وناصحين و معاونين، ووضع المسلمين تحت أمرهم ونهيهم، فهذا شكل من أشكال ولايتهم التي نهى اللـه عنها.
3. النصيحة للكفار ودلالتهم على ما يقويهم ونصرتهم بالرأي على المسلمين.
4. التحاكم إلى قوانينهم وشرائعهم، هو من أكبر أشكال ولايتهم، قال الإمام ابن تيمية رحمه اللـه في مجموع الفتاوى ج199/28: [ومن جنس موالاة الكفار التي ذم اللـه بها أهل الكتاب والمنافقين، الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر، أو التحاكم إليهم دون كتاب اللـه. كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾ النساء51.

إلا أن أخطر ذلك وأوضحه ردة هو:

القتال معهم وتحت رايتهم وفي خدمة مصالحهم، وهذه أعظم أشكال الولاية، حيث يضحي المرء بروحه في سبيل الكفار، وهو كفر مخرج من ملة الإسلام، وانتماء إليهم بنص القرآن: ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ المائدة-51. وقد برئ اللـه منه: ﴿ فليس من اللـه في شيء ﴾ البقرة-28. وقد قال تعالى: ﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل اللـه والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ﴾البقرة-76. وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللـه يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (الحشر:11).

ومن الآثار التي وردت في تفسير بعض النصوص القرآنية السابقة:

قال ابن حزم رحمه اللـه ينقل الإجماع: (صح أن قول اللـه تعالى ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ إنما هو على ظاهره، بأنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين) المحلى ج13 ص25.

قال الطبري في تفسيره ج1 ص277: (من تولى اليهود والنصارى من دون المؤمنين فإنه منهم، أي من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متول أحد إلا وهو

به وبدينه وما هو عليه راض وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخط وصار حكمه حكمه).

وقال ابن جرير في تفسير(من اتخذ الكفار أعوانا وأنصارا وظهورا يواليهم على دينهم ويظاهرهم على المسلمين فليس من الله في شيء أي قد برء الله منه بارتداده عن دنه ودخوله في الكفر).ج3 ص228.

وقال ابن القيم في كتابه أحكام أهل الذمة ج1ص67:(إن الله حكم ولا أحسن من حكمه أنه من تولى اليهود والنصارى فهو منهم{ومن يتولهم منكم فإنه منهم } فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم).

قال ابن كثير في تفسير سورة المائدة الآية 53-50: [أي نهي تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله قاتلهم الله. ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض. ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك فقال:﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ المائدة-51. قال ابن أبي حاتم] (...)إن عمر أمر أبا موسى الأشعري أن يرفع إليه ما أخذ وأعطى في أديم واحد، وكان له كاتب نصراني فرفع إليه ذلك، فعجب عمر وقال: إن هذا لحفيظ، هل أنت قارئ لنا كتابا في المسجد جاء من الشام؟ فقال: إنه لا يستطيع، فقال عمر أجنب هو؟ قال لا، بل نصراني: قال: فانتهرني، وضرب فخذي وقال: أخرجوه ثم قرأ: [يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء]. حدثنا محمد بن الحسن(...) قال عبد الله بن عتبة:[ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر، قال: فظنناه يريد هذه الآية].

قال ابن كثير:[وقوله تعالى: ﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض ﴾. أي شك وريب ونفاق. ﴿ يسارعون فيهم ﴾ أي يبادرون إلى موالاتهم، ومودتهم في الباطن والظاهر [يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة] أي: يتأولون مودتهم وموالاتهم، لأنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين، فتكون له أياد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك. عند ذلك قال تعالى ﴿ فعسى الله أن يأتي بالفتح ﴾ قال السدي: يعني فتح مكة. قال غيره يعنى القضاء والفصل ﴿ أو أمر من عنده ﴾ قال: السدي: يعنى ضرب الجزية على اليهود والنصارى

﴿فيصبحوا ﴾ أي الذين والوا اليهود والنصارى من المنافقين.﴿ على ما أسروا في أنفسهم ﴾ من الموالاة ﴿نادمين﴾ أي على ما كان منهم مما لم يجد عنهم شيئا، ولا دفع عنهم محذورا. بل كان عين المفسدة. فإنهم فضحوا وأظهر اللـه أمرهم في الدنيا لعباده المؤمنين، بعد أن كانوا مستورين لا يدر كيف حالهم. فلما انعقدت الأسباب الفاضحة لهم تبين أمرهم لعباد اللـه المؤمنين]-

(سبحان اللـه كأنما تحكى هذه الآية وتفسيرها حالة حكام بلاد المسلمين الذين يعاونونها كمشرف وحكومته الباكستانية في موالاتهم لأمريكا لأنهم يظنون أنها ستنتصر على المسلمين فيكون لهم عندهم مكانة. و اعتذارهم عن ذلك بخوف الدائرة والمصيبة منها، والرغبة في طلب العز منها، وما سيندمون عليه من افتضاح أمرهم وخسارتهم وعقوبتهم على أيدي المؤمنين لما يأتي نصر اللـه).

وفي قوله تعالى:﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من اللـه في شيء ﴾ آل عمران28 قال ابن كثير رحمه اللـه تعالى: [نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين، وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين. ثم توعد على ذلك فقال تعالى: ﴿ ومن يفعل ذلك فليس من اللـه في شيء ﴾ أي: ومن يرتكب نهي اللـه هذا فقد برئ اللـه منه(...) ﴿ ويحذركم اللـه نفسه ﴾ أي: يحذركم نقمته في مخالفته وسطوته وعذابه لمن والى أعدائه وعادى أوليائه].

وفي قوله تعالى من سورة آل عمران ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ﴾ (الآية). قال ابن كثير: [يقول تبارك وتعالى ناهيا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي يطلونهم على سرائرهم. وما يضمرونه لأعدائهم والمنافقون. بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خبالا أي يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن وبما يستطيعون من المكر والخديعة. ويودون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم.

وكما ذكرنا فالآيات والأحاديث والآثار وأقوال العلماء متضافرة بهذه المعاني.

وهذه الحقائق هي من أولويات الإسلام وأساسيات العقيدة، التي يلخصها بكل إيجاز ووضوح، خطاب القرآن الصريح لكل مسلم:

﴿ من يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ ﴿ ومن يفعل ذلك فليس من اللـه في شيء﴾ وهذا واضح. فمن يتولى الكفار فهو كافر مرتد مثلهم قد برئ اللـه منه.

وقد عد الشيخ محمد بن عبد الوهاب مظاهرو الكفار على المسلمين في نواقض الإسلام العشرة التي ذكرها وهي:

الشرك باللـه، الذبح لغير اللـه وللقبر.

من جعل بينه وبين اللـه وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم.

من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم .. كفر.

من اعتقد أن غير هدي النبي صلى اللـه عليه وسلم أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر.

من أبغض شيئا مما جاء به الرسول صلى اللـه عليه وسلم – ولو عمل به – فهو كافر.

من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عاقبه كفر، والدليل: ﴿ قل أباللـه وآياته ورسوله كنت تستهزئون ﴾ (التوبة:65).

السحر، فمن فعله أو رضي به كفر. ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ (البقرة:102).

مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين: ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ (المائدة:51) وهي محل الشاهد.

من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى اللـه عليه وسلم، كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

من أعرض عن دين اللـه – لا يتعلمه ولا يعمل به -. ﴿ والذين كفروا عما أنذروا معرضون ﴾ (الأحقاف:3).

قال سليمان بن عبد اللـه بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (اعلم رحمك اللـه أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفا منهم ومداراة لهـم ومداهنـة لـدفع شرهم – فإنه كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم ويبغضهم و يحب الإسلام والمسلمين، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك. فكيف إذا كان في دار منعـة واسـتدعى بهـم، ودخـل في طـاعتهم، وأظهر الموافقة على دينهم الباطل. وأعانهم عليه بـالنصرة، ووالاهـم، وقطـع المـوالاة بينـه وبين المسلمين، فإن هذا لا شك مسلم أنه كافر من أشـد النـاس عـداوة لله ورسـوله صـلى اللـه عليه وسلم ولا يستثنى من ذلك إلا المكره. و قد أجمع العلـماء عـلى أن مـن تكلـم بالكفر هازلا فإنه يكفر، فكيف بمن أظهر الكفر خوفا وطمعـا).... وسـاق الشـيخ عشريـن دليلا على قوله منها: ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ (البقرة:120) ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم ﴾ (البقرة:217).

﴿لا يتخذ المؤمن الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ (آل عمران:28) ﴿ وَقَدْ نَـزَّلَ عَلَـيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللــه يُكْفَـرُ بِهَـا وَيُسْـتَهْزَأُ بِهَـا فَـلا تَقْعُـدُوا مَعَهُـمْ حَتَّـى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ ﴾ (النساء:140)

﴿ تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِـئْسَ مَـا قَـدَّمَتْ لَهُـمْ أَنْفُسُـهُمْ أَنْ سَـخِطَ اللــه عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَـوْ كَـانُوا يُؤْمِنُـونَ بِاللــه وَالنَّبِـيِّ وَمَـا أُنْـزِلَ إِلَيْـهِ مَـا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِـنَّ كَثِـيراً مِـنْهُمْ فَاسِـقُونَ ﴾ (المائدة:80-81). الحـديث (مـن جـامع المشرك وسكن معه فهو مثله). قال الشيخ سليمان عبد اللـه بن محمد بن عبد الوهاب إن الذي يدعي الإسلام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل معهم يعده المشركين منهم فهو كافر مثلهم، إن ادعى الإسـلام، كالنـاس الـذين أقـاموا في مكـة و ادعـوا الإسـلام بعـد الهجرة، وخرجوا في بدر فظن بعض الصحابة إنهم مسلمون وقـالوا: قتلنـا إخواننـا، فـأنزل اللـه تعالى:﴿ إن الذين توفاهم الملائكـة ظـالمي أنفسـهم﴾ (النسـاء:67). (مـن ظهـرت منـه علامات النفاق الدالة عليه كارتداده عند التحزيب على المؤمنين وخذلانهم عنـد اجـتماع العدو، يجوز إطلاق اسم منافق عليه.

أدلة العقل والمنطق على أن الجهاد المسلح هو الحل:

نحن نسأل من يريد جدالنا في حقيقة أن الجهاد المسلح اليوم هو الحل الوحيد حقيقة !

إذا لم يكن الحل لمشاكلنا هذه وقد دهمنا العدو، بالمقاومة المسلحة، فبم يكون ؟!

- هل بطقطقة المسابح في أركان الزوايا ؟!
- أم بتنقيح الأسانيد وتأليف الأبحاث الشرعية ؟!
- أم تراه بالسهر على أزرار الكمبيوتر في معارك الإنترنت ومناقشاتها الحامية - الوطيس؟! أم تراه بالمداخلات التلفونية الثائرة مع مقابلات الفضائيات؟!
- أم تراها بالتصفية والتربية وتزكية النفوس ؟! وها هو العدو يصفي مقومات وجودنا، ويربي أجيالنا حسبما يريد على مر الساعات والدقائق!
- أم تراها بالصياح في المظاهرات، وما تجود به الحكومات من إجازة الاحتجاجات الصامتة أو الصاخبة في الشوارع؟!
- أم تراها بالاختراع العظيم الذي توصلت إليه الصحوة، وما جاءنا به الفقه البرلماني؟ بالاعتراض على الإحتلال وعلى إزهاق الأنفس وعلى نهب الثروات وعلى نهك الأعراض، تحت قبة البرلمان ؟!
- أم بـ (الحملة العالمية لمكافحة العدوان). ببيان أجوف يرسل بالفاكس للفضائيات لاستنكار ما يجري من طامات في بلاد المسلمين !!

الحقيقة أن حالنا مع هذه الآراء كأهل بيت كانوا ينامون مطمئنين، فدهمهم اللصوص ليلا، فبعضهم ذبح الأب، وبعضهم أثخن الأم بالجراح، وثالث يقصد الأخت لينهك العرض، ورابع منشغل بنبش الخزائن لسرقة المال، وخامس دهس الأطفال في عتمة الليل، وسادس ينهب أثاث البيت ويضرم النار في أنحائه...

والرجال من أفراد الأسرة موزعون في بعض الغرف قد شغل كلا منهم أمره، وقد هب أخوهم الأصغر يناديهم ليهبوا للدفاع عن الدم المسفوك والعرض المنهوك والمال المنهوب والبيت الذي تنهدم أركانه.. ولامجيب..

فأحدهم منهمك في قيام الليل يؤدي ورده، ومن شدة خشوعه لم يسمع ما يجري !

والثاني منكب على كتب العلم يفتش عن تحقيق سند لم يتأكد من صحته منذ أيام !! والثالث منهمك في نقاش دعوى مع أحد الجيران يدعوه للصلاح!!!

والرابع يتابع حوارا دينيا مفتوحا عبر الإنترنت أمام شاشة الكمبيوتر!!!!

والخامس يطبع بعض الدعايات الانتخابية لدعم ترشيح بعض العلماء والدعاة لانتخابات البرلمان المقبلة...

والشاب الصغير يصيح، وأخته تلطم الخد وتستغيث، وبعض الأطفال يرمون اللصوص المسلحين بالحجارة، وقد شغل إخوانهم بالدعوة وأنواع العمل الإسلامي!!

هذا عن إخوانهم الملتزمين.. فلهم إخوة آخرون مشغولون بأمور أخرى..!

فبعضهم يسهر أمام التلفزيون يتابع برنامج ستار أكاديمي.. على قناة فضائية..

وآخر يرتمي ثملا من السكر في إحدى زوايا البيت..!

وثالث منغمس في حديث عاطفي على الموبيل.. يرسل رسائل غرامية عبر قناة روتانا !

أما أولاد العمومة والجيران من حولهم، فبعضهم في السهرات والسمر، وآخرون يقومون الليل على الفواتير والحسابات التجارية لمبيعات ذلك اليوم.ز وبعضهم يحتسي الشاي على ناصية المقهى حتى ساعة متأخرة من الليل..!

ويهب الشاب اليافع ليدفع اللصوص المسلحين بسكينه، والأطفال يدفعون بالحجارة، والأخت تحاول جهدها بكفها العزلاء.. فهذا مبلغ الجهد أمام

اللصوص المدججين بالسلاح. فالـدفع والمـوت والشـهادة أرحـم مـن العـيش في مثـل هـذا البيت الذي تشهد جدرانه على هذا الخـزي والعـار والصـغار.. هـذا نمـوذج أحـوال أمتنـا اليوم..

فهل يظن الطيبون جزاهم اللـه خيرا على جهـودهم في دعـوة الفسـاق إلى الهـدى، أنهم قد سقطت عنهم الفريضة المتعينة بالدفع؟! أم يظنون أن دعوتهم تلك ستدفع عدوا غاشما، أو تقيم شرعا مغيبا، أو تغير حكومة خائنة كافرة فاجرة ؟

أم هل يظنون بأن الحملات الصليبية إن ضربت بجرانها في بلادنـا، وسـاقت عبيـدها من الحكام إلى مزيد من محاربة الدين وإضلال أهله، أنهم سيبقى أمامهم مجال للتبليـغ والدعوة وعمارة المساجد ؟!.

أم هل يظن الدعاة إلى تصحيح عقائد المسـلمين.. أنـه سـتبقى لنـا عقائـد مـع غـزو الصليبين لديارنا.. ومع استعلاء عملائهم من العلمانيين والمرتدين؟!

وأي عقائد ستبقى لنا بعد أن صارت أمريكا إلها يعبد طوعا وكرهـا في بلادنـا مـن قبـل كثير من المسلمين؟! أي عقائد ستبقى لأطفالنا وشبابنا بعد أن صارت المنظمات الدولية تفرض على بلادنا مناهج التدريس في كافة المراحل، بل وتتدخل حتى في نصوص خطـب الجمعـة في مساجدنا؟! أي عقائد بعد أن صاروا يضعون لنا سياسات التعامل مع نسائنا مـن خـلال إلـزام حكوماتنا بمعاهدات (حقوق المرأة) بحسب ثقافاتهم الإلحادية الإباحية؟!

أي عقائـد سـتبقى مـع بـرامج (إعـادة صـياغة المجتمعـات) الخليجيـة والعربيـة والإسلامية كما أعلنها الأمريكان ؟!.

أم هل يظن الصالحون المواظبون على تزكية أنفسهم، أن الدشوش والفضـائيات سـتترك من ذريتهم وأبنائهم من يلتفت إلى السلوك والصلاح في ظل هذه الأحوال الفاجرة؟!

أم هـل يعتقـد (الـديمقراطيون الإسـلاميون)، أن في مزيـد مـن التجـارب جدوى بعدما حصل في الجزائر وتركيا وتونس ؟!.. وبعدما حصل من إنجـازات

الإسلاميين في برلمانات مصر والأردن وباكستان ودول الخليج والمغرب وغيرها؟!.

وهـل يظنـون أن وجـودهم كأقليـات إسـلامية مسـحوقة بـين الأحـزاب العلمانيـة المعارضة والحاكمة في البرلمان، سيغير مجرى التاريخ الذي تكتبه حراب الصليبيين اليوم ؟!

أم يعتقدون بعدما انـتشرت مكاتـب (CIA) و(FBI) وتـدفق مئـات آلاف الجنـود والجيوش الصليبية في البلاد، وراحت أمريكا تعين من تشاء من الحكام وتعـزل مـن تشـاء، أن بإمكانهم تحقيق الأغلبية وإقامة حكم الإسلام..، بعدما رأوه من العاصفة التي اجتثـت حكومة طالبان و حكومة العراق، وراحت تعلن أنها ستعيد رسم الخريطـة السياسـية بـل والجغرافية في الشرق الأوسط؟!

وصدق اللـه العظيم: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج:46).

سبحان اللـه.. حقيقة صار حالنا كما قال الشاعر:

وليس يصح في الأذهان شيء

إذا احتاج النهار إلى دليل

نحن نعتقد أن تلك الحلول - جزى اللـه أصحابها خيرا كلا بنيته - لن تحل مشكلنا اليوم. ونعتقد أن المقاومة الإسلامية العالمية المسلحة الشاملة هـي الحـل، وأن بإمكانهـا - بإذن اللـه - دحر العدو.

ونقول بملء أفواهنا نعم إن الأمر كذلك. نعم.. مدعومة بالأدلة الشرعية. ونعم كما تقتضي أدلة العقل والمنطق والواقع. فإن هناك حقائق واضحة تدعم ما نذهب إليه:

أولاً: إن شعوب الأمة العربيـة، ومثلهـا جميـع الشـعوب الإسـلامية، قـد غسلت أيـديها وانقطـع رجاؤهـا مـن كافـة المـذاهب والتيـارات والفلسـفات

والأفكار الوافدة والمحلية التي لا تنطلق من الإسلام كحل ممكن لمواجهة هذا الصائل. ومن يتابع ما تكتبه الصحف، وما يكتبه الناس العاديون في زوايا القراء، أو ما يقولونه في مداخلاتهم عبر الفضائيات، أو ما يصيحون به في مظاهراتهم.. يجد أن الجميع، وحتى الفساق من المسلمين ومن أسرفوا على أنفسهم، ناهيك عن الملتزمين والمتدينين.. الجميع يصرحون بجلاء بأنهم مع الجهاد، وأنهم يعتقدون بأنه لن يقوم لهذا العدو الغازي إلا رايات الجهاد تحت شعار (لا إله إلا الله محمد رسول الله). وحتى التنظيمات العلمانية والشخصيات الوطنية والتيارات القومية في فلسطين كما في كل مكان، بدأت تتأسلم حقيقة، أو زعما، وصارت تتأقلم في إعلامها وشعاراتها مع الإسلام. إما بعودة صادقة إلى جذورها، وإما مجاراة للشارع الإسلامي الذي بدأ يشهد عودة نحو الدين كرد طبيعي على الهجمة الصليبية على أمة الإسلام واستهدافها في عقيدتها ومكوناتها.

وهكذا كان حال أمتنا أيام النوازل عبر تاريخنا كله. بل هذه طبيعة الإنسان أمام الكوارث الكبرى.. أن يعود إلى ربه ومعتقده راجيا النصر والنجاة.

بل إن الأمل في الإسلام، والجهاد تحت شعارات الإسلام كحل لمواجهة طغيان أمريكا، قد صار أملا لدى كل أعداء أمريكا من الشعوب المستضعفة، حتى الجماعات اليسارية وجماعات السلام في العالم الصليبي ذاته. والمتابع لكتابات بعض الكتاب الغربيين يجد أن بعضهم قد بدأ يصرح في سياق ما يكتب عن طغيان أمريكا، بأنه لم يعد هناك أمل لمواجهة أمريكا إلا بالمسلحين المسلمين.. بل وصل الأمر بإحدى المظاهرات المضادة للعولمة والحرب التي خرج فيها مئات الآلاف في إيطاليا أن ترفع ضمن شعاراتها صورة لـ (ابن لادن) وقد ألبسوه قبعة (جيفارا) ورسموه بطريقة تشبهه..! وكتبوا تحت صورته شعارات مضادة لأمريكا! و عبروا بذلك عن أن رمز الجهاد الإسلامي المسلح اليوم هو الحل في مواجهة أمريكا!.

فالكل يعلم ويؤمن اليوم أن الحل يجب أن يخرج من جبهة الإسلاميين بالجهاد لمواجهة طغيان النظام العالمي الجديد.

ثانيا: إن جماهير الصحوة الإسلامية وكوادرها و النشطاء فيها، يشكلون اليوم كتلة هائلة على الصعيد العددي في بلاد المسلمين قاطبة وفي كل منها على حدة. ففي كل مؤتمر للتبليغ يجتمع في مساجدهم أحيانا ما يربو على عشرات الآلاف في المدينة الواحدة، بل يبلغ حشدهم السنوي من مختلف دول العالم في باكستان ما يزيد على ما يجتمع في مكة للحج، أكثر من مليوني مسلم.

وأما السلفيون وأتباع مدرسة أهل الحديث وجماعاتهم وتلاميذ مدرستهم، فالمتابع لمواقعهم على الإنترنت وصحفهم ونشاطاتهم في البلاد العربية والإسلامية يجد أنهم اليوم - تبارك الله – يعدون بمئات الآلاف إن لم يكن بالملايين، ناهيك عن من يرتاد مساجدهم من العامة.

ثالثا: لقد أثبتت تجارب الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية منذ مرحلة الإستعمار، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية وإلى اليوم، قدرة الشعوب التي أخذت بمنهج المقاومة الشعبية على إرهاق المستعمرين وإجبارهم على الرحيل.

هذا في وقت كان الزخم الحضاري لذلك الإستعمار الأوروبي و الأمريكي والروسي هائلا، وفي أوج عنفوانه. وكان بمقدوره الاستمرار وتحمل ضربات المقاومة. ومع ذلك أسفرت كل تلك المقاومات عن دحر المستعمرين وهزيمتهم.. في كل مكان.

وفي عالمنا العربي والإسلامي من ذلك الملف تجارب رائدة، في المغرب، والجزائر واليمن، والعراق، ومصر، والشام، وأفغانستان و القفقاس والهند وإندونيسيا وغيرها...

وفي تجاربنا المعاصرة كذلك، نجد في ملفنا انتصارات الجهاد المجيدة في البوسنة و الشيشان وأفغانستان.. ما يثبت القدرة على الانتصار ودحر العدو. وأما اليوم ونحن نخوض الحرب ضد أمريكا، فيكفي للمتابع أن يلمس بوادر التصدع والإنهيار والسقوط فيها من جراء عملية واحدة فقط في أحداث الحادي عشر من سبتمبر. وقد أثبتت المواجهات مع الأمريكان في العراق وأفغانستان أخيرا. ومن قبلها في الصومال وفي حرب عاصفة الصحراء، أن الأمريكان

عاجزون عن الحضور والمواجهة على الأرض، إلا باستخدام عملائهم المرتدين من أبناء جلدتنا. وأن أمجادهم محصورة في نشر الخراب والموت والدمار فوق رؤوس المدنيين من الجو فقط. فكيف لو واجهت أمريكا مقاومة إسلامية عالمية شاملة في كافة بلاد المسلمين. بل وفي كافة بلاد الدنيا.. وفي عقر دارها ؟ ماذا لديها من حيلة إلا الانسحاب والفرار.؟

وأما عن حلفائها الأوروبيين في الناتو فهم أضعف منها وأهزل عسكريا واقتصاديا واجتماعيا. والحلف بينهم متصدع أصلا.

فالحضارة الغربية عامة والأمريكية خاصة، حضارة هشة عجوز، تعصف بها الأمراض السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية، إلى حد يعجب معه المرء كيف استطاعت أن تحيط بنا وتسعى لإعادة استعمارنا. وما ذلك إلا لأن أمتنا قد بلغت بسبب بعدها عن شريعة الله، حدا من الوهن جعلها قصعة لأولئك الطامعين رغم هزالهم !.

فالمقاومة المسلحة مفروضة شرعا وواقعا، وهي ممكنة ومضمونة النتائج بإذن الله، بأدلة الشريعة وشواهد الواقع والتاريخ. ولكنها تحتاج أن تشارك بها جماهير المسلمين عامة، وأن تقودها صحوة إسلامية يقودها علماء وقادة قدوة رواد. مقاومة تنهض بها أمة بكاملها، وليس عشرات الفدائيين المخلصين.

ولم تستطع الأحزاب الإسلامية السياسية التي قصدت الوصول إلى السلطة من أجل إقامة حكم الشريعة أن تصل إلا إلى السجون والمعتقلات، ثم إلى نقض المناهج التي أرساها المؤسسون الأوائل رحمهم الله. ثم وصلت إلى الارتماء على أعتاب السلطات الغاشمة في أدوار سياسية هامشية مخجلة. هذا ناهيك عن المتاهة التي أضاعت فيها أسس عقيدة التوحيد بدعوى المصلحة والتدرج.

والحل واضح عقلا ومنطقا كما هو ثابت دينا وشرعا:

يجب أن يقام شرع الله على أنقاض الجاهلية والردة الحاكمة، وعلى فلول جحافل المستعمرين الغزاة.

وعندما يقوم حكم الـلـه.. يزع الـلـه بالسلطان ما لا يزع بـالقرآن كـما قـال سـيدنا عثمان رضي الـلـه عنه.

ولم يقم في تاريخ البشريـة حكـم، ولم تؤسـس دولـة، ولا نهضـت حضـارة قديمـة ولا حديثة، إلا على أسنة الحراب، وتحت ظلال السيوف. وفي تجارب المؤمنين والكافرين عـلى حد سواء عبر التاريخ أكبر برهان. ومن هالته هذه الحقيقة فليقرأ التاريخ، فإن لم يبصرها ويفهمها فليراجع عقله. وهذه دولة إسرائيـل وحضـارة أوروبـا الغربيـة المعـاصرة وأمجـاد أمريكا اليوم آخر الأدلة على قيام الدول ونشوء الحضارات.

والخلاصة:

إن حكم الشريعة ومقتضى أحكام دين الـلـه في واقع المسلمين اليـوم وأزماتـه الشرعيـة والدنيوية، تفيد أن الجهاد هو الحل، وأن سبيله الوحيـد في قيـام المقاومـة الإسـلامية العالميـة المسلحة، وفي المواجهة الشاملة مع أعدائنا المحتلين وحلفائهم المرتدين والمنافقين.

ليس من حل إلا في دروب الشهادة. في أن يطلب شباب هذه الأمة الموت كي توهـب لهم ولأمتهم الحياة. كما قال تعالى: ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ الـلـه بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة:14).

وعندها فقط ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ الـلـه ﴾ (الروم: 4/5).

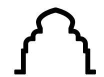
وعندها ترى ﴿ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ الـلـه أَفْوَاجاً ﴾ (النصر:2).

وعندها تقام الصلاة ويحكم العـدل ويـؤمر بـالمعروف وينهـى عـن المنكـر، وتصـح العقائد ويتهذب السلوك. لأن أولياء الـلــه قـد مكنـوا في الأرض وأقـاموا شرعـه كـما قـال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَـرُوا بِـالْمَعْرُوفِ وَنَهَـوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج:41).

وقبل أن نخوض في لب هذه الموسوعة لـتشريح كيفيـة هـذه الجماعـات ومنهجهـا، وهو ما نعتقد أنه مقدمة الحل بإذن الـلـه، سنمر بعدد من الفصول التمهيدية وصولا إلى الفصل الثامن الذي يشتمل على ذلك إن شاء الـلـه.

ونستهل ذلك باستعراض تاريخ صراعنا الأزلي مع الروم وجذوره منذ قام الصراع بـين الحق والباطل على هذه الأرض وذلك هو الفصل التالي وقصة مسار ذلك الصراع مـن أيـام قابيل إلى أيام بوش، حيث ما زال الباطل يصرخ في وجه الحق: ﴿ لأقتلنك ﴾.

لأن فهم التاريخ يشكل أساس فهم الواقع الذي يشكل إدراكه أساس استلهام خطـى المستقبل.



الفصل الثالث

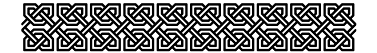
جذور النظام الدولي ومسار الصراع

من (قابيل) إلى (جورج بوش)

قال اللـه تعالى:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾(المائدة:27)

روى أبو داود عن ثوبان أن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم قال: (ثم يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن اللـه من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن اللـه في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول اللـه وما الوهن قال: حب الدنيا وكراهية الموت).



الفصل الثالث

جذور النظام الدولي ومسار الصراع

من قابيل إلى جورج بوش

يشكل الاستعراض الموجز لمسار الصراع منذ تقاتل ولدا آدم عليه السلام وقتل الشرير منهما (قابيل) أخاه الصالح (هابيل)، وإلى قيام النظام العالمي الجديد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية على مبادئ (صراع الحضارات) وحتمية تصفية بعضها لبعض، يشكل ملخصا لجذور النظام العالمي الجديد، وبمعنى أدق استعراضا لتاريخ النظام الدولي وصراع أطرافه إلى أن استقر صراعا بين المسلمين والروم كأبرز أوجه الصراع الدائم في تاريخ البشرية الوسيط والحديث.

وسأوجز في هذه النبذة تحت هذا العنوان ما يؤدي الغرض كتوطئة تاريخية لأفكار هذا الكتاب الذي يشتمل على دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ومنهجها وطريقتها.

بدايات الصراع (قال: لأقتلنك) *:

لقد قص علينا القرآن الكريم خبر اعتداء ولد آدم الأول على أخيه وقتله إياه بعد وعيده الصريح وإقدامه بذلك على سن سنة القتل في بني البشر. قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللـه مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللـه رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.(المائدة: 27 - 30).

وبصرف النظر هنا عما خاضت فيه بعض روايات التفاسير من أسباب القتل، و الاكتفاء بالسبب الظاهر الذي ذكرته الآيات حيث اتقدت نار الحقد في صدر الشرير فصرخ متوعدا أخاه بقوله (لأقتلنك)! فإنا نجد أن تلك النار المتأججة في صدره لم يخمدها رد الأخ الصالح بما احتواه من الوعظ واللين

والتذكير بالـلـه والتخويف من النار، فطوعت له نفسه فعلا أن يقدم على أول جريمة على سطح الأرض.

وهكذا سـارت مسـيرة الشر مـع قسـم مـن أولاد آدم فحملـوا مهمـة سـفك الـدماء والعدوان والظلم عبر مسار البشرية إلى أن وصلت تلك الراية المضمخة بالـدماء إلى أيـدي الحضارة الغربية ووريثتها المتجبرة أمريكا لتتبنى نظريـة صراع الحضـارات، تلـك النظريـة التي مفادها أن الأرض لا تتسع لحضارات متناقضة، ولابد من أن الصراع الحتمي سيجعلها تصفي بعضها بعضاً، وأنه إن كان بإمكان الحضارة الغربية ذات الطابع الـنصراني الصـليبي والنظرية الإقتصادية الرأسمالية والفلسفة العلمانية الإباحية والنهج السياسي القـائم عـلى الديمقراطية، بإمكانها أن تتعايش مع بعض الحضارات فإن صدامها مع الحضارة الإسـلامية عدوها الذي افترضته بعد قضائها على حضارة الشرق السوفيتية هو صدام حتمـي. حيـث اعتقدت أمريكا وراحت تجر وراءها أوروبا الغربية وروسيا المنهارة ودول (حلـف وارسـو) اللاهثة من أجل دخول الناتو للاعتقاد بأن عليها إزالة حضـارة الإسـلام والمسـلمين وفـرض سياستها وهيمنتها وثقافتها وفلسفتها الكافرة على شعوبهم.

وهكذا استعلن بوش بأنه يقود حرباً صليبيةً مقدرة له من قبل الـرب الـذي اختـاره لها بعد أن شفاه من الإدمان على الخمر!! كـما اسـتعلن معـاونوه الصـليبيون المتصـهينين بالقول بأنهم ورثة الحضارة الرومانية المسيحية وأن أعداءها في التاريخ ـ يقصد المسـلمين ـ هم أعداؤها في الحاضر والمستقبل.

ومن هنا تحركت أمريكا على كافة الصعد لتفرض على العالم ما أسموه (النظام العـالمي الجديد) منذ انفراط عقد الإتحاد السوفيتي مطلع العقد الأخير من القرن العشرين.

ليسير وفق أحلام المنظرين المتصهينين الأمريكان من أمثـال (كيسـنجر) و(هينينغتـون) و(ولـف) وغيره.. الذين صرحوا بأن على أمريكا أن تعمل ليكون القرن الحادي والعشرين مطلع الألفية الثالثة قرنا أمريكيا.. وهكذا.. عاد شعار الشر (لأقتلنك) ليرتفع مع رايات الإجرام الأمريكية مهددا كل مـن يقـف في

وجه هجمة الطمع والطغيان الأمريكية المعاصرة وخاصة كل قوى المقاومة والمواجهة في ديار الإسلام والمسلمين..

محطات من تاريخ الصراع وجذوره من خلال قصص الأنبياء وأتباعهم:

انتشر أبناء آدم.. وعبدوا الله على دين التوحيد كما علمهم أبوهم عليه السلام.. ثم تطاول العهد و اجتالتهم الشياطين يمينا وشمالا عن الصراط السوي ودب فيهم الشرك والظلم والطغيان..

فأرسل الله الرسل تباعا.. مبشرين ومنذرين في كل أمة كما أخبر تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر/24).

لقد كان من أكبر أسباب تمسك المشركين بشركهم: تقليد الآباء، وطاعة الكبراء، والتزام العادات وما ألفته النفوس، و إتباع الشهوات، وأساس كل ذلك جري السادة والملأ من الكبراء ورجال الدين الفاسدين وراء المصالح. وتعطيل العامة لعقولهم و إتباعهم لكبرائهم رهبا ورغبا.. وهكذا أخبرنا تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (المؤمنون:44).

لقد كانت خلاصة دعوة الأنبياء وأساس عقيدتهم واحدة:

فأما نوح عليه السلام أول الرسل فقد صبر على قومه قرابة ألف سنة وكان جزاؤه وعيدهم الدائم﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ (الشعراء:116).

وهؤلاء قوم إبراهيم عليه السلام يقولون لأبي الأنبياء كما قص علينا تبارك وتعالى: ﴿ مَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (العنكبوت:24).. حتى أبواه: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً ﴾ (مريم:46).

وهؤلاء قوم شعيب عليه السلام يتهددونه وأتباعه: ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ

فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ (الأعراف:88).. و زادوه من الوعيد: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ (هود:91).

وأما قوم لوط عليه السلام فكذلك قولهم: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (النمل:56).

إلى أن جاء موسى عليه السلام وقص القرآن علينا قصة صراعه الطويل مع فرعون وقومه حيث أعلن الفرعون عن أصل المشكلة: ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ (الشعراء:29).

﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَ نَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ (الأعراف:127).

ثم أخبرنا القرآن الكريم بما كان من سلوك بني إسرائيل وكبرائهم وكهانهم الفسقة الفاسدين مع أنبيائهم: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة:87).

إلى أن جاء نبي اللـه عيسى عليه السلام فمكر به الأحبار والرهبان من اليهود وسعوا إلى الحاكم الروماني لقتله وصلبه فنجاه اللـه منهم (وما قتلوه وما صلبوه) فطاردوا أتباعه على مدى قرنين من الزمان قتلا وتشريدا حيث ذكر القرآن إحدى صور تلك المعاناة في قصة أصحاب الأخدود: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ* النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللـه الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾(البروج 4 / 8)

إلى أن جاءت الرسالة الخاتمة فكان من أمر كفار قريش مع نبي الرحمة صلى اللـه عليه وسلم ومع أتباعه ما غطته روايات السيرة وخلدته آيات القرآن ونصوص السنة ليتلخص التهديد بإخباره تعالى بخلاصة مكر أعداء اللـه بالمؤمنين

في كل زمان ومكان: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللـه وَاللـه خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال:30) سجن أو قتل أو تشريد وهذا ما يحصل اليوم من قبل أمريكا وحلفائها من الكفار والمرتدين في كل من يفكر بمقاومتهم والوقوف في وجه طغيانهم..

عبر وملاحظات:

إن الدارس لقصص الأنبياء بدءا من دعوة نوح عليه السلام و انتهاء بالسيرة العطرة لسيدنا المصطفى عليه الصلاة والسلام كما غطتها نصوص القرآن والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام يخرج بعبر ودروس لا تنتهي عن مسير الصراع مع الباطل. كما أن دراسة التاريخ البشري عموما والإسلامي خصوصا تعطي أفضل الدروس وأوضحها عن مسيرة هذا الصراع عبر التاريخ وفي حدود الإيجاز الذي نحن بصدده نذكر من ذلك:

1. عدم إمكانية عيش قوى الخير والشر في مكان واحد:

فرغم أن أسرة آدم عليه السلام كانت صغيرة جدا بل الأسرة الوحيدة في الأرض لم تتسع الأرض بكاملها لذلك الأخ الشرير كي يتحمل وجود أخ صالح يتقبل اللـه منه معه فيها.. فلقد كان بإمكانه أن يقول لأخيه لا أريدك بقربي أخرج إلى أرض أخرى.. إلى جبل آخر.. إلى إقليم آخر.. إلى قارة أخرى.. ولكن لم يجد إلا مقالة:(لأقتلنك).. فالشر لا يتحمل وجود الخير على ظهر الأرض كلها إن استطاع.. وهذه لفتة تفيدنا أن من العبث حقيقة.. ومن مصادمة السنن الكونية ومنطق التاريخ أن يتخيل بعض أهل الحق أن أهل الباطل وقوى الشر تتحمل جوارهم بل مجرد وجودهم..

ومن هنا تسقط كل نظريات التعايش بينهما على كافة الأصعدة..

فلم يمكن لحاكم طاغية عبر التاريخ أن يتحمل وجود من يوحد اللـه في شعبه ولا يعبده، حتى ولو تركه وشأنه وطغيانه.. كما لا يمكن لدولة جرثومية في بنيتها وفكرتها مثل إسرائيل أن تتحمل قيام دويلة فلسطينية في خاصرتها ولو بمواصفات ممسوخة على جزء من أرض فلسطين، حتى ولو سلمت هذه الدويلة

لإسرائيل بكل ما سلبته منها واعترفت بشرعيتها الغير مشروعة أصلا. وهذا ما أثبته المسار السخيف لاتفاقيات السلام بدءا من (أوسلو) ومرورا بـ (مدريد) وغيرها وانتهاء بـ (خارطة الطريق) إلى الهاوية..

كما أثبتت التجارب السياسية في كافة الدول الإسلامية أن قوى الكفر والعلمنة والإلحاد والتغريب لم تتحمل وجود قوى أصولية وأحزاب إسلامية معها تحت قبة البرلمان، إلا ممسوخة مدجّنة مسيّرة. وقد رفضتها حتى مع حالتها هذه في الغالبية الساحقة من التجارب.. فمن السذاجة أن يتصور بعض الإسلاميين تلك الرقعة المحدودة تحت قبة البرلمان تتسع لقوى الإيمان والكفر بالله في ألوهيته و ربوبيته، وهي تتعايش بسلام. حيث لم تتسع الأرض كاملة لجوار الحق والباطل. حيث ما لبث الباطل أن صرخ بالحق (لأقتلنك)..

2. إن الشر لا يندفع بالمواعظ وتحريك الضمير وإنما بمقاومته وقطع دابره:

فلم ينفع قابيل أن ذكّره أخاه بأنه مسالم له، وأنه لم يحرك يده ضده، وتذكيره بالخوف من الله، وتوعّده بالنار جزاء للظالمين..

فقال تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (المائدة:30).

ثم قال تعالى:﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (المائدة:32)..

ولأن العبرة في الجرأة على القتل لا بكمية القتل.. فمن قتل نفسا زورا وطغيانا وظلما فهو مستعد لقتل غيرها لنفس الدوافع. وهذا ما أثبتته هذه الحضارة الغربية البربرية الهمجية التي تسود صفحات تاريخها بقصص مروعة من الجرائم.

فمنذ انطلقت حملة الكشوف الجغرافية بتفويض ومباركة من بابا الفاتيكان مطلع القرن السادس عشر، تركت الدول النصرانية الأوروبية وراءها قصصا من القتل والفتك بالبشر في القارات الخمسة الأخرى تشيب لها الولدان.

لقد أباد الغرب أعراقا وأمما بكاملها في الأمريكيتين وأستراليا، وارتكب عبر التاريخ منذ ذلك الوقت وإلى يومنا هذا فضائع جاوزت ضحاياها مئات الملايين من البشر.. بل لقد أباد الأوروبيون بعضهم بعضا في صراعهم على عائدات الاستعمار وعلى المصالح والسياسات المختلفة فقتل في الحرب العالمية الأولى نحو 8 مليون نسمة. وأفنى الأوروبيون فيما بينهم بالإضافة للروس والأمريكان واليابان نحو 82 مليون إنسان في الحرب العالمية الثانية. حيث قصفوا المدن على رؤوس المدنيين وجعلوهم حقل تجارب لمخترعاتهم العسكرية الفاتكة وانفردت أمريكا بتجريب أول قنبلتين نوويتين في التاريخ الحديث فقتلت زهاء ربع مليون نفس في لحظات !..

ولعلم الله بأن في بني الإنسان أمثال هؤلاء.. شرع الجهاد والدفع فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ الله عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا الله وَلَوْلا دَفْعُ الله النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ الله كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ الله مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ الله لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(الحج:39/ 40).

وقال تعالى عنهم: ﴿ لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾.(التوبة:10). ولذلك قال: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا الله وَاعْلَمُوا أَنَّ الله مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة/194)

ولهذا شرع الجهاد وفرض الإعداد، إعداد القوة بهدف (الإرهاب)، نعم إرهاب هذا الجنس النكد المعتدي من أبناء آدم حيث ما وجدوا. ولذلك أمر تعالى بوضوح وصراحة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ وحدد الهدف بصراحة مكملاً: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ الله يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال:60)

والآيات بهذا المعنى كثيرة.. لقد علم الله أن هذا الجنس الشرير القاتل من بني البشر يجب أن يردعوا. وأن تستأصل شأفتهم إن لم يردعوا، وألا يسمح لهم بالعيش إلا تحت الذلة والصغار يدفعون الجزية عن يد وهم صاغرون، وأن أكثره لا يستقيم إلا ما دمت عليه قائما.. وهكذا أثبت التاريخ وصدق الله

العظيم: ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك:14) .

3. الصراع بين الحق والباطل أزلي. كان وسيستمر. وأعداء الحق على مر التاريخ هم الملأ المستكبرون من الحاشية والأعوان وكهنة السلطان:

منذ نشأ الشرك.. وقامت نواة السلطة وتكون الطغيان ارتبطت مصالح السلطان والطاغوت بمصالح أهل الأموال والدنيا بزيف سدنة الضلال من الكهان، فصار لهم الملأ، وحرسهم الأعوان.. وكثيرا ما أطلق القرآن الكريم على هذه الثلة أداة الشيطان في وجه أهل الحق لفظ (الملأ) أو لفظ (الذين استكبروا) أو لفظ (الذين أترفوا)..

نعم بدأ هذا الصراع منذ قابيل واستمر مع المتكبرين من قوم نوح ثم ما تلاه من الأنبياء عليهم السلام ممن قص علينا القرآن ذكرهم إلى تفصيلات ذلك في قصة موسى عليه السلام مع عد والله فرعون إلى قوى الكفر وأصحاب المصالح ممن سعوا في قتل المسيح فأنجاه الله، وصولا لدعوة خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام.. واستمر بعد ذلك كما سنبين عبر التاريخ الإسلامي بين دول الكفر ودولة الإسلام.. وبين قوى الحق والصلاح وقوى الاستكبار والظلم والجور داخل دولة الإسلام ذاتها، منذ أن افترق السلطان والقرآن.. كما أخبر سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم..

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللـه مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ الأعراف 59 ـ 60.

﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللـه مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ الأعراف 65 ـ 66.

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللـه مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ الأعراف 73.

﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُـونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (الأعراف: 75-76)

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللـه مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (الأعراف:85).

﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَـكَ مِـنْ قَرْيَتِنَـا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ (الأعراف/88).

ثم إلى قصة فرعون وملئه وموقفهم من سيدنا موسى عليه السلام إلى قريش والسادة الملأ الذين استكبروا وتجبروا حتى قذفوا بالقليب وهكذا.. كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (سبأ:34).

4. وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين :

هكذا أخبر ربنا تبارك وتعالى عن أهل الحق بأنهم الثلة والقلة في كل قوم عبر التاريخ على مستوى الأرض وعلى مستوى كل قوم وإزاء كل دعوة حق.. وهكذا أثبتت عبر تاريخ كل الدعوات المؤمنة وكل دعوة حق.. فقد دعا نوح قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، فما آمن معه إلا قليل..

وقد ذكر المفسرون أرقاما أقلها أولاده الثلاثة، وأعلاها ثمانون.. وأقواها اثـني عشر مؤمنا!!. فالمسلمون في الكفار قليل.. والمؤمنون في المسلمين قليل.. وقليل من عباد اللـه الشكور.. والمقربون ثلة من الأولين وقليل من الآخرين.. وأصحاب اليمين في أهل الإسلام ثلة من الأولين وثلة من الآخرين..

5. إنك لا تهدي من أحببت ولكن اللـه يهدي من يشاء ولا رابطة بين مؤمن وكافر:

أخبر اللـه سبحانه وتعالى رسوله صلى اللـه عليه وسلم بأنه يهدي من يشاء وأنه ليس له من الأمر شيء وقال له: ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللـه يَهْدِي مَـنْ يَشَـاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص:56).

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا والـلـه أعلم بمن هو أهل للرحمة والهدى.. ﴿ فَإِنَّ الـلـه يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ الـلـه عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (فاطر: 8).

كما قررت العقيدة بصرامة أن لا رابطة بين مؤمن وكافر فقال تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: 10) وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (التوبة: 71). وكذلك: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (الأنفال: 73). وهكذا انفصلت علاقة الأبوة على أساس الكفر والإيمان فقال تعالى يقطع العلاقة بين نوح عليه السلام وابنه الكافر: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (هود: 46).

كما انفصلت علاقة البنوة بين إبراهيم وأبيه فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (التوبة:114).

وكذلك بين الزوج وزوجه ﴿ ضَرَبَ الـلـه مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ الـلـه شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ (التحريم:10). وبين سبحانه وتعالى أن هذا هو سبيل الأسوة الحسنة فقال: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الـلـه كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِالـلـه وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ الـلـه مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (الممتحنة:4).

وكذلك أثنى الـلـه تعالى على صحابة رسوله عندما تمثلوا ذلك وأنزل القاعدة فقال: ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِالـلـه وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ الـلـه وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ الـلـه عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الـلـه أَلا إِنَّ حِزْبَ الـلـه هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة:22).

هذه نقطة أساسية لفهم الصراع بين الحق والباطل من منظور أهل الإيمان..

وقال:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللـه وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللـه بِأَمْرِهِ وَاللـه لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة: 23 /24).

نمو التجمعات البشرية وقيام الممالك.. ونشوء السلطة وقيام النموذج الفرعوني المتكرر عبر التاريخ (حاكم ـ كاهن ـ أعوان):

في بؤر التجمع البشري الأولي بدأت تتكون نويات العشائر من الأسر المتقاربة نسبا ومسكنا، من أولاد الأب الواحد وأولادهم.. ومع تناميها بدأت تتكون القبائل من تجمع العشائر أولاد الجد الواحد..

وبشكل فطري وطبيعي قامت الحاجة لنشوء السلطة، التي تكونت بشكل تلقائي من كبير الأسرة أو جدها أو شيخها المطاع الذي ترجع إليه القبيلة في شؤونها وحاجتها..

ولما كان اجتماع القبائل على موارد الغذاء والرزق من المياه والمراعي ومواطن الصيد، سرعان ما ضاقت المواقع بأهلها فتباعد الناس في المساكن بحثا عن موارد الرزق نتيجة الحاجة والصراع على تلك الموارد..

فكانت السلطة في تلك المرحلة مكونة من شيخ القبيلة وكبير رجال الدين أو الكهان فيها وكبار رؤوس العشائر أو الأسر وأهل المال أو القوة والبأس..

ومع تفاوت القبائل في حجمها سيطرت القوية منها على من حولها من الأسر والقبائل الضعيفة إما بالتزاوج أو التحالف أو بالبطش والسيطرة.. وبدأت القبائل المتضخمة تأخذ شكل الممالك الصغيرة.. وسرعان ما برزت الحاجة لمستلزمات المُلْك من الأعوان والسلاح والحصون. ونشأت طبقة الملأ والأعوان. وأدوات الملك و نويات مؤسساته..

وكما حصل في تضخم بعض القبائل. تضخمت بعـض الممالـك لتبتلـع مـن حولهـا أو تهجِّرها وتسيطر على أرضها.. ومكنت كثرة العدد والموارد بعضها من أن تتحول إلى ممالك قوية تقوم على نظام إقطاعي يسود فيه كبار القادة والملاك الـذين يشـكلون كبـار أعـوان الملوك، الذين اتسع مع اتساع الموارد والسلطان مدى نفوذهم وبالتالي مظـاهر سـلطانهم من كثرة الجند والسلاح وإنشاء القلاع والحصون والأسوار على مدنهم وممالكهم.. ونشأت أنظمة اجتماعية واقتصادية وسياسية بحسب حال كل مملكة، وبالطبع كان لكـل مملكـة دينها ومعتـقداتها وبالتالي نشأت طبقة رجال الدين والكهان الذين يديرون الحياة الدينية لكل مملكة..

وكما توسعت القبائل توسعت الممالك. وقام الصراع على النفوذ والسلطان أو المـوارد والأراضي وسـوى ذلـك مـن متـاع الـدنيا.. فقامـت الحـروب بـين الممالـك وابتلـع الأقويـاء الضعفاء فبدأت تتكون الممالك الكبرى التي ازدهـرت فيهـا حضـارات عظيمـة في مختلـف مناطق الأرض على يد أولئك الملوك الأقوياء.. واضـطرت الممالـك الصـغرى إلى الـدخول في حمايتها أو الذوبان فيها أو الرحيل من جوارها إلى مناطق أخرى.. فتوسعت تلـك الممالـك لتصل إلى حجم الإمبراطوريات في بعض الأحيان..

ونتيجة الظلـم، والتـنوع العرقـي والـديني في مكونـات الإمبراطوريـات، أو الممالـك الكـبرى، ونتيجـة الصراع فـيما بينهـا، تفككـت في كثـير مـن الأحيـان تلـك الإمبراطوريـات والممالك الكبيرة إلى مكونات أخرى من الممالك الصـغيرة، وعـادت إلى مسـتوى المملكـة أو الإمارة أو حتى القبيلة لتعاود دورة التاريخ سيرها معها بأشكال مختلفة فتتسع وتمتد ثـم تتفكك وتتحلل.. وهكذا دواليك..

قيام النموذج الفرعوني ومثلث السلطة: (الحاكم ـ الكاهن ـ الأعوان):

حكم الملوك والزعماء شـعوبهم ورعايـاهم بالترغيـب والترهيـب.. فالعطايـا والمناصب والمكاسب لمن يطيع السلطان، والبطش والقتل و النكال لمن يخالفـه..

ومع الوقت أدرك الملوك والطغاة ما للسيف والذهب ـ أو العصا والجزرة ـ من أثـر نـاجع في سياسة الناس..

إلا أن دهاة الساسة والملوك الطواغيت، لفت نظرهم طاعة الناس لرجال لا يملكـون سيفا ولا ذهبا، ولا حراسا ولا أعوانا، ولا شيئا مـن هـيلمان السـلطان! إنهـم رجـال الـدين والكهان الذين يقبعون في معابدهم، حيث يأتيهم الناس طواعية ليدفعوا لهـم الصـدقات ويقربوا بين أيديهم القرابين بلا إجبار، ويقضون لهم المهام و الخدمات، بـل ويهبـون لهـم حياتهم بكل اختيار. حيث لا يحصل الملوك على ذلك من الناس إلا بالسيف والسوط..

فالناس يطيعون الكهان بسبب دواعي الفطرة الكاملة التي فطرها اللــه في قلـوب الناس من السعي لعبادة خالقهم وإرضائه..

فإما يعبد الناس ربهم وفق هدي الأنبياء، ثم ورثـتهم مـن العلـماء، فيوصـلونهم إلى اللـه على الطريق المستقيم لا يريدون منهم جزاءا ولا شكورا، وإنما هداة ربانيين يبتغـون الأجـر مـن اللــه تعـالى.. وإمـا أن تجتـال الشـياطين النـاس ذات اليمـين وذات الشـمال فيعبدون الطاغوت ويشركون بربهم، وتقودهم في هذا الضلال شياطين الإنس والجـن مـن السحرة والكهـان ورجـال الـدين المنحـرفين. فينحـرف النـاس في دروب الضـلالة كـل أمـة بحسب شيطانها وضلالها، ذلك منـذ عبـد النـاس حجـارة الطـوطم والكواكـب والظـواهر الطبيعية والحيوانات والنار والأصنام، أو عبدوا البشر والطواغيـت إلى آخـر أشـكال الشرك المتطورة بحسب تطور المجتمعات..

إن الناس يطيعون كهانهم ورجال الدين فيهم ظنـا مـنهم أنهـم يوصـلون إلى طاعـة خالقهم. فتستريح فطرتهم في عبادة ذلك الخالق، حيث لا تستريح فطرة ولا تستقر نفـس إلا بالركون إلى معبودها بالحق أو بالضلالة..

ولذلك ترى الإنسان مهـما سـما في مراتـب العلـم والمعرفـة والـذكاء، يخلـع عقله وتفكيره مع حذائه عـلى بـاب المعبـد، ويسـتعد في غالـب الأحيـان نفسـيا، لطاعة رجل الدين القابع في داخله، ليدله على رضا معبوده ويعلمه كيف يعبـده

ويطيعه. وهو على استعداد لبذل كل غال ونفيس في سبيل هذه الراحة.. وهكـذا مازلـت ترى اليوم حامل شهادة دكتوراة في أرقى العلوم، يثني ركبتيه ويبسط راحتيه ساجدا لبقرة أو فأرة أو نار، أو تمثال أصم مزركش ! فيما يرش عليه الكاهن بعض رذاذ المـاء مـن يـده المتعفنة، ويطلق دخان البخور لتغطي على نتنه ونتن معبده.. أو ربما يتبع هذا الحصـيف فتوىً عوجاء من رجل دين منافق لسلطانه، حتى ولو كانت لا تدخل في عقـل عنـزة. مـن قبيل إضفاء الشرعية على احـتلال النصـارى لـبلاد الحـرم بـدعوى الاسـتعانة، وجعـل مـن جاهدهم مفسدا في الأرض!! وهكذا كان وما زال ديدن البشر..

وحتى لما ثار الناس مؤخرا على رجال الدين وانخلعوا من أديانهم، وفروا إلى ظلمات الإلحـاد. لم تسـتقر نفوسـهم ومـا زالـوا يتيهـون في ظلـمات السـحر والكهانـة والبحـث في المغيبات، والاعتقاد في الأوهـام والأشـباح والأطبـاق الطـائرة! حتـى يسـكن هـذا العطـش الفطري لعبادة رب قادر مهيمن يلجؤون إليه في المهمات!.

أدرك الساسـة و دهـاة الطواغيـت هـذه الظـاهرة، وأدركـوا أن اسـتيعاب هـؤلاء المستحوذين على الطاعة بلا سـلطان ولا أعـوان أفضـل مـن مـواجهتهم. وعلمـوا أنهـم إن خضعوا إليهم خضع لهم القطاع الأكبر من النـاس الـذين لم يـتمكن السـيف والسـوط ولا الذهب من إخضاع أكثرهم إلا مؤقتا، حيث يكون الأصل في النـاس هـو التفلـت والـبغض للسلطان وسيفه وذهبه لولا الخوف والحاجة..

فقرّب رجالُ المُلك رجالَ الدين، وأغدقوا عليهم الذهب والعطايـا، و أوعـدوا مـن أبى منهم السيف والعذاب. فطوعوا أكثرهم. فأنشؤوا لهم هيلمانا كهيلمان الملك، فارتفعـت قباب المعابد كما ارتفعت أبراج القصور. وصار لهـم الحـراس والأعـوان والأتبـاع والخـدم. وهكذا انضم رجال الدين إلى الملأ من كبار القواد والأمراء والأعوان وشكلوا الحاشية. وقام التزاوج النكد بين الملوك والكهان ورجال الدين، هذا التزاوج الذي دمر مسـتقبل البشريـة في معظم تاريخها. وعبّد الناس للطاغوت بدل أن يعبدوا ربهم..

وبهذا اكتمل مثلث السلطة الذي قام على (الحاكم والكاهن والأعوان)، وشكل كبـار الكهان وكبار الأعوان وجنودهم الظلمة ما اصطلح عليه القـرآن بلفظـة (المـلأ) أو (الـذين استكبروا) أو (الذين أترفوا).. وحاز هؤلاء ما شاؤوا، واستولوا على ما أرادوا من دنيا الناس والشعوب المسحوقة طوعا أو كرها.

وتنوعـت أشـكال مثلـث السـلطة بحسـب تنـوع وتطـور المجتمعـات والممالـك والحضارات.. ولكـن التـاريخ وآثـاره ومـا تركتـه تلـك الحضـارات مـن شـواهد مكتوبـة أو ملموسة، وكذلك ما أخبرتنا به الكتب الدينية السابقة ثـم القـرآن الكـريم، دلـت جميعهـا على أن مثلث السلطة كان مكونا من هذا الحلف:(الحاكم والكاهن والأعوان). حيث كان صلاح الملأ والحاشية دائما بصـلاح ذلـك السـلطان. والعكـس بـالعكس. فـالملوك العـادلون قربـوا العلـماء الصـالحين ورجـال الـدين المخلصـين. واسـتقام تبعـا لـذلك مسـلك الجنـد والأعوان. وأما الطغاة فقد قربوا المجبرين والفاسدين. وكان الناس دائما على دين ملوكهم..

وهكذا قام الساحر المشعوذ يهيج النـار إلى جانـب رئـيس القبيلـة، ويـدير الطقـوس في المجتمعات البدائية. ثم تطورت الحضارات فقام النموذج الفرعوني الذي فصل القرآن وأفـاض في تركيبته وأحواله.. فوقف النمرود وكهان الأصنام لسيدنا إبراهيم عليه السلام حتى رمـوه في النار ثم هجّروه بعد نجاته، ولما جاء موسى عليـه السـلام إلى فرعـون وقـف في وجهـه حلـف السحرة والأعوان من الملأ إلى جانب الفرعـون.. ثـم وقـف الأحبـار والرهبـان مـن اليهـود إلى جانب الملوك الطغاة ضد الصالحين في كثير من تـاريخهم. فجـاء نمـوذج (بلعـام بـن بـاعوراء) الذي قص اللـه قصته مع القوم الجبارين وملكهم ضد نبي اللـه والمؤمنين من بني إسرائيل.. ثم جاء اليونـان وقامـت حضـارتهم الوثـنية، فكـان لهـا أباطرتهـا وكهانهـا وآلهتهـا وجنـدهم وملوكهم، ثم جاء الرومـان فورثـوا حضـارة اليونـان بحـذافيرها.. وقامـت حضـارات كثـيرة في المشرق والمغرب. وكلها تدل آثارها على نفس المسالك والبنية في مثلث السلطة. (حاكم وكاهن وأعوان). ولما جاء سيدنا عيسى عليه السلام وقف الأحبار والرهبان والمـلأ مـن بنـي إسرائيـل وأرباب الدنيا والمصالح مع الحاكم الروماني وسـعوا في قتلـه فأنجـاه اللــه مـنهم.. ثـم طـارد

القياصرة والملوك أتباعه وقتلوهم حتى حفروا لهم الأخدود الـذي ذكـره القـرآن، وطـاردوا أصحاب الكهف وأمثالهم، حتى سـمي القـرن الأول والثـاني المـيلادي في التـاريخ المسـيحي بعصر الشهداء..

ثم غزت النصرانية الإمبراطورية الرومانية، بعد أن شوهها الرهبـان والأحبـار اليهـود ومزجوها بالوثنية وبعض تعاليم اليهودية..

وتكررت السنّة فكان البابا كبـير الرهبـان والأحبـار النصـارى إلى جانـب الإمبراطـور القيصر.. ونشأ لـه مـا هـو معـروف مـن المؤسسـة الدينيـة وسـلطانها.. واكتمـل عـلى يـد النصارى الهيكـل الـديني الـذي صـار البابـا الأكـبر فيـه إمبراطـورا دينيـا متوجـا يضـاهي الإمبراطور الرومـاني وملـوك أوروبـا في ملكهـم وذهـبهم وحراسـهم وحشـمهم.. وشـهدت أوروبا كثيرا من الحروب والنزاعات بين الملوك والأباطرة العظام وبين البابـا وكبـار كرادلتـه ورهبانه وكانت الغلبة دائما للباباوات.. حتى ثار بعض الملوك واتخـذوا لأنفسـهم بابـاوات فرعيين غير البابا المركزي.

والتاريخ الأوروبي و الكنسي يقص الفظائع من أفعال مثلـث السـلطة هـذا (الحـاكم والكاهن والأعوان) وما فعلوا بالشعوب مما يشيب لـه الولـدان، ويشـابه الأسـاطير. فقـد استلبوا الأموال، و سفكوا الدماء، واستحلوا من الأعراض ما شاؤوا. حتى بلغ بهم أن يبيعوا الناس إقطاعات في الجنات من عالم الآخرة!.. حتى ثار الناس على دين البابـا، وإلـه البابـا، وكفروا وألحـدوا ورمـوا الـدين جانبـا. لتقـوم الحضـارة الغربيـة عـلى مـزيج مـن الإلحـاد والعلمانية والنصرانية المتهودة الملوثة. كما يشهدها العالم منذ أكثر من قرنين من الزمن..

فلما جاء دين اللـه الخاتم وشريعته المحمدية، ركزت العقيدة على ربط العبد بربه وأزالت وألغت دور الكاهن في حياة المسلم الإيمانية. فكان للدين علماء بمنزلة ورثة أنبياء يهدون الناس إلى ربهم بلا جزاء ولا أجر ولا إلزام. حيث يسـتطيع أي أحـد مـن النـاس أن يسلك سبيل طلب العلم ليكون مـن أهـل العلـم.. كـما قـننت الشريعـة للسـلطان دوره وحقوقه وصلاحياته. وكانت الشريعة فوق الحاكم والمحكوم..

ولكن الذي حصل في أرض الواقع هو ما أخبر به رسول اللـه صلى اللـه عليه وسـلم من أن أهل الإسلام سيتبعون سنن من كان قبلهم حذو القذة بالقذة.. قالوا يا رسول اللـه اليهود والنصارى؟ قال فمن؟ (أي فمن إلا هـم؟!) لقـد تـبعهم أهـل الإسـلام في كثـير مـن الأمور وكان شر ذلك ؛ الإتباع في النظـام السـياسي وهيكلـه، مـن قيـام الملـوك والسـلاطين ونظامهم الوراثي.. ونشأ هيكل شبيه بهيكل الأحبار والرهبان إلى جانب كل سلطان.. وتماما كما أخبر رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم في أحد أحاديث معجزات النبـوة فـيما روي عنه من حديث حذيفة: (تكون النبوة فيكم ما شاء اللـه أن تكون ثم يرفعهـا إذا شـاء أن يرفعها. ثم تكون خلافة على منهاج النبوة.فتكون ما شـاء اللـــه أن تكـون ثـم يرفعهـا إذا شاء اللـه أن يرفعها. ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شـاء اللـــه أن يكـون ثـم يرفعهـا إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون ملكا جبريا فتكون ما شاء اللـه أن تكون ثم يرفعهـا إذا شـاء أن يرفعها. ثم تكون خلافة على منهاج النبوة.ثم سكت) رواه مسلم.

وفي رواية غاية في الأهمية أوردها ابن حماد في كتاب الفـتن مـن حـديث أنـس رضي اللـه عنه قال(إنها ثم ثم ملك عضوض ثم جبرية ثم طواغيت).

وفي رواية: عن أنس بن مالك قال: (إنها ستكون ملوك ثم جبابرة ثم الطواغيت).

وهذا الذي حصل في المسـلمين منـذ رحيـل الإسـتعمار وقيـام حكومـات الطواغيـت لترعى مصالحه وتحكم بشرائعه إلى يومنا هذا... وهكذا سن بنو أمية سنة الملـك في الأمـة المحمدية وتـبعهم بعـدهم سـلاطين المسـلمين وخلفـاؤهم (كـما اصـطلح عـلى تسـميتهم اصطلاحاً).. وكذلك كان دأب الملوك والأمراء المسلمين لما تفرقـت ممالـك بـلاد الإسـلام إلى دول وممالك شتى..

فكانت النبوة فينا كما حفظت قصتها لنا كتب السيرة العطرة ونصوص السنة.. وكان النبي صلى اللـه عليه وسلم هو الحاكم السياسي كما أنه مصدر التشريع والتلقي..

فلما قامت الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، قام خليفة رسول اللــه صـلى اللــه عليه وسلم بأعباء الحكم والسياسة والريادة الدينية، يعاونه أهل الحل والعقد من علـماء الصحابة والتابعين.

فلما انقلب الأمر كسروية قيصرية، وانتقل إلى الملك العضوض، فالملك الجبري استلزم الملك والسلطان مقومات مثلث السلطة من الكهان والأعوان..

فسلك أهل الإسلام في ذلك سنة من كان قبلهم.. فما بالك عند ما تحقق مـا ورد بـه رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم من قيام الطواغيت؟..

وهكذا كان إلى جانب كل ملك صالح علماء صالحون وأعـوان مقسـطون. ونـادرا مـا مر هذا في التاريخ الإسلامي.. وكذلك قام إلى جانب ملوك الجـور مـن الخلفـاء والسـلاطين والأمراء المسلمين، علماء سلطان منحرفون على قدر جور أمرائهم..

إلى أن قام الطواغيت يحكمون المسلمين، فطغى علماؤهم وابتـدعوا وزادوا ونقصـوا في دين اللـه قدر ما استطاعوا. ولم يسلم من عبثهم إلا القرآن الكريم، الذي تكفل اللــه بحفظه. وما حفظ من سنته صلى اللـه عليه وسلم. ومع ذلك لعب علماء السوء دورهـم في تحريف الكلم عن مواضعه وسوء التأويل ولي أعناق النصوص، لتوافـق أهـواء الملـوك.. وكان الجند والأعوان من أعـوان الظلمـة وأصـحاب السـيطرة رهـن إشـارة الملـوك الـذين انتهبوا من دين أولئك العلماء وفتاويهم ما شاؤوا قدر ما استطاعوا..

وهكذا حصل ما أخبر به رسول اللــه صـلى اللــه عليـه وسـلم مـن افـتراق القـرآن والسلطان.. ومن نعمة اللـه على أهل مكة الإسلام أن حفظ لهـم القـرآن بحفظـه وقـيض لهم من حفظ السنة ونقحها.. وأنعم علـيهم بـبعض العلـماء والعـاملين المخلصـين في كـل ظروف من تقوم بهم حجة اللـه على خلقه. فوقفوا بالمرصاد لذلك الإنحراف وتحملـوا في سبيل اللـه جبروت الملوك وضريبة مواجهـة فقهـاء السـلاطين وعلـماء الضـلالة وجهـالات وطغيان الجنود والأعوان من أتباع السادة والكبراء.

وهكذا كان إلى جانب كل سلطان من أمثال المأمون والمعتصم أمثال أحمد بن أبي دؤاد وأصحابه ممن يقول للمعتصم محرضا له على قتل أحمد بن حنبل (اقتله يا إمام ودمه في عنقي) حتى كان في خلفهم من شيوخ الأزهر في مصر من يفتي بقتل سيد قطب وإخوانه. ومن هيئة كبار العلماء في السعودية ومن يفتي بقتل المجاهدين للأمريكان ويحكم بأنهم لا يروحون رائحة الجنة!!..

إن فهم هذه السنة الكونية أساسٌ هام جدا لفهم طبيعة صراع الحق والباطل عبر التاريخ عامة، وفي زماننا هذا خاصة، حيث ترزح كافة بلادنا تحت احتلال قوى الكفر مباشرة وبصورة غير مباشرة. كما مر معنا في الفصل الأول. حيث ينوب عنهم ويقوم على حراسة مصالحهم ويشاطرهم المكاسب حكام مرتدون تترسوا خلف علماء ضلالة، فأسبغوا الشرعية عليهم وعلى الإحتلال الصليبي بل واليهودي. وأفتوا بقتل المجاهدين وحرمة التعاون معهم، ليصبحوا جزءا من الحملة الأمريكية لمكافحة الإرهاب..

وهكذا تكرر عبر الأزمان وعلى مر الحضارات والممالك النموذج الفرعوني لمثلث السلطة الذي فصل فيه القرآن وبين وأفاض بطريقة تبعث على الدهشة والعجب..

النموذج الفرعوني من خلال نصوص القرآن:

لقد قص الله سبحانه وتعالى قصة فرعون من خلال مساحة واسعة في القرآن بصورة تختلف من حيث الشرح والاختصار في 27 سورة من سور القرآن.. حيث ورد ذكر فرعون زهاء 76 مرة. وغالبا ما جاء مقترنا بذكر السحرة أو الملأ أو الجند والأعوان.. ولعل أكثرها تفصيلا ما جاء في سور (الأعراف / يونس / طه / الشعراء / القصص / الزخرف).. وانظر إلى الإعجاز المذهل في تصوير السلطة الفرعونية وأركانها في كل زمان ومكان، وأساليبها في الصراع مع الحق وأدوار أركانها الثلاثة (الحاكم / الكاهن / الجند والأعوان)، وحيثيات المواجهة ودور الأجهزة السلطوية، وأداء أهل الحق

والباطل على مسرح الحدث من خلال مشاهد الصراع ونختار من تلك النصوص وقفة سريعة مع ما جاء في سورة الشعراء الآيات (23- 68):

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ لِلْمَلأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ *)يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ * فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ * فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرائيلَ * فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ *

وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِين * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (الشعراء:23 / 68).

وهكذا جاء دور السحرة وعلماء الفرعون:

ابتدأ الحوار بين موسى عليه السلام وفرعون عقديا.. فلما بين موسى أن لهم ولآبائهم ربا هو مالك الملك ورب المشارق والمغارب.. دب في فرعون شيطان الطغيان فاتهمه بالجنون، ثم هدده بالسَّجن إن هو اتخذ ربا يطيعه ويدين له بدلا عن طاعة الملك ودينه.. ثم عرض موسى عليه السلام المعجزات والدلائل المفحمة.. وهنا أسقط في يد الفرعون.. فهذه معجزات لا تناقش، ولا توضع في السجن، عندها ﴿ قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم * يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون﴾ اتهمه بقدرة السحر.. واستنجد بالملأ يستفز فيهم حرصهم على الملك ﴿ يريد أن يخرجكم من أرضكم ﴾ ويظهر الديمقراطية الآن رغم أنه الآمر الناهي الذي قال لهم يوميا ﴿ ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ حتى بلغ أن يقول لهم ﴿ أنا ربكم الأعلى﴾!!. الآن يخاطب أعوانه باللين ومنطق المشاركة ﴿ماذا تأمرون﴾؟ وهكذا هم في كل زمان كما يفعلون اليوم في مسرحيات الإصلاح السياسي بعد زلازل العراق..

وهكذا أدرك الملأ أن المسألة مسألة خوارق وعقائد تحتاج أهلها، فاستنجدوا بعكاز الفراعنة في كل زمان المشايخ و (رجال الدين)، ﴿قالوا أرجه وأخاه ﴾أي أجل حواره الآن ﴿ وابعث في المدائن حاشرين * يأتوك بكل سحار عليم ﴾ بكل مقتدر من الكهان، سحار كثير السحر عليم به. وهنا تأتي لفتة هامة وما أشبهها بما يحصل اليوم ﴿ فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ﴾..

فلماذا يجتمع السحرة؟! إنهم يجتمعون لتطويع الناس للفرعون [وقيل للناس هل أنتم مجتمعون] لماذا؟ ﴿لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين﴾ وهنا لفتتان هامتان:

أولاهما: أن الملأ يتبعون فرعـون في العـادة. فكيـف رضي لهـم الفرعـون وللنـاس أن يتبعوا السحرة ؟ !ما كان ذاك إلا لعلمه أن إتباعهم للسحرة هو في نهايته طاعة للفرعـون لأنهم سيأمرونهم بهذا.

ثانيهما: أن شرط طاعة الناس للسحرة [إن كانوا هم الغالبين].. فالناس تتبع الحجة والبرهان الشرعي منهم إن غلبوا أو أوهموا الناس بغلبتهم.

[فلما جاء السحرة قالوا لفرعون: أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين] فهم يعملون للدنيا والأجر.. فما أجرهم؟ لقد اختار لهم الفرعون أعلى الأجر وأحبه إلى النفوس المتعلقة بالدنيا، فقال:[نعم وإنكم إذا لمن المقربين] الأجر هو القرب من السـلطان.. لأن بـالقرب منه تقضى الحوائج، ويتقرب بعدها الناس لهم بمـا شـاؤوا مـن النسـاء و البنـين والقنـاطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث.. أما الفرعون فهو يضـمن بقربهم فسادهم لأنه كما جاء في الأثر (ما ازداد عبد من السلطان قربا إلا ازداد من اللـه بعدا). وهو يعلم هذا وكل السلاطين والحكام يعرفونه..

فلما اتفقوا على أن يلقوا.. استعلنوا بالشعار كما يستعلن عباد السلاطين اليوم [قالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون]، فلما غُلبوا وتبين الإعجاز الإلهي لهـم، وعرفـوا لأن اللــه كان قد كتب لهم السعادة [قالوا آمنا برب العالمين].

أدرك الفرعون أن عكـاز السـلطان الأول قـد انصـدع وتـكسر وتخـلى عنـه.. فأشـهر عكازه الثاني وهم (الجند والأعوان) وأخذ بالتهديد والوعيـد [لأقطعـن أيـديكم وأرجلكـم من خلاف و لأصلبنكم أجمعين]..

فلما آمن من آمن وشرعوا بـالهجرة والاختفـاء، جـاء دور الآلـة الإعلاميـة ﴿ فأرسـل فرعون في المدائن حاشرين * إن هؤلاء لشرذمة قليلون * وإنهم لنا لغائظون * وإنا لجميع حاذرون﴾. وما أشبه تلك البارحة بهذه الليالي، وما تديره آلة الإعلام اليـوم فـيما يسـمونه (مكافحة الإرهاب).

فسـبحان اللــه.. وكـما تشـابه المسـار ستتشـابه النتيجـة بـإذن اللــه. فالعاقبـة للمتقين..وقعر أليم لكل جبار عنيد.

أما الملأ:

من المستشارين والأعوان والحاشية والجند. فهم كما جاؤوا في سياق القرآن شركاء في كل شيء، شركاء في التسلط والطغيان، شركاء في الجرم، كما أنهم شركاء في حكمهم الشرعي، وكذلك شركاء في العاقبة والمصير..

فقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم ثلاثين مرة.. وكلها للتعبير بحسب سياق الآيات عن كبار أعوان الملك ومستشاريه وقادته والمقربين منه.. وقد مرت في أكثر آيات قصص الأنبياء كما سبق في بعض الشواهد بصفتهم الأعوان الواقفين دفاعا عن الطاغوت دائما في وجه الأنبياء وأتباعهم. فهم كما وصفهم تعالى:

المتكبرين: ﴿ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ (الأعراف:75). ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (الأعراف:76).

والمترفين: ﴿ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (هود:116).

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (سبأ:34).

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ (الإسراء:16).

والمتتبع لأمرهم في الآيات لاسيما في قصص فرعون المتكررة يلاحظ أمورا ثلاثة:

1. أن السلطان يرتكز إليهم وأنهم يرتكزون إليه.
2. أن دورهم مباشر في تثبيت أركان الفرعون، وفي التخطيط والتآمر، وبتنفيذ الحرب ضد حزب الإيمان.
3. أن القرآن الكريم قد قرنهم إلى الفرعون في الحكم الشرعي وكذلك العقاب والمصير..

- فهم يباشرون المؤامرة، قال تعالى:﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (القصص:20).

- وهم أركان ألوهية الفراعنة وعباد طاغيتهم: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾(القصص: 38)..

- ولذلك شملهم موسى بدعائه على الفرعون لما قال: ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (يونس:88).

- كيف لا وهم شركاء في الظلم كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف:103).

- وهم المتكبرون معه، قال تعالى: ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ ﴾ (المؤمنون:46).

- وقد كانت الدعوة إلى فرعون ولهم سواء بسواء: ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ (القصص: 32).

ولكنهم استكبروا وتولوا مهمة فتنة المؤمنين ومطاردتهم..قال تعالى: ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (يونس:83)

فلما استجاب الله دعاء موسى، أخذهم العذاب الأليم وغرقوا معه.. وسبحان المنتقم العادل والجزاء من جنس العمل..

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ * يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَ بِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ (هود:98 / 96).

وأما الجند وصغار الأعوان:

فحالهم حال الملأ وهم جزء منهم، والطبقة السفلى من تكوينهم، وينسحب عليهم ما سبق من الملاحظات. فهم السند الحقيقي عددا وعدة، في تثبيت أركان الفرعون والملأ. وهم المباشرون لعذاب المؤمنين و نكالهم، وهم الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم من أجل بعض الفتات.. ولذلك أشارت الآيات أيضا إلى اشتراكهم في الجرم وقصدهم بالدعوة واشتمالهم على عقاب طاغوتهم معه.. في الدنيا والآخرة.. والآيات واضحة لا تحتاج إلى تعليق..

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللـه وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ (النساء:76)

فالقتال مع المؤمنين في سبيل اللـه علامة على الإيمان. والقتال في سبيل الطاغوت علامة على الكفر.

وقال تعالى:﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ (القصص/8). فخطيأتهم واحدة جملة وهل كانت خطيئة الفرعون إلا الكفر باللـه ومحاربة أوليائه.

﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ﴾ (العنكبوت:39). فهم شركاء في الاستكبار، شركاء في الجحود.. ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً ﴾ (يونس/90).

فهم الأداة..أداة جريمة الفرعون ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ (البروج:18 / 17). فما فرعون وثمود لولا الجنود؟. ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ (طه/78) شراكة العقاب في الدنيا ومثلها قوله.. ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص/40). تأكيد لسابقتها.. وكذلك قوله: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (القصص 6/5).

وهكذا رأى الجند والأعوان من العقاب مع فرعون وهامان ما كانوا يحذرون..

﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ * يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ* وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ (هود: 97-99). وهذه أسوأ ما ينتظرهم من شراكة المصير في الآخرة..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ الله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ﴾ (الأحزاب/90).. فجند الطاغوت في مقابلة جند الله وملائكته، ومصيرهم هو مصير زعيمهم إبليس وكل جنده.. ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ* وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ (الشعراء: 94 / 95). فهكذا اشتركوا في المصير إلى النار..

وهكذا فهم عسكر إبليس مع كل طاغية جبار، وحّدهم الجرم ووحّدهم العقاب في الدنيا والمصير في الآخرة إلا ما شاء ربك.. وهكذا أعود لأؤكد..من أني أعتقد كما اعتقدت دائما، أن مشكلة أهل الإيمان والجهاد في هذا الزمان كما كانت في معظم الأزمان، وهي اليوم أوضح وأكبر، في كهنة هذا الزمان علماء السوء المجرمين الذين لبسوا على الناس دينهم، وشرّعوا للكفر وجوده، وحاربوا من وقف في وجههم، وكانوا نكالا ووبالا على أمة الإسلام ودعاتها إلى الله ومجاهديها المستضعفين، ولا عجب أن يخصهم القرآن بأشد آيات الوعيد والعقاب كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ الله وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (البقرة:159) وقوله:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ الله مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة:174).

نشوء الممالك وزوالها ونظرية ابن خلدون في قيام الحضارات. ونظرية توين في تنقلها بين المشرق والمغرب:

تدل الدراسات التاريخية والآثار في مختلف أنحاء المعمورة على أن حضارات كثيرة وممالك لا حصر لها قد قامت وبادت هنا وهناك. و المجهول منها أكثر من المعروف. ولم يبق لنا منها إلا ما تدل عليه بعض الحفريات الأثرية، وما دوّن في بعض الأدبيات القديمة وما أشارت إليه بعض الكتب المقدسة..

وقد قامت ممالك وتوسعت حتى وصلت حد الممالك العظيمة والاتساع الإمبراطوري. ثم دبت فيها عوامل الضعف والفناء، واجتاحتها ممالك أقوى منها، فأدى ذلك إلى تحللها إلى مكوناتها وقيام ممالك أصغر أو أكبر منها بحسب أمواج وتفاعلات التاريخ البشري.. وقد تقصى العلامة الباحث العبقري ابن خلدون رحمه الله.. نشأة تلك الممالك وزوالها، وقيام الحضارات والعمران واندثاره، وأسباب ذلك وعوامله و أطوراه ومراحله، فتوصل إلى نظريات أساسية في علم التاريخ والاجتماع والسياسة..

وقد ضمن نظريته تلك كتابه المشهور بـ (مقدمة ابن خلدون). وبمقتضى تلك النظريات أو الملاحظات. فإنه أثبت أن الممالك والحضارات تولد وتتطور، وتشب وتهرم وتموت بأطوار شبيهة جدا بالأطوار التي يمر بها الإنسان..

ويجدر بالإشارة أن فهم منطق التاريخ وسياقه في ذلك، يهمنا جدا في فهم أسباب ومراحل قيام النظام الدولي والصراع التاريخي بين الممالك والحضارات، لأن هذا يساعدنا على فهم أسباب النهضة والهزيمة في تاريخ المسلمين، ماضيهم وحاضرهم.. ولنفهم ونستنبط ما يشير من الأدلة إلى أن الحضارة الغربية المعاصرة، وآخر مراحلها الحالية بقيادة أمريكا آيلة إلى زوال لا محالة، وأن حضارة الإسلام ماضية إلى بزوغ شمسها وقيام نهضتها بإذن الله. مما يدفعنا للأمل والجد والعمل. فالمستخلص من كلام ابن خلدون – رحمه الله - أنه كما أن الإنسان يولد ضعيفا مرميا على الأرض لا يستطيع حراكا ولا سعيا ويحتاج غيره في كل حاجاته، ثم يتطور فيحبو على أربع، ثم ينمو فيشب على قدميه ويسير متعثرا، حتى يستقيم له المسير. ثم يصير غلاما يرتع ويلعب، ثم شابا جلدا صلب العود، فرجلا تاما المدارك والقوى. فإذا ما بلغ الأربعين بلغ أشده

وذروة قواه البدنية والعقلية.. ثم يبدأ به الهبوط والتراجع في كافة القوى، فيكتهل ثم يصبح شيخا، ثم شيخا فانيا. كما قال تعالى:

﴿ وَاللـه خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللـه عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (النحل:70).

وهكذا يشيب الشعر، ويرق العظم، وينحني الظهر، وهي رسل ملك الموت تؤذن بالرحيل. ثم يسير على ثلاث ؛ رجليه وعكازه، وقد يحبو على أربع ليقضي حاجته كما بدأ، ثم ينطرح في فراشه أرضا لا حراك به حتى يدركه الموت، فيعود من حيث أتى، ونسأل اللـه حسن الختام.

وقد رأى ابن خلدون ـ وأثبتت حوادث الأيام ما رأى ـ أن الدول كذلك تمر بهذه الأطوار.. فهي تنشأ وتشب وتستوي قواها ثم تذبل وتضعف، وتنهار قواها، ثم تموت ليتقاسم إرثها وحضارتها وأراضي شعوبها دول أخرى، وهكذا وكما تتفاوت أعمار الإنسان، تتفاوت أعمار الدول. وكما يموت البعض بسبب أمراض داخلية أو عدوى أمراض خارجية، فكذلك الدول في الغالب. وكما يختطف موت الفجأة أو القتل بعض البشر، فربما هلكت دول بمفاجأة قوى أكبر منها، أو بالعوارض الطبيعية.. وقد تعمر بعض الدول أشهرا أو سنوات، وقد مر في التاريخ دولا وحضارات قد عمرت آلاف السنين أو مئاتها.. وصدق اللـه العظيم:

﴿ قُلِ اللـهمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران:26).

ومن المهم الذي أشار إليه ابن خلدون أن الدول تنشأ لاجتماع مؤسسيها على عصبية ما (يقصد رابطة)، قد تكون ملِكا، أو قرابة، أو دينا، أو عرقا قوميا، أو مصالح مشتركة... فتنشأ عصبية المُلْك. وتبدأ أمرها بقيامهم على العصبية فيما بينهم، وعلى الخشونة والبأس والتضحية في سعيهم.

وغالبا ما يكون المؤسسون الأوائل زاهـدون في المتـاع، منصرفـون إلى الحـرب والجـد والبناء.. ثم يتلوهم جيل يولد في القوة والنعيم فيكتسـب صـفات مـن قبلـه لقربـه منهـا ويحافظ على الملك ويطوره، ولكن بشيء من الترف والمتعة في الملك. ثم يتلـوه جيـل أقـل صلابة وأكثر ترفا وبعدا عن الكد والتعب، وهكـذا حتـى تقـوم أجيـال قـد انحلـت لـديها العصبية، وأرخت قواها ومفاصلها أثار الترف والنعيم، فيدب الضعف للدولة، فتطمع بهـا دول أو عصبيات أخرى فتعدوا عليها وتستلب ملكها لتبدأ الدورة مع الجدد مـن جديـد.. وقد تكون أسباب السقوط داخلية أو خارجية وقد تجتمع كل العوامل..

وهكذا وباستعراض تاريخ الأمم والملوك القريب المعـروف لـدينا منـذ دون الإنسـان آثـاره أي منـذ نحـو 6000 -7000 عـام تقريبـا نجـد أن حضـارات الصـين والهنـد والسـند واليونان والرومان والفراعنة وسواها. وما تخلل ذلك من ممالك ثانوية، قـد مـرت كلهـا في هذه الأطوار وصدقت ما ذهب إليه ذلك العلامة العظيم رحمه اللـه.

ويجب أن نعلم أن هذه السنة ما تزال سائرة في النظم والدول الحديثة. وقـد مـرت بها الحضارة الإسلامية إلى أن دب بها الضعف، وتناهبت إرثهـا ممالـك الحضـارة الأوربيـة. التي انفردت بالسيادة منذ نحو200 سنة، إلى أن قام النظام العالمي الحديث بعـد الحـرب العالمية الثانيـة فنشـأت أمريكـا وروسـيا كوريثـتين لإرث المسـتعمرات الأوروبيـة.. إلى أن أزالت أمريكا وحلفائها حضارة الشرق السـوفيتية، ليقـوم (النظـام العـالمي الجديـد) عـلى أساس القطب الأوحد المنفرد بالسلطة والقوة لأول مرة في تاريخ البشر المعروف.

وقد قام المـؤرخ الإنجليـزي المعـروف (أرنولـد تـوينبي) المتـوفى سـنة 1963 بإضـافة ملاحظة على منطق سير التاريخ.

إذ لاحظ وتنبأ بناء على ملاحظته أن الحضارة قد تداولت بين الشرق والغرب أربع مرات وهـي سائرة للخامسة بلا شك.. فقال أن الحضارة ولدت في الشرق في ممالك السـند والهنـد والصـين وفـارس القديمة وحضارات العراق ومصر واليمن ثم انتقلت للغرب إلى اليونان ثم الرومان، ثم انتقلت لـلشرق

على يد المسلمين وقامت الحضارة الإسلامية، ثم انتقلت للغرب على يد الحضارة الغربية الأوروبية فالأمريكية.. وقال أنها تسير ولا شك للعودة للشرق والمسلمين بناء على نذر الإنهيار والتحلل في الحضارة الغربية وبذور النهضة والإشراق في الشرق الإسلامي..

وهذا ثابت لدينا في البشائر النبوية وحتى في نبوءات كتب أهل الكتاب القديمة، وقد أوضح كتاب و فلاسفة غربيون معاصرون ذلك بصورة أصرح. بل كتب بعض الكتاب الأوروبيين والأمريكان مؤخرا كتبا تنبؤوا فيها بسقوط أمريكا والحضارة الغربية في خلال عشرين سنة. وقد مضى على بعض تلك الكتابات نحو عشر سنين.. فسقوطهم لا شك قادم، ونهوضنا لا شك قائم. وهو غيب في علم الله. نسأل الله أن يشهدنا إياه. أو أن يجعلنا ممن عمل له عملا ينفعه يوم لا ينفع مال ولا بنون.. إلا من أتى الله بقلب سليم.

الحضارات والنظام الدولي القديم إلى ظهور الإسلام:

رغم أن الدراسات الأثرية تشير إلى أن حضارات قديمة موغلة في القدم قد قامت وازدهرت في كل أنحاء الأرض وكافة قاراتها. إلا أنه لم يمكن معرفة تاريخ الإنسان بشئ من تفاصيله إلا عندما بدأت الكتابة ويرجع ذلك إلى نحو 6000 أو 7000 عام. ومن أشهر الحضارات القديمة المعروفة، تلك التي قامت في بلاد الصين والهند وفارس، وحضارات العراق القديمة من الآشورية و الكلدانية والبابلية وغيرها. وحضارات بلاد الشام كالفنيقية و السومرية و الكنعانية، وحضارات جزيرة العرب، كعاد وثمود، وحضارات اليمن كسبأ وحمير وقوم تبع. وكذلك حضارات مصر الفرعونية ووادي النيل. وحضارات شمال إفريقيا و قرطاجة، وكذلك حضارة اليونانية. ثم الحضارة الرومانية. وكذلك حضارات الهنود الحمر وقدماءهم في الأمريكتين ولاسيما الجنوبية فيها حيث قامت حضارات متطورة وراقية..

ومع تطور الحضارات وقيام التواصل بينها عبر علاقات السلم والحرب، بدأ ما يمكن تسميته بالنظام الدولي. حيث تمكنت حضارات وممالك عظمى

من بسط سيطرتها على ما جاورها، وكان لها نظما سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، كما كـان لهـا سياسـات عسـكرية داخلهـا وفي جوارهـا، ومنازعـات مـع مـن جاورهـا مـن الإمبراطوريات القوية.

ومن أشهر ذلك ما قام في العالم القديم آسيا وأفريقيا وأوروبا ـ وهو العالم المتواصل جغرافيا وحضاريا مثل ما كـان بـين حضـارة فـارس القديمـة التـي عمـرت عـدة آلاف مـن السنين. وحضارة اليونان وصراعها على خط التماس في الشرق الأوسط. وهـي منـاطق بـلاد الشام والعراق وتركيا (أو ما يعرف بهضبة الأناضول أو آسيا الصغرى).. وقد شهدت تلك المرحلة انتصار فارس وتفكك حضارات اليونان وضعفها وتمزقهـا، ثـم نهوضـها مـرة أخـرى وتوحدها على يد القائد التاريخي الإسكندر المقـدوني، الـذي جمـع اليونـان ثـم غـزا بهـم المشرق ودحر الفرس ووصـل إلى تخـوم الصـين. كـما دخـل مصر الفرعونيـة ومعظـم بـلاد المشرق.

ثم نهضت فارس ثانية وأقامت إمبراطورية امتد ملكها من بلاد الرافدين في العـراق إلى بلاد فارس (إيران) والسند (باكستان) وأفغانسـتان وأجـزاء مـن وسـط آسـيا. وفي ذلـك الحين نهضت الإمبراطورية الرومانية في شـبه الجزيـرة الإيطاليـة وورثـت حضـارة اليونـان وتمددت لتشمل كل البلاد المحيطة بالبحر المتوسط: الشام ومصر وشـمال إفريقيـا وأجـزاء من الأنضول وكافة القارة الأوروبية.

وهكذا آل النظام الدولي القديم إلى وجود حضارتين متنافستين، تتحاربان أيضـا عـلى خطوط التماس في الشرق الأوسط، في الشام والعراق!.

وكان لذلك النظام الدولي كثيرا مـن صـفاته في الوقـت الحـاضر، مـن نفـوذ الـدولتين العظميين على جيرانهم، وتدخلهم في شؤونهم الداخلية. وقيام نظام الحروب بالوكالـة بـين أتباع الإمبراطورية الفارسية من أعراب العراق وبلاد الرافدين وهـم ملـوك المنـاذرة الـذين كانوا على دين أسيادهم الفرس مجوسا يعبـدون النـار مثـلهم. وبـين أتبـاع الإمبراطوريـة الرومانية البيزنطية التي آلت عاصـمتها إلى القسـطنطينية وهـم عـرب الشـام الغساسـنة وكانوا على دين أسيادهم الرومان نصارى مثلهم..

وقد تبادل الروم والفرس النصر والهزيمة مـرات عـدة في حـروب طاحنـة أيضـا، كـما قامت بينهم في أيام السلم علاقات التبادل الحضاري والإقتصادي..

و في ذلك الوقت كان عرب جزيرة العرب يعيشون في عزلة سياسية تامة عن الجوار، في نظام بدائي متفكك مستقل عما حوله يقوم عـلى تجمعـات قبليـة وعشـائرية متحاربـة فيما بينها متفرقة سياسيا لا يجمعها ملك ولا نظام. فقـد كانـت متفرقـة دينيـا تعبـد كـل قبيلة آلهتها وأوثانها. وكان للعرب في الجزيرة نظام اقتصادي بدائي يقوم في معظمـه عـلى الرعي، وشئ من الزراعة حول واحات مياه الصحراء، وعلى التجارة وخطهـا القـديم الـذي يعبر مكة والمدينة والعقبة من اليمن إلى الشـام ويـربط بـين تجـارة المشرق القادمـة مـن الصين والهند بحرا إلى اليمن، وتجارة الغرب القادمة من بلاد الرومان من الأناضول وشمال الشام. ولم يكن في جزيرة العرب نظام موحد ومستقل إلا في اليمن. حيث قامـت ممالـك وطيدة الأركان، إلى أن غزاها الأحبـاش النصـارى حلفـاء الرومـان، ثـم غلـب عليهـا ملـوك ارتبطوا بفارس الذين عينوا عليهم حكاما تابعين لهم..

هذه هي الأحوال السياسية وما يمكـن أن نسـميه اصـطلاحا بــ(النظـام الـدولي) في قلب العالم القديم، أوروبا وشمال أفريقيا ونصف آسيا الغربي..

وفي هذه الأجـواء في بـدايات القـرن السـابع المـيلادي (610 مـيلادي).. بـزغ شـمس الإسلام، وبعث سيد ولد آدم، وخير الأولين والآخرين، سيدنا محمد صلوات اللــه وسـلامه عليه. وبزغت شمس الحضارة الإسلامية حيث قامت نواة دولة الإسـلام وتوحـدت جزيـرة العرب خلال باقي حياته وبعثته صلى اللـه عليه وسلم التي امتدت 23 سنة.

لتدخل دولة الإسلام بذلك معترك النظام الدولي الذي صار يتـشكل من ثلاثة أقطاب هم: الروم والفرس ودولة الإسلام. منذ القرن السابع الميلادي.

أهمية معرفة التاريخ:

من الضروري جدا مـن أجـل فهـم أحـداث الحـاضر، واسـتقراء المسـتقبل، وفهم جدلية صراع الحق والباطل، سواء على الصعيد الـداخلي (بـين المسـلمين)،

أو على الصعيد الخارجي،(مع أعدائهم وخاصة الروم). الإلمام ولو بشكل عام، بالمحطات التاريخية التي مررنا بها نحن المسلمين. وكذلك تاريخ أعدائنا بشكل عام . والمحطات المشتركة بيننا وبينهم. كما أن لهذا فائدة كبرى في فهم سنن النصر والهزيمة، وأسباب القوة والضعف، مما يساعد المسلم عامة والمجاهد خاصة، وقياداتهم الواعية – كما يفترض - على وجه الخصوص. على التحرك في صراعاتنا القائمة والقادمة على بصيرة.

كما أن معرفتنا بتاريخنا المجيد، تزودنا بدافع قوي، على المضي قدما على آثار خطى أجداد أماجد طاولوا الثريا رفعة وعزا، عندما فهموا أننا قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا الغز في سواه أذلنا الله، كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه. (ومن يهن الله فما له من مكرم).

ولذلك نعرض في الصفحات المقبلة لنبذة مختصرة من محطات تاريخنا المجيد وما فيه من دروس وعبر لا تحصى.

ونلي ذلك بلمحة عابرة عن تاريخ أعدائنا الأزليين..الروم (بني الأصفر).

النظام الدولي زمن البعثة النبوية (صراع الفرس والروم):

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 570م. وأوحي إليه كما هو معروف سنة 610 ميلادية. وكان الروم والفرس يقتسمان سيادة العالم المحيط بالجزيرة العربية، وكان كل منهما يطمع في الاستيلاء على منطقة النفوذ الممتدة من شاطئ الفرات إلى سواحل البحر المتوسط، ويعمل على تحطيم قوة خصمه العسكرية. ومن أجل ذلك كانت الحروب متصلة بينهما، وكانت سجالا تقطعها مهادنات لا تطول. وقد اتسمت تلك الحروب بضروب القسوة، من تقتيل وتدمير وتخريب.

وقد اشتد ذلك الصراع بين الدولتين في عهد الملكين:

جوستنيان الأول الذي نصب إمبراطورا على الروم عام (527م).

كسرى الأول (أنوشروان) الذي نصب ملكاً على فارس عام (531م). ففي عام (546م) شن كسرى أنوشروان حربا على الروم وانقض على سورية

الشمالية فاستولى على أنطاكية عاصمة الشرق آنئذ، واستولى على الرها (أوذيسا) و قنسرين وحلب ومدن أخرى، ونقل آلاف الأسرى من أنطاكية إلى مدينة بناها على غرارها بالقرب من المدائن دعاها (أنطاكية) وعرفت باسم (الرومية)، وولي عليها رجلا من نصارى الأهواز.

لم يستطع جوستنيان صد كسرى عن بلاده لاشتغاله بحروبه مع قبائل (الآفار) و (السلاف) الذين كانوا يغيرون على حدود مملكته من جهة أوروبا، وقد اضطر أن يعقد صلحا مع كسرى. وفي عام (563م)، تم هذا الصلح على أن ينسحب كسرى من البلاد التي احتلها لقاء فدية كبيرة وجزية سنوية يدفعها الروم.

وفي عام (565م) مات جوستنيان الأول وخلفه جوستنيان الثاني فنقض الصلح الذي أبرمه سلفه مع كسرى، فارتد كسرى على سورية فدمرها. ويموت جوستنيان الثاني عام (578م) فيخلفه الإمبراطور (تيبريوس) فيصالح كسرى على مال وجزية.

وفي عام (579م) يموت كسرى أنوشروان فيخلفه ابنه (هرمز)، ويموت كذلك (تيبريوس) فيخلفه الإمبراطور (موريس) وتتألب قبائل الترك في الشمال الشرقي لفارس بعد موت كسرى، فيرسل هرمز لحربهم جيشا بقيادة قائد يدعى (بهرام) فيهزمهم ويغنم أموالهم، ويغريه النصر فينقلب على مليكه هرمز ويخلعه و يسمله، ويستولي على الملك.

ويحاول كسرى الثاني (أبرويز) ابن هرمز أن يسترد عرش أبيه فلم يفلح، فيلجأ إلى إمبراطور الروم (موريس) يستنصره على (بهرام)، فيكرمه الإمبراطور ويستجيب لنصرته ويزوجه ابنته ويمده بجيش عظيم يتغلب به على (بهرام) ويسترد عرش أبيه ويخلفه في الملك.

وفي عام (602 م) يغتال القائد البيزنطي (فوكاس) الإمبراطور (موريس)، ويستولي على الحكم وينصب نفسه إمبراطورا ويقتل أبناء موريس إلا واحدا منهم استطاع النجاة والهرب، فلجأ إلى كسرى أبرويز يستنصره على (فوكاس)

كما نصره أبوه على (بهرام) من قبل، فيطلب كسرى من الروم تنصيبه ملكا خلفا لأبيه ويهددهم بحرب إذا لم يفعلوا فيرفضون.

ويشن كسرى إبرويز حربا ضروسا على الروم ويستولي فيها على بلاد الشام ومصر والنوبة، ويحمل خشبة الصليب (المزعوم) من بيت المقدس إلى المدائن عاصمة الفرس، ثم يوجه جيشا كثيفا إلى القسطنطينية فيحاصرها ويستعين على حصارها بقبائل (الآفار) و (السلاف)، أعداء البيزنطيين، فيحاصرونها من جهة أوروبا، ويتمكن (هرقل) قائد الجيش البيزنطي من فك الحصار عن القسطنطينية. حيث استطاع بمحالفة الترك، أعداء الفرس، طرد جيش كسرى من بلاد الروم.

وفي عام (610 م) وهو عام البعثة النبوية، يخلع (هرقل) الإمبراطور (فوكاس)، لما شاع من فساد حكمه، ويدفعه إلى الشعب فيقتله وينصب الجيش هرقل لتغلبه عن الفرس وخلعه ملكا ضالا. ويشن هرقل حربا على الفرس يسترد بها ما كانوا قد استولوا عليه من بلاد الروم، ثم يهاجمهم في بلادهم ويكسر جيوشهم في وقعة (نينوى) عام (627 م) ويحمل كثيرا من أموالهم ويفرض عليهم جزية سنوية.

وقد كانت هذه الوقعة آخر الحروب بين الفرس والروم، وهي التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ و بعد هذه الوقعة جاء دور المسلمين فاكتسحوا الدولتين في آن واحد بقوة الواحد الأحد.

خلاصة تاريخ الدول والممالك في التاريخ العربي والإسلامي:
منذ قيام الدولة النبوية وإلى أيامنا هذه.
(1هـ-622م /1425 هـ - 2004م). [1]

---

[1] اعتمدت في كتابة هذا الفصل (الفصل الثالث) الذي يحوي الملخص التاريخي , على عدد من الأقراص الإلكترونية التي تحوي برامج في التاريخ الإسلامي , بالإضافة لعدد من المراجع التاريخية. وقد قمت بإعادة صياغة ما نقلته عن تلك البرامج والمراجع بتصرف كبير جدا , لأن غالبها كتب بأيد غير إسلامية , أو ربما معادية للإسلام حاقدة على تاريخ المسلمين أو بعض صناعه. و قد افتقرت للأمانة أحيانا , وقد تخلل مادتها شيء من التزوير أحيانا , و لم تحترم قداسة بعض الشخصيات ذات المكانة الدينية (كالصحابة) رضوان اللـه عليهم. ولا مكانة بعض الخلفاء والملوك والصالحين المشهود لهم بحسن السيرة والمكانة . وأكثرها كتب بنفس قومي علماني , وليس إسلامي ولا محايد.
وقد استفدت من تلك المراجع في المعلومات العامة والتواريخ , ونقل بعض النصوص التي لم يتخللها ما يشين في التاريخ الإسلامي. وقمت بتعديل كل ما استوقفني من تشويه أو صيغة غير مناسبة. بما يشبه عمليات التجميل الجراحية الدقيقة. وعموما وللأمانة العلمية , فإني أذكر هنا أهم مراجع هذا الفصل هي:
1- برنامج تاريخ الإسلام –إنتاج مؤسسة حرف – بتصريح من الأزهر - وهو مصدر أساس النص , وعليه تمت التعديلات والتصحيح بتصرف واسع جدا.
2- برنامج التاريخ الإسلامي – إنتاج مؤسسة صخر.
3- كتاب تاريخ الدولة العثمانية – لفريد بك المحامي. وهو فيما يبدو مصري من أصل تركي كتب كتابه سنة 1909. و يتضح فيه نفسه الماسوني , وحقده على السلطان عبد الحميد رحمه اللـه , ونفسه الشعوبي التركي , وتأييده لجمعية الإتحاد والترقي اليهودية الماسونية. وكتابه منشور في برنامج الألفية المعروف.
4- كتاب البداية والنهاية لابن كثير – رحمه اللـه - وهو المرجع الذي اعتمدته في تصحيح كثير مما مر من أخطاء في ما سبق من مراجع.
5- عبد اللـه عزام , ولاسيما كتبه (خط التحول التاريخي , أضواء على القومية العربية , السرطان الأحمر.)
6- مراجع أخرى , ومعلومات خاصة جمعتها من وسائل الإعلام ومن مصادر معلوماتية أخرى....(المؤلف).

الدولة النبوية (1-11هـ)

في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول (24 أيلـول- سـبتمبر 622 م) مـن السـنة الثالثـة عشرة للبعثة، وصل رسول اللـه صلى اللـه عليـه وسـلم إلى يـثرب لتكـون أول عاصـمة لدولة الإسلام وتسمى المدينة المنورة، وتصبح منطلقـا لجيـوش المسـلمين الفاتحـة. حيـث اعتبرت سنة الهجرة في عهد عمر رضي اللـه عنه بداية لتاريخ الإسلام.

أهم أحداث العصر النبوي من هجرة الرسول صلى اللـه عليه وسلم إلى وفاته:

و يمكن تلخيص أهم المحطات في تلك الفترة بالنقاط التالية:

- وقعة بدر (2 هـ):

في رمضان من السنة الثانية للهجرة، علم النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم أن قافلـة كبيرة قادمة من الشام عليها أبو سفيان ابن حرب، وأنهـا سـتمر ببـدر تسـتقي مـن مائهـا وتريح فيها.

فجهز النبي صلى اللـه عليه وسلم حملة من ثلاثمائة رجل ونيف،واتجه بها إلى بـدر ليفجأ القافلة، وراع قريشا ما سمعوا وتنادوا إلى حرب المسلمين. ومع أن أبا سفيان أرسـل بعد ذلك يخبرهم أنه تحول إلى الساحل ونجا من المسلمين ودعاهم إلى الرجـوع إلى مكـة إلا أن كبراء قريش عزموا على قتال المسلمين.

وفي 17 رمضان من تلك السنة التقـى الجمعـان في أول معركـة تفجـرت فيهـا طاقـة الإيمان وانتصر فيها المسلمون على قلـة عـددهم وقتلـوا نحـو سـبعين مـن أبطـال قـريش ورءوسهم، وأسروا مثل ذلك.

لقد كانت وقعة بدر فاتحة التاريخ الإسلامي، فلم تكن حربا بين متكافئين في العـدد والعدة، وإنما كانت حربا بين حب العقيدة التي تطلـب مـن أجلهـا الشـهادة، وبـين حـب المال الذي تطلب من أجله الحياة، ولا يمكن لطالب الحياة أن يقهر طالب الشهادة.

وهذا هو العامل الأساسي الذي جعل العرب بعد إسلامهم يغلبون بأعداد قليلة جيوش الدول العظمى من حولهم - بفضل الله - في حروب الفتوح.

● نقض اليهود عهد النبي:

عاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فوجد اليهود قد تغيرت قلوبهم، فقد آلمهم نصر المسلمين ببدر، ولم يحتسبوه ولم يصبروا على كتمان ما في نفوسهم.

وكان بنو قينقاع أكثر اليهود سخطا لهذا النصر وتهوينا من شأنه، فأخذوا ينفسون على المسلمين ما نالوا من فوز ويتحدونهم ويتحرشون بهم، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حصونهم، فاستسلموا له واكتفى النبي صلى الله عليه وسلم بإجلائهم عن المدينة وإبعادهم إلى بلاد الشام.

● وقعة أحد (3 هـ):

ثارت ثائرة اليهود لما حل ببني قينقاع، فأخذوا يغرون الأعراب بالإغارة على المدينة والاعتداء على المسلمين. كذلك أخذوا يحرضون قريشا على حرب المسلمين ليثأروا لقتلاهم في وقعة بدر ووعدوهم بمظاهرتهم في الحرب، وكان أشد المحرضين اثنان من رؤساء يهود بني النضير وهما: كعب الأشرف ، وسلام ابن أبي الحقيق .

فتطوع فريق من الأنصار لاغتيالهما بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوهما.

تأثرت قريش بتحريض اليهود، فجهزت جموعها لحرب المسلمين، وتوجهت قريش بمن حشدت نحو المدينة يقود حشدها أبو سفيان ابن حرب.

ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك جهز جيشا وخرج بهم إلى جبل أحد القريب من المدينة ووضع خيرة الرماة في أعلى الجبل لحماية ظهور المسلمين.

وظهرت طلائع النصر وتراجعت قريش يتبعهم المسلمون ويجمعون ما غنموه منهم. وظن رماة المسلمين أن المعركة قد انتهت فأخلوا أماكنهم وسارعوا لينالوا نصيبهم من الغنائم.

واهتبل خالد بن الوليد الفرصة، وكان يقود رماة المشركين، فصعد الجبل من الخلف وأخذ يمطر المسلمين بوابل من السهام، وارتدت جموع قريش عليهم، فأصبحوا بين نارين واضطربت صفوفهم وعم الذعر فيهم حتى قتل بعضهم بعضا وانهزم من نجا من القتل.

وقد قتل في هذه الوقعة أكثر من سبعين رجلا من المسلمين بينهم بطل الإسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبي، قتله (وحشي) أحد رماة الأحباش، وأصيب النبي صلى الله عليه وسلم بجرح في وجنته وشج رأسه الشريف. وصاح صائح قريش أن محمدا قد قتل، وصدق المشركون وكفوا عن القتال وانسحبوا، فقد نالوا - بظنهم- ما كانوا يبتغون.

- اليهود يحاولون اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم:

لم يهنأ يهود بني النضير بنجاة النبي صلى الله عليه وسلم، فعقدوا العزم على اغتياله أخذا بثأر ابن الأشرف وابن أبي الحقيق، ففشلوا وانكشف أمرهم وعلموا أن النبي صلى الله عليه وسلم سيعاقبهم فآووا إلى حصونهم.

فحمل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وحاصرهم، ولما استيأسوا طلبوا أن يأذن لهم بالخروج من المدينة كما خرج بنو قينقاع، فاستجاب لهم وخرجوا بأموالهم، ونزل فريق منهم في خيبر وانضموا إلى يهودها، وتابع الآخرون مسيرتهم إلى بلاد الشام.

- وقعة الخندق (5هـ):

لم يبق من يهود المدينة سوى بني قريظة، وقد آلمهم ما حل بإخوانهم بني قينقاع وبني النضير، ورأوا أن يؤلبوا قريشا وأحلافهم من قبائل العرب على حرب المسلمين والقضاء على دولتهم، وتعهدوا بمظاهرتهم في هذه الحرب.

وحشدت قريش ونادت أحلافها وأحزابها فجاءوها برجالهم يلبون نداءها، وبلغ الحشد عشرة آلاف مقاتل.

وعلم النبي صلى اللـه عليه وسلم بخبر هذه الحملة العظيمة فاستشار أصحابه فأشاروا عليه أن يقف المسلمون موقف المدافع عن مدينتهم، وأشار سلمان الفارسي رضي اللـه عنه بحفر خندق حول المدينة يقف الرماة دونه، يمنعون من يحاول اجتيازه من المشركين.

وجاء من يخبر النبي صلى اللـه عليه وسلم بما فعل بنو قريظة فأرسل إليهم سيدين من سادة الأنصار هما سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج لتذكيرهم بعهد النبي صلى اللـه عليه وسلم ونهيهم عن الغدر بالمسلمين وتحذيرهم عاقبته، فسخروا منهما وأظهروا عزمهم على مظاهرة قريش.

ولما وصل جيش المشركين وقف دون الخندق ولم يستطع الدخول إلى المدينة وأخذ رماة المسلمين يصرعون من يحاول اجتياز الخندق، ودام الحصار شهرا حتى برم حلفاء قريش (الأحزاب) بطول الانتظار وفوت ما كانوا يأملون من الغنائم، ووقع الخلف والشقاق بينهم وبين قريش.

وهنا يسر اللـه إسلام زعيم من زعماء العرب هو نعيم بن مسعود الأشجعي. وكان قد قدم مع قومه بني الأشجع لقتال المسلمين مع من قدم من أحلاف قريش، فأعلن إسلامه وطلب من النبي صلى اللـه عليه وسلم أن يشترك مع المسلمين في الدفاع عن المدينة فطلب منه الرسول أن يخفي إسلامه وأن يخذل قريشا وبني قريظة ويوقع بينهما الشقاق، ففعل ونجحت الخطة.

ثم أرسل اللـه ريحا عاتية على جيش قريش والأحلاف فانتزعت الخيام وكفأت القدور وملأت الأفواه والعيون بالرماد، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا العون الإلهي بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللـه عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللـه بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ وكان الأحزاب قد سئموا الانتظار وطول الحصار، فأخذوا يتراجعون،

وارتدت قريش وهي تتجرع غيظها، وفي ذلك يقول الـلـه تعالى: ﴿وَرَدَّ الـلـه الَّذِينَ كَفَـرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى الـلـه الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾.

تحكيم سعد بن معاذ بما فعل يهود بنـي قريظـة: فـور انتهـاء غـزوة الخنـدق جهـز النبي صلى الـلـه عليه وسلم سرية وتوجه إلى بني قريظة ليعـاقبهم عـلى نقضـهم العهـد، فتحصنوا في حصونهم، ولما اشـتد علـيهم الحصـار طلبـوا تحكـيم سـعد بـن معـاذ وكـانوا حلفاءه، واستجاب النبي صلى الـلـه عليه وسلم لطلبهم، فحكم سعد بقتل رجالهم وسبي نسائهم وأطفالهم، ونفذ النبي صلى الـلـه عليه وسلم حكم سعد فيهم.

تحول المسلمين من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم:

بعـد أن خلـت المدينـة مـن اليهـود، وسـلم الإسـلام مـن منافسـة اليهوديـة، وسـلم المسلمون من مكر اليهود وخداعهم، تحول المسلمون من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم.

وبدأ النبي بغزو القبائل المشركة الموالية لقـريش ليثبـت أن بالمسـلمين قـوة وأنـه لم يصبهم وهن بعد وقعة أحد ووقعة الخندق، فانتصر وعاد بمغانم كبيرة، وعلمـت القبائـل أن لا طاقة لها بقتال المسلمين.

- صلح الحديبية (6هـ):

في أواخر شهر شوال من السنة السادسة للهجرة، أعلن النبي صلى الـلـه عليه وسـلم أنه يريد المسير إلى مكة لأداء العمرة، وأذن في أصحابه بالرحيل إليها لأدائها معه، ففرحـوا وطابت نفوسهم بزيارة الكعبة وقد حرموا منهـا، وكـان المهـاجرون قـد اشـتد شـوقهم إلى ديارهم ومن خلفوا فيها من أهلهم.

وسار النبي صلى الـلـه عليه وسـلم بـألف وخمسـمائة مـن المهـاجرين والأنصـار، لا يحملون من آلات الحرب إلا السيوف في القـرب، ولبسـوا لبـاس الإحـرام ليؤكـدوا لقـريش أنهم يريدون العمرة ولا يقصدون الحرب، وما حملوا من سيوف إنما كان للحماية مما قـد يعترضهم في الطريق.

ووصلت قافلة المسلمين إلى الحديبية القريبة من مكـة. ولمـا علمـت قـريش بقـدوم نبينا محمد صلى الـلـه عليه وسلم وصحبه رفضت السماح لهم بدخول مكـة وكـان شـهر ذي القعدة قد حل، وهو من الأشهر الحرم التي يمتنع فيها القتال.

وأرسل النبي صلى الـلـه عليـه وسـلم عـثمان بـن عفـان ليفـاوض قريشـا، وتـأخرت عودته وأشيع أنه قتل. وهنا عزم النبي صلى الـلـه عليه وسلم على دخول مكة.

واستجاب المسلمون لما عزم عليه النبي صلى الـلـه عليه وسلم وبايعوه عـلى المـوت وهو جالس في ظل شجرة، وقد أثنى الـلـه على المبايعين ورضي عنهم في آيـة نزلـت بهـذه المناسبة:

﴿لَقَدْ رَضِيَ الـلـه عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ومن ثم دعيت هذه المبايعة ببيعة الرضوان.

لم يقتل عثمان رضي الـلـه عنه، كما كان أشيع وعاد إلى الحديبية (وكان قـد تـأخر في مفاوضة قريش وفي إزالة مخاوفها، وكان المطلب الأساسي لقريش أن يعود المسلمون ذلـك العام عـلى أن يـدخلوا مكـة معتمـرين في العـام المقبـل، لـكي لا يقـول العـرب أن قريشـا استذلت للمسلمين فيصيبها من ذلك معرة.

ووافق النبي صلى الـلـه عليه وسلم على مطلب قـريش، وعـلى أساسـه عقـد اتفاقـا بينه وبين قريش عرف بصلح الحديبية وبمقتضاه عقدت هدنـة بـين الطـرفين مـدتها عشر سنوات.

وقد تضمن عقد الصلح شروطا منها أن يرد المسلمون من يأتيهم من قـريش مسـلما بدون إذن وليه، وألا ترد قريش من يعود إليها مـن المسـلمين، وأن مـن أراد أن يـدخل في عهد قريش دخل فيه، ومـن أراد أن يـدخل في عهـد محمـد مـن غـير قـريش دخـل فيـه، والدخول في العهد محالفة توجب مناصرة الحليف إذا ما استنصره واستنجد بـه، فـدخلت خزاعة في عهد رسول الـلـه ودخلت بنو بكر في عهد قريش.

- غزو المدن اليهودية:

أتاحت الهدنة بين النبي صلى اللـه عليه وسلم، وبين قريش، أن يفرغ النبي لحـرب من تبقى من اليهود في جزيرة العرب، فقد كان إلى جانب يهـود المدينـة جاليـات يهوديـة تقطن في خيبر ووادي القرى وفي فدك و تيماء، وهي مدن تقع على الحـدود الفاصـلة بـين شمال بلاد العرب وبلاد الروم.

وقد كان يهود تلك المدن يثيرون الأعراب عـلى المسـلمين، فجهـز النبـي صـلى اللـــه عليه وسلم حملة على أولئك الأعـراب فأخضـعهم، وتوجـه بعـد ذلـك إلى خيـبر فافتتحهـا واستسلم يهود المدن الأخرى دون حرب.

وكان النبـي صـلى اللـــه عليـه وسـلم متسـامحا مـع اليهـود، فأبقـاهم في أراضـيهم واستعملهم في الزراعة على أن يجليهم متى شاء.

- عمرة القضاء (7 هـ):

ومضت السنة الأولى من الهدنة، فتوجه النبي صـلى اللـــه عليـه وسـلم مـع جميـع المسلمين إلى مكة لقضاء العمرة، وأمضوا فيها ثلاثة أيام، ثم خرجوا منهـا كـما قضى بـذلك صلح الحديبية.

وقد عاين رجال قريش سلوك المسلمين عن كثب، فوجدوا فيهم قوما آخرين، صـاغهم الإسلام صوغا جديدا، وأخذ كثير منهم يفكرون ويتدبرون مبادئ الإسـلام، وسرعـان مـا أقبـل جماعات منهم إلى المدينة مسلمين، ومن هؤلاء خالد بن الوليد وعمرو بـن العـاص وعـثمان بن طلحة، وهم من سادة قريش وأبطالها، ممن شاركوا في قتال المسلمين من قبل.

- الرسول يوجه رسائل إلى ملوك وأمراء الدول المجاورة:

أخذ الإسلام ينتشر في جزيرة العرب بعد الانتصارات التي حققها النبـي صـلى اللـــه عليه وسلم في أعقاب صلح الحديبية ورأى النبي صلى اللـه عليـه وسـلم أن تبلـغ دعوتـه مسامع ملوك وأمراء الدول المجاورة، فأرسل إليهم كتبـا مـع سـفراء يـدعوهم إلى الإسـلام، فاستجاب البعض لدعوته كالمنذر بن ساوى أمير البحرين ورد الآخرون السفراء.

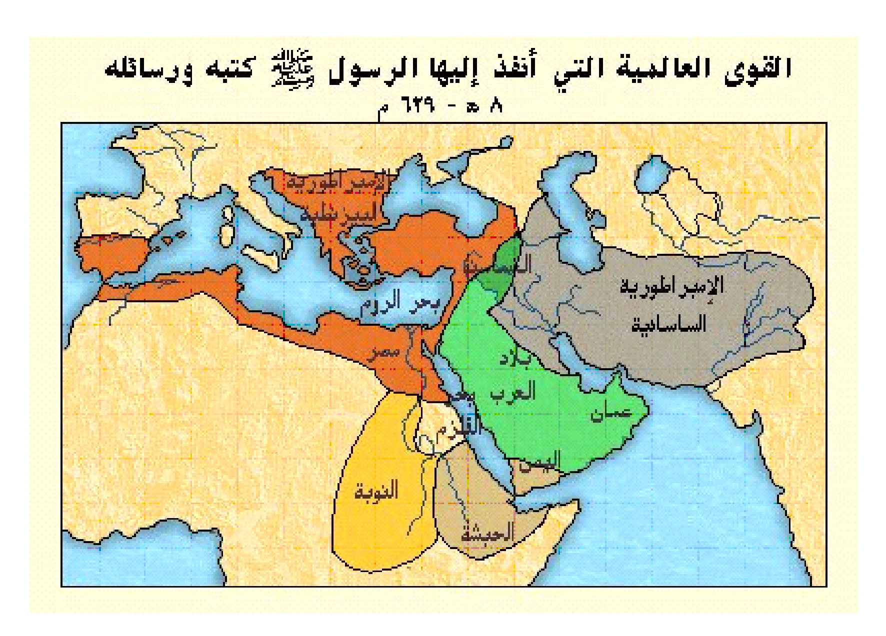
فمنهم من كان رده جميلا كملك الروم والمقوقس صاحب مصر، ومنهم من كان رده قبيحا ككسرى أبرويز ملك فارس فقد مزق كتاب النبي صلى اللــه عليه وسلم. وكذلك شرحبيل أمير غسان الذي سخر من الدعوة للإسلام، وقتل سفير رسول اللــه صلى اللــه عليه وسلم (الحارث بن عمير الأردي) رضي اللـه عنه.

- الرسول يجهز حملة انتقام لقتل سفيره الحارث بن عمرو: وقعة مؤتة:

كان قتل هذا السفير شديد الوقع على رسول اللـه صلى اللــه عليه وسلم، فجهز حملة عدتها ثلاثة آلاف رجل لحرب الغساسنة، وجعل قيادتها لزيد بن حارثة. ولما علم الغساسنة بأمرها استنجدوا بحلفائهم الروم فانجدوهم بجيش عظيم. وكان اللقاء في (مؤتة).

وفي تلك المعركة قتل زيد بن حارثة قائد الجيش، وقتل من بعده عبد اللــه بن رواحة ثم جعفر ابن أبي طالب رضي اللـه عنهم، ثم انتدب الناس خالد بن الوليد لتولي قيادته، وأدرك أن في استمرار المعركة فناء جيش المسلمين، فانسحب بخطة عسكرية باهرة، إذ أثار الغبار خلف جيشه المنسحب، فأوهم الروم أن مددا ضخما جاء من المدينة وأرهبتهم حيلة خالد فتوقفوا عن تتبع الجيش المنسحب.

وبهذا الانسحاب ظهرت مهارة خالد الحربية وارتقى إلى صف القادة الذين رفعوا راية الإسلام. وكانت وقعة مؤتة فاتحة النضال للفتوحات الإسلامية خارج الجزيرة. وبداية الصراع بين المسلمين و الروم.



- فتح مكة (8 هـ) :

وجاءت السنة الثامنة للهجرة وقد كثر عدد المسلمين بدخول كثير من القبائل في الإسلام. ويشاء الله أن تنقض قريش عهدها مع المسلمين، فقد عدت قبيلة بني بكر على قبيلة خزاعة، وكان بنو بكر قد دخلوا في عهد قريش ودخل بنو خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فانتصرت قريش لحلفائها واستنجدت خزاعة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وحانت بذلك فرصة لفتح مكة.

فقد أصبحت قريش في عزلة بعد أن أسلمت أكثر القبائل العربية وفقدت قريش في حروبها مع المسلمين كثيرا من رجالها، ولحق بالمسلمين جمع من أبطالها المغاوير.

أعد النبي صلى الـلـه عليه وسلم جيشا عظـيما مـن المهـاجرين والأنصـار وانضـمت إليه القبائل التي أسلمت، وأعلن النبي صلى الـلـه عليه وسلم أنه يريد مكة لحرب قريش التي نقضت عهدها.

وسار الجيش يتبع قائده العظيم عليه الصـلاة والسـلام. وعسـكر خـارج مكـة ورأت قريش أن النبي صلى الـلـه عليه وسلم جاء ومعه جمع كبير من العرب وأنه لا طاقـة لهـا بحربهم، فاستسلمت. وجاء العباس، عم النبي ومعه أبو سفيان فأسلما وفتحـا لـه أبـواب البلد الحرام، وقبل أن يدخلها استعرض الجيش بحضورهما، فمرت سرايـاه أمـامهما وهـي تهتف: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾.

ودخل النبي صلى الـلـه عليه وسلم مـع الجـيش إلى مكـة وتوجـه إلى الكعبـة راكبـا ناقته بتواضع جم، فأخذ بتحطيم الأصنام ومحو الصور من جدران الكعبـة، ثـم أمـر بـلالا الحبشي أن يصعد إلى سطح الكعبة فأذن بالناس معلنا هزيمة الشرك.

- غزو ثقيف و هوازن (8 هـ):

انضمت قـريش إلى صـفوف المسـلمين وانتظمـت معهـم في جيشـه لحـرب قبيلتـي هوازن و ثقيف، وقد رفضوا الدخول في الإسـلام. والتقـى المسـلمون مـع هـوازن في (وادي حنين) وانتصروا عليهم بعد حرب ضروس، كاد أن يغلب فيها المسلمون لـولا ثبـات النبـي صلى الـلــه عليـه وسـلم، ثـم حـاصر المسـلمون ثقيفـا في مـدينتهم (الطـائف) فاضـطروا للاستسلام، ودخلت هوازن و ثقيف في الإسلام.

- المسيرة النبوية لقتال الروم: غزو تبوك و دومة الجندل (9 هـ):

عاد النبي إلى المدينة بعد فتح مكة وكانت السنة التاسعة للهجرة قد حلـت، فجهز جيشا كبيرا عدته أربعون ألف رجل، وسار به نحو (مؤتة) يريد أن يثـأر لمـا حل بجيش المسلمين فيها. ولما وصل إلى مدينـة تبـوك عسـكر فيهـا، وعلـم الـروم بقدومه فلم يتقدموا لحربه، فقد راعهم لقاء هذا الجيش الكبير، يقـوده رجـال لا

يعرفون الهزيمة، واتخذ جيش الروم مكانه داخل بلاده مدافعا بعد أن كان يريد الهجوم.

واكتفى النبي صلى اللـه عليه وسلم بما أحدثه من رهبة في قلوب الروم، وعقد بعض المعاهدات مع مدن الحدود وكانوا على النصرانية مقابل تعهدهم بدفع الجزية، واستعصت (دومة الجندل)، فأرسل النبي صلى اللـه عليه وسلم خالد بن الوليد على رأس سرية فأخضعها وأسر صاحبها أكيدر بن عبد الملك فقدم به المدينة فأسلم وعقد معه النبي صلى اللـه عليه وسلم معاهدة ورده إلى قومه، وكانت غزوة تبوك آخر غزوات النبي صلى اللـه عليه وسلم.

- إقبال وفود القبائل العربية إلى المدينة وإعلان إسلامها:

وبلغت مسامع العرب انتصارات النبي صلى اللـه عليه وسلم بفتح مكة وإسلام قريش وإسلام ثقيف و هوازن، وإخضاع صاحب دومة الجندل ودخول مدن الحدود الشمالية في عهد النبي وتعهدها بدفع الجزية إليه. فأقبلت وفود القبائل العربية من كل فج تعلن إسلامها، فكان النبي يعرفها بعقيدة الإسلام ومبادئه ويرسل معها من يختاره لها من صحابته ليعلمها شعائر الدين ويبين لها أحكامه.

- إنذار من بقي على الشرك من العرب (9 هـ):

أما من بقي على الشرك من العرب فقد أمهلوا أربعة أشهر، فإذا انقضت ولم يسلموا فقد أمر النبي بقتالهم حتى ينتزع الشرك من جزيرة العرب.

وقد نزل بهذا الإنذار نص قرآني في مطلع سورة التوبة المعروفة بسورة (براءة) وهو: ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللـه وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللـه وَأَنَّ اللـه مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴾.

﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾. وقد تلا هذا الإنذار علي ابن أبي طالب على مسامع المسلمين في موسم الحج من السنة التاسعة.

ولم تمض تلك السنة حتى دانت جزيرة العرب بدين الإسلام وتوحدت في دولة واحدة وفرضت الزكاة على المسلمين، وعين النبي صلى اللـه عليه وسلم مطارحها ومقاديرها وأرسل عمالا لجبايتها.

- حجة الوداع (10 هـ):

وهلت السنة العاشرة للهجرة وقد دخل العرب في الدين الجديد وانتظموا تحت راية الإسلام، وأقبل موسم الحج فخرج النبي صلى اللـه عليه وسلم في أكثر من مئة ألف مسلم حاجا، وخطب في عرفات في هذه الجموع مودعا، وفيها بين أركان الإسلام وأعلن المساواة بين المسلمين وجعل تقوى اللـه معيار التفاضل بينهم، وتلا آخر آية من آيات التنزيل الحكيم: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ دِينًا ﴾ وبهذه الخطبة اختتم النبي العظيم صلى اللـه عليه وسلم مهمته في أداء رسالته وفي تجهيز العرب بالطاقة الإيمانية ليكونوا رسلها إلى العالم.

- ظهور حركة الردة:

لم يكد النبي صلى اللـه عليه وسلم يفرغ من حجة الوداع حتى ظهرت في اليمن حركة الارتداد عن الإسلام وقد تزعمها مشعوذ يدعى (عيهلة بن كعب العنسي) ويعرف بالأسود العنسي، وقد استهوى قومه بما أراهم من ضلالات سحره فاتبعوه.

وسرت حركة الردة إلى اليمامة وظهر فيها رجل من بني حنيفة يدعى مسيلمة بن ثمامة، وأرسل إلى النبي صلى اللـه عليه وسلم يطلب منه أن يشركه في أمره، ودعاه النبي صلى اللـه عليه وسلم، مسيلمة الكذاب.

واتسع خطر الأسود العنسي في السنة الحادية عشرة للهجرة، فأرسل النبي صلى اللـه عليه وسلم إلى من بقي في اليمن من المسلمين يحضهم على قتله فاغتالوه، وقضي على حركة الردة في اليمن بعد مقتله، ولكنها ظلت قائمة في اليمامة حتى خلافة أبي بكر رضي اللـه عنه فقضى عليها في عهده.

- مرض الرسول ووفاته (11 هـ):

وفي مطلع ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبضه الله إلى جواره في يوم الاثنين الثاني عشر من ذلك الشهر. وبانتقاله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى. ختمت حياة خاتم الأنبياء وأعظم العظماء في تاريخ الإنسانية.

الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين(11-41 هـ)

- مدة خلافة الخلفاء الراشدين وأعمارهم:

- أبو بكر الصديق : رضي الله عنه : سنتان وثلاثة أشهر توفي في جمادى الآخرة سنة 13هـ عن 63عاما.
- عمر بن الخطاب: رضي الله عنه : 10سنوات وستة أشهر توفي في ذي الحجة سنة 23هـ عن 63عاما.
- عثمان بن عفان : رضي الله عنه: اثنتا عشر سنة توفي في ذي الحجة سنة 36هـ عن 82 عاما.
- علي بن أبي طالب: رضي الله عنه: 4 سنوات وتسعة أشهر توفي في رمضان سنة 40هـ عن 60عاما.

- خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه (11- 13 هـ):

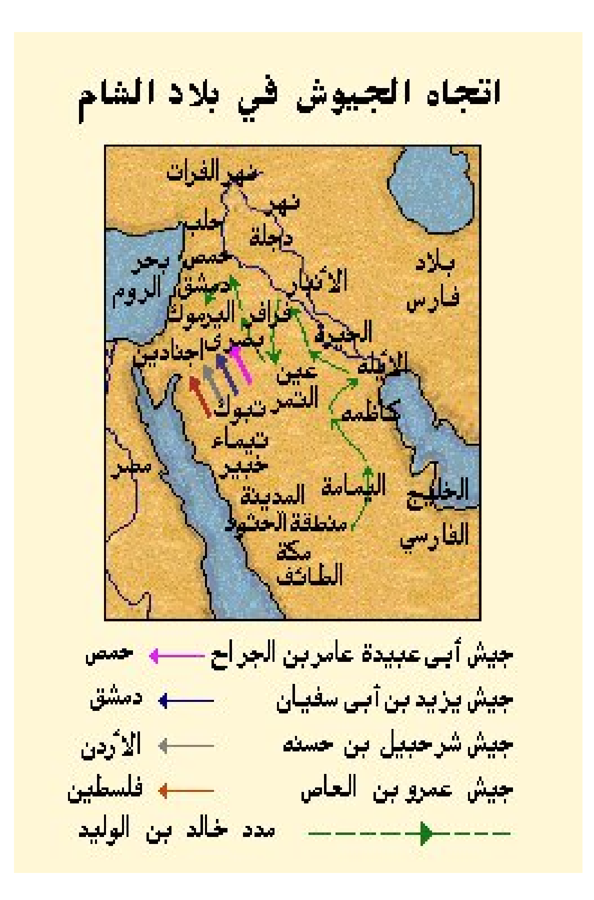
بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. أسفرت الشورى بين المسلمين عن بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وكان من أهم إنجازات أبي بكر رضي الله عنه خلال مدته القصيرة، قمع المرتدين، و إنفاذ جيش إسامة الذي جهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزو الروم في الشام، وكذلك إطلاقه رضي الله عنه حركة الفتح الإسلامي نحو العراق.

حروب الردة

حروب الردة [١١ هـ]

هجوم أبي بكر على عبس وذبيان
جيش خالد بن الوليد إلى طيىء ثم أسد ثم تميم ثم حنيفة
جيش عكرمة بن أبي جهل إلى بني حنيفة
جيش شرحبيل بن حسنة في أثر عكرمة إلى بني حنيفة
جيش طريفة بن حاجز إلى سليم وهوازن
جيش عمرو بن العاص إلى قضاعة ووديعة والحارث
جيش خالد بن سعيد إلى مشارف الشام
جيش العلاء بن الحضرمي إلى البحرين
جيش حذيفة بن محصن إلى دبا بعمان
جيش عرفجة بن هرثمة إلى مهرة
جيش المهاجر بن أبي أمية إلى صنعاء ثم حضرموت
جيش سويد بن مقرن إلى تهامة اليمن



- خلافة عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه (13- 23 هـ):

عهد سيدنا أبو بكر أثناء مرضه بالخلافة إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي اللـه عنهما، وكان قد استشار فيه عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان، فذكرا فضله وحمدا رأي أبي بكر. ثم ظهر أبو بكر للناس في المسجد وقال لهم: هل ترضون بمن أستخلف عليكم، فما ألوت من جهد الرأي، ولا وليت ذا قرابة.

ويروي الإمام السيوطي عن ابن عساكر أن عليا ابن أبي طالب قام فقال: لا نرضى إلا أن يكون عمر، فقال أبو بكر: هو عمر فاسمعوا له وأطيعوا، ثم

أحضر أبو بكر عمر وقال له: إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الـلـه صلى الـلـه عليـه وسلم وأوصاه بتقوى الـلـه. ولما توفي أبو بكر بـايع النـاس عمـر بمـن فـيهم عـلي ابـن أبي طالب، ومعه بنو هاشم رضي الـلـه عنهم أجمعين. وتولى عليّ القضاء لعمر مـدة خلافتـه. وزوجه ابنته أم كلثوم، وهي بنت فاطمـة الزهـراء بنـت رسـول الـلــه صـلى الـلــه عليـه وسلم. وولدت له ابنه زيدا وابنته رقية. وقد رتب الفقهاء على الطريقـة التـي جـرى فيهـا استخلاف عمر قاعدة في أصول الحكم. وهي جواز انعقاد الخلافة بعهد من قبـل الخليفـة السابق.

امتدت ولاية عمر عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين ليلـة، وانتهـت حياتـه بيد أبي لؤلؤة المجوسي الذي اغتاله في فجر يوم الأربعاء لثلاث ليـال بقـين مـن ذي الحجـة سنة 23 للهجرة. وقد تولى اغتيال عمر بمؤامرة دبرها الهرمزان القائد الفـارسي، الـذي أسره المسلمون سنة 17هـ في وقعة (تستر) وأرسل إلى عمر بن الخطاب بطلب منه، فأراد عمـر قتله ولكنه نجا من القتل بإعلان إسـلامه. ولمـا قتـل عمـر أقـدم ابنـه عبيـد الـلــه فقتـل الهرمزان .

كان عدل عمر رضي الـلـه عنه أشهر من أن يشار إليه، وكان من أهـم الإنجـازات في عهده، فتح الشام والعراق ومصر، وأكثر بـلاد فـارس حيـث وصـلت جيـوش المسـلمين إلى أذربيجان.

- خلافة عثمان بن عفان رضي الـلـه عنه (23- 36 هـ):

لما اغتيل عمر رضي الـلـه عنه، طُلب إليه أن يولي ابنه عبد الـلـه بن عمر فأجاب: ما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي بحسب آل عمر أن يحاسب واحد منهم.

وقد رأى أن يختار ستة من أجل صحابة رسول الـلـه صلى الـلـه عليـه وسـلم، ممـن بشرهم بالجنة ليتشاوروا فيما بينهم ويختاروا للخلافة واحدا منهم، وهم:

عثمان ابن عفان وعلي ابن أبي طالب وعبد الرحمن بـن عـوف والـزبير بـن العوام وطلحة بن عبيد الـلـه وسعد ابن أبي وقاص رضي الـلــه عـنهم، وأوصى أن

يحضر معهم ابنه عبد الـلـه بن عمر على أن لا يكون له من الأمر شيء، بل ليحكم بيـنهم إذا اختلفوا.

دعا عمر أصحاب الشورى وأمرهم أن يجتمعوا بعد وفاته، وحـدد لهـم مهلـة ثلاثـة أيام تلي وفاته ليختاروا في خلالها خليفة منهم، وعين المقداد بن الأسود حاجبا لهـم، وقـال له: إن أجمع خمسة على رجل منهم وأبى الآخر فاضرب عنقه، وإن أجمع ثلاثة على واحد، وثلاثة على واحد، فليحكموا عبد الـلـه بن عمر فأي الفريقين حكم لـه فليختـاروا خليفـة منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الـلـه فليكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ثـم بين عمر فضل كل واحد منهم وامتـدح مزايـاه، وقـال: مـا أظـن أن يـلي الخلافـة إلا أحـد رجلين: علي أو عثمان.

وفعلا أسفرت الشورى عن اختيار عثمان رضي الـلـه عنه وبايعه الصحابة. و تميـزت فترة عثمان رضي الـلـه عنه باتساع الفتوحات، حيث سقط آخر الأكـاسرة وقتـل، ودخلـت بلاد فارس في الإسـلام. كـما توغـل جـيش الصحابة الفـاتحين في شـمال إفريقيـا، وعـبر إلى الأندلس، ولكنه لم يمكث فيها. وفتحت منطقة بلاد الري وأعالي الجزيرة حول بحر قـزوين إلى تخوم الأناضول. وهكذا أقبلت الدنيا على المسلمين تماما كما بشرهم بهـا رسـول الـلــه صلى الـلـه عليه وسلم.

ثم نزغ الشيطان وتسلل الخلاف، واستغل رؤوس الفتنة بعض الملاحظات التي أثيرت حول سياسات ذي النورين عثمان رضي الـلـه عنه وحصـلت الفتنـة المشـهورة، التـي تـولى كبرها أوباش من الناس، والتي أسفرت عن حصاره وقتله في بيته رضي الـلـه عنـه وأرضـاه. لتفتح على الأمة فتنة لم ترتق بعد آثاها إلى يومنا هذا.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

- خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه (36- 40 هـ):

بعد مقتل عثمان بايع أهل المدينة عليا ابن أبي طالب رضي الله عنهما وقام بنو أمية يطالبون بدم عثمان المظلوم، متهمين عليا بحماية قاتليه، وانضمت إليهم السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق وزوج النبي صلى الله عليه وسلم. ووقعت الفتن المشهورة التي كان فيها موقعة الجمل، ثم انحاز معاوية بن أبي سفيان بأهل الشام، حيث تمركز علي رضي الله عنه في العراق، ووقعت الفتنة الكبرى.. ثم حصلت واقعة التحكيم المشهورة بين علي ومعاوية، وفشلت وأسفرت عن ميلاد فرقة الخوارج.

و صمم الخوارج على قتل علي ابن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان وعمرو ابن العاص، وتطوع ثلاثة لهذه المهمة، وهم: عبد الرحمن بن ملجم وقد ضمن قتل علي، والحجاج بن عبد الله البرك التميمي وقد ضمن قتل معاوية. وعمرو بن بكر التميمي وقد ضمن قتل عمرو بن العاص . وقد نفذ الملعون ابن ملجم ما ضمنه فقتل عليا رضي الله عنه. و أخفق الآخران، فنجا معاوية وعمرو بن العاص. رضي الله عنهم أجمعين.

- خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما (40-41 هـ):

بويع الحسن بالخلافة بعد اغتيال أبيه، وبلغه أن معاوية ابن أبي سفيان قد سار إلى حربه وإسقاط الخلافة عنه وأنه نزل (مسكن)، فجهز الحسن جيشا من أهل الكوفة وتوجه به إلى لقاء معاوية. ولكنهم انخذلوا عنه كما تفرقوا عن أخيه وأبيه من قبل- وما يزال هذا دأب الشيعة إلى يومنا هذا - وكرهوا القتال وتفرقوا عن الحسن ونهبوه، وقيل إنه أصابته منهم طعنة حربة، فلم يجد الحسن جدوى في متابعة الحرب بمثل أولئك، وأرسل إلى معاوية كتابا يعلن فيه رغبته في مصالحته والتنازل له عن الخلافة لقاء شروط، فأرسل معاوية إليه صحيفة بيضاء مختومة بخاتمه ليملي فيها ما يشاء من شروط، فأملى فيها الحسن رضي الله عنه شروطه، وقدمها إلى معاوية فتقبلها وعاد مع الحسن إلى الكوفة. وفي مسجدها أعلن الحسن تنازله لمعاوية وبايعه الناس، وسمي ذلك العام عام الجماعة لاجتماع المسلمين على خليفة واحد. وعاد الحسن بعد ذلك إلى المدينة، ثم توفي

رضي اللـه عنه في المدينة سنة 50هـ بعد أن تحققت فيه نبوءة جده صلى اللـه عليه وسلم عندما قال: (إن ابني هذا سيد ولعل اللـه يصلح به بين طائفتين من المسلمين).

- الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين:

بعد أن أخمد أبو بكر عصيان المرتدين وعم الإسلام الجزيرة العربية، قام بتنفيذ السياسة التي قررها الرسول صلى اللـه عليه وسلم في نشر الإسلام خارج الجزيرة، فوجه القوى الإسلامية إلى الجهاد في جبهتين: جبهة العراق بقيادة خالد بن الوليد وجبهة الشام بقيادة أبي عبيدة ابن الجراح ومعه يزيد ابن أبي سفيان وأخوه معاوية و شرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص. وفي العراق تم فتح القسم الجنوبي منه، ثم أمر أبو بكر خالد بن الوليد أن يتوجه إلى الشام مع قسم من جيش العراق مددا لأبي عبيدة ابن الجراح وتم فتح الشام بعد وقعة اليرموك سنة 13هـ وقبيل وفاة أبي بكر رضي اللـه عنهم أجمعين.

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه،(13 - 23هـ) غزا معاوية الروم حتى بلغ (عمورية) وسط (تركيا الحالية) وفتحت الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، وطرق المسلمون باب الأبواب على بحر الخزر (قزوين) على يد عياض بن غنم. وفتحت مصر على يد عمرو بن العاص . وامتد الفتح الإسلامي على الأقاليم الساحلية الليبية (طرابلس وبرقة).

وفي العراق تولى قيادة الجيش الإسلامي سعد بن أبي وقاص ، وتم على يده فتح ما تبقى من العراق بعد وقعة القادسية (سنة 14هـ) وفيها هزم جيش الفرس وقتل قادته، واجتاز المسلمون حدود بلاد إيران ففتحوا خراسان والأهواز وإقليم فارس وامتد الفتح جنوبا حتى مكران (بلوشستان)إلى حدود السند وشرقا إلى سجستان (أفغانستان).

وفي خلافة عثمان (23 - 35هـ) أعيد فتح خراسان وأرمينية وأذربيجان بعد انتقاضها، وفتحت الري و همذان و طبرستان و جرجان واكتمل فتح إيران. وفي بلاد الشام لم يبق بعد وقعة اليرموك إلا حاميات بيزنطية في بعض

مدن فلسطين والساحل، فأتم فتحها معاوية ابن أبي سفيان، وكان عمر بـن الخطـاب رضي اللـه عنه، ولاه على الشام بعد وفاة أخيه زيد بطاعون عمواس سنة 18هـ.

وعلى جبهة الروم أنشأ معاوية نظام الصوائف و الشواتي لمتابعة غزو الروم. وفي سنة 27هـ بلغ القسـطنطينية وحاصرهـا، وأنشـأ في عكـا دارا لصـناعة السـفن، وفيهـا تـم أول أسطول إسلامي وكان باكورة عمله الاستيلاء على جزيرتي قبرص و أرواد، وبه أبيد الأسطول البيزنطي في وقعة (ذات السواري) سنة 34هـ وأصبح شرق البحر المتوسـط بعـدها بحـرا إسلاميا. وفي مصر امتد الفتح الإسلامي نحو إفريقية بقيادة عبـد اللـــه بـن سـعد بـن أبي سرح الذي ولاه عثمان بعد عزله عمرو بن العاص وانـتصر المسـلمون عـلى جـيش الـروم، وكان بقيادة (جرجير gregorious) وتم الاستيلاء على (سبيطلة) التي اتخذها عاصمة لـه، وفتحت بعد هذه المعركة أبواب المغرب.

وفي عهد علي ابن أبي طالب توقفت الفتوحات، ما خلا توغل جرى في جبهـة السـند، وذلك بسبب الفتن التي ثارت في عهده وانتهت بقتله رضي اللـه عنه.

- الدولة الإسلامية في عهد الخلافة الأموية(41-132هـ):

بتنازل الحسن بن عـلي رضي اللـــه عنـه عـن الخلافـة إلى معاويـة ابـن أبي سـفيان، انتقلت الخلافة إلى بني أمية. وانتهت بذلك الخلافة الراشدة، وابتدأ عصر الملك العضـوض في تاريخ الإسلام والمسلمين.

وقد انطوى العهد الأموي على فترتين:

أ - الفترة السفيانية: وهي الفترة التي تولى الخلافة فيها معاوية ابن أبي سفيان وابنه يزيـد بن معاوية وحفيده معاوية بن يزيد وقد امتدت 23 سنة (41 - 46هـ).

ب- الفترة المروانية: وهي الفترة التي انتقلت فيها الخلافة إلى الفرع المرواني من بني أمية بتولي. مروان بن الحكم حتى عهد حفيده مروان بن محمد بن الحكم، آخر خلفاء بني أمية، ومدتها 68 سنة (64 - 132هـ).

وفي خلال الفترتين ومدتهما 91 سنة وتسعة أشهر توالى أربعة عشر خليفة كان أعظمهم شأنا معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. واتسعت الدولة وتوطدت أركانها في عهد وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وأخوه هشام بن عبد الملك . وكانت مدة خلافتهم (71 سنة) من أصل (91 سنة) فالدولة الأموية كانت دولتهم، وفي عهدهم امتدت رقعتها من المحيط الأطلسي إلى حدود الصين، ثم أخذت شمس الخلافة الأموية بالغروب، بما شب فيها من ثورات أضرمها الصراع على الخلافة والانقضاض على الحكم، وثورات الخوارج، وحروب أهلية أثارتها العصبية القبلية بين المضرية واليمنية.

وقد ترتب على انتقال الخلافة إلى بني أمية النتائج التالية:

- في المجال السياسي:

أ - تحول الخلافة إلى ملك موروث، ينتقل بعهد من الخليفة السابق إلى ابنه أو إلى اثنين أو أكثر من أولاده بالترتيب، كما فعل عبد الملك بن مروان حين عهد بالخلافة إلى ولديه الوليد وسليمان، إذ تبدلت صيغة البيعة، فبعد أن كانت بيعة الخليفة في عهد الخلفاء الراشدين تقوم على مبايعته على الشورى، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله، وتؤخذ ممن حضر المبايعة من أهل الحل والعقد من كبار الصحابة وأولى الأحلام والنهى في المدينة. أصبحت تؤخذ من الرعية بحضور الخليفة في عاصمة الدولة (دمشق) وبحضور كبار عماله في الولايات. وكان الخليفة يأخذ البيعة لمن يعهد بالخلافة من أولاده من بعده، وإذا ما رفض أحد البيعة، فكانت تؤخذ بالقهر والغلبة.

ب – إنتقال عاصمة الدولة الإسلامية إلى دمشق بعد أن كانت في العراق – الكوفة – زمن علي رضي اللـه عنه، وفي المدينة المنورة قبل ذلك.

ج- انتقال سلطة الحكم إلى بني أمية، وقد تجمعت عصبيتهم في الشام منذ الفتح الإسلامي والتقت مع قبيلة كلب اليمانية المتوطنة هناك قبل الإسلام، وبذلك ارتبطت القبائل الكلبية مع بني أمية برابطة المصاهرة وشكلت الثقل السياسي الذي دعم الدولة الأموية حتى أواخر عهدها.

د- نشوء عهد من الاستقرار السياسي في الدولة الإسلامية أتاح لها هضم الفتوحات التي تمت في عهد الخلفاء الراشدين. والإضافة عليها، واتساع الدولة الإسلامية إلى أوج مساحتها التي امتدت من حدود الصين شرقا إلى الأندلس ومراكش غربا، ومن بلاد القفقاس شمالا إلى بحر العرب وبلاد النوبة جنوبا.. وانتظام كل هذه الرقعة في إطار الحكم الإسلامي.

هـ - أصبح نظام الخلافة أشبه شيء بالنظام الملكي أو القيصري، ومن ثم زادت الصفة الزمنية في الخلافة على الصفة الدينية وابتدأ ما أخبر به رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم من أن السلطان والقرآن سيفترقان.. كما أخذت الدولة بالنظام الإداري والمالي الذي كان متبعا في الدولتين الفارسية والبيزنطية.

- في المجال الاقتصادي:

تحولت طرق التجارة إلى مواني الشام ومصر، وخاصة بعد معركة (ذات الصواري) سنة 34هـ وتدمير الأسطول البيزنطي.

وأصبحت عواصم بلاد الإسلام الكبرى وفي طليعتها مدن الشام ومصر والعراق وخراسان وشمال إفريقيا، والأندلس.. عواصم الدنيا وزهرتها، وفي طليعتها عاصمة الخلافة الأموية دمشق. حيث ازدهرت التجارة، وسارت الركبان آمنة تربط شرق العالم القديم بغربه من تخوم الصين وبلاد الهند والسند، إلى بلاد الروم وممالكهم على الشاطئ الآخر للبحر الأبيض المتوسط.

- في المجال العلمي:

ازدهرت الحضارة والعلوم في عهد الدولة الأموية وبلغت مستوى رفيعا. فقد انتشر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مختلف البلاد المفتوحة واستوطنوها ولاسيما بلاد الشام والعراق ومصر، وقد حمل التابعون علوم الصحابة وفقههم وسمتهم، بعد ذلك إلى فارس وخراسان وإفريقيا الشمالية.

ودون الحديث الشريف في زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ونبغ في طبقة التابعين وتابعي التابعين خلال تلك الفترة علماء أفذاذ حفظوا علوم الشريعة ووضعوا الأساس العلمي الذي شمخت عليه مناراتها فيما بعد.

ولكن وإلى جانب ذلك شهد تحول نظام الحكم إلى الشكل الملكي الكسروي القيصري، أن تظهر ظاهرة علماء السلاطين، وفقهاء القصور، حتى وجدنا في وثائق تاريخ تلك المرحلة بعض الأئمة الأعلام كأبي حازم والحسن البصري و الأوزاعي، يزرون بتلك الظاهرة وأربابها. وفي مجالات الحضارة الأخرى من العمران والعلوم والفنون.. أدى دخول العرب بلاد الحضارات القديمة، كبلاد فارس، والروم، والسند والهند..وبلاد الترك إلى جوار الصين، إلى هضمهم لخلاصة تلك الحضارات ومزجها، وإنتاج نموذج فريد للحضارة، بقيت إشعاعاته منارة للإنسانية إلى قرون طويلة بعد ذلك..

- مدة خلافة الخلفاء الأمويون وأعمارهم 661 -750 م:

1. معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه :661 - 680 م ، تسعة عشرة سنة وثمانية أشهر توفي في رجب سنة 60هـ عن 78عاما.
2. يزيد بن معاوية: 680 - 683 م، ثلاثة سنين وثمانية أشهر توفي في ربيع الأول سنة 64هـ عن38عاما.
3. معاوية بن يزيد : 683- 683 م أربعون يوما توفي في سنة64هـ عن23عاما.
4. مروان بن الحكم : 683- 685 م سنة وعشرة أشهر و توفي في رمضان سنة 65هـ عن 71عاما.

5. عبد الملك بن مروان: 685 -705 م إحدى وعشرون سنة توفي سنة 86 هـ عن 60عاما.
6. الوليد بن عبد الملك: 705- 715 م تسع سنين وثمانية أشهر توفي في جمادى الآخرة سنة 96 هـ عن 48 عاما.
7. سليمان بن عبد الملك : 715- 718 م سنتان وثمانية أشهر توفي في سنة 99هـ عن 45 عاما.
8. عمرو بن عبد العزيز رضي الله عنه: سنتان وخمسة أشهر توفي في رجب سنة718 720 م 101 هـ عن 40عاما.
9. يزيد بن عبد الملك بن مروان: 720 -724 م : أربع سنين وشهر توفي في شعبان سنة 105هـ عن 38 عاما.
10. هشام بن عبد الملك بن مروان 724- 743 م : تسعة عشرة سنة وسبعة أشهر توفي في ربيع الآخر سنة 125هـ عن 54 عاما.
11. الوليد بن يزيد بن عبد الملك 743 - 744 م : سنة وشهران توفي في جمادى الآخرة سنة 126هـ عن 38عاما.
12. يزيد بن الوليد بن عبد الملك 744- 744 م : خمسة أشهر توفي في ذي الحجة سنة 126هـ عن 40 عاما
13. إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك: 744- 744 م : سبعون يوما خلع سنة 127هـوتوفي في ربيع الآخر سنة 132هـ عن 60عاما.
14. مروان بن محمد بن مروان بن الحكم 744 - 750 م: خمس سنين توفي في ذي الحجة سنة 132هـ عن60عاما.

- الفتوحات في عهد بني أمية:

في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (41 - 60هـ) استمرت الفتوحات في صعود، فقد امتدت شرقا إلى ما وراء النهر وفتحت بخارى وبلاد الصغد. وتوغل المسلمون في إفريقية واستولوا على (قابس) و (بنزرت) و

(سوسة) على يد معاوية ابن حديج، أمير إفريقية، ثم فتحت (قفصة) و (قسـنطينة) عـلى يد عقبة بن نافع. وفي المشرق تـم فـتح خراسـان و سجسـتان بعـد انتقاضـهما واسـتمرت غـارات الصـوائف في جبهـة الـروم، وتوالـت الغـارات البحريـة عـلى جزيـرتي (صـقلية) و (رودوس) تلك الغارات التي مهدت للاستيلاء عليهما.

وفي عام 48هـ أرسل معاوية حملة استطلاعية إلى ضواحي القسطنطينية ليختبر خط الدفاع البيزنطي عن العاصمة (القسطنطينية). وفي عام 53هـ وجـه معاويـة حملـة لغـزو هذه المدينة بقيادة ابنه يزيـد ومعـه قائـد البحـر سـفيان بـن عـوف الأزدي، وضـم إليـه الصحابي الجليل أبا أيوب الأنصاري، وعادت الحملة بعد حصـار دام سـبع سـنوات، وفيهـا توفي أبو أيوب ودفن قرب أسوار القسطنطينية.

وفي عهد يزيد بن معاوية (60 - 64هـ) اقـتصرت الفتوحـات عـلى توغـل عقبـة بـن نافع في إفريقية وبلوغه ساحل البحر الأطلسي، وغزا المسلمون خـوارزم مـن بـلاد مـا وراء النهر. وقد مضى أكثر أيام خلافته في صراع مع الحسين بن عـلي بـن أبي طالـب رضي اللــه عنهما والذي انتهى بقتل الحسين، وفي صراع مع عبد اللـه بن الزبير وقـد طلـب الخلافـة بعد استشهاد الحسين.

وفي عهـد عبـد الملـك بـن مـروان (64 - 86هــ) توقفـت الفتوحـات عنـد حـدودها السابقة، ما عدا بعض التوسع في بلاد ما وراء النهر، وكان سبب ذلك اشتغال عبد الملـك في صراعه مع ابن الزبير واشتغاله بقمع الثورات والفتن التي أثارها الشـيعة والخـوارج، وقـد أرهقت عبد الملك واضطرته إلى مصالحة الـروم عـلى مـال لوقـف هجـومهم عـلى الثغـور الإسلامية.

وفي عهد الوليد بن عبد الملك (86 - 96هـ) أخـذت مسـيرة الفتـوح في صـعود، فقـد توغل أخوه مسلمة بن عبد الملك في أذربيجان وفتح عددا من القـلاع والحصـون، واتسـع الفتح فيما وراء النهر على يد قتيبـة بـن مسـلم ففتحـت (بخـارى) و (سـمرقند) و (بـلاد الشاش) و (فرغانة) و (كاشان) وامتدت فتوحات قتيبة إلى دلتا نهر جيحون.

وفي إفريقية أكمل موسى بن نصير أمير إفريقية، فتح المغرب وفي سنة 86هـ وجه حملة بحرية بقيادة عياش بن آشيل فغزا صقلية وعاد منها بغنائم، وجهز موسى جيشا بقيادة مولاه طارق بن زياد فاجتاز البحر إلى الأندلس سنة 93هـ وانتصر على ملك القوط (رودريق) في معركة جرت في (شذونة)، ثم لحق به موسى بن نصير واشترك معه في فتح بعض الأقاليم الأسبانية. وفي الهند توغل محمد بن القاسم الثقفي فيها وفتح كثيرا من قلاعها ومدنها.

وفي عهد سليمان بن عبد الملك (96 - 99هـ) اجتاز قتيبة بن مسلم حدود الصين وفتح مدينة (كاشغر). وفي الأندلس توغل عبد العزيز بن موسى، -وكان قد خلف أباه في إمارة الأندلس- في أسبانيا، وفتح عددا من أقاليمها، وفتح يزيد بن المهلب أمير خراسان جرجان و قهستان و طبرستان. وجهز سليمان حملة بحرية بقيادة عمر بن هبيرة، وأخرى برية بقيادة أخيه مسلمة، فحاصرت القسطنطينية من البر والبحر، وعادت بأمر من عمر بن عبد العزيز بعد توليه الخلافة.

وفي عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، (99 - 101هـ) اجتاز المسلمون جبال (البرتات - البيرينيه) إلى بلاد الغال (فرنسا) بقيادة السمح بن مالك، أمير الأندلس، واستولوا على (أربونة - ناربون) و (طولوشة - تولوز)، ولم تتسع الفتوحات في عهد عمر إلى أبعد من ذلك لقصر مدة خلافته.

وفي عهد يزيد بن عبد الملك (101 - 105هـ) توغل المسلمون في بلاد الغال (فرنسا) بقيادة عنبسة بن سحيم أمير الأندلس، حتى بلغ أعلى نهر الرون وقام الأسطول الإسلامي في المغرب بغارات على جزيرة صقلية وجزيرة سردينية.

وفي خلافة هشام بن عبد الملك (105 - 125هـ) صعدت مسيرة الفتوحات الإسلامية إلى أبعد غاياتها وبلغت الأوج. فقد غزا أسد بن عبد الله القسري، أمير خراسان ما وراء النهر بلاد الصغد والترك. وغزا الحجاج بن عبد الملك بن مروان بلاد الخزر وأرمينية وبلاد اللان وفرض عليها الجزية، وتابع الجراح الحكمي أمير أرمينية غزو بلاد الخزر، ولما استشهد سنة 112هـ خلفه في

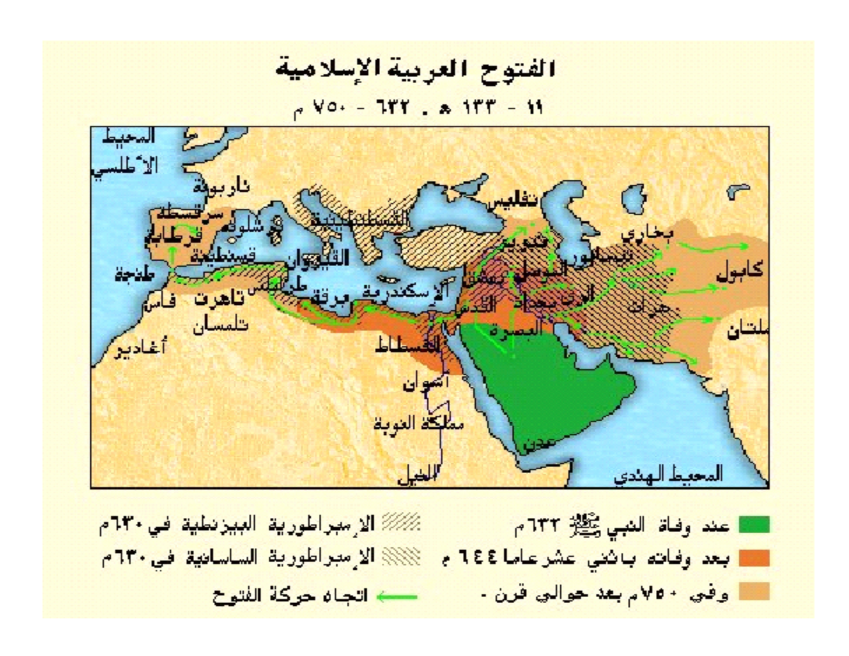
الإمارة مروان بن محمد فغزا أقاليم بحر الخزر (قزوين) ووطد الحكم الإسلامي فيها.

وفي بلاد السند توغل الجنيد بن عبد الرحمن المري فيها وفتح عددا من بلدانها، ثـم توقف الفتح حتى أيام الغزنويين في أواخر القرن الرابع والقرن الخامس الهجـري. وفي بـلاد الغال غزا عبد الرحمن الغافقي، أمير الأندلس، جنوبها الغربي واستولى على مدينة (بوردو) ثم صعد شمالا والتقى مع (شار مارتل) بين مـدينتي (تـور) و (بواتيـه) في معركـة ضـارية جرت سنة (114هـ - 732م) استشهد فيها عبـد الـرحمن وهـزم جيشـه، بسـبب انشـغال الجنـد بحمايـة الغنـائم التـي كـانوا غنموهـا، واستشـهد معـه في تلـك المعركـة كثـير مـن المسلمين، حتى أطلق على تلك المعركة (بلاط الشهداء).

وخلف عبد الرحمن في إمارة الأندلس عبد الملك بن قطن ، فغزا بـلاد (البشـكنس - الباسك). وفي إفريقية وجه عبيد اللـه بن الحبحاب أمير إفريقية، جيشا بقيادة حبيب بن أبي عبيدة الفهري ففتح بلاد السوس وغزا أرض السودان (السنيغال)، وفي البحـر المتوسـط غـزا الأسـطول الإسـلامي، بقيـادة حسـان بـن محمـد بـن أبي بكـر جزيـرتي (سـاردينية) و (كورسيكا)، وتوجه أسطول آخر بقيـادة حبيـب بـن أبي عبيـدة الفهـري ومعـه ابنـه عبـد الرحمن، فغزا جزيرة (صقلية) سنة 122هـ والتحم مع الأسطول البيزنطي في معركـة هـزم فيها هذا الأسطول، وكان في نية حبيب أن يمضي في الفتح حتى يستولي على الجزيرة كلهـا، غير أن ثورة البربر بزعامة ميسرة المدغري اضطرته إلى العودة. وفي جبهـة الـروم اسـتمرت غزوات الصوائف و الشواتي، كشأنها في عهد الخلفاء السابقين.

وبوفاة هشام بن عبـد الملـك تنتهـي المرحلـة المروانيـة الأولى، وفيهـا امتـدت رقعـة الدولة الإسلامية من أسبانيا والبحر الأطلسي والمغرب الأقصى إلى حدود بلاد الهند والصـين، ومن بحر الخزر وأرمينية إلى المحيط الهندي. وقـد اعتـبر الخلفـاء الأمويـون حـدود الـبلاد المفتوحة بدايات لفتوحات مستمرة لا تنتهي عنـد حـدود، مـا دام الجهـاد مفروضـا عـلى المسلمين لنشر رسالة الإسلام، وما دامت الغنائم تدفع المجاهدين لمتابعة الجهاد.

وبعد هشام بن عبد الملك تبدأ المرحلة الثانية والأخيرة مـن الفـترة المروانيـة، وفيهـا توقفت الفتوحات. وقد تولى الحكم أربعة خلفاء، كانت مدة خلافتهم ست سنوات وهم: الوليد بن يزيد بن عبد الملك ويزيد بن الوليد بن عبد الملك، وأخوه إبراهيم، و مروان بن محمد بن مروان بن الحكم. ولم تتجاوز مدة خلافـة الثلاثـة الأول بضـعة أشـهر، وشـغلت خلافة الأخير المدة الباقية (127 - 132هـ)، وقد أمضاها في قمع الفتن والثـورات الداخليـة التي أحاطت به من كل جانب، ولم يتمكن، على ما أوتي مـن صـبر وشـجاعة وإقـدام مـن كبحها، وانتهى مصيره بقتله بيد العباسيين، وبـه ختمـت حيـاة الدولـة الأمويـة، وانطـوت رايتها التي انتشرت في ظلها راية الإسلام، في تلك الرقعة الواسعة من الأرض.




الدولة العربية الإسلامية فى أقصى اتساع لها زمن الأمويين
١٣٢هـ - ٧٥٠ م
قرطبة
القيروان
الإسكندرية
كونستانبول
حلب
دمشق
القدس
المدينة
مكة
الطائف
أصفهان
سمرقند
الهند

- أسباب سقوط الدولة الأموية:

أولا: صراعات القصور على السلطة و جعل ولاية العهد لأكثر من واحد وما ولد هـذا الأمر من صراع على الملك، أضعف الحكومة المركزية، وأطمع فيها الثائرين عليها.

ثانيا: أثر العصبية القبلية في الصراع على الملك.

ظهر أثر هذه العصبية بعد وفاة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وتخلي ابنه معاويـة (الثاني) عن الخلافة، فقد نصرت قبيلة كلب اليمانية مروان بن الحكـم حـين رشـح نفسـه للخلافة، وقاتلت معه الضحاك بن قيس الفهري، زعيم القيسية في الشام، وكان يدعو لعبد الـلـه بن الزبير. وانتصر مروان في وقعة (مرج راهط) سنة 64هـ بسواعد الكلبيين، وقتـل الضحاك بن قيس في الموقعة وهزم القيسية، ومن بعدها تأصلت العـداوة بـين اليمانيـة و القيسية (المضرية)، وظل اليمانية حلفاء بني أمية حتى خلافة الوليـد بـن يزيـد بـن عبـد الملك حين ثار عليه يزيد بن المهلب بن أبي صفرة زعيم اليمانية.

وقد سرت العصبية القبلية بين اليمانية و القيسية إلى الأندلس وخراسان. وقد انضـم اليمانية إلى المعارضة في النهاية، ومالوا مع أبي مسلم الخراساني ضد نصر بن سيار .

وقد أفاد أبو مسلم، القائم بالدعوة العباسية، من هذا الصراع القبلي، الـذي أضـعف الحكم الأموي في مقاومة الدعوة العباسية وكان من أسباب انتصارها.

ثالثاً: بذخ الخلفاء والأمراء وإسرافهم

لما آلت الخلافة إلى بني أميـة وتحولـت إلى ملـك مـوروث، بـرزت مظـاهر الملـك في البـذخ لـدعم ملكهـم واكتسـاب الـولاء. وقـد أفاضـوا عطايـاهم عـلى الشعراء، لتنطلق لهواتهم بمدحهم ونشر مآثرهم والدفاع عنهم، والشعراء يومئذ وسيلة الدعاية والإعلام. واتبعوا سياسة البذخ والإنفاق، واتخـذوا أبهـة الملـك في

مظهرهم وملبسهم ومجالسهم. وقد مال بعضهم إلى حياة اللـهو والمجون، ومنهم من أسرف ورويت عنه حكايات وأخبار تخرج عن نطاق الدين والأخلاق.

ومن المؤرخين من يطعن في صحة هذه الحكايات، لما في بعضها من الإغراق في المبالغة، ويرى أنها وضعت في العصر العباسي الأول للتشهير ببني أمية، تتمة لحملة التنكيل بأحيائهم وأمواتهم بعد سقوط دولتهم. ولكن الثابت أن تحول الخلافة إلى ملك منذ ذلك العهد، أدخل على نظام الحكم كل لوازم فساد الملوك وما تحتويه قصورهم.

رابعاً: جور العمال وظلمهم

واجه الأمويون ثورات وفتن كثيرة. وقد كلفت الدولة نفقات باهظة، وقضي فيها آلاف القتلى والشهداء. وكان موطن هذه الفتن والثورات العراق والجزيرة وخراسان ثم انتقلت إلى أفريقية. وقد اختار خلفاء بني أمية ولاة لهذه الأقاليم من أشد الرجال قسوة. وكان منهم زياد بن أبيه ، وابنه عبيد اللـه بن زياد ، والحجاج ابن يوسف الثقفي، وابن أخيه عمر بن يوسف الثقفي..

وقد منحهم الخلفاء السلطة المطلقة لقمع هذه الثورات والفتن وفرض الطاعة بالقوة، فكانوا هم ومن كانوا يولونه من الأعمال في ولاياتهم ينكلون بمن يقع في قبضتهم من الثائرين و العصاة. وكان من وجوه الظلم القتل بالشبهة ومصادرة الأموال.

خامساً: الإخلال بمبدأ المساواة بين العرب والموالي

كان مبدأ المساواة الذي أعلنه الإسلام الدافع القوي لإقبال شعوب البلاد المفتوحة على الدخول في الدين الجديد، وقد قام بينهم وبين المسلمين ولاء متبادل فعرفوا باسم (الموالي)، وقد ضمن لهم مبدأ التساوي مع العرب، ما ورد في القرآن الكريم، وما روي من أحاديث الرسول صلى اللـه عليه وسلم، وقد طبق هذا المبدأ في عهد الرسول صلى اللـه عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين، فلم يكن هناك تمييز بين صهيب الرومي وسلمان الفارسي و بلال الحبشي، وبين أي مسلم عربي، مهما علا نسبه.

ولما تولى الخلافة بنو أمية، نقضوا هذا المبدأ وتعصبوا للعرب ووضعوا الموالي في درجة أدنى في الحقوق والواجبات وكان يعهد إليهم بالأعمال الدنيا، أما العليا فللعرب.

ولما كثرت نفقات الدولة بسبب الحروب وقمع الثورات والفتن، فرض عمال الأقاليم الجزية على من أسلم من الموالي، كما فرضوا الخراج على أراضيهم، خلافا لأحكام الإسلام، التي قضت بإعفاء من أسلم من الموالي من الجزية، وألزمته بدفع العشر بدلا من الخراج.

وقد أدى التمييز بين العرب والموالي إلى التحاق الموالي بأحزاب المعارضة من علوية وخوارج، ودعم ثوراتهم على الحكم الأموي، كما أدى إلى ظهور فكرة الشعوبية، وهي إحياء الموالي، وخاصة الفرس، لقوميتهم وتقاليدهم والتفاخر بها والحط من شأن العرب.

تلك هي الأسباب التي أدت إلى سقوط دولة بني أمية، يضاف إليها الدعوة السرية التي اختطها بنو العباس ووجهوا دعاتهم لنشرها في العراق وخراسان، وانضم إليهم العلويون وشيعتهم ومعهم الموالي وتوحدت صفوفهم في مقاومة الحكم الأموي.

وقد أورد المسعودي ما قاله شيخ من شيوخ بني أمية في أسباب سقوط دولتهم:

(لقد شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا، فظلمنا رعيتنا، فيئسوا من إنصافنا وتمنوا الراحة منا، و تحومل على أهل خراجنا فتخلوا عنا وخربت ضياعنا، فخلت بيوت أموالنا، ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقهم على مرافقنا، وأمضوا أمورا دوننا، وأخفوا علمها عنا، وتأخر عطاء جندنا، فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم أعادينا فتضافروا معهم على حربنا، وطلبنا أعداؤنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا، وكان استتار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا).

ويضيف المسعودي على هذه الأسباب إثارة روح العصبية القبلية بين اليمنية والقيسية (عرب الشمال والجنوب)، وافتخار كل منهما على الأخرى

وادعاؤها بما لها من المناقب، فنتج عن ذلك تعصب القيسية لمروان بـن محمـد وانحـراف اليمنية عنه إلى الدعوة العباسية، وانتهى الأمر إلى انتقال الدولـة عـن بنـي أميـة إلى بنـي هاشم.

وقد تخلل دولة بني أمية محاولة للإصلاح قام بها أمير المؤمنين الراشد عمر بن عبد العزيز ؛ فقد أراد عمر بن عبد العزيز أن يقوِّم في خلافته ما اختل من سياسة أسلافه، ومـا ساء من سلوكهم، وأن يتأسى بسياسة جـده عمـر بـن الخطـاب رضي اللـــه عـنهما، فـألزم رجال الدولة بالتقشف واستبدل بعمال الولايات عمالا اختارهم من أهل التقـوى والأمانـة والعلم و الشرع، ورد جميع ما اغتصبه الولاة وأصحاب النفوذ من أموال إلى بيت المال إن كانت من أموال الدولة، وإلى أصحابها إن كانت من أموال الأفراد، وتألف قلـوب العلـويين ومنع سب علي بن أبي طالب رضي اللــه عنـه. وأخـذ الخـوارج بالمنـاظرة وحجهـم فيهـا. وأصلح السياسة الضرائبية فمنع أخذ الجزية التي كان يأخذها عمال الولايـات مـن أهلهـا بعد إسلامهم، ومنع فرض الخراج على أراضي من أسلم منهم.

ولما قيل لعمر إن هذا الإصلاح يضر بموارد الدولة، أجـاب: (إن اللــه أرسـل محمـدا صلى اللـه عليه وسلم هاديا ولم يرسله جابيا). وقد أجرى إصلاحات إدارية وماليـة أخـرى لم يكتمل تنفيذها لقصر مدة خلافته وهي سـنتان ونيـف، وقـد رفعتـه تقـواه وورعـه إلى مرتبة سامية، وعده كثير من السلف، خامس الخلفاء الراشدين وقيل إن بنـي أميـة دسـوا له السم لانتزاعه منهم كثيرا مما اغتصبوه، وأنه هم أن يعيد الأمر شورى بين المسلمين.

- .تقييم عهد بني أمية:

مهما قيل في الأسباب التي أدت إلى سقوط الدولة الأموية، فلا ينكـر أنهـا كانـت أول دولة عالمية للإسلام، وأنها هي التي نشرته في الرقعـة الواسـعة مـن العـالم التـي تمتـد مـن ساحل البحر الأطلسي إلى حدود الهند والصين، ومن البحر الأسود وبحر الخزر (قزوين) إلى المحيط الهندي، وأنها كانت أقوى، دول الإسلام، وكـان عصرهـا بفضـل العـرب والمسـلمين، أكثر العصور الإسلامية قدرة على الجهاد، وقوة في الكفاح، وأشدها نشاطا وحيوية.

وفي عهدها تلاقى العرب، في البلاد المفتوحة، مع شعوب أخرى كانت تتقدمهم في الحضارة وتفوقهم في المعرفة، فتأثروا بثقافاتهم وتقاليدهم ونظمهم، واستطاعوا أن يتمثلوها وأن يضفوا عليها روحا إسلامية.

واتسمت الحياة العلمية بتدوين الحديث والتفسير و المغازي والأخبار، كما اتسمت بنمو الفقه واستيعاب تطبيقاته لحاجات الحياة المتطورة. واتسمت الحياة الثقافية بدراسة المذاهب الفلسفية واللاهوتية ومناظرة أصحابها.

كذلك اتسمت الحياة الثقافية بالأخذ بعلوم اليونان في الطب والكيمياء، وكان خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أول من اهتم بنقل تلك العلوم إلى اللغة العربية. واتسمت الحياة الاقتصادية بنشاط التجارة واتساعها، وخاصة بعد أن سيطر الأسطول الحربي على شرقي البحر المتوسط، في أعقاب المعركة الحربية المعروفة بذات السواري سنة 34هـ وبسط سيادة الدولة الإسلامية عليها، واتسع نشاط التجارة بعد فتح إفريقية والأندلس، فكانت السفن التجارية تمخر في البحر وتسعى بين مواني بيزنطة وإيطاليا وصقلية وكريت و رودوس وقبرص، تتجر معها، على الرغم من استمرار الغزوات البحرية التي كانت تشنها على تلك البلاد.

كذلك نشطت التجارة البرية، فكانت القوافل تعبر الطرق البرية إلى الهند والصين، وتسلك بلاد إيران وما وراء النهر إلى سمرقند بخارى وبلاد الخزر وتحمل تجارتها من تلك البلاد وإليها. واتسمت الحياة الزراعية بتوفير الأيدي العاملة المجلوبة من إفريقية لاستصلاح أراضي السواد جنوبي العراق.

واتسمت الحياة العمرانية ببناء المساجد الفخمة والقصور الشاهقة والمستشفيات (البيمارستانات) وببناء المدن ودور الصناعة المعدة لبناء السفن التجارية والحربية. ففي عهد معاوية بن أبي سفيان بنيت مدينة القيروان بناها عقبة بن نافع سنة 50هـ وفي عهده بنيت دار الصناعة في عكا.

وفي عهد عبد الملك بن مروان بنيت قبة الصخرة في القدس وبدئ ببناء المسجد الأقصى، وأعيد بناء الكعبة والحرم المكي سنة 74هـ وبنيت مدينة

(القيروان) - تونس - وأقيمت فيها دار لصناعة السفن، تـولى بناءهـا حسـان بـن الـنعمان أمير إفريقية سنة 82هـ وبنيـت مدينـة واسـط بناهـا الحجـاج بـن يوسـف الثقفـي أمـير العراق، سنة 82 - 83هـ لتكون وسطا بين الكوفة والبصرة، وفي عهد الوليد بن عبـد الملـك اكتمل بناء الجامع الأموي بدمشق سنة 87 - 96هـ وجدد بناء الحرم النبوي مع توسـيعه وتزيينه بالفسيفساء، وبنيت القصور الصحراوية.

واهتم الوليد بالمرافق العامة من إصلاح الطرق وحفر الآبار في طريق الحـج وإنشـاء البيمارسـتانات للمـرضى وبنـاء دور خصصـت للمجـذومين وأخـرى للعميـان والمقعـدين، وأجرى الخليفة عليها أرزاقا.

وفي عهد سليمان بن عبـد الملـك بنـي الجـامع الأمـوي في حلـب سـنة 97هــ وبنـى سليمان وهو ولي للعهد مدينة الرملة بفلسـطين، وفيهـا بنـى القصـور والجـامع. وفي سـنة 109هـ بنى هشام بن عبد الملك قصر الرصافة بالقرب مـن الرقـة وبنـى عبيـد اللــه بـن الحبحاب أمير إفريقية، جامع الزيتونة، وفي عام 127هـ بنى مروان بن محمد مدينة حران قرب الموصل لتكون عاصمة مؤقتة له بين الشام والعراق، لكي يسهل عليه مراقبة ما يجري فيهما.

وإلى جانب النشاط العمراني تمت إصلاحات مالية وإدارية، فقد عرب عبد الملك بـن مروان القراطيس، وهـي ورق الـبردي، وكـان الأقبـاط في مصر يصـنعونه ويتوجونـه باسـم المسيح، فأمر عبد الملك أن يستبدل اسم المسيح بـ (قُلْ هُوَ اللـه أَحَدٌ)

كذلك ضرب عبد الملـك السـكة وضرب الـدنانير الذهبيـة لأول مـرة في الإسـلام، وضرب الحجاج الثقفي أمير العراق، الدراهم الفضية المنقوشة ووضع لها الوزن. وفي سنة 81هــ نقـل عبد الملك الديوان من الرومية إلى العربية، وكذلك فعل الحجاج الثقفي فقد نقل الديوان من الفارسية إلى العربية، ومثله فعل عبد اللـه بن عبد الملك بن مروان أمير مصر سنة 86هـ فقد نقل الديوان من القبطية إلى العربية، وتأسى به حسان بن النعمان أمير إفريقية، فنقل ديـوان

إفريقية إلى العربية. ويعتبر ضرب السكة وتعريب الدواوين تأكيدا لكيان الدولة المالي والاقتصادي.

وإذا كان يؤخذ على دولة بني أمية الظلم والجور، فلعل ذلك ما كانت تقتضيه الظروف الحرجة، وخاصة أن الخارجين عليها، كانوا من الأشداء في نضالهم، ومن المتعصبين لعقائدهم..

وقد رأينا أن الثورات والفتن قد أحاطت بدولة بني أمية، واندلعت في عدة جبهات، وخاصة في العراق، ثم أضحى مقرا للشيعة، وفيه ظهر الخوارج الثائرون على نظام الحكم.

- ظاهرة علماء السلطان في العصر الأموي:

كما ذكرنا سالفا، فقد استتبع تحول نظام الحكم الإسلامي من الخلافة لإلى الملك على يد بني أمية، أن تظهر توابع النظام الملكي وأركانه، من مثل ما ألف عبر التاريخ من فساد القصور، وقيام نظام السلطة على أسسها الثلاثة (الحاكم – الكاهن – الأعوان). وهكذا ظهرت طائفة علماء السلطان لأول مرة في تاريخ المسلمين لتزين مجالس الأمراء وأبواب السلاطين، وتلحق بالملأ..

ولقرب العهد بخير القرون، فقد انبرى من أئمة الهدى من وقف لهذه الفئة بالمرصاد واستعصى على ملوك الجور الذين تدرجوا في الفساد. وقد حفظ لنا كتب التاريخ الإسلامي منذ ذلك العهد تراثا رائعا من مواقف علماء الحق وأئمة الهدى..

ومن ذلك ما قاله الإمام الحسن البصري يوبخ أولئك المتزلفين على أبواب الأمراء: (جاء في كتاب سير أعلام النبلاء: روى أبو نعيم في الحلية حدثنا... حدثنا فضيل بن جعفر قال خرج الحسن من عند ابن هبيرة فإذا هو بالقراء على الباب فقال: ما يجلسكم ها هنا ؟! تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء. أما والله ما مجالستهم مجالسة الأبرار. تفرقوا.. فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم. قد فرطحتم نعالكم، و شمرتم ثيابكم، وجززتم شعوركم. فضحتم

القراء فضحكم الـلـه. والـلـه لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عنـدكم. ولكـنكم رغبـتم فيما عندهم. أبعد الـلـه من أبعد).

كان هذا سرد لبعض أخبار بني أمية وعهدهم، وصدق الـلـه العظيم:

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة:134).

الدولة الإسلامية أيام الخلافة العباسية(132-656هـ):

- انتقال الخلافة إلى بني العباس:

انتقلت الخلافة إلى بني العباس بعد نجاح الدعوة السرية التي أطلقها دعاتهم منـذ بداية السنة المئة للهجرة في خراسان حتى سنة 132هـ وفيهـا انكشـف سر الـدعوة التـي كان ظاهرها الدعوة لاختيار خليفة من بيت آل النبي صلى الـلـه عليه وسـلم يـرضى عنـه المسلمون، وكان يطلق عليها (الرضا من آل محمد)، إمعانا في الكتمان. ثم تبين أنها كانـت تخفي الدعوة لبني العباس.

وفي يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول سنة 132هــ دخـل الكوفـة أبـو العبـاس عبد الـلـه بن محمد بن علي بن عبد الـلـه بن عباس وبويع في مسجدها، وألقـى في أهـل الكوفة خطابا، بين فيه حق بني العباس في الخلافة ولقب بالسفاح.

ومن ذلك اليوم طوي علم بني أمية الأبيض وارتفع علم بني العبـاس الأسـود. وأخـذ عما السفاح عبد الـلـه وصالح ولدا علي بن عبد الـلـه العباسي يطـاردون بنـي أميـة بعـد هزيمة مروان بن محمد آخر خلفائهم والقبض عليه في (بوصير) بمصر وقتله. فنبشوا قبـور بني أمية في دمشق وأحرقوا ما تبقى من رفاتهـا. وأثخنـوا بجمـع كبـير مـن بنـي أميـة في فلسطين فقتلوهم على شاطئ نهر (فطرس) وتشتت مـن نجـا مـنهم في الآفـاق. وسـبحان الذي يؤت الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز ون يشاء ويذل من يشاء.

النتائج التي ترتبت على انتقال الحكم إلى بني العباس:

ترتب على انتقال الحكم إلى بني العباس النتائج التالية:

أولاً: نقل العاصمة من الشام إلى العراق.

ثانياً: انتقال النشاط التجاري إلى العراق، وربط التجارة البرية ببغداد والبحرية بالبصرة.

ثالثاً: قيام صراع بين أشراف العرب وأشراف الموالي من الفرس، ثم الترك على نيل مناصب الدولة، وإيثار الموالي بهذه المناصب، مما أدى لسقوط الدولة في نصفها الثاني تحت إدارتهم كليا.

رابعاً: اشتداد مقاومة الناقمين من العلويين والخوارج وتوالي ثوراتهم على الحكم العباسي، وانشغال الدولة بقمعها مما أدى إلى:

أ. توقف الفتوحات وتحول الدولة العباسية من موقف الهجوم - وهو موقف الدولة الأموية - إلى موقف الدفاع، واعتبار الحدود التي وصل إليها الأمويون في فتوحاتهم، حدودا نهائية والوقوف عندها والاكتفاء بالدفاع عنها على الحدود مع الروم غربا أو الترك شرقا.

ب. عجز الدولة عن ضبط الحكم في الولايات الإفريقية، مما اضطرها إلى السكوت والاعتراف بحالة راهنة قضت بانتزاع بعض الأقاليم من سيادة الدولة، مما أظهر الدول المستقلة. كما فعل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي الملقب بالداخل، حين انتزع الأندلس سنة 138هـ وأقام فيها إمارة مستقلة تحولت إلى خلافة سنة 300هـ في عهد عبد الرحمن الناصر، وكما فعل إدريس الأول، بعد نجاته في وقعة (فخ) سنة 169هـ وإقامته في المغرب دولة علوية مستقلة، كذلك أدى اختلال الأمور في المغرب الأدنى (تونس) إلى تولية إبراهيم بن الأغلب عليه ومنحه الاستقلال الذاتي سنة 184هـ وإنشائه دولة بني الأغلب، لتحول دون امتداد دولة الأدارسة نحو المشرق. وإلى جانب هذه الدول المستقلة التي انفصلت سياسيا وإداريا عن دولة بني العباس، نشأت في إفريقية إمارات

مستقلة كإمارة بني مـدرار التـي أنشـأها في (سجلماسـة) أبـو القاسـم سـمغو سـنة 155هـ والإمارة الرستمية التي أنشـأها عبـد الـرحمن بـن رسـتم في (تـاهرت) سـنة 160هـ وكانت كلا الإمارتين تدينان بمذهب الخوارج.

خامساً: تخصيص بعض الولاة بإقليم من أقاليم الدولة استقلالا، مكافأة لهم لقيامهم بخدمة الدولة، كـما فعـل المـأمون بتخصـيص طـاهر بـن الحسـين بـإقليم خراسـان إمـارة مستقلة يتوارثها أبناؤه من بعده، وذلك مكافأة له للتغلب على أخيه الأمين.

- ويمكن تقسيم مرحلة الخلافة العباسية إلى ثلاثة أطوار، بحسب القوة والضـعف وهي:

- الطور الأول: طور القوة والعصر الذهبي: (132- 247 هـ / 750-861م).
- الطور الثاني: طور الضعف والتفتت وتسلط القادة الأعاجم من الفرس والـترك : (247-487هـ / 861 - 1094م)
- الطور الثالث: طور الإنهيار والغزو الخـارجي مـن الصـليبيين والتتـار : (487-656هــ / 1094 - 1258م)

الخلفاء العباسيون في بغداد:

الطور الأول:

1- أبو العباس السفاح: 750 - 754 م / 132 - 136 هـ.
2- أبو جعفر المنصور: 754- 775 م / 136 - 158 هـ.
3- محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور: 775 - 785 م / 158- 169هـ.
4- موسى الهادي بن محمد المهدي: 785 - 786 م/ 169 - 170 هـ.
5- هارون الرشيد بن محمد المهدي: 786 - 809 م / 170 193- هـ.
6- الأمين بن هارون الرشيد: (قتل). 809- 813 م / 193 - 198 هـ.

7- المأمون بن هارون الرشيد: 813- 833 م / 198- 218 هـ.

8- محمد المعتصم بالـلـه بن هارون الرشيد : - 833 842 م/ 218 - 227 هـ.

9- هارون الواثق بالـلـه بن المعتصم بالـلـه: 842 - 847 م/ 227 -232 هـ.

10- جعفر المتوكل على الـلـه بن المعتصم بالـلـه: (قتل) 847 -861 م/ 232 -247 هـ

الطور الثاني:

11- المستنصر بالـلـه بن المتوكل على الـلـه: (قتل) 861- 862 م/ 247 - 248 هـ.

12- احمد المستعين بالـلـه بن المعتصم بالـلـه: (قتل) 862 -866 م/ 248 252 هـ.

13- المعتز بالـلـه بن المتوكل على الـلـه: (قتل) 866 -870 م /252 -255 هـ.

14- محمد المهتدي بن الواثق بالـلـه: (قتل) 870 -870 م /255- 256 هـ.

15- احمد أبو العباس المعتمد على الـلـه بن المتوكل: 870 -892 م/ 256 279هـ.

16- احمد أبو العباس المعتضد بالـلـه بن الموفق بن المتوكل على الـلـه: 892 -902 م /279 -289 هـ.

17- علي المكتفي بالـلـه بن المعتضد بالـلـه: 902 -908 م / 289 - 295 هـ.

18- جعفر أبو الفضل المقتدر بالـلـه بن المعتضد بالـلـه: (خلع مرتين ثم قتل) 908 - 932 م /295 - 320 هـ.

19- عبد الـلـه بن المعتز الراضي بالـلـه: (ولي الخلافة يوما واحدا) ! 909 م /296 هـ.

20- محمد القاهر بالـلـه بن المعتضد بالـلـه: 932- 934 م /320 - 322 هـ.

21- احمد أبو العباس الراضي بالـلـه بن المقتدر: 934 -940 م /322 -329 هـ.

22- ابراهيم المتقي بالـلـه بن المقتدر بالـلـه: 940 -945 م /329 - 333 هـ.

23- عبد اللـه أبو القاسم المستكفي باللـه بن المكتفي: (سملت عيناه وسجن حتى مات) ! 945 - 946 م/ 333 - 334 هـ.

24- المطيع لله ابن المقتدر: (خلع نفسه) ! 946 - 974 م /334 - 363 هـ.

25- عبد الكريم أبو بكر الطائع لله بن المطيع: 974 -991 م /363 - 381 هـ.

26- احمد أبو العباس القادر باللـه بن الأمير اسحق بـن المقتـدر باللــه: 991 -1031 م / 381 - 422هـ.

27- عبد اللـه أبو جعفر القائم بأمر اللـه بن القادر باللـه: 1031 -1075 م/ 422 - 467 هـ.

28- عبـد اللــه المقتـدي بـأمر اللــه حفيـد القـائم بـأمر اللــه: (لان أبـاه مـات قبلـه) 1075 - 1094 م /467 - 487 هـ.

الطور الثالث:

29- احمد أبو العباس المستظهر باللـه بن المقتدي بأمر اللـه: 1094 -1118 م/487 - 512 هـ.

30- أبو منصور فضل المسترشد باللـه بن المستظهر باللـه: (قتله الباطنيون) 1118 - 1135 م / 512- 529 هـ.

31- أبو جعفر المنصـور الراشـد باللــه بـن المسـتظهر باللــه: (خلعـه السـلطان مسـعود) 1135 - 1136 م /529 - 530 هـ.

32- محمد المقتفي لأمر اللـه بن المستظهر باللـه: 1136 -1160 م /530 - 555 هـ.

33- يوسف المستنجد باللـه بن المستظهر باللـه: 1160 -1170 م /555- 566 هـ.

34- أبو محمد الحسن المستضيء بأمر اللـه بن المستنجد باللـه: 1170 - 1180 م /566 - 575 هـ.

35- الناصر لدين الله بن المستضيء بأمر الله: 1180 - 1225 م / 575 622 هـ

36- أبو النصر محمد الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله: 1225 -1226 م / 622 - 623 هـ

37- أبو جعفر المنصور المستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله: 1226 - 1242 م /623 - 640 هـ

38- أبو احمد عبد الله المستعصم بالله بن المستنصر بالله: (قتله التتر) 1242 - 1258 م /640 656 هـ

- الفتوحات في عهد الدولة العباسية:

وقفت الدولة العباسية عند الحدود التي انتهت إليها الدولة الأموية قبل سقوطها، وما جرى في عهد الدولة العباسية إنما كان إخضاعا لأقاليم انتقضت عليها وتم إخضاعها، فكأنما فتحت من جديد، كانتقاض بعض نواح فيما وراء النهر سنة 134هـ، وانتقاض طبرستان سنة 142هـ وانتقاض سجستان سنة 152هـ وانتقاض جرجان سنة 167هـ وقد كانت هذه الانتفاضات ثورات على الحكم العباسي أو تمردا عليه قمعت بشدة وعنف.

وقد استمرت غزوات الصوائف في جبهة الروم واقتصرت على حماية الثغور الإسلامية، الجزرية والشامية، وتتابعت من عام 142هـ حتى عام 191هـ وتوقفت بعد ذلك إلى عام 215، بسبب الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون، من أجل الخلافة، وما تبعها من أحداث. ولما استقر الملك للمأمون استأنف حملات الصوائف، وكان آخرها الحملة التي قادها بنفسه سنة 218هـ وتوقف بها عند مدينة طرسوس، وفيها توفي تلك السنة، بعد أن أمر أن يحمل إليه الإمام أحمد بن حنبل ليمتحنه في مسألة خلق القرآن، فحمل إليه في أغلال ثقيلة، وقد اشتهر أن الإمام دعا ربه في الطريق، أن لا يجمعه الله بالمأمون، فجاء خبر وفاته وهم في الطريق، وأعيد الإمام إلى بغداد !.

توقفت حملات الصوائف بعد ذلك، وأصبحت الثغور الإسلامية هدفا لغارات الـروم. ففي سنة 243هـ أغار الروم على الثغور الجزرية وبلغـوا مدينـة (شمشـاط) واقتربـوا مـن مدينة (آمد - ديار بكر) كما أغاروا سنة 245هـ على الثغور الشامية مـن جهـة (أنطاكيـة) ولم تفلح حملات الصوائف التي قادها قائدان شـهيران وهـما: عـلي بـن يحيـى الأرمينـي، وعمر بن عبد اللـه الأقطع. في صد غارات الروم واستشهد الاثنان في عراك معهم.

على أننا لا بد أن نشير إلى ثلاث حمـلات عسـكرية ضـخمة توجهـت إلى بـلاد الـروم وكانت حملات تأديبية:

الأولى: وجهها الخليفة المهدي سنة 165هـ بقيـادة ابنـه هـارون الرشـيد وفيهـا بلـغ القسطنطينية فهادنته الملكة (إيرين) وعقدت معه صلحا مع جزية سنوية مجزية.

والثانية: قادها الرشيد بنفسه وهو خليفـة سـنة 187هــ عنـدما نقـض الإمبراطـور(نقفور) الذي خلف(إيرين) الهدنة، وأرسل رسالة حادة للرشيد، فكتـب لـه الرشـيد عـلى ظهرها مجيبا: (من أمير المؤمنين هارون الرشيد إلى نقفور كلب الروم ؛ أتاني كتابك يا ابـن الفاجرة ! والجواب ما ترى لا ما تسمع !!).

ثم غزاه وانتصر عليه، فصالحه الإمبراطور (نقفور) وعقد معه هدنة جديدة.

والثالثة: الحملة التي قادها الخليفة المعتصم باللـه بنفسه سنة 223هـ انتقاما من الروم الذين أغاروا على ثغور الجزيرة ودخلوا مدينة (زبطرة) فنهبوا وسبوا النساء وهدموا المدينة. وكانت غارة الـروم هـذه بطلـب مـن الثـائر بابـك الخرمـي الـذي كانـت جيـوش الخليفة تلاحقه، فلما ضيقت عليه الخناق طلب مـن الإمبراطـور البيزنطـي (تيئوفيـل) أن يشن الغارات على الثغور الإسلامية ليضطر الخليفة إلى سحب جيوشه عنه. وقد اسـتجاب الإمبراطور لمطلبه وزحف على الثغور، ولكن بعد أن كان بابـك قـد وقـع في قبضـة جـيش الخليفة حيث أسره (الإفشين) قائد المعتصم .

فقد روت كتب التاريخ أن امرأة من نساء المسلمين كانت مأسورة في عمورية فاستغاثت بالمعتصم، ونادت: (وا معتصماه) ! فقال لها الرومي: ليأتك المعتصم على حصان أبلق، فبلغ ذلك المعتصم، فأمر بتجييش جيش حمل فيه ثمانين ألف حصان أبلق ! وقد نفذ المعتصم حملته المشهورة التي خلدها، الشاعر أبو تمام بقصيدة عصماء، وذلك عندما زعم المنجمون وقالوا له: أن النجوم والنبوءات تشير لعدم إمكانية النصر في ذلك الوقت، فأصر المعتصم على الغزو وخرج، وكان في جيشه جم غفير من العلماء والصالحين المشاهير منهم محمد بن واسع رحمه الله والتقى المعتصم مع جيش الإمبراطور في معركة جرت في (عمورية) انتهت بهزيمة الروم وأسر الإمبراطور. وتخريب عمورية وتحريقها. وقد قال في ذلك أبو تمام شعرا جاء في مطلعه:

السيف أصدق أنباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعبِ.

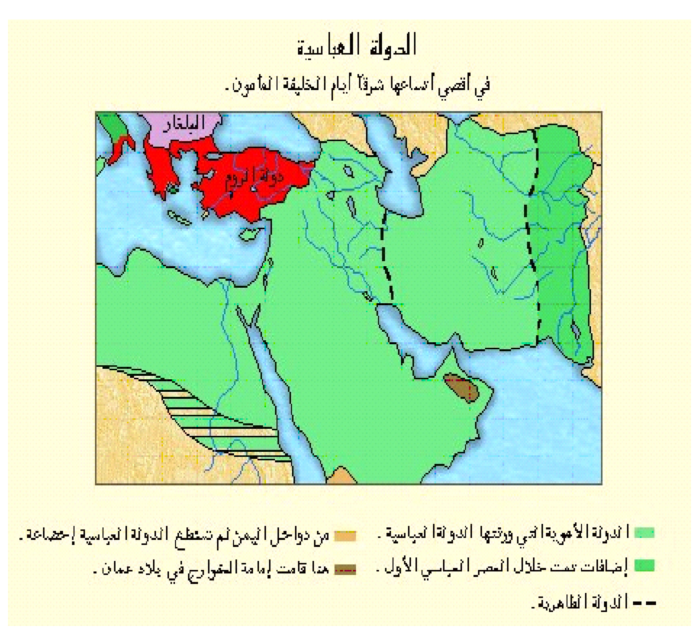
وإذا كان من فتح في هذا العصر من دولة بني العباس، فهو فتح صقلية الذي تولاه الأمراء الأغالبة، أمراء إفريقية. ففي سنة 212هـ جهز الأمير زيادة الأول بن إبراهيم بن الأغلب حملة بحرية بقيادة القاضي العالم المجاهد: أسد بن الفرات رحمه الله.

ومنها أغاروا على جزيرة مالطة وافتتحوها أيام محمد بن الأغلب سنة 261هـ وعبروا مضيق مسينا وغزوا قلورية (كالابريا calabria) وهي المنطقة الواقعة في أقصى الجنوب من شبه جزيرة إيطاليا.

- تقييم العصر العباسي الأول:

يمكن القول أنه إذا كان العصر الأموي عصر الفتوحات الإسلامية، فإن العصر العباسي كان عصر الحضارة الإسلامية. وقد ظهر أثرها في تطور علوم الشريعة، ومختلف مناحي الحياة العمرانية والأدبية والفكرية والعلمية والاجتماعية....

فقد تطورت علوم الدين المختلفة، كعلوم القـرآن، وعلـوم الحـديث، كـما نشـأت في هذه المرحلة المذاهب الأربعة، وهي مدارس الأئمـة الأجـلاء (الإمـام أبـو حنيفـة الـنعمان، والإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل)، وغيرهم من الأئمة الأعلام الـذين كان لهم مذاهب ومدارس فقهيـة، كانـت أقـل انتشـارا، كالإمـام سـفيان الثـوري، والإمـام الأوزاعي، وغيرهم.. وقد ظهر تدوين السيرة النبوية، وتاريخ الخلفاء الراشـدين مـن بعـده وسيرهم وما بعد ذلك من أحداث،فوضعت أسس علـم التـاريخ الإسـلامي، وظهـر تـدوين الحديث وتمحيص الصحيح منـه مـن غـير ذلـك، وبـرز أئمـة الحـديث الأعـلام، كالبخـاري ومسلم، وعبد اللـه بن المبارك، وابن عيينة، وأحمد ابن حنبل وغيرهم كثير رحمهم اللــه تعالى..



وتبعا لذلك تطورت علوم العربية. وظهرت علوم قواعد اللغة لضبط لفظها على نحو كلام الأعراب وعرف بعلم النحو وكذلك علم الصرف، و ظهر رجال عنوا بمفردات اللغة ومعانيها المختلفة واستعمالاتها معتمدين في ذلك على شواهد من كلام العرب وأشعارهم وأمثالهم، فكان من كل هذا الذي صنعوه عمدة في تفسير القرآن والحديث، أعان الفقهاء في استنباط الأحكام من مصدريها الأساسيين وهما القرآن والسنة. وغير ذلك من العلوم اللازمة للفقه الذي تأسست مدارسه في تلك الفترة..

وأما في المناحي الحضارية الأخرى، فقد تطورت الحياة العمرانية ونجد من آثار ذلك في تجديد أبي العباس السفاح لمدينة الأنبار، واتخاذها عاصمة له وفي بنائه مدينة الهاشمية، وفي بناء المنصور مدينة بغداد، ونقل العاصمة إليها، وفي بنائه مدينة الرافقة، إلى جانب مدينة الرقة، وفي بناء مدينة سامراء التي كان اسمها (سُرَّ من رأى) في عهد المعتصم، وفي بناء مدينة المتوكلية أيام المتوكل، وفيما شيد في هذه المدن من قصور، أثار بهاؤها قرائح الشعراء.

وقد تجلت الحياة الأدبية في شعر الشعراء، فقد أضفت نعومة الحياة رقة في الشعر، وابتداعا لمعان جديدة، وألهمت خيال الشعراء بصور فنية لم يكن لشعراء العصر الأموي عهد بها. وكان عطاء الخلفاء وسخاؤهم، ومن كان يجاريهم في العطاء من الوزراء والكبراء يشحذ إلهام الشعراء ويطلق لهواتهم بجيد الشعر، وكان الشعر وسيلة إطرائهم والتغني بفضائلهم. وإلى جانب الشعراء ظهر الكتَّاب، فابتدعوا أسلوبا جديدا يقوم على سلاسة التعبير، ودقة المعاني وإشراق البيان، ومن هؤلاء من رقا إلى الوزارة.

وفي الحياة الفكرية نجد أثر الثقافات الأجنبية التي حملها الموالي معهم، من حكمة الهند وأدب الفرس وفلسفة اليونان والعلوم التطبيقية الأخرى. وقد تأثر بها الفكر الإسلامي، وتلقاها بما نقل منها إلى العربية، فانعكست عليه خيرا وشرا.

وكان الخليفة المنصور أول من عني بهذا النقل وتبعه حفيده الرشيد ثم المأمون الـذي أنشأ دارا للترجمة أسماها (دار الحكمة) واشتهرت بما جلب إليها من كتب الأوائـل، وخاصـة ما كتب منها باليونانية والسريانية والقبطية، ووكل بها مترجمـين مـن كـل الاختصاصـات: في الطب والهندسة والفلك (التنجيم) والصيدلة.. وقد كان لتلك الظاهرة أثـرا إيجابيـا تجـلى في ازدهار العلوم البحتـة والتطبيقيـة، كالطـب والرياضـيات، والهندسـة، والفلـك، والكيميـاء..، ولكنه لم يخلو من أثر سلبي بالغ الضرر بسبب ما دخل مـن علـوم الفلسـفة والمنطـق عـلى أبحاث الشريعة، مما أوجد ما عرف بـ (علم الكلام) الذي دخـل في علـم العقائـد والتوحيـد، وأوجد مذاهب عقدية منحرفـة وضـالة كالجهميـة، والقدريـة، وغيرهـا... وكـان في طليعتهـا مذهب المعتزلة، الذي يتلخص بـاعتماد تحكـيم العقـل عـلى نصـوص الشرع كتابـا وسـنة.. والذي فجر مسألة فتنة خلق القرآن التي طحنت العلـماء والرعيـة أيـام المـأمون والمعتصـم والواثق، وبقيت آثار هذا المذهب المنحرف إلى يومنا هذا، حيث ينتمـي أكـثر مـن يسـمون مفكرين إسلاميين، ورموز صحوة إسلامية إليه.وبعضهم لا يدري !

وكان من مظاهر الحضارة التي تميز بها الـعصر العبـاسي تطـور الحيـاة الاجتماعيـة. فقد أدى امتزاج العـرب بـالموالي، وأكـثرهم مـن الفـرس، إلى ظهـور طبقـة مـن المولَّـدين، أحدثت تطورا في حياة الأسرة والمجتمع.

ففي الأسرة الحاكمة تقدمت زوجات الخلفاء، وزوجات كبار الوزراء والأمراء، اللـواتي دعين بأمهات الأولاد - وهن الجواري المستولَدات بالزواج بعـد تحريـرهن - عـلى الحرائـر العربيات في كثير من الأحيان، ونلن الحظوة عند الأزواج، وحظي أبناؤهن عند آبـائهم بمـا لم يحظ به أبناء الحرائر. وقد ضرب الخلفاء العباسيون في ذلك المثل.

وإذا نحن استثنينا أبا العباس السفاح ومحمد المهدي بن المنصور، ومحمد الأمين بن الرشيد، فكل خلفاء بني العباس ولدن من إماء وجواري محظيات!!!.

وكان لأمهـاتهم الفارسـيات والتركيـات والروميـات والبربريـات... الكلمـة العليا في اختيار أولياء العهد، فكانت صاحبة الدل عـلى الخليفـة تفـرض ابنهـا

ليخلف أباه وتلزمه بالعهد إليه، فيقوم بين الأبناء نـزاع كـان يـؤدي إلى صراع دمـوي، كـما حدث بين الأمين والمأمون، وكما جـرى مـع المتوكـل، فقـد عهـد بالخلافـة إلى ابنـه محمـد (المنتصر) وهو ابن أمة تدعي (حبشـية)، فزاحمتهـا أم محمـد (المعتـز) وهـي مثلهـا أمـة تدعى (صبيحة)، فلقبوها (قبيحة) وجعلت المتوكل يعزم على تقديم ابنها في ولاية العهـد على أخيه محمد (المنتصر)، ولما علم هذا ما عزم عليه أبوه، ائتمر مع القادة الأتـراك عـلى قتله، فقتلوه.

وقد أدى تغلب العنصر الفارسي منذ أيام المأمون الذي كان أخواله مـن الفـرس، ثـم التركي منذ أيان المعتصم الذي كان أخواله من الأتراك. كـذلك تسربـت التقاليـد الفارسـية إلى الحياة الاجتماعية، فظهرت الأزياء الفارسية في البلاط وتقرر في قصور الخلفاء مـا كـان متبعا من المراسم في قصور الفرس، واحتفـل بالأعيـاد الفارسـية كالمهرجـان والنـيروز ورام، وغيرها من الأعياد الأخرى..!.

وهكذا سيطر المولَّدون وبـرز إمسـاكهم بزمـام الدولـة إلى انحسـار العـنصر العـربي الخالص وارتداده إلى البادية التي خرج منها، وتوقفت فريضة جهاد الطلب، وبها توقفـت حدود الدولة الإسلامية عند النهايات التي بلغتها الدولة الأموية. ولم تعد تلك النخبة كـما وصفها اللـه تعالى بقوله:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَـوْنَ عَـنِ الْمُنْكَـرِ وَتُؤْمِنُـونَ بِاللـه ﴾ (آل عمران: 110).

- ظاهرة علماء السلطان في العصر العباسي الأول:

حاول الخلفاء العباسيون – كما كان ذلك دأب خلفاء بنـي أميـة - اسـتمالة الفقهـاء ورجال الدين ليدعموا سلطانهم عند العامة، فازدادت ظاهرة علماء السلطان بروزا، حتـى ظهر ابن أبي دؤاد أيام المأمون والمعتصم، وبلغ بأحد أتباعه أن ينصح المعتصم بقتل أحمد بن حنبل، قائلا له: اقتله يا إمام ودمه في عنقي!

ولكن تلك الأيام كان فيها من علماء الحق، من يقف لجور أولئك الملوك، ويأبون أن يكونوا (ديكورا) في حاشيتهم، كما كان من الأئمة الأربعة، وغيرهم من الأعلام كسفيان الثوري، و الأوزاعي، وغيرهم كثير. كما وقف أولئك العلماء للمنافقين من علماء القصور.

وكان جل العلماء يتعففون عن أبواب السلاطين، ويعتبرونها أبواب الفتنة في الدين وبوابة البوار في الآخرة. وقد سجلت سيرهم أنصع صور الثبات في تلك الآونة.

- أهم القضايا والمشكلات التي اعترضت دولة بني العباس في ذلك الطور:

اعترضت دولة بني العباس في نصفها الأول (132 - 250هـ) عدة قضايا ومشكلات كان أهمها:

- ولاية العهد:

أدت الطريقة التي اتبعت في اختيار ولاة العهد إلى انقسام البيت العباسي وإلقاء العداوة والبغضاء بين أفراده. فالمنصور انتزع ولاية العهد من ابن أخيه عيسى بن موسى ونقلها إلى ابنه المهدي. وكان المهدي هدد بقتل أبيه إذا قدم عليه أخاه جعفرا.

والهادي أراد خلع أخيه الرشيد من ولاية العهد ونقلها إلى ابنه جعفر فقتل قبل أن يتمكن من ذلك.

والأمين خلع أخاه المأمون وعهد بولاية العهد إلى ابنه القاصر موسى، فخلعه المأمون وقاتله وانتهت حياة الأمين بقتله.

والعباس بن المأمون تآمر على قتل عمه المعتصم لانتزاع الخلافة منه فقتله المعتصم.

والمنتصر تآمر على قتل أبيه المتوكل لأنه أراد أن يقدم عليه أخاه المعتز.

فكانت ولاية العهد من أسباب تفكك البيت العباسي كما كانت من قبل من أسباب تفكك البيت الأموي.

- ظاهرة النعرة الشعوبية:

الشعوبية نسبة إلى (الشعوب) وهم الأقوام الـذين فـتح العـرب المسـلمون بلادهـم ودخلوا في الإسلام وعرفوا باسم (الموالي)، أي أنهم ارتبطوا مع العرب برابطة الولاء.

وقد محا الإسلام الفوارق الطبقية والقومية وجعلهم إخوة، تقوم أخوتهم على رابطة الإيمان، وفي ذلك يقول اللـه تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾. وقد سوى النبي صلى اللــه عليه وسلم بين الموالي وبين العرب بقوله: (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى)

ولما تولى الخلافة بنو أمية، أحيوا العصبية العربية، التي كانت سائدة زمن الجاهلية، وميزوا بين العربي والعجمي، فكـان المـولى أدنى مرتبـة مـن العـربي في المرتبـة الاجتماعيـة، وكانوا دون العربي في الفيء والعطـاء، بـل كـان عمالهـم يفرضـون الجزيـة عـلى رءوسـهم والخراج على أراضيهم بعد إسلامهم...!

وقد أدى هذا الإخلال بمبدأ المساواة إلى تذمرهم، وأيـدوا الـدعوة العباسـية، وكـانوا أعوان العباسيين في إقامة دولتهم.

وقد اعترف لهم الخلفاء العباسيون بالفضل وحفظوا لهم يـدهم فولـوهم الوظـائف الكبرى. وكانت أسرة البرامكة أول من تقدم في دولة بني العباس، منذ أبي العباس السفاح، فكان منهم الوزراء والولاة وكان منهم الكتاب.

وفي عهد الرشيد لمع نجمهم، وتولوا مقاليد الحكم في الدولة. وفي زمنهم نشط الشعوبيون، يستظلون بحمايتهم، وأخذ الكتـاب والشـعراء مـنهم يمتـدحون فـيهم أمجـاد الفـرس. وفي عهـد المأمون حل بنو سـهل و بنـو طـاهر - وكـانوا قبـل إسـلامهم مـن أشراف الفـرس و مجوسـهم - محل البرامكة بعد نكبتهم، فكان الفضل بن سـهل ومـن بعـده أخـوه الحسـن بـن سـهل وزراء المأمون والقائمين على تدبير أموره ومخططي سياسـته، وكـان طـاهر بـن الحسـين وأولاده قـادة جيوشه وبقوتهم ارتفـع إلى سـدة الخلافـة بعـد قـتلهم أخـاه الأمـين، فانتعشـت الشـعوبية، ولم

تعد تقتصر على مـديح الفـرس وتمجيـد ماضـيهم، بـل تجاوزتـه إلى القـدح بـالعرب ونشر مثالبهم والسخرية من تقاليدهم.

وفي عهد المأمون خاض الكتاب والشعراء الشعوبيون في امتداح الفرس وذم العرب.

ولم يكتف الشعوبيون بالقدح في طبائع العرب وحياتهم الاجتماعية بل تجاوزوا ذلك إلى الانتقاص من ثقافتهم ومقامهم، وامتدحوا الثقافات الأعجميـة، وتغـافلوا عـن التطـور الكبير الذي حدث في تاريخ العرب في النواحي الاجتماعية والفكريـة، حتـى فسروا بعـض آيات القرآن بما يفيد تفضيل العجم على العرب.

وقد رد كتاب العرب وشعراؤهم على الشعوبيين ودفعوا مـا قيـل في مثالـب العـرب ببيان ما لهم من المزايا والفضائل، من كرم وشجاعة ونجدة ومروءة، ومن فصـاحة وبيـان، ومن تكريم عند اللـه تعالى باختيار النبي صلى اللـه عليـه وسـلم مـنهم وإنـزال القـرآن الكريم بلغتهم، وبدينهم اهتدى الناس وخرجوا من الظلمة إلى النور.. وكـان ذلـك الصراع أح أوجه التركيب الاجتماعي.

- حركات الزندقة:

يطلق اسم زنديق - بالفارسية (زند كـراي) - عـلى الملحـد الـذي لا يـؤمن بوحدانيـة اللـه ولا باليوم الآخر. وقد شاعت الزندقة في فارس وأطلقت على من ظل معتنقا تعـاليم (مزدك) و (ماني) التي تدعو إلى عبادة إلهـين إلـه النـور، وإلـه الظلمـة وأباحـت مـا حـرم الإسلام من حرمات، وتأثرت بعقائد الهند التي تقول بالتناسخ والحلول، ثم تـدثرت بـدثار التشيع وأخذت تقاوم الإسلام، وكانت ترمي بذلك إلى تحقيق هدفين:

- الانتقاض على الحكم العربي
- وإفساد عقيدة المسلمين.

أما الانتقاض فقد جرى على أسلوبين، أحدهما سياسي ساعد عليـه تقريـب العناصر الفارسية ومشاركة الخليفة العباسي في السلطة، وأحيانـا الاسـتقلال بهـا

من دونه بتفويض منه. فقد كانت هذه العناصر تحلـم بإعـادة مجـدها المفقـود وتشـجع حركات الزندقة والشعوبية، وكانت تخفي أحلامها بمطاوعة الخلفاء فيما يشتهون وإشـباع شهواتهم وإظهار الوفاء لهم. وكان من هؤلاء أبـو مسـلم الخراسـاني ثـم البرامكـة، ثـم آل سهل وآل طاهر.

أما الأسلوب الثاني، فكان في خلع طاعة الخليفـة وإعـلان الثـورة عليـه، ومنهـا ثـورة الراوندية و الخرمية و البابكية وغيرها.

وكان الهدف الثاني الذي ترمي إليه الزندقة هو إفساد عقيدة المسلمين تحـت شـعار التشيع، ومن خلاله تسربت عقائد وديانات الفرس السابقة للإسلام، فكانت تغرر بالشبان بما كان ماني يـدعو إليـه مـن طلـب اللـذة بإباحـة شرب الخمـر ووطء المحرمـات ومـنهم الأخوات والبنات.

وقد بدأ الخليفة المنصور بتتبع الزنادقة وقتل من قامت عليه الحجة، واشتد المهدي في تتبعهم، وكان يستتيبهم، فمـن تـاب أطلقـه ومـن أبي قتلـه، وبـذلك أوصى ابنـه مـوسى (الهادي). وقد سار الرشيد بسيرة أبيه وأخيه فتعقـب الزنادقـة وبطـش بمـن ثبتـت عليـه الزندقة. أما المأمون فكـان إذا سـمع بزنـديق أمـر بحملـه إلى مجلسـه وفيـه جماعـة مـن المتكلمين - المعتزلة - فناظروه لعلهم يقنعونه ويردونه إلى الإسلام، وكان المأمون يشترك في مناظرته، فإذا لم يكف عن غوايته، أمر بقتله.

كذلك فعل المعتصم فقتل قائده (الإفشين) بعد محاكمته وثبوت الزندقة عليه.

- مسألة خلق القرآن:

كما ذكرنا آنفـا، فقـد أدى الاحتكـاك بفلسـفات اليونـان، والانفتـاح عـلى ثقافـات الـدول المفتوحة الفارسية والشرقية الأخرى إلى دخول أفكار شـاذة لـدى بعـض مـن مـزج ذلـك بعلـوم الشريعة ولاسيما في مجال العقائد، مما ولد مذاهب منحرفة كان من أبرزها تأثيرا في تلك الفترة، ما سمي بمذهب المعتزلة، الذين جعلوا العقل – بحسب فهم عقـولهم السـقيمة – حكـما عـلى النصوص الشرعية المحكمة كتابا وسنة ! وقد صار بعض أئمة ذلك المذهب مقربين مـن الخليفـة

المأمون، وأقنعوه بمذهبهم !، وفي أواخر خلافته ابتـدع المعتزلـة و زعـيمهم مسـالة القـول بخلق القرآن التي تصدى لضلالها أئمة أهل السنة وفي طليعتهم الإمام أحمد بن حنبل.

وفي أواخر عهد خلافته ألزم المأمون الفقهاء بالأخـذ بهـا، ففـي سـنة 218هــ توجـه المأمون لحرب الروم فأناب عنه في بغداد إسـحاق بـن إبـراهيم المصـعبي، وهـو ابـن عـم طاهر بن الحسين ولما وصل إلى مدينة (طرسـوس) كتـب لنائبـه يـأمره أن يـدعو الفقهـاء ويسألهم عن رأيهم في خلق القرآن، فمن قال إنه مخلوق أطلقه، ومن قال بغير ذلك فقـد أمره ألا يستعين به في عمل وأن يسقط شهادته وأن يمنعه مـن التحـديث بحـديث رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسلم. ومن الفتوى، فإن أصر بعد ذلك فليشـده بالحديـد ويرسـله إليه بـ(طرسوس).. وقد حمـل إليـه الإمـام ابـن حنبـل مصـفدا بالسلاسـل، و دعـا ربـه في الطريق أن لا يجمعه بالمأمون، فجاءهم خبر وفاته في الطريق ورد ابن حنبل إلى بغداد.

وكان المأمون قد عهد بالخلافة من بعده إلى أخيه المعتصم باللـه وأوصاه أن يستمر بامتحان الفقهاء، فسلك مسلك المأمون وكتب إلى الولايات بذلك، وأمر المعلمين أن يعلموا الصبيان أن القرآن مخلوق، وقاسى الناس منه مشقة وجورا عظيما، وقتل كثيرا من العلماء، وضرب الإمام أحمد بن حنبل بين يديه وعذب.

ثم أوصى المعتصم ابنه الواثق بامتحان العلماء، فتبع أباه وسلك مسلكه في امتحانهم وقتل المحدث أحمد بن نصر الخزاعي لأنـه لم يقـل بخلـق القـرآن وسـعى بـالخروج عـلى الواثق. ولما جرى الفداء بين المسـلمين والـروم سـنة 231هــ أمـر أن لا يفتـدى مـن أسرى المسلمين إلا من قال بخلق القرآن، فمن رفض ترك في أيدي الروم.

وأمر الواثق بامتحان أهل الثغور فقالوا بخلقه جميعا إلا أربعـة نفـر، فـأمر الواثـق بضرب أعناقهم إن لم يقولوا بخلق القرآن، فأبوا فضرب أعناقهم. ولما تولى المتوكل الخلافـة أبطل القول بخلق القرآن وخرج أحمد بن حنبل من بيته بعد أن لزمه طيلة عهد المعتصم والواثق، فأكرمه المتوكل، وغضب على أحمد بن أبي دؤاد فعزله وصادر أمواله وحبسه مـع أبنائه وإخوته وأصابه الفالج فمات.

- حياة الترف وبداية التحلل من القيم الدينية:

فقد أحدثت هـذه الحيـاة الطارئـة، تراخيـا في الأخـلاق الإسـلامية، وأصـبح اللـهو والمجون والعبث من سمات كثير من أهل ذلك العصر، وتطنب كتـب التـاريخ بأخبـار مـا عجت به قصور الخلفاء والكبراء من قصص تكاد تقرب من الخيـال مـما يطـول ذكـره، ولا داعي للإفاضة فيه هنا. وأظن أن كثيرا من تلك الأقاصيص كانت من نسج خيال الوضـاعين والأدباء و القصاصين..ولكن الحقيقة أن لكل تلك التهويلات أصلا..

وكان ذلك الترف وما ذكرنا مـن أسـباب التقهقـر المعـول الـذي قـد جـذور الخلافـة الإسلامية، لتصبح في العصر العباسي التالي منصبا يعبث به القادة والمماليك.

- العصر العباسي الثاني:

ويمتد من خلافة المستنصر الذي قتـل أبـاه المتوكـل بالتـآمر مـع القـادة الأتـراك، إلى خلافة المقتدي باللـه الذي شهدت خلافته بداية الحملات الصليبية عـلى سـواحل الشـام، وبداية تحرك التتار في شرق الخلافة على تخوم بلاد ما وراء النهر.

- السمات التي يتميز بها العصر العباسي الثاني:

أولا: تغلب القادة المتغلبين على الخلافة

يعتبر إقدام القادة الأتراك على قتل الخليفة المتوكل على اللـه في الخامس عشر مـن شهر شوال سنة 247هـ بداية العصر العباسي الثاني، وفيه استبد القادة بالسـلطة، وأصـبح الخليفة طوع إرادتهم وأسير هواهم. وقد أصـبح مصـير الخلافـة في أيـديهم، فمـن شـاءوا خلعوه ثم قتلوه، ومن شاءوا ألزموه خلع نفسـه و سـملوه وصـادروا أموالـه. وحـين خلـع الخليفة أحمد المستعين باللـه، وهو أول خليفة خلع، لم يلبث أن قتل بعد خلعه.

ولما استولى البويهيون على السلطة بعد الأتراك، اتبعوا نهجهم، فكان الأمير البويهي يولي الخلافة من يشاء ويخلع من يشاء وكان الخلع كثيرا ما يتم بالذل والهوان.

وكان خلع الخليفة يوم ابتهاج عند الجند، ففيه يجري نهب دار الخلافة وفيه يطالب الجند الخليفة الجديد برسم (بيعته). وكان يجري على الخليفة المخلوع نفقة قد لا تكفيه، فيضطر إلى التكفف واستعطاف الناس، كما جرى للخليفة القاهر بالله بعد خلعه ومصادرة أمواله و سمله، فكان يخرج إلى جامع المنصور و يتكفف المصلين ويقول: تصدقوا علي فأنا من قد عرفتم. وذلك بعد أن كان قد حفر الأخاديد في قصره وملأها ذهبا وفضة..!! وسبحان مالك الملك !

وقد توالى على الخلافة منذ خلافة المنتصر بالله سنة 248هـ إلى خلافة المستظهر بالله سنة 487هـ أي خلال 239 سنة، سبعة عشر خليفة، منهم أربعة قتلوا وهم: المستعين بالله والمعتز بالله والمهتدي بالله والمقتدر بالله، ومنهم ثلاثة خلعوا وسملوا (قلعت عيونهم) وهم: القاهر بالله والمتقي لله والمستكفي بالله، ومنهم اثنان أجبرا على خلع نفسيهما وهم: المطيع و الطائع، وهناك خليفتان قيل في بعض الروايات أنهما قتلا بالسم وهما: المعتمد على الله و المعتضد بالله، فيكون مجموع من قتل وخلع ومات بالسم عشر خلفاء.من أصل سبعة عشر !!.

ثانيا - عزل الوزراء ومصادرتهم:

لم يكن حال الوزراء بأفضل من حال الخلفاء، فكان الوزير يأتمر بأمر المتغلبين، فإذا غضبوا عليه عزلوه وصادروا أمواله، وقد يقتلونه، كما جرى للوزير أحمد بن إسرائيل ولكاتبه عيسى بن نوح. فقد صادرهما القائد التركي صالح بن وصيف وقتلهم ضربا بالسياط. ومثل ذلك بل أشد ما جرى لكثير من الوزراء.

وكثيرا ما كان الوزير يُنصب ثم يُعزل، ويتكرر نصبه وعزله عدة مرات لا يفصل بينهما إلا أمد قصير، وغالبا ما كان ينتهي عزله بمصادرته وقتله، ومع

ذلك فإن الكثيرين كانوا يطمعون في تولي الوزارة، ويبذلون المال في سبيل توزيرهم !!.

ذلك أن الوزارة كانت موردا للثراء الفاحش عن طريق الرشاوى، ومن ذلك أن محمد بن عبيد الله بن خاقان وزير المعتضد بالله كان يأخذ الرشوة من كل طالب وظيفة، وربما عين للوظيفة الواحدة عددا من الموظفين، وقيل إنه عين في يوم واحد تسعة عشر ناظرا للكوفة وأخذ من كل واحد رشوة وكان أهمها ضمان الخراج وتعيين الولاة والعمال والقضاة والكتاب، فيكون للوزير على من يوليه جبايات يجني منها ربحا وفيرا، ويثري به ثراء فاحشا.

من أجل ذلك كانت الوزارة هدفا للدسائس من حاسدي الوزير، الطامعين في منصبه، فإذا أفلح الدس على الوزير عزل وصودرت أمواله، وكان ما يصادر يعد بآلاف الآلاف من الدنانير، ومع ذلك فقد يسلم له الكثير مما يكون قد طمره في حفرة، أو أخفاه في مكان بعيد.

ثالثا - ابتداع الألقاب و الكنى:

لما انتقلت الخلافة إلى بني العباس أضافوا إلى هذا اللقب ألقابا تدل على صفة يتميز بها الخليفة. فقد عرف عبد الله أبو العباس أول خليفة عباسي، بلقب (السفاح) وتلقب أخوه عبد الله أبو جعفر بلقب (المنصور) وتلقب ابنه محمد من بعده بلقب (المهدي) وتلقب من بعده ولداه، موسى وهارون بلقب موسى (الهادي) وهارون (الرشيد). ولقب الرشيد أولاده الثلاثة: محمد وعبد الله والقاسم بلقب محمد (الأمين) وعبد الله (المأمون) والقاسم (المؤتمن).

ولما تولى الخلافة محمد بن الرشيد خلفا لأخيه المأمون ابتدع لقبا، أضافه إلى اسم الله تعالى فتلقب بمحمد (المعتصم بالله)، وجرى الخلفاء من بعده على تقليده، وأصبح الخليفة يعرف بلقبه.

ولما استبد القادة الأتراك بالسلطة منح الخليفة إلى من بيده السلطة منهم لقب (أمير الأمراء) ولقب (معز الدولة) و(عماد الدولة) (ركن الدولة)، و(عضد الدولة) و(جلال الدولة) و(بهاء الدولة) و(فخر الدولة).

ولم يكتف بنو بويه بهذه الألقاب، بل أضافوا إليها لقب (السلطان)، ومنهم من تلقب بلقب (شاهنشاه) أي ملك الملوك الذي أفتى العلماء بحرمته. ثم سرت هذه الألقاب بعد ذلك إلى أمراء الأقاليم المستقلين، فكان من الحمدانيين في الموصل وحلب: (ناصر الدولة) و(سيف الدولة) و(شبل الدولة)، وتبعهم بعد ذلك أمراء بني عقيل في الجزيرة وملوك الإخشيد في مصر، وسلاطين غزنة وكان منهم: (ناصر الدولة) سبكتكين و(يمين الدولة) محمود. و(شهاب الدولة) و(جمال الدولة) و(كمال الدولة)، وإلى هذه الألقاب أضيفت أيضا كنى (كأبي الفضائل) و(أبي المعالي) وما شابه ذلك.

وقد أصبحت الكنى والألقاب في العصر العباسي الثاني موردا للخلفاء، وخاصة بعد أن رفعت عن أيديهم أموال بيت المال في عهد معز الدولة البويهي فكان بعض الخلفاء يبيع الألقاب لمن يطلبها...!

رابعا - مظالم عمال الخراج:

يشمل الخراج ضريبة ما تخرجه الأرض من ثمرات ومحاصيل، وكان يتولى جبايتها مع جباية موارد الدولة الأخرى عمال يدعون (عمال الخراج) وكانوا يتمتعون بسلطة كبيرة. وقد عرفوا بالظلم والعسف فكانوا يجبون أضعاف ما كانوا يضمنون أداءه للدولة.

وقد روى المؤرخون ما كان يجري على أيديهم من المظالم، وما كان يلقى المكلفون من صنوف العذاب.

ومثل ذلك يفعلون مع من يرث ميراثا ضخما، فكانوا يعملون على الاستيلاء على ميراثه، أو يشركونه فيه، فإذا رفض سجنوه وأخذوا في تعذيبه حتى ينالوا ما يريدون.

وقد جمع عمال الخراج مما جنوه ثروات كبيرة، ملكوا بها الضياع وبنوا الدور والقصور وعقدوا فيها مجالس الطرب والسمر والشراب، وقصدهم الشعراء يتكسبون بمدحهم .

وقد يتولى الوزير مع وزارته ضمان الخراج، فيجبي بسلطانه مالا كثيرا، يؤدي بعضه إلى بيت المال ويوفر لنفسه ما تبقى.

خامسا - مصادرة الأموال:

لم تقتصر المصادرة على أموال من يخلع من الخلفاء أو يعزل من الوزراء والعمال، بل شملت أموال الناس وخاصة التجار منهم، فكان الخليفة العباسي أو السلطان البويهي، إذا أعوزه المال أمر بمصادرة التجار.

سادسا - فساد القضاء:

كان القضاء هو الأداة التي تضمن سلامة المجتمع وأمنه بإشاعة العدل والمساواة بين أفراده. ويشترط في القاضي أن يكون عالما بأحكام الشرع، مراعيا مقاصده ومجتهدا فيه، وأن يكون عفيفا، غير طامع في مال ولا مغتر بجاه ولا مطيع لسلطان في غير ما أمر الله.

وكان القاضي يرتزق من بيت المال في حدود حاجته وقد يتورع فيقضي بغير أجر. ومن الفقهاء من كان يعتبر القضاء محنة وابتلاء فيأبى توليه مخافة أن يصدر في قضائه عن جور أو يلحق ظلما بأحد، فيبوء بخسران يقاضيه الله عليه. ففي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (قاض في الجنة وقاضيان في النار) فهو يخشى أن يكون أحد القاضيين.

وهذا أبو حنيفة يريده الخليفة المنصور العباسي على القضاء فيمتنع، فيأمر المنصور بضربه بالسياط، ثم يأمر بحبسه، وقيل إنه مات في الحبس. وهذا سفيان الثوري يكتب إليه الخليفة المهدي بولاية قضاء الكوفة على أن لا يتعرض أحد لحكم من أحكامه، فيأخذ العهد ويرميه في دجلة ثم يتوارى. ومثله إسماعيل بن إبراهيم الأسدي المعروف بابن علية. وعبد الله بن وهب وكثيرون غيرهم ممن تحرج من تولي القضاء فامتنع عن قبوله.

هكذا كان شأن القضاء فيما مضى حتى جاء العصر العباسي الثاني، فتأثر القضاء بفساد العصر وأصبح وسيلة للارتزاق !! وارتقى إليه من ليس من

أهله. ففي عهد الخليفة المقتدر، ولى وزيره أبـو الحسـن بـن الفـرات القضـاء تـاجرا كـان أسدى إليه معروفا.

ومضت فترة جرى فيها تضمين القضـاء لقـاء رشـاوى ومبـالغ ضـخمة !!. ففـي عـام 350هـ ضمن السلطان معز الدولة البويهي قضاء بغداد لأبي عبد اللــه بـن أبي الشـوارب ومعه قضاء القضاة، لقاء مائتي ألف درهم يدفعها كل سنة إلى خزانة السلطان.

وكان تضمين القضاء وسيلة للرشوة، ويبدو أنها كانـت مألوفـة عنـد بعـض أبنـاء أبي الشوارب، وأكثرهم ممن تولى القضاء فقد روى ابن كثير أن محمـد بـن الحسـن بـن عبـد اللـه بن أبي الشوارب، قاضي بغداد كان ينسب إلى أخذ الرشوة في الأحكام والولايات. على أن هذه الأسرة قد تولى أكثر أبنائها القضاء، وكانوا على جانب كبير من العلم والـورع، غـير أن الفساد سرى إلى بعضهم، وكان فساد القضاء كما يقول صاحب المنـتظم، أول مـا انحـل من سياسة الملك.

وقد أورد محمد بن سعد الزهري المتوفى عام 230هـ مقارنة بين قضاة صدر الإسـلام وقضاة زمانه فقال: كان الرجلان يتقـاولان بالمدينـة في أول الزمـان فيقـول أحـدنا للآخـر: لأنت أفلس من القاضي، فصار قضاة اليوم ولاة وجبابرة وملوكا وأصحاب غـلات وضـياع و تجارات وأموال !!.

سابعاً - الفتن و الصراعات الداخلية:

أ - الفتن المذهبية:

ثارت فتن بين الشيعة وبين أهل السنة، وخاصـة الحنابلـة مـنهم، فـتن كـان مسرحهـا بغداد. وقـد بـدأت في أوائـل القـرن الرابـع الهجـري وامتـدت إلى أواخـر القـرن الخـامس الهجري، وكانت تتوالى الفتن عاما بعد عام، وكثيرا ما كانت تشتد، فينشب فيها قتال مريـر يرافقه حرائق وتدمير.

وقد شـد آل بويـه أزر الشـيعة لتشـيعهم، وشـد الأتـراك أزر أهـل السـنة لأخذهم بمذهبهم، وكان القُصاص من الجانبين يثيرون شعور الطرفين بالعـداء و يحرشون فيما بينهم. حتى بلغ الإسفاف في إحدى السنين – كـما جـاء في تـاريخ

ابن كثير - أن يخرج الجهال والرعاع من المنسوبين للسنة جملا رمزوا به إلى جمل موقعة الجمل وساروا خلفه، ورفع الشيعة راياتهم و استعلنوا بسب الصحابة..! واقتتل الناس حتى تعطلت الأسواق والحياة وانتشر الشر في بغداد !!

وكذلك كانت تثور الفتن أحيانا حتى بين أهل السنة. بين الحنابلة و الأشاعرة، وبين الحنفية والشافعية..، فكان أهل كل مذهب يتعصبون لمذهبهم، ويدفعهم التعصب إلى أن يقتتلوا. ففي عام 469هـ قدم أبو نصر القشيري إلى بغداد فوعظ بالمدرسة النظامية ونصر الأشاعرة وحط على الحنابلة، فهاج عوام أهل السنة وأحداثهم وقصدوا المدرسة النظامية، وحميت الفتنة وقتل جماعة منهم. وثارت الفتنة في عام 476هـ بين الفريقين وتلتها فتن أخرى كانت تثور بين حين وآخر وامتدت إلى آخر القرن السادس الهجري.

كذلك ثارت الفتن بين الحنفية والشافعية، وكلاهما من أهل السنة، ففي عام 468هـ نشبت فتنة كبرى بينهم بسبب تحول إمام من أئمة الحنفية إلى المذهب الشافعي. فقد روى السبكي أن الإمام أبو المظفر منصور بن أحمد بن عبد الجبار المعروف بابن السمعاني الخراساني. تحول من المذهب الحنفي الذي ناظر فيه ثلاثين سنة، إلى المذهب الشافعي، فقامت الحرب بين جماعة المذهبين، واضطرمت الفتنة بينهم، حتى كادت أن تملأ ما بين خراسان والعراق.

ويصف لنا ياقوت في معجمه، آثار الخراب الذي أصاب بعض المدن في أعقاب الفتن التي كانت تنشب بين أصحاب المذهبين، فحين يذكر مدينة أصفهان يقول: " وقد فشا الخراب في نواحيها لكثرة الفتن والتعصب بين الحنفية والشافعية، والحروب المتصلة بين الحزبين، فكلما ظهرت طائفة نهبت الأخرى..."، وجرى مثل ذلك في مدن أخرى كالري و ساوة.

وروى الإمام السبكي أن مسعود بن علي وزير خوارزم شاه، أمير خوارزم كان متعصبا للشافعية، وقد بنى في مدينة (مرو) جامعا، فتعصب عليه أهل المدينة وهم أحناف، فأحرقوا الجامع، وقامت فتنة هائلة، كادت الجماجم فيها تطير عن الغلاصم..

ب - فتن الجند:

كان الجيش في أغلبه يتألف من الأتـراك و الـديلم، وكثـيرا مـا شـغبوا عـلى الخليفـة لتأخر أعطياتهم، وكثيرا ما أدى شغبهم إلى خلع الخليفة طمعا برسم البيعة ممـن يخلفـه. وقد يرتد شغبهم على الناس، فتندلع فتنة يكثر ضحاياها.

ففي عام 421هـ برم الناس من اعتداء الجند الأتراك، وعجـزت الدولـة عـن ردعهـم لضعفها وهوانها، فاجتمع الهاشميون و العلويون ومعهم الفقهاء، فاسـتنفروا النـاس لصـد الأتـراك. فعمـد الأتـراك إلى رفـع الصـليب عـلى رمـح !! يتحـدون بـذلك الدولـة، وترامـى الفريقان بالنشاب والآجر، وقتل طائفة من الناس.

وفي عام 429هـ تظلم الناس من اعتداء الديلم واقتحامهم الدور وتعرضـهم للنسـاء، فلم يستمع السـلطان البـويهي لـتظلمهم، فـالتحموا مـع الـديلم في قتـال مريـر، واهتبـل العيارون انشغال الناس في القتال، فـداهموا البيـوت والمخـازن، واقـتحم اللصـوص بغـداد فأخذوا ما وجدوا من الخيول.

ج - فتن العيارين والشطار(السراق و الحرامية والصعاليك):

كان للعيارين والشطار نصيب كبير في الفتن، فقد تألف منهم فرق منظمة، كانت تخضع لزعيم يدعى (مقدم العيارين) وهو الذي يزودها بالسلاح ويتـولى تـدريبها وتوجيههـا. وكـان ينتظم في هذه الفرق أوزاع من الناس وأخلاط مـن الفقـراء، فـيهم السـني والشـيعي، وفـيهم الهاشمي والعلوي وفيهم الأعرابي والكردي والعجمي. كانت فـرقهم تنتهـز انشـغال النـاس في الفتن التي تثار، فيغيرون على منازل الأغنياء، وكثيرا ما تغلبوا على الشرطة وهزموها. وقد بلـغ من قوتهم أن فرضوا الخطبة لزعيمهم في صلاة الجمعة في إحدى المرات !.

ففي عام 424هـ اجتمع في الرصافة ببغداد فريق مـنهم وألزمـوا الخطيـب أن يخطب للبرجمي (زعيم العيارين) مع خطبته للخليفـة والسـلطان !. وكـانوا يفرضون الإتاوات عـلى أصـحاب الأعـمال، وربمـا تولـوا حفـظ الأمـن !، وتلقـب زعماؤهم بلقب القواد. وكانت أفعالهم فيها ظاهرة الثورة عـلى فسـاد الحكـم.

وقد التزم (البرجمي) ومن بعده (الطقطقي) بمعاني الثورة، وطريقة الصعاليك. في مقاومة حكم تسوده الفوضى ويطغى عليه نهب الأموال، واختل فيه ميزان العدل وسرت فيه الرشاوي.

وكان سلوك هؤلاء الحرامية مطبوعا بالمروءة ! فلم يكن يسمح لأحد من أعوانهم الاعتداء على امرأة أو أخذ شيء منها، ولا التعرض لأوساط الناس وفقرائهم .

على أن جماعات اتخذوا اسم العيارين كانوا أقرب إلى اللصوص و السراق، وفيهم فجار وقوادون، فكانوا يمارسون عدوانهم على الناس فلا ينكرها عليهم أحد. لأن قائدا من قواد الديلم يدعى أبا جعفر بن شيرزاد. ضمن لهم ما كانوا يمارسونه بمبلغ خمسة وعشرين ألفا دينار يدفعونها إليه في كل شهر !.

ثامنا - الثورات:

نشبت الثورات في العصر العباسي الثاني بين عامي 255 و 366هـ ما يزيد على خمسين ثورة، منها ما كان ثورة على الحكم، ومنها ما كان انتقاضا على الحاكمين، من خليفة وسلطان.

وكان أهم الثورات خطرا في أسبابها ونتائجها ثورتان هما: ثورة عرفت باسم ثورة الزنج وثورة القرامطة.

أ - ثورة الزنج:

سبق للزنج أن ثاروا سنة 71هـ ثم ثاروا سنة 76هـ لما فشا فيهم من الأفكار الشاذة، والزعماء الأدعياء، ونتيجة لما كان ينالهم من ظلم ملاك الأراضي الذين جلبوهم من شرق إفريقيا لاستصلاح أراضيهم. وقد قمع الحجاج أمير العراق الثورتين.

ثم قامت لهم ثورة عارمة في عهد الخليفة المعتز بالله. قادها رجل فارسي دعا نفسه محمد بن علي وزعم أنه علوي النسب وتروي الروايات، أنه قدم من الأهواز سنة 255هـ ونزل في منطقة تقع في جنوب العراق حيث كان يقوم باستصلاحها الزنوج الإفريقيون، وكانوا يلاقون ظلما مريرا من أصحاب الأراضي. فاندس فيهم ذلك الرجل وادعى أنه من آل البيت، ودعاهم لاتباعه ليحررهم من الرق، وينجيهم من عذاب أسيادهم، وأخذ يظهر لهم، بما أوتي من ذكاء وسعة حيلة، أعمالا فيها كثير من الشعوذة وينبئهم بأخبار يزعم أنها من الغيب.

وقد أقام دعوته على دعوة الخوارج وهي المساواة بين المسلمين. وقد استجاب له الأعراب الذين كانوا يسكنون في بوادي البصرة، ويعملون لشظف العيش بشن الغارات على القرى واعتراض قوافل الحجاج، ينهبون ويسلبون، وقد أغراهم بما يطمع فيه الفقراء الذين ضمر في قلوبهم الشعور بالإيمان وتراخت عقيدتهم، فأباح لهم شيوعية الأموال والنساء، وهي عقيدة مزدك الفارسي، فاجتمعوا عليه مؤمنين بدعوته.

وقد عرف القائم بتلك الدعوة، الناظم لتلك الجموع الغفيرة بصاحب الزنج، لأن العدد الغالب من أتباعه كان منهم، ولأنهم أول من استجاب لدعوته، فاستولى على البحرين و الأحساء، ثم توجه صعدا إلى البصرة. وفي شوال سنة 257هـ أغار على تلك المدينة وهي غافلة، فداهمها بجموعه وأمعن أتباعه فيها نهبا وسلبا وقتلا وتحريقا، فلم يسلم من أهلها إلا من هرب وهام على وجهه يلتمس النجاة.

وأوى مـن ظـل في المدينـة إلى المسـجد الجـامع ظنـا مـنهم أنهـم يـأمنون فيـه عـلى أرواحهم، لكن الثائرين ما لبثـوا أن داهمـوا المسـجد وقتلـوا مـن أوى إليـه، ثـم اقتحمـوا البيوت وقتلوا الأطفال وسبوا النساء، وفيهم كثير من شرائف النسـاء، فتقاسـمهم الآسرون، ومن دخلت في سهمه استخدمها وفجر بها ثم باعها.

ثم أحرقوا البصرة فأضحت معالمها أطلالا. وبعد خراب البصرة توجـه صـاحب الـزنج بأتباعه إلى الأهواز وهزم الحملات التي كان يرسلها الخليفة المعتمد على اللـه لقتاله.

وبعد ذلك قصد (واسط) وهم بالتوجه إلى بغداد لـولا أن الخليفـة جمـع لـه جيشـا كثيفا قاده أخوه الموفق باللـه، فتغلب على صاحب الزنج بعد قتال مرير وتمكن من قتله والقضاء على الفتنة التي أثارها والتي دامت خمس عشرة سنة (255 - 270هـ).

ب - ثورة القرامطة:

لم تكد تنتهي ثورة الزنج حتى نشبت ثورة أخرى كانت امتدادا لها ومنادية بشعارها وهو مقاومة الظلم، معلنة مبدأ المساواة بين الناس لتتستر وراءه عن حقيقة الزندقة التي تحتويها. وقد عرفت بثورة القرامطة، وتنسب هذه التسمية إلى رجل فارسي عـرف بلقـب (قـرمط)، وقيـل أن اسـمه (حمـدان الأشـعث)، وقـد كـان أحـد دعـاة الإمـام الإسـماعيلي (المنتظر) الذين بثهم في الأقطار عبد اللـه بن ميمون القداح.

فلما تم القضاء على ثورة الزنج سنة 270هـ اجتمع حوله فلولها وبدأ بما بدأ به صاحب الزنج من إظهار الزهد والتقشف والورع، فجذب إليه قلـوب النـاس، وكـان يخفـي وراء هـذا السلوك هدفا سياسـيا، وقـد دعـا إلى مـذهب فيـه مـزيج مـن المزدكيـة الفارسـية واليهوديـة والنصرانية والإسلام، جعل الصلاة أربع ركعات، ركعتـان قبـل طلـوع الشـمس وركعتـان بعـد غروبها، وجعل القبلة والحج إلى بيـت المقـدس وجعـل الصـوم يـومين في السـنة، وهـما يـوم المهرجان ويوم النيروز. وعدل في الأذان، وفرض جزية على مـن خالفـه وأبـاح قتلـه إن أمكـن

ذلك، وأخذ يفسر آيات القرآن بتأويل، بدعوى أن لآياته وأحكامه تـأويلا باطنيـا يـفسر بـه ظاهرها، ومن ثم عرف مذهبهم بالباطنية.

وقد كثر أتباع قرمط وكثر، وقد أقام هـؤلاء دولـة لهـم في القطيـف والبحـرين والـيمن وقادوا حروبا في العراق أرادوا بها انتزاع الخلافة، ونازعوا الفاطميين زعامة الـدعوة الشـيعية، فهاجموا قواعدهم في الشام وهموا بمهاجمة القاهرة وقد تمكن الفاطميون من صدهم.

وفي سنة 317هـ أغاروا على مكـة فقلعـوا الحجـر الأسـود وقتلـوا الحجـاج، وحملـوا الحجر الأسود إلى القطيف عاصمة ملكهم وأعادوه سنة 239هـ لقاء السـماح لهـم بفـرض ضريبة على الحجاج.

ومن تتبع الأسـباب التـي انطلقـت منهـا ثـورة الـزنج، ثـم ثـورة القرامطـة والتأمـل بنتائجها نجد أنها ترجع إلى سببين مفترقين ومتوازيين.

فالأول:هو استغلال دعاة الثورة جهل العامة من أجل سلخهم من العقيدة الإسلامية من دعاة يحملون حطام دياناتهم السابقة التي ما زالوا متأثرين بها.

والسبب الثاني:هو استغلال الضجر والضيق من اسـتبداد الـولاة ومـن إرهـاق عـمال الخراج، يضاف إلى بؤس الفقراء الذين يعانون ألم الجوع والعطالة والحرمان. وكـان هـؤلاء مع كل دعوة للتحرر من الظلم الذي يحل بهم والضيق الذي يكابدونه.

وقد اختار دعاة الثورة جنوب العراق والمناطق المجاورة له لبعدها عن بغداد وعجز الدولة عن تتبع الثائرين.

تاسعاً - تقسيم الدولة العباسية بين الخلافة المركزية والمتغلبين:

كانت الدولة في أيام بني أمية وحـدة شـاملة مـن شرقهـا الممتـد مـن بـلاد مـا بـين النهـرين وحـدود الصـين والهنـد إلى مغربهـا في المغـرب الأقصى والأنـدلس. وكـان يحكـم أقاليمها ولاة يوليهم خليفة دمشق وإليه يرجعـون في أمـورهم الهامـة، ينفـذون سياسـته ويحكمون بسلطانه. ولما انتقلت الخلافة إلى بني العباس استقلت بعض الأقاليم بتفـويض منهم واستقل البعض الآخر بالغلبة عليهم.

ففي عهد أبي جعفر المنصور استولى عبد الرحمن بـن معاويـة بـن هشـام بـن عبـد الملك سنة 138هـ على الأندلس واستقل بها وأنهى الحكم العباسي وأعـاد الحكـم إلى بنـي أمية.

وفي عهد المنصور أيضا أنشأ إدريس بـن محمـد (الـنفس الزكيـة)، وهـو مـن أحفـاد الحسن بن علي بن أبي طالب دولة الأدارسة في المغرب الأقصى سنة 172هـ.

وفي 140هـ قامت الدولة المدارية في المغرب الأقصى وهم من الخوارج الصفرية.

وفي 162هـ قامت في تاهرت (الجزائر) الدولة الرستمية وهم من الخوارج الإباضية.

وفي عام 184هـ أنشأ إبراهيم بن الأغلب بتفويض من الخليفة هارون الرشـيد دولـة الأغالبة في المغرب الأدنى (تونس).

وفي عام 205هـ أنشأ طاهر بن الحسين بتفـويض مـن المـأمون دولـة بنـي طـاهر في خراسان مكافأة له لنصرته على الأمين.

فهذه الأقاليم الأربعـة انفصـلت عـن الدولـة العباسـية، واسـتقلت عنهـا، وتـداولت الحكم بطريق الإرث. غير أن انفصال بعضها كان يختلف عن انفصال البعض الآخر. ففـي دولة بني أمية في الأندلس وفي دولة الأدارسـة في المغـرب الأقصى، انقطعـت الصـلة بدولـة الخلافة العباسية. أما في دولة بني طاهر ودولة الأغالبة، فلم تنقطع الصلة بها، بـل ظلـت على ولائها وتبعيتها.

وفي العصر العبـاسي الثـاني ازدادت الظـاهرة وانفصـلت عـن دولـة الخلافـة الأقـاليم الآتية:

ففي سنة 254هـ انفصلت مصر والشـام وقامـت فـيهما الدولـة الطولونيـة، أسسـها أحمد بن طولون .

وفي سنة 254هـ قامت دولة بنـي الصـفار في سجسـتان بزعامـة الليـث بـن الصـفار واستولت على خراسان وقضت على دولة بني طاهر.

وفي سنة 261هـ قامت دولة بني سامان في خراسان بزعامة نصر بن أحمد ابن أسـد بن سامان وقضت على الدولة الصفارية.

وفي سنة 332هـ قامت الدولة الإخشيدية. وحكمت مصر والشام وامتدت لليمن.

وفي سنة 297هـ قامت في إفريقية دولة العبيـديين بزعامـة أبي عبيـد اللــه المهـدي وقضت على دولة الأغالبة، ثم عـلى دولـة بنـي الإخشـيد وامتـد حكمهـا إلى مصر والشـام والحجاز.

وفي سنة 320هـ قامت دولة بني بويه في فارس و أصبهان و همـذان والـري بزعامـة أبناء بويه وهم: الحسن وعلي وأحمد وأبناؤهم من بعدهم.

وقامت في الموصل والجزيرة وحلب دولـة بنـي حمـدان بزعامـة أبنـاء حمـدان بـن حمدون التغلبي 292هـ.

وفي سنة 321هـ قامت دولة الغزنويين فيما وراء النهر بزعامة سـبكتكين، أمـير غزنـة ومن بعده ابنه محمود المعروف باسم محمـود الغزنـوي فـقضى عـلى دولـة بنـي سـامان وامتدت دولته إلى الهند.

وفي عام 328هـ لم يبق في يد الخليفة سوى بغداد وسواد العـراق، وقـد جـرد مـنهما حين استولى معز الدولة البويهي على بغداد سنة 334هـ فلم يبق من الخلافة غير لقبها.

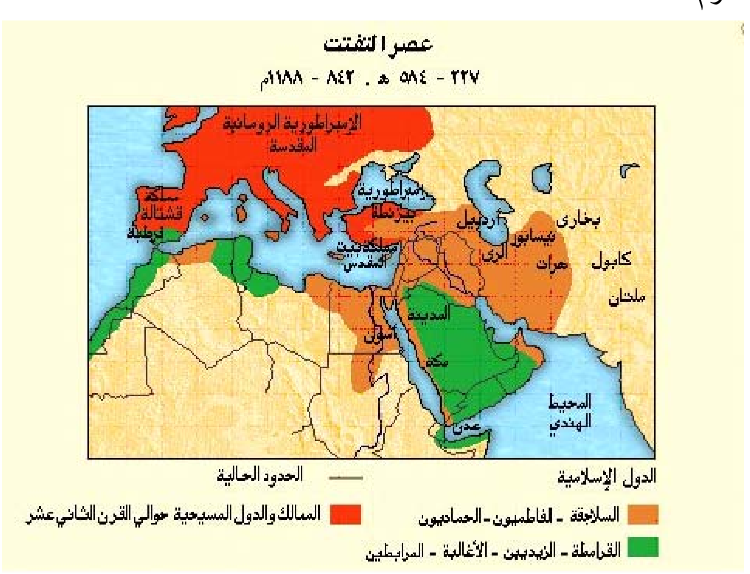
وفي عام 421هـ قامت دولة الترك (الغز) السلاجقة.

القادمين من بلاد تركستان، فأزالت دولة الغزنويين و البويهيين والدويلات الأخـرى، بزعامة طغرلبك السلجوقي، ولما مات طغرلبك خلفه ابـن أخيـه ألـب أرسـلان فقامـت في عهده وحدة الدولة الإسلامية الممتدة مـن بـلاد مـا بـين النهـرين إلى بـلاد الشـام. غـير أن الخلاف ما لبث أن ثار بينه وبين وبين أولاد عمه، وقامت سنة 470هـ دولة عرفت بدولـة سلاجقة الروم (يقصد بها سكنهم في بلاد الروم)

وقد أحدث الانشقاق بين السلاجقة بينهم أحقادا، فواجهوا الغزو الصليبي متفرقين، ولو أنهم واجهوه متحدين، لتحولت مسيرة الأحداث وجهة أخرى ولسلمت بلاد الإسلام من غزو ما زالت تتجرع مرارته.

عاشرا: انتشار الترف و الانحلال والفساد الاجتماعي في كثير من العامة والخاصة:

فقد أدى فساد القصور، وما تلطخت به من الصراعات والمفاسد، إلى تفشي ذلك في أوساط مختلف طبقات العامة، ولاسيما الموسرة منها، نتيجة ازدهار التجارة، وانفتاح الدنيا على الناس. ونلاحظ هذا في كثير من كتابات الوعاظ والعلماء في تلك الفترة. والذين لم يألوا جهدا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للحكام والمحكومين. ولكن عجلة الإنهيار كانت دائرة بقوة، ومقتضى السنن في الممالك والدول كانت تسير بدولة العباسيين إلى أجلها المحتوم.



• الطور الثالث من الخلافة العباسية:

ويمتد من خلافة المستظهر. حيث بدأت القوى الخارجية تتربص بدولة الإسلام وتعد العدة للانقضاض عليها، وينتهي بانتهاء دولة بني العباس تحت سنابك خيل المغول.

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (هود:102)، وكان أمر اللـه قدرا مقدورا.

● السمات المميزة للعصر العباسي الثالث:

هذا العصر هو امتداد للعصر العباسي الثاني وقد تميز هذا العصر بكل سمات العصر الذي تقدمه من الانحلال وأسباب الضعف وفساد الحكم، وضياع العوام وترف الخواص.... وزاد عليها ما لقي العالم الإسلامي من غزو مغولي أتاه من المشرق وغزو صليبي أتاه من الغرب، وكان من قبل مستشريا في الأندلس، وما أصاب الإسلام من محن ما زال يئن تحت وطأتها إلى الآن.

أهم الدول المستقلة منذ قيام العصر العباسي وإلى قيام الدولة العثمانية:

(أ) – في المشرق والعراق والشام ومصر:

1- الدولة الصفارية (254-298هـ /868-911م):

أسسها يعقوب بن ليث الصفار في سجستان (إيران) وتوسع على حساب الدولة الطاهرية في خراسان التي أسسها طاهر بن الحسين سنة (198هـ/813 م)، والدولة العلوية في طبرستان التي أسسها الحسن بن زيد سنة (250هـ/863م). ولعجز دولة الخلافة العباسية، اعترفت بشرعية حكم الصفار، الذي أسس جيشا قويا قمع به الخوارج وسيطر على طرق التجارة بين الهند ووسط آسيا. ثم فكر بغزو بغداد، فاستنجد الخليفة بأحمد بن اسماعيل أمير الدولة السامانية، فهزم الصفاريين وقضى على دولتهم سنة (298هـ/911م).

2- الدولة الطولونية (256- 292 هـ /870-905 م):

أسسها أحمد بن طولون في مصر وهو قائد تركي استفاد من ضعف الدولة العباسية التي كانت ترسل من ينوب عنها في حكم الولايات البعيدة عن مركز دولة الخلافة، وقد جاء أحمد بن طولون مصر نائبا عن (باكباك التركي) ثم قلده الخليفة ولاية مصر، فاستقل بها، ووسع دولته. ولما كلفه الخليفة بحماية الثغور الشامية، ضم الشام إلى مصر، ثم مد دولته إلى ليبيا، والحجاز، وبلاد النوبة جنوب مصر. وقد عم الرخاء عصره، وكان عادلا حازما و كون جيشا قويا. ثم

تولى بعده ابنه (خمارويه) فحفظ أملاك أبيه، وضم إليها الموصل، وتوطدت العلاقة بينه وبين الخليفة، فزوج ابنته (قطر الندى) للخليفة المعتضد ثم ضعفت الدولة، وأعاد الخليفة العباسي ضم تلك البلاد للخلافة المركزية سنة (292هـ).



3-الدولة السامانية (261-389هـ / 874-998م):

وتنسب لأسرة فارسية اعتنقت الإسلام في العصر الأموي، وأسسها نصر بن أحمد الساماني في بلاد ما وراء النهر، وتوسعت في عهد اسماعيل بن أحمد وضمت طبرستان وبلاد الري، وقد تصدت الدولة السامانية للخطر الصيني على آسيا الوسطى، واستفادوا من طرق التجارة، وازدهر في عهدهم العمران، وكلن معظمهم على مذهب السنة، وقد ازدهرت حاضرات الإسلام، في عهدهم، وحفلت بالحركة العلمية والشعراء والأدباء. وأصبحت بخارى و سمرقند ومدن تركستان من ألمع حضارات الإسلام.

4- الدولة الحمدانية (292-392هـ /904-1002م):

وهم من أسرة عربية اعتنقت المذهب الشيعي الإمامي الإثناعشري، وقد تأسست في الموصل سنة 292هـ في عهد الخليفة المكتفي بالله، وساندته في مواجهة الخوارج والقادة الأتراك. واشتهرت بجهاد الروم البيزنطيين،. وقد قضى البويهيون الشيعة عليهم سنة 368هـ وبقي نفوذهم في حلب، وامتد ملكهم إلى دمشق، واصطدموا بالإخشيديين، وبعد وفاة سيف الدولة سنة 356هـ ضعفت حالهم وقضى الفاطميون الشيعة عليهم سنة 392هـ وقد اشتهر بلاط سيف الدولة بالأدباء والشعراء، من أمثال المتنبي الذي أذاع صيتهم، وشاهرهم أبو فراس الحمداني، و الأصفهاني (الزنديق) صاحب كتاب الأغاني الشهير.. المليء بالأكاذيب و الطرائف.

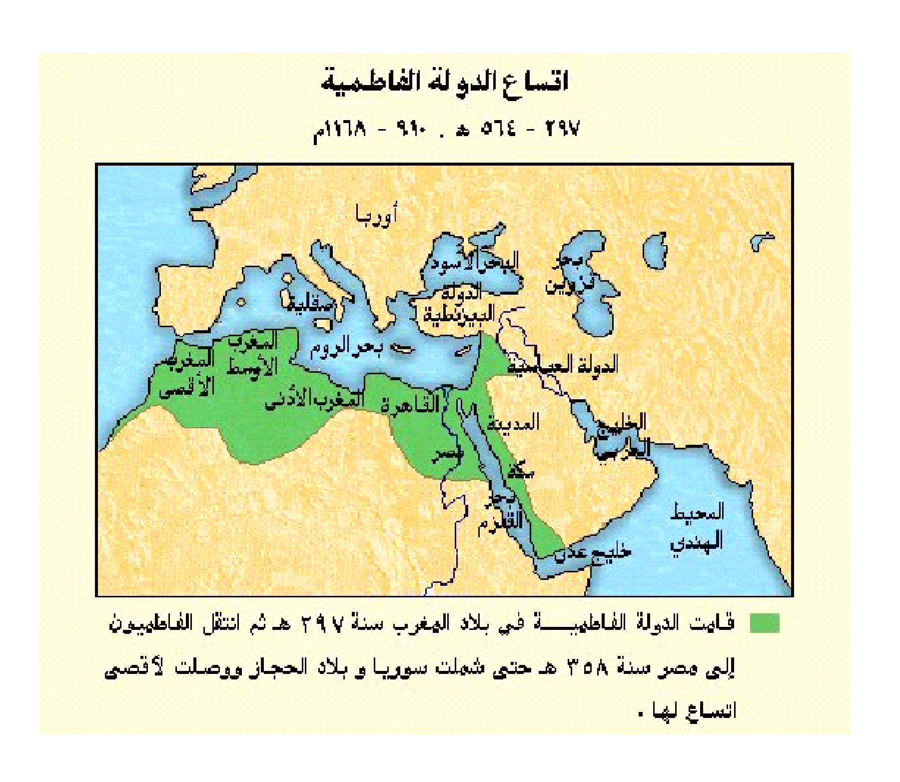
5 - الدولة الفاطمية (298- 567هـ / 909-1171م):

قامت الدولة الفاطمية في إفريقية سنة 298هـ بزعامة عبيد الله المهدي مدعيا أنه صاحب الحق في الخلافة وأنه حفيد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وقد مهد لقيامها داعية إسماعيلي يدعى أبو عبد الله الشيعي وحشد لنصرتها قبيلة (كتامة)، وعرفت بـ (الدولة العبيدية).

ولما رسخت قواعدها قضت على دولة الأغالبة في القيروان ثم قضت على دولة الإخشيد في مصر، وبنت فيها مدينة القاهرة ثم انتقلت إليها في عهد المعز

لدين الـلـه ودعيت بالدولة الفاطمية. ولم يسـتطع الخليفـة العبـاسي المقتـدر بالـلــه أن يدفع قيامها.

ثم حدثت بها أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية تراخت فيها قوتها وانتهت إلى الزوال. وقد بدأ هذا التراخي في عهد الحاكم بـأمر الـلــه لفـاطمي الـذي بلـغ مـن الكفـر والظلم شأوا عظيما. وازداد الضعف والتراخي في عهد المستنصر بالـلـه الفاطمي، فقد ولـد من جارية تربت في بيت يهودي يدعى أبا سعيد التستري وتولت أمه تـدبير أمـور الدولـة واستوزرت وزراء يهود، منهم صدقة بن يوسف الفلاحي وأبو سعيد التسـتري، وقـد أسـند هؤلاء مناصب الدولة إلى أبناء جلدتهم من اليهود، فاضطهدوا المسلمين.



وفي عهد المستنصر بالله انحسر سلطان الفاطميين عن بلاد الشام باستيلاء السلاجقة عليها وزالت دولتهم في جزيرة صقلية باستيلاء النورمان عليها سنة 461هـ وعم الوباء الذي يعتبر أطول وباء عرفته مصر في العصور الوسطى، إذ امتد ثماني سنين (446 - 454هـ) واقترنت هذه الشدة التي اصطلح المؤرخون تسميتها بسنين الشدة العظمى بقيام الحروب الأهلية الداخلية. حتى تدارك الأمر وزيرهم بدر الجمالي، والي عكا وقد استدعاه المستنصر سنة 466هـ فأعاد النظام ووجه همه إلى إصلاح البلاد، وتزوج المستنصر ابنته وولدت له ابنه (المستعلي).

ولما توفي المستنصر سنة 487هـ بعد حكم دام ستين سنة ادعى الخلافة ابنه (نزار) وكان أبوه قد عهد بها إليه، ولكن الأفضل بن بدر الجمالي، الذي خلف

أباه في قيادة الجيش، قدم عليه أخاه (المستعلي) وهو ابن أخته، وتـم ذلـك بقتـل (نـزار)، وبقتله افترقت الإسماعيلية إلى فرقتين: فرقة المستعلية، وفرقة النزارية.

وفي عهد المستعلي بدأت الحروب الصليبية على بلاد الشام واحتـل الصـليبيون بيـت المقدس سنة 493هـ وقد أعقب المستعلي خلفـاء مـنهم المخلـوع ومـنهم المقتـول إلى أن انقضى عهد الدولة الفاطمية – غير مأسوف عليها - سـنة 567هــ عـلى يـد صـلاح الـدين الأيوبي وقيام الدولة الأيوبية.

وكان الفاطميون من الباطنية الشيعة الغلاة، وقد حكم علـماء أهـل السـنة الأثبـات ممن عاصروهم بكفرهم وخروجهم عن الإسـلام. وقـد طبعـت الدولـة الفاطميـة بـالظلم والعنت فوق الكفر. وراسل كبار وزرائهم الصليبيين والروم مرارا واسـتدعوهم لغـزو مصر ووعدوهم العون ضد جيش الشام الذي حمل في ذلك الزمان مهمة جهاد الصـليبيين عـلى عاتقه.

6 - الدولة الإخشيدية (323- 358هـ / 935-969 م):

وتنسب إلى محمد بن طغج الإخشيد وهو تركي، وكان في خدمة والي مصر، وأبـلى في صد غارات الفاطميين عن مصر، فأسـند إليـه الخليفـة ولايـة مصر، ثـم ضـم إليهـا الشـام واليمن، فنظم البلاد وقوي مركزه. ثم فسدت علاقته بالخلافة وقامت الحرب بينهم. وبعد موت الإخشيد خلفه ابنه أبو القاسم أنجور وكان طفلا، فتولى الوصاية عليه معلمه كـافور الإخشيدي وكان عبدا أسـودا يخـدمهم، فاسـتولى عـلى الـبلاد. وبعـد مـوت كـافور سـيطر الفاطميون على مصر بقيادة جوهر الصقلي وضمها للفاطميين.

7- الدولة البويهية (334-447 هـ /945-1055م):

البويهيون أسرة فارسية شيعية سكنت شمال فارس عند قزوين. وتمكـن عـلي والحسـن وأحمـد أولاد أبي شجاع، مستغلين الفوضى في فـارس فقضـت عـلى الكيانـات السياسـية، وقـد حـاول الخليفـة المستكفي باللـه أن يتخلص من سلطة القادة الأتراك، فاستعان بالبويهيين فدخلوا بغداد سنة 334هــ /945م. فرحب الخليفة بهم وأعطاهم ألقاب سـامية. فسـمي أحمـد (معـز الدولـة) وحسـن (عـماد

الدولة) وعلي (ركن الدولة). ولكونهم من الشيعة انتزعوا السلطة من الخلفاء، واتخذوا لقب (السلطان) وأحيوا لقب الملك الفارسي (شاهنشاه). استمال البويهيون الرعية بتخفيف الضرائب، وقاموا بإصلاحات. ثم دب الصراع بينهم. وأسقطهم السلاجقة الأتراك سنة447هـ وقد شجع البويهيون الحركة العلمية ولاسيما الفلاسفة، والزنادقة من أمثال الفارابي وابن سينا وأمثالهم.

8- الدولة الغزنوية (366-555هـ / 976-1160م):

قامت هذه الدولة بزعامة القائد التركي (ألب تكين) وكان مولاه منصور بن نوح الساماني ملك خراسان قد ولاه سنة 351هـ أميرا على سجستان (أفغانستان)، فاستقل بها وأقام فيها دولة اتخذ من مدينة (غزنة) عاصمة لها فعرفت بالدولة الغزنوية، وقد تعاقب عليها واحد وعشرون ملكا كان أشهرهم محمود بن سبكتكين المعروف بمحمود الغزنوي. الملك الصالح المعروف، الذي فتح الهند، وحطم أصنام الوثنيين وأدخل الإسلام إليها، واتسعت دولته وشملت بلاد أفغانيتان وما وراء النهر وشرق إيران وبلاد السند (باكستان) وأجزاء شاسعة من الهند.

ثم انقضى عهدها باستيلاء الدولة الغورية عليها سنة 582هــ في عهد آخر ملوكها تاج الدولة خسرو ملك.

9- دولة السلاجقة (431-590هـ / 1040-1194 م):

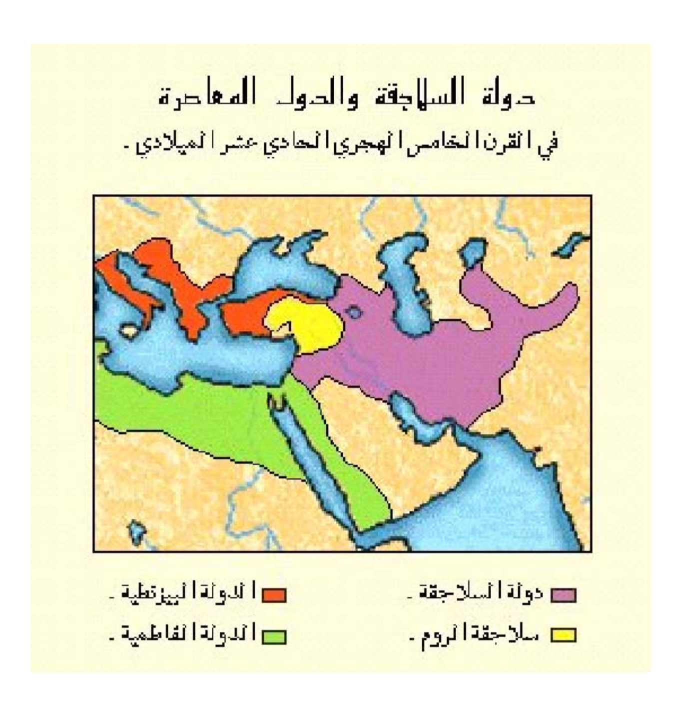
تنتسب هذه الدولة إلى سلجوق بن دقاق، وهو زعيم دولة تركية كبيرة كانت تقطن فيما وراء النهرين (سيحون و جيحون) في منطقة واسعة تعرف بتركستان، أي بلاد الترك. وفي عام 429هـ آلت زعامة هذه القبيلة إلى (طغرلبك) حفيد (سلجوق) فاجتاز بقبيلته منطقة ما بين النهرين متوجها نحو المشرق وانتهز انشغال الغزنويين بحروب أنهكتهم، فاستولى على خراسان والري و همذان وأزال الحكم الغزنوي عنها وأقام فيها دولة لقومه عرفت بدولة السلاجقة.

وفي عام 432هـ استولى على جرجان و طبرستان وامتدت دولته إلى قـزوين. وفي عـام 446هـ استنصره الخليفة العباسي القائم بأمر اللـه ودعاه إلى بغـداد لينقـذه مـن وزيـره أرسلان البساسيري، وكان قد استولى على السلطة واستبد بها وملـك أمـر العـراق وخطـب للمستنصر الفاطمي صاحب مصر، فاستجاب طغرلبـك لدعوتـه وزحـف إلى بغـداد وقضى على البساسيري وأنهى الحكم البويهي فيها، ثم استولى عـلى الموصـل وأذربيجـان وسـنجار وتمت له السيطرة على البلاد الإيرانية من شاطئ نهر سيحون إلى ساحل البحر الأسود ومن شواطئ بحيرة خوارزم إلى بحر عمان.

وفي عام 455هـ توفي طغرلبك وآلت خلافته إلى ابن أخيه ألب أرسلان فتـابع مسـيرة عمه ووجه عام 463هـ جيشا بقيادة قائده (أتسز) إلى بلاد الشـام فاسـتولى عـلى دمشـق وتوجه سنة 464هـ على رأس جيش لفـتح الأناضـول فاسـتولى عـلى أرمينيـة بعـد معركـة ضارية مشهورة مـع الـروم جـرت في (مـلاذ كـرت) وفيهـا هـزم جـيش الـروم وأسر ملكـه (رومانوس الرابع).الذي كان قـد رفـض الصـلح مـع السـلطان ألـب أرسـلان، وكانـت تلـك المعركة واحدة من مشاهد الإسلام العظيمة مع الروم. ولم يكن في جـيش السـلطان الـذي طلب من جنوده أن لا يخرج معه من ارتبط بالـدنيا بحاجـة ينتظـر قضـاءها، إلا خمسـة عشر ألف مقاتل وقد ذكرت الروايات أن الروم ناهزوا مأتي ألف مقاتل. وقـد نصـح شـيخ السلطان له أن يوقت المعركة وقت صلاة الجمعة حيث تكون المنابر داعيـة للمجاهـدين. وفي أول المعركة ألقى السلطان خوذته على الأرض وتذلل إلى اللـه، وصـاح بالجنـد قـائلا: (ما هاهنا ملك يأمر فيطـاع، مـن شـاء الانصراف فليـنصرف)، وأمـر الجنـد أن يخلصـوا في طلب النصر أو الشهادة، ثم كـبر وهجـم، فحملـوا كـرأس الحربـة عـلى خيمـة الإمبراطـور رومانوس، الذي سقط أسيرا بيد السلطان وانهزم جيشه الذي هلك جلـه في طريـق الفـرار والعودة إلى القسطنطينية.

وفي عام 465هـ أقدم باطني إسماعيلي على اغتيال (ألـب أرسـلان) فخلفـه ابنه (ملك شاه) وفي عهده أخذت الدولة السلجوقية في التقلص بعد انقسـامها

إلى دولة موزعة بين أبناء البيت السلجوقي، فدولة في خراسان ودولـة في الشـام ودولـة في بلاد الروم.



أما دولة السلاجقة في خراسان فقد آلت إلى سنجر بن ألب أرسـلان وانتهـت بوفاتـه سنة 552هـ باستيلاء دولة خوارزم عليها.

وأما دولة السلاجقة في العراق فقد آلت إلى محمد بن ملكشاه ومن بعـده إلى ابنـه محمود وتوارثها من بعده أبناؤه ثم زالت باسـتيلاء دولـة خـوارزم عليهـا سـنة 573هــ في عهد آخر ملوكها ركن الدين طغرل (الثاني).

وأما دولة السلاجقة في الشام فقد آلت إلى (تتش) بن ملكشاه وانقسمت بعد مقتله سنة 488هـ بين ولديه: دقاق ورضوان، فاختص دقاق بدمشق واختص رضوان بحلـب، وانقضـت دولـة حلـب بعـد وفاة آخر ملوكها سلطان شاه بن رضوان باستيلاء نجم الدين إيلغازي صاحب ماردين عليها سنة 511هـ

بدعوة من أهلها، ثم بقيام عماد الدين زنكي صاحب الموصل بالاستيلاء عليها سنة 521هـ وبعد اغتياله سنة 541هـ قيام ابنه نور الدين محمود خلفا له فيها.

وانقضت دولة دمشق وصاحبها دقاق بن تتش سنة 497هـ باستيلاء أتابكه (نائبه) القائد طغتكين على السلطة، وبوفاته سنة 522هـ قيام ابنه تاج الدولة بوري خلفا له، وقد نسبت الدولة إليه فعرفت بالدولة البورية وامتدت أيامها حتى استولى عليها نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي سنة 549هـ وضمها إلى حلب وجعلها عاصمة الدولة الأتابكية في بلاد الشام.

وأما دولة السلاجقة في بلاد الروم فقد قامت بزعامة سليمان بن قتلمش، من أحفاد سلجوق ومن أبناء عمومة ألب أرسلان فقد تزعم سليمان عصابات تركية في أعقاب وقعة (ملاذ كرت) وأخذ يطارد فلول جيش الروم ويستولي على الأقاليم التي يجتاحها حتى إذا اقترب من سواحل بحر مرمرة سنة 470هـ استقر في مدينة (نيقية) - أزنيك الحالية - وأقام فيها دولة سلجوقية.

وفي عام 477هـ حاول سليمان الاستيلاء على بلاد الشام واستخلاصها من (تتش) بن ملكشاه في معركة جرت بينهما فلم يتمكن من الفرار وقتل فيها فخلفه ابنه داود وتلقب بلقب (قليج أرسلان).

ولما قدمت الحملة الصليبية الأولى واقتحمت القسطنطينية سنة 490هـ ثم اجتازتها إلى آسية، اضطر قليج أرسلان إلى التخلي عن (نيقية) وانسحب مع قومه إلى الجنوب الشرقي من الأناضول واتخذ من مدينة (قونية) عاصمة لملكه.

وفي عام 500هـ توفي قليج أرسلان فتوزعت أقاليم دولته بين أبنائه وإخوته واستحالت إلى مجموعة دويلات اتصلت بينها الحروب. إلى أن قامت الدولة العثمانية على أنقاضها سنة 699هـ - وهم من سلالاتهم - فانطوت تحت جناحها.

10 - الدولة الغورية (439-612هـ / 1048-1215 م):

تأسست هذه الدولة في بلاد الغور سنة 439هـ بزعامة عز الدين حسين ابن حسن بن محمد وأخذت تزاحم الدولة الغزنوية حتى قضت عليها سنة

582هـ وضمتها إليها، وقد امتدت فتوحاتها إلى بلاد الهند ومنها انبثقت دولة المماليك الأتراك وكان قطب الدين أيبك أول ملوكهم في الهند.

وفي عام 612هـ خضعت الدولة الغورية للسيادة الخوارزمية وزالت معها بالغزو المغولي سنة 628هـ

11- الدولة الخوارزمية (470- 628هـ / 1048- 1258م):

قامت هذه الدولة في بلاد خوارزم جنوب بحيرة (أورال) ومصب نهر (جيحون)، بزعامة القائد التركي (أنوشتكين)، وكان السلطان السلجوقي قد ولاه عليها سنة 470هـ

وقد اتسعت في عهد ملكها سلطان شاه محمود بن إيل أرسلان باستيلائها على خراسان وإزالة الحكم السلجوقي عنها بعد وفاة السلطان سنجر بن ملكشاه سنة 552هـ ثم باستيلائها على الدولة الغورية سنة 612هـ

وفي عام 628هـ استولى عليها المغول وأزالوا دولتها في عهد آخر ملوكها جلال الدين منكبرتي.

12- الدولة الأرتقية (499- 521 هـ / 1077- 1121 م):

تنتسب هذه الدولة إلى زعيم عشيرة من التركمان يدعى (أرتق بن أكسب)، وكان قد التحق عام 449هـ بخدمة السلطان السلجوقي تتش بن ألب أرسلان صاحب بلاد الشام فأقطعه القدس وما حولها. ولما توفي (أرتق) خلفه ولداه: معين الدين سقمان، ونجم الدين إيلغازي.

وفي سنة 491هـ استرد الفاطميون القدس فأخرجوهما منها، فتوجها بقومهما من التركمان إلى الجزيرة الفراتية فتملك معين الدين سقمان ديار بكر (آمد) وتملك نجم الدين إيلغازي (ماردين) وأقام كل منهما فيما تملك دولة أرتقية.

وفي عام 511هـ حاصر الصليبيون مدينة حلب فاستنجد أهلها بنجم الدين إيلغازي فأنجدهم وقاتل الصليبيين في معركة جرت في (سهل بلاط) سنة 513هـ وأسر زعيمهم (روجيه ده سالرنو) أمير أنطاكية وتملك حلب وأقام فيها

دولة أرتقية تعاقب أبناؤه عليها إلى أن استولى عليها عماد الدين زنكي عـام 521هــ وأقـام فيها دولة أتابكية.

13- الدولة الأتابكية(516- 579هـ / 1122 - 1171م):

تنتسب هذه الدولة إلى عماد الدين زنكي بـن آقسـنقر وكـان (أتابـك) - أي نائـب - السلطان السلجوقي محمود بن محمد بن ملكشاه سلطان العراق، وفي عـام 516هــ ولاه السلطان على الموصل فأقام فيها دولة عرفت بالدولة الأتابكية.

وفي عام 521هـ استولى عماد الدين على حلـب وأزال الدولـة الأرتقيـة. وقـد اشـتهر عماد الدين رحمه اللـه بجهاد الصـليبيين، وإسـقاطه أولى الإمـارات الصـليبية في سـواحل الشام

وفي عـام 541هــ اغتـال الحشاشـون الباطنيـة (أجـداد النصـيرية العلويـة الحـاكمين لسوريا ولبنان في زماننا هـذا) – اغتـالوا الأمـير المجاهـد عـماد الـدين زنـكي رحمـه اللــه فانقسمت الدولة الأتابكية إلى دولتين: دولة في الموصل ودولة في حلب.

أما دولة الموصل فخلفه فيها ابنه سيف الدين غازي الأول وتعاقب عليها من بعـده أبناؤه حتى انقضى عهدها باستيلاء المغول عليها سنة 660هـ.

وأما دولة حلب فخلفه فيها ابنه الملك الصالح المجاهد نـور الـدين محمـود وحمـل بعده لواء جهاد الصليبيين. وفي عام 549هـ استولى نور الدين عـلى دمشـق وضـمت إليـه بلاد الشام.

ولما توفي نور الدين سنة 569هـ خلفه فيها ابنه الصالح إسماعيل وكان طفلا صـغيرا. وفي عام 579هـ تولى صلاح الدين الأيوبي ضـمها إلى الدولـة الأيوبيـة التـي أقامهـا في مصر فأضحت معها دولة واحدة.بشورى علماء الشام ومصر، ليوحد البلاد في مواجهة الصليبيين.

14- الدولة الأيوبية (567 – 648هـ / 1171 - 1250 م):

وقد أسس هذه الدولة الميمونة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب، وكان قد توجه إلى مصر كقائد من قواد خاله (أسد الدين شيركوه) قائد الجيش الذي أرسله الملك الصالح نور الدين زنكي سلطان الشام المجاهد لصد حملة الصليبيين على مصر.

وقد استعان الخليفة الفاطمي العاضد بأسد الدين وأسند إليه الوزارة، ليتقوى به على أمراء الفاطميين المتنافسين و كبيرهم (شاور). ولما توفي (أسد الدين في مصر وهو يعد العدة لصد الحملة الصليبية، عين الخليفة الفاطمي صلاح الدين مكان خاله. وبعد انتصار صلاح الدين وجيش الشام ومصر على الصليبيين بقليل، توفي الخليفة الفاطمي سنة 567هـ بعد قتل وزيره شاور بن مجير السعدي الذي كان يكاتب الصليبيين. واستولى صلاح الدين على حكم مصر، وقطع الخطبة للفاطميين وجعلها للخليفة العباسي ببغداد، وألغى المذهب الفاطمي العبيدي الإسماعيلي القائم على الزندقة، وأعاد المذهب الشافعي السني لمصر، ثم تصدى لعدد من المحاولات الصليبية مع فلول الفاطميين ودعم الأسطول الروماني وانتصر عليهم، واستتب له الأمر في مصر. و بعد وفاة نور الدين محمود، حضر صلاح الدين إلى الشام وعقد له علماء الشام ومصر البيعة سلطانا عل بر مصر والشام، ثم توسعت مملكته وضم إليها الحجاز واليمن وبعض أنحاء الجزيرة. وقد سجل صلاح الدين رحمه الله انتصارات مشهودة على الصليبيين أدت لاسترجاع بيت المقدس سنة 583هـ محققا حلم الملك الصالح نور الدين زنكي رحمه الله. وقد تقسمت أقاليم الدولة، بعد وفاته، بين أبنائه وإخوته وتحولت تلك الدولة الكبرى بعد وفاته سنة 589هـ إلى دويلات ثارت فيها الحروب. وقد استقرت أحوالها لبعض الوقت في زمن الملك العادل أخو صلاح الدين، ثم آلت الشام للملك الصالح إسماعيل الذي ناصر الصليبيين على عمة نجم الدين أيوب الذي استقل بملك مصر. ثم توفي نجم الدين وهو يصد الحملة الصليبية السابعة، فتابعها قائده معز الدين إيبك، الذي تزوج زوجته (شجرة الدر)، وآلت إليه السلطنة لتنتهي الدولة الأيوبية وتقوم في مصر

دولة المماليك. وقد تتابع سقوط الدويلات الأيوبية الأخرى في بلاد الشام في عهد الملك المملوكي الظاهر بيبرس البندقداري وضمت إلى دولة المماليك.

15- دولة المماليك (648 - 922هـ / 1250- 1517 م):

تنتسب هذه الدولة إلى الملوك الأتراك الذين كانوا من مماليك السلطان نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل الأيوبي وكان الملك الكامل قد بنى لهم في جزيرة الروضة بنهر النيل - وكان يعرف ببحر النيل - قلعة فعرفوا بالمماليك البحرية وأولهم الملك المعز عز الدين إيبك، وقد انتقل إليه الملك عن طريق شجرة الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين وكانت تولت الملك بعد وفاته ثم تزوجت من عز الدين إيبك وتنازلت له عن الملك فانتقل الملك عن طريقها إلى المماليك.

وقد اتسعت دولة المماليك في عهد الملك الظاهر بيبرس البندقداري فقضى على الدويلات الأيوبية في بلاد الشام وضمها إلى دولة المماليك في مصر.

و حمل المماليك لواء الجهاد ضد الصليبيين بعد الأيوبيين، فقد أزال السلطان بيبرس معظم تلك الإمارات. ليزول آخرها (إمارة عكا 1291هـ) في عهد السلطان خليل بن قلاوون.

ودامت دولة المماليك حتى استولى العثمانيون على مصر والشام سنة 922هـ بعد هزيمة المماليك في معركة مرج دابق.



ملوك دولة المماليك:

1. المماليك البحرية:

م	الملك	نهايته	مدته
1-	عز الدين إيبك	قتل	1250 - 1257 م
2-	نور الدين علي بن عز الدين	خلع	1257 - 1258 م
3-	المظفر سيف الدين قطز	قتل	1258 - 1260 م
4-	الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري		1260 – 1277 م
5-	الملك السعيد أبو المعالي محمد	خلع	1277 - 1279 م
6-	الملك العادل سيف الدين بن الظاهر	خلع	1279 - 1279 م

2. المماليك البرجية:

م	الملك	نهايته	مدته
7-	قلاوون الألفي المنصور سيف الدين		1279 -1290 م
8-	صـلاح الـدين خليـل الأشرف بـن قلاوون		1290- 1293 م
9-	الملك الناصر محمد بن قلاوون	خلع	1293 - 1294 م
10-	الملك العادل كتبغا	خلع	1294 - 1296 م
11-	المنصور حسام الدين لاجين	خلع	1296- 1298 م
12-	الناصر محمد بن قلاوون ثانية	خلع ثانية	1298 - 1308 م
13-	المظفر ركن الدين بيبرس	خلع	1308- 1308 م
14-	الناصر محمد بن قلاوون ثالثة		1308- 1341 م
15-	المنصور أبو بكر بن قلاوون	قتل	1341 - 1342 م
16-	الأشرف علاء الدين كجك	خلع	1342- 1342 م
17-	النـاصر شـهاب الـدين احمـد الملـك الصالح	خلع	1342 - 1342 م
18-	الملك الصالح علاء الدين ابـو الفـداء اسماعيل		1342 - 1345 م
19-	الملك الكامل شعبان	خلع ثم قتل	1345 - 1346 م
20-	المظفر حاجي	قتل	1346- 1347 م

-21	الملك الناصر أبو المحاسن حسن	خلع	1347 - 1351 م
-22	الملك صلاح الدين صالح	خلـــع وســـجن حتى مات	1351 - 1354م
-23	الملك الناصر أبو المحاسن حسن	ثانية	1354- 1361 م
-24	الملك صلاح الدين محمد بن المظفـر حاجي	خلع	1361- 1363 م
-25	الملك الأشرف أبو المعالي زين الـدين شعبان	قتل	1363 - 1377 م
-26	الملك المنصور عـلاء الـدين عـلي بـن الأشرف		1377- 1381 م
-27	الملك الصالح أمير حاج بن الأشرف	خلع	1381 - 1382 م

وهو آخر سلاطين المماليك الأتراك.

3. المماليك الشراكسة:

م	الملك	نهايته	مدته
-28	برقوق الظاهر سيف الدين	خلع	1382 -1389 م
-29	الملك الصالح أمير حاج	تولى و خلع ثانية وسجن حتى مات	1389- 1389 م
-30	الملك الظاهر برقوق	ثانية	1389- 1399 م

-31	الملك الناصر زين الدين أبو السعادات	اختفى ثم ظهر	1399 - 1405 م
-32	الملك المنصور عز الدين أبو العز عبد العزيز	خلع و سجن	1405 - 1405 م
-33	الناصر زين الدين أبو السعادات	ثانية قتل	1405 - 1412 م
-34	الخليفة المستعين بالـلـه جمع بين الخلافة والسلطنة		1412- 1412 م
-35	الأمير شيخ المؤيد أبو النصر		1412 -1421 م
-36	الملك المظفر أبو السعادات احمد	خلع	1421- 1421 م
-37	الظاهر سيف الدين أبو سعيد ططر		1421 - 1421 م
-38	محمد بن ططر الملك الصالح ناصر الدين	خلع وسجن	1421- 1422 م.
-39	الأمير برسباي الدقماقي الملك الأشرف أبو النصر		1422 - 1438 م
-40	الملك العزيز أبو المحاسن جمال الدين	خلع	1438- 1438 م
-41	الملك الظاهر أبو سعيد جقمق	استقال	1438- 1452 م
-42	الملك المنصور أبو السعادات فخر الدين عثمان	خلع	1452 - 1453 م
-43	اينال العلائي الملك الأشرف		1453-1461 م

		أبو النصر سيف الدين	
-44	الملك المؤيد احمد أبو الفتح شهاب الدين	خلع	1461-1461 م
-45	خوشقدم الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين		1467-1461 م
-46	بلباي الملك الظاهر أبو النصر سيف الدين	خلع	1467 - 1467 م
-47	تمر بغا الملك الظاهر أبو سعيد	خلع	1467- 1496 م
-48	الملك الناصر أبو السعادات ناصر الدين	خلع	1496- 1498 م
-49	قانصوه الملك الظاهر أبو سعيد		1498 - 1500 م.
-50	الأمير جان بلاط الملك الأشرف أبو النصر	خلع وسجن وخنق	1500- 1501 م
-51	طومان باي الملك العادل		1501 - 1502 م
-52	قنصوه الغوري الملك الأشرف	قتل في الحرب مع العثمانيين	1502- 1516 م
-53	طومان باي الثاني	شنقه العثمانيون	1516- 1517 م

16-الخلافة العباسية (الرمزية) في مصر (656-922 هـ / 1258- 1517م):

ادعى الخلافة بعد مقتل الخليفة المستعصم سنة 656هـ اثنان من بني العباس، أحدهما يدعى أبا العباس أحمد بن علي (وجده الأعلى المسترشد بالله بن المستظهر بالله)، والآخر يدعى أبا القاسم أحمد بن الظاهر بأمر الله وهو أخو المستنصر بالله ويلتقي مع الأول بالخليفة المستظهر بالله.

وقد توجه الأول إلى حلب وأثبت فيها نسبه بشهادة جماعة من عرب خفاجة فبايعه أمير حلب حسام الدين بن أبي الفوارس وبايعه معه جماعة من العلماء وفيهم الشيخ عبد الحليم بن تيمية.

وتوجه الآخر إلى القاهرة وأثبت نسبه بشهادة جماعة من عرب مهارش فبايعه الملك الظاهر بيبرس وبايعه معه جماعة من الأعيان والعلماء وتلقب بالمستنصر بالله عام 659هـ وقد طلب من الملك الظاهر أن يجهزه بقوة ليقاتل المغول فزوده بقوة قليلة هزمها المغول وفيها قتل الخليفة المستنصر، وقدم أبو العباس أحمد إلى القاهرة فبويع فيها خلفا للمستنصر وتلقب بالحاكم بأمر الله.

واستمرت خلافة بني العباس في مصر حتى استولى العثمانيون عليها سنة 922هـ بقيادة السلطان سليم الأول وقد تنازل الخليفة العباسي عن الخلافة للسلطان العثماني فنقلها إلى القسطنطينية وظلت قائمة في أعقابه إلى أن زالت بزوال الدولة العثمانية سنة: 1342هـ / 1923م.

حدود الدول المتصارعة : الدولة الصفوية +المماليك +العثمانية

٨٧٠ - ٩٠٠ هـ . ١٤٦٥ -١٤٩٤م

دار الصراع بين الدول الثلاث الصفوية والمملوكية والعثمانية

وهزم الصفويون فى معركة جالديران .

(ب) – الدول التي استقلت في جزيرة العرب زمن العباسيين:

17– الدولة الإباضية في عمان (176هـ / 792م):

الإباضية هم من الخوارج المعتدلين القريبين من مذهب السنة. يعود مذهبهم لعبد اللـه بن إباض التميمي وقد حاربهم الأمويون والعباسيون وطردوهم من الشام والحجاز واليمن وإفريقيا، ولكن أقلية منهم بقوا في عمان إلى أيامنا هذه.

وقد تأسست الدولة الإباضية في عمان سنة 176هـ أسسها الجلندي بن مسعود الإباضي. وقد كان من أبرز دعاتهم غسان بن عبد اللـه الحميدي، و الصلت بن مالك. وقد عملوا في التجارة وازدهرت دولتهم بذلك.

18- دولة القرامطة - البحرين - (296- 398 هـ / 909- 1008م):

وقد مر نبذة عنها لما ذكرنا الثورات. وقد ابتدأت على يد داعية فاطمي متخفي هو (الحسين الأهوازي) الذي حمل الدعوة الإسماعيلية إلى جنوب العراق والبحرين. ولما مات خلفه. رجل فارسي عرف بلقب (قرمط)، قيل أن اسمه (حمدان الأشعث) وقد كان أحد دعاة الإمام الإسماعيلي (المنتظر) الذين بثهم في الأقطار عبد اللـه بن ميمون القداح، منظم الدعوة الإسماعيلية.

وقد دعا إلى مذهب فيه مزيج من المزدكية الفارسية واليهودية والنصرانية والإسلام، وقد أقام هؤلاء دولة سنة 296 هـ في القطيف والبحرين واليمن وقادوا حروبا في العراق أرادوا بها انتزاع الخلافة، ونازعوا الفاطميين زعامة الدعوة، فهاجموا قواعدهم في الشام وهموا بمهاجمة القاهرة وقد تمكن الفاطميون من صدهم.

وفي سنة 317هـ أغاروا على مكة فقلعوا الحجر الأسود وقتلوا الحجاج، وحملوا الحجر الأسود إلى القطيف عاصمة ملكهم وأعادوه سنة 239هـ لقاء السماح لهم بفرض ضريبة على الحجاج.

وبقيت هذه الدولة قائمة إلى أن زالت سنة 398 هـ

19-دولة بني نجاح في (زبيد – اليمن) (421-554 هـ / 1030 1160م):

أسس هذه الدولة عبد حبشي تمكن من التحرر. وأقام دولة في زبيد. ولكن أفراد الأسرة تصارعوا. مما مكن والي تهامة (علي بن محمد) القضاء عليهم سنة 554هـ.

20 – الدولة الصليحية (صنعاء – اليمن) (450- 647هـ / 1058 -م):

دانت هذه الدولة بالمذهب الإسماعيلي. وقد أسسها محمد الصليحي الذي تلقى الدعوة على يد الدعاة الإسماعيلية في اليمن، وكانت عاصمتهم صنعاء وارتبطت بصلات ودية مع الفاطميين في مصر، حيث أسبل عليهم الألقاب السامية مثل (أمير الأمراء) و(المكرم)..وقد مدوا نفوذهم للحجاز ثم سقطت الدولة على يد توران شاه آخر سلاطين الأيوبيين. ومن أبرز شخصياتهم السيدة الحرة (أروى بنت أحمد) التي قامت بدور هام بنشر المذهب الإسماعيلي في الهند وعمان. وبقي من آثارها مسجد في صنعاء.

21- دولة بني رسول (اليمن) (626- 826 هـ / 1229 -1423 م):

أسسها علي بن رسول وهو من نسل الغساسنة (ملوك الشام قبل الفتح). وقد عينه الأيوبيون واليا على مكة سنة 652هـ ثم أسندوا إليه حكم اليمن، فمد نفوذه من حضرموت إلى مكة. وبقيت دولته في سلالته قرابة قرنين وكانوا تجارا، أثروا من التجارة البحرية ولاسيما مع الهند، وتقدمت في عهده الصناعة والزراعة. وقد كانوا على المذهب الشافعي. وشجعوا العلماء وجمعوا المكتبات.

(ج)- الدول التي استقلت في إفريقية:

22- الدولة المدارية (140- 297هـ /757-909 م):

قامت هذه الدولة في المغرب الأقصى، وقد أسسها (عبد) يدعى عيسى بن يزيد الأسود، وكان أحد الخوارج الصفرية. ولكن قبيلة (مكناسة) البربرية ثارت

عليه و واستولت على الإمارة التي رئسها أبو القاسم (سمكو بن واسـول) وكانـت عاصـمة الدولة مدينة (سلجماسة) في واحة في الصحراء. وقد اهتموا بالتجارة مع إفريقيـا السـوداء جنوب الصحراء الكبرى. وحازوا ثروة كبيرة. ثم تنازع أفـراد الأسرة، إلى أن دهمهـم جـيش أبي عبد اللـه الشيعي داعية الفاطميين، وأسقط دولتهم سنة (297هـ).

23- الدولة الرستمية (162- 296هـ / 779- 908 م):

أسسـها عبـد الـرحمن بـن سسـتم وهـم مـن الخـوارج الإباضـية المعـادين للدولـة العباسية، وقد تأسسـت في تـاهرت (الجزائـر). وتميـز حكمـه بالعـدل في الرعيـة، واشـتهر بالتجارة مع إفريقيا السوداء وجلبوا الذهب والرقيق. مما أعطى (تاهرت) مركـزا حضـاريا وعمرانيا. ثم تصارعت داخل دولـتهم العنـاصر العربيـة والبربريـة والفارسـية عـلى الملـك، ونشأت بينهم صراعات مذهبية بين الإباضية والصـفرية والمعتزلـة والشـيعة والسـنة. ثـم سقطت بيد أبي عبد اللـه الشيعي الفاطمي سنة 296هـ.

24 - دولة الأدارسة (172-375هـ / 788-985 م):

في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، قـام ضـد العباسـيين في المدينـة محمـد (الـنفس الزكية)، وأرسل المنصور إليه جيشـا، واشـتبك معـه في معركـة انتهـت بقتـل محمـد سـنة 145هـ.

وفي عام 169هـ ثار على المنصور علوي آخر هو الحسـين بـن عـلي بـن الحسـن ابـن الحسن بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ومعه عـماه إدريـس ويحيـى ابنـي عبـد اللـه. فأرسل المنصور جيشا لقتاله، وجرت بـين الفـريقين معركـة في موقـع قـرب المدينـة يعرف بـ (فخ)، وفيها قتل الحسين وتمكن عمه إدريـس بـن محمـد (الـنفس الزكيـة) مـن الهرب. وتوجه إدريس إلى المغرب الأقصى ونزل على قبيلة من البربر تدعى (أوربة) فعرفها بنفسه، فبايعته ودخلت في طاعته قبائل أخرى، وخلع إدريس طاعـة بنـي العبـاس وأنشـأ مدينة (فاس) واتخذها عاصمة له وفيها أقام سـنة 172هــ دولـة علويـة مسـتقلة عرفـت بدولة الأدارسة.

ولما استقر إدريس في ملكه جند من قبائل البربر جيشا فغزا المغرب الأوسط وضـمه إلى مملكته. واستمرت تلك الدولة إلى أن قضت عليها الدولة الفاطمية سنة 375هـ.

25- الدولة الأغلبية (184-296 هـ / 800-909 م):

خشي هارون الرشيد أن تمتد أطماع الأدارسة فيستولوا على المغرب الأدنى (تـونس)، وكان يعرف باسم (إفريقية) فأراد أن يقيم حكما ثابتا يناط برجل يستقل بـه ليـدفع عنـه خطر الأدارسة، فوقع اختياره على إبراهيم ابن الأغلب، فولاه على إفريقيـة سـنة 184هــ على أن تكون ولايته وراثية في مقابل مبلغ من المال يدفعه إلى الخليفة، وكانت (القيروان) عاصمة للولاية، فبنى إبراهيم بن الأغلب مدينة دعاها (العباسية) اتخذها عاصمة لدولته التي عرفت بدولة الأغالبة.

وفي عهد حفيده زيادة اللـه الأول تم الاستيلاء على جزيرة (صقلية) بقيـادة الفقيـه الكبير (أسد بن الفرات) وضمت إلى دولة الأغالبة. وقد امتد حكـم الدولـة الأغلبيـة حتـى قيام الدولة الفاطمية التي قضت عليها.

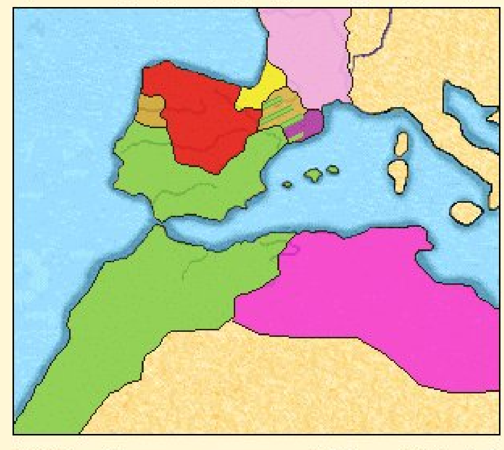
26- دولة المرابطين (453 – 541هـ / 1062- 1147 م):

تأسست هذه الدولـة في المغـرب الأقصى سـنة 453هــ بزعامـة يوسـف بـن تاشـفين اللمتوني (نسـبة إلى قبيلـة لمتونـة البربريـة) وكـان رجالهـا يشـدون اللثـام (النقـاب) عـلى وجوههم فعرفوا بالملثمين.

دولة المرابطين (٤٤٨ - ٥٤١هـ - ١٠٥٦ - ١١٤٦ م)

في المغرب والصحراء الكبرى وإفريقية المدارية والأندلس .

من ولاية أبي بكر بن عمر اللمتوني إلى دخول الموحدين مدينة مراكش .



- دولة المرابطين في أقصى اتساعها في المغرب والأندلس .
- بلاد إسلامية استولت عليها مملكة أرجون خلال العصر المرابطي .
- كونتية البرتغال عند بداية العصر المرابطي وخطوط توسعها .
- مملكة قشتالة وليون عند بداية العصر المرابطي .
- مملكة نبرة طوال العصر المرابطي .
- بلاد الفرنجة .
- كونتية قطلونية عند بداية العصر المرابطي وأتجاهات توسعها .

وقد لبى الملك المجاهد يوسف بن تاشفين دعوة المعتمد بن عباد ملك أشبيلية، ليصد عنه عدوان ألفونسو السادس ملك قشتالة فاجتاز البحر إلى الأندلس سنة 479هـ على رأس جيوش من البربر وتمكن من هزم الملك الأسباني في وقعة شهيرة جرت في سهل (الزلاقة). وخضعت بعدها دويلات طوائف الملوك لسلطان المرابطين.

وبعد وفاة يوسف بن تاشفين سنة (500هـ) خلفه ملوك من أبنائه فيهم المنصرف إلى لهوه وفيهم الفتى الماجن وفيهم الحدث القاصر، ولم يخل الأمر من نزاع بينهم فأخذت الدولة في الانهيار وطمع بها الموحدون فاستولوا عليها سنة 541هـ في عهد آخر ملوكها إسحاق بن علي بن تاشفين حفيد يوسف بن تاشفين .

27- الموحدون (541- 668هـ / 1147- 1270 م):

تنتسب هذه الدولة إلى محمد بن تومرت، من قبيلة (زناتة البربرية) وموطنها في الجنوب الشرقي من المغرب الأقصى. وكان ابن تومرت قد دعا إلى مذهب التوحيد فعرف أصحابه بالموحدين وتلقب بالمهدي، ولما توفي سنة 524هـ خلفه في دعوته تلميذه المقرب إليه عبد المؤمن بن علي، فأخذ يغير على المرابطين وتمكن في عام 541هـ من الاستيلاء على مدينة مراكش وأزال دولة المرابطين في المغرب الأقصى وأقام دولة للموحدين.

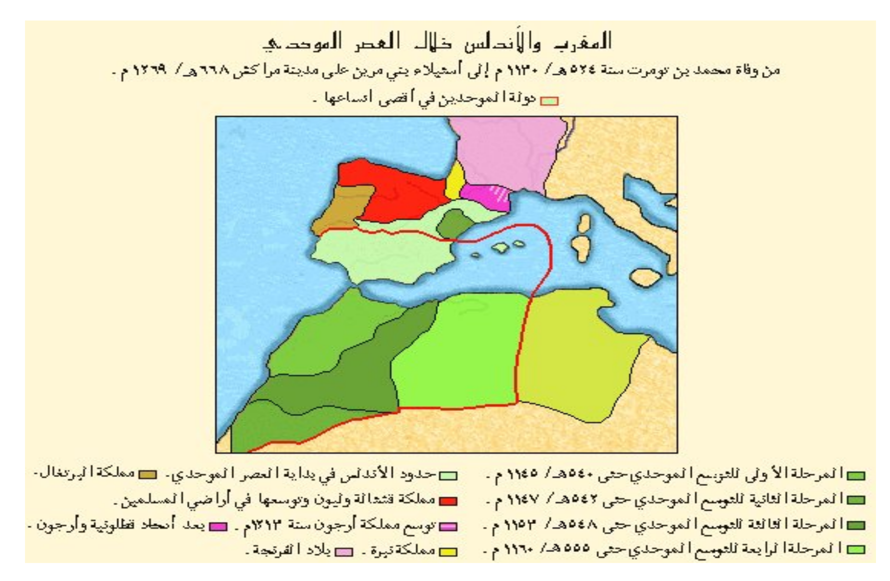
وقد اشتدت قوة الموحدين في عهد ابنه أبي يعقوب يوسف الأول. ففي عام 567هـ اجتاز البحر إلى الأندلس وأخضع بها من ظل مواليا للمرابطين كابن مردنيش وابن غانية.

ولما توفي سنة 580هـ خلفه ابنه أبو يوسف يعقوب المنصور وفي عهده بلغت دولة الموحدين أوجها في العز والمنعة، فقد اجتاز البحر إلى الأندلس عدة مرات صد فيها عدوان الأسبان وكان آخرها عام 591هـ في الوقعة التي هزم

فيها ألفونسو الثامن هزيمة منكرة وعرفت بوقعة (الأراك) و أحيا فيها وقعة الزلاقـة التـي جرت من قبل عام 479هـ.

ولما توفي أبو يوسف يعقوب المنصور سنة 595هـ خلفه ابنه الناصر لدين الـلـه محمـد وفي عهده أخذت دولة الموحدين في الانهيار، فقد اشتبك مـع الأسـبان في معـارك هـزم فيهـا وكان أشدها وقعا تلك التي جرت سـنة 609هــ والتـي عرفـت بوقعـة (العقـاب) وتتابعـت هزائم الموحدين بعدها في عهد أخلافه منها هزيمة وقعة (أبي دانس) سنة 614هـ.

ولم يطل عهد الموحدين بعد ذلك فقد استولى بنو مرين على دولتهم سنة 668هـ في عهد آخر ملوكهم إدريس الملقب بأبي دبوس.



28- دولة بني مرين (668- 875هـ / 1270- 1470 م):

تنتسب هذه الدولة إلى مؤسسها عبد الحق المريني من قبيلة زناتة البربريـة، المقيمة في منطقة (سلجماسة) بالمغرب الأقصى. ففي عام 610هـ تحول عبد الحق بقبيلتـه إلى بـلاد الريـف منتجعـا وأخـذ يغـير عـلى منـاطق الموحـدين والتقـى

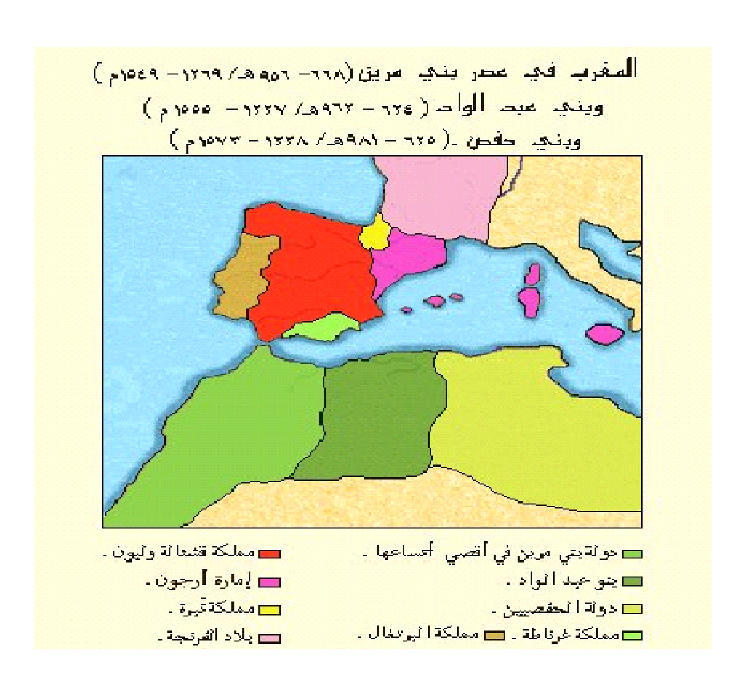
معهم سنة 612هـ في معركة هزمهم فيها وتوالت بعد ذلك هزائم الموحدين حتى تم لبني مرين إزالة دولتهم سنة 668هـ وقد امتدت دولة بني مرين في المغرب الأقصى إلى سنة 875هـ.

29. دولة بني زيان من بني عبد الواد (633-962هـ / 1235 - 1555 م):

تنتسب هذه الدولة إلى مؤسسها أبي يحيى يغمراسن بن زيان العبدوادي، من بني زيان بتلمسان. ففي عام 633هـ استقل يغمراسن بتلمسان واشتملت دولته على إفريقية الوسطى (الجزائر) وخضعت بضع سنين للسيادة المرينية وامتد عمرها حتى استولى عليها العثمانيون سنة 962هـ.

30- دولة الحفصيين (625- 941هـ / 1227 - 1534م):

تنتسب هذه الدولة إلى أبي حفص عمر بن أبي زكريا يحيى الهنتاتي، وكان أبو زكريا من عمال دولة الموحدين بتونس ثم استقل عنها سنة 625هـ، وقامت بين أخلافه خصومات انقسمت بسببها الدولة سنة 681هـ إلى دولتين: دولة في تونس ودولة في (بجاية) بالمغرب الأوسط، وامتدت إلى أن استولى عليها العثمانيون سنة 941هـ.



(د) الدولة الإسلامية في الأندلس:

31. دولة الأمويين في الأندلس (92- 897هـ / 713- 1452م):

اجتاز المسلمون البحر من المغرب الأقصى إلى الأندلس عام 92هـ بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير وخضعت مع ما فتح من بلاد شمال إفريقية إلى دولة بني أمية بدمشق.

1- عبد الرحمن الداخل (138- 172هـ) :

ولما انقضى عهد الأمويين بقتل مروان الثاني آخر ملوكهم، تمكن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان أن يفلت من قبضتهم وأن ينجو من القتل، وتوجه متخفيا إلى المغرب لاجئا إلى قبيلة (نفزة) وفيها أخواله. فلما اطمأن إلى نفسه، أخذ يكاتب من ظل من أهل الأندلس على ولائه لبني أمية، فجاءه تأييدهم لقدومه.

وفي شهر ذي الحجة من عام 138هـ اجتاز عبد الرحمن البحر، ومعه جمع من العرب والبربر، ونزل الأندلس، وانضم إليه من كان يرقب قدومه، وتوجه إلى قرطبة فدخلها بعد أن قضى على أميرها يوسف بن عبد الرحمن الفهري، المعتمد من قبل الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، ومن ثم دعي عبد الرحمن بلقب (الداخل).

تمكن عبد الرحمن من القضاء على الثورات التي أثارها المؤيدون لبني العباس، وفيهم الطامعون بالاستقلال بما في أيديهم من أقاليم ومدن، ومنهم من استنصر بشارلمان، ملك الفرنجة، فجاء بجيوشه سنة (161هـ - 771 م)، ولكنه لم يلبث أن عاد بعد أن فشل في حملته. ولم يصرف عبد الرحمن انشغاله بقمع تلك الثورات التي توالت طيلة حكمه عن الإدارة والعمران، فقد أنشأ جامع قرطبة الذي أصبح جامعة اجتذبت إليها مشاهير علماء المشرق.

2 – هشام بن عبد الرحمن الداخل (172- 180 هـ) :

توفي عبد الرحمن سنة 172هـ فخلفه ابنه هشام الأول بعهد من أبيه، فثار عليه أخواه سليمان وعبد الله، ينازعانه الإمارة، وامتدت ثورتهما إلى عهد ابنه الحكم الأول. وقد تمكن هشام من صد هجمات ملوك الفرنجة واستولى على بعض قلاعهم وحصونهم، وأضاف إلى جامع قرطبة المئذنة، وجدد بناء القنطرة على نهر قرطبة المعروف باسم (الوادي الكبير)، وكان السمح بن مالك أمير الأندلس قد بناها سنة 100هـ.

3 – الحكم بن هشام (180- 206 هـ):

توفي هشام الأول سنة 180هـ وخلفه ابنه الحكم الأول بعهد من أبيه فقمع ثورة عميه سليمان وعبد الله بقتل الأول واستسلام الثاني، وقضى على ما نشب من فتن، وغزا بلاد الفرنجة وصد عدوانهم على الثغور.

4 –عبد الرحمن (الثاني) بن الحكم (206- 238هـ):

توفي الحكم الأول سنة 206هـ فخلفه ابنه عبد الرحمن الثاني بعهد من أبيه. في عهده ثارت فتنة بين اليمينية و المضرية على منطقة (تدمير)، فقمعها

الحكم وأمر بهدم (تدمير) وأقام مكانها مرسى للسفن، فسميت (مرسية)، وأخمد عصيان أهل طليطلة وتابع غزو الممالك النصرانية.

5 – محمد (الأول) بن عبد الرحمن (238-273 هـ):

توفي عبد الرحمن الثاني سنة 238هـ فخلفه ابنه محمد الأول بعهد من أبيه. في عهده ثار المولدون بزعامة عمر بن حفصون، وثار عليه أهل طليطلة وتحالفوا مع ملك (جليقة). وأثار الراهب (ايلوخيو) فتنة انتهت بقتله. ونشبت بين محمد وبين ملوك النصارى حروب انتهت بغلبته عليهم والاستيلاء على كثير من قلاعهم وحصونهم. في عهده هاجم (النورمان - الفايكونج) السواحل الأندلسية وتولى قائد البحرية الأندلسية (خشخاش بن سعيد) طردهم.

6 – المنذر بن محمد (273-275 هـ):

توفي محمد الأول سنة 273هـ وخلفه ابنه المنذر الأول، ولم يطل حكمه سوى سنتين.

7 – عبد اللـه بن محمد (275- 300هـ):

توفي المنذر سنة 275هـ وخلفه أخوه عبد اللـه بن محمد. ثار عليه أمراء أشبيلية وتتابعت في عهده ثورات المولدين وطال حكمه خمسا وعشرين سنة.

8 – خليفة الأندلس عبد الرحمن الناصر (300-350):

توفي عبد اللـه بن محمد فخلفه حفيده عبد الرحمن (الثالث)، وتلقب بلقب الخلافة، حين انهارت سلطة الخليفة في بغداد وهو أول من تلقب بلقب الخلافة في دولة الأمويين بالأندلس، وكان أسلافه يتلقبون بلقب (الإمارة). امتد حكمه خمسون سنة أمضاها في قمع الثورات وفي حروبه مع الفرنجة. وقد بلغت الدولة الأموية في عهده منتهى رفعتها في القوة والعلم والعمران. ففي القوة كان لها السيطرة الكاملة على بلاد الثغور المتاخمة لبلاد العدو، وفي العلم أصبحت قرطبة محجة العلماء، وكثر قصادها من أعلام المشرق، ونفست بهم على بغداد. وفي العمران بني عبد الرحمن مدينة الزهراء وصب فيها عبقرية العرب في الهندسة

والبناء والزخرفة العجيبة، فجاءت أعجوبة الزمان وآية من آيات الفن الرفيع. وقد أضاف إلى لقب الخلافة لقب (الناصر لدين اللـه)، فكان يعرف به.

9 – المستنصر باللـه الحكم بن عبد الرحمن الناصر (350- 366هـ):

توفي عبد الرحمن الناصر سنة 350هـ فخلفه ابنه الحكم (الثاني) بعهد من أبيه وتلقب بلقب (المستنصر باللـه)، وقد سار سيرة أبيه، فحارب ملوك (قشتالة) و (ليون) و (نافار) وقهرهم وصد هجماتهم. في عهده أغار (النورمان - الفايكونج) على السواحل الأندلسية للمرة الثانية فصدهم. ازدحم العلماء على بابه، وغصت بهم مجالسه، وترجمت إلى العربية كتب كانت تهدى إليه من أباطرة الروم، وقد أنشأ مكتبة حوت أربعمائة ألف مجلد، ولم يكن من أهل الأندلس في عهده من لا يعرف القراءة والكتابة، بينما كان الجهل يسود أوروبا، ولم يكن فيها من يعرف الكتابة والقراءة إلا القليل.

10 – هشام بن الحكم (366هـ):

- توفي الحكم (الثاني) المستنصر باللـه سنة 366هـ وخلفه ابنه هشام (الثاني) بعهد من أبيه وتلقب بلقب (المؤيد باللـه)، ولم يكن قد تجاوز الحادية عشرة من عمره. وكان العهد إليه بإصرار أمه (صبح) البشكنسية عن زوجها الحكم وبتأييد حاجب القصر محمد بن أبي عامر. وقد استطاع هذا الحاجب أن ينتزع السلطة من الخليفة القاصر وأن يستقل بها وأن يقيم الدولة العامرية بزعامته.

- الدولة العامرية:

11 - قضى ابن أبي عامر على نفوذ (صبح) أم الخليفة، كما قضى على نفوذ الوزير عثمان المصحفي وحجب الخليفة عن الناس، وألزمه الإقامة في القصر وأعد له ما يلهي طفلا في مثل سنة ويصرفه عن التفكير في غير ما أريد له وفرض عليه. خاض ابن أبي عامر حروبا بلغت - كما يقول المؤرخون - خمسين وقعة، كتب له النصر في أكثرها، ومن أجل ذلك تلقب بالمنصور، ومات

متأثرا بجراح أصابته في آخر حروبه. وأمر أن يوسد في القبر على لِبَنَتَيْنِ صنعهما مـما جمـع على وجهه من غبار جهاد النصارى .

ثـم تحـالف ملـوك الفرنجـة لقتـال المسـلمين بعـد وفـاة ابـن أبي عـامر وقيـام دول الطوائف، وذلك بإثارة الضغائن بين ملوك تلك الدول واستنجادهم بملوك وأمراء الفرنجـة، الذين كانوا يفرضون على من أعانوه مبالغ كبيرة، كثيرا ما كان يعجز عـن أدائهـا، وينتهـي الأمر بالاستيلاء على مملكته وطرده منها.

12 - توفي ابن أبي عامر (المنصور) بعد سبع وعشرين عاما مـن تغلبـه عـلى الحكـم، فخلفه في الحجابة ابنه عبد الملك، وتلقب بلقب (المظفـر باللــه)، وسـار في تـدبير الملـك سيرة أبيه. وظل الخليفة هشام محجوبا عن الناس وقد بلغ من العمر سبعا وثلاثين عاما.

13 - توفي عبد الملك سنة 399هــ فخلفـه في الحجابـة أخـوه عبـد الـرحمن الملقـب بلقب (شنجول) فأخرج هشاما من معتقله وأكرهه أن يوليه الخلافة من بعده، فكتب لـه بذلك عهدا. ولما علم أهل قرطبة بالأمر ثاروا على عبد الرحمن واجتمعوا على أموي يدعى محمد بن هشام من أحفاد عبد الرحمن الناصر وبايعوه وتلقـب بمحمـد المهـدي وتمكـن من قتل (شنجول) وبه انتهت دولة بني عامر.

عودة الخلافة إلى بني أمية (محمد المهدي وسليمان المستعين):

14 - حجز محمد المهدي هشاما المؤيد وادعى أنه مات وأعلن للناس وفاته وأخـرج لهم جثة شخص شبيه بـه وصـلى عليهـا ودفنهـا باحتفـال. ولم يلبـث أن ثـار عـلى محمـد المهدي ابن عم له يدعى سليمان بن الحكم ابن سليمان بن عبد الـرحمن النـاصر ونازعـه الخلافة، والتف حوله البربر. وقد استعان كل منهما بملك من ملـوك الفرنجـة، وفي الحـرب تمت الغلبة لسليمان بن الحكم وقتل محمـد (المهـدي) ودخـل سـليمان إلى قرطبـة وكـان ذلك سنة (400 - 402هـ) وأحضر هشاما (المؤيد) وكان حيا، فتنازل لسليمان عن الخلافـة وبايعه وتلقب بلقب (المستعين باللـه).

واختفى بعد ذلك المؤيد وقيل أن المستعين قتله. وقد أقطع المستعين زعماء البربر الذين نصروه إقطاعات في جنوب الأندلس وشرقه، فأعلن بقية الولاة استقلالهم وانفصالهم عن قرطبة وبذلك انفرط عقد الدولة الأموية، وقامت على أنقاضها دويلات مستقلة لطوائف من العرب والبربر و الصقالبة، يحكم كل طائفة منها حكام سلكوا مسلك الملوك وعرفوا بملوك الطوائف وفقدت قرطبة مكانتها كعاصمة واستوت مع دول الطوائف، وتعاقب عليها حكام من أصول عربية منهم أدارسة من بني حمود ومنهم من بني جهور ومنهم بقايا من بني أمية.

قيام دولة بني حمود في قرطبة:

(علي بن حمود الإدريسي والقاسم بن حمود ويحيى بن علي بن حمود):

15 - ساءت سيرة المستعين بالله فثار أهل قرطبة عليه واستنجدوا بالأمير علي بن حمود الإدريسي الهاشمي، أمير (سبتة)، فاستجاب لهم وتوجه سنة 407هـ مع جيش من البربر، فدخل قرطبة وقتل المستعين ولقب نفسه (المتوكل على الله الناصر لدين الله)، وكان شديدا على مماليكه فاغتالوه سنة 408هـ فخلفه أخوه القاسم ابن حمود، وتلقب بلقب (المأمون).

وفي سنة 413هـ ثار عليه البربر وخلعوه وولوا ابن أخيه يحيى بن علي الإدريسي وتلقب بلقب (المعتلي بالله). ولم يلبث أن خلعه البربر وأعادوا عمه القاسم بن حمود فبايعوه وتلقب بلقب (أمير المؤمنين) ثم إنهم خلعوا القاسم وأعادوا ابن أخيه يحيى للمرة الثانية.

- عودة الحكم إلى بني أمية:

(المستظهر، المستكفي، المعتد)

16 - خلع أهل قرطبة يحيى بن علي وبويع أموي يدعى عبد الرحمن (الخامس) ابن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر خليفة وتلقب بلقب (المستظهر بالله)، ولم يلبث سوى شهر ونصف من عام 413هـ حتى خلع وبويع أموي يدعى محمد (الثالث) ابن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر

وتلقب بلقب (المستكفي بالـلـه)، وبعد أربع سنوات من ولايته خلـع وبويـع أمـوي آخـر يدعى هشاما (الثالث) ابن محمد بن عبد الملك بن عبد الـرحمن النـاصر وتلقـب بلقـب (المعتد بالـلـه) وقد ضاق أهل قرطبة بسوء تصرفه فخلعـوه وأخرجـوه مـن قرطبـة سـنة 422هـ وبه انقرضت دولة بني أمية في الأندلس.

قيام دولة بني جهور في قرطبة:

بعد خلع المعتد بالـلـه ولى أهل قرطبة علـيهم الـوزير أبـا الحـزم بـن جهـور، فقـام بتدبير الأمور إلى أن مات سنة 435هـ وخلفه ابنه أبو الوليـد محمـد بـن جهـور، ومـا زال على قرطبة حتى خلعه أهلها سنة 462هـ فأعقبه ابنه عبد الملك، فأساء السيرة فـأخرجوه عنها.

ضم قرطبة إلى أشبيلية:

بعد خلع عبد الملك بن جهور سنة 468هـ زحف المعتمد بن عباد أمير أشبيلية عـلى قرطبة فملكها وزالت دولة بني جهور ومعها دولة قرطبة.

- دولة المرابطين في الأندلس:

في عام 477هـ استولى ألفونسو السادس ملك (ليون) على طليطلـة واستخلصـها مـن بني ذي النون وعقد حلفا مع ملوك الأقاليم المسيحية للاسـتيلاء عـلى أشـبيلية، فاسـتنجد أميرها المعتمد بن عباد بيوسف بن تاشفين، أمير دولة المرابطين في المغرب الأقصى، فأنجده وقدم إلى الأندلس على رأس جيش من البربر وقاتل ألفونسو ومحالفيـه في معركـة شـهيرة جرت في موقع يعـرف بالزلاقـة، بـالقرب مـن بطليـوس وذلـك في 12 رجـب سـنة 479هـ وانتهت بنصر المرابطين وسحق الجيش الأسباني في موقعة مشهودة من أيام الإسلام.

وبعد هذه الموقعة أخذ المرابطون يستولون على دول الطوائف واحـدة بعـد أخـرى وينفون ملوكها إلى المغرب الأقصى وأقاموا في الأندلس دولـة للمـرابطين عاصـمتها قرطبـة. وقد دامت دولتهم حتى قضى عليها الموحدون بزعامة عبد الـلـه بن تومرت.

دولة الموحدين في الأندلس:

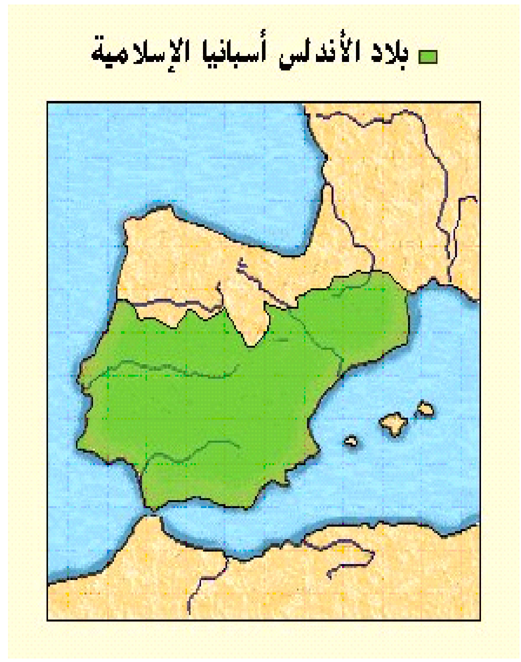
اضـمحلت دول المـرابطين في الأنـدلس بعـد وفـاة يوسـف بـن تاشـفين وقـد أطمـع اضمحلالها ملوك النصارى، فتحالفوا للقضاء عليها، فسارع الموحدون إلى صدهم ودخلـت جيوشهم الأندلس سنة 543هــ والتحمـوا مـع الأسـبان في معركـة ضـارية عرفـت بمعركـة (الأرك) وانتصروا عليهم نصرا مبينا.

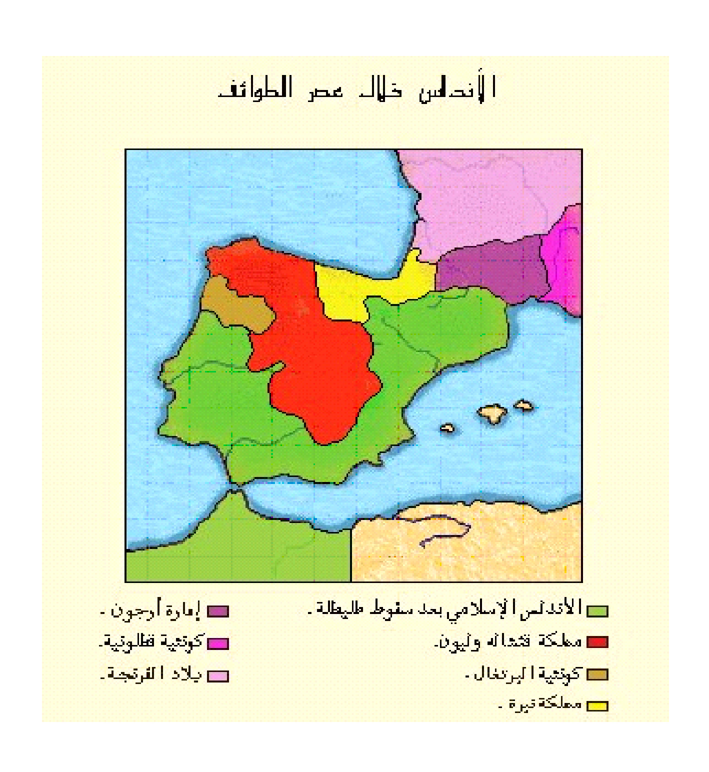
وقد أخذ الأسبان بعدها يعدون العدة لمعركة أخـرى، جمعـوا لهـا قـواهم وحشـدوا جيوشهم، والتقوا مع جيش الموحدين سـنة 609هــ في معركـة عرفـت بمعركـة (العقـاب) وكانت معركة فاصلة تم فيها النصر للأسبان.

نهاية دولة الموحدين في الأندلس:

بعد معركة العقاب بدأ مصير الأندلس يهتز، وأخذت قواعد الأنـدلس تسـقط في يـد الأسبان ولم تأت سنة 644هـ حتـى سـقطت دولـة قرطبـة و بلنسـية ودانيـة و مرسـية في أيديهم. أما غرناطة فقد ثبتت خلف حصونها. ثم انهارت مقاومتها وسقطت بيـد الأسـبان سنة 897هـ (1492 م) وبسقوطها انتهى حكم المسـلمين في أسـبانيا ودالـت دولـتهم بعـد حكم دام ثمانمائة عام.


الأندلس
حدوده عند قيام الدولة الأموية سنة ١٣٨هـ/٧٥٦م
مملكة الفرنجة
مملكة ليون
نبرة
أرجون
قطلونية
مملكة ليون
مملكة الفرنجة
أرجون
نبرة
قطلونية


بلاد الأندلس أسبانيا الإسلامية


الأندلس خلال عصر الطوائف
الأندلس الإسلامي بعد سقوط طليطلة .
مملكة قشتالة وليون.
كونتية البرتغال .
مملكة نبرة .
إمارة أرجون .
كونتية قطلونية.
بلاد الفرنجة.

• تاريخ سقوط أهم المدن الأندلسية:

130 هـ / 748 م: بمبلونة	Pmpalone
374 هـ / 985 م: برشلونة	Barcelona
387 هـ / 997 م: سانتياغو	Santiago
392 هـ / 1002 م: ليون	Leon
446 هـ / 1055 م: سلمنقة	Salamanca
456 هـ / 1064 م: قلمربة	Colambra
457 هـ / 1065 م: بربشتر	Barbastro
476 هـ / 1084 م: مجريط	Madrid
477 هـ / 1085 م: طليطلة	Toledo
489 هـ / 1096 م: وشقة	Huesca
507 هـ / 1114 م: تطيلة	Tudela
512 هـ / 1119 م: سرقسطة	Zaragoza
543 هـ / 1177 م: قونقة	Cuonca
585 هـ / 1179 م: شلب	Silves
619 هـ / 1222 م: ماردة	Merida
627 هـ / 1229 م: بطليوس	Badajos
628 هـ / 1230 م: ميورقة (من جزر الباليار)	Mallorca
632 هـ / 1235 م: يابسة	Ibza
633 هـ / 1236 م: قرطبة	Cordoba
633 هـ / 1236 م: طلبيرة	Tolavera

636 هـ / 1238 م: دانية	Denia
640 هـ / 1242 م: قرطاجنة	Cartagena
641 هـ / 1243 م: دانية	Denia
641 هـ / 1443 م: مرسية	Murcia
644 هـ / 1246 م: جيان	Jaen
645 هـ / 1247 م: لشبونة	Lisbaana
645 هـ / 1247 م: شاطبة	Jativa
646 / 1248 م: إشبيلية	Sevilla
647 هـ / 1249 م: لاردة	Lerida
661 هـ / 1262 م: ولبة	Huelva
661 هـ / 1262 م: لبلة	Nibela
661 هـ / 1262 م: قادس	Cadis
686 هـ / 1287 م: منورقة (بقية جزر الباليار)	Menorca
702 هـ / 1310 م: جبل طارق	Giraltar
818 هـ / 1415 م: سبتة	Ceuta
890 هـ / 1485 م: رندة	Ronda
893 هـ / 1487 م: مالقة	Malaga
894 هـ / 1488 م: وادي آش	Cudix
894 هـ / 1488 م: المرية	Almeria
898 هـ / 1492 م: غرناطة	Granada

أعمار الدول الإسلامية

قال تعالى:

﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللـه الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللـه لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (آل عمران.140)

وعن حذيفة رضي اللـه عنه: أن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم قال: (تكون النبوة فيكم ما شاء اللـه أن تكون ثم يرفعها اللـه إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون خلافة على منهج النبوة، فتكون ما شاء اللـه أن تكون، ثم يرفعها اللـه إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون ملكا عاضا فتكون ما شاء اللـه أن تكون ثم يرفعها اللـه إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون ملكا جبريا فتكون ما شاء اللـه أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت.) رواه مسلم.

وفي رواية لابن حماد: من حديث أنس رضي اللـه عنه قال: (إنها ثم ثم.. ملك عضوض.. ثم جبرية، ثم طواغيت !!).

وفي رواية عن شهر بن عطية عن أنس بن مالك قال: (إنها ستكون ملوك ثم جبابرة ثم الطواغيت).

الدولة النبوية	1- 11هـ	(11 عاما)
دولة الخلفاء الراشدين	11-41هـ	(30 عاما)
دولة الخلافة الأموية	42- 132هـ	(90عاما)
دولة الخلافة العباسية	132- 656هـ	(524 عاما)

أعمار الدول الإسلامية المستقلة.. بحسب تسلسل تاريخ قيامها:

1	دولة بني أمية في الأندلس مع دول الطوائف	138– 897هـ	(805 أعوام)
2	الدولة المدارية - المغرب الأقصى	140- 297 هـ	(157 أعوام)
3	الدولة الرستمية – تاهرت/ الجزائر	162 – 296 هـ	(143 أعوام)
4	دولة الأدارسة – المغرب الأقصى	172 – 375 هـ	(203 أعوام)
5	الدولة الإباضية – عُمان	176-792 هـ	(612 أعوام)
6	الدولة الأغلبية – تونس	184 – 296 هـ	(112 أعوام)
7	الدولة الصفارية – سجستان /إيران	254- 298 هـ	(أعوام 44)
8	الدولة الطولونية – مصر والشام	256- 298 هـ	(أعوام 42)
9	الدولة السامانية- ما وراء النهر و طبرستان	261- 389هـ	(أعوام 128)
10	الدولة الحمدانية – الموصل والشام	292- 392 هـ	(100 أعوام)
11	الدولة القرامطة – الخليج العربي	296- 398هـ	(102 أعوام)

12	الدولة الفاطمية- مصر والشام	298 – 567 هـ	(279 أعوام)
13	الدولة الإخشيدية – مصر	323 – 358 هـ	(35 أعوام)
14	دولة بني بويه – بلاد فارس	334 - 447 هـ	(113 عاما)
15	الدولـة الغزنويـة – أفغانسـتان والهند	366- 555هـ	(179 أعوام)
16	دولة بني نجاح – زبيد / اليمن	421- 554هـ	(132 أعوام)
17	دولة السلاجقة – بـلاد الـري في المشرق	429 – 583 هـ	(154 عاما)
18	دولة السلاجقة في الشام	470 - 508 هـ	(38 عاما).
19	دولة السلاجقة في الأناضول	470 - 707 هـ	(237 عاما).
20	الغورية – أفغانستان والهند	439-612هـ	(173 أعوام)
21	الصليحية- صنعاء/ اليمن	450-647هـ	(أعوام 197)
22	دولة المرابطين – المغرب الأقصى	448 – 540 هـ	(92 عاما).
23	الدولـة الخوارزميـة – مـا وراء النهر/خوارزم	470 –617 هـ	(147 عاما).
24	الدولـــة الأرتقيـــة (في آمـــد وماردين)	500 – 809 هـ	(309 أعوام).
24	الدولة الأتابكية (في الموصل)	516 - 660 هـ	(144 عاما).
26	الدولة الأتابكية (في الشام)	541 - 579 هـ	(38 عاما).
27	دولـــة الموحـــدين – المغـــرب	515 - 668 هـ	(153 عاما).

	الأقصى/ بفاس		
28	الدولة الأيوبية في مصر	564 - 648 هـ	(82 عاما).
29	الدولة الأيوبية في الشام	579 – 661هـ	(82 عاما).
30	دولة بني حفص بتونس	625 – 977 هـ	(352 عاما).
31	دولة بني رسول في اليمن	626-826هـ	(200 أعوام)
32	دولة بنـي زيّـان بـن عبـد الـواد بتلمسان	633 – 962 هـ	(329 عاما).
33	دولة المماليك - مصر	648 - 792 هـ	(144 عاما).
34	الخلافة العباسية في مصر	659 – 923 هـ	(264 عاما).
35	دولة بني مـرين المغـرب الأقصى /فاس	668 – 831 هـ	(239 عاما).

أسباب انهيار الخلافة الإسلامية:

يعود انهيار الخلافة الإسلامية إلى عدة أسباب. لعل من أهمها:

أولا – تحول نظام الخلافة إلى النظام الملكي الوراثي:

لما انتقلت الخلافة إلى بني أمية بدلوا نظام الشورى بنظام الإرث في الأسرة.وبدات مرحلة الملك العضوض. فقد عهد معاوية بالخلافة من بعده لابنه يزيد وانتزع البيعة له بالمال لمن يخضع للمال، وبالقوة لمن يخضع بالقوة، ثم انتقلت الخلافة، إلى بني مروان ابن الحكم من بني أمية. ثم اتسع بعد ذلك نطاق الخلفية، فأصبح الخليفة يعهد إلى ابنين أو أكثر من أبنائه يتوارثونها واحدا بعد آخر بالترتيب الذي يقرره، كما فعل عبد الملك بن مروان بن الحكم فقد عهد بالخلافة من بعده إلى أبنائه: الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام. وقد توسط عمر بن عبد العزيز بين سليمان ويزيد بعهد من سليمان.

واستقر نظام الخلافة في الدولة الإسلامية بعد ذلك على نظام الإرث وأصبحت البيعة رسما شكليا يقبل عليها الناس، يتقدمهم الأمراء والكبراء والعلماء، وتؤخذ عليهم الأيمان المغلظة مع الحلف بالطلاق و العتاق لكي لا يتحللون منها. وفي العصر العباسي الثاني لم يعد أحد يبالي بالبيعة بعد أن أصبح مصير الخلافة بيد المتغلبين من القادة الأعاجم من فرس وترك. وقد ترتب على وراثة الخلافة مفسدتان أساسيتان وهما:

الصراع من أجل الملك . وظاهرة الاستبداد والظلم.

1 - الصراع من أجل الملك:

وقد امتلأت كتب التاريخ المختلفة بصور كثيرة من صراعات الأسر المتعددة على الملك، ومن صراعات القصور داخل الأسرة الواحدة على ولاية العهد..

وقد وقف الفقهاء من نظام الإرث في الخلافة موقف المسلم بالأمر الواقع، من باب سد باب مزيد من الفتن، فأجازوا للخليفة أن يعهد بالخلافة إلى ابنه أو

إلى ابن أخيه، ثم أجازوا أن يعهد بالخلافة لعدد من أبنائه يتوارثونها على الترتيب الذي يقرره، كذلك قبلوا خلافة من ينال الخلافة بالغصب والسيف، حتى لو كان فاجرا، لكيلا يبيت المسلمون بلا خليفة. وبذلك يدخل في باب الإجازة جميع الخلفاء والملوك والأمراء الذين شملتهم قاعدة الإرث،أو التغلب. البر منهم والفاجر.

2 - ظاهرة الاستبداد والظلم:

لما انتقل نظام الخلافة من قاعدة الشورى إلى نظام الإرث، وأصبحت البيعة رسما شكليا، تؤخذ بالرغبة أو الرهبة.

صار سلطان الملوك مطلقا لا رقيب عليه، يتصرف على هواه. وقد نشأ عن ذلك انحراف عن خطة الإسلام وتعطيل لجدوى فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فلم يعد الأمر كما جاء في خطاب أبي بكر حين تولى الخلافة فقال: " أيها الناس، إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني. أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم. ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى أخذ الحق له، وأضعفكم عند القوي حتى آخذ الحق منه "

وقد ترتب على ممارسة الخليفة سلطانه المطلق نشوب هذا العدد الكبير من الثورات، وهكذا أدت ظاهرة الإحتجاج على الظلم والاستبداد، إلى إنهاك موارد الدولة وأضعفت قوتها.

وقد وقف الفقهاء أمام مشاهد الاستبداد والظلم فريقين: فريق أراد الدنيا فدخل في دنيا الخلفاء ونال حظه منها، ومنهم من زين أفعالهم فازداد منهم قربا. وفريق أراد الآخرة وسعى لها فتنكب عنهم وصمت على مضض، وأبى أن ينال عملا من ولاية أو قضاء، لكيلا يعمل في ظل حكم جائر فيسأل عنه، ويعتبر عمله عنده شهادة حسن سلوك من العالم للحاكم أمام الرعية. وهي من أسوأ شهادات الزور العملية. ومن هؤلاء الإمام أبو حنيفة والإمام أحمد وسفيان

الثوري وعبد اللـه بن إدريس وعبـد اللــه بـن وهـب و وكيـع بـن الجـراح وطـاووس و الأوزاعي، ومحمد بن أسلم الطوسي، وسـعيد بـن المسـيب، وسـعيد بـن جبـير، ... كثـيرون غيرهم، في حين أخذ البعض بعزيمة الأمر والنهي العملي، فخرج يقارع الطغيان كما حصـل من الإمام الحسين رضي اللـه عنه، وكما حصل من القراء الذين خرجوا على الحجاج، وكما حصل من أحمـد بـن نصر الخزاعـي في عهـد الواثـق العبـاسي...، ولما لم تـؤدي كـل تلـك المحاولات إلى إزالة الظلم لأسباب يطول شرحها. وصـار قصـارى موقـف الصـالحين اعتـزال القصور وحكامها، والصدع بالحق، أو الاعتزال عنهم إيثارا لسلامة الدين.

ويلحق بهذا الفريق من تزهد وتصوف وأعرض عن الدنيا واعتزل أهلها وانصرف إلى عبادة اللـه والتأمل في ملكوته، فصفت نفسه ورقت وأمتعته بلذة روحانية لا تعدلها لذة الحياة المادية. وبهذا الفريق بدأ عهد التصوف كظاهرة رفض للحياة المترفة واحتجاجا على شيوع الظلم والاستبداد.

وقد اشتدت ظاهرة الظلم في العصر العباسي الثاني وتضاعفت مع مضاعفة السلطة بـين الخلفاء والمتغلبين. فقد أضيفت إلى وسائل القتل و السمل والـنفخ و الفصـد وقطـع الأعضـاء والحبس في المطامير والتوسيط، والموت عطشا وجوعا والطرح تحت أقدام الفيلـة والإلقـاء في حظيرة السباع. فكان الخليفة أو القائد المتغلب يختار لمن يقتله الميتة بإحدى هذه الوسائل.

وقد ازدادت ظاهرة الظلم ضراوة عندما انتقل الحكم من الملك العضوض، كما كـان حال بني أمية وبني العباس، إلى مرحلة الملك الجبري، كما كان حال معظم حكام التغلـب وأمراء وملوك الدول المستقلة المتصارعة على الملك والسلطان.. يكاد لا يسـتثنى مـن ذلـك إلا ومضات مضيئة قليلة لملوك وأمراء صالحين، مروا في سماء تاريخ أكثر الملوك والسلاطين، كشهب لامعة في سماء الظلم والظلمات.

وقـد أدى اشـتداد ظـاهرة الظلـم منـذ الـعصر العبـاسي الثـاني إلى نشـاط التصوف والتفاف العامة حول المتصـوفة، يجـدون العـزاء عنـدهم والاطمئنـان، ويلتمسون في جوارهم الصبر على احتمال الظلم وتعزيـة الـنفس بوعيـد اللـــه

الانتقام لهم...، بعد أن ازداد مع الأيام افتراق السلطان والقرآن كما أخبر رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم. حتى ما إذا دخلنا تاريخنا الحديث، وجاء عصر الطواغيت الذي أخبر عنه سيدنا المصطفى صلى اللـه عليه وسلم، منذ أواخر الدولة العثمانية ثم حكومات الإستعمار، ثم حكومات ما أسمي (الإستقلال)، وصلنا إلى مرحلة تواجه السلطان مع القرآن، وليس مجرد افتراق السلطان والقرآن.كما سيمر بعض شواهد ذلك في فصول الكتاب اللاحقة إن شاء اللـه تعالى ويسر. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

ثانيا - الزواج من الإماء وتدخلهن في شؤون الحكم وولاية العهد:

كانت زوجات وأمهات الخلفاء في عهد الخلفاء الراشدين من شريفات النساء ومن أعراق عربية. كذلك كان خلفاء العهد الأموي.

ولم يشذ عن القاعدة سوى اثنين من خلفاء بني أمية هما: يزيد بن الوليد بن عبد الملك و مروان بن محمد بن الحكم، آخر خلفاء بني أمية، فأم يزيد فارسية تدعى (شاه فرند) وهي بنت فيروز بن يزدجرد بن كسرى، آخر ملوك الفرس. وأم مروان بربرية من قبيلة (نفزة) بالمغرب الأقصى.

أما زوجات وأمهات خلفاء بني العباس فجميعهن من الجواري المحررات، من فارسية ورومية وتركية و أرمنية وبربرية، باستثناء ثلاثة منهم وهم: أبو العباس السفاح والمهدي والأمين. كذلك كانت زوجات وأمهات أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس، فقد كن من نساء النصارى المستبيات أو المهداة إلى الأمراء والخلفاء وفيهن من بنات ملوك وأمراء النصارى الأسبان.

ومن أشهر النساء في دولة بني العباس، الخيزران زوجة المهدي وأم ولديه موسى (الهادي) وهارون (الرشيد)، وصبيحة (القبيحة) زوجة المتوكل وأم ولده المعتز، و(شغب) زوجة المعتضد وأم ولده المقتدر. ومن أشهر النساء في دولة الأندلس (طروب) زوجة الأمير الأموي عبد الرحمن الثاني وأم ابنه عبد اللـه. و(صبح) زوجة الخليفة الأموي الحكم المستنصر الأندلسي وأم ولده هشام (المؤيد).

وقد جرى على هذه السنة الوزراء والحجاب وملوك الطوائف، فقد تـزوج المنصـور بن أبي عامر ابنة (سانشو الثاني) ملك (نافار) ثم تزوج ابنـة (برمـود الثـاني) ملـك (ليـون)، وكان زواجه منهما لغرض سياسي أريد منه التقوي بمن صـاهروه عـلى أعدائـه مـن ملـوك آخرين أو على أمراء من المسلمين كانوا قد خرجوا عليـه. وتـزوج المعتمـد بـن عبـاد أمـير إشبيلية جارية من جواري نخاس يدعى (ابن رميك)، فعرفت بالرميكية. كذلك كـان شـأن الخلفاء الفاطميين.

وقد كان لكثير من هؤلاء الجواري الأمهات دورا في سياسة الدولة أدى إلى صراع مـن أجل الخلافة وانشقاق بين الأخوة وأبناء العمومة، وكان ذلـك مـن أسـباب ضـعف الدولـة وانهيارها.

من ذلك ما كان للخيزران، زوجة المهدي، مـن شـأن في عهـد زوجهـا، فكـان الـوزراء والكبراء يقفون على بابها لحاجاتهم. ولما تولى ابنها موسى (الهادي) الخلافة أراد الحط من شأنها ومنعها من التدخل في شئون الدولة فعملت على قتله كما قيل.

وهذه (قبيحة) زوجة المتوكل أغرت زوجها بتقديم ابنها (المعتز) على أخيـه المنـتصر في ولاية العهد، فكانت سبب قتل زوجها المتوكل.

وأما (شغب) فقد كان لها مشـاغباتها والكلمـة العليـا في قصر المعتضـد وولي عهـده المقتدر، ويكفي للدلالة على ذلك ما زعموا من أن قهرمانتها تولت النظر في المظالم.

وأما (طروب) فقد حاولت مؤامرة لقتل زوجها عبد الرحمن بن الحكم لتـدفع عـن ابنها (عبد اللـه) منافسة أخيه (محمد) في خلافة أبيه، وقد اكتشف زوجها عبـد الـرحمن المؤامرة وتغابى عن فعل زوجته وظل محتفظا بإيثاره لها ودلها عليه لفرط حبه لها.

وهذه (صبح) زوجة الحكم المستنصر فقد فرضت ابنها (هشاما) لولايـة العهـد ولمـا يبلغ الحادية عشرة من عمره.

وهذه (الرميكية) زوجة ابن عباد تفتن زوجها بدلها وتصبيه بجمالها فينطلق في التغزل بها بشعر عذب رقيق، حتى فرش لها المسك والكافور معجونا بماء الورود فصنع لهل طينا لما اشتهت أن تعافس الطين كفلاحات رأتهن من نافذة القصر !! فصرفته عن أمور الدولة إلى لهو أغرى به ألفونسو السادس الملك الإسباني، فهم بالانقضاض عليه، لولا أن أنجده يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين، فدفع عنه الأسبان ثم استولى على ملكه. ونفاه إلى المغرب الأقصى مع زوجته وأولاده ليقرض الشعر في سجن(أغماد).

ولا ريب أن الأمهات الأجنبيات قد خلَّقن أبناءهن بأخلاقهن ورسخن فيهم تقاليدهن التي نشأن عليها ورفعن إلى سدة الحكم أبناء فيهم من لم يبلغ الحلم، وفيهم من عاش في نعيم القصور فغلب عليه اللهو والمجون، وتولى الحكم أعوان، من وزراء وقادة، فانقادوا لأطماعهم وأهوائهم وكانوا من أسباب انهيار الدولة. وصدق عمر رضي الله عنه.

فقد ورد في مصنف ابن أبي شيبة عن خرشة بن الحر قال: قال عمر:

(تهلك العرب حين يبلغ أبناء بنات فارس). وكذلك جاء فيه عن عبد الله بن عمرو قال: (لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلا حتى نشأ فيهم أبناء سبايا الأمم فقالوا فيهم بالرأي فضلوا وأضلوا).

ثالثا -تجنيد الموالي:

لما تولى المعتصم بن الرشيد الخلافة تحول الطابع العربي للجيش، وصار أكثر الجند من الأتراك، وكان يُأتي بهم من تركستان أطفالا، حيث يربون على الحرب والقتال. وعظم شأنهم في عهد الخليفة الواثق ومن بعده المتوكل، وارتقى فريق منهم إلى رتبة القادة.

ومن ذلك الوقت أضحى الإسلام في حالة دفاع عن الحدود التي وقفت عندها فتوح الخلفاء الراشدين ومن بعدهم بنو أمية. وقد تحول الجند الموالي إلى جنود مرتزقة، يعتصبون إذا ما تأخرت أرزاقهم ويهددون بالعصيان وقد رتبوا لأنفسهم حقوقا عند نصب الخليفة يعرف برسم البيعة.

رابعا: حياة الترف و السرف:

أخذت الفتوحات تتوالى وتتسع حتى بلغت منتهاها في العصر الأموي، فانبسطت أسارير الدنيا على المسلمين. وفي العصر العباسي بلغ السرف غايته عند الخلفاء والأمراء والوزراء و سراة الناس، وتطاولت القصور، واتسعت الدور، تخطر في أبهائها جوار مثل الحور.. من كل جنس ولون.

وقد حفلت القصور بمجالس الطرب، يرتادها الشعراء ويتبارون بوصف ما يجري فيها من لهو وعبث، فينالون بما تجود به قرائحهم وتنطلق به لهواتهم، الجوائز على أقدارهم. وقد دونت أخبار تلك المجالس وما كان يجري فيها من إسراف باللهو والمجون وحتى الخمور في دواوين الشعراء وكتب الأدب والأخبار.

ومن مشاهد اللهو والعبث ومظاهر الترف و السرف ما روي عن ترف الخليفة المقتدر، فقد كان مبذرا مؤثرا للشهوات، وقد وزع جواهر الخلافة ونفائسها على حظاياه. ومن فنون لهوه أنه أراد في يوم أن يشرب على نرجس في بستان قصره، وكان وقت تسميد الزرع، فاستبدل السماد بالمسك، بمقدار ما احتاج إليه البستان من السماد وسمد به، وجلس يشرب يومه وليلته، واصطبح من غده، فلما قام أمر بنهب المسك، فانتهبه الخدم والعاملون في البستان واقتلعوه من أصول النرجس، وخرج منه مال عظيم.

ومن مشاهد الترف و السرف ما كان ينفق في أعراس الخلفاء، ففي عرس الرشيد على زبيدة بنت جعفر بن المنصور، قدم الرشيد ما لم يقدم لامرأة قبلها من الجوهر والحلي والتيجان والأكاليل وقباب الفضة والذهب والطيب والكسوة، وقد بلغت نفقة هذا العرس من مال بيت المال - سوى ما أنفقه الرشيد - خمسون ألف ألف (مليون) درهم. وفي عرس المأمون على بوران بنت الحسن بن سهل وزعت رقاع بأسماء ضياع وقصور وصلات، وجعلت الرقاع في بنادق المسك، ونثرت بين أيدي العروس، فكان الذي يلتقط شيئا يحبس عليه، وقد قدرت نفقة ذلك العرس بأربعين ألف ألف (مليون) درهم، عدا ما أنفقه والد العروس.

ومن مشاهد الترف و السرف ختان أبناء الخلفاء، فقد حفظ التاريخ لنا وصفا مسهبا لاحتفال الخليفة المتوكل بختان ولده المعتز، وقد بلغت نفقاته ستة وثمانين ألف ألف درهم، وقيل إن الناس كانوا يستكثرون ما أنفق في عرس المأمون ثم أتى ما أنفق في ختان ابن المتوكل ما أنسى ذلك.

ومثله ما أنفقه الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر في إعذار (ختان) حفدته بقصر الزهراء.

ومن مشاهد الترف و السرف النهم في الطعام وفي النكاح. فانتشرت المطاعم الشهية، وصارت تقدم في أوان من ذهب وفضة،..

وقد أزاح سيف الجلاد ميزان العدل فأصمت الحق، وأضحى قوله مهلكة يطلبها من أراد الاستشهاد.

ولم تقتصر مجالس الخلفاء ومن سار سيرتهم من السلاطين على مشاهد الترف و السرف بل كانت تحفل باللهو والعبث، فكان الندماء يقومون بضروب اللهو الماجن، وربما تحلل الحضور من أبهة الملك لمزيد من العبث. وقد تأسى الوزراء والكبراء بسيرتهم و كانت تجري في مجالسهم مشاهد فيها أنوع من اللهو و الطرائف.

و من أسباب وعوامل تتابع انهيار الدول الإسلامية:

1- ارتقاء ملوك صغار سدة الملك:

فقد ابتليت الأمة بما أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من (إمارة الصبيان):

فعن أبي هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تعوذوا بالله من سنة سبعين، ومن إمارة الصبيان).

فارتقى سدة الملك ملوك صغار منهم أطفال ومنهم أحداث مراهقون،وقد بدأ هذا منذ عهد بني أمية. وأما في المرحلة التي نحن بصددها فنذكر فيما يلي طرفا منهم:

في دولة بني العباس:

أ. المقتدر خلف أخاه المكتفي سنة 295هـ وعمره ثلاث عشرة سنة.

ب. المقتدي خلف جده القاسم بأمر الله سنة 467هـ وعمره ستة عشر عاما.

ج. المستظهر خلف أباه المقتدي سنة 487هـ وعمره سبعة عشر عاما.

وفي الدولة السلجوقية:

أ. ملكشاه الثاني خلف أباه بركياروق وعمره أربع سنوات !!.

ب. محمود بن محمد بن ملكشاه الأول خلف أباه وعمره أربعة عشر عاما.

وفي الدولة الفاطمية :

أ. الظاهر بن الحاكم بأمر الله خلف أباه سنة 411هـ وعمره ستة عشر عاما، وكان أبوه الحاكم قد خلف أباه العزيز سنة 365هـ وعمره أحد عشر عاما !.

ب. المستنصر خلف أباه الظاهر سنة 427هـ وعمره سبع سنين.

ج. الآمر بأحكام الله خلف أباه المستعلي سنة 495هـ وعمره خمس سنين!!. وما أدري بأي أحكام سيأمر مثل هذا الرضيع ؟!

د. الظافر خلف أباه الحافظ سنة 544هـ وعمره سبعة عشر عاما.

ه. الفائز خلف أباه الظافر سنة 549هـ وعمره خمس سنين !.

و. العاضد خلف جده الحافظ سنة 555هـ وعمره أحد عشر عاما.

و في الدولة الأتابكية:

أ. عز الدين مسعود الثاني خلف أباه مودود بن عماد الدين زنكي سنة 572هـ وعمره عشر سنين !.

ب. نور الدين أرسلان خلف أباه عز الدين مسعود سنة 589هـ وعمره عشر سنين!.

ج. الصالح إسماعيل خلف أباه نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي سنة 569هـ وعمره 11عاما!.

وفي الدولة الأيوبية:

أ. المنصور محمد حفيد الناصر صلاح الدين الأيوبي خلف أباه العزيز عثمان سنة 595هـ وعمره عشر سنين !.

ب. الأشرف موسى حفيد الملك الكامل الأول خلف ابن عمه توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة 648هـ وعمره ستة أعوام !!.

ج. الملك العزيز محمد خلف أباه الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي سنة 612هـ وعمره ثلاث سنوات !!.

د. الناصر صلاح الدين (الثاني) يوسف بن العزيز محمد خلف أباه سنة 634هـ وعمره سبع سنين !.

وفي دولة المماليك:

أ. الملك العادل سلامش خلف أباه الملك الظاهر بيبرس سنة 678هـ وعمره سبع سنين.

ب. الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون خلف أباه (في ولايته الأولى) سنة 693هـ وعمره تسع سنين. وفي ولايته الثانية أربعة عشر عاما.

ج. الملك الأشرف كجك خلف أباه الناصر محمد بن قلاوون وعمره سبع سنين !.

د. الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون خلف أخاه شعبان وعمره سبعة عشر عاما.

ه. الملك الناصر حسن خلف أخاه سيف الدين حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون وعمره أحد عشر عاما.

و في الدولة الأموية بالأندلس:

هشام الثاني المؤيد بن الحكم المستنصر خلف أباه سنة 366هـ وعمره عشر سنين.

وفي دولة المرابطين:

إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين خلف ابـن أخيـه إبـراهيم بـن تاشـفين سـنة 541هـ وعمره عشر سنين.

وفي دولة الموحدين:

المستنصر أبو يعقوب بن محمد الناصر خلف أبـاه سـنة 611هــ وعمـره سـتة عشر عاما.

ولم يكن ما مر من عددنا من أطفال وأحداث ومراهقين رقوا سدة الملك عـلى سـبيل الحصر، بل على سبيل المثال. فقد أتاح نظام الخلافة في دول الإسلام أن يخلـف الابـن أبـاه أو أخاه ولو لم تتوفر فيه أهلية الحكم، وهذا ما لا يأتلف مـع شريعـة الإسـلام، لأن شروط الخلافة أن يقوم اختيار الخليفة على مبدأ الشورى وأن يكـون راشـدا سـليم العقـل ومـن أهل العلم فضلا عن الشروط الأخرى.

وقد أدى نظام الخلفيـة في الملـك وارتقـاء الصـغار سـدة الحكـم إلى تـزاحم الـوزراء والأمراء في الوصاية علـيهم أو النيابـة عـنهم. لأن مـن يحظـى بـذلك تـؤول إليـه السـلطة الفعلية في الحكم وفي التصرف بأموال الدولـة كـما يشـاء فيغنـى غنـاء فاحشـا. وإذا وقـع الاختيار على واحـد مـنهم، أقـيم الاحتفـال بخلافـة الخلـف فيـزين بزينـة الملـك ويـكسى بكسوته، وقد يكون الخلف صغيرا فيحملـه مـن انتصـب وصـيا عليـه ويـدخل بـه مكـان الاحتفال، وقد يرتاع الصغير مما يشهد فيندفع بالبكاء، وقد يشتد روعـه ويجـري لـه أمـر مفزعا، كما جرى للفائز الفـاطمي - وكـان في الخامسـة مـن العمـر - حـين حملـه الـوزير العباس بن أبي الفرج الصنهاجي ودخل به إلى مكان الاحتفال، فارتاع الصبي مما رأى وبال على كتف الوزير.. فأفاض من كرمه على معالي الوزير !!.

وإذا كان الخلف حدثا حجزوه بالقصر، بعد الاحتفال بخلافته، وحجبـوه عـن النـاس وجمعوا له صبية في مثل عمره يلاعبونه. وإذا كان الخلف مراهقا ألهـوه بـالجواري وبكـل ما يغري من كان في مثل سنه من أنواع المتع والـلـهو الماجن كما جرى للظافر بن الحافظ الفاطمي حين بويع خلفا لأبيه وهو في السابعة عشرة من العمر.

2- الصراع على الملك:

أدى انشطار العالم الإسلامي إلى دويلات كثيرة إلى نزاع بين ملوكها وصراع مريـر أدى إلى انهيارها وزوالهـا، كـما أدى تربـع الصـغار والأحـداث سـدة الملـك إلى اسـتئثار نـوابهم (الأتابكة) بالسلطة وائتمار بعضهم ببعض لانتزاع هذه السلطة واستبدادهم بها.

أ- ففي دولة السلاجقة:

كان طغرلبك الأول، مؤسس دولة السلاجقة، قـد عهـد بالخلافـة مـن بعـده إلى ابـن أخيه سليمان بـن داود، فلـما تـوفي طغرلبـك سـنة 455هــ انتـزع ألـب أرسـلان بـن داود السلطنة من أخيه سليمان، ثم ثار عليه ابن عمه قتلمش بـن أرسـلان بيغـو فقاتلـه ألـب أرسلان وقتله.

وخلف ملكشاه أباه ألب أرسلان بعد وفاته سنة 465هــ فخـرج عليـه سـليمان بـن قتلمش وتمكن من بسط نفوذه على قسم كبير من آسيا الصغرى (الأناضول) كما أوضـحنا من قبل. وفي عام 466هـ ثـار قـاورت بـن داود عـلى ابـن أخيـه ملكشـاه فلقيـه ملكشـاه بناحية همذان وأسره ثم قتله.

وفي عام 473هـ ثار (تتش بن ألب أرسلان) عـلى ابـن أخيـه ملكشـاه واسـتولى عـلى بعض مدن خراسان فصالحه ملكشاه على أن يملك (تتش) بلاد الشام فملكهـا وأقـام فيهـا دولة سلجوقية على نحو ما بينا من قبل.

وفي عام 486هـ توفي ملكشاه فخلفه ابنه بركيـاروق سـلطانا أعظـم عـلى السـلاجقة فطلب (تتش) السلطنة لنفسه وتوجه إلى (أصبهان) يقاتـل بركيـاروق مـن أجلهـا وجـرت بينهما معركة فاصلة سنة 488هـ قتل فيها (تتش).

ولم يكد بركياروق يفرغ من قتال عمه (تتش) حتى نازعه على السلطنة العظمى أخواه (سنجر) و (محمد) ابنا ملكشاه وجرت بينهما حروب أدت إلى وهن فيهم وضعف وانتهت باستيلاء دولة خوارزم على دولة السلاجقة في المشرق.

ب- و في الدولة الفاطمية:

بلغت الدولة الفاطمية أوج رفعتها وأقصى سعتها في عهد المعز لدين الله ثم أخذت في التردي والانهيار في عهد ابن حفيده المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بأمر الله ويرجع هذا التردي إلى العوامل الآتية:

أ- صغر سن المستنصر. فقد بويع خلفا لأبيه الظاهر سنة 427هـ وله من العمر سبع سنين فتولت الجواري و الخصيان العناية به والإشراف عليه، وتركت أمور الدولة بين يدي والدته ووزيره أبي منصور صدقة بن يوسف الفلاحي.

وكانت أم المستنصر جارية سوداء ليهودي يدعى أبا سعد إبراهيم بن سهل التستري وكان الظاهر قد اشتراها منه و استولدها ابنه المستنصر.

ولما خلف المستنصر أباه وزر له أبو منصور صدقة الفلاحي، وكان يهوديا ثم ادعى أنه أسلم وارتفع شأن اليهود في زمان وزارته وأسندت إليهم مناصب الدولة، وولت أم المستنصر سيدها أبا سعد التستري اليهودي وظيفة المستشار لها وعهدت إليه بإدارة أملاكها، وأخذ اليهودي في اضطهاد المسلمين.

ب- أخذ الوزير الفلاحي والمستشار التستري يتنازعان السلطة، وقد استمال الفلاحي الجند الأتراك فقتلوا بأمره التستري ونقمت أم المستنصر على الفلاحي فشرعت في شراء العبيد السود فقتلوا الفلاحي، وثارت الفتنة بين الأتراك والعبيد ودعي القائد بدر الجمالي، أمير عكا فقدم إلى مصر سنة 455هـ وأخمد الفتنة.

جـ- توفي بدر الجمالي سنة 487هـ فخلفه في الوزارة وفي قيادة الجيش ابنه الأفضل أبو القاسم شاهنشاه، وكان المستنصر قد تزوج بأخت الأفضل و

استولدها ولدا سماه أحمد وكان له من زوجة أخرى ولد اسمه نزار، وهو أكبر أولاده وقد عهد إليه بخلافته.

وتوفي المستنصر بعد وفاة بدر الجمالي بقليل وولى الأفضل ابن أخته أحمد الخلافة ولقبه المستعلي وقتل نزارا، وقد أدى ذلك إلى شطر الفاطمية الإسماعيلية إلى شطرين: المستعلية و النزارية.

د- في أيام المستعلي اجتاحت الحملة الصليبية الأولى بلاد الشام سنة 492هـ واستولت على أنطاكية وعلى مدن الساحل، وكانت إمارات مستقلة. ثم استولت على مدينة القدس سنة 493هـ ولم تتمكن الحامية الفاطمية من الدفاع عنها فاجتاحها الصليبيون وحلت بها الكارثة الكبرى وأقامها الصليبيون عاصمة لمملكتهم فيها.

هـ- وفي عام 495هـ توفي المستعلي فخلفه ابنه علي وله من العمر خمس سنوات ولقبوه بلقب الآمر بأحكام الله وتولى الأفضل بن بدر الجمالي زمام الحكم واستبد به. ولما شب الآمر برم به وعزم على قتله وتولى تنفيذ القتل رجل مقرب من الآمر يدعى أبا عبد الله البطائحي، وكان الآمر قد مناه بالوزارة فقتله وخلفه في الوزارة سنة 515هـ وتلقب بالمأمون.

و- وكان للآمر أخ يدعى جعفرا، وكان يطمع بالملك فاتفق مع البطائحي على قتل أخيه الآمر، فأحس الآمر بالأمر فقتل البطائحي سنة 519هـ ثم لقي الآمر المصير نفسه إذ تربص به جماعة من الإسماعيلية النزارية (وهم خصوم الإسماعيلية المستعلية) وقتلوه وهو يجوز الجسر إلى جزيرة الروضة ثم يقبض عليهم ويقتلون.

وفي أيام الآمر استولى الصليبيون على طرابلس سنة 502هـ ثم استولوا على (عرقة وبانياس وبيروت وصيدا) وتسلموا مدينة صور سنة 518هـ وحاولوا غزو مصر.

ز- بعد مقتل الآمر خلفه عبد المجيد بن محمد بن المستنصر وتلقب بالحافظ، وولى الوزارة أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي، ولم يلبث أحمد أن اغتيل فولى

الحافظ الوزارة ابنه الحسن وكان ولي عهده، فأساء السيرة وقتل كثيرا من الأمراء وصادر الأموال وتواعد على قتل من سلم من الأمراء فقتله أبوه الحافظ بالسم.

حـ- توفي الحافظ سنة 544هـ فخلفه ابنه إسماعيل وتلقب بالظافر وعمره سبعة عشر عاما وأقاموا له سليمان بن مصار وزيرا فأقام في الوزارة شهرين وخرج عليه أبو الحسن علي بن سلار والي الإسكندرية وانتزع منه الوزارة وتلقب بالعادل سيف الدين.

وفي عام 548هـ اغتاله ربيب له يدعى نصر بن العباس بن أبي الفتوح الصنهاجي فتولى أبوه العباس الوزارة وكان الظافر - فيما يقال - مولعا بابنه نصر، فأوعز إليه أبوه أن يقتله فقتله ورماه في بئر وفقد ولم يعلم بقتله أحد واتهم العباس الصنهاجي أخوي الظافر بقتله فقتلهما ودخل إلى القصر وأخرج عيسى بن الظافر، وعمره خمس سنوات، وحمله على كتفه ودخل به إلى مجلس فيه الأعيان والفقهاء فبايعوه ولقبوه بالفائز. ونظر الطفل إلى المشهد الحافل وسمع ضجيج الناس فارتاع وبال على كتف الوزير كما ذكرنا من قبل وتولى العباس الصنهاجي الوزارة وتلقب بالأفضل ركن الدين، وآلت إليه أمورها، فاستبد واستباح الأرواح والأموال، ولم يلبث أن ثار عليه الجند والناس واستنجدوا بأمير الصعيد، طلائع بن رزيك فقصد القاهرة وتمكن من القبض على العباس الصنهاجي وعلى ابنه نصر و قتلهما وولى شاور بن مجير السعدي خلفا له على إمارة الصعيد.

ط- تولى طلائع بن رزيك الوزارة خلفا للعباس الصنهاجي وتلقب بالملك الصالح واستقل بأمور الدولة وأخذ يبيع الولايات للأمراء ويجمع الأموال، فساءت سيرته وضاق به رجال القصر، وبرم الناس بتصرفاته، وكان الفائز بكفالة عمته الكبرى، فشرعت تعد العدة لقتله، فلما علم بذلك سارع إلى قتلها ونقل كفالة الفائز إلى عمته الصغرى.

وفي عام 555هـ توفي الفائز عن عشر سنين وجاء طلائع بحفيد للحافظ الفاطمي يدعى عبد الله بن يوسف بن الحافظ، وكان طفلا في الحادية عشرة من

عمره فبويع بالخلافة ولقبوه بالعاضد واستمر طلائع بـن رزيـك في الـوزارة. وكانـت عمـة الفائز الصغرى التي تولت رعايته بعد مقتل أختها قد عزمت على قتله وتمكنـت مـن دس جماعة لاغتياله فقتلوه وتولى الوزارة من بعده ابنه رزيك بن طلائع .

ي- ثار شاور بن مجير السعدي، أمير الصعيد، على رزيـك، وكـان طامعـا بـالوزارة، فقصـد القاهرة مع جمع من أعـراب الصـعيد وقاتـل رزيـك وقتلـه واسـتولى عـلى الـوزارة، فنازعه فيها ضرغام بن عامر اللخمي، وكان مـن أمـراء رزيـك وأعوانـه، وانتـزع منـه الوزارة.

ك- فزع شاور إلى نور الدين محمود بن عماد الـدين زنـكي صـاحب الشـام فأنجـده لقـاء شروط تعهد بها، وجهز له جيشا بقيادة القائد أسد الدين شيركوه ومعـه ابـن أخيـه يوسف بن أيوب، وقصد الجيش القاهرة وقاتل ضرغاما في معركة قتـل فيهـا ضرغـام وأعيد شاور إلى الوزارة وعاد أسد الدين إلى دمشق. ولما استقل شاور بـالحكم خشي من أطماع نور الدين محمـود فحـالف الصـليبيين وأدخلهـم أرض مصر، فوجـه نـور الدين جيشا إلى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه يوسـف بـن أيـوب، فأخرج الصليبيين منها وقبض على شاور وقتله.

ل- أسند الخليفة العاضد الفاطمي الوزارة إلى أسد الدين شيركوه فتوفي بعدها بستة أشهر فأسند الخليفة الوزارة إلى ابن أخيه يوسف ولقبه الناصر لدين اللــه صـلاح الـدين، ولم يلبث صلاح الدين أن قطع الخطبة للعاضد وخطب للخليفة العباسي المسـتضيء بأمر اللـه ومات العاضد، وكان آخر خلفاء الفـاطميين. واسـتقل صـلاح الـدين بمصر وبه قامت الدولة الأيوبية.

وقد علق المؤرخ المصري ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة، بما كان يجري بـين الطـامعين بـالوزارة في العهـد الفـاطمي مـن تـآمر وقتـال فيقـول (... وهـذا شـأن أربـاب المناصب، إذا عزل أحدهم بآخر أراد هلاكه ولو هلك العـالم معـه، وهـذا الـبلاء مـن تلـك الأيام إلى يومنا هذا).

ح-وفي الدولة الأيوبية:

أ- قسم صلاح الدين الأيوبي، قبيل وفاته، دولته التي ضمت مع مصر بلاد الشام والحجاز واليمن والجزيرة، بين أبنائه وبين إخوته وأبنائهم وبين أبناء أعمامه، فجعل دمشق ومدن الساحل لابنه الأفضل علي، وهو أكبر أبنائه، وجعل مصر وجنوب الشام لابنه الملك العزيز عثمان وجعل حلب وأعمالها لابنه الملك الظاهر غازي، وجعل الأردن والكرك لأخيه الملك العادل (الأول) وجعل بعلبك لأخيه الملك المعظم توران شاه (الأول)، وجعل اليمن لأخيه سيف الإسلام طغتكين وجعل حماة لابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر بن نور الدين شاهنشاه، وجعل حمص لابن عمه ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه .

ب- ثم ما لبث هؤلاء أن تنازعوا واختصموا، فحاول الملك العزيز عثمان أن يستخلص دمشق من أخيه الأفضل علي، وتمكن من ذلك سنة 591هـ وتملك دمشق وولى عليها عمه الملك العادل وولى أخاه عليا على صرخد.

جـ- وفي عام 595هـ يتوفى الملك العزيز عثمان فيخلفه ابنه الملك المنصور محمد وله من العمر عشر سنين ويتولى عمه الملك الأفضل رعايته والنيابة عنه.

د- وفي عام 596هـ يجهز الملك الأفضل جيشا ويتوجه به إلى دمشق لانتزاعها من عمه الملك العادل سيف الدين فيهزمه الملك العادل ويتوجه إلى مصر فيدخلها ويخلع الملك القاصر المنصور محمدا ويستولي على مصر ويولي عليها ابنه الملك ناصر الدين محمدا ويلقبه بالملك الكامل (الأول) ويجعله ولي عهده ويولي ابنه الآخر الملك المعظم عيسى على دمشق وهكذا تتحول السلطنة في مصر والشام من أبناء صلاح الدين إلى أخيه الملك العادل وأبنائه.

هـ- وفي عام 615هـ يتوفى الملك العادل فيخلفه ابنه الملك الكامل (الأول). وفي عام، 624هـ أراد الملك الكامل أن ينتزع دمشق من عمه الملك المعظم

عيسى، فكتب إلى الملك فردريك الثاني ملك الألمان، يستنجده على عمه ويعده إن هو تسلم دمشق أن يسلمه القدس. وكان الملك فردريك آنئذ في قبرص مع حملة صليبية جهزها للقدوم إلى بلاد الشام واسترداد بيت المقدس من المسلمين، وقد أصابه من تأخره في تجهيزها حرمان من البابا. واستجاب فردريك لطلب الملك الكامل وقدم إلى مدينة (عكا) سنة 626هـ وكان الملك المعظم عيسى قد توفي قبيل قدومه وخلفه في دمشق ابنه الملك الناصر داود ووجد الملك داود أن لا قبل له بحرب عمه ومعه الصليبيون، فتنازل له عن دمشق وعوضه الملك الكامل عنها بالكرك و صرخد و الشوبك وولى الملك الكامل أخاه الملك الصالح إسماعيل على دمشق. وقد وفى الملك الكامل وعده بعد أن تسلم دمشق فسلم القدس إلى فردريك، فدخلها وتوج نفسه ملكا عليها في كنيسة القيامة وعاد إلى بلاده. وكان الملك الكامل قد عقد معه معاهدة صلح في (يافا) لمدة عشر سنوات، واشترط عليه بموجبها أن لا يعمر الصليبيون خرابها وأن لا يبنوا بها حصونا. وفي عام 637هـ تمكن الملك الناصر داود من الاستيلاء على القدس وإخراج الصليبيين منها لمخالفتهم شروط معاهدة (يافا) وكانت قد مضت عليها المدة المحددة فيها.

و- وفي عام 635هـ يتوفى الملك الكامل فيخلفه بعهد منه ابنه سيف الدين أبو بكر ويلقب بالملك العادل (الثاني) ويبلغ الخبر أخاه الملك الصالح نجم الدين أمير (آمد و الرها وحران) فيرفض الاعتراف بأخيه ويتوجه إلى مصر ويجمع مماليك أبيه ويخلع أخاه ثم يقتله. ويبلغ الخبر الملك الصالح إسماعيل فينقم على ابن أخيه نجم الدين ويقبض على ابنه عمر - وكان في دمشق - ويعتقله بقلعة دمشق وفيها يموت.

ز- ويشتد النزاع بين الملك الصالح نجم الدين وبين عمه الملك الصالح إسماعيل ويتجهز كل منهما لقتال الآخر ويستنجد الصالح بالصليبيين، فيلبي الصليبيون طلب الملك الصالح إسماعيل في مقابل استلامهم القدس وينضم إليه كل من الملك الناصر داود والملك المنصور إبراهيم بن شيركوه

الثاني صاحب حمص. وفي المعركة الجارية قرب (غزة) حدث ما لم يكن بالحسبان. فقد انضم جند الملك الصالح إسماعيل إلى جند الملك الصالح نجم الدين وكانوا من الخوارزمية الذين هربوا من المغول وأنفوا أن يحاربوا مع الصليبيين، وانتهت المعركة بهزيمة منكرة للصليبيين وأسر الكثير منهم.

ح- وفي عام 643هـ تسلم الملك الصالح نجم الدين دمشق من عمه الملك الصالح إسماعيل وعوضه عنها ببعلبك و بصرى و أعمالهما. ويسترد الجند الخوارزمية - الذين انضموا إلى الملك الصالح نجم الدين - القدس في ذلك العام ويخرجون الصليبيين منها، وتعود القدس نهائيا إلى المسلمين، بعد أن تكرر احتلالها من الصليبيين أربع مرات: سنة 493 627، 637، 643هـ.

ط- وفي سنة 647هـ يتوفى الملك الصالح نجم الدين أيوب أثناء الحملة الصليبية السابعة التي قادها الملك لويس التاسع ملك فرنسا سنة 646هـ وفيها يهزم الصليبيون ويؤسر الملك الفرنسي، ويخلف نجم الدين أيوب ابنه توران شاه، وكان شابا فيه رعونة الشباب، فاختلف مع زوجة أبيه شجرة الدر ومع مماليك أبيه، فائتمرت مع أربعة منهم على قتله فقتلوه. ويقول ابن تغري بردي: (إن الذين قتلوا توران شاه هم أنفسهم الذين كلفهم نجم الدين أيوب من قبل بقتل أخيه سيف الدين أبي بكر فكان موت ابنه مقدرا على أيديهم) وبقتل توران شاه انقضى عهد الدولة الأيوبية وقامت من بعدها دولة المماليك (البحرية).

د- و في دولة المماليك البحرية:

أ- كان الملك نجم الدين أيوب قد تزوج جارية تركية تدعى شجرة الدر وأنجب منها ولدا سماه (خليلا) فكانت تدعى أم خليل وقد تسلطنت بعد مقتل ابن زوجها توران شاه ثم تزوجت القائد المملوكي عز الدين إيبك وتنازلت له عن السلطنة فكان أول سلطان مملوكي يتولى السلطنة سنة 648هـ.

ب- في سنة 655هـ أقدمت شجرة الدر على قتل زوجها عـز الـدين إيبـك لأنـه بلغهـا أنـه ينوي خطبة ابنة الأمير بدر الدين لؤلؤ أمير الموصل واستعانت عـلى قتلـه بمماليكهـا فقتلوه ضربا بالقباقيب، وبعد قتله عهد لابنه علي بخلافته فقبض عليها وأمر بقتلها ضربا بالقباقيب كما فعلت بأبيه.

جـ- وفي سنة 657هـ أقدم القائد المملوكي قطز على خلع علي بن عـز الـدين إيبـك ونفيـه من مصر مع أسرته، وولى القائد بيبرس البندقداري إمارة الجيوش. وكـان المغـول قـد اجتاحوا بلاد الشام وتوجهوا يريدون مصر فتقدم قطز للقائهم بجيش يقوده بيـبرس وجرى اللقاء في موضع يدعى (عين جالوت) وفيه كانت الموقعة الكـبرى التـي كتـب فيها النصر لجيش المماليك بما أبدوا من شجاعة فائقة وما أبدى قائدهم بيـبرس مـن مهارة في الحرب وقد تشتت جـيش المغـول وقتـل قائـده (كتبغـانوين) وكـان صـهر هولاكو زعيم المغول.

د- في أعقاب تلك المعركة أقدم القائد بيبرس على اغتيال السلطان قطـز، فقـد كـان وعـده بأن يوليه على مملكة حلب بعد جلاء المغول عنها وأن يعهد له بالسلطنة من بعده فأخل السلطان بوعده فأقدم على اغتياله مع جماعة من القادة المماليك.

هـ- تولى بيبرس السلطنة وتلقب بالملك الظـاهر ودامـت سـلطنته ثمانيـة عشر عامـا قضى خلالهـا عـلى الإمـارات الأيوبيـة في بـلاد الشـام وضـم بـلاد الشـام إلى مصر وأجـلى الصـليبيين عـن مـدن السـاحل وحـرر سـنة 665هــ أنطاكيـة وغـزا كليكيـا الأرمنيـة وأخضعها لسلطانه، وفي سنة 676هـ غزا بلاد سلاجقة الروم، وكانت مشمولة بحماية المغول فحررها منهم بعد موقعة كبرى جرت في مكان يدعى (ألبستين) وفيهـا مـزق جيشهم.

و- توفي الظاهر بيبرس سنة 676هــ في أعقـاب معركـة (ألبسـتين) فخلفـه ابنـه ناصر الدين محمد بركة وتلقب بالملك السـعيد وعمـره ثمانيـة عشر عامـا، وبعد سنتين من سلطنته أقدم المماليك على خلعه لسوء تدبيره وولوا أخاه

الأمير سلامش وعمره سبع سنين ولقبوه بالملك العادل بدر الدين وولوا القائد قلاوون نائبا عنه.

ز- لم يلبث قلاوون أن خلع بدر الدين سلامش سنة 678هـ وتولى السلطنة وتلقب بالملك المظفر سيف الدين وقد امتدت سلطنته أحد عشر عاما حرر خلالها ما تبقى في يد الصليبيين من قلاع وحصون في بلاد الشام ومنها مدينتا اللاذقية وطرابلس. وفي عام 689هـ يتوفى قلاوون فيخلفه ابنه خليل و يتلقب بصلاح الدين ويسترد من الصليبيين قلعة صفد ومدينة طرطوس ثم يستولي على عكا بعد معركة شديدة مع الصليبيين.

حـ- وفي عام 693هـ يقدم قائدان من قادة المماليك هما (بيدرا) و (لاجين) على اغتيال السلطان صلاح الدين خليل بن قلاوون وقيام (بيدرا) خلفا له، ولم يلبث هذا في السلطنة إلا يوما واحدا، إذ أقدم القائد (كتبغا) على قتله وقتل من اشترك في اغتيال السلطان صلاح الدين خليل واختار المماليك محمد بن قلاوون أخا خليل سلطانا فبايعوه ولقبوه بالناصر وله من العمر تسع سنين.

ط- لم يلبث (كتبغا) أن خلع محمد بن قلاوون متعللا بصغر سنه وتولى السلطنة. وقد حاول القائد (لاجين) اغتيال (كتبغا)، ولما علم بذلك هرب إلى دمشق وخلع نفسه سنة 696هـ فتولى السلطنة (لاجين) وتلقب بالمنصور حسام الدين وبعد سنتين أي في عام 698هـ اغتيل وأعيد إلى السلطنة محمد بن قلاوون وقد بلغ من العمر أربعة عشر عاما.

ي- وفي سنة 708هـ يخلع محمد بن قلاوون ويتولى السلطنة قائد مملوكي يدعى بيبرس الجاشنكيري، ثم يخلع بعد سنة (709هـ) ويعاد إلى السلطنة محمد ابن قلاوون للمرة الثالثة وهو في الخامسة عشرة من عمره ويتوفى سنة 741هـ وقد امتدت سلطنته (31) عاما، فكان أطول ملوك المماليك عهدا وأعظمهم مهابة وأغزرهم عقلا وأحسنهم سياسة وأكثرهم شجاعة وأحسنهم تدبيرا وقد بلغت دولة المماليك في عهده ذروة ارتقائها ثم توالى عليها أبناؤه وأخذت شمسها في الكسوف.

ك- تولى السلطنة من بعد محمد بن قلاوون ثمانية من أبنائه، كان أولهم أبـو بكـر سـيف الدين الملقـب بالمنصـور ولم يلبـث سـوى سـنة واحـدة وخلـع سـنة 742هـــ وتـولى السلطنة من بعده أخوه (كجك) وتلقب بالملك الأشرف عـلاء الـدين وعمـره خمـس سنين وخلع بعد أقل من سنة وتولى السلطنة من بعده أخوه أحمـد وتلقـب بالملـك الناصر شهاب الدين وبعد شهرين مـن سـلطنته يخلعـه أخـوه إسـماعيل ويقتلـه و يتلقب بالملك الصالح عماد الدين ويستمر إسماعيل في السـلطنة ثـلاث سـنين يقتـل بعدها سنة 746هـ ويتولى السلطنة أخوه شـعبان (الأول) و يتلقـب بالملـك الكامـل سيف الدين وبعد سنة من سلطنته يخلع ويسجن ويقتل في سجنه ويتولى السلطنة من بعده أخوه (حاجي الأول) و يتلقب بالملك المظفر سيف الدين وبعـد أقـل مـن سنة يخلع ويقتل ذبحا ويولى أخوه الحسـن سـنة 748هـــ و يتلقـب بالملـك النـاصر ناصر الدين ويخلفه من بعده سـنة 752هـــ أخـوه صـالح و يتلقـب بالملـك الصـالح صلاح الدين. وتمتد سلطنة المماليك البحرية من بعده إلى سنة 784هـ ثم تنتقـل إلى المماليك البرجية وهم كالبحرية من المماليك الأتراك و الجراكسة وتنتهـي سـلطنتهم بالفتح العثماني سنة 922هـ.

هـ- وفي دولة المرابطين:

بلغت دولة المرابطين منتهى علاها في عهد يوسـف بـن تاشـفين وابنـه عـلي (453 - 537 هـ) ثم أخذت مسيرة أحداثها في الانحدار. وقد تولى ملك المـرابطين في آخـر عهـدهم ملكان لم يبلغا الحلم وهما: إبراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين وابن عمـه إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين وقد بويـع الأول سـنة 540هـــ بعـد وفـاة أبيـه ولم يتمكن المرابطون في عهده من صد الموحـدين في معركـة انتهـت بهـزيمتهم والقـبض عـلى إبراهيم وقتله ومبايعة الثاني من بعده سنة 541هـ. فلما احتل الموحـدون مـراكش قتلـوه وقتلوا معه من وجدوا من أمراء المرابطين وقضوا على دولتهم.

و- دولة الموحدين

بلغت هذه الدولة أوج قوتها في عهد ملكها أبي يوسف يعقوب (595 - 580هـ) وذلك بعد انتصاره على ألفونسو الثامن ملك قشتالة في وقعة (الأرك) سنة 591هـ. ثم أخذت في الانحدار في عهد ابنه محمد الناصر (595 - 611هـ) إثر هزيمة الموحدين أمام الأسبان في وقعة (العقاب) سنة 609هـ ثم هزيمتهم في وقعة (أبي دانس) سنة 614هـ في عهد ابنه يوسف المستنصر (611 - 620هـ).

وقد اشتد الوهن في الدولة بعد خلع عبد الواحد ابن يوسف الأول ابن يعقوب سنة 621هـ وتولية أبي محمد عبد الله ابن أخيه يعقوب المنصور وتلقيبه بالملك العادل ثم خلعه سنة 624هـ وقتله وتولية يحيى بن محمد الناصر وتلقيبه المعتصم بالله وازداد الوهن شدة حين رفض عمه أبو العلاء إدريس بن يعقوب المنصور الاعتراف ببيعته وبايعه أهل الأندلس وتلقب بالمأمون وانقسمت دولة الموحدين على نفسها: دولة في الأندلس ودولة في المغرب. وتوجه المأمون إلى المغرب لانتزاع الملك من ابن أخيه والانتقام ممن قتلوا أخاه الملك العادل واستعان بجيش من الأسبان وكانت أمه منهم وقد أمده به الملك الإسباني فرديناند الثالث ملك قشتالة لقاء شروط منها أن يعطيه عشرة حصون مما يلي إشبيلية وأن يبني لجنده الأسبان كنيسة في مراكش إذا دخلها وأن من أسلم من جنده لا يقبل إسلامه.

وقد تمكن المأمون من اقتحام مراكش فهزم ابن أخيه يحيى المعتصم بالله وقتل شيوخ الموحدين الذين بايعوه. ونفذ المأمون شروط الملك الإسباني فسلمه الحصون العشرة وبنى في مراكش كنيسة لجنده الأسبان. ولم يلبث أن ثار عليه أخوه أبو موسى عمران بن يعقوب أمير (سبتة) فتوجه لقتاله وحاصره، وفي غيابه بهذا الحصار عاد ابن أخيه يحيى ومعه جموع من العرب والبربر ودخلوا مراكش وعاد المأمون مسرعا ومات في الطريق سنة 630هـ وبويع من بعده عبد الواحد الرشيد واستمر النزاع بين الأعمام وأبنائهم إلى أن استولى على مراكش بنو مرين عام 668هـ في عهد آخر ملوك الموحدين أبي العلاء إدريس الواثق

باللـه الملقب بأبي دبوس وبه انقضت دولـة الموحـدين وقامـت عـلى أنقاضـها دولـة بنـي مرين.

ز- وفي دول الشمال الإفريقي:

بعد القضاء على دولة الموحدين التي كانت تسيطر على الشمال الإفريقي من تونس إلى مراكش قامت دول ثلاث: دولة بني مرين في المغرب الأقصى وعاصمتها مراكش ودولـة بني زيان من بني عبد الواد في المغرب الأوسط (الجزائر) وعاصمتها (تلمسان) ودولة بني حفص في المغرب الأدنى (تونس) وعاصمتها مدينة تونس.

وقـد أنهكـتهم الحـروب والثـورات والفـتن التـي ثـارت بيـنهم وشـغلتهم عـن نصرة إخوانهم في الأندلس. فأسلموهم للأسبان وكانوا هم عرضة لغزو الأسبان و النورمـان حتـى فتح العثمانيون الجزائر سنة 962هـ ثم تونس سنة 982هـ وقامت في مـراكش دولـة بنـي الحسن العلويين سنة 916هـ.

3- الانصراف إلى اللـهو والمجون:

إلى تلك الأسباب التي أدت إلى تشتت الدولة الإسلامية وانقسامها إلى دول ثم تسارع انهيارها وتعرضها لغزو أتاها من المشرق والمغرب، يضاف سبب آخر أتاها من سوء سـلوك بعض الحاكمين وانصرافهم إلى اللـهو والمجون، وغالبا ما يكـون هـؤلاء ممـن تولـوا الملـك صبيانا يولى عليهم نواب يعملون على إشـغالهم باللــهو ويصرفـونهم عـن شـئون الحكـم ليستقلوا به من دونهم، فإذا بلغ الصبي سن الشـباب تفتحـت غرائـزه، فأخـذ يعـب مـن شهواته، تاركا أمور الدولة لوزرائه ونوابه والأمثلة على ذلك كثيرة ونحن نورد طرفا منها.

فقد روي ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة (أن المستنصر الفـاطمي خلف أباه الظاهر وعمره سبع سنين ونشأ على حب اللـهو والمجون. ولما شـب كان أمره قد اضمحل لتشاغله باللـهو والشراب والطرب وكان من عادته في كل سنة أن يركب على النجب (النفيس من الإبـل) إلى مكـان قريـب مـن القـاهرة يدعى (جب عميرة) وهو موضع نزهة فيخرج إليه بهيئـة أنـه خـارج إلى الحـج

على سبيل الهزء و المجانة ومعه الخمر في الروايا (الأواني) عوضا عن الماء ويسقيه للناس كما يسقى الحاج في طريق مكة).

فماذا نقول في خليفة توالى القحط على بلاده سبع سنين حتى أكل الناس الموتى ولحوم الأطفال يفعل ما روي عنه ويهزأ بركن من أركان الدين، ونراه في مدة خلافته قد استكان لسلطان وزيره بدر الجمالي وليس له من الأمر شيء.

كذلك يروي ابن تغري بردي: (إن الملك المسعود يوسف صلاح الدين الثاني، المعروف باسم (أتسز) ابن الملك الكامل الأيوبي كان قد ولاه أبوه سنة 611 هـ فاستولى على مكة سنة 619هـ فكان ينام في دار المسعى سكران ويخرج أعوانه يمنعون الناس من الصياح والضجيج في المسعى).

ثم إليك ما يرويه ابن الأثير عن جلال الدين منكبرتي آخر ملوك خوارزم (فقد كان هذا الملك يهوى خادما خصيا له يدعى (قليج) فاتفق أن مات الخادم، فأظهر الملك من الحزن والهلع والجزع عليه ما لم يسمع بمثله ولا لمجنون ليلى، وأمر الجند والأمراء أن يمشوا في جنازته رجالة وكان موته في موضع يبعد عن (تبريز) - عاصمة الدولة - عدة فراسخ، فمشى خلف جنازته راجلا فألزمه أمراؤه بالركوب، فلما وصل إلى (تبريز) أرسل إلى أهل البلد فأمرهم بالخروج لتلقي تابوت الخادم، ففعلوا، و أنكر عليهم أنهم لم يظهروا من الحزن والبكاء أكثر مما فعلوا وأراد معاقبتهم على ذلك فشفع فيهم أمراؤه فتركهم.

ثم إنه لم يدفن الخادم وإنما أخذ يستصحبه معه حيث سار وهو يلطم ويبكي، وامتنع من الأكل والشرب، فإذا قدم إليه طعام قال: احملوه إلى فلان، يعني الخادم ولا يتجاسر أحد أن يقول إنه مات، فإذا قيل إنه مات قتل القائل، فكانوا يحملون إليه الطعام ويقولون للملك: إنه يقبل الأرض ويقول الآن أنا أصلح مما كنت. ثم انفض عنه أمراؤه فبقي حيران لا يدري ما يصنع وراسل وزيره واستماله فلما حضر إليه قتله).

وهناك خبر عن الملك الناصر صلاح الدين الثاني ابن العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي صاحب حلب. فقد تولى الملك وعمره سبع سنين وشب

على حب اللـهو تاركا أمـور الدولـة إلى وزرائـه. ولما اجتـاح المغـول حلـب سـنة 657هــ غادرها إلى دمشق.

ويروي صاحب نفح الطيب أن الأديب الأندلسي موسى العنسي (ت: 685هـ) لما رحل إلى المشرق، قدم إلى دمشق وفيها الناصر صلاح الدين المذكور هذا، وكان المغول قد أمعنوا في حلب قتلا وسبيا وتخريبا، فدخل على الناصر صلاح الدين يعزيه على مـا فعلـه المغـول بمدينة حلب وما حل بها من المصائب والمحـن، فـأضرب النـاصر عـن سـماع ذلـك وأنشـد أبياتا في مملوك له يهواه قتل في تلك الكارثة. فهو لا يـبكي لفقـد ملكـه وإنمـا يـبكي لفقـد حبيبه. ثم نراه بعد ذلك هائما على وجهه حتى لجأ إلى هولاكو ملك المغـول ومعـه أخـوه الملك الظاهر سيف الدين غازي (الثاني) وأمراء آخرون من البيت الأيوبي فأحسـن هولاكـو إليهم ولما بلغه هزيمة المغول في (عين جالوت) سنة 658هـ قتله وقتل من كـان معـه مـن الأمراء.

كذلك يروي ابـن طباطبـا في كتابـه تـاريخ الـدول الإسـلامية أن الخليفـة المستعصـم باللـه آخر خلفاء بني العباس في بغداد كان شديد الكلف باللـهو وسماع الأغاني، لا يكـاد مجلسه يخلو من ذلك ساعة واحدة، وكان ندماؤه وحاشيته جميعهم منهمكين معـه عـلى التنعم بالملذات، لا يراعون له صلاحا. وقد كتبت له الرقاع من العوام، وفيها أنواع التحذير وألقيت الأشعار في أبواب دار الخلافة.

كل ذلك وهو عاكف على سماع الأغاني وملكه قد أصبح واهي المبـاني. ومـما اشـتهر عنه أنه كتب إلى الأمير بدر الدين لؤلـؤ صـاحب الموصـل يطلـب منـه جماعـة مـن أهـل الطرب، وفي تلك الحال وصل رسول هولاكو يطلب من بدر الدين منجنيقات وآلات حصار لحصار بغداد فقال بدر الدين: انظروا إلى المطلوبين وابكوا على الإسلام.

وإذا عرجنا على دولة المماليك نجد منهم من شغف بالجواري وتخلى عـن أمور الدولة إلى نوابه.. كالملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمـد بـن قـلاوون. فقد شغفه حب الجـواري فـأسرن قلبـه وكانـت لهـن الكلمـة العليـا في الدولـة

وأعرض عن تدبير الملك بإقباله على النساء والطرب، وكان يؤثر الجواري السود.

فحظيت بحبه جارية سوداء تدعى (اتفاق) تحسن الضرب على العود وتجيد الغناء فتزوجها وكان أخوه الملك شعبان يهواها، فلما مات الصالح إسماعيل سنة 746هـ خلفه عليها أخوه ودخل بها ليلة وفاته..!!

ولما خلع الملك الكامل شعبان ثم قتل سنة 747هـ خلفه أخوه الملك المظفر (حاجي) فتزوج بها ليلة خلع أخيه !! فغنته فأنعم عليها بأربعة فصوص وست لؤلؤات ثمنها أربعة آلاف دينار، وهذا ثالث سلطان من أبناء محمد بن قلاوون يتزوج بهذه الجارية السوداء وفي كل مرة كان يعقد العقد لها على أخ من الإخوة الثلاث قاض مع علمه بأن العقد باطل لتجاوز العدة المفروضة على زوجة المتوفى.

وقد نالت هذه الجارية السوداء عند الإخوة الثلاثة من الحظ والسعادة ما لا يعرف لامرأة في زمانها.!!!!!!!!!!!!

فلم لا وقد قال الشاعر مجنون ليلى في محبوبته السوداء:

يقولون عنك سوداء حبشية

ولولا سواد المسك ما انباع غاليا

وحري بهذا الفاسق أن ينسج على منواله..(فلولا سواد الزِّفت...)، ولله في خلقه شؤون.

أثر ما تقدم من الأسباب في حياة المجتمع الإسلامي:

كان من الطبيعي أن تنعكس هذه الأسباب في حياة المجتمع الإسلامي، السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

1 - في الحياة السياسية: تفرقت الكلمة وطمع الأعداء:

فقدت الدولة الإسلامية وحدتها، وبدأت تتفكك منذ بداية العصر العباسي الأول، وازداد تفككها في العصر العباسي الثاني. ففي المشرق قامت

دولة للبويهيين و السامانيين و الغزنـويين و السـلجوقيين. وفي إفريقيـة، قامـت في المغـرب الأقصى دولة الأدارسة وفي المغرب الأدنى ومصر والشام دولة الفاطميين وفي الأندلس قامت دولة للأمويين، وتوزعت الخلافة بين هذه الدول، فخليفة عباسي في بغداد وخليفة إدريسي في المغرب الأقصى، وخليفة فاطمي في مصر، وخليفـة أمـوي في قرطبـة وأمـراء غلبـوا عـلى بعض المناطق واستقلوا فيها، ولم يقم بين تلك الدولة والإمـارات سـلم دائـم، بـل كثـيرا مـا كانت تسـتعر بيـنهم الحـروب، فضـلا عـن الثـورات و الانتفاضـات التـي كانـت تتخللهـا، وانتهت بذلك إلى حالة من الضعف والوهن فلم تقو عـلى صـد العـدوان المسـيحي الـذي كان يترصدها، وقد طوقها من الشرق والغرب، وامتنع بافتراق المسـلمين إلى دول متنـاحرة وتوزعهم في شيع متنافرة أن يجمعوا شملهم لمواجهة ذلك العدوان الذي انصب عليهم.

ففي الفترة الواقعة بين عامي 477 و 493هـ استولى ألفونسو السادس، ملك الأسـبان على طليطلة واستولى (الكمبيادور) زعيم المرتزقة الأسبان على (بلنسية) سنة 487هـ وهم ألفونسـو السـادس بالاسـتيلاء عـلى إشـبيلية، فأنقـذها المرابطـون وأسـقطوا حكـم أمـراء الطوائف وأقاموا في الأندلس دولة لهم.

وفي الفترة الواقعة بين عامي 487 و 498هـ قامت دعوة البابـا أوربـان الثـاني لأمـراء الإقطاع في أوروبا للاستيلاء على بلاد الشام وإنقاذ بيت المقدس من يد المسلمين. وكان من أسبابها إقدام الخليفة الفاطمي الحـاكم بـأمر اللــه عـلى هـدم كنيسـة القيامـة في بيـت المقدس.

وقد وحدت دعوة البابا صفوفهم وكانت قد فرقتها الحروب التـي نشـبت بيـنهم، فقـادوا الحملة الصليبية الأولى، و أتاح لهم الصراع بين ملوك السلاجقة، كما نوهنـا بـذلك مـن قبـل، أن يجتازوا بلاد الأناضول، وأن يحتلوا مدينة (نيقية) ثـم مدينـة (قونيـة)، وأن يجتـاحوا بـلاد الشـام وفيها استولوا على معرة النعمان و أنطاكية، ثم اتبعوا الساحل فاستولوا على (طرابلس) ثم عـلى (حيفا) و (يافا) و(قيسارية) و (الرملة)، ثم عرجوا على مدينة بيـت المقـدس فاسـتولوا عليهـا في

23 نيسان سنة 493هـ وهي السنة التي سقطت فيها مدينة (طليطلة) بيد الإسبان.

وفي بيت المقدس أباح قائد الحملة الصليبية (جود فروا دو بويون) للصليبين القتل والنهب وهتك الأعراض، فلم يقصروا فيما أبيح لهم، ونصبوا قائدهم ملكا على بيت المقدس ثم توجهوا إلى دمشق فحاصروها وتوجه وفد من أهالي المدينة برئاسة قاضي دمشق زين الدين أبي سعد الهروي إلى بغداد يستعينون بالخليفة المستظهر بالله، فأظهر الخليفة عجزه وبكى و بكى الوفد لعجزه، وتمكن أهل دمشق من صد الصليبين.

وتوجه الصليبيون بعد ذلك إلى عكا و جبيل فاستولوا عليهما، واستمرت حملات الصليبين واستولوا على كثير من المواقع في بلاد الشام وفيها بنوا القلاع والحصون، حتى وحد صلاح الدين الأيوبي جموع المسلمين بعد قضائه على الدولة الفاطمية، وتم على يده جلاء الصليبيين.

2 - في الحياة الاقتصادية:

تتوقف سلامة الاقتصاد على عامل أساسي هو الأمن، فبدونه لا يمكن دوام العمل والإنتاج والتبادل والاتجار وأكثر ما يعيق الأمن هو الثورات، وقد نشبت في العصر الأموي وفي العصر العباسي الأول ثورات كثيرة شغلت الدولتين، ولكنها لم تنتقص من نشاط الحياة الاقتصادية لتوفر القوة على قمعها، ولأن الناس كانوا ينعمون في بحبوحة من العيش من خيرات الفتوح، فلم تكن تلك الثورات ثورات فقراء أو مستضعفين وإنما كانت في جلها ثورات سياسية، يدور الصراع فيها حول الخلافة، أو فتن تثيرها العصبيات القبلية.

ومع ذلك فإن البلاد الإسلامية كانت تصاب في بعض مناطقها بجوائح، منها القحط وتلف المحاصيل بكوارث طبيعية، كان ينشأ عنها مجاعات وينتشر الوباء، ولكن ذلك لم يكن ليطول. أما في العصر العباسي الثاني فقد ثار الفقراء والمستضعفون على ظلم الولاة وعمال الخراج، فكانت ثورة الزنج التي استمرت

خمس عشرة سنة، فتكت في خلالها بالكثير من الناس وخربت الكثير من المدن وحرمت الأرض من أيدي العاملين، الذين انقلبوا إلى ثائرين ومخربين.

وقد أعقبت هذه الثورة ثورة القرامطة التي امتدت نحو سبعين سنة، وفي خلالها اختل الأمن وعاث اللصوص فسادا في المدن والقرى، ينهبون ويسلبون ويقتلون. ونشط أعراب البوادي في الوثوب على قوافل التجار وفي الإغارة على قوافل الحجاج، فتوقفت التجارة وامتنع الحج عدة سنوات. وقد أدى ذلك كله إلى اضطراب الحياة الاقتصادية وزاد عليها توالي الكوارث الطبيعية ومنها الزلازل وفيضان الأنهار وطغيانها على الأراضي الزراعية، وما ينشأ عنها من قحط ومجاعات يتلوها أوبئة كانت تفتك بالناس فتكا وتحصدهم حصدا.

3 - في الحياة الاجتماعية:

انعكس في حياة المجتمع الإسلامي ما عاناه في حياته السياسية والاقتصادية من فوضى واضطراب. فقد استذلته الأحداث السياسية وأفقرته الأحداث الاقتصادية وتشتت شمله في دويلات، آلت معها حياة المجتمع الإسلامي إلى طبقة عليا مترفة، التفت حول ملوك وأمراء متغلبين، تزين لهم ظلمهم لتنعم بعطاياهم، وتسلك سلوكهم فيما ينكره الدين والأخلاق. وطبقة سفلى يشيع فيها الفقر والبؤس والحرمان ويحملها ذل الحاجة إلى سلوك ما لا يحله الدين أيضا.

وفي كلتا الطبقتين شاع عند السفلة منهم تعاطي الخمرة وما يتبعها من لهو وفجور، كان يجري في الطبقة العليا بمظاهر الترف، وكان يجري في الطبقة السفلى في مظاهر الحطة والبؤس. وبين الطبقتين، العليا والسفلى، كانت طبقة الخاصة، وهي الطبقة الوسطى، وفيها العلماء من فقهاء ومحدثين ومفسرين، وفيها الصلحاء من أهل الزهد والتقوى، ولم يكن لهؤلاء، كما كان لأسلافهم، مقام يدنيهم من الملوك والأمراء، ولا مسمع لقول عاذل ونصيح، وليس لهم سلطة تمكنهم من الردع بالقوة لما يجري من الفواحش، فقد جهر كثير من الناس بشرب الخمرة، يتعاطونها في حانات الخمارين وفي المتنزهات، ويلتمسون معتقها في الأديرة.

هذه هي السمات العامة التي كانت تطبع المجتمع الإسلامي في العصر العباسي الثاني وما تلاه، وقد مهد لها العصر العباسي الأول، بما ساد فيه من مظاهر الترف والانصراف إلى الملاذ والجهر بها مع كثير من اللهو والمجون والتحدي للدين والأخلاق، وهذا ما نراه مبسوطا في أشعار أبي نواس وأخباره مع مطيع بن إياس وحماد عجرد و والبة بن الحباب، وفي أشعار ابن هرمة ومسلم بن الوليد، وغيره من شعراء ذلك العصر من الماجنين.

وكما نراها مبسوطة في كتب الأدب والأخبار كالأغاني والعقد الفريد ونهاية الأرب والنجوم الزاهرة وعيون الأخبار، وغيرها من كتب الأدب، وكما نراها منثورة في كتب التاريخ والأخبار كالطبري وابن الأثير ومروج الذهب للمسعودي، وتاريخ بغداد وتاريخ ابن كثير وغيرها من كتب التاريخ. وكلها شاهد – وإن كان فيها كثير من الدس والتأليف - على التراخي في تنفيذ تعاليم الإسلام عند الطبقة الحاكمة ومن التف حولها.

وكان أول ما انحسر من تعاليم الإسلام العدل، وقد أخلت به الأهواء التي اشتد فيها الصراع على الملك وما يتبعه من الظلم والاستبداد، يمارسهما صاحب السلطة على هواه، خليفة أو ملكا أو سلطانا أو أميرا، ويأخذ الناس بالظنة، فيقتل ويصادر الأموال ولا معقب لما يشاء، وبرزت في هذا الجو المشبع بالظلم، ظاهرة الخوف ومعها ظاهرة النفاق.

وكلاهما من العوامل التي عطلت العقل عن النمو فجف عطاؤه وتراخت عزائمه، وأصبح الخائف في معزل عن الحياة العامة خوفا من وشاية واش، أو تعرضه لما يخشاه، وسلك مسلك الزهد والتصوف طلبا للسلامة. وشاع النفاق في ضعاف النفوس، يزين به المنافقون صنع السلطان فيزيدونه طغيانا، لينالوا رفده، فهم فيما يفعلونه أعوانه في الظلم.

وقد دون رواة موثوقون ما شهدوا من ظاهرة الظلم والجور في العصر الذي عاشوا فيه، وإليك ما دونه الرحالة ابن حوقل المتوفى سنة 367هـ في مقدمة كتابه: (صورة الأرض)، وفيه يصف ما عاينه في بغداد قبل سفره: (... وأعانني على تأليف هذا الكتاب تواصل السفر وانزعاجي عن وطني مع ما سبق

به القدر، لاسيما الرزق والأثـر، والشـهوة لبلـوغ الـوطر، بجـور السـلطان، وكلـب الزمـان، وتواصل الشدائد على أهل المشرق والعدوان، واستئناس سلاطينه بالجور والطغيان، وكثرة الجوائح والنوائب، وتعاقب الكلف والمصائب، واختلال النعم وقحط الديم).

وإليك ما دونه الفيلسوف المؤرخ مسكويه في كتابه (تجارب الأمم) وفيه يبين أسباب ضعف السلطة وانهيار الحكم في العصر العباسي:

(فليعتبر الناظر، هل أتي هؤلاء الملوك إلا من سوء تحفظهـم واشـتغالهم عـن ضـبط أمورهم وتفقدها بلذاتهم وشهواتهم، وإغفالهم أمر أصحاب الأخبار وتركهم تعـرف نيـات وزرائهم وقوادهم وأمور عساكرهم وتعويلهم على الاتفاقـات والـدول التـي لا يوثـق بهـا، وقلة تصفحهم أحوال الملوك قبلهم ممن استقامت أمورهم، كيف كانـت سـيرتهم، وكيـف ضبطوا ممالكهم و نيـات أصـحابهم بضروب الضـبط، أولا بالـدين الـذي يحفـظ نظـامهم ويملك سرائـرهم، ثـم بأصـحاب الأخبـار الثقـات والعيـون المـذكاة عـلي مـدبري أمـورهم، والتفقد لهم يوما يوما وحالا فحالا وترك إيحاشهم ما أمكن ومـداراة مـن تجـب مداراتـه، والبطش بمن لا حيلة في استصلاحه ولا دواء لسيرته).

ثم إليك ما دونه الإمام السيوطي في تاريخه:

(في دولة بني العباس افترقت كلمة الإسلام وسقط اسم العرب من الـديوان وأدخـل الأتراك في الديوان واستولت الديلم ثـم الأتـراك، وصـارت لهـم دولـة عظيمـة، وانقسـمت الممالك عدة أقسام وصار بكل قطر قائم يأخذ الناس بالعسف ويملكهم بالقوة).

ولم يكن أمراء وخلفاء الأندلس أفضل حالا من أهل المشرق، فقد جاروهم في الـترف، فأغفلهم عن عدوهم، فسطا عليهم وأخرجهم من ديارهم. ففي سنة 456هـ جرت وقعـة بين المسلمين و الأسبان في قرية (بطرنة) من أعمال (بلنسـية) وفيهـا تغلـب الإسـبان عـلى المسلمين، ومنها توجهوا لاحتلال (بلنسية).

ويصف لنا ابن بسام ما حل بأهل بلنسية حين داهمهم الإسبان فيقول:

(... ونزل الفرنج على بلنسية وأهلها جاهلون بـالحرب، معرضـون عـلى أمـر الطعـن والضرب، مقبلـون عـلى اللـذات مـن الأكـل والشرب، وأظهـر الفـرنج النـدم عـلى منازلهـا والضعف عن مقاومة من فيها، وخدعوهم بذلك فانخدعوا وأطمعـوهم فطمعـوا، وكمـن في عدة أماكن جماعة من الفرنج، وخرج أهل البلد بثياب زينتهم، وخـرج معهـم أمـيرهم عبد العزيز بن عامر، فاستدرجهم الفرنج ثم عطفـوا علـيهم فاستأصـلوهم بالقتـل والأسر وما نجا منهم إلا من حصنه أجله، وخلص الأمير نفسه).

وهكذا جرى لأهل (طليطلة) - كما يقول ابن بسام - فإن ألفونسو السادس استظهر عليهم، وقتل جماهيرهم، وكان من جملة ما غنمه الفرنج من أهلها، لمـا خرجـوا إلـيهم في ثياب الزينة، ألف غفارة خارجا عما سواها.

وليس أوجز ولا أبلغ في وصف حال الأندلس آنذاك، وحال معظـم ممالـك وإمـارات المسلمين التي دهمها الصليبيون و التتار كذلك بعـد ذلـك بقليـل. مـما وصـف بـه الإمـام الجليل (ابن حزم الأندلسي) أحوال الأندلس في القرن الخامس الهجري مـما أحدثـه ملـوك الطوائف. فقال يرحمه اللـه كلمات تحس الأسى يشع من بين حروفها، وأعجـب مـا فيهـا أنها تصلح لوصف أحوالنا هذه الأيام في ظل حكامنا وتعاونهم مع الصليبيين على بعضـهم وعلى شعوبهم.

قال ابن حزم عن أمراء الأندلس في زمانه، في كتاب(التلخيص في وجوه التخليص):

[فهذا أمر امتحنا به نسأل اللـه السلامة. وهي فتنة سوء أهلكت الأديان إلا من وقى اللـه تعالى. لوجوه كثيرة يطول لها الخطاب. وعمدة ذلك ؛ أن كل مدبر مدينة أو حصـن في شيء من أندلسنا هذه، أولها عن آخرها محارب لله ورسوله صلى اللـه عليه وسـلم، سـاع في الأرض بالفساد. للذي ترونه عيانا من شنهم الغارات على أموال المسـلمين مـن الرعيـة التـي تكون في ملك من ضادهم. وإباحتهم لجنـدهم قطـع الطريـق. ضـاربون للجزيـة والمكـوس والضرائب على رقاب المسلمين. مسلطون لليهـود و النصـارى عـلى قـوارع طـرق المسـلمين.

معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم اللـه. غرضهم منها استدامة إنفاذ أمرهم ونهيهم.

فلا تغالطوا أنفسكم، ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع. المزينون لأهل الشر شرهم. الناصرون لهم على فسقهم.

فالمخلص لنا منها ؛ الإمساك بالألسنة جملة وتفصيلا إلا عن أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر وذم جميعهم. واللـه لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية لأمورهم لبادروا إليها.فنحن نراهم يستمدون النصارى، ويمكنون لهم من حرم المسلمين، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعا، فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس.

لعن اللـه جميعهم وسلط عليهم سيفا من سيوفه. فمن عجز عن ذلك رجوت أن تكون التقية تسعه. وأن ينكر بقلبه. هذا مع أنه لو اجتمع كل من ينكر بقلبه لما غلبوا على أمرهم) أهـ

ضعف الوازع الإيماني وأثره في انهيار الدولة الإسلامية:

لقد كان إيمان المسلمين الأولين ناصعا لا تفسده الأهواء، قوي الإحساس بالعدل وبكل مكارم الأخلاق، فقادهم إلى الفتح العظيم، ودخل الناس في دينهم أفواجا لما رأوا من صدق دعوتهم، وكانوا فيها مثلا يحتذى، فلما ترف أخلافهم بنعماء الدنيا وأسرفوا منها، تعلقوا بأذيالها، وأقبلوا عليها إقبال عاشق غاب رقيبه.

ويستفاد مما تقدم أن ضعف الوازع الإيماني في الراعي وغالبية الرعية، قد حاد بالمسلمين عن خطة الإسلام، فالإسلام أقام الإيمان رقيبا على أعمال الإنسان وزوده بدقة الحس في التمييز بين الخير والشر، وبين الفضيلة والرذيلة، وبين العدل والظلم، وعندما تعصف الأهواء بالإيمان، يفقد الإحساس بالخير والعدل والفضيلة.

ولما تراخت رقابة الإيمان على أعمالهم حل الظلم محل العدل، فأخفت صوت الحق، وقضى سيف الظلم على صولته، وأضحت القوة هي الحاكم الذي لا يرد والحكم الذي لا ينقض، وبرز الباطل يختال في قصور الخلفاء والأمراء والوزراء والأثرياء، متشحا بكل مظاهر العبث والمجون، فألهاهم عن مصالح الأمة، فشاع الفساد في الحكم والقضاء والإدارة، وقفز إلى مناصب الدولة المنافقون ومنهم من اتخذ الدين سلما للوصول إليها، فساهموا في الإفساد وأعانوا على الظلم، وسادت الفوضى فكانت غنما للصوص والعيارين، وقامت لهم دولة في بغداد يحميها قادة من الجيش لقاء جزية يتقاضونها مما ينهبون.

وعاش عامة الشعب في فقر وخوف، وقهر ومذلة، فضمر ساعده وفقد قدرته على القتال، وخمدت همته، فأضحى في حالة رق فقد فيها قدرته على الإبداع، فأوقفه الزمن عن المسير، وأخذ ينظر إلى الشعوب تتقدمه وهو معقود اللسان ومغلول اليدين، فلا يستطيع حراكا. إلى هذه الحالة آل أمر المسلمين، في جميع الدول التي تشتت فيها دولتهم، لتساوي العلة فيها.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم ما سيؤولون إليه حين قال لهم: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟. قال: لا، بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قالوا وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت).

تفشي ظاهرة علماء السلطان خلال المرحلة العباسية:

إن فساد الدين، وفساد الخلق أساسه فساد فئتين من الناس هم العلماء والحكام كما قال ابن المبارك رحمه الله:

وهل أفسد الدين إلا الملوك

وأحبار سوء ورهبانها

وفساد الحكام سببه فساد العلماء، وفساد العلـماء سـببه الإخـلاد إلى الأرض وحـب المال والجاه، يقول حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي رحمه اللـــه، واصـفاً حـال علـماء عصره بعد أن ذكر من مواقف علماء السلف وتضحيتهم في سـبيل الحـق وعـدم اكـتراثهم ببأس السلاطين. وكان قد عاش في القرن الخامس، وعاصر الدولة السلجوقية، وما عاصرهـا من الممالك المستقلة، بعد أن وهنت عرى الخلافة العباسية:

(وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا. وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم، فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا، ففساد الرعايا بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه، ومن استولى عليه حب الدنيا فلم يقـدر عـلى الحسـبة عـلى الأراذل، فكيـف عـلى الملـوك والأكـابر، واللـــه المستعان على كل حال) إحياء علوم الدين ج92/7.

وأما الإمام الجليل ابن تيميـة فقـد قضى عمـره في صراع مـع مـن فسـد مـن علـماء السلاطين، وأئمة البدع، وكان معاصرا للدولة المملوكية في القرن الثامن في عهـد محمـد بـن قلاوون فيما كانت هجمات التتار تعصف ببلاد الشام. حتى بلغ به أن يقول مما يرى مـن نفاق علماء السلاطين وممالأتهم للأمراء على جورهم وفساد أحوالهم، فقال:

(ومتى ترك العالم ما علمه من كتاب اللـه وسـنة رسـوله صـلى اللـــه عليـه وسـلم، واتبع حكم الحاكم المخالف لحكم اللـه ورسـوله كـان مرتـدا كـافرا يسـتحق العقوبـة في الدنيا والآخرة !!) الفتاوى ج35 ص372-373.

وأما ابن حزم الذي عاش زمن ملوك الطوائف، فقد مر قوله يعرض بفقهاء القصـور، وعلماء السلطان في زمانه:

(.. مسلطون لليهود و النصارى عـلى قـوارع طـرق المسـلمين. معتـذرون بضرورة لا تبيح ما حرم اللـه. غرضهم منها استدامة إنفاذ أمرهم ونهيهم.

فلا تغالطوا أنفسكم، ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع. المزينون لأهل الشر شرهم. الناصرون لهم على فسقهم...) وقد طفحت كتب التاريخ بما سجله علماء الحق، وأئمة الهدى الذين اعتزلوا قطار الظلم والضلال مما عانوه وشاهدوه من فساد طبقة علماء السلاطين، وممالأتهم للأمراء.

وكان هذا من أسباب فساد الأحوال التي مهدت، لتتابع العقاب السنني القدري، باجتياح غارات الأعداء لعقر ديار المسلمين. قال تعالى:

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ (الإسراء:16)

وهكذا جرت السنن على تلك الممالك ومن عاش فيها من حكام ومحكومين..

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (هود:102).

وهكذا مضت الأمم وتفانت الدول، وبقيت العبرة مريرة والسنن ماضية.. قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام:45 - 42).

وهكذا هجم الروم والصليبيون على بلاد المسلمين من الغرب، واجتاحهم المغول من الشرق، وسقطت بلاد الإسلام والمسلمين تحت سنابك خيل العدو. ليسجل لنا التاريخ أهوالا يشيب لذكرها الولدان، وتقشعر لها الأبدان. بما كسبت أيدي الناس حكاما ومحكومين ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الغزو الخارجي للعالم الإسلامي

في خضم تلك الأحداث التي سادت العالم الإسلامي من انقسام دوله وتسارع انهيارها، وتنازع ملوكها وسلاطينها وأمرائها وقادتها، وإفناء بعضهم البعض بالحروب في التزاحم على السلطة والاستئثار بها.

في خضم تلك الأحداث كان العالم الإسلامي هدفا لعدوان انصب عليه من المغرب والمشرق.

- فمن المغرب شنت أوروبا المسيحية عليه خلال قرنين من الزمان سبع حملات صليبية على بلاد الشام ومصر.

وفي بلاد الأندلس تتابعت حملات الإسبان الصليبية، وكانت البابوية صاحبة الدعوة لهذه الحروب.

- ومن المشرق اقتحمت جيوش المغول (التتار) الدول الإسلامية في بلاد ما بين النهرين وتجاوزتها إلى إيران والعراق وآسيا الصغرى وأخيرا بلاد الشام متجهة إلى مصر.

وقد تمكنت دولة الأيوبيين ومن بعدها دولة المماليك من صد هذه الحملات في موقعتين شهيرتين هما (حطين) مع الصليبيين، و (عين جالوت) مع التتار.

أما في بلاد الأندلس فكان الصراع على الملك بين الملوك والانشغال به عن أمور الدويلات المتصارعة القدر المحتوم للنهاية التي ختمت بها دولة الإسلام بعد حكم دام ثماني مئة عام.

أولا- النورمانديون يخرجون المسلمين من جنوب إيطاليا وصقلية:

في عام 212هـ استولى العرب على جزيرة صقلية بقيادة قاضي القيروان أسد ابن الفرات في عهد زيادة الله الأول الأغلبي، أمير إفريقية (تونس) واكتمل فتحها سنة 248هـ وأقيمت مدينة (بالرمو) عاصمة لها، وضمت إلى دولة الأغالبة في تونس.

وفي عام 226هـ اجتاز العرب البحر من شمال صقلية إلى جنوب إيطاليا واستولوا على مدينة (باري) وألحقوها بدولتهم بصقلية.

وفي عام 297هـ انقضت دولة الأغالبة باستيلاء العبيديين عليها بزعامة عبيد الله المهدي وألحقوها بدولتهم التي أقاموها في تونس حتى سنة 336هـ إذ ثار الكلبيون في صقلية على حكم العبيديين واستقلوا بها بزعامة الحسن بن علي الكلبي.

وفي عام 432هـ استولى النورمانديون على جنوب إيطاليا بزعامة (تنكريد ده هوتفيل toncred de hauteville) وأقاموا فيها دولة نورماندية وأخرجوا العرب من مدينة (باري).

وفي عام 464هـ اجتاز النورمانديون البحر إلى صقلية بزعامة (روبير جيسكار الأول rober jescar i) وأخذوا بطرد العرب منها وأتموا الاستيلاء عليها سنة 480هـ وأزالوا الحكم العربي وانطوى علمه، الذي كان خفاقا مدة (270) عاما.

ثانيا - الحروب الصليبية:

أسبابها وعواملها:

ترجع هذه الحروب في أسبابها إلى ثلاثة عوامل مجتمعة: دينية وسياسية واقتصادية.

ففي أعقاب خطاب ألقاه البابا (أوربان الثالث) في مدينة كليرمون فران clermont ferrand) بفرنسا في 26 نوفمبر - تشرين الثاني - سنة 488 / 1095م استجاب فيه لنداء من الإمبراطور البيزنطي ألكسيس كومنين يطلب منه العون ضد السلاجقة الأتراك وإعلان الحرب عليهم. لبس لباس النسك وعرف ببطرس الناسك، وفيها دعا إلى حرب المسلمين واسترداد بيت المقدس من أيديهم.

وقد استجاب لنداء البابا وصيحة الراهب فئات ثلاث: الفقراء و الأقنان (أرقاء الأرض)، وأمراء الإقطاع، وأصحاب التجارات. فأما الفقراء وهم الطبقة

الكبرى فكانوا يعيشون في قلة وحرمان، تفتك فيهم الأوبئة التي كانت تجتاح أوربا ومثلهم الأقنان، وهم الأرقاء المرتبطون بأراضي السادة الإقطاعيين، يملكهم السيد الإقطاعي مع الأرض. فكان هؤلاء يحلمون ببلاد فيها كل النعيم ويطمعون بغفران الكنيسة لخطاياهم، وكانت هذه هي القوة الروحية الدافعة للحرب.

وأما أمراء الإقطاع فكانوا فئتين، فئة تملك اللقب والمال وفئة فقيرة تملك اللقب ولا تملك المال، وذلك أن شريعة الإرث في نظام الإقطاع كانت تقضي بتوريث الولد البكر اللقب والمال وتخص الآخرين من الأبناء باللقب دون المال، وكان يطلق عليهم اسم (المعدمين sans avoir) أي الذين لا يملكون شيئا أو يطلق عليهم اسم (بدون أرض sans terre) أي الذين لا يملكون أرضا.

وكان الأمراء المالكون للإقطاع في صراع فيما بينهم، وكانت الدعوة للحرب الصليبية سببا في عقد أيديهم بالصلح وتحويل الصراع إلى قتال المسلمين. أما الأمراء الذين لا يملكون فكانوا ينتزعون معيشتهم بالقتل والقتال، ينقمون على مجتمع خصهم بالحرمان، فكانت الدعوة لحرب المسلمين منفرجا لهم ومنعرجا في سلوكهم، فانضمت أفواجهم إليها طمعا في أرض يملكونها وغنائم ينعمون بها. وأما أصحاب التجارات فهم أصحاب المدن البحرية الذين يملكون السفن ويحلمون بالوصول إلى شواطئ بلاد الشام لإقامة علاقات تجارية مع مدنها، وقد حققت مدن جنوة و بيزا والبندقية الإيطالية أحلامها وجنت أرباحا كبيرة في نقل الحملات الصليبية والاتجار مع بلاد مصر والشام. وقد تعاقبت الحروب الصليبية في سبع حملات في مدى مائتي عام:

- الحملة الصليبية الأولى (491هـ / 1097 م):

وتقسم إلى قسمين:

الحملة الشعبية: وقد قادها بطرس الناسك، والأسقف مونتي، وتكونت من جموع غفيرة غير منتظمة ولا مؤتلفة، وكان أكثرها من الفرنسيين، لأن الدعوة لحرب المسلمين جاءت من (بابا) فرنسي وصدرت من بلدة فرنسية ونادى بها

راهب فـرنسي. لـذلك كـان المسـلمون يسـمون الصـليبيين بالفرنجـة وهـو الاسـم القـديم للفرنسيين في ذلك الزمان من العوام والغوغاء تحركوا بغير تجهيز ولا ترتيب، واعتمـدوا في طريقهم النهب والسلب، فقاتلهم الناس على طول طريقهم في بلـدان أوربـا الشرقيـة، ثـم مروا بالقسطنطينية، وعبروا منها إلى أسيا الصغرى، وهناك تولى السـلاجقة القضـاء علـيهم بكل سهولة.

حملة الأمراء: وقد تحركت في إثرها وقد تألفت هذه الحملة من خلـيط مـن أمـراء أوربيين. وقد تولى قيادة تلك الجموع أمراء فرنسيون توجهوا بها بطريق البر واجتازوا بهـا مدينة القسطنطينية، وتمكنت الحملـة مـن شـق طريقهـا إلى الحـدود الفاصـلة بـين شرق الأناضول وبلاد الشام فافترقت إلى ثلاث فرق، فرقة اتجهت شرقـا واحتلـت مدينـة (الرهـا edesse) سنة 491هـ وأقامت بها إمارة صليبية بزعامة (بودوان الأول baudouin)

وفرقة اتجهت نحو الجنوب ودخلت بـلاد الشـام باتجـاه سـاحل المتوسـط واحتلـت مدينة أنطاكية سنة 492هـ وأقامت فيهـا إمـارة صـليبية أخـرى بزعامـة (بوهمنـد الثـاني النورماندي(bohemond II) ثـم اتجهـت نحـو القـدس فوصـلتها سـنة 493هــ /1099م وأطبقت عليها بحصـارها، ولم تـتمكن الحاميـة الفاطميـة مـن الـدفاع عنهـا فاستسـلمت ودخلها الصليبيون في يـوم 15 تمـوز / يوليـو / سـنة 1099م وأثخنـوا القتـل في أهلهـا مـن مسـلمين ويهـود ومسـيحيين أرثـوذكس، ويعـترف المؤرخـون الأوروبيـون بهـول مـا فعلـه الصليبيون وفي ذلك تقول المؤرخة الألمانيـة (زوي أولـدنبورغ zoe oldenburg) في كتابهـا عن الحروب الصليبية: (إن المذبحة التي أقدم عليها الصليبيون في اجتياحهم القدس تعـد في عداد أكبر جرائم التاريخ).

وقد أقام الصـليبيون في القـدس مملكـة صـليبية بزعامـة أمـير اللـورين (غـودفراده بويون godefroy de bouillon) وفي عام 1100م توجه لحصار عكا فأصـابه سـهم فقتـل وخلفه أخوه (بودوان baudouin).

- الحملة الصليبية الثانية (539هـ / 1145 م):

في عام 539هـ / 1144م استرد أمير الموصل عماد الدين زنكي مدينة الرها من الصليبيين، وأسقط إمارتها فتألفت بسببها حملة صليبية ثانية بزعامة كونراد الثالث (Conrad III) ملك ألمانيا ولويس التاسع (Louis ix) ملك فرانسا. ولكن عماد الدين زنكي دحرهم، وبعد أن اغتال الحشاشون الباطنية عماد الدين زنكي، حمل ابنه نور الدين زنكي لواء الجهاد ضد الصليبيين، واستطاع استرداد مدينة انطاكية سنة (559هـ / 1163 م)، وهكذا عادت الحملة الثالثة أدراجها بعد فشلها في حصار دمشق. ثم تابع نور الدين جهادهم طيلة حياته بلا كلل.

ولما ورث صلاح الدين الأيوبي مملكة نور الدين، وأقام الدولة الأيوبية حمل الأمانة بهمة وتفاني، وتتالت انتصاراته إلى أن توجها بمعركة حطين (583هـ / 1187م) حيث أسر فيها ملك بيت المقدس الصليبي(جان لوزجنان) وكبار أمراء الصليبيين، و قتل أرناط الذي قطع طريق الحج وكان سبب انهيار الهدنة بينه وبينهم. ثم تابع صلاح الدين بعد حطين، فاسترد طبريا، وعكا، و قيسارية،وحيفا، ويافا، وصيدا..مما سبب قدوم الحملة الثالثة.

- الحملة الصليبية الثالثة (583هـ / 1187م):

نتيجة انتصارات صلاح الدين، تألفت حملة صليبية ثالثة بزعامة فردريك باربـاروس الأول ملك ألمانيا (Fredric barbarous) و (فيليب أوغست Philippe Augusta) ملك فرنسا و (ريتشارد قلب الأسد Richard Coeur de lion) ملك إنكلترا.

وقد سلك فردريك طريق البر واجتاز القسطنطينية إلى بر الأناضول وغرق أثناء عبوره نهرا في(كليكيا) وتشتتت حملته، وعاد فيليب أوغست إلى فرنسا بعد اختلافه مع ريتشارد قلب الأسد وزعموا أن ذلك كان لمرضه. أما ريتشارد قلب الأسد فقد تابع طريقه، ولكن صلاح الدين تمكن من فتح بيت المقدس (583هـ

/1187م) ثم عقد صلحا مـع ريتشـارد قلـب الأسـد دعـي بصـلح الرملـة سـنة (588هــ - 1192م). رجع ريتشارد على إثره إلى بلاده.

- الحملة الصليبية الرابعة (595هـ / 1198 م) :

بعد استرداد بيت المقدس، استصرخ البابـا (أنوسـت الثالـث) ملـوك أوربـا لاسـترداد بيـت المقدس، وفي عام 598 هـ / 1202م تألفت حملة صليبية أعدها أمراء فرنسيون مـنهم (بـودوان التاسع أمير فلاندر) و (تيبو الثالث أمير شـامباني) و (لـويس أمـير بلـوا) وآخـرون، وكانـت مصر هدفا لهم. وقد اتفقوا مع ملاحي البندقية على نقلهم إلى الإسـكندرية. ولمـا علـم الملـك العـادل الأيوبي بهذا الاتفاق، مـنح البنادقـة امتيـازات تجاريـة فتحـول قـادة الحملـة إلى القسـطنطينية فاجتاحوها وأقاموا فيها دولة لاتينية سـنة (600هــ/1204م) ولّـوا عليهـا بـودوان التاسـع ملكـا وأعلنوا المذهب الكاثوليكي وقد استمرت هذه الدولة قائمة حتى سـنة 658 هــ /1260م. ولكـن بعض جنود الحملة تابعوا طريقهم وانضم إليهم بعض الصليبيين من سـواحل الشـام وهـاجموا مدينة رشيد في دلت النيل، وفشلوا في دخولها وعادوا خائبين لم تحقق هدفها كحملة صليبية.

حملة الأطفال (608هـ / 1212 م):

بعد شيوع أخبار سقوط بيت المقدس وفشل الحملة الرابعـة عـم السـخط الأوسـط الأوربية، وتعاظم الحماس الديني حتى بين الأطفال، الذين زعم أحدهم أن العناية الإلهية كلفته بقيادة الحملة وانضم بعـض القساوسـة للـترويج لهـا، حيـث توجـه بالأطفـال مـن قادهم إلى موانئ إيطاليا، حيث حملتهم السفن إلى موانئ الشـام، حيـث يـروى أن تجـار الرقيق غدروا بهم حيث باعوهم في أسواق النخاسة في المشرق.

- الحملة الصليبية الخامسة (614هـ /1212 م):

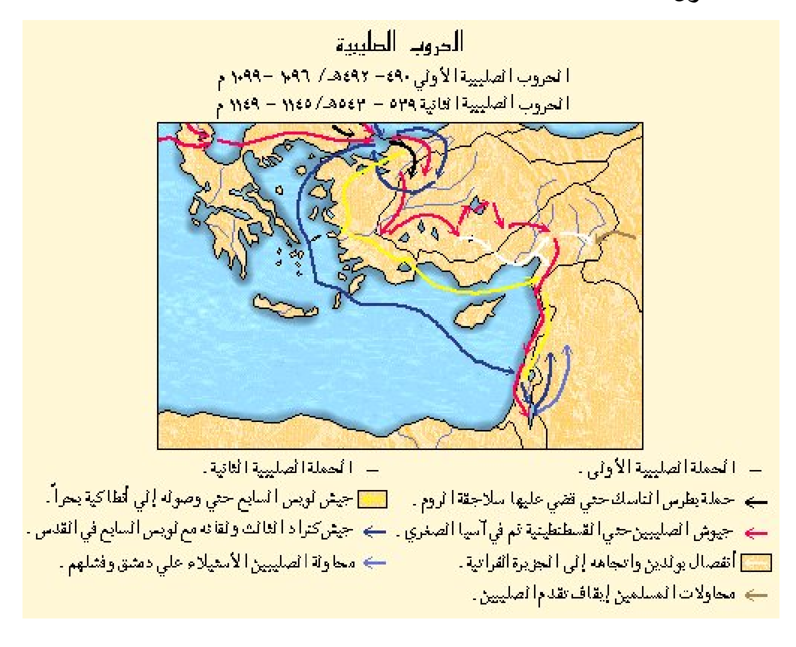
تألفت هذه الحملة سنة 615 هـ / 1219م بزعامة (جان ده بريان Jean de brienne) ملك بيت المقدس الذي أراد حماية أملاكه في الشـام، واتجهـت الحملة إلى مصر فاستولت على مدينة دمياط نتيجة مرض الملـك الكامـل، ثـم

اتجهوا إلى مدينة فارسكو، وقت فيضان النيل، ففتح الفلاحون عليهم سيول ماء النيل، ثـم هاجمتهم جيوش الكامل وغنمت معظم سفنهم وسلاحهم، ثـم اسـترد المصريـون دميـاط وأجلوا الحملة عن مصر.

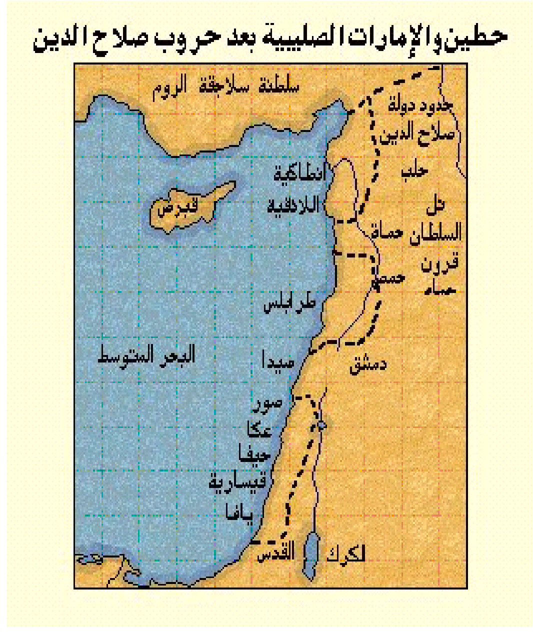
- الحملة الصليبية السادسة (625هـ / 1228 م):

أعد هذه الحملة الملك (فردريك الثاني، ملك ألمانيا Frederic)بتحريض من البابوية. فقد توجـه بحملتـه سـنة 625 هــ / 1228م إلى بـلاد الشـام بطريـق البحـر، وكـان الملـك الكامل، صاحب مصر، قد استنجد به ليعينه على أخيه الملك المعظم عيسى لكي ينتزع منه دمشق وفق شروط تم الاتفاق عليها منها تسليمه القدس وقدم فردريك بحملته إلى عكـا. وكان الملك المعظم عيسى قد توفي وخلفه ابنه الملك المنصور داود فتصالح مع عمـه الملـك الكامل وسلمه دمشق حيث أعطاه بدلا منها مدن صرخد و الشوبك والكرك.

وباستلام الملك الكامـل لمدينـة دمشـق نفـذ شروط الاتفـاق وسـلم فردريـك مدينـة القدس فدخلها وتوج نفسه ملكا عليها وعاد إلى بلاده وبذلك أنهى مهمة الحملة الصليبية التي قادها دون قتال.




تكوين الإمارات الصليبية بالشام
نتيجة للحملة الصليبية الأولى
سلطنة سلاجقة الروم
إمارة
الرها
مملكة أرمينا
الدولة
البيزنطية
نهر
الخابور
إسكندرونة
حلب
أنطاكية
الرقة
نهر
الفرات
اللاذقية
قبرص
حمص
طرابلس
بيروت
دمشق
عكا
أرسوف
يافا
نهر الأردن
بيت
المقدس
غزه
الكرك
الدولة
الفاطمية


حطين والإمارات الصليبية بعد حروب صلاح الدين
سلطنة سلاجقة الروم
حدود دولة
صلاح الدين
حلب
انطاكية
قبرص
اللاذقية
تل
السلطان
حماة
قرون
حماه
حمص
طرابلس
البحر المتوسط
صيدا
دمشق
صور
عكا
حيفا
قيسارية
يافا
القدس
الكرك

- الحملة الصليبية السابعة (647هـ / 1249م):

جهز هذه الحملة الملك الفرنسي لويس التاسع الملقب – لتدينه - بالقديس لويس، ووجهها نحو مصر، فقد رأى أن استرداد بيت المقدس عن طريق مصر أيسر من استردادها عن طريق بلاد الشام. فتوجه بحملة بحرية إلى مصر سنة 646 هـ / 1249م واستولى على مدينة دمياط نتيجة مرض الملك الصالح نجم الدين أيوب. ثم توجه لحصار المنصورة. وخلال الموقعة التي جرت فيها بينه وبين المسلمين توفي الملك الصالح نجم الدين أيوب فأخفت زوجته شجرة الدر الخبر، وقاد ابنها توران شاه، وقائد أبيه ومملوكه (المعز إيبك) المعركة التي كتب فيها النصر، وأسر الملك الفرنسي مع جملة من أمراء الحملة، وأودعوا السجن في دار ابن لقمان ثم أطلق لقاء فدية كبيرة.

محاولة صليبية لغزو مصر من إفريقية:

لم يبرح الملك لويس التاسع التفكير بغزو مصر وعزم على تنفيذ فكرته بغزوها عن طريق إفريقية (تونس) فقاد إليها سنة 669 هـ / 1270م حملة، ولكن القدر كان أغلب منه، فقد نبا به جواده وهلك، وقيل أن هلاكه كان بسبب الوباء. وهكذا باءت خطته بالفشل والخسران.

وقد توقفت بعد هذه الحملة الحملات الصليبية على بلاد الشام ومصر وانصرف أمراء أوربا إلى حروبهم الداخلية هناك. غير أن احتلال الصليبيين لبعض مدنها وقلاعها ظل قائما إلى أن جاءت دولة المماليك البحرية فجرد عليهم الملك الظاهر بيبرس البندقداري ومن بعده الملك قلاوون جيوشه وأخرجهم من بلاد الشام فتحررت منهم بعد مائتي عام ونيف من السنين قضوها في بعض مناطقها، و كانت سنة (648هـ / 1291م) سنة سقوط عكا، آخر معاقل الصليبيين في بلادنا موعد تنظيف سواحل الشام من دنسهم.

ثالثا- اجتياح التتار(المغول) للعالم الإسلامي:

قامت دولة المغول بزعامة مغولي يدعى (تيموجين)، وقد تمكن من جمع أشتات قبيلته والاستيلاء على بلاد الصين وبلاد التيبت وقهر الشعوب المحيطة بدولته، فدعاه شيوخ قبيلته (جنكيزخان) أي الملك القاهر وأصبح معروفا بهذا اللقب.

وقد أراد أن يقيم علاقات حسن جوار مع دولة خوارزم وكانت أكبر دولة إسلامية في المشرق وملكها يومئذ علاء الدين محمد، لتأمين التبادل التجاري مع بلاده وحماية القوافل التجارية مع البلاد الإسلامية، فأرسل إليه رسلا يحملون كتابا منه يطلب فيه أن يتعهد له بتأمين التبادل التجاري وحماية القوافل التجارية، فلم يجد خوارزم شاه في عبارة الكتاب ما يليق بمقامه، فقد وجد أن جنكيزخان يخاطبه كما يخاطب ابنه، فوافق على طلبه على مضض، وكتم غيظه حتى وقعت الواقعة.

فقد توجهت قافلة كبيرة. تحمل أموالا ثمينة، فلما اجتازت حدود خوارزم ودخلت مدينة (أترار) قبض عاملها على أفرادها فقتلهم وصادر أموال القافلة، وقيل إن ما فعله كان بأمر شاه خوارزم علاء الدين. فلما علم جنكيز خان بالأمر صمم على الانتقام، وتوجه سنة 614هـ على رأس جيش جرار، فغزا خوارزم وأخرب مدنها ومنها سمرقند و بخارى وقتل من فيها من السكان، ولم يستطع علاء الدين خوارزم شاه مقاومة هذا الغزو، فهرب من وجه المغول، فتبعوه وأخذوا يطاردونه حتى بلغ بحر قزوين فلجأ إلى جزيرة فيه، وفيها توفي سنة 617هـ مطرودا منسيا.

فخلفه ابنه جلال الدين منكبرتي، فكان أسوأ حظا من أبيه، وأمضى مدة ملكه مع فلول جنده، هاربا من إقليم إلى إقليم، حتى انتهى به المطاف سنة 629هـ إلى ميافارقين بجزيرة عمر، فأوى إلى قرية قريبة منها، فدخل عليه من اغتاله فقضى شريدا، وبه انتهت دولة خوارزم.

وعاد جنكيزخان إلى بلاده، وتولى حفيده (هولاكو) قيادة جحافل المغول متجها نحو المشرق، يغير على مدنه ويمعن فيها القتل والسبي والنهب، حتى أحاطت جيوشه ببغداد في شهر صفر سنة 656هـ فاجتاحها وأخذ جنده في تخريبها وسفك دماء أهلها، ولم يسلم الخليفة المستعصم بالله من نقمة المغول فقتلوه مع أهله في اليوم الرابع من شهر صفر من ذلك العام وبقتله انقضت دولة بني العباس ببغداد.

خلاصة أحوال المسلمين إبان اجتياح التتار بحسب رواية ابن كثير رحمه اللـه:

وسأورد مجملا عنها بشيء من الإسهاب لما فيها من الدروس والعبر والتشابه مع أحوالنا هذه الأيام. واللـه المستعان.

قال ابن كثير رحمه اللـه:

ففي سنة616 هـ:

عبر التتار نهر جيحون بصحبة ملكهم جنكيزخان من بلادهم وكانوا يسكنون جبال طمغاج من أرض الصين، وسبب دخولهم نهر جيحون أن جنكيزخان بعث تجارا له ومعهم أموال كثيرة إلى بلاد خوارزم شاه يتبضعون له ثيابا للكسوة فكتب نائبها إلى خوارزم شاه يذكر له ما معهم من كثرة الأموال فأرسل إليه بأن يقتلهم ويأخذ ما معهم ففعل ذلك. فلما بلغ جنكيزخان خبرهم أرسل يتهدد خوارزم شاه. فلما تهدده أشار من أشار على خوارزم شاه بالمسير إليهم فسار إليهم وهم في شغل شاغل بقتال كشلى خان فنهب خوارزم شاه أموالهم وسبى ذراريهم وأطفالهم فأقبلوا إليه محروبين. فاقتتلوا معه أربعة أيام قتالا لم يسمع بمثله أولئك يقاتلون عن حريمهم والمسلمون عن أنفسهم يعلمون أنهم متى ولوا استأصلوهم، فقتل من الفريقين خلق كثير حتى إن الخيول كانت تزلق في الدماء.

وكان من جملة من قتل من المسلمين نحوا من عشرين ألفا ومن التتار أضعاف ذلك ثم تحاجز الفريقان وولى كل منهم إلى بلاده ولجأ خوارزم شاه وأصحابه إلى بخارى و سمرقند فحصنها وبالغ في كثرة من ترك فيها من المقاتلة ورجع إلى بلاده ليجهز.


غارات المغول على الدول الإسلامية خلال القرن الثالث عشر
بحر بنطس
بحر
قزوين
اترار
طشقند
بخارى
سمرقند
الدولة
الخوارزمية
سلطنة
سلاجقة الروم
مرو
بلخ
بشاور
حلب
الدولة
العباسية
قزوين
هيات
غزنه
بحر
الروم
دمشق
بغداد
عين جالوت
غزة
بيت
المقدس
القاهرة
إلى الصين
اتجاه الإغارات المغولية
سلطنة
المماليك
بحر
القلزم
الخليج
العربي

الجيـوش الكثـيرة فقصـدت التتـار بخـارى وبهـا عشرون ألـف مقاتـل فحاصرهـا جنكيزخان ثلاثة أيام فطلب منه أهلها الأمان فأمنهم ودخلها فأحسن السـيرة فـيهم مكـرا وخديعة وامتنعت القلعة عليه ففتحوها فقتل من كان بها، ثـم عـاد إلى البلـد فاصـطفى أموال تجارها وأحلها لجنده فقتلوا من أهلها خلقا لا يعلمهـم إلا اللــه عـز وجـل وأسروا الذرية والنساء و فعلوا معهن الفواحش بحضرة أهليهن فمن الناس من قاتل دون حريمـه حتى قتل ومنهم من أسر فعذب بأنواع العذاب وكثر البكاء والضـجيج بالبلـد مـن النسـاء والأطفال والرجال ثم ألقت التتـار النـار في دور بخـارى ومدارسـها ومسـاجدها فاحترقـت حتى صارت بلاقع خاوية على عروشها ثم كروا راجعين عنها قاصدين.

وفي سنة 617 هـ:

عم البلاء بجنكيز خان المسمى بتموجين لعنـه اللــه تعـالى ومـن معـه مـن التتـار قبحهم اللـه أجمعين واسـتفحل أمـرهم واشـتد إفسـادهم مـن أقصى بـلاد الصـين إلى أن وصلوا بلاد العراق وما حولها حتى انتهوا إلى إربل وأعمالها. فملكوا في سنة واحـدة وهـي هذه السنة سائر الممالك إلا العراق والجزيرة والشام ومصر وقهروا جميع الطوائـف التـي بتلك النواحي الخوارزمية و القفجاق و الكرج و الـلان و الخـزر وغـيرهم وقتلـوا في هـذه السنة من طوائف المسلمين وغيرهم في بلدان متعددة كبار مالا يحد ولا يوصف وبالجملة فلم يدخلوا بلدا إلا قتلوا جميع من فيه من المقاتلة والرجال وكثيرا من النسـاء والأطفـال، وأتلفوا ما فيه بالنهب إن احتاجوا إليه وبالحريق إن لم يحتـاجوا إليـه وأكـثر مـا يحرقـون المساجد والجوامع.

وكانوا يأخذون الأسارى من المسلمين فيقاتلون بهـم ويحـاصرون بهـم وإن لم ينصـحوا في القتـال قتلوهم، وقد بسط ابن الأثير في كامله خبرهم في هذه السنة بسطا حسنا مفصلا قال: فنقول هذا فصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التـي عقمـت الليـالي والأيـام عـن مثلها،عمـت الخلائـق وخصت المسلمين فلو قال قائل إن العالم منـذ خلـق اللــه آدم وإلى الآن لم يبتلـوا بمثلهـا لكـان صـادقا

فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا يدانيها ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعل بختنصر ببني إسرائيل من القتل وتخريب بيت المقدس وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس وما بنو إسرائيل بالنسبة لما قتلوا فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل ولعل الخلائق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا إلا يأجوج و مأجوج.

وأما الدجال فإنه يبقي على من اتبعه ويهلك من خالفه وهؤلاء لم يبقوا على أحد بل قتلوا الرجال والنساء والأطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة. فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لهذه الحادثة التي استطار شررها وعم ضررها وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح فإن قوما خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر و بلاساغون، ثم منها إلى بلاد ما رواء النهر مثل سمرقند و بخارى وغيرهما فيملكونها ويفعلون بأهلها ما نذكره، ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيفرغون منها ملكا وتخريبا وقتلا ونهبا، ثم يجاوزونها إلى الري و همذان وبلد الجبل وما فيه من البلاد إلى حد العراق ثم يقصدون بلاد اذربيجان و أران ويخربونه ويقتلون أكثر أهلها ولم ينج منهم إلا الشريد النادر في أقل من سنة هذا ما لم يسمع بمثله.

ثم ساروا إلى دربند شروان فملكوا مدنه ولم يسلم غير قلعته التي بها ملكهم وعبروا عندها إلى بلد اللان اللكز ومن في ذلك الصقع من الأمم المختلفة فأوسعوهم قتلا ونهبا وتخريبا، ثم قصدوا بلاد قفجاق وهم من أكثر الترك عددا فقتلوا كل من وقف لهم وهرب الباقون إلى الغياض وملكوا عليهم بلادهم وسارت طائفة أخرى إلى غزنة وأعمالها وما يجاورها من بلاد الهند و سجستان وكرمان ففعلوا فيها مثل أفعال هؤلاء وأشد.

هذا ما لم يطرق الأسماع مثله فإن الإسكندر الذي اتفق المؤرخون على أنه ملك الدنيا لم يملكها في سنة واحدة إنما ملكها في نحو عشر سنين ولم يقتل أحدا بل رضي من الناس بالطاعة وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأطيبه

وأحسنه عمارة وأكثره أهلا وأعدلهم أخلاقا وسيرة في نحو سنة ولم يتفق لأحد من أهل البلاد التي لم يطرقوها بقاء إلا وهو خائف مترقب وصولهم وهم مع ذلك يسجدون للشمس إذا طلعت ولا يحرمون شيئا ويأكلون ما وجدوه من الحيوانات والميتات لعنهم اللـه تعالى.

قال وإنما استقام لهم هذا الأمر لعدم المانع؛ لأن السلطان خوارزم شاه محمد كان قد قتل الملوك من سائر الممالك واستقر في الأمور فلما انهزم منهم في العام الماضي وضعف عنهم وساقوا وراءه فهرب فلا يدري أين ذهب وهلك في بعض جزائر البحر. خلت البلاد ولم يبق لها من يحميها:

(لِيَقْضِيَ اللـه أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللـه تُرْجَعُ الأُمُورُ).

ثم قصد التتار سمرقند فحاصروها في أول المحرم من هذه السنة وبها خمسون ألف مقاتل من الجند فنكلوا وبرز إليهم سبعون ألفا من العامة فقتل الجميع في ساعة واحدة وألقى إليه الخمسون ألف السلم فسلبهم سلاحهم وما يمتنعون به وقتلهم في ذلك اليوم واستباح البلد فقتل الجميع وأخذ الأموال وسبى الذرية وحرقه وتركه بلاقع فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأقام لعنه اللـه هنالك وأرسل السرايا إلى البلدان فأرسل سرية إلى بلاد خراسان وتسميها التتار المغربة وأرسل أخرى وراء خوارزم شاه وكانوا عشرين ألفا قال اطلبوه فأدركوه ولو تعلق بالسماء فساروا وراءه فأدركوه وبينهم وبينه نهر جيحون وهو آمن بسببه فلم يجدوا سفنا فعملوا لهم أحواضا يحملون عليها الأسلحة ويرسل أحدهم فرسه ويأخذ بذنبها فتجره الفرس بالماء وهو يجر الحوض الذي فيه سلاحه حتى صاروا كلهم في الجانب الآخر فلم يشعر بهم خوارزم شاه إلا وقد خالطوه فهرب منهم إلى نيسابور ثم منها إلى غيرها وهم في أثره لا يمهلونه يجمع لهم فصار كلما أتى بلدا ليجتمع فيه عساكره له يدركونه فيهرب منهم حتى ركب في بحر طبرستان وسار إلى قلعة في جزيرة فيه فكانت فيها وفاته.

وقيل إنه لا يعرف بعد ركوبه في البحر ما كان من أمره بل ذهب فلا يدرى أين ذهب ولا إلى أي مفر هرب وملكت التتار حواصله فوجدوا في خزانته عشرة آلاف ألف دينار (...) ثم ساروا إلى مازندران وقلاعها من أمنع القلاع بحيث إن المسلمين لم يفتحوها إلا في سنة تسعين من أيام سليمان بن عبد الملك ففتحها هؤلاء في أيسر مدة ونهبوا ما فيها وقتلوا أهاليها كلهم وسبوا وأحرقوا ثم ترحلوا عنها نحو الري فوجدوا في الطريق أم خوارزم شاه ومعها أموال عظيمة جدا فأخذوها وفيها كل غريب ونفيس مما لم يشاهد مثله من الجواهر وغيرها ثم قصدوا الري فدخلوها على حين غفلة من أهلها فقتلوهم وسبوا وأسروا.

ثم ساروا إلى همذان فملكوها، ثم إلى زنجان فقتلوا وسبوا ثم قصدوا قزوين فنهبوها وقتلوا من أهلها نحوا من أربعين ألفا ثم تيمموا بلاد أذربيجان فصالحهم ملكها أزبك بن البهلوان على مال حمله إليهم لشغله بما هو فيه من السكر وارتكاب السيئات والانهماك على الشهوات فتركوه وساروا إلى موقان فقاتلهم الكرج في عشرة آلاف مقاتل فلم يقفوا بين أيديهم طرفة عين حتى انهزمت الكرج فأقبلوا إليهم بحدهم وحديدهم فكسرتهم التتار وقعة ثانية أقبح هزيمة وأشنعها، و ههنا قال ابن الأثير: ولقد جرى لهؤلاء التتار ما لم يسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه طائفة تخرج من حدود الصين لا تنقضي عليهم سنة حتى يصل بعضهم إلى حدود بلاد أرمينية من هذه الناحية ويجاوزون العراق من ناحية همذان وتالله لا أشك أن من يجيء بعدنا إذا بعد العهد ويرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدها والحق بيده فمتى استبعد ذلك فلينظر أننا سطرنا نحن وكل من جمع التاريخ في أزماننا هذه في وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة قد استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها يسر الله للمسلمين والإسلام من يحفظهم ويحوطهم فلقد دفعوا من العدو إلى أمر عظيم ومن الملوك المسلمين إلى من لا تتعدى همته بطنه وفرجه وقد عدم سلطان المسلمين خوارزم شاه.

قال وانقضت هذه السنة وهم في بلاد الكرج فلما رأوا منهم ممانعة و مقاتلة يطول عليهم بها المطال عدلوا إلى غيرهم وكذلك كانت عادتهم فساروا

إلى تبريز فصالحهم أهلها بمال ثم ساروا إلى مراغة فحصروها ونصبوا عليها المجانيق و تترسوا بالأسارى من المسلمين وعلى البلد امرأة (ولن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) ففتحوا البلد بعد أيام وقتلوا من أهله خلقا لا يعلم عدتهم إلا اللـه عز وجل وغنموا منه شيئا كثيرا وسبوا وأسروا على عادتهم لعنهم اللـه لعنة تدخلهم نار جهنم وقد كان الناس يخافون منهم خوفا عظيما جدا حتى إنه دخل رجل منهم إلى درب من هذه البلد وبه مئة رجل لم يستطع واحد منهم أن يتقدم إليه وما زال يقتلهم واحدا بعد واحد حتى قتل الجميع ولم يرفع منهم أحد يده إليه ونهب ذلك الدرب وحده ودخلت امرأة منهم في زي رجل بيتا فقتلت كل من في ذلك البيت وحدها ثم استشعر أسير معها أنها امرأة فقتلها لعنها اللـه.

ثم قصدوا مدينة إربل فضاق المسلمون لذلك ذرعا وقال أهل تلك النواحي هذا أمر عصيب وكتب الخليفة إلى أهل الموصل والملك الأشرف صاحب الجزيرة يقول إني قد جهزت عسكرا فكونوا معه لقتال هؤلاء التتار فأرسل الأشرف يعتذر إلى الخليفة بأنه متوجه نحو أخيه الكامل إلى الديار المصرية بسبب ما قد دهم المسلمين هناك من الفرنج وأخذهم دمياط التي قد أشرفوا بأخذهم لها على أخذ الديار المصرية قاطبة، وكان أخوه المعظم قد قدم عليه إلى حران يستنجده لأخيهما الكامل ليتحاجزوا الفرنج بدمياط وهو على أهبة المسير إلى الديار المصرية فكتب الخليفة إلى مظفر الدين صاحب إربل ليكون هو المقدم على العساكر التي يبعثها الخليفة وهي عشرة آلاف مقاتل فلم يقدم عليه منهم ثمانمائة فارس ثم تفرقوا قبل أن يجتمعوا فإنا لله وإنا إليه راجعون ولكن اللـه سلم بأن صرف همة التتار إلى ناحية همذان فصالحهم أهلها وترك التتر عندهم شحنة ثم اتفقوا على شحنتهم فرجعوا إليهم فحاصروهم حتى فتحوها قسرا وقتلوا أهلها عن آخرهم.

ثم ساروا إلى أذربيجان ففتحوا أردبيل ثم تبريز ثم إلى بيلقان فقتلوا من أهلها خلقا كثيرا وجما غفيرا وحرقوها وكانوا يفجرون بالنساء ثم يقتلونهن ويشقون بطونهم عن الأجنة ثم عادوا إلى بلاد الكرج وقد استعدت لهم الكرج فاقتتلوا معهم فكسروهم أيضا كسرة فظيعة ثم فتحوا بلدانا كثيرة يقتلون أهلها

ويسبون نساءها ويأسرون من الرجال ما يقـاتلون بهـم الحصـون يجعلـونهم بـين أيـديهم ترسا يتقون بهم الرمي وغيره ومن سلم منهم قتلوه بعد انقضاء الحرب.

ثم ساروا إلى بلاد اللان و القفجاق فاقتتلوا معهم قتـالا عظـيما فكسروهـم وقصـدوا أكبر مدائن القفجـاق وهـي مدينـة سـوداق وفيهـا مـن الأمتعـة والثيـاب و التجـائر مـن البرطاسي و القندز والسـنجاب شيء كثـير جـدا ولجـأت القفجـاق إلى بـلاد الـروس وكـانوا نصارى فاتفقوا معهم على قتال التتار فالتقوا معهم فكسرتهم التتار كسرة فظيعة جدا ثم ساروا نحو بلغار في حدود العشرين وستمائة ففرغوا من ذلك كلـه ورجعـوا نحـو ملكهـم جنكيزخان لعنه اللـه وإياهم هذا ما فعلته هذه السرية المغربة.

وكان جنكيزخان قد أرسل سرية في هذه السنة إلى ترمذ فأخذتها وأخرى إلى فرغانـة فملكوها وجهز جيشا آخر نحو خراسان فحاصروا بلـخ فصـالحهم أهلهـا وكـذلك صـالحوا مدنا كثيرة أخرى حتى انتهوا إلى الطالقان فـأعجزتهم قلعتهـا وكانـت حصـينة فحصروهـا ستة أشهر حتى عجزوا فكتبوا إلى جنكيزخان فقدم بنفسه فحاصرهـا أربعـة أشـهر أخـرى حتى فتحها قهرا ثم قتل كل من فيها وكل من في البلد بكماله خاصة وعامة.

ثم قصدوا مدينة مرو مع جنكيزخان فقد عسـكر بظاهرهـا نحـو مـن مـائتي ألـف مقاتل من العرب وغيرهم فاقتتلوا معه قتالا عظيما حتى انكسر المسـلمون! فإنـا لله وإنـا إليه راجعون ثم حصروا البلد خمسة أيام واستنزلوا نائبها خديعـة ثـم غـدروا بـه وبأهـل البلد فقتلوهم وغنموهم وسلبوهم وعاقبوهم بـأنواع العـذاب حتـى إنهـم قتلـوا في يـوم واحد سبعمائة ألف إنسان.

ثم ساروا إلى نيسابور ففعلوا فيها قريبا مما فعلوا بأهل مرو ثم إلى طوس فقتلوا وخربوا مشهد على بن موسى والرشيد وتركوه خرابا ثم ساروا إلى هراة فقتلوا خلقا واستنابوا عليها، ثم ساروا إلى غزنة فقاتلهم جلال الدين بن خوارزم شاه فكسرهم، فعادوا غلى هراة فإذا أهلها قد نقضوا فقتلوهم عن آخرهم ثم عادوا إلى ملكهـم جنكزخـان -لعنـه اللــه وإيـاهم-، وأرسـل جنكزخان طائفة أخرى إلى مدينـة خـوارزم فحاصروهـا حتـى فتحـوا البلـد قهـرا فقتلـوا مـن

فيها قتلا ذريعا ونهبوها وسبوا أهلها وأرسلوا الجسر الذي يمنع ماء جيحون عنها فغرقت دورها وهلك جميع أهلها.

ثم عادوا إلى ملكهم جنكزخان وهو مخيم على الطالقان فجهز منهم طائفة إلى غزنة فاقتتل معهم جلال الدين بن خوارزم شاه فكسرهم جلال الدين كسرة عظيمة واستنقذ منهم خلقا من أسارى المسلمين ثم كتب إلى جنكزخان يطلب منه أن يبرز بنفسه لقتاله فقصده جنكزخان فتواجها -وقد تفرق على جلال الدين بعض جيشه- ولم يبق بد من القتال فاقتتلوا ثلاثة أيام لم يعهد قبلها مثلها من قتالهم ثم ضعف أصحاب السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه فذهبوا فركبوا في بحر الهند فسارت التتار إلى غزنة فأخذوها بلا كلفة ولا ممانعة كل هذا أو أكثره وقع في هذه السنة.

وفي سنة 618:

استولت التتار على كثير من البلدان كمراغة و همذان و أردبيل و تبريز و كنجة وقتلوا أهاليها ونهبوا ما فيها و استأسروا ذراريها واقتربوا من بغداد فانزعج الخليفة لذلك وحصن بغداد واستخدم الأجناد وقنت الناس في الصلوات والأوراد.

وفيها قهروا الكرج و اللان ثم قاتلوا القفجاق فكسروهم وكذلك الروس، وينهبون ما قدروا عليه ثم قاتلوهم وسبوا نساءهم و ذراريهم.

وفي سنة 621 هـ:

وصلت سرية من جهة جنكزخان غير الأولتين إلى الري وكانت قد عمرت قليلا فقتلوا أهلها أيضا ثم ساروا إلى ساوة ثم إلى قم و قاشان ولم تكونا طرقتا إلا هذه المرة ففعلوا بها مثل ما تقدم من القتل والسبي ثم ساروا إلى همذان فقتلوا أيضا وسبوا ثم ساروا إلى خلف الخوارزمية إلى أذربيجان فكسروهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا فهربوا منهم إلى تبريز فلحقوهم وكتبوا إلى ابن البهلوان إن كنت مصالحا لنا فابعث لنا بالخوارزمية و إلا فأنت مثلهم فقتل منهم خلقا وأرسل برؤوسهم إليهم مع تحف وهدايا كثيرة هذا كله وإنما كانت

هذه السرية ثلاثة آلاف و الخوارمية وأصحاب البلهوان أضعاف أضعافهم ولكن اللـه تعالى ألقى عليهم الخذلان والفشل فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي سنة 622:

عاثت الخوارزمية حين قدموا مع جلال الدين بن خوارزم شاه من بلاد غزنة مقهورين من التتار إلى بلاد خوزستان ونواحي العراق فأفسدوا فيه وحاصروا مدنه ونهبوا قراه.

وفيها استحوذ جلال الدين بن خوارزم شاه على بلاد أذربيجان وكثير من بلاد الكرج وكسر الكرج وهم في سبعين ألف مقاتل فقتل منهم عشرين ألفا من المقاتلة واستفحل أمره جدا وعظم شأنه وفتح تفليس فقتل منها ثلاثين ألفا وزعم أبو شامه أنه قتل من الكرج سبعين ألفا في المعركة وقتل من تفليس تمام المئة ألف وقد اشتغل بهذه الغزوة عن قصد بغداد وذلك أنه لما حاصر دقوقا سبه أهلها ففتحها قسرا وقتل من أهلها خلقا كثيرا وخرب سورها وعزم على قصد الخليفة ببغداد لأنه فيم زعم عمل على أبيه حتى هلك واستولت التتر على البلاد وكتب إلى المعظم بن العادل يستدعيه لقتال الخليفة ويحرضه على ذلك فامتنع المعظم من ذلك ولما علم الخليفة بقصد جلال الدين بن خوارزم شاه بغداد انزعج لذلك وحصن بغداد واستخدم الجيوش والأجناد أنفق في الناس ألف ألف دينار وكان جلال الدين قد بعث جيشا إلى الكرج فكتبوا إليه: أن أدركنا قبل أن نهلك عن آخرنا وبغداد ما تفوت، فسار إليهم وكان من أمره ما ذكرنا.

وفي سنة 623:

التقى الملك جلال الدين بن خوارزم شاه الخوارزمي مع الكرج فكسرهم كسرة عظيمة وصمد إلى أكبر معاقلهم تفليس ففتحها عنوة وقتل من فيها من الكفرة وسبى ذراريهم ولم يتعرض لأحد من المسلمين الذين كانوا بها.

واستقر ملكه عليها وقد كان الكرج أخذوها من المسلمين في سنة خمس عشرة وخمسمائة وهي بأيديهم إلى الآن حتى استنقذها منهم جلال الدين هذا فكان فتحا عظيما ولله المنة.

وفيها سار إلى خلاط ليأخذها من نائب الملك الأشرف فلم يتمكن من أخذها وقاتله أهلها قتالا عظيما فرجع عنهم بسبب اشتغاله بعصيان نائبه بمدينة كرمان وخلافه له فسار إليهم وتركهم.

وفي سنة 624:

فيها كاتب عامة أهل تفليس الكرج فجاءوا إليهم فدخلوها فقتلوا العامة والخاصة ونهبوا وسبوا وخربوا وأحرقوا وخرجوا على حمية وبلغ ذلك جلال الدين فسار سريعا ليدركهم فلم يدركهم.

وفيها قتلت الإسماعيلية أميرا كبيرا من نواب جلال الدين بن خوارزم شاه فسار إلى بلادهم فقتل منهم خلقا كثيرا وخرب مدينتهم وسبى ذراريهم ونهب أموالهم وقد كانوا -قبحهم الله- من أكبر العون على المسلمين لما قدم التتار إلى الناس وكانوا أضر على الناس منهم.

وفيها تواقع جلال الدين وطائفة كبيرة من التتار فهزمهم وأوسعهم قتلا وأسرا وساق وراءهم أياما فقتلهم حتى وصل إلى الري فبلغه أن طائفة قد جاءوا لقصده فأقام ينتظرهم.

وممن توفي في هذه السنة:

جنكيز خان:

السلطان الأعظم عند التتار، والد ملوكهم اليوم ينتسبون إليه يقولون: وهو الذي وضع لهم الياسق التي يتحاكمون إليها ويحكمون بها وأكثرها مخالف لشرائع الله تعالى وكتبه وهو شيء اقترحه من عند نفسه وتبعوه في ذلك وكانت أمه تزعم أنها حملته من شعاع الشمس فلهذا لا يعرف له أب فهو مجهول النسب.

وقد رأيت مجلدا جمعه الوزير ببغداد علاء الدين الجويني في ترجمته فذكر فيه سيرته وما كان يشتمل عليه من العقل السياسي والكرم والشجاعة والتدبير الجيد للملك والرعايا والحروب فذكر أنه كان في ابتداء أمره خصيصا عند الملك أزبك خان وكان إذ ذاك شابا حسنا وكان اسمه أولا تمرجي ثم لما عظم سمى نفسه جنكيزخان وكان هذا الملك قد قربه وأدناه فحسده عظماء الملك ووشوا به إليه حتى أخرجوه عليه ولم يقتله ولم يجد له طريقا في ذنب يتسلط عليه به فهو في ذلك إذ تغضب الملك على مملوكين صغيرين فهربا منه ولجآ إلى جنكيزخان فأكرمهما وأحسن إليهما فأخبراه بما يضمره الملك أزبك خان من قتله فأخذ حذره وتحيز بدولة واتبعه طوائب من التتار وصار كثير من أصحاب أزبك خان ينفرون إليه ويفدون عليه فيكرمهم ويعطيهم حتى قويت شوكته وكثرت جنوده ثم حارب بعد ذلك أزبك خان فظفر به وقتله و استحوز على مملكته وملكه و انضاف إليه عدده وعدده وعظم أمره وبعد صيته وخضعت له قبائل الترك ببلاد طمعاج كلها حتى صار يركب في نحو ثمانمائة ألف مقاتل وأكثر القبائل قبيلته التي هو منها يقال لهم قيان ثم أقرب القبائل إليه بعدهم قبيلتان كبيرتا العدد وهما أزان و قنقوران وكان يصطاد من السنة ثلاثة أشهر والباقي للحرب والحكم.

ثم نشبت الحرب بينه وبين الملك علاء الدين خوارزم شاه صاحب بلاد خراسان والعراق وأذربيجان وغير ذلك والأقاليم والملك فقهره جنكيزخان

وكسره وغلبه وسلبه واستحوذ على سائر بلاده بنفسـه وبـأولاده في أيسر مـدة كـما ذكرنـا ذلك في الحوادث.

وكان ابتداء ملك جنكزخان سنة تسع وتسعين وخمسمائة وكان قتاله لخـوارزم شـاه في حدود سنة ست عشرة وسـتمائة ومـات خـوارزم شـاه في سـنة سـبع عشرة كـما ذكرنـا فاستحوذ حينئذ على الممالك بلا منازع ولا ممانع.

وكانت وفاته في سنة أربع وعشرين وستمائة فجعلوه في تابوت من حديـد وربطـوه بسلاسل وعلقوه بين جبلين هنالك وأما كتابه الياسق فإنه يكتب في مجلدين بخـط غلـيظ ويحمل على بعير معظم عندهم.

وقد ذكر بعضهم أنه كان يصعد جبلا ثم ينزل ثم يصعد ثم ينـزل مـرارا حتـى يعـي ويقع مغشيا عليه، ويأمر من عنده أن يكتب ما يلقى على لسانه حينئـذ، فـإذا كـان هـذا هكذا فالظاهر أن الشيطان كان ينطق على لسانه بما فيها.

وذكر الجويني أن بعض عبادهم كان يصعد الجبال في البرد الشديد للعبـادة فسـمع قائلا يقول له: إنا قد ملكنا جنكيزخان وذريته وجه الأرض قال الجويني فمشـايخ المغـول يصدقون بهذا ويأخذونه مسلما.

ثم ذكر الجويني نتفا من الياسق من ذلك أنه من زنا قتل ! محصـنا كـان أو غـير محصـن وكذلك من لاط قتل ! ومن تعمد الكذب قتل ! ومن سـحر قتـل ! ومـن تجسـس قتـل ! ومـن دخل بين اثنين يختصمان فأعان أحدهما قتل ! ومن بال في الماء الواقف قتل ! ومن انغمس فيه قتل ! ومن أطعم أسيرا أو سقاه أو كساه بغير إذن أهله قتل ! ومن وجد هاربا ولم يـرده قتـل ! ومن أطعم أسيرا أو رمى إلى أحد شيئا من المأكول قتل ! بل يناوله من يده إلى يده ومـن أطعـم أحدا شيئا فليأكل منه أولا ولو كان المطعوم أميرا لا أسيرا ومن أكل ولم يطعـم مـن عنـده قتـل! ومن ذبح حيوانا ذبح مثله ! بل يشق جوفه ويتناول قلبه بيده يستخرجه من جوفه أولا !!.

وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الـلـه المنزلة على عباده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الـلـه خاتم الأنبياء

وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر فكيف بمن تحـاكم إلى الياسـق وقـدمها عليـه من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين قال اللـه تعالى:

(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللـه حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) وقـال تعـالى: (فلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًـا مِـمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)

ومن آدابهم الطاعة لسلطانهم غاية الاستطاعة وأن يعرضوا عليـه أبكـارهم الحسـان ليختار لنفسه ومن شاء من حاشيته ما شاء منهن، ومن شأنهم أن يخـاطبوا الملـك باسـمه ومن مر بقوم يأكلون فله أن يأكل معهم من غير استئذان ولا يتخطى موقد النار ولا طبق الطعام ولا يقف على أسكفه، ولا يغسلون ثيابهم حتى يبدو وسـخها ولا يكلفـون العلـماء من كل ما ذكر شيئا من الجنايات، ولا يتعرضون لمال ميت.

وقد ذكر علاء الدين الجويني طرفا كبيرا من أخبار جنكيزخان ومكـارم كـان يفعلهـا لسجيته وما أداه إليه عقله - وإن كان مشركا باللـه كان يعبد معه غـيره- وقـد قتـل مـن الخلائق ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم، ولكن كانت البداءة من خوارزم شـاه ؛ فإنـه لما أرسل جنكيزخان تجارا من جهته معهم بضائع كثيرة من بلاده فانتهوا إلى إيران فقتلهم نائبها من جهة خوارزم شاه وهو والد زوجته كشـلى خـان وأخـذ جميـع مـا كـان معهـم، فأرسل جنكيزخان إلى خوارزم شاه يستعمله هل وقع هذا الأمـر عـن رضـا منـه أو أنـه لا يعلم به فأنكره وقال له فيما أرسل إليه من المعهود من الملوك أن التجار لا يقتلون لأنهـم عمارة الأقاليم وهم الذين يحملون إلى الملـوك مـا فيـه التحـف والأشـياء النفيسـة ثـم إن هؤلاء التجار كانوا على دينك فقتلهم نائبك فإن كان أمرا أمرت بـه طلبنـا بـدمائهم. و إلا فأنت تنكره وتقتص من نائبك، فلما سمع خوارزم شاه ذلك من رسول جنكيزخان لم يكـن له جواب سوى أنه أمر بضرب عنقه فأساء التدبير.

وقد كان خرف وكبرت سنه وقد ورد الحديث اتركوا الترك ما تركوكم فلـما بلـغ ذلـك جنكيزخان تجهز لقتاله وأخذ بلاده فكان بقدر اللــه تعـالى مـا كـان مـن الأمـور التـي لم يسمع بأغرب منها ولا أبشع.

قال ولما احتضر جنكيزخان أوصى أولاده بالاتفاق وعدم الافتراق وضرب لهم في ذلك الأمثال وأحضر بين يديه نشابا وأخذ سهما أعطاه لواحد منهم فكسره ثم أحضر حزمة ودفعها إليهم مجموعة فلم يطيقوا كسرها فقال هذا مثلكم إذا اجتمعتم واتفقتم وذلك مثلكم إذا انفردتم واختلفتم.

وفي سنة 625:

كانت حروب كثيرة بين جلال الدين و التتار كسروه غير مرة ثم بعد ذلك كله كسرهم كسرة عظيمة وقتل منهم خلقا وأمما لا يحصون وكان هؤلاء التتار قد انفردوا وعصوا على جنكيزخان فكتب جنكيزخان إلى جلال الدين يقول له إن هؤلاء ليسوا منا ونحن أبعدناهم ولكن سترى منا ما لا قبل لك به.

وفي سنة 628:

استهلت هذه السنة والملك الأشرف موسى بن العادل مقيم بالجزيرة مشغول فيها بإصلاح ما كان جلال الدين الخوارزمي قد أفسده من بلاده وقد قدمت التتار في هذه السنة إلى الجزيرة وديار بكر فعاثوا بالفساد يمينا وشمالا فقتلوا ونهبوا وسبوا على عادتهم -خذلهم الله تعالى-.

وفي سنة 629:

وفيه أقبل طائفة من التتار فوصلوا إلى شهرزور فندب الخليفة صاحب إربل مظفر الدين كوكبري بن زين الدين وأضاف إليه عساكر من عنده فساورا نحوهم فهربت منهم التتار وأقاموا في مقابلتهم مدة شهور ثم تمرض مظفر الدين وعاد إلى بلده إربل وتراجعت العساكر إلى بلادها.

وفي سنة 634:

فيها حاصرت التتار إربل بالمجانيق ونقبوا الأسوار حتى فتحوها عنوة فقتلوا أهلها وسبوا ذراريهم.

وفي سنة 638:

وفيها قدم رسول من ملك التتار تولى بن جنكيزخان إلى ملـوك الإسـلام يـدعوهم إلى طاعته ويأمرهم بتخريب أسوار بلدانهم وعنوان الكتاب:

من نائب رب السماء ماسح وجه الأرض ملك الشرق والغرب خاقـان. وكـان الكتـاب مع رجل مسلم من أهل أصبهان.

وفي سنة 642هـ:

{ وانظر لحالة ملوك المسلمين و التتار على أبواب بلادهم وعاصمتهم !!}:

فيها استوزر الخليفة المستعصم باللـه مؤيد الدين أبا طالب محمد بن أحمد بـن عـلي بن محمد العلقمي المشئوم على نفسه وعلى أهل بغداد الذي لم يعصم المستعصم في وزارتـه فإنه لم يكن وزير صدق ولا مرضي الطريقـة فإنـه هـو الـذي أعـان عـلى المسـلمين في قضـية هولاكو وجنوده - قبحه اللـه وإياهم – وفيها كانت وقعة عظيمة بين الخوارزمية الذين كان الصالح أيوب صاحب مصر استقدمهم ليستنجد بهم على الصالح إسماعيل أبي الحسن صاحب دمشق فنزلوا على غزة وأرسل إليهم الصالح أيوب الخلع والأموال والأقمشة والعساكر فـاتفق الصالح إسماعيل والناصر داود صاحب الكرك والمنصور صاحب حمص مع الفرنج واقتتلوا مع الخوارزمية قتالا شديدا فهزمتهم الخوارزميـة كسرة منكـرة فظيعـة هزمـت الفـرنج بصـلبانها وراياتها العالية على رؤوس أطلاب المسلمين وكانت كؤوس الخمر دائرة بـين الجيـوش فنابـت كؤوس المنون عن كؤوس الزرجون فقتل من الفرنج في يوم واحد زيادة عن ثلاثين ألف وأسروا جماعة من ملوكهم و قسوسهم وأساقفتهم وخلقا مـن أمـراء المسـلمين وبعثـوا بالأسـارى إلى الصالح أيوب بمصر وكان يومئذ يوما مشهودا وأمرا محمودا ولله الحمد.

وقد قال بعض أمراء المسلمين قد علمت أنا لما وقفنا تحت صـلبان الفـرنج أنا لا نفلح وغنمت الخوارزمية من الفرنج ومن كـان معهـم شـيئا كثـيرا وأرسـل الصـالح أيـوب إلى دمشـق ليحاصرهـا فحصـنها الصـالح إسـماعيل وخـرب مـن

حولها رباعا كثيرة وكسر جسر باب توما فسار النهر فتراجع الماء حتى صار بحيرة من باب توما وباب السلامة فغرق جميع ما كان بينهما من العمران وافتقر كثير من الناس -فإنا لله وإنا إليه راجعون-.

وفي سنة 642هـ:

وهي سنة الخوارزمية وذلك أن الصالح أيوب بن الكامل صاحب مصر بعث الخوارزمية ومعهم ملكهم بركات خان في صحبة معين الدين ابن الشيخ فأحاطوا بدمشق يحاصرون عمه الصالح أبا الجيش صاحب دمشق وحرق قصر حجاج وحكر السماق وجامع جراح خارج باب الصغير ومساجد كثيرة ونصب المنجنيق عند باب الصغير وعند باب الجابية ونصب من داخل البلد منجنيقان أيضا و تراءى الفريقان و أرسل الصالح إسماعيل إلى الأمير معين الدين بن الشيخ بسجادة وعكاز وإبريق و أرسل يقول اشتغالك بهذا أولى من اشتغالك بمحاصرة الملوك فأرسل إليه المعين بزمر وجنك وغلالة حرير أحمر وأصفر وأرسل يقول أما السجادة فإنها تصلح لي وأما أنت فهذا أولى بك ثم أصبح ابن الشيخ فاشتد الحصار بدمشق وأرسل الصالح إسماعيل فأحرق جوسق قصر والده العادل وامتد الحريق في زقاق الرمان إلى العقبية فأحرقت بأسرها وقطعت الأنهار وغلت الأسعار وأخيفت الطرق وجرى بدمشق أمور بشعة جدا لم يتم عليها قط وامتد الحصار شهورا من هذه السنة إلى جمادى الأولى، ثم اتفق الحال على أن يخرج الصالح إسماعيل إلى بعلبك ويسلم دمشق إلى الصالح أيوب فاستبشر الناس بذلك وأصبح الصالح إسماعيل خارجا إلى بعلبك.

وأما الخوارزمية فإنهم لم يكونوا حاضرين وقت الصلح فلما علموا بوقوع الصلح غضبوا وساروا نحو داريا فنهبوها وساقوا نحو بلاد الشرق وكاتبوا الصالح إسماعيل فحالفوه على الصالح أيوب ففرح بذلك ونقض الصلح الذي كان وقع منه وعادت الخوارزمية فحاصروا دمشق وجاء إليهم الصالح إسماعيل من بعلبك فضاق الحال على الدماشقة فعدمت الأموال وغلت الأسعار جدا حتى إنه بلغ ثمن الغرارة ألف وستمائة وقنطار الدقيق تسعمائة

والخبز كل أوقيتين إلا ربع بدرهم ورطل اللحم بسبعة وبيعت الأملاك بالدقيق وأكلت القطاط والكلاب والميتات و الجيفات وتماوت الناس في الطرقات وعجزوا عن التغسيل والتكفين والإقبار فكانوا يلقون موتاهم في الآبار حتى أنتنت المدينة وضجر الناس - فإنا لله وإنا إليه راجعون-.

قال ابن السبط: ومع هذا كانت الخمور دائرة والفسق ظاهرا والمكوس بحالها وذكر الشيخ شهاب الدين أن الأسعار غلت في هذه السنة جدا وهلك الصعاليك بالطرقات كانوا يسألون لقمة ثم صاروا يسألون لبابة ثم تنازلوا إلى فلس يشترون به نخالة يبلونها ويأكلونها كالدجاج، قال وأنا شاهدت ذلك وذكر تفاصيل الأسعار وغلاءها في الأطعمة وغيرها.

ولما بلغ الصالح أيوب أن الخوارزمية قد مالئوا عليه وصالحوا عمه الصالح إسماعيل كاتب الملك المنصور إبراهيم بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص فاستماله إليه وقوي جانب نائب دمشق معين الدين حسين ابن الشيخ ولكنه توفي في رمضان من هذه السنة ولما رجع المنصور صاحب حمص عن موالاة الصالح إسماعيل شرع في جمع الجيوش من الحلبيين و التركمان والأعراب لاستنقاذ دمشق من الخوارزمية وحصارهم إياها فبلغ ذلك الخوارزمية فخافوا من غائلة ذلك وقالوا دمشق ما تفوت والمصلحة قتاله عند بلده فساورا إلى بحيرة حمص وأرسل الناصر داود جيشه إلى الصالح إسماعيل مع الخوارزمية وساق جيش دمشق فانضافوا إلى صاحب حمص والتقوا مع الخوارزمية عند بحيرة حمص وكان يوما مشهودا قتل فيه عامة الخوارزمية وقتل ملكهم بركات خان وجيء برأسه على رمح فتفرق شملهم وتمزقوا شذر مذر وساق المنصور صاحب حمص إلى بعلبك فتسلمها الصالح أيوب وجاء إلى دمشق فنزل ببستان سامة خدمة للصالح أيوب ثم حدثته نفسه بأخذها فاتفق مرضه فمات -رحمه الله- في السنة الآتية. وتسلم نواب الصالح أيوب بعلبك و بصرى ولم يبق بيد الصالح إسماعيل بلد يأوي إليه ولا أهل ولا ولد ولا مال بل أخذت جميع أمواله ونقلت عياله تحت الحوطة إلى الديار المصرية وسار هو فاستجار بالملك الناصر

بن العزيز بن الظاهر غازي صاحب حلب فآواه وأكرمه واحترمه وقال الأتابك لؤلؤ الحلبي لابن أستاذه الناصر وكان شابا صغيرا انظر إلى عاقبة الظلم.

وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين جيش الخليفة وبين التتار لعنهم الله فكسرهم المسلمون كسرة عظيمة وفرقوا شملهم وهزموا من بين أيديهم فلم يلحقوهم ولم يتبعوهم خوفا من غائلة مكرهم وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم (اتركوا الترك ما تركوكم) ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وستمائة.

وفي سنة 648هـ:

في ثالث المحرم يوم الأربعاء كان كسر المعظم تورانشاه للفرنج على ثغر دمياط فقتل منهم ثلاثين ألفا، وقيل: مئة ألف وغنموا شيئا كثيرا ولله الحمد ثم قتل جماعة من الأمراء الذين أسروا وكان فيمن أسر ملك الفرنسيس وأخوه، وأرسلت غفارة ملك الإفرنسيس إلى دمشق فلبسها نائبها في يوم الموكب وكانت من سقرلاط أحمر تحتها فرو سنجاب، ثم لم يخرج شهر المحرم حتى قتل الأمراء ابن أستاذهم تورانشاه ودفنوه إلى جانب النيل من الناحية الاخرى رحمه الله تعالى ورحم أسلافه بمنه وكرمه.

الملك المعظم تورانشاه بن الصالح أيوب بن الكامل بن العادل

كان أولا صاحب حصن كيفا في حياة أبيه وكان أبوه يستدعيه إليه في أيامه فلا يجيبه فلما توفي أبوه كما ذكرنا استدعاه الأمراء فأجابهم وجاء إليهم فملكوه عليهم ثم قتلوه كما ذكرنا وذلك يوم الاثنين السابع والعشرين من المحرم وقد قيل: إنه كان متخلعا لا يصلح للملك.

وفي سنة 650هـ:

فيها وصلت التتار إلى الجزيرة وسروج ورأس العين وما والى هذه البلاد فقتلوا وسبوا ونهبوا وخربوا فإنا لله وإنا إليه راجعون ووقعوا بتجار يسيرون بين حران ورأس العين، فأخذوا منهم ستمائة حمل سكر ومعمول من الديار المصرية وستمائة ألف دينار وكان عدة من قتلوا في هذه السنة من أهل الجزيرة نحوا من

عشرة آلاف قتيل وأسروا من الولدان والنساء ما يقارب ذلك فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي سنة 651هـ:

فيها دخل الشيخ نجم الدين الباذرائي رسول الخليفة بين صاحب مصر وصاحب الشام وأصلح بين الجيشين وكانوا قد اشتدت الحرب بينهم ونشبت وقد مالأ الجيش المصري الفرنج ووعدهم أن يسلموا إليهم بيت المقدس إن نصروهم على الشاميين، وجرت خطوب كثيرة، فأصلح بينهم وخلص جماعة من بيوت الملوك من الديار المصرية منهم أولاد الصالح إسماعيل وبنت الأشرف وغيرهم من أولاد صاحب حمص وغيرهم فجزاه الله خيرا.

وفي سنة 655هـ:

فيها أصبح الملك المعظم صاحب مصر عز الدين أيبك التركماني بداره ميتا، وقد ولي الملك بعد أستاذه الصالح نجم الدين أيوب بشهور كان فيها ملك تورانشاه المعظم بن الصالح ثم خلفته شجر الدر أم خليل مدة ثلاثة أشهر ثم أقيم هو في الملك ومعه الملك الأشرف موسى بن الناصر يوسف بن أقسيس بن الكامل مدة ثم استقل بالملك بلا منازعة وكسر الناصر لما أراد أخذ الديار المصرية وقتل الفارس أقطاي في سنة ثنتين وخمسين وخلع بعده الأشرف واستقل بالملك وحده ثم تزوج بشجر الدر أم خليل وكان كريما شجاعا حكيما دينا ثم كان موته في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الأول وهو واقف المدرسة المعزية التي بمصر و مجازها من أحسن الأشياء وهي من داخل ليست بتلك الفائقة.

وقد قال بعضهم فيها: هذه مجاز لا حقيقة له ولما قتل رحمه الله اتهم مماليكه زوجته أم خليل المسماة بشجر الدر به، وقد كان عزم على تزويج ابنة صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ فأمرت جواريها أن يمسكنه لها فما زالت تضربه بقباقيبها والجواري يعركن في معاريه حتى مات وهو كذلك ولما سمع مماليكه أقبلوا بصحبة مملوكه الأكبر سيف الدين قطز فقتلوها وألقوها على مزبلة غير مستورة

العورة بعد الحجاب المنيع والمقام الرفيع وقد علمت على المناشير و التواقيع وخطب الخطباء باسمها وضربت السكة برسمها فذهبت فلا تعرف بعد ذلك بعينها ولا رسمها.

﴿ قُلِ اللهمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

وفيها كانت فتنة عظيمة ببغداد بين الرافضة وأهل السنة فنهبت الكرخ ودور الرافضة حتى دور قرابات الوزير ابن العلقمي وكان ذلك من أقوى الاسباب في ممالأته التتار.

وفي ذي الحجة من هذه السنة بعد موت الباذرائي بأيام قلائل نزلت التتار على بغداد مقدمة لملكهم هولاكو بن تولى بن جنكزخان عليهم لعائن الرحمن وكان افتتاحهم لها وجنايتهم عليها في أول السنة الآتية.

وفي سنة 656 هـ:

فيها أخذت التتار بغداد وقتلوا أكثر أهلها حتى الخليفة وانقضت دولة بني العباس منها.

استهلت هذه السنة وجنود التتار قد نازلت بغداد صحبة الأميرين اللذين على مقدمة عساكر سلطان التتار هولاكو قان، وجاءت إليهم أمداد صاحب الموصل يساعدونهم على البغاددة و ميرته وهداياه وتحفه وكل ذلك خوفا على نفسه من التتار ومصانعة لهم قبحهم الله تعالى وقد سترت بغداد ونصبت فيها المجانيق و العرادات وغيرها من آلات الممانعة التي لا ترد من قدر الله سبحانه وتعالى شيئا.

وتأمل !!! وإنا لله وإنا إليه راجعون:

وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنشاب من كل جانب حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه وكانت من جملة حظاياه وكانت مولدة تسمى عرفة جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة فانزعج الخليفة من ذلك، وفزع فزعا شديدا وأحضر السهم

الذي أصابها بين يديه فإذا عليه مكتوب: إذا أراد اللــه إنفـاذ قضـائه وقـدره سـلب ذوي العقول عقولهم. فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز وكثرة الستائر على دار الخلافة.

وكان قدوم هولاكو قان بجنوده كلها - وكانوا نحو مائتي ألف مقاتل - إلى بغـداد في ثاني عشر المحرم من هذه السنة، وهو شديد الحنق على الخليفة بسبب ما كان تقدم مـن الأمر الذي قدره اللـه وقضاه وأنفذه وأمضاه وهو أن هولاكو قان لما كان أول بـروزه مـن همذان متوجها إلى العراق أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي على الخليفـة بـأن يبعث إليه بهدايا سنية ليكون ذلك مداراة له عما يريده من قصد بلادهم فخذل الخليفة عن ذلك دويداره الصغير أيبك وغيره وقالوا: إن الوزير إنما يريد بهذا مصانعة ملـك التتـار بما يبعثه إليه من الأموال وأشاروا بأن يبعث بشيء يسير فأرسل شيئا من الهدايا فاحتقرها هولاكو قان وأرسل إلى الخليفة يطلب منه دويداره المـذكور وسـليمان شـاه فلـم يبعـثهما إليه ولا بالى به حتى أزف قدومه ووصل بغداد بجنوده الكثـيرة الكـافرة الفـاجرة الظالمـة الغاشمة ممن لا يؤمن باللـه ولا باليوم الآخر.

فأحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية والشرقية وجنود بغـداد في غايـة القلـة ونهايـة الذلة لا يبلغون عشرة آلاف فارس وهم في غاية الضعف، وبقية الجيش كلهـم قـد صرفـوا عن إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد وأنشد فيهم الشعراء القصائد يرثون لهم ويحزنون على الإسلام وأهله.

وذلك كله عن آراء الوزير ابن العلقمي الرافضي وذلك أنـه لمـا كـان في السـنة الماضـية كان بين أهل السنة والرافضة حرب شديدة نهبت فيها الكرخ ومحلـة الرافضـة حتـى نهبـت دور قرابات الوزير، فاشتد حنقه على ذلك فكان هذا مما أهاجه عـلى أن دبـر عـلى الإسـلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد وإلى هذه الأوقات ولهذا كان أول من برز إلى التتار هـو فخـرج في أهلـه وأصـحابه وخدمـه وحشـمه فـاجتمع بالسلطان هولاكو قان لعنه اللـه ثم عاد فأشـار عـلى الخليفـة بـالخروج إليـه والمثـول بـين يديه لتقع المصـالحة عـلى أن يكـون نصـف خـراج العـراق لهـم ونصـفه للخليفـة، فاحتـاج

الخليفة إلى أن خرج في سبعمائة راكب مـن القضـاة والفقهـاء والصـوفية ورءوس الأمـراء والدولة والأعيان، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاكو قان حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفسا، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين، وأنزل الباقون عن مراكبهم ونهبـت، وقتلـوا عن آخرهم وأحضر الخليفة بين يدي هولاكو فسأله عن أشياء كثيرة فيقـال: إنـه اضـطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت.

ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خواجا نصير الدين الطوسي لعنة اللـه عليه والوزير ابن العلقمي وغيرهما والخليفة تحت الحوطة والمصادرة فأحضر من دار الخلافة شيئا كثيرا مـن الذهب و الحلي والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة وقد أشار أولئك الملأ من الرافضـة لعنـة اللـه عليهم وغيرهم من المنافقين على هولاكو قان أن لا يصالح الخليفة وقال الـوزير: متـى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاما أو عامين ثم يعـود الأمـر إلى مـا كـان عليـه قبل ذلك وحسنوا له قتل الخليفة فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاكو أمـر بقتلـه ويقـال: إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمـي والنصـير الطـوسي وكـان النصـير عنـد هولاكـو قـد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الألموت وانتزعها من أيدي الإسماعيلية وكان النصـير وزيـرا لشمس الشموس، ولأبيه من قبله علاء الدين بن جلال الدين وكـانوا ينتسـبون إلى نـزار بـن المستنصر العبيدي وانتخب هولاكو قان النصير ليكون في خدمته كـالوزير المشـير فلـما قـدم هولاكو قان وتهيب من قتل الخليفة هون عليه الوزيران ذلك فقتلوه رفسا وهـو في جوالـق لئلا يقع على الأرض شيء من دمه خـافوا أن يؤخـذ بثـأره فـيما قيـل لهـم وقيـل: بـل خنـق ويقال: غرق فاللـه أعلم. فباؤوا بإثمـه وإثـم مـن كـان معـه مـن سـادات العلـماء والقضـاة والأكابر والرؤساء والأمراء وأولي الحل والعقد ببلاد بغداد.

وقـد كـان رحمـه اللــه سـنيا عـلى طريقـة السـلف واعتقـاد الجماعـة كـما كـان أبوه وجده. ولكن كان فيه لـين وعـدم تـيقظ ومحبـة للـمال وجمعـه. ومـن جملـة ذلـك أنه غل الوديعة التي استودعه إياها النـاصر داود بـن المعظـم وكانـت قيمتهـا نحـوا مـن

مئة ألف دينار، فاستقبح هذا من مثل الخليفة وهو مستقبح ممن هـو دونـه بكثـير. بـل من أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك كما قال اللـه تعالى:

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إلاّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾.

{ أقول: ولا أدري الحقيقـة كيـف يكـون عـلى طريقـة السـلف، مـن يغـل الوديعـة، ويتلهى براقصة ودولة الإسلام تسقط !! أي سلف هـؤلاء الـذين كـان مثـل هـذا الخليفـة الساقط على طريقتهم ؟!}..

و يتابع ابن كثير رحمه اللـه:

قتلته التتار مظلوما مضطهدا في يوم الأربعاء رابع عشر صفر مـن هـذه السـنة ولـه من العمر ستة وأربعون سنة وأربعة أشهر وكانت مدة خلافته خمس عشرة سـنة وثمانيـة أشهر وأياما فرحمه اللـه وأكرم مثـواه وبـل بالرحمـة ثـراه وقـد قتـل بعـده ولـداه وأسر الثالث مع بنات ثلاث من صلبه.

{وما أدري من ظلم هذا المظلوم أيضا ؟ هل هم التتار، أم هو الظالم لنفسه ورعيتـه ؟!..وسبحان ربنا القائل: ﴿ فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِـنْهُمْ مَـنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَـا وَمَـا كَـانَ اللــه لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (العنكبوت:40) }.

ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ و الكهول والشبان.

ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش وقني الوسـخ وكمنـوا كـذلك أيامـا لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات، ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتـار إمـا بـالكسر وإمـا بالنـار ثـم يـدخلون علـيهم فيهربـون مـنهم إلى أعـالي الأمكنـة فيقتلونهم في الأسطحة حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة فإنا لله وإنا إليه راجعون وكذلك في المساجد والجوامع والربط ولم يـنج مـنهم أحـد سـوى أهـل الذمـة مـن اليهـود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الـوزير ابـن العلقمـي الـرافضي وطائفـة مـن التجـار أخذوا لهم أمانا بذلوا عليه أموالا جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم وعـادت بغـداد بعـدما

كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس وهم في خوف وجوع و ذلة وقلة.

وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط أسهمهم من الديوان فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريبا من مئة ألف مقاتل منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف. ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد وسهل عليهم ذلك و جلى لهم حقيقة الحال وكشف لهم ضعف الرجال وذلك كله طمعا منه أن يزيل السنة بالكلية وأن يظهر البدعة الرافضية وأن يقيم خليفة من الفاطميين وأن يبيد العلماء والمفتين والله غالب على أمره وقد رد كيده في نحره وأذله بعد العزة القعساء وجعله حوشكاشا للتتار بعدما كان وزيرا للخلفاء واكتسب إثم من قتل بمدينة بغداد من الرجال والنساء والأطفال فالحكم لله العلي الكبير رب الأرض والسماء.

وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين فقيل: ثمانمائة ألف وقيل: ألف ألف وثمانمائة ألف وقيل: بلغت القتلى ألفي ألف نفس فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكان دخولهم إلى بغداد في أواخر المحرم، وما زال السيف يقتل أهلها أربعين صباحا وكان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر وعفا قبره وكان عمره يومئذ ستا وأربعين سنة وأربعة أشهر ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام وقتل معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد وله خمس وعشرون سنة ثم قتل ولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن وله ثلاث وعشرون سنة وأسر ولده الأصغر مبارك وأسرت أخواته الثلاث فاطمة وخديجة و مريم وأسر من دار الخلافة من الأبكار ما يقارب ألف بكر فيما قيل، والله أعلم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقتل أستاذ دار الخلافة الشيخ محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي وكان عدو الوزير وقتل أولاده الثلاثة وعبد الرحمن وعبد الله وعبد

الكريم وأكابر الدولة واحدا بعد واحد منهم الدويدار الصغير مجاهد الدين أيبك وشـهاب الدين سليمان شاه وجماعة من أمراء السنة وأكابر البلد.

وكان الرجل يستدعى به من دار الخلافة من بنـي العبـاس فيخـرج بـأولاده ونسـائه فيذهب به إلى مقبرة الخلال تجاه المنظرة فيذبح كما تذبح الشاة ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه.

وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي بن النيار وقتل الخطبـاء والأئمـة وحملة القرآن وتعطلت المساجد والجماعات و الجمعات مدة شهور ببغداد وأراد الـوزير ابن العلقمي قبحه اللـه ولعنـه أن يعطـل المسـاجد والمـدارس والـربط ببغـداد ويسـتمر بالمشاهد ومحال الرفض وأن يبني للرافضة مدرسة هائلـة يـنشرون علمهـم وعلمهـم بهـا وعليها، فلم يقدره اللـه تعالى على ذلك بل أزال نعمتـه عنـه وقصـف عمـره بعـد شـهور يسيرة من هذه الحادثة وأتبعه بولده فاجتمعا - واللـه أعلم - بالدرك الأسفل من النار.

ولما انقضى أمـد الأمـر المقـدر وانقضـت الأربعـون يومـا بقيـت بغـداد خاويـة عـلى عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس والقـتلى في الطرقـات كأنهـا التلـول وقـد سـقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد وتغير الهواء فحصل بسـببه الوبـاء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام فمات خلق كثير من تغير الجو وفسـاد الريح فاجتمع على النـاس الغـلاء والوبـاء والفنـاء والطعـن والطـاعون فإنـا لله وإنـا إليـه راجعون.

ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كـان المطـامير والقنـي والمغـاير كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم وقد أنكر بعضهم بعضـا، فـلا يعـرف الوالـد ولـده، ولا الأخ أخاه وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا ولحقـوا بمـن سـبقهم مـن القـتلى واجتمعـوا في البلى تحت الثرى بأمر الذي يعلم السر وأخفى اللـه لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى.

وكان رحيل السلطان المسلط هولاكو قان عن بغداد في جمادى الأولى مـن هذه السنة إلى مقر ملكه وفوض أمر بغـداد إلى الأمـير عـلي بهـادر فـوض إليـه

الشحنكية بها وإلى الوزير مؤيد الدين بن العلقمي فلم يمهله اللـه ولا أهملـه بـل أخـذه أخذ عزيز مقتدر في مستهل جمادى الآخرة عن ثلاث وستين سـنة وكـان عنـده فضـيلة في الإنشاء ولديه فضيلة في الأدب ولكنه كان شيعيا جلدا خبيثـا رافضـيا، فـمات كمـدا وغـما وحزنا وندما إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم فولي بعده الوزارة ولده عز الدين أبو الفضل محمد فألحقه اللـه بأبيه في بقية هذا العام ولله الحمد والمنة.

وذكر أبو شامة وشيخنا أبو عبد اللـه الذهبي وقطـب الـدين اليـونيني أنـه أصـاب الناس في هذه السنة بالشام وباء شديد، وذكروا أن سبب ذلـك مـن فسـاد الهـواء والجـو، فسد من كثرة القتلى ببلاد العراق، وانتشر حتى تعدى إلى بلاد الشام فاللـه أعلم.

{ وتأمل في حال جيران الكارثة من الأمراء..!! }

وفي هذه السنة اقتتل المصريون مع صاحب الكرك الملك المغيث عمر بن العادل بـن أبي بكر بن العادل الكبير، وكان في جيشه جماعـة مـن أمـراء البحريـة مـنهم ركـن الـدين بيبرس البندقداري فكسرهم المصريون ونهبوا ما كان معهـم مـن الأثقـال والأمـوال وأسروا جماعة من رءوس الأمراء فقتلوا صـبرا وعـادوا إلى الكـرك في أسـوأ حـال وأشـنعها وجعلـوا يفسدون في الأرض ويعيثون في البلاد فأرسل اللـه النـاصر صـاحب دمشـق فبعـث جيشـا ليكفهم عن ذلك فكسرهم البحرية واستنصروا فبرز إليهم الناصر بنفسه فلم يلتفتـوا إليـه وقطعوا أطناب خيمته التي هو فيها بإشارة ركـن الـدين بيـبرس المـذكور، وجـرت حـروب وخطوب يطول بسطها، وباللـه المستعان.

وفي سنة 657هـ:

استهلت هذه السنة وليس للمسلمين خليفة. وسلطان دمشق وحلب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بـن أبي الظـاهر غـازي بـن النـاصر فاتح بيت المقدس وهو واقع بينه وبين المصريين وقد ملكوا نور الـدين عـلي بـن المعز أيبك التركماني ولقبوه بالمنصور وقد أرسـل الملـك الغاشـم هولاكـو قـان إلى

الملك الناصر بدمشق يستدعيه إليه فأرسل إليه ولده العزيز وهو صغير ومعه هدايا كثيرة وتحف فلم يحتفل به هولاكو وغضب على أبيه إذ لم يقبل إليه وقال: أنا الذي أسير إلى بلاده بنفسي فانزعج الناصر لذلك وبعث بحريمه وأهله إلى الكرك ليحصنهم بها وخاف أهل دمشق خوفا شديدا حين بلغهم أن التتار قد قطعوا الفرات فصار كثير منهم إلى الديار المصرية في زمن الشتاء ومات كثير منهم ونهب آخرون فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأقبل هولاكو فقصد الشام بجنوده وعساكره وقد كانت ميافارقين قد امتنعت على التتار مدة سنة ونصف، فأرسل إليها ولده أشموط فافتتحها قسرا واستنزل ملكها الكامل بن الشهاب غازي بن العادل فأرسله إلى أبيه وهو محاصر حلب فقتله بين يديه، واستناب عليها بعض مماليك الأشرف وطيف برأس الكامل في البلاد ودخلوا برأسه إلى دمشق فنصب على باب الفراديس.

و تأمل في فرج الله وأسبابه وفي النهضة وبداياتها وكيف تكون !

وفيها قدم القاضي الوزير كمال الدين عمر بن أبي جرادة المعروف بابن العديم إلى الديار المصرية رسولا من صاحب دمشق الناصر بن العزيز يستنجد المصريين على قتال التتار بأنهم قد اقترب قدومهم إلى الشام وقد استولوا على بلاد الجزيرة وحران وغيرها وقد جاز أشموط بن هولاكو الفرات وقرب من مدينة حلب فعقد عند ذلك مجلس بين يدي المنصور بن المعز التركماني وحضر قاضي مصر بدر الدين السنجاري والشيخ عز الدين بن عبد السلام. وأفاضوا الكلام فيما يتعلق بأخذ شيء من أموال العامة لمساعدة الجند وكانت العمدة على ما يقوله { سلطان العلماء} العز بن عبد السلام فكان حاصله:

إذا لم يبق في بيت المال شيء و أنفقتم الحوائص الذهب وغيرها من الزينة وتساويتم أنتم والعامة في الملابس سوى آلات الحرب، ولم يبق للجندي سوى فرسه التي يركبها ساغ أخذ شيء من أموال الناس في دفع الأعداء، لأنه إذا دهم العدو وجب على الناس كافة أن يدفعون بأموالهم وأنفسهم.

ولاية الملك المظفر قطز:

وفيها قبض الأمير سيف الدين قطز علي ابن أستاذه نور الدين علي الملقب بالمنصور وذلك في غيبة أكثر الأمراء من مماليك أبيه وغيرهم في الصيد فأمسكه وسيره مع أمه وابنيه وإخوته الى بلاد الأشكري وتسلطن هو، وسمى نفسه بالملك المظفر وكان هذا من رحمة الله بالمسلمين. فإنه الذي يسر على يديه كسرة التتار كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى وهذا الذي اعتذر به قال: لابد للناس من سلطان قاهر يقاتل التتار، وهذا صبي صغير لا يعرف تدبير المملكة.

وفيها برز الملك الناصر صاحب دمشق إلى وطأة برزة في جحافل كثيرة من الجيش والمطوعة والأعراب وغيرهم ولما علم ضعفهم عن مقاومة المغول، ارفض ذلك الجمع ولم يصبر لا هو ولا هم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي سنة 658 هـ:

استهلت هذه السنة بيوم الخميس وليس للناس خليفة، وملك العراقين وخراسان وغير ذلك من بلاد المشرق للسلطان هولاكو قان ملك التتار ابن تولي بن جنكيزخان، وسلطان ديار مصر الملك المظفر سيف الدين قطز مملوك المعز أيبك التركماني، وسلطان دمشق وحلب الملك الناصر بن العزيز بن الظاهر غازي بن الناصر فاتح القدس وبلاد الكرك و الشوبك للملك المغيث بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب وهو حزب مع الناصر صاحب دمشق على المصريين، و معهما الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري، وقد عزموا على قتال المصريين وأخذ البلد منهم !!

أخذ التتار حلب ودمشق:

وبينما الناس على هذه الحال، وقد تواترت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام، إذ دخل جيش المغول صحبة ملكهم هولاكو، وجازوا الفرات على جسور عملوها ووصلوا إلى حلب في ثاني صفر من هذه السنة، فحاصروها سبعة أيام، ثم افتتحوها بالأمان، وغدروا بهم، فقتلوا منهم خلقا لا يعلمهم إلا الله عز وجل، ونهبوا الأموال وسبوا النساء والأطفال، وجرى عليهم قريب مما

جرى على أهل بغداد فجاسوا خلال الديار، وجعلوا أعزة أهلها أذلة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وامتنعت عليهم قلعتها شهرا، ثم تسلموها بالأمان وخرب أسوار البلد وأسوار القلعة، وبقيت حلب كأنها حمار أجرب، وكان نائبها الملك المعظم توران شاه بن صلاح الدين،وكان عاقلا حازما لكنه لم يوافقه الجيش على المصالحة ولكن تسرعوا وكان أمر اللـه قدرا مقدورا. وقد كان السلطان هولاكو أرسل إلى أهل البلد يقول لهم حين قدم بجحافله: نحن إنما جئنا لقتال الملك الناصر بدمشق، ونحن نريد منكم أن تجعلوا بالقلعة شحنة، فإن كانت النصرة لنا فالبلاد كلها في حكمنا، وإن كانت علينا فإن شئتم قبلتم الشحنة وإن شئتم أطلقتموه. فأجابوه: مالك عندنا إلا السيف. فتعجب من ضعفهم وجوابهم بهذا فزحف حينئذ إليهم وأحاط بالبلد وكان ما كان بقضاء اللـه وقدره، ولما فتحت حلب أرسل صاحب حماة بمفاتيحها إليه فاستناب عليها رجلا من العجم يدعى أنه من ذرية خالد بن الوليد يقال له: خسروشاه. فخرب أسوارها كما فعل بمدينة حلب.

وأرسل هولاكو وهو نازل على حلب جيشا مع أمير من كبار دولته يقال له كتبغانوين. فوردوا دمشق في آخر صفر، فأخذوها سريعا من غير ممانعة ولا مدافعة، بل تلقاهم كبارها بالرحب والسعة، وقد كتب معهم السلطان هولاكو فرمان أمان لأهل البلد، فقرئ بالميدان الأخضر ونودي به في البلد، فأمن الناس على وجل أن يغدروا كما فعل بأهل حلب هذا والقلعة ممتنعة مستورة، وفي أعاليها المجانيق منصوبة،، فنصب المجانيق على القلعة من غربيها وخربوا حيطانا كثيرة، فأجابهم متوليها في آخر ذلك النهار للمصالحة ففتحوها وخربوا كل بدنة فيها،، وقتلوا المتولى بها وسلموها إلى أمير منهم يقال له: إيل سبان.

وكان لعنه اللـه معظما لدين النصارى فاجتمع به أساقفتهم و قسوسهم فعظمهم جدا وزار كنائسهم، فصارت لهم دولة و حولة وصولة بسببه لعنهم اللـه تعالى، وذهبت طائفة من النصارى إلى هولاكو بهدايا وتحف وقدموا من عنده ومعهم أمان؛ فرمان من جهته، ودخلوا البلد من باب توماء ومعهم صليب

منصوب يحملونه على رؤس الناس، وهم ينادون بشعارهم ويقولون ظهر الدين الصحيح، دين المسيح.

ويذمون دين الإسلام وأهله ومعهم أواني فيها خمر لا يمرون على باب مسجد إلا رشوا عنده خمرا وقماقم ملآنة خمرا يرشون منها على وجوه الناس، ويأمرون كل من يجتازون به في والأسواق والطرقات أن يقوم لصليبهم، ودخلوا من درب الحجر فوقفوا عند رباط الشيخ أبي البيان، ورشوا عنده خمرا وكذلك على باب مسجد درب الحجر الصغير والكبير واجتازوا في السوق حتى وصلوا إلى درب الريحان أو قريب منه فتكاثر عليهم المسلمون، فردوهم إلى سوق كنيسة مريم، فوقف خطيبهم إلى دكة دكان في عطفه السوق هنالك، فذكر في خطبته مدح دين النصارى وذم دين الإسلام وأهله فإنا لله وإنا إليه راجعون. ثم ولجوا بعد ذلك إلى كنيسة مريم، وكانت بعد عامرة ولكن كان هذا سبب خرابها ولله الحمد.

قال: وذكر أنهم دخلوا إلى الجامع بخمر، وكان في نيتهم إن طالت مدة التتار أن يخربوا كثيرا من المساجد وغيرها، فكفى اللـه شرهم.ولما وقع هذا في البلد اجتمع قضاة المسلمين والشهود والفقهاء فدخلوا القلعة يشكون هذا الحال إلى متسلمها إيل سبان، فأهينوا وطردوا وقدم كلام رؤساء النصارى عليهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد كان في أول هذه السنة سلطان الشام الناصر بن العزيز، قد أقام في وطأة برزه ومعه خلق كثير من الجيوش و الأمراء وأبناء الملوك ليناجزوا التتار إن قدموا عليهم وكان ممن معه الأمير بيبرس البندقداري في جماعة من البحرية و الكلمة بين الجيوش مختلفة غير مؤتلفة، لما يريده اللـه عز وجل.

وقد عزمت طائفة من الأمراء على خلع الملك الناصر وسجنه ومبايعة أخيه شقيقه الملك الظاهر علي، فلما تنسم الناصر ذلك هرب إلى القلعة المنصورة وتفرقت العساكر شذر مذر وساق الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري في أصحابه إلى ناحية غزة فاستدعاه الملك المظفر قطز إليه واستقدمه

عليه، وأقطعه قليوب، وأنزله بدار الوزارة، وعظم شأنه لديه وإنما كان حتفه على يديه.

وقعة عين جالوت 27 رمضان 658هـ:

واتفق وقوع هذا كله في العشر الأخير من رمضان من هذه السنة، فما مضت سوى ثلاثة أيام حتى جاءت البشارة بنصرة المسلمين على التتار بعين جالوت ولله الحمد، وذلك أن الملك المظفر قطز صاحب مصر لما بلغه أن التتار قد فعلوا بالشام ما ذكرنا، وقد نهبوا البلاد كلها حتى وصلوا إلى غزة وقد عزموا على الدخول إلى الديار المصرية وقد عزم الملك الناصر صاحب دمشق على الرحيل إلى مصر وليته فعل. وكان في صحبته الملك المنصور صاحب حماة، وخلق من الأمراء وأبناء الملوك، وقد وصل إلى قطية، وتهيأ الملك المظفر للقائه وأرسل إليه وإلى المنصور مستحثين،وأرسل إليه يقول: تقدم حتى نكون كتفا واحدا على التتار.

فتخيل من ذلك وخاف أن ينتصر عليه، فكر راجعا.. وما زال التتار وراء الناصر حتى أخذوه وأسروه عند بركة زيزاء وأرسلوه مع ولده العزيز وهو صغير وأخيه إلى ملكهم هولاكو وهو نازل على حلب فكانوا في أسره حتى قتلهم في السنة الآتية، كما سنذكره.

والمقصود أن المظفر لما بلغه ما كان من أمر التتار بالشام المحروسة وأنهم عازمون على الدخول إلى الديار المصرية بعد تمهيد مملكتهم بالشام بادرهم هو قبل أن يبادروه وبرز إليهم أيده الله تعالى وأقدم عليهم قبل أن يقدموا عليه فخرج بالعساكر المصرية وقد اجتمعت الكلمة عليه، حتى انتهى بمن معه من العساكر المنصورة إلى الشام واستيقظ له عسكر المغول وعليهم كتبغانوين وكان إذ ذاك في البقاع فاستشار الأشرف صاحب حمص والقاضي مجير الدين بن الزكي في لقاء المظفر فأشاروا بعضهم بأنه لا قبل له بالمظفر حتى يستمد هولاكو فأبى إلا أن يناجزه سريعا فصمدوا إليه فكان اجتماعهم على عين جالوت يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان فاقتتلوا قتالا عظيما شديدا فكانت النصرة ولله الحمد للإسلام وأهله فهزمهم المسلمون هزيمة هائلة وقتل كتبغانوين

وجماعة من بيته وقد قيل: إن الذي قتل كتبغانوين الأمير جمال الدين آقوش الشمسي واتبعهم الجيش الإسلامي يقتلونهم في كل موضع وفي كل مأزق، وقد قاتل الملك المنصور صاحب حماة مع الملك المظفر في هذه الوقعة قتالا عظيما وكذلك الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب، وكان أتابك العسكر وقد أسر من جماعة كتبغانوين الملك السعيد بن العزيز بن العادل فأمر المظفر بضرب عنقه واستأمن الأشرف صاحب حمص وكان مع التتار، وقد جعله هولاكو نائبا على الشام كله فأمنه الملك المظفر ورد إليه حمص وكذلك رد حماة إلى المنصور وزاده المعرة وغيرها وأطلق سلمية للأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع أمير العرب، واتبع الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري وجماعة من الشجعان التتار يقتلونهم في كل مكان، إلى أن وصلوا خلفهم إلى حلب وهرب من بدمشق منهم وكان هروبهم منها يوم الأحد السابع والعشرين من رمضان صبيحة النصر الذي جاءت فيه البشارة بالنصرة على عين جالوت فتبعهم المسلمون من دمشق يقتلون ويأسرون وينهبون الأموال فيهم، و يستفكون الأسارى من أيديهم قهرا ولله الحمد والمنن على جبره الإسلام ومعاملته إياهم بلطفة الحسن.

وجاءت بذلك البشارة السارة فجاوبتها البشائر من القلعة المنصورة وفرح المؤمنون يومئذ بصر اللـه فرحا شديدا، وأيد اللـه الإسلام وأهله تأييدا، وكبت أعداء اللـه النصارى واليهود والمنافقون وظهر دين اللـه وهم كارهون ونصر اللـه دينه ونبيه ولو كره الكافرون. فتبادر عند ذلك المسلمون إلى كنيسة النصارى التي خرج منها الصليب فانتهبوا ما فيها وأحرقوها وألقوا النار فيما حولها فاحترق دور كثيرة للنصارى وملأ اللـه بيوتهم و قبورهم نارا وأحرق بعض كنيسة اليعاقبة وهمت طائفة بنهب اليهود، فقيل لهم: إنهم لم يكن منهم فيما ظهر من الطغيان كما كان على عبدة الصلبان. وقتلت العامة في وسط الجامع شيخا رافضيا كان مصانعا للتتار على أموال الناس يقال له: الفخر محمد بن يوسف الكنجي. كان خبيث الطوية مشرقيا ممالئا لهم على أموال المسلمين قبحه اللـه تعالى،وقتلوا جماعة مثله من المنافقين الممالئين على المسلمين.

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأنعام:45.

ولما كسر الملك المظفر قطز عساكر التتار بعين جالوت ساق وراءهم ودخل دمشق في أبهة عظيمة، وفرح الناس به فرحا شديدا ودعوا له دعاء كثيرا وأقر صاحب حمص الملك الأشرف على بلده وكذلك المنصور صاحب حماه واسترد حلب أيضا من أيدي التتار وعاد الحق إلى نصابه ومهد القواعد وكان قد أرسل بين يديه الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ليطرد التتار ويتسلم مدينة حلب ووعده بنيابتها فلما طردهم عنها وأخرجهم منها وتسلمها المسلمون استناب عليها غيره وهو علاء الدين ابن صاحب الموصل وكان ذلك سبب الوحشة التي وقعت بينهما واقتضت قتل الملك المظفر قطز سريعا، ولله الأمر.

ذكر سلطنة الملك الظاهر وهو الأسد الضاري بيبرس البندقداري:

وذلك أن السلطان الملك المظفر قطز لما عاد بالعساكر قاصدا الديار المصرية فوصل إلى ما بين الغرابي و الصالحية، عدا عليه الأمراء، فقتلوه هنالك وقد كان رجلا صالحا، كثير الصلاة في الجماعة ولا يتعاطى الشراب ولا شيئا مما يتعاطاه الملوك، وكانت مدة ملكه من حين عزل ابن أستاذه المنصور علي بن المعز التركماني إلى هذه المدة، وهي أواخر ذي القعدة نحوا من سنة رحمه اللـه وجزاه عن الإسلام وأهله خيرا.

وكان الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري قد اتفق مع جماعة من الأمراء على قتله وألقوه عن فرسه ورشقوه بالنشاب حتى أجهزوا عليه. فاتفقت كلمتهم على أن بايعوا الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ولم يكن من أكابر المقدمين فيهم ولكن أرادوا أن يجربوا فيه ولقبوه الملك الظاهر فجلس على سرير المملكة وجلس على كرسيها وحكم فعدل وقطع ووصل وكان شهما شجاعا أقامه اللـه للناس لشدة احتياجهم إليه في هذا الوقت الشديد والأمر العسير. ثم شرع في مسك من يرى في نفسه رئاسة من أكابر الأمراء حتى مهد الملك كما يريد واللـه على كل شيء شهيد.

وقد كان السلطان هولاكو قان لما بلغه ما جرى على جيشه بعين جالوت أرسل جماعة كثيرة من جيشه إلى بلاد الشام ليستعيدوه من أيدي جيش الإسلام فحيل بينهم وبين ما يشتهون ورجعوا إليه خائبين خاسرين وذلك أنه نهض إليهم الهزبر الكاسر والسيف الباتر السلطان الملك المؤيد الظاهر فقدم إلى دمشق وأرسل الجيوش من كل جانب لحفظ الثغور والمعاقل بالأسلحة التامة والجحافل فلم يقدر التتار على الدنو إليه، ولا القدوم عليه فعند ذلك نكصت شياطينهم على أعقابهم وكرت راجعة القهقرى على أذنابها والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتكمل المسرات في هذه الحياة الدنيا وبعد الممات.

وفي سنة 660 هـ:

وفي ذي الحجة قدمت وفود كثيرة من التتار على الملك الظاهر مستأمنين فأكرمهم وأحسن إليهم وأقطعهم إقطاعات حسنة وكذلك فعل بأولاد صاحب الموصل ورتب لإخوانهم رواتب كافية.

وفي هذه السنة أرسل هولاكو طائفة من جنده نحو عشرة آلاف فحاصروا الموصل ونصبوا عليها أربعة وعشرين منجنيقا وضاقت بها الأقوات.

وفيها وقع الخلف بين هولاكو وبين السلطان بركة ابن عمه وأرسل إليه بركة يطلب منه نصيبا مما فتحه من البلاد على ما جرت به عادتهم، فقتل رسله فاشتد غضب بركة وكاتب الظاهر ليتفقا على هولاكو .

وفي سنة 661هـ:

وفيها التقى بركة خان و هولاكو ومع كل واحد جيوش كثيرة، فاقتتلوا فهزم هولاكو هزيمة فظيعة وقتل أكثر أصحابه وغرق أكثر من بقي، وهرب هو في شرذمة قليلة من أصحابه، ولله الحمد. ولما نظر بركة خان إلى كثرة القتلى قال: يعز علي أن يقتل المغول بعضهم بعضا، ولكن كيف الحيلة فيمن غير سنة جنكزخان؟! ثم أغار بركه خان على بلاد القسطنطينية فصانعه صاحبها، وأرسل الظاهر هدايا عظيمة إلى بركة وتحفا كثيرة هائلة.

وفي سنة 662هـ:

وفيها قدمت رسل الملك بركة خان إلى الملك الظاهر، ومعهم الأشرف بن شهاب غازي بن العادل، ومعهم من الكتب والمشافهات ما فيه سرور للإسلام وأهله مما حل بهولاكو وأهله.

وفيها قدم نصير الدين الطوسي إلى بغداد من جهة السلطان هولاكو خان، فنظر في الأوقاف وأحوال البلد وأخذ كتبا كثيرة من سائر المدارس، وحولها إلى الرصد الذي بناه بمراغة، ثم انحدر إلى واسط والبصرة.

وفيها استحضر الملك هولاكو خان ملك التتار الزين الحافظي، وهو سليمان ابن المؤيد بن عامر العقرباني المعروف بالزين الحافظي وقال له: قد ثبت عندي خيانتك. وقد كان هذا المغتر لما قدم التتار مع هولاكو دمشق وغيرها مالأ على المسلمين وآذاهم، ودل على عوراتهم، حتى سلطهم الله عليه بأنواع العقوبات و المثلات ؛

﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾ وفي الجملة من أعان ظالما سلط عليه، فإن الله ينتقم من الظالم بالظالم، ثم ينتقم من الظالمين جميعا، نسأل الله العافية من انتقامه وغضبه وعقابه وشر عباده.

وفي سنة 663هـ:

فيها جهز السلطان الملك الظاهر عسكرا جما كثيفا إلى ناحية الفرات لطرد التتار النازلين بالبيرة، فلما سمعوا بالعساكر الظاهرية قد أقبلت تولوا على أعقابهم منهزمين، والحمد لله رب العالمين، فطابت تلك الناحية وأمنت تلك المعاملة، وقد كانت قبل ذلك لا تسكن من كثرة الفساد بها والخوف، فعمرت وأمنت ولله الحمد.

وفي هذه السنة هلك هولاكو خان بن تولي خان بن جنكيزخان:

ملك التتار بن ملك التتار بن ملك التتار، وهو والد ملوكهم، وقد كان ملكا جبارا عنيدا قتل من المسلمين شرقا وغربا مالا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم، وسيجازيه على ذلك شر الجزاء، كان لعنه الله، لا يتقيد بدين من

الأديان، وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت، وكانت تفضل النصارى، وكان، لعنه الله، يترامى على محبة المعقولات، ولا يتصور منها شيئا، وكان أهلها من أفراخ الفلاسفة عنده لهم وجاهة ومكانة، وإنما كانت همته في تدبير مملكته وتملك البلاد شيئا فشيئا، حتى أباده الله في هذه السنة، وقيل: في سنة ثلاث وستين، ودفن في مدينة تلا، لا رحمه الله وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وممن توفي فيها من الأعيان.

السلطان بركة خان بن تولي بن جنكزخان بن خاقان:

وهو ابن عم هولاكو، وقد أسلم بركة خان هذا، وكان يحب العلماء والصالحين، ومن أكبر حسناته كسره لهولاكو وتفريقه جنوده، وكان يناصح الملك الظاهر ويعظمه ويكرم رسله إليه، ويطلق لهم شيئا كثيرا، وقد قام في الملك بعده بعض أهل بيته، وهو منكوتمر بن طغان بن باتو بن تولي بن جنكزخان، وكان على طريقته ومنواله، ولله الحمد. أهـ

(انتهى النقل الملخص عن ابن كثير الدمشقي رحمه الله تعالى.)

ولم تنته تماما مصيبة التتار بذلك، إذ تتابعت غاراتهم، وعظم البلاء بهم في مشرق بلاد المسلمين، وإلى بلاد الشام في زمن تيمورلنك،،أحفاده، إلى أن انتصر المسلمون عليهم، وارتدوا إلى بلادهم وقد فشا الإسلام فيهم، وأقاموا ممالك تترية وسط آسيا وامتدت فتوحاتهم حتى شملت معظم شمال وشرق آسيا، وهكذا فتحوا البلاد بالإسلام بعد أن فتحهم دين الله وغزا قلوبهم، في ظاهرة تاريخية فريدة حيث اتبع الغالب دين المغلوبين.

تعليقات وملاحظات سريعة على مسار التاريخ الإسلامي منذ بني أمية وإلى قيام الدولة العثمانية:

إن المتتبع لمسار تاريخ الدول والممالك الإسلامية وقد قدمنا نبذة مختصرة عنها، يخرج بنتيجة واضحة، وهي أن مثل هذا المسار، ومثل هذا المسلك، من الحكام أولا، ومن علمائهم ثانيا، ومن الرعية ثالثا.. ما كان له بموجب السنن

الشرعية والقدرية، وكذلك العقلية والمنطقية و بحكم سنن السياسة، وصراع البقاء بين القوى..، إلا أن يسفر ذلك الحال عن النتيجة التي أسفر عنها..

ولكن، يخشى على من يقرأ التاريخ ولاسيما الملخصات الموجزة له. وخاصة تلك المعاصرة التي كتبت بأيدي العلمانيين المعاصرين، وتلاميذ المستشرقين. يخشى على القارئ أن يخرج بصورة شوهاء عن تاريخنا الإسلامي المجيد. فيظن أن كل ملوك وأمراء المسلمين، كانوا ظلمة طاغين لا خير فيهم، فساقا عابثين، لاهين بالقيان والجواري، منصرفين إلى المجون، وإلى اللهو ما أحل الله منه وما حرم..!

وأن كل أو جل علماء المسلمين كانوا مقصرين في أداء أمانتهم، قاعدين عن الأمر والنهي والجهاد، مصطفين على أبواب الأمراء ينتظرون المنح والعطايا..!

ويظن أن معظم الرعايا كانوا منغمسين في التيه والانحلال..فسقة على دين ملوكهم.. لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا ولا يدافعون في سبيل الله..

ومثل هذا الاستنتاج مغاير لحقيقة تفاصيل الواقع، وإن كان ما روينا ملخصا عن كتب التاريخ صحيح في مجمله، وأكبر شاهد على صحة ذلك، النتيجة السوداء التي آلت إليها أحوال الأمة في نهاية ذلك الانحلال.. وهي الجذور التاريخية لما نعاني منه اليوم من بلايا مخزية.

ومما يجب أن ينتبه إليه من يقرأ التاريخ الإسلامي في الكتب المعاصرة، أو في كتب المناهج الدراسية المعتمدة في معظم أو كافة بلاد المسلمين. أن معظم هذه الكتابات قد خطتها أقلام علمانية من تلاميذ المستشرقين أو الذين تربوا ودرسوا على أيديهم. وقد نهجت هذه الكتب نهجا يعتمد التزوير والدس من أجل النيل من تاريخنا المجيد ولإضعاف صلتنا بتراثنا. ولتشويه تاريخ جهاد أجدادنا العظام ون مختلف مكونات النسيج العرقي لأمم الإسلام عربا وغير عرب. وللإلقاء بذور الفتنة بين تلك المكونات.

وأذكر مما درسنا في الراحل الدراسية المختلفة مما كتبه الكتاب القوميون العرب، كميات هائلة من ذلك الدس والتزوير، مما يضيق المجال هنا عن نقل شواهده. كما أذكر على سبيل المثال على ذلك مما درسنا في مناهجنا غرائب كثيرة، منها أن الذين وضعوا المناهج قد قسموا تاريخنا الإسلامي إلى ما أسموه (الدولة العربية- وتشمل الدولة النبوية ودولة بني أمية -) ثم (الدولة الفارسية- وتشمل صدر العصر العباسي -) ثم (الدولة التركية – وتشمل باقي العصر العباسي -) ثم تاريخ بعض الممالك المستقلة. كما صنفوا الدولة العثمانية على أنها (الإحتلال العثماني للبلاد العربية). كما عرضوا الفتح الإسلامي منذ الدولة النبوية وما تلاها على أنه استدراج سياسي وليس كما حقيقته منهج دين وتكليف شرعي لنشر الدين العالمي وآخر الرسالات للعالمين. كما درسنا من تاريخ أوربا مثل أو أكثر مما درسونا عن تاريخنا..،هذا ناهيك عن إبراز تاريخ الزنادقة والمارقين من الملوك والثوار والفلاسفة والعلماء الضالين ومشاهير شعراء المجون والخمر والانحلال وإشهارهم كالقرامطة والزنج ورجالهم، ومن الأعلام أمثال الفارابي وابن سينا وأبو العلاء المعري وبشار وأبو نواس (قبل توبته).. و الأصفهاني الزنديق واضع كتاب الأغاني المليء بالأكاذيب والدس على سير الخلفاء وما حوى من قصص المجون الموضوعة.. وغير ذلك كثير. وأما التزوير المتعمد بسبب الهوية القومية للجامعة وعلمانيتها..فحدث ولا حرج عن العبث الرخص بتاريخ المسلمين وحضارتهم وتقييم مناهجهم ورجالهم.في مخطط مدروس للغزو الفكري ليس هنا مجل تناوله.

وأما اليوم وفي ظلال حرب الأفكار التي تشنها علينا الحملات الصليبية الأمريكية بقيادة (أوباما و هيلاري كلينتون..) وتنفيذ (منظمة اليونسكو والأمم المتحدة) فقد ذهبت الطامة في إعادة تزوير المزور من تاريخ المسلمين إلى مجالات تهدف إلى إخراج المسلمين من دينهم كليا وسلخهم من تاريخهم كليا..ولذلك يجب الانتباه إلى مصادر التاريخ والتمحيص في هوية كاتبيها ومن وراءهم.

ولكن وحتى تكون الصورة متكاملة وصحيحة وشاملة فيما لخصت آنفا من تاريخنا الإسلامي، يجب أن نذكر أيضا الوجوه المشرقة للحضارة والتاريخ الإسلامي الذي تركت خيراته بصماتها على جبين البشرية.

وبذلك نفهم منطق السنن المختصر في قواعد وسنن ثابتة، تفسر لنا أسباب القوة والانتصارات الكثيرة، وأسباب الضعف وتسلط الأعداء والهزائم المنكرة التي مرت وما تزال علينا. من قبيل ما قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللـه يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد:7).

وكما قال عز من قائل:

﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللـه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران:165).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ (طه: 124-126).

وغير ذلك في كتاب اللـه من السنن والقوانين الربانية الكثيرة..المبينة المفصلة في سنة رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم، ومن ذلك قوله:

(يا معشر المهاجرين: خمس خصال أعوذ باللـه أن تدركوهن:

- ما ظهرت الفاحشة في قوم قط حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا.
- وما نقص قوم المكيال إلا ابتلو ا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان.
- وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا.
- ولا خفر قوم العهد إلا سلط اللـه عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم.
- وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل اللـه في كتابه إلا جعل بأسهم بينهم شديدا).

وليس هنا مجال استقصاء تلك الشواهد وما تزخر به من القواعد والسنن في فهم مسار التاريخ وقيام الممالك وزوالها.

فعلينا حتى نفهم هذه السنن من أن أجل أن نحترمها ونعمل بأحسنها. ونتحرك على بصيرة من هدي ربنا.

وفي النهاية على كل من نكص عن شريعة اللـه واتخذ أوامره ظهريا، أن يفهم قوله تعالى لبني إسرائيل لما عصوا اللـه ورسله وأدركتهم العقوبة:

﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾ (الإسراء:8). فليس بين اللـه وأحد من خلقه نسب ولا صهر، وصدق اللـه العظيم: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ (الشورى: 40).

وأهم الملاحظات التي يجب أن نذكر بها ونأخذها بعين الاعتبار ونحن ندرس تاريخنا المجيد النقاط التالية:

أولا: أن شريعة اللـه تبارك وتعالى، كانت هي المرجع المحترم من كل طبقات الحاكمين والمحكومين. في كل تلك الممالك والمجتمعات. وكانت هي الحاكم عليهم جميعا. وكانت هي دستور الدولة الأعلى. ومصدر جميع قوانينه التفصيلية. فإذا ما حاد عنها حاكم أو محكوم، فمن باب الفسوق والعصيان والزلل والتقصير، الذي كان أصحابه – حكاما ومحكومين - يعرفون أنهم مقصرون آثمون. ولم يدخل التبديل والتغيير على شرع اللـه على وجه التشريع والحكم بغير ما أنزل اللـه، زهدا بشريعة اللـه أو تفضيلا لغيرها عليها، أوجودا لأحكامها، أو للشعور بإمكانية المفاضلة بينها وبين غيرها، إلا متأخرا، في الربع الأخير من الدولة العثمانية كما سنرى في استعراض تاريخها. أو ما حصل من بعض الممالك المستقلة التي قامت أصلا على المروق عن دين اللـه كما كان من الدولة العبيدية الفاطمية التي قامت في المغرب ومصر ثم الشام، وتأسست أساسا على الزندقة والسحر والفلسفة والشعوذة والمذاهب الباطلة،ز وقد حكم

علماؤنا من أئمة عصرها بكفرها ومروقها من الدين. وكذلك ما حصل من بعض ملوك التتار الذين ادعوا الإسلام، وتحاكموا لشريعة رئيسهم جنكيزخان التي تركها لهم مدونة في ما عرف بـ (الياسا) أو (الياسق)، وقد مر التعريف بهمثا تيمور لنك وأحفاده .. فهي ليست شاهدا على ما نحن بصدده من الممالك التي اعتورها الإنحراف، ولكنها لم تخرج عن أصل الإحتكام لشرع الله، فلم يجاوز الإنحراف الظلم والفسق، إلى المروق والكفر كما حصل لاحقا. وإن كانت تلك الممالك والدول- بحكامها ومحكوميها - قد نالت عقابها القدري المحتوم بحكم السنن، بقدر ظلمها وفسوقها وعصيانها.

ثانيا: أن الغالبية العظمى لأولئك الملوك والأمراء المنحرفين، وحتى أشدهم فسادا، وفسوقا وصراعا على الملك.. كانوا مجاهدين لأعداء الإسلام من الكفار دفعا وطلبا. وخاصة في الدفع عن أراضي المسلمين وأنفسهم وحرماتهم، وقد مر معنا في الاستعراض شواهد عديدة.. وقد رأينا هذا من الطغاة الفاسدين من بني أمية، وكذلك من بني العباس، وصولا إلى ملوك الممالك المستقلة. فالحمدانيون - رغم كونهم من الشيعة-، ورغم ما ابتلوا به من البدع والمظالم، كانوا ممن جاهد الروم وأبلوا بلاءا حسنا..، والسلاجقة الأتراك رغم ظلمهم وبطشهم وعدوانهم على الخلفاء وعلى الرعية، وقفوا سدا منيعا في وجه الروم، وكان لهم المشاهد العظيمة، والأتابكة الزنكيون وملكهم الصالح نور الدين رحمه الله ..ثم الأيوبيون ومؤسس دولتهم المجاهد الناصر صلاح الدين كذلك..وغيرهم، و حتى بيبرس المملوكي الذي قتل أمير المسلمين إثر النصر الأكبر في (عين جالوت) من أجل الملك والإمارة. و كان بعد ذلك ظلوما غشوما جبارا..، إلا أنه لم ينزل عن صهوة جواده سبعا وعشرين عاما، جاهد فيها الروم و التتار وهم بنو عمه، وجاهد الصليبيين حتى أجلاهم من أكثر البلاد. ثم تولى المماليك ممن خلفه المهمة حتى أنجزوها..، وقل مثل ذلك عن باقي الممالك من الغزنويين وملكم الصالح محمود سبكتكين..و السلاجقة وسلطانهم المجاهد (ألب أرسلان).. و الغوريين والمغول المسلمين في

آسيا والهند..، وعن ممالك شمال أفريقيا من الأغالبـة الفـاتحين المجاهـدين في تـونس، إلى المرابطين والموحدين في المغرب...إلى حيث قامت للإسلام مملكة...

ولم يخرج إلى خندق القعود والخيانة، والعمالة للعدو إلا أفـراد مـن المتـأخرين مـن تلك الممالك، كما كان من الملك الطالح (الصالح إسماعيل الأيوبي) الذي حالف الصـليبيين، وبعض (ملوك الطوائف في الأندلس)..وغيرهم، ممن سجل التاريخ لعناته عليهم..وأكـثرهم خلع من قبل أسرتـه أو ممـن جـاوره مـن الممالـك. وعـدت فعلـتهم منكـرة مـن الحكـام والعلماء والرعايا في ذلك الزمان..

ثالثا: أن معظم علماء المسـلمين المرمـوقين المشـاهير، كـانوا إمـا مـن أهـل العـزائم، فاحتسبوا على الملـوك والأمـراء، وأمـروهم بـالمعروف ونهـوهم عـن المنكـر..، وقـد سـجل التاريخ قصصا رائعة تكتب بماء الذهب، وأحرف النور، منذ ظهر الملك في بني أمية، وحتى زمن قريب..وقائمة أسماء هؤلاء السلف الصالح طويلة تزخر بالمـآثر. وإمـا لم يكونـوا مـن أهـل العـزائم، فـاعتزلوا القصـور ومـن فيهـا، واعتزلـوا مسـائل الحكـام وتفرغـوا للعلـم والزهد..ولم يتمرغوا في أوحال النفاق للسلاطين..، ولم يشذ عن ذلك من العلماء المرموقين، إلا أوشاب من المتساقطين في أوحال الدنيا، أو أوباش من المنسوبين لعالم العلم والعلماء..، ولم نبتلى بفساد العلماء عامة إلا قليلا جدا ممـن عصـم اللــه، كـما في زماننـا هـذا إلا في أوقات متأخرة من تاريخنا الطويل. كما كان العلماء قدوة في الجهاد، ولاسـيما في الأزمـات والنوازل الكبرى، فكانوا يخرجون للغزو دفعا وطلبا مـع أئمـة المسـلمين بـرهم و فـاجرهم ضد أعداء المسلمين من الكفـار. وذلـك قبـل أن يظلنـا زمـان الدشـوش، وتتـدلى الكـروش، وتسعى كرام العمائم واللحى خلف القروش و الحشوش..

رابعا: أن غالبية فساق الأمراء وطغاتهم وحتى الجبارين منهم، ممن عرفـوا بالبـأس والقسـوة..، كانوا إذا وُعظوا من قبل العلماء وأهـل الحسـبة، والآمـرين بـالمعروف النـاهين عـن المنكـر..، اتعظـوا وخشعوا، وربما تأثروا وبكوا، ورجعوا عن مظلمـة أو زلـة، حتـى وإن عـادوا إلى قبـيح أعمالهـم. فقـد كان للدين على أنفسهم سـلطانا. وللعلـماء الصـادقين - حتـى ممـن وقفـوا لهـم بالمرصـاد – احترامـا

وهيبة. وقد جمعوا إلى هذه المزية الخيرة، رغم طغيانهم وفسوقهم، وصراعهم على الملك، ومظالهم..، جمعوا لذلك حب الخير، والصدقات والإحسان، ومختلف وجوه البر والخير..ليكفروا عن غيهم، و لأصالة في معدنهم..، فبنوا المساجد، و التكايا، وأوقفوا الأوقاف في مختلف وجوه الخير...إضافة إلى جهادهم، وحكمهم أساسا بشريعة الله.

خامسا: أن غالبية الرعايا من المسلمين كانوا على أصل الصلاح واحترام الدين..، وكانوا تبعا للعلماء الصالحين. مآزرين لهم في مواقفهم. مما شجع العلماء على النهوض في كثير من الأحيان. وكانوا يخرجون للجهاد والنفير وثغور الرباط..، وقد اختلط الخير والشر في تلك العصور كثيرا..، ولكن لم تكن تصل الأمور إلى ما فشا في الأزمنة المتأخرة من وجوه مجاهرة العوام بألوان الكفر والفسوق والعصيان..، ونسال الله السلامة.

سادسا: أن الخير لم يكن ينقطع عبر تاريخنا ذاك، وأن راية الإسلام والصلاح والعزة، لم تزل تتنقل بين الأيادي المختلفة، والمكونات المتعددة لنسيج الأمة من عرب وعجم وترك وفرس وبربر ومغول وأفارقة وغير ذلك ..إلخ. وأنه كلما ضعف الإسلام في مكان،كان ينهض في آخر..وكان آخر الشواهد قيام الدولة العثمانية التي حفظت رمزية الخلافة الجامعة للمسلمين..، بعد أن تولى من سبقهم، فاستبدلهم الله بغيرهم.

سابعا: أن معجزة الرسول الخالدة في إخباره صلى الله عليه وسلم، أن طائفة مجاهدة في سبيل الله لم تزل ولن تزال قائمة:

فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال :

(لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة) رواه مسلم . وعن معاوية يرفعه أيضا: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين و لا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة) رواه مسلم.

و في رواية عنه أيضا: (لا تقوم الساعة إلا وطائفة من أمتي ظاهرون على الناس، لا يبالون من خذلهم و لا من نصرهم) رواه ابن ماجة.

وهكذا بقيت وما زالت الطائفة المنصورة، طائفة الجهاد والدفع هذه قائمة تجاهد على مر العصور. وحتى إلى يومنا هذا ولله الحمد والمنة.

وشواهد ما أسلفت من الملاحظات في كتب التاريخ كثيرة جدا، لعل الله يوفقنا لذكر طرف منها في كتاب منفصل عن تاريخنا المجيد ونوادره الرائعة، وكنت أود أن أنقل أطرافا من ذلك هنا مما جمعته، ثم عدلت عن ذلك خشية أن يطول بنا المقام عن المقصد من هذه النبذة التاريخية في سياق هذه الموسوعة.

وبالخلاصة:

فقد أدت (مورثات الصلاح الكامنة في الأمة) في الحكام والعلماء والمحكومين على مر تلك العصور.. إلى استمرار الخير ينازع وجوه الشر والفساد في الأمة..، مما مد في عمر حضارتها لأكثر من ثلاثة عشر قرنا..، ولقد تحطمت على صخور دول الإسلام الصامدة كل الهجمات العاتية التي تكسرت موجاتها عليها.. وبقي الإسلام شامخا، وبقي المسلمون أعزاء..، وكانت كل دولة ومملكة وأمة تلاقي مصيرها بموجب السنن القدرية بقدر مالديها من صلاح وفساد..

إلى أن استهلت العقود الأخيرة منذ القرن العشرين، وبدأت الغالبية من جموع الأمة حكاما ومحكومين..تنسلخ عن شريعة ربها.. ونجحت مؤامرات العدو في سلخهم عن دينهم، اعتقادا وتطبيقا إلا في الأقلية ممن رحم الله.. فبدأ يحل بنا ما نشاهد اليوم من الانهيار الذي لم يشهد له تاريخنا مثيلا، حيث أصبح الغزاة يقاتلون الأمة بأبنائها والمنتسبين (إسما) إليها..وهذا ما سنفصل أسبابه وشواهده في الفصول القادمة إن شاء الله. ونبحث عن الحلول له، عساها تنفع الطائفة المنصورة، وعسانا نكون منهم إن شاء الله.

عود على بدء...

ونستأنف من حيث وصلنا في استعراض موجز عن تاريخنا، بعد أن استعرضنا أهم الغارات التي تعرض لها عالمنا الإسلامي في تاريخنا القديم وهي الحملات الصليبية وغارات المغول...وكنا قد عرضنا للدول المستقلة، بعد ذكر نبذة عن تاريخ الدولة النبوية، وخلافة الراشدين،والدولة الأموية والدولة العباسية..

وفي بدايات القرن العاشر الهجري، ومطلع السادس عشر الميلادي. كان (آل عثمان) أحفاد السلاجقة في هضبة الأناضول، قد نهضوا وأسسوا مملكة، اتسعت من غرب الأناضول شيئا فشيئا، وتحولت إلى سلطنة قوية، وتمكنت من فتح القسطنطينية عاصمة الروم البيزنطيين سنة (1453ميلادية)، مما أحدث نقلة تاريخية عالمية، حيث عدت تلك الواقعة عند المؤرخين الغربيين نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة.

وبعد أن فتح العثمانيون القسطنطينية تحركوا شمالا وغربا في أوربا، وفتحوا بلاد القرم ومحيط البحر السود وبلاد القفقاس و وأوربا الشرقية وبلاد البلقان، ووصلوا إلى وسط النمسا.وشمال إيطاليا.! كما تحركوا جنوبا، وبسطوا سيطرتهم على بلاد الشام والعراق ومصر، والحجاز واليمن، ثم وسط شمال إفريقيا.. وأكثر جزر البحر المتوسط.. وبعد فتحهم مصر، نقلوا إليهم الخلافة، وتسلموها من آخر الخلفاء الرمزيين لبني العباس الذين كانوا في القاهرة في كنف دولة المماليك سنة (922هـ). ومنذ ذلك الوقت قامت الخلافة العثمانية التي أعادت جمع شتات المسلمين تحت رايتها وسلطانها، وحملت راية الجهاد دفعا وطلبا في مواجهة دول وممالك أوربا الذين ورثوا راية الروم بعد سقوط القسطنطينية.ومهما كان من آراء المؤرخين في تلك الخلافة والدولة العثمانية، إلا أن مما لا شك فيه أنها كانت امتدادا لدولة الإسلام ورايته وحضارته. وامتدادا لمسمى الخلافة الإسلامية التي غابت عن الوجود بغياب دولت العثمانيين وسقوطها على أيدي الدول الأوربية سنة 1924م.

ولأهمية هذه الحقبة من تاريخ المسلمين الحديث، بل وتاريخ الصراع حامي الوطيس بين المسلمين والروم المعاصرين (الدول الأوربية) نعرض أيضا لنبذة عن تاريخ الدولة العثمانية. حيث سنتوسع فيه بعض الشيء (80 صفحة تقريبا) اختصرت فيها مئات الصفحات من مصادرها، لأنه يمثل المراحل الأولى للصراع الحديث بين المسلمين والدول الأوربية. كما يشكل بدايات لنشوء النظام الدولي الحديث القائم على نظام صراع المصالح والأحلاف الدولية .

حيث سيرى القارئ أن ما نعيشه اليوم من حبائل الدول الرومية الحديثة المتعددة: (أوربا وروسيا وأمريكا) ما هو إلا تكرارا لما جرى خلال القرنين الماضيين، حيث يزخر ذكر ذلك التاريخ – الذي يعيد نفسه الآن - بدروس كثيرة بالغة الأهمية للطليعة القيادية التي ستقود جهادنا الحالي والقادم. بعون الله.

الدولة الإسلامية في عهد الخلافة العثمانية

مختصر تاريخ الدولة العثمانية [1]

(1300- 1924 م)

مؤسس هذه الدولة هو أرطغرل بن سليمان شاه التركماني قائد إحدى قبائل الترك النازحين من سهول آسيا الغربية إلى بلاد آسيا الصغرى.

فقد قام أرطغرل أواسط القرن السبع الهجري بنصرة الملك علاء الدين سلطان على خصومه في قونية، وهي إحدى الإمارات السلجوقية التي تأسست عقب انحلال دولة آل سلجوق بموت السلطان ملك شاه في 15 شوال سنة 485هـ / 1092م.

فكافأه الملك علاء الدين على مساعدته له بإقطاعه عدة أقاليم ومدن. ثم لقب قبيلته بمقدمة السلطان لوجودها دائما في مقدمة الجيوش.

(1) - السلطان عثمان مؤسس الدولة العثمانية (1300- 1317م):

ولما توفي أرطغرل سنة 687 هـ الموافقة سنة 1288 م، عين الملك علاء الدين اكبر أولاده مكانه وهو عثمان مؤسس الدولة العثمانية.

---

[1] كما أسلفت في بداية فصل التاريخ فقد اعتمدت في كتابة مختصر تاريخ الدولة العثمانية على كتاب (تاريخ الدولة العثمانية) - باختصار وتصرف وإضافات - لكاتبه (فريد بك المحامي). وهو فيما يبدو مصري من أصل تركي كتب كتابه سنة 1910. و يتضح فيه نفسه الماسوني , وحقده على السلطان عبد الحميد رحمه الله , ونفسه الشعوبي التركي , وتأييده لجمعية الإتحاد والترقي اليهودية الماسونية. وكتابه منشور في برنامج الألفية المعروف. ولم يؤثر نفس الكاتب على موضوعيته كثيرا إلا في تأريخه لمرحلة السلطان عبد الحميد وصراعه مع الماسون. وتأريخه للمراحل الأخيرة منذ بدأ نشاط الماسون. وأما ما سبق من مراحل فنفس الكاتب فيها موضوعي نسبيا ومقبول وغزير المعلومات في تاريخ العثمانيين الذي أبدى الكاتب ولاء كبيرا لدولتهم.

وآسف لأني لم أجد الوقت لإصلاح اللكنة الأعجمية في أسلوب كتابة الكاتب المنقولة من القرص المدمج - إلا قليلا - ولعلي أفعل ذلك في نسخة تالية إن شاء الله.

وفي سنة 1300 م تقريبا الموافقة سنة 699 هـ أغارت جموع التتار على بلاد آسيا الصغرى وفيها كانت وفاة علاء الدين آخر السلجوقيين بقونية و انفتح المجال لعثمان فاستأثر بالأراضي المقطعة له ولقب نفسه باد شاه آل ثم اخذ في توسيع دائرة أملاكه.

ثم أرسل إلى جميع أمراء الروم ببلاد آسيا الصغرى يخيرهم بين ثلاثة أمور الإسلام او الجزية أو الحرب فاسلم بعضهم وانضم إليه وقبل البعض دفع الخراج واستعان الباقون على السلطان عثمان بالتتار. وبعد أن انتصر على التتار عاد مسرعا لمحاصرة مدينة بورصة سنة 717 هـ الموافقة سنة 1317 م. حيث اسلم حاكمها افرينوس وأعطى له لقب بك وصار من مشاهير قواد العثمانيين. وعقب ذلك بقليل مات عثمان بعد أن أوصى للملك بعده لأورخان ثاني أولاده.

(2) - السلطان الغازي أورخان الأول(1317- 1360م):

كان أول عمل أجراه هو نقل مقر الحكومة إلى مدينة بورصة.

أرسل إليه ملك الروم بالقسطنطينية سنة 1355 وفدا يطلب منه أن يمده بالمساعدة لصد غارات دوشان ملك الصرب ولما نزل العثمانيون بساحل أوروبا تحققوا ضعف مملكة الروم وما آلت إليه من الانحلال فأخذ السلطان أورخان في تجهيز الكتائب سرا لاجتياز البحر واحتلال بعض نقط على الشاطئ الأوروبي تكون مركزا لأعمال العثمانيين في أوروبا. وساعدتهم المقادير بسقوط جزء من أسوار جاليبولي عقب زلزال شديد فدخلها العثمانيون بدون كبير عناء واحتلوا عدة مدائن أخرى منها ابسالا و رودس وغيرهما.

تأسيس الجيش العثماني المحترف: (الإنكشارية):

وقد عاون أورخان أخوه علاء الدين في الإدارة الداخلية، وكان من أهم أعمال علاء الدين أن أمر بضرب العملة من الفضة والذهب ووضع نظاما للجيوش المظفرة وجعلها دائمة إذ كانت قبل ذلك لا تجمع إلا وقت الحرب وتصرف بعده ثم خشي من تحزب كل فريق من الجند إلى القبيلة التابع إليها

وانفصام عرى الوحدة العثمانية التي كان كل سعيهم في إيجادها فأشار عليه احد فحول ذلك الوقت واسمه قرة خليل وهو الذي صار فيما بعد وزيرا أولا باسم خير الدين باشا بأخذ الشبان من أسرى الحرب وفصلهم عن كل ما يذكرهم بجنسهم وأصلهم وتربيتهم تربية إسلامية عثمانية بحيث لا يعرفون أبا إلا السلطان ولا حرفة إلا الجهاد في سبيل الله. ولعدم وجود أقارب لهم بين الأهالي لا يخشى من تحزبهم معهم فأعجب السلطان أورخان هذا الرأي و أمر بنفاذه ولما صار عنده منهم عدد ليس بقليل سار بهم إلى الحاج بكطاش شيخ طريقة البكطاشية بأماسية ليدعو لهم بخير فدعا لهم هذا الشيخ بالنصر على الأعداء وقال فليكن اسمهم (ينى تشاري) ويرسم بالتركية هكذا (يكيجاري) أي (الجيش الجديد) ثم حرف في العربية فصار (إنكشاري). ثم ارتقى هذا الجيش في النظام وزاد عدده حتى صار لا يعول إلا عليه في الحروب وكان هو من اكبر واهم عوامل امتداد سلطة الدولة العثمانية كما أنهم خرجوا فيما بعد عن حدودهم وتعدوا واستبدوا بما جعلهم سببا في اضطرابات الدولة إلى أن ألغى السلطان محمود الثاني الإنكشارية بعد أن قتل اغلبهم 1241 م لمقاومتهم إجراءات السلاطين وعصيانهم عليهم وتعديهم على حقوقهم.

وفي سنة 761 ه سنة 1360 انتقل توفي السلطان أورخان الغازي وسنه 81 سنة ومدة حكمه 35 سنة بعد أن أيد الدولة بفتوحاته الجديدة وتنظيماته العديدة ودفن في مدينة بورصة.

(3) - السلطان الغازي مراد خان الأول (1360-1389م):

ومدة حكمه 35 سنة. وكانت فاتحة أعماله احتلال مدينة أنقرة مقر سلطنة القرمان.أما في أوروبا ففتح مدينة أدرنه في سنة 1361 م واستمرت عاصمة للعثمانيين إلى أن فتحت مدينة القسطنطينية سنة 1453 م. وفتح أيضا مدينة فيلبه عاصمة الرومللي الشرقية وفتح افرينوس بك مدينتي وردار و كلجمينا باسم سلطان العثمانيين وبذلك صارت مدينة القسطنطينية محاطة من جهة أوروبا بأملاك آل عثمان وفصلت عن باقي الإمارات المسيحية الصغيرة التي

كانت شبه جزيرة البلقان مجزأة بينها وصارت الدولة العلية متاخمة لإمارات الصرب والبلغار وألبانيا.

فاستغاث الروم بالبابا فلبى استغاثتهم وكتب لجميع الملوك بالتأهب لمحاربة المسلمين وحرضهم على محاربتهم محاربة دينية حفظا للدين المسيحي من الفتوحات الإسلامية.

لم ينتظر أوروك الخامس الذي عين عظيم فرسان المجر وسار بهم لمهاجمة مدينة أدرنة عاصمة الممالك ولم يلبثوا إلا قليلا حتى ولوا الأدبار وكان ذلك في سنة 866 هـ سنة 1363 م.

ولما عظم شأن الدولة خشيها مجاوروها خصوصا الضعفاء منهم فأرسلت جمهورية راجوزه في سنة 1365 إلى السلطان مراد رسلا امضوا معه معاهدة ودية وتجارية تعهدوا فيها بدفع جزية سنوية قدرها 500 دوكا ذهب وهذه أول معاهدة أمضيت بين العثمانيين والدول المسيحية.

وفي سنة 1379 م اتحد لازارجر بلينانوفتش الذي تربع على مملكة الصرب. مع سيسمان أمير البلغار على مقاتلة العثمانيين ثم تحققا عجزهما فابرما الصلح مع السلطان على أن يتزوج السلطان بنت أمير البلغار وعلى أن يدفع له الأميران خراجا سنويا معينا.وفي ابتداء سنة 1381 م ابتدأت الفتوحات ثانيا وأخذت سيرها الأول فألزم السلطان أمير إقليم الحميد بالتنازل له عن بلاده وفتح مدائن موناستر وبرلبه واستيب ووقعت مدينة صوفيا في قبضة العثمانيين بعد محاصرة استمرت ثلاث سنوات من سنة 1381 م إلى سنة 1383 م وعقب ذلك فتح الصدر الأعظم خير الدين باشا مدينة سلانيك الشهيرة.سنة 1389 م وانتشب القتال بين الصرب والعثمانيين وبهذه الواقعة المهمة كانت الغلبة للعثمانيين و زال استقلال الصرب كما فقدت البلغار و الروملي و الأناضول استقلالها من قبل. وبينما كان السلطان مراد يمر من بين القتلى إذ قام من بينهم جندي صربي وطعن السلطان بخنجر طعنة كانت هي القاضية.

(4) - السلطان الغازي بايزيد خان الأول (1389- 1402م):

اتفق أركان الدولة على توليته وكان له أخ اصغر منه بقليل يدعى يعقوب متصفا بالشجاعة والإقدام وعلو الهمة فخيف على المملكة منه من أن يدعي الملك ولذلك قتل باتفاق أمراء الدولة وقواد جيوشها. وادعى مؤرخو الإفرنج أن قتله كان بناء على فتوى شرعية أفتى بها علماء ذلك الزمان منعا لحصول الفتنة بناء على قوله تعالى: (والفتنة أشد من القتل !!). وكانت هذه الفعلة الشنيعة، أول السنة التي سنها سلاطين العثمانيين لأنفسهم بقتل إخوة السلطان عند توليته، درءا للفتن بحسب عقولهم السقيمة. – بحسب المؤرخين إن صح الزعم المتواتر عنهم - وابتدأ السلطان بايزيد الأول أعماله بان ولى الأمير اسطفن بن لازار ملك الصرب حاكما عليها وتزوج أخته (اوليفيرا) وأجازه بان يحكم بلاده على حسب قوانينهم بشرط دفع جزية معينة وتقديم عدد معين من الجنود ينضمون إلى الجيوش الشاهانية وقت الحرب. ولما ساد الأمن في أوروبا قصد بلاد آسيا وفتح مدينة (آلا شهر) المعروفة عند الإفرنج باسم فيلادلفيا سنة 1391 م وهي آخر مدينة بقيت للروم في آسيا. وهكذا صار شرق بحر مرمرة خالصا للعثمانيين.

فلما علم سجسمون ملك المجر خبر ما حل ببلاد البلغار خشي علي مملكته إذ صار متاخما في عدة نقط للدولة العلية فاستنجد بأوروبا وساعده البابا وأعلن الحرب الدينية بين أقوام أوروبا الغربية فأجاب الدعوة (دوك بورغونيا) وأرسل ابنه الكونت (دي نيفر) ومعه ستة آلاف محارب اغلبهم من أشراف فرنسا وفيهم كثير من أقارب ملك فرنسا نفسه وانضم إليه حين مسيره إلى بلاد المجر أمراء (بافاريا، و استيريا، و شواليه) و القديس حنا الأورشليمي وكثير من الألمان ثم اجتاز هذا الجيش نهر الدانوب. فسار إليهم السلطان بايزيد ومعه مائتا ألف مقاتل بهم كثير من أهالي الصرب تحت قيادة أميرهم (اسطفن بن لازار) وغيرهم من الأمم المسيحية الخاضعة لسلطان العثمانيين وقاتلهم قتالا عنيفا. في يوم 23 ذي القعدة سنة 798 27 سبتمبر سنة 1396 كانت نتيجتها انتصار العثمانيين على الجيوش المتألبة عليهم وأسر كثير من أشراف فرنسا منهم

الكونت دي نيفر نفسه وقتل اغلبهم وأطلق سراح الباقي و الكونت دي نيفـر بعـد دفـع فداء اتفق على هذا.

وقد شدد الحصار بعد ذلك على مدينة القسطنطينية. ولولا إغارة المغول عـلى بـلاد آسيا الصغرى لربما كان تمكن من فتحها لكن الأمور مرهونة بأوقاتها. فاكتفى بإبرام الصلح مع ملكها هذه المرة بشرط دفـع عشرة آلاف ذهـب سـنويا مـن عملـة وقتهـا. وان يجيـز للمسلمين أن يبنوا بها جامعا لإقامة شعائر الدين الحنيف وان تقام لهـم محكمـة شرعيـة للنظر في قضايا المستوطنين بها منهم.

- إغارة تيمورلنك على آسيا الصغرى:

أغار تيمور بجيوشه الجرارة على بلاد آسيا الصغرى وافتـتح مدينـة سـيواس بأرمينيـا ولذلك جمع السلطان بايزيد جيوشه وسار لمحاربة تيمور الأعرج فتقابل الجيشان في سهل انقره.فسقط أسيرا في أيدي المغول هو وابنه موسى وكان ذلك في 19 ذي الحجة سـنة 804 20 يوليو سنة 1402 م. ومات في الأسر.

وبعد موت السلطان بايزيد تجزأت الدولة إلى عدة إمارات صغيرة كما حصـل بعـد سقوط دولة آل سـلجوق، لان تيمورلنـك أعـاد إلى أمـراء قسـطموني وصـاروخان وكرميـان وآيدين ومنتشا وقرمان ما فقـدوه مـن الـبلاد. واسـتقل في هـذه الفـترة كـل مـن البلغـار والصرب و الفلاخ ولم يبق تابعا للراية العثمانية إلا قليل من البلدان. ومما زاد الخطر على هذه الدولة عدم اتفاق أولاد بايزيد على تنصيب احدهم بل كان كل منهم يدعي الأحقية لنفسه فتحـالف بعضـهم مـع الـروم، وبعضـهم مـع تيمورلنـك. إلى أن آل الأمـر لأحـدهم ويدعى محمد، وبذلك انفرد بما بقي من بلاد آل.

(5) السلطان محمد جلبي الغازي (1410-1421):

هذا وقد كانت مدة حكم السـلطان محمـد كلهـا حروبـا داخليـة لإرجـاع الإمارات التي استقلت في مدة الفوضى التي أعقبـت مـوت السـلطان بايزيـد في الأسر. فحافظ على محالفة ملك الروم الذي لولا مساعدته له لخيف عـلى عـرى الدولة العلية من الانفصام. ومما يؤثر عن هذا السلطان انه استعمل الحزم مـع

الحلم في معاملة من قهرهم. اشتغل بقمع الفتن وترتيب أمور الدولة إلى أن فاجأه المـوت في سنة 824 هـ سنة 1421 م في مدينة أدرنه فاسلم الروح وعمره 43 سـنة بعـد أن أوصى بالملك لابنه مراد. واشتهر السلطان محمد بحبه للعلـوم والفنـون وهـو أول ملـك عـثماني أرسل الهدية السنوية إلى أمير مكة التي يطلق عليهـا اسـم الصرة. وهـي عبـارة عـن قـدر معين من النقود ترسل إلى الأمير لتوزيعه على فقراء مكة والمدينة.

(6)- السلطان مراد خان الثاني (1421 –1451م):

تولى وعمره ثماني عشرة سنة وافتتح أعماله بإبرام الصلح مع أمـير القرمـان والاتفـاق مع ملك المجر على هدنة خمس سنوات حتى يتفرغ لإرجاع مـن شـق عصـا الطاعـة مـن ولايات آسيا لكن حدث ما شغله عن هذا بتحالف بعض أقربائه مع ملك الروم.

وفي سنة 1430 أعاد السلطان فتح مدينة سلانيك وبعد ذلك أراد السـلطان مـراد ان يفتح ما بقي من بلاد الصرب وبـلاد ألبانيـا الأرنـؤود و الفـلاخ قبـل أن يعيـد الكـرة عـلى القسطنطينية حتى لا يكون لها من هذه الولايات نصير. وقد خاض السلطان مـراد حروبـا كثيرة مع الصرب والبلغار والألبان. وتنازل عن السـلطنة لابنـه محمـد، ليتفـرغ للعزلـة. و تـوفي في 7 فبرايـر سـنة 1451 وسـنه 49 سـنة ومـدة حكمـه 30 سـنة وتـولى بعـده ابنـه السلطان أبو الفتح محمد الثاني.

(7)- السلطان الغازي محمد الثاني فاتح القسطنطينية (1451 م):

وهو سابع السلاطين ولما تولى الملك بعد أبيه لم يكن بآسيا الصغرى خارجا عـن سـلطانه إلا جزء من بلاد القرمان ومدينة سينوب ومملكـة طرابـزون الروميـة وصـارت مملكـة الـروم الشرقية قاصرة على مدينة القسطنطينية وضواحيها. وكان إقليم موره مجزأ بين البنادقة وعدة إمارات صغيرة يحكمها بعض أعيان الروم أو الإفرنج الذين تخلفوا عـن إخـوانهم بعـد انتهـاء الحروب الصليبية، وبلاد الأرنؤود(البوسنة)، وقد زعم المؤرخـون أنـه أمـر بقتـل أخ لـه رضـيع اسمه احمد، وبإرجاع الأميرة مارا الصربية – محظية أبيه - إلى والدها. ثم اخذ يستعد لتتميم

فتح ما بقي من بلاد البلقان ومدينة القسطنطينية حتى تكون جميع أملاكه متصلة.

فتح القسطنطينية (857 هـ - 1453م):

حاصر السلطان المدينة في أوائل ابريل سنة 1453 من جهة البر بجيش يبلغ المائتين وخمسين ألف جندي ومن جهة البحر بأسطول مؤلف من مئة وثمانين سفينة وأقام حول المدينة أربع عشرة بطارية طوبجية مدفعية وضع بها مدافع جسيمة صنعها له صانع مجرى شهير اسمه أوربان. وكانت تقذف كرات من الحجر زنة كل واحدة منها اثنا عشر قنطارا إلى مسافة ميل. وفي إثناء الحصار اكتشف قبر أبي أيوب الأنصاري الذي استشهد حين حصار القسطنطينية في سنة 52 هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. وبعد الفتح بنى له مسجدا جامعا وجرت العادة بعد ذلك أن كل سلطان يتولى يتقلد سيف عثمان الغازي الأول بهذا المسجد.

ولما شاهد قسطنطين آخر ملوك الروم هذه الاستعدادات استنجد بأوروبا فلبى طلبه أهالي جنوه وأرسلوا له أسطولا بحريا فأتى بمراكبه فعارضته السفن العثمانية وانتشرت بينهما حرب هائلة، انتهت بفوز أسطول جنوة ودخوله الميناء بعد أن رفع المحصورون السلاسل الحديدية التي وضعت لمنع المراكب العثمانية من الوصول إليها ثم أعيدت بعد مروره كما كانت، فلم تستطع سفن العثمانيين مطاردتها، فأوصلت المؤن للمدينة. وبعدها اخذ السلطان يفكر في طريقة لدخول مراكبه إلى الميناء لإتمام الحصار برا وبحرا. فخطر بباله فكرة عبقرية . وهي أن ينقل المراكب على البر ليجتازوا السلاسل الموضوعة لمنعه وتم هذا الأمر المستغرب بان مهد طريقا على البر بمسافة فرسخان أي ستة أميال (10كم) ورصت فوقه ألواح من الخشب صب عليها الزيت والدهن لسهولة زلق المراكب عليها وبهذه الكيفية أمكن نقل نحو سبعين سفينة بأحمالها ومدافعها.. إلى الطرف الثاني من الخليج في ليلة واحدة !! حتى إذا أصبح النهار ونظرها المحصورون أيقنوا أن لا مناص من نصر العثمانيين عليهم. ثم أمر السلطان جيوشه بالاستعداد للهجوم في يوم /20 جماد أول سنة 857 هـ -

29 مايو سنة 1453 /. وفي الليلة السابقة لليوم المحدد أشعلت الجنود العثمانية الأنوار أمام خيامها للاحتفال بالنصر المحقق لديهم وظلوا طول ليلهم يهللون ويكبرون حتى إذا لاح الفجر صدرت إليهم الأوامر بالهجوم فهجم مئة وخمسون ألف جندي وتسلقوا الأسوار حتى دخلوا المدينة من كل فج واعملوا السيف فيمن عارضهم ودخلوا كنيسة القديسة صوفيا حيث كان يصلي فيها البطريق وحوله عدد عظيم من الأهالي. ويعتقد الروم حتى الآن أن حائط الكنيسة انشق ودخل فيه البطريق والصور المقدسة، وفي اعتقادهم أن الحائط ينشق ثانية يوم يخرج الأتراك من القسطنطينية ويخرج البطريق منها ويتم صلاته التي قطعها عند دخول العثمانيين عليه عند الفتح !!.

وسميت المدينة إسلام بول أي مدينة الإسلام و جعلت عاصمة للدولة. ونذكر هنا أن المسلمين حاصروا القسطنطينية إحدى عشرة مرة قبل هذه المرة الأخيرة منها سبعة في القرنين الأولين للإسلام:

فقد حاصرها معاوية في خلافة سيدنا علي رضي الله عنه سنة 34 هـ 654م.

وحاصرها يزيد بن معاوية سنة 47 هـ 667 م في خلافة سيدنا علي أيضا.

وحاصرها سفيان بن أوس في خلافة معاوية سنة 52 هـ 672 م وفي 97 هـ 715 م.

وحاصرها مسلمة بن عبد الملك في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

وحوصرت أيضا في خلافة هشام بن عبد الملك سنة 121 هـ 739 م.

وفي المرة السابعة حاصرها الخليفة هارون الرشيد سنة 182 هـ 798 م.

هذا ثم دخل السلطان المدينة فوجد الجنود مشتغلين بالسلب والنهب.. فأصدر أوامره بمنع كل اعتداء، فساد الأمن حالا ثم زار كنيسة أيا صوفيا وأمر بان يؤذن فيها بالصلاة إعلانا بجعلها مسجدا جامعا للمسلمين. وبعد تمام الفتح على هذه الصورة اعلن في كافة الجهات بأنه لا يعارض في إقامة شعائر ديانة

المسـيحيين بـل انـه يضـمن لهـم حريـة ديـنهم وحفـظ أملاكهـم فرجـع مـن هـاجر مـن المسيحيين. وفرض عليهم دفع الخراج مستثنيا من ذلك أئمة الدين فقط.

وبعد إتمام هـذه الترتيبـات وإعـادة مـا هـدم مـن أسـوار المدينـة وتحصـينها سـافر بجيوشه لفتح بلاد جديدة :

فقصد بلاد موره لكن لم ينتظر أميراها دمتريوس وتوماس أخوا قسطنطين قدومه بل أرسلا إليه يخبرانه بقبولهما دفع جزيـة سـنوية قـدرها اثنـا عشر ألـف دوكـا فقبـل ذلـك السلطان.

وغير وجهته قاصدا بلاد الصرب فابرم أمير الصرب الصلح مع السلطان محمـد الثـاني على أن يدفع له سنويا ثمانين ألف دوكا وذلك في سنة 1454.

وفي السنة التالية وصل مدينة بلغراد الواقعة على نهر الدانوب وحاصرها مـن جهـة البر والنهر ثم أرسل الصدر الأعظم محمود باشا لإتمام فتح بـلاد الصرب فـأتم فتحهـا مـن سنة 1458 إلى سنة 1460.

وفي هذه الأثناء تم فتح بلاد موره ففي سنة 1458 فتح السلطان مدينة كورنته ومـا جاورها من بلاد اليونان حتى جرد توماس بالولوج أخا قسطنطين من جميع بلاده ولم يترك إقليم موره لأخيه دمتريوس إلا بشرط دفع الجزية.

وفي ذلك الوقت فتحت جزائر تاسوس والبروس وغيرها من جزائر بحر الروم.

ثم أغار السلطان م فوصل في اقرب وقت إلى مدينة بوخارست.

وفي سنة 1462 حارب السلطان بلاد البوسنة لامتناع أميرها عـن دفـع الخـراج وأسره بعد محاربة عنيفة هو وولده وأمر بقتلهما فدانت له جميع بلاد البشناق وأهالي البوسنة.

وفي سـنة 1463 اسـتولوا عـلى مدينـة ارجـوس وغيرهـا. ثـم بعـد هدنـة استمرت سنة واحدة عادت الحروب بين العثمانيين و البنادقة وكانت نتيجتهـا أن افتتح العثمانيون جزيرة نجربونت وتسمى في كتب الترك اجر يبوس مركـز

مستعمرات البنادقة في جزائر الروم وتم فتحها في سنة 1470 وبعد أن ساد الأمن في أنحاء أوروبا حول السلطان أنظاره إلى بلاد القرمان بآسيا الصغرى.

ثم فضل البنادقة أن يبرموا صلحا جديدا مع السلطان ويتنازلوا عن اشقودره في مقابلة بعض امتيازات تجارية وتم الصلح بين الفريقين على ذلك وأمضيت به بينهما معاهدة في يناير سنة 1479. وكانت هذه أول خطوة خطتها الدولة العثمانية للتدخل في شؤون أوروبا إذ كانت جمهورية البنادقة حين ذاك أهم دول أوروبا في التجارة البحرية وما كان يعادلها في ذلك إلا جمهورية جنوا.

فتح جزائر اليونان ومدينة اوترانت:

وبعد أن تم الصلح مع البنادقة وجهت الجيوش إلى بلاد المجر. وفي سنة 1480 فتحت جزائر اليونان الواقعة بين بلاد اليونان وايطاليا وبعدها سار القائد كدك احمد باشا بمراكبه لفتح مدينة اوترانت بايطاليا التي كان عزم السلطان على فتحها جميعها ويقال انه اقسم بان يربط حصانه في كنيسة القديس بطرس بمدينة روما مقر البابا. ففتحت مدينة اوترانت عنوة في أغسطس سنة 1480 م.

وفي سنة 1481 م توفي أبو الفتح السلطان محمد الثاني الغازي عن ثلاث وخمسين سنة. ومدة حكم 31 سنة، تمم في خلالها مقاصد أجداده ففتح القسطنطينية وزاد عليها فتح مملكة طرابزون الرومية والصرب و البشناق وألبانيا الأرنؤود وجميع أقاليم آسيا الصغرى ولم يبق في بلاد البلقان إلا مدينة بلغراد التابعة للمجر وبعض جزائر تابعة للبنادقة ودفن في المدفن المخصوص الذي أنشأه في احد الجوامع التي أسسها في الآستانة . فرحمه اللـه وجزاه عن الإسلام خيرا.

ويروى أنه عمل تنظيمات إدارية كثيرة كان منها. وضع أول مبادئ القانون المدني وقانون العقوبات فأبدل العقوبات البدنية أي السن بالسن والعين بالعين وجعل عوضها الغرامات النقدية بكيفية واضحة أتمها السلطان سليمان القانوني

الذي توسع في التشريعات الوضعية. وعليه – إن صح الخبر - يكون هـذا أول السـير عـلى طريق الكفر والبوار وأسباب هزيمة هذه الأمة. فقـبح اللـــه – مـن غـير شرائعـه - قـال تعالى:

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللـه فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المائدة: 44).

(8) - السلطان الغازي بايزيد خان الثاني(1481- 1512م):

توفي السلطان أبو الفتح محمد الثاني عن ولدين أكبرهما بايزيد وكان حاكما باماسيا، و ثانيهما جم المشـهور في كتـب الإفـرنج باسـم الـبرنس زيـزيم وكـان حـاكما في القرمـان.. وحصلت شواشر كثيرة بين الأخوين تدخل فيها البابا وملوك النصارى، وانتهت بموت الأمير جم مسموما في كنف ملك فرنسا.

لم تحصل فتوحات ذات بال في عهد بايزيد الثاني، ولكن توسعت العلاقـات في عهـده بين السلطنة وروسيا وممالك أوربا.

وكان للسلطان ثلاثة أولاد استعجلوا النزاع على السلطنة واستطاع الإنكشـارية فـرض السلطان سليم في حياة أبيه واتوا به إلى القسطنطينية باحتفال زائد وسـاروا بـه إلى سراي السلطان وطلبوا منه التنازل عن الملك لولده المذكور فقبل واستقال في يـوم 8 صـفر سـنة 918 25 ابريل سنة 1512.. ولم تزد أملاك الدولة العلية في زمن السلطان بايزيـد الثـاني إلا قليلا لحبه السلم وحقن الدماء. فكانت حروبه الخارجية اضطرارية للمدافعة عن الحدود حتى لا يستخف بها أعداؤها وكان سلمي الطباع كارها للقتل.

(9) - السلطان سليم الأول الغازي (1512- 1520م):

عين سليم الأول الذي لقب بـ (ياوز) أي القاطع ابنه سـليمان حـاكما للقسـطنطينية وسافر بجيوشه إلى بلاد آسيا لمحاربة إخوته وأولاد إخوته حتى لم يبق لـه منـازع في الملـك بعد أن قتل من عثر عليه من إخوته وأولادهم !

ثم عاد إلى مدينة أدرنه حيث كان بانتظار سفراء مـن قبـل البندقيـة والمجـر وموسكو وسلطنة مصر فابرم مع جميعهم هدنة لمدد طويلة بما أن مطامعه كانت متجهة إلى بلاد الفرس التي كانـت أخـذت في النمـو والارتقـاء في عصر ملكهـا شـاه

اسماعيل الصفوي الشيعي، الذي بدأت دولته تنمو شرق السلطنة. فقد كان اسماعيل قد فتح ولاية شيروان وجعل عاصمته مدينة تبريز سنة 1501. وبعدها فتح العراق وبلاد خراسان وديار بكر سنة 1508. وأرسل احد قواده فاحتل مدينة بغداد. وفي سنة 1510 ضم إلى أملاكه بلاد فارستان و اذربيجان وبذلك امتدت مملكته من الخليج الفارسي إلى بحر الخزر ومن منابع الفرات إلى ما وراء النهر. وهكذا تاخمت دولة الصفويين الدولة العثمانية وأراد السلطان سليم إبعادها عنه.

فوقع القتال بين الجيشين في أغسطس سنة 1514 فانتصرت الجيوش العثمانية نصرا مبينا لتفوقها في سلاح المدفعية. وفر الشاه بما بقي من جيوشه ووقع كثير من قواده في الأسر وأسرت أيضا إحدى زوجاته ولم يقبل السلطان أن يردها لزوجها، بل زوجها لأحد كتابه انتقاما من الشاه ! وفتحت المدينة أبوابها ودخلها السلطان منصورا في يوم 4 سبتمبر سنة 1514. واستولى على خزائن الشاه وأرسلها إلى القسطنطينية. ثم فتحت الجيوش العثمانية مدائن ماردين وأورفه والرقة والموصل وبذل تم فتح إقليم ديار بكر وأطاعت كافة قبائل الكرد بدون كثير عناء بشرط بقائهم تحت حكم رؤساء قبائلهم.

فتح مصر انتقال الخلافة إلى العثمانيين:

لم ينته السلطان سليم من محاربة الشيعة وفتح بلاد ديار بكر والموصل حتى اخذ في الاستعداد لفتح سلطنة مصر، بما أن سلطانها قانصوه الغوري كان قد تحالف مع الشاه اسماعيل لمحاربة الدولة العثمانية. وسار بجيشه إلى بلاد الشام فتقابل الجيشان بقرب مدينة حلب الشهباء (حرسها الله وردنا إليها منصورين). فالتقوا في واد يقال له مرج دابق وقتل الغوري في أثناء انهزام الجيش المملوكي. وكان ذلك في أغسطس سنة 1516. وبعد هذه الموقعة دخل السلطان حلب، ويروى أنه قتل كل من كان فيها من الشيعة، وقيل أنهم ثلاثين ألفا! ثم احتل السلطان سليم بكل سهولة مدائن حماه وحمص ودمشق وعين بها ولاة من طرفه. وقابل من بها من العلماء فأحسن وفادتهم وفرق الإنعامات على المساجد وأمر بترميم الجامع الأموي بدمشق. ولما صلى السلطان الجمعة به

أضاف الخطيب عندما دعا لـه صـفة: (خـادم الحـرمين الشريفـين) وبقيـت نعتـا للخلفـاء العثمانيين.

ثم احتل العثمانيون مدينة غزة ثم مدينة القاهرة رغما عن مقاومة المماليك الذين حاربوهم من شارع لآخر ومن منزل لآخـر حتـى قتـل مـنهم ومـن أهـالي البلـد مـا يبلـغ خمسين ألف نسمة ! أما طومان باي فلم يلبث أن وقع في أيدي العثمانيين بخيانـة بعـض من معه، وشنق بأمر السلطان سليم في ابريل سنة 1517م بباب زويلة.

ومـما جعـل لفـتح وادي النيـل أهميـة تاريخيـة عظمـى أن محمـد المتوكـل عـلى اللـه،آخر ذرية الدولة العباسية الذي حضر أجداده لمصر بعد سقوط مدينة بغـداد مقـر خلافة بني العباس في قبضة هولاكو خان التتري سنة 656 هـ - 1091 م وكانت له الخلافة بمصر اسما تنازل عن حقه في الخلافة الإسلامية إلى السلطان سليم العثماني. وصـدق اللــه العظيم:

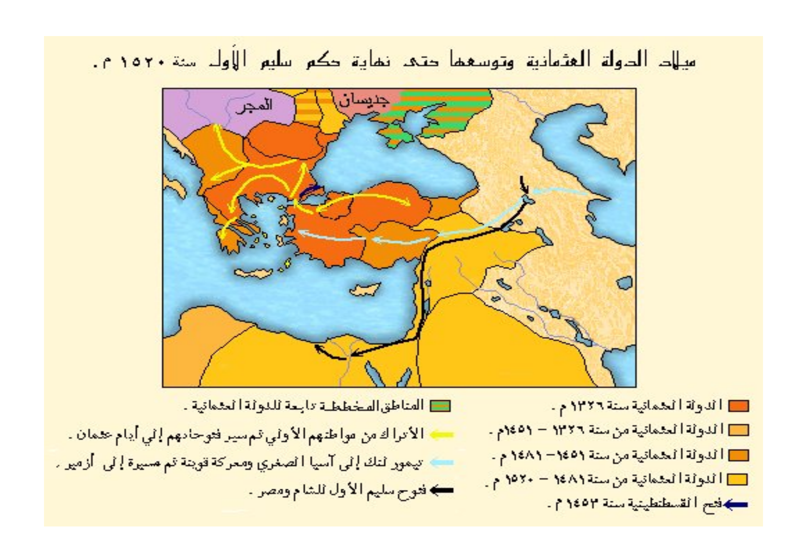
﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ﴾. وسلمه الآثار النبويـة الشريفـة: وهـي البـيرق (العلم) والسيف والبردة، وسلمه أيضا مفاتيح الحرمين الشريفين. ومن ذلـك التـاريخ صـار كل سلطان عثماني أميرا للمؤمنين وخليفة للمسلمين .

وفي أوائل شـهر سـبتمبر سـنة 1517 سـافر السـلطان سـليم مـن القـاهرة عائـدا إلى القسطنطينية. وفي 20 رمضان سنة 923 وصل السلطان إلى مدينة دمشق ومكث بها إلى 22 صفر سنة 924 وحضر الاحتفال بإقامة الصلاة أول مرة في الجامع الذي أقامه بدمشـق على قبر محيي الدين بن العربي. ثم سافر إلى مدينة حلب ومنها إلى أدرنه. وفي الطريـق وصل إليه سفير من قبل مملكة أسـبانيا ليخـابره بشـأن حريـة زيـارة المسـيحيين للقـدس الشريف الذي كان قبلا تابعا لسلطنة مصر وتبعها في دخولها تحت ظل الدولة العثمانيـة. في مقابلة دفع المبلغ الذي كان يدفع سنويا للمماليـك فأحسـن السـلطان مقابلتـه وصرح بقبوله ذلك، وأبرم الإسبان معاهدة مع البـاب العـالي. وكـذلك أتى إليـه ا سـفير مـن قبـل جمهورية البندقية ليدفع له خراج سنتين متأخر الخراج المقرر عليها نظير بقائها في جزيرة قبرص.

وسبحان من يعز من يشاء ويذل من يشاء. حيث صارت الدولة العثمانية منذ عهد الفاتح دولة عظمى يحسب لها ملوك أوربا ألف حساب.

وكان السلطان سليم في هذه المدة مشتغلا بتجهيز أسطول بحري لمعاودة الكرة على جزيرة رودس بحرا. وكان يستعد أيضا لمحاربة شاه العجم ثانيا و لكن لم يمهله المنون ريثما يتم مشروع فتح جزيرة رودس بل عاجله في رحلته من القسطنطينية إلى أدرنه فتوفي في سبتمبر سنة 1520 م.

و كان حضرته - كما سجل المؤرخون - سفاكا للدماء، ولوعا بفك الرقاب. فقد قتل سبعة من وزرائه لأسباب واهية. وكان كل وزير مهددا بالقتل لأقل هفوة. حتى صار يُدعى على من يرام موته بان يصبح وزيرا له. وقد بنى السلطان سليم كثيرا من الجوامع، وحول أجمل كنائس القسطنطينية إلى مساجد مع سبق الوعد من السلطان محمد الثاني الفاتح لبطريق الروم بعدم مس نصف الكنائس الثاني الذي تركه لهم بعد فتح المدينة.



(10) -السلطان الغازي سليمان خان الأول القانوني (1520- 1566):

وهو عاشر ملوك آل عثمان. وأوسعهم عزا ومجدا، ويمثل عهده قمة بهاء دولتهم. وكان من عادته إرسال الخطابات إلى كافة الولاة وأشراف مكة والمدينة بخطابات مفعمة بالنصائح والآيات القرآنية المبينة، وذكر فضل العدل والقسط في الأحكام، و وخامة عاقبة الظلم. وكان يستهل خطاباته بالآية الشريفة:

﴿ إنه من سليمان وإنه بسم اللـه الرحمن الرحيم ﴾. وكان من أهم أحداث عهده:

فتح مدينة بلغراد في سنة 1521م: بعد أن ورد خبر قتل السفير الذي أرسله السلطان إلى ملك المجر يطلب منه دفع الجزية أو الحرب. فاستشاط السلطان غضبا وسار هو بنفسه في مقدمة الجيش إلى بلغراد فدخلها وصلى الجمعة في إحدى كنائسها التي حولت مسجدا وصارت هذه المدينة التي كانت امنع حصن للمجريين اكبر مساعد لها على فتح ما وراء نهر الدانوب من الأقاليم والبلدان.

فتح جزيرة رودس سنة 1523 م: وبعد ذلك اخذ السلطان في الاستعداد برا وبحرا لفتح جزيرة رودس التي لم يتمكن السلطان محمد الفاتح من فتحها لتكون حلقة اتصال بين القسطنطينية ومصر من جهة البحر. ولكي لا يكون للمسيحيين مركز حصين في وسط بلاده تلجأ إليه أساطيل الدول المعادية للدولة وقت الحرب.

فتح بلاد المجر وعاصمتها سنة 1526 م: كانت الحرب غير منقطعة بين المجر وبين العثمانيين على التخوم. وبعد أن افتتح الجيش عدة قلاع ذات أهمية حربية على نهر الطونة وصل بجيشه إلى وادي موهاكس في أغسطس سنة 1526 فقتل هناك اغلب الفرسان المجرية وقتل ملكهم ولم يعثر على جثته. فكانت هذه الواقعة سبب فتح بلاد المجر بأسرها. ولذلك أرسل أهالي مدينة (بود) عاصمة

المجر مفاتيح المدينة إلى السلطان فاستلمها مشـددا الأوامـر عـلى الجنـود بعـدم التعـرض للأهالي والمحافظة على النظام لكن لم تجد تنبيهاته شيئا.

ابتداء الحروب مع النمسا وحصار عاصمتها (فيينا):

ثم قام السلطان بجيوشه قاصدا مدينة (فيينا) ووصـل السـلطان سـليمان بجيوشـه أمام عاصمة بلاد النمسا ووضع الحصار حولها وسلط مدافعـه عـلى أسـوارها فهـدم جـزءا منها وفتح بها ثلما حتى صار يمكن الجيوش الهجوم منه ثم أمر الجنود بالهجوم، ولكنه لم يتمكن من دخول في المدينة، ولما نفدت الذخيرة و أقبل الشتاء أصدر أوامره بالرجوع عن فيينا، تلك السنة وإعداد الجيوش لمعاودة الكرة فيما بعـد. وفي 19 رمضـان سـنة 938 هــ 25 ابريل سنة 1532 سار السلطان سليمان قاصدا مدينة فيينا ثانية لفتحها. ولما وصل إلى مدينة نيش ببلاد الصرب وجد في انتظاره سفراء من قبل ارشيدوق النمسـا ووجـد بمدينـة بلغراد سفيرا جديدا من قبل ملك فرنسا وبعد المقابلة وتبادل عبارات السـلام بـين السـفير الفرنساوي و الخليفة عاد السفير لملكه حاملا خطابا يؤكد السـلطان فيـه اتحـادهما عـلى محاربة شارلكان (وكان ملكا للنمسا وهولندا و أسبانيا و إمبراطورا لألمانيا ويدخل معظم جنوب إيطاليا و جنوة وجزيرة مينوركا، ووهران في ساحل الجزائـر في ملكـه) وبهـذا كـان يحيط بفرنسا من جميع الجهات. و وعد السلطان بإمداد فرنسا بالأسـطول العـثماني إذا مست الحاجة. ثم سار السلطان بجيوشه الـذين كـان يبلـغ عـددهم مـائتي ألـف مقاتـل وانضم إليهم بعد مزاولتهم مدينة بلغراد خمسة عشر ألف فارس من تتر القـرم وفي أثنـاء المسير نحو مدينة فيينا، فتح الجيش عدة قلاع وحصون بدون مقاومة تذكر. ولعدم وجود مدافع حصار معه ولاقتراب فصل الشتاء بزمهريره عاد عنها أيضا.

ولما وصل السلطان في إيابه إلى مدينة فيليبه عين صاحب كراي التتري خانا لبلاد القرم بدل أخيه مكافأة له على خدماته أثناء مرور الجيش بأراضي النمسا. وفي أثناء انتشاب هذه الحـروب من جهة البر. أتت مجموعة من سفن شارلكان الحربية ومعها عدة من سفن البابا بقصد محاربة العثمانيين من جهة البحر، فاحتلت مينائي كورون وباتراس ببلاد موره بعد قتل من كـان بهـا مـن

الجنود الإنكشارية وتدمير القلعتين اللتين أقامهما السلطان بايزيد الثاني على ضفتي خليج ليبالت ببلاد اليونان. وفي أوائل سنة 1523 أرسل ارشيدوق النمسا سفيرا من قبله إلى الآستانة يعرض طلب الصلح على جلالة السلطان، ولم يقبل السلطان الصلح بل قبل المهادنة مؤقتا حتى تسلم إليه مفاتيح مدينة جران. وبعدها تحول الهدنة إلى صلح فأرسل السفير إلى لعرض هذه الشروط على أكابر الدولة وأعيانها فقبلوها، وبعد ذلك تحررت بين الطرفين معاهدة الصلح في يونيو سنة 1533. واهم ما فيها أن يرد النمساويون مدينة كورون للدولة العثمانية ولا يردوا شيئا مما فتحوه من بلاد المجر. وان ما تتفق عليه النمسا مع زابولي صاحب بلاد المجر لا ينفذ ما لم يعتمده جلالة السلطان العثماني وهي أول معاهدة صلح بين النمسا والباب العالي.

الامتيازات القنصلية:

وفي أوائل شهر فبراير سنة 1536 تم الاتفاق بين سفير فرنسا والباب العالي وصدر به خط شريف يمنح بعض امتيازات لرعايا ملك فرنسا النازلين بأراضي الممالك الثمانية، ويدل نص المعاهدة على عظيم ما وصلت إليه الدولة العثمانية آنذاك من العز والقوة والمهابة.. وبذلك صارت فرنسا الدولة الأوروبية الوحيدة الحائزة امتيازات لرعاياها ولكن يؤخذ عليها فتح الباب للإمتيازات القنصلية التي أعطت الأجانب الحق في التدخل في شؤون الدولة العثمانية الداخلية خصوصا في القرن التاسع عشر والعشرين بحجة الأقليات النصرانية، والجاليات. كما سيجيء لاحقا.

خير الدين باشا البحري وفتح إقليمي الجزائر وتونس:

اشتهر القبطان خير الدين في كتب الإفرنج باسم (باربا روسا) أي ذي اللحية الشقراء. واصل خير الدين باشا من جزيرة مدللي إحدى جزائر الروم، وكان هو وأخ له يدعى (اوروج) يشتغلان بالقراصنة في بحر الروم (البحر المتوسط). ثم اسلما ودخلا في خدمة السلطان محمد الحفصي صاحب تونس. واستمرا في حرفتهما وهي أسر مراكب المسيحيين التجارية واخذ كافة ما بها من البضائع وبيع ركابها وملاحيها بصفة رقيق. وفي ذات يوم أرسلا إلى السلطان

سليم الأول إحدى المراكب المأسورة إظهارا لخضوعهم لسلطانه فقبلها منهما. وأرسل لهما خلعا سنية وعشر سفن ليستعينوا بها على غزو مراكب الإفرنج. فقويت شوكتهما وتمكنا من فتح إقليم الجزائر باسم السلطان العثماني سنة 1533، وحاولا فتح تونس سنة 1535. وقاموا بجهود جليلة في مساعدة المسلمين الفارين من بطش النصارى بعد سقوط غرناطة (1492م)، وساعدوا في نقلهم بحرا إلى المغرب.

ثم جرى حلف بين فرنسا والدولة العثمانية على محاربة النمسا:

و كان من نتائج محالفة فرنسا مع الدولة العثمانية، أن اتفاقهما كان قاضيا بان الدولة العلية تجعل وجهة حروبها بلاد نابولي وجزيرة صقلية وأسبانيا عوضا عن مهاجمة النمسا التي تتحد مع جميع إمارات وممالك ألمانيا للمدافعة عنها، إذ هي مع استقلالها جزء من التحالف الألماني. وان جيوش فرنسا تدخل بلاد ايطاليا من جهة إقليم بيمونتي بشمال غرب ايطاليا حينما تدخلها الجيوش العثمانية من جهة مملكة نابولي. لكن عدم دخول جمهورية البندقية في هذا التحالف وإظهارها العدوان لهم كان سببا في عدم نجاح كل هذه التدابير. فأراد السلطان سليمان الانتقام من جمهورية البنادقة على عدم انحيازها لتحالفه مع انه راعى جوارها ولم يغز بلادهم فأرسل خير الدين باشا الذي ترقى إلى رتبة (قبطان باشا جميع الأساطيل العثمانية) ومعه نحو ألف سفينة لمحاصرة جزيرة كورفو ! فحاصرها في شهر سبتمبر سنة 1537 واتى السلطان بنفسه لمراقبة الحصار. لكنه أمر برفعه عنها لشدة دفاع أهلها وعدم ضياع وقته حول هذه الجزيرة. وعاد هو إلى القسطنطينية وأرسل خير الدين باشا لفتح ما بقي من جزائر الروم، ففتح اغلبها وغزا جزيرة كريت، وفي عودته قابل أسطولا مؤلفا من مئة وسبعين سفينة تقريبا يقودها أندري روبا أميرال شارلكان فحاربها وانتصر عليها في 25 سبتمبر سنة 1538. وفي مايو سنة 1538 جمع السلطان سليمان ببلاد الأرنؤود جيشا عظيما مؤلفا من مائة ألف مقاتل لشن الغارة على بلاد ايطاليا.

وفي الوقت نفسه نزل خير الدين باشا بميناء (اوترانته) بجنوب ايطاليا استعدادا لمهاجمتها من جهة الجنوب بينما يهاجمها السلطان سليمان من جهة الشرق وملك فرنسا من جهة الغرب. لكن إحجام فرنسا عن التقدم إطاعة للرأي العام كما ذكرنا كان السبب في عدم نجاح هذا المشروع الذي لو تم لكانت نتيجته دخول بلاد إيطاليا بأسرها تحت ظل الدولة العثمانية. وانتهى الأمر بان تهادن ملك فرنسا مع شارلكان وامضيا مهادنة نيس سنة 1538 أما من جهة البندقية فاستمرت الحرب بينها وبين الدولة العثمانية سجالا وانتهت بالصلح في أواخر سنة 1538. بتنازل البندقية عن ملفوازي ونابولي دي رومانيا من بلاد موره. أما من جهة بلاد المجر فابتدأت الحروب ثانية سنة 1537، وانتهت بانهزام جيش ألماني مرسل من قبل شارلكان تحت رياسة اشهر قواده في ديسمبر سنة 1537. واستمرت المواجهات بين العثمانيين والنمسا بشأن النفوذ في المجر وتعيين حكامها إلى سنة 1541. وتدل التفاصيل (المختصرة)السابقة على مدى قوة العثمانيين في عهد سليمان وسعي أكبر دول أوربا لطلب ودها والتحالف معها.

سفر الأسطول العثماني إلى فرنسا وفتح مدينة نيس:

أرسل فرانسوا الأول إلى السلطان سليمان يطلب منه مساعدته على محاربة شارلكان بسفنه وقائدها خير الدين باشا، فتردد السلطان أولا لعدم ثبات ملك فرنسا وضعف عزيمته. وقبل أخيرا بناء على إلحاح السفير وتعضيد خير الدين باشا له، لاسيما وقد وصل إليه خبر مهاجمة شارلكان بجيوشه لمدينة الجزائر وارتداده عنها خائبا في أكتوبر سنة 1541. وفي ربيع سنة 1543 سافر السلطان بجيوشه إلى بلاد المجر لاستئناف المحاربات وفي الوقت نفسه اقلع خير الدين باشا من مياه الآستانة بمراكبه ومعه السفير الفرنساوي بولان قاصدا مرسيليا إحدى موانئ فرنسا الجنوبية فوصلها بعد أن غزا في طريقه سواحل جزيرة صقلية. وقوبل من الفرنساويين بكل تجلة وإكبار وانضمت سفنه إلى سفنهم ومنها اقلعوا إلى مدينة نيس، فحاصروها من جهة البحر وفتحوها عنوة في أغسطس سنة 1543. ولوقوع الشحناء بين العسكرين لم يتم احتلالها. ثم أذن لخير الدين باشا

ومراكبه بتمضية فصل الشتاء في ميناء طولون بفرنسا، وأعطى له ثمانمائة ألف ريال فرنساوي للصرف على جنوده . وفي ربيع السنة التالية سنة 1544 رفض فرانسوا الأول مساعدة الأسطول العثماني له لهياج جميع المسيحيين عليه ونسبتهم إياه للمروق عن دينه لاستعانته بالمسلمين. وابرم مع شارلكان في مارس سنة 1544 معاهدة كريسي القاضية بالصلح فعاد خير الدين باشا إلى القسطنطينية وتوفي سنة 1546 م ودفن على شاطئ البوسفور في إسلامبول.

إبرام الصلح مع النمسا:

أما من جهة النمسا فاستمر القتال بينها وبين العثمانيين مدة من الزمن كان النصر فيها غالبا في جانب العثمانيين. وأخيرا توصل الطرفان إلى عقد صلح مرضى لكل منهما رغم سعي سفير فرنسا في عدم الوصول إلى الوفاق طمعا منه في تجديد علائق الإلفة بين دولته والدولة العثمانية. وتم الصلح بينهما في سنة 1547 م.على هدنة خمس سنوات بشرط أن يدفع فرديناند ملك النمسا جزية سنوية مقدارها ثلاثون ألف دوكا نظير ما بقي تحت يده من بلاد المجر. وان تبقى بلاد المجر تابعة لابن زابولي أميرها الأخير تحت وصاية أمه ايزابلا ورعاية الدولة العثمانية.

أما في جهات آسيا:

فقد حضر إلى دار الخلافة العظمى سنة 1537 سفير من قبل صاحب دهلي بالهند يستنجده ضد همايون بن ظاهر الدين محمد الشهير ببابر صاحب دهلي وآخر من قبل صاحب الجوزرات بالهند و يطلب منه أيضا المساعدة ضد البرتغاليين الذين أغاروا على بلاده واحتلوا أهم ثغورها.

فتح عدن: فأرسل السلطان أوامره إلى والي مصر إذ ذاك بتجهيز أسطول بحري بثغر السويس على البحر الأحمر لمحاربة البرتغاليين وفتح عدن وبلاد اليمن حتى لا تستولي عليها البرتغال أو أي دولة أوروبية أخرى فتصير حجر عثرة في سبيل تقدم الدولة العثمانية في جهات الشرق وقاعدة لأعمال الدولة التي تحتلها ضد مصر. فصدع بأمره وشيد أسطولا بحريا هائلا مؤلفا من سبعين سفينة

على عجل، وسلحها بالمدافع الضخمة وسار بها في يونيـو سـنة 1538 ومعـه عشرون ألـف جندي. وفتح مدائن عدن ومسقط، وحاصر جزيرة هرمز عند مدخل بلاد العجم. ثم قصد سواحل الجوزرات وفتح اغلب الحصون التي أقامهـا البرتغـاليون هنـاك. ثـم قفـل راجعـا بالغنائم. وفتح في أيامه معظم إقليم اليمن وجعله ولاية عثمانية.

وفي سنة 1547 أتى إلى الباب العالي أخ لشاه العجم يدعى القاصب مرزا وطلب مـن السلطان إنجاده ضد أخيه الذي اهتضم له حقوقا، فانتهز السلطان هذه الفرصة لتجديـد الإغارة على بلاد العجم وانتظر ريثما يتم الصلح بأوروبا.

وفي أوائل سنة 1548 سار بجيوشـه قاصـدا مدينـة تبريـز، فـدخلها وفـتح في طريقـه الجزء التابع للعجم من بلاد الكرد وقلعة وان الشهيرة.

ولم تدم السكينة في ربوع بلاد المجر. فأرسل جيشا مؤلفا من ثمانين ألف جنـدي إلى بلاد المجر في شهر سبتمبر سنة 1551. ولم يقابل هذا الجيش في طريقه مقاومـة تـذكر بـل فتح بكل سهولة القلاع والحصون التي احتلتها جيوش النمسا لإخلاء النمساويين لهـا عنـد اقتراب الجنود العثمانية إليها ودنوها منها.

وفي سنة 1552 انتصر العثمانيون على النمساويين في عدة وقائع وفتح الـوزير الثـاني احمد باشا مدينة تمسفار وحاصرت الجيوش بعد ذلك مدينة ارلو الحصينة بـبلاد النمسـا. وفي أثناء ذلك كان القبطان طرغول الذي خلف خير الـدين باشـا في غـزو مراكـب الإفـرنج وشواطئ بلادهم قد حاز شهرة عظيمة في الحـروب البحريـة، وخافـت مـن اسـمه جميـع دول الإفرنج المعادية للدولة العثمانية وحفظ اسم البحرية العثمانية من السقوط بمـوت رئيسها و مؤسسها الأكبر خير الدين باشا.

معاهدة سنة 1553 بين الدولة العثمانية وفرنسا:

بعد موت السلطان فرانسوا الأول ملك فرنسا، حذا ولده هنري الثاني حـذوه ونسج على منواله في موالاة الدولـة العثمانيـة والمحافظـة عـلى محبتهـا وتوثيـق عرى الإلفة والاتحاد معها للاستعانة ببحريتها عند الحاجة. فأبقى المسـيو جبريـل

درامون سفيرا له في إسلامبول وأمره بمرافقة السلطان في حملته الأخيرة على بلاد العجم فرافقه. وفي عودته زار بيت المقدس، فقابله الرهبان والقسس بكل احتفال لتأييد المعاهدات السابقة القاضية بجعل جميع الكاثوليك المستوطنين بأراضي الدولة العثمانية تحت حماية فرنسا ثم عاد إلى فرنسا فوجد نيران الحرب قد اشتعلت ثانيا بينها وبين النمسا. فعاد إلى إسلامبول واتفق مع الباب العالي على أن يتحد الأسطول العثماني مع الأسطول الفرنسي لفتح جزيرة كورسيكا، مجازاة لأهالي جنوه المحتلين لها على مساعدتهم لشار لكان. ولتكون مركزا لأعمال الأسطولين في غزو سواحل أسبانيا وايطاليا.

وأبرمت بذلك معاهدة بتاريخ 16 صفر سنة 960هـ أول فبراير سنة 1553. وننقل بعضا مما جاء فيها لدلالتها على مجد الدولة العثمانية التي حملت لواء الإسلام في ذلك الزمان:

[ان جلالة السلطان سليمان وهنري دي فالوا الثاني ملك الفرانك قد ابرما اتحادا مشتملا على العبارة الآتية بخصوص الحرب البحري - جعله الله حميد العاقبة - !! والذي سيشرعان فيه ضد الإمبراطور شارلكان:

البند1: بما أن جلالة السلطان سليمان سلطان الترك بإرساله أسطولا بحريا في بحر التوسكان ضد الإمبراطور شارل الخامس، قد أعان بذلك هنري دي فالوا مدة سنتين بناء على طلبه المتكرر في بادئ الأمر وبالخصوص بناء على ترجيعاته البالغة أقصى درجات الحض. فقد اتفق بأن الملك هنري يدفع ثلاثمائة ألف قطعة من الذهب بصفة متأخر مرتب الأسطول.

البند 4: كل سفينة تابعة للإمبراطور أو للمتحالفين معه سواء أكانت معدة للنقل أو كانت من المراكب الخفيفة وسواء أكانت سفنا حربية صغيرة أو كبيرة فبمجرد وقوعها أسيرة لدى الأسطول العثماني تصير من تلك اللحظة ملكا للسلطان سليمان ملك الترك.

البند 5: المدن والقصبات والقرى والكفور التي تتغلب عليها البحرية العثمانية تكون مباحة غنيمة للترك وجميع سكانها راشدين أو قاصرين رجالا

كانوا أو نساء ولو أنهم معتنقون الديانة المسيحية ويكونون قد سلموا أنفسهم باختيارهم فانه لا بد من تركهم أسراء وعبيدا للترك...

البند 6: إذا أصدر الملك هنري أمره إلى أسطول جلالة السلطان سليمان بان تحارب شارل ملك النمسا غير متجهة نحو الغرب بل نحو الشرق والجنوب ويقصد بذلك مسيرها في الشواطئ من عند مصب نهر ترونتو لغاية كروتون بحيث أن هذه السفن تقوم بأعباء أوامر هنري بدون مقابل فقد اتفق على أن المواد الحربية ومؤونات المدن والقصبات التي تقع تحت يد الترك يتنازل عنها للملك هنري. ولكن المدن والقصبات والقرى والكفور فانها تترك غنيمة للترك كما تقرر ذلك بالبند السابق. وأما السكان والمزارعون والقاطنون البالغون والقاصرون الرجال منهم والنساء فإنهم يسلمون للأسر بدون معارضة حتى ولو كانوا ممن يعتنقون الديانة المسيحية بل ولو كانوا ممن اسلم نفسه بمحض إرادته.

البند 7: يمكن لأميرال جلالة الملك سليمان أن يستولي ويأسر باسم مليكه الأفخم كل مكان تقدم عليه البحرية التركية المظفرة متى رأى ثمة من فائدة وذلك من ابتداء حدود نهر ترونتو لغاية اوترانت وكرتون ومن ثم لغاية صقلية ونابولي وعموما جميع الأقاليم المملوكة للإمبراطور شارل الخامس ملك النمسا. سواء أكان ذلك المكان داخل الأراضي أو سواء كان مدينة أو قصبة أو قرية أو كفرا أو ميناء أو خليجا وله الحق في الاستيلاء على أي سفينة يصادفها وله أن يغزو بل وان ينهب ويأسر الرجال والنساء البالغين أو القاصرين حتى انه يمكنه متى شاء أن يحافظ ويتملك جميع ما يغتنمه سواء أكان من بني الإنسان أو المدن أو البيوت الخلوية وان يعدها ويستعملها لاحتياجاته ولو ضد رغبة الفرنك وبالرغم عن مضاد تهم الشديدة في ذلك.

البند 9: جلالة السلطان سليمان يسلم عدا عن ذلك الثلاثين سفينة حربية وبحارتها بدون أدنى فدية وكذا المدافع والمؤن وجميع المواد ويستثنى من ذلك رجال بحريته الخصوصيون وعساكره. كما وانه يدفع في أقرب وقت لبرنس

سالرن الذي بذل نفسه وكل ما في وسعه للحصول عليها وكان نصيبه أن حرم من منصبه وطرد من وطنه وبيته مبلغ الثلاثين ألف قطعة من الذهب التي صرفها بكل ارتياح وكرم.] أهـ

ثم تتابعت المناوشات بين السلطنة والنمسا في المجر ولم تحصل أمور مهمة.

ثم افتتح أميرال العثمانيين طرغول طرابلس الغرب (ليبيا) في غضون سنة 1551م:

ووجه السلطان سليمان اهتمامه إلى تعزيز سفنه الحربية لحماية الجزائر وطرابلس الغرب لبعدها عن مقر الخلافة العظمى وطموح أنظار أسبانيا إلى إرجاعها. إذ أن وجود العثمانيين فيها يهدد سواحل أسبانيا ونابولي التي كانت تابعة لأسبانيا في ذلك الحين.

حصار جزيرة مالطة:

في أوائل سنة 1565 أرسلت قطع بحرية مؤلفة من نحو مائتي سفينة لفتح جزيرة مالطة مقر رهبنة القديس حنا الأورشليمي لأهمية هذه الجزيرة الواقعة بين إقليم تونس وجنوب ايطاليا وضرورة احتلالها لكل دولة تريد أن تكون لها اليد الطولى على البحر الأبيض المتوسط. فامتد حصارها سبتمبر 1565 وعادت السفن بجيوشها إلى إسلامبول.

الفتن داخل بيت السلطان سليمان:

حصلت حادثة شنيعة وهي قتل السلطان لولده الأكبر مصطفى بناء على دسيسة إحدى زوجاته المسماة في كتب الإفرنج (روكسلان الروسية) أما في كتب الترك فاسمها خورم أي (الباسمة) وذلك حتى يتولى بعده ابنها سليم بمساعدة الصدر الأعظم رستم باشا.. وكانت هذه الفعلة الشنعاء نقطة سوداء في تاريخ السلطان سليمان الذي اتسعت دائرة السلطنة في أيامه.. ولم تكن هذه الحادثة خاتمة الفظائع بل أعقبها فتن ودسائس أدت لقتل السلطان لأولاد آخرين له ولأحفاده منهم.

موت السلطان سليمان:

و اشتد مرض السلطان وتوفي في سبتمبر سنة 1566. عن أربع وسبعين سنة قمرية. وكانت مدة ملكه ثمانية وأربعين سنة قضاها في توسيع نطاق الدولة وإعلاء شانها حتى بلغت في أيامه أعلى درجات الكمال.

وقد اشتهر السلطان سليمان بـ (القانوني) لما وضعه من النظم الداخلية في كافة فروع الحكومة فادخل بعض تغييرات في نظام العلماء والمدرسين الذي وضعه السلطان محمد الفاتح. ويعتبر موت السلطان سليمان نهاية لعصر القوة في الدولة العثمانية وبداية السير نحو الانحطاط ثم الإنهيار فالنهاية.

أسباب بداية انحطاط الدولة العثمانية:

وكان ذلك لجملة أسباب منها:

العدوان على سلطان اللـه بالتشريع الوضعي، والذي ابتدأ من قبل ولكنه توسع في عهد سليمان حتى لقب بالقانوني.

إعطاء الامتيازات القنصلية لسفراء الدول الأجنبية، كما رأينا سفير فرنسا. والذي تحول لحق في التدخل في شؤون الدولة. ثم التآمر عليها.

بذخ السلاطين، ودخولهم مرحلة الانصراف للدنيا والاستكثار من المحظيات اللواتي كان أكثرهن من الدول النصرانية المجاورة.

زيادة الثروة بسبب الفتوحات العديدة والغنائم الكثيرة. ولا يخفى أن الثروة تورث غالبا المفاخرة في المصرف والتغالي في الزهو والترف وكل امة سادت فيها هذه الخصال لا بد لها من الإنهيار.

كان الإنكشارية لا يخرجون إلى الحرب إلا إذا كان السلطان معهم. ولذا كانت أهم الحروب والغزوات تحت إمرة السلطان وقيادته. فغير السلطان سليمان هذه السنة الحميدة وأجاز للإنكشارية القتال تحت إمرة قائدهم الأكبر ولو لم يكن السلطان موجودا فكان هذا التغيير سببا في تقاعس اغلب من خلفه من السلاطين عن الخروج من قصورهم الباذخة وتفضيلهم البقاء بين غلمانهم وجواريهم المختلفات الأجناس على الخروج للقتال وتكبد مشاقه.

ومنهـا أن كافـة أمـور الدولـة المهمـة كانـت تنظـر في ديـوان الـوزراء تحـت رئاسـة السلطان فأبطل السلطان سليمان هذه العادة وصـار الـديوان ينعقـد تحـت رئاسـة أكـبر الوزراء وهو الصدر الأعظم والسـلطان لاه عـن ذلـك معـرض عـن دسـائس الـوزراء ومـن يستعينون بهم مـن جواريـه وأزواجـه وترتـب عـلى ذلـك أن صـارت الأمـور بيـد الـوزراء المغايرين للجنس العثماني أصلا ونسبا إذ أن اغلـبهم ممـن اسـلم أو تظـاهر بالإسـلام مـن النصارى أو من غلمان وخدم.

ومنهـا الإباحـة للانكشـارية بـالتزوج والإقامـة خـارج ثكنـاتهم مـع إعطـائهم بعـض امتيازات وقبول الأخلاط ضمن زمرتهم مما جعلهم من اكبر موجبات تأخر الدولة بعـد أن كانت من أعظم عوامل تقدمها إلى غير ذلك مـن الاسـباب التـي سـنوردها تباعـا بحسـب مقتضياتها.

(11) -السلطان الغازي سليم خان الثاني(1566-1577م):

وهو ابن روكسلان الروسـية سـابقة الـذكر وتـولى الملـك بعـد مـوت أبيـه. ولم يكـن السلطان متصفا بما يؤهله للقيام بحفظ فتوحات أبيه فضلا عـن إضـافة شيء إليهـا ولـولا وجود الوزير الطويل محمد باشا صقللي المدرب عـلى الأعـمال الحربيـة السياسـية للحـق الدولة الفشل. لكن حسـن سياسـة هـذا الـوزير وعظـم اسـم الدولـة ومهابتهـا في قلـوب أعدائها حفظتها من السقوط مرة واحدة. ومن أهم ما جرى في عهد هذا السلطان:

تم الصلح بينها وبين النمسا سنة 1568 بمعاهدة من شروطها حفظ النمسا أملاكها في بلاد المجر ودفعها الجزية السنوية المقررة بالعهود السابقة واعترافها بتبعية أمراء ترانسلفانيا و الفلاخ و البغدان إلى الدولة العثمانية. كما تجددت أيضا الهدنة مع ملك بولونيا باعتراف البـاب العـالي بالتحالف الذي حصل ما بين ملك بولونيا وأمير البغدان. وكذلك جددت مع شارل التاسـع ملـك فرنسا في سنة 1569 الاتفاقيات التي تمت بين الدولتين في عصر السلطان سليمان.

وأيـد السـلطان سـليم (ابـن الروسـية) الامتيـازات القنصـلية وزاد عليهـا امتيازات أخرى أهمها معافاة كل فرنسـاوي مـن دفـع الخـراج الشـخصي وان

يكون للقناصل الحق في البحث عمن يكون عند العثمانيين من الفرنساويين في حالة الـرق وإطلاق سراحهم والبحث عمـن أخـذهم بصـفة رقيـق لمجازاتـه وان يـرد السـلطان كافـة الأشياء التي تأخذها قراصنة البحر من المراكب الفرنساوية ومعاقبة الآخذ لهـا وان تكـون المراكب العثمانية ملزمة بمساعدة ما يرتطم من السفن الفرنساوية عـلى شـواطئ الدولـة وبحفظ ما بها من الرجال والمتاع وان يكون لفرنسا كـل الامتيـازات الممنوحـة لجمهوريـة البنادقة .

ولزيادة توثيق عرى الاتحـاد بـين الدولـة وفرنسـا وزيـادة نفـوذ اتحـادهما اتفقـت الدولتين على ترشيح هنري دي فالوا أخي ملك فرنسا لعرش بولونيا ليكون لهم ظهيرا ضـد النمسا من جهة وضد روسيا من جهة أخرى وقـد تـم ذلـك فعـلا وصـارت بولونيـا تحـت حماية الدولة العثمانية حماية فعلية وان لم تكن اسمية.

وبذلك صارت فرنسا ملكة التجارة في البحر الأبيض المتوسـط وجميـع الـبلاد التابعـة للدولة وأرسلت تحت ظل هذه المعاهدات عدة إرساليات دينية كاثوليكية إلى كافـة بـلاد الدولة الموجودة بها مسيحيون خصوصا في بلاد الشام لتعليم أولادهم وتربيتهم على محبة فرنسا. وكانت هذه الامتيازات الموجبة لضعف الدولة بسبب تـدخل القناصـل في الإجـراء آت الداخلية بدعوى رفع المظالم عن المسيحيين واتخاذها لها سـبيلا لامتـداد نفوذهـا بـين رعايا الدولة المسيحيين واهم نتائج هذا التدخل وأضره مآلا وأوخمه عاقبة استعمال هـذه الإرساليات الدينية في حفظ جنسية ولغة كـل شـعب مسـيحي حتـى إذا ضـعفت الدولـة أمكن هذه الشعوب الاستقلال بمسـاعدة الـدول المسـيحية أو الانضـمام إلى إحـدى هـذه الدول كما شوهد ذلك في هذا القرن الأخير من عمرها مما سيأتي مفصلا.

ومن أعمال الوزير محمد باشا صقللي أن أرسل جيشا عظيما إلى بلاد الـيمن في سـنة 976 سنة 1569 م تحت قيادة عثمان باشا الذي عين عاملا عليها لقمع ثورة أهاليها الذين خرجوا على الدولة العثمانية مع سلطانهم الشريف مطهر بن شرف الدين يحيـى فـانتصر عثمان باشا عليهم بمساعدة سنان باشا والي مصر ودخلت الجيوش المظفرة مدينة صنعاء.

فتح جزيرة قبرص:

ومن أعماله أيضا فتح جزيرة قبرص التي كانت تابعة للبندقية فأرسلت إليها المراكب الحربية. حيث فتحت في أغسطس1570م. وصارت من ذلك العهد تابعة للدولة العثمانية إلى أن احتلها الإنكليز سنة 1878.

وفي هذه الأثناء غزت المراكب العثمانية جزيرة كريت، و ظنته، وغيرها بدون أن تفتحها واحتلت مدائن دلنسنيو وانتيباري على البحر الأدرياتيكي ولما رأت البندقية تغلب العثمانيين عليها وفتح كثير من بلادها استعانت بأسبانيا والبابا وتم بينهم الاتفاق على محاربة الدولة بحرا خوفا من امتداد سلطتها على بلاد ايطاليا. فسارت سفن المسيحيين إلى شواطئ الدولة وكانت تلك الحملة المختلطة. وانتهى الأمر بانتصار الأسطول المسيحي فأخذت 130 سفينة عثمانية. وأحرقت وأغرقت 94. وغنمت 300 مدفعا و 30 ألف أسير. وهذه أول واقعة حصلت بين الدولة من جهة وأكثر من دولتين مسيحيتين من جهة أخرى. وكان اشتراك البابا فيها يدل على أن المحرك لهذه التحالفات ضد الدولة الإسلامية آنذاك هو الدين كما أثبتت الحوادث والحروب فيما بعد وليس مسائل السياسة والمصالح كما يدعون. مما لا يجعل عند المطالع اقل ريبة أو شك في أن (المسالة الشرقية) كما دعيت فيما بعد مسالة دينية أساسا.

أما من جهة أسبانيا فقد قصد دون جوان مدينة تونس في أواخر سنة 1572.. لكن لم يلبث العثمانيون إلا نحو 8 اشهر حيث تم استرجاعها ثانية إلى أملاك الدولة بواسطة سنان باشا في أغسطس سنة 1575.

وفي جهة بلاد البغدان انتصر العثمانيون بعد موقعة هائلة في 9 يونيو سنة 1574 على الأمير ايوونيا الذي تمرد على الدولة طلبا للاستقلال وصلب جزاء عصيانه.

وفي ديسمبر سنة 1574. توفي السلطان سليم الثاني وعمره اثنين وخمسون سنة قمرية ومدة حكمه ثماني سنين و 5 اشهر و تولى بعده ابنه السلطان مراد الثالث.

(12) - السلطان الغازي مراد خان الثالث (1574-1595م):

وكانت فاتحة أعماله أن أصدر أمـرا بعـدم شرب الخمـر الـذي شـاع اسـتعماله أيـام السلطان السابق (ابن الروسية) وأفرط فيه الجنود خصوصا الإنكشارية فثـار الإنكشـارية لذلك واضطروه لإباحته لهم بمقدار لا يترتب منه ذهول العقل وتكدير الراحة العمومية.

وأمر بقتل إخوته وكانوا خمسة ليأمن على الملك مـن المنازعـة إذ صـار قتـل الإخـوة عادة تقريبا.

وكانت علاقات هذا السلطان مع فرنسا حسنة جدا وكذلك مـع جمهوريـة البندقيـة فجدد لهما الامتيازات القنصلية والتجارية مـع زيـادة بعـض بنـود في صـالحهما أهمهـا أن يكون سفير فرنسا مقدما على كافة سفراء الدول الاخرى في المقابلات والاحتفالات الرسمية حيث كثر توارد السفراء على بابه العالي، للسعي في إبرام معاهدات تجارية تكـون ذريعـة في المستقبل للتدخل الفعلي.

وفي أيامه تحصلت ايزابلا ملكة الإنكليز على امتياز خصوصي لتجار بلادهـا وهـي أن تحمل مراكبها العلم الإنكليزي وكان لا يجوز لها ذلك قبلا بل كانت السفن عـلى اخـتلاف أجناسها ما عدا سفن البندقية لا تدخل إلى موانئ الدولة العثمانيـة إلا تحـت ظـل العلـم الفرنساوي !

وصول نفوذ العثمانيين إلى مراكش:

في سنة 1578.حصلت فتنـة داخليـة في مملكـة مـراكش بـالمغرب الأقصى ونـازع زعيمهـا سلطان المغرب في الملك وحصلت بينهما عدة وقائع مهمة وأخيرا اسـتنجد سـلطانها بـالعثمانيين واستعان مدعي الملك بالبرتغاليين فأوعزت الدولة لوالي طرابلس بإنجاد سلطانها الشرعي فـأسرع بمساعدته والتقى الترك والبرتغال بالقرب من محل يقال لـه الـقصر الكبـير وكـان يومـا مشـهودا دارت فيه الدائرة على البرتغال وقتل فيه رئيس الثائرين المستنجد بهم. وبعد تمام النصر وإعادة الأمن و السـكينة إلى ربـوع مـراكش، عـادت الجيـوش العثمانيـة حاملـة مـا أغـدق عليهـا مـن

الهدايا وبذلك دخلت مملكة مراكش ضمن دائرة نفوذ الدولة وصار شمال أفريقيا بأجمعه تابعا لها تماما أو خاضعا لنفوذها.

وفي هذه السنة حصل الصلح بين الدولة وأسبانيا للوصول، لكن لم يمنع ذلك القراصنة من الطرفين على نهب السفن التجارية وسبي واسترقاق من بها من النساء والرجال. حتى كان من يستعد للسفر في البحر الأبيض المتوسط في ذلك الزمان يتجهز كمن يستعد لرحلة حربية لعدم الأمن وكثرة القراصنة بما لم يسبق له مثيل. لان كلا من الطرفين كان يعتبر غزو سفن الطرف الآخر من الواجبات الدينية و القربات المشروعة.

سنة 1579 قتل الصدر الأعظم محمد باشا صقللي الذي حافظ على نفوذ الدولة بعد موت السلطان سليمان بدسائس حاشية السلطان قضت عليه بالموت غدرا تبعا لدسائس الأجانب الذين لا يروق في أعينهم وجود مثل هذا الوزير يدير دولاب الأعمال على محور الاستقامة فدسوا إليه من قتله تخلصا من صادق خدمته للدولة فكان موته ضربة شديدة ومحنة عظيمة لاسيما وقد كثر بعده تنصيب وعزل الصدور ودبت الفوضى في الجيش.

ثم أصيب السلطان بداء عياء وتوفي سنة 1595 وله من العمر خمسون سنة وكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة تقريبا وقالوا أنه كان شاعرا مجيدا، فطنا لبيبا، إلا انه كان كثير الميل لاقتناء الجواري الحسان..عاملا بمشورتهن في كل آن.. وكان من ضمن حظياته جارية بندقية الأصل من عائلة شهيرة بها اسمها (بافو) سباها من البحر قرصان.. وبيعت في السراي السلطانية وسميت (صفية) حيث اصطفاها السلطان وتدخلت كثيرا في السياسة الخارجية للدولة.. وساعدت بلادها الأصلية كثيرا وهي والدة ولي عهد السلطان...(أمان يا ربي أمان..على ما فات من ذلك الزمان)..

(13) - السلطان الغازي محمد خان الثالث (1995- 1603م):

تولى بعد موت أبيه مراد الثالث ابن صفية الإيطالية الأصل وكان له تسعة عشر أخا غير الأخوات فزعم المؤرخون أنه أمر بخنقهم جميعا قبل دفن أبيه

ودفنوا معا تجاه آيا صوفيا !!. وفي أوائل حكمه سار على اثر سلفه في عدم الخروج إلى الحرب وترك الأمور الداخلية في أيدي وزرائه الذين منهم سنان باشا و جفالة زاده وهو ابن القائد جفالة باشا الجنوي الأصل الذي قتل في محاربة العجم الأخيرة. وآخر يدعى حسن باشا فأفسدوا في الأرض وباعوا المناصب الملكية والعسكرية وقللوا عيار العملة حتى علا الضجيج من جميع الجهات وتعاقب انهزام الجيوش العثمانية أمام ميخائيل الفلاخي فضم لسلطانه بمساعدة الجيوش النمساوية وإقليم البغدان وجزءا عظيما من ترنسلفانيا لعدم وجود القواد الأكفاء لصدهم.

ومما يخلد للسلطان الغازي محمد الثالث الذكر ويجعله رصيفا لأجداده الأوائل، انه لما تحقق أن هذا الانحلال ناشئ من تحجبه عن الأعمال وعدم قيادته الجيوش، برز بنفسه وتقلد المركز الذي كان ترك مراد الثالث وسليم الثاني له من دواعي تقهقر الدولة أمام أعدائها. فسار إلى بلغراد ومنها إلى ميدان الحرب والنزال وبعد قليل دبت في الجيوش الحمية الدينية والغيرة لعسكرية، ففتح قلعة ارلو الحصينة التي عجز السلطان سليمان عن فتحها في سنة 1556. ودمر جيوش المجر والنمسا تدميرا في سهل كرزت بالقرب من هذه القلعة في 26 أكتوبر سنة 1596 حتى شبهت هذه الموقعة بواقعة (موهاكز) التي انتصر فيها السلطان سليمان سنة 1526.

وفي ابتداء القرن السابع عشر للميلاد حصلت في بلاد الأناضول ثورة داخلية كادت تكون وخيمة العاقبة على الدولة خصوصا ونيران الحروب مستعر لهيبها على حدود المجر والنمسا...

ومن ذلك الحين بدأ يظهر جليا اختلال النظام العسكري وعدم صلاحيته لحفظ اسم الدولة وشرفها بين أعدائها. ثم توفي السلطان وكانت وفاته س 1603 وعمره 37 سنة ومدة حكمه 9 سنين وخلفه ابنه احمد الأول .

(14) - السلطان الغازي احمد خان الأول (1603- 1617م):

فتولى الملك ولم يتجاوز سنه الرابعة عشر إلا بقليل ولم يأمر بقتل أخيه مصطفى بل اكتفى بحجزه بين الخدم والجواري. وكانت أركان الدولة غير ثابتة في كافة بلاد آسيا ونار الحرب مستعرة على حدود العجم شرقا والنمسا غربا وكانت الحرب مع العجم شديدة الوطأة في هذه المرة لتولي الشاه عباس الشهير قيادتها. ومما جعل لها أهمية أعظم من كافة الحروب السابقة، اضطراب الأحوال في الولايات الشرقية عموما وسعي كل أمة من الأمم المختلفة النازلة بها للحصول على الاستقلال.. لكن قيض الله للدولة في هذه الشدة الوزير مراد باشا الملقب (بقوي وجي) الذي عين صدرا أعظم وكان قد تجاوز الثمانين ليكون عونا وعضدا للسلطان الفتى فتقلد مع كبر سنه ووهن قواه قيادة الجيوش وحارب الثائرين بهمة ونشاط زائدين فانتصر...

وقد حصلت ما بين سنة 1611 وسنة 1614 بعض مناوشات بحرية بين مراكب الدولة العثمانية وسفن رهبان مالطة وملك أسبانيا وولايات ايطاليا كان الفوز فيها غالبا لمراكب الأعداء، فانتهز بعض أخلاط القوزاق انسحاب السفن الحربية من البحر الأسود، وأغاروا على ثغر سينوب ونهبوا ما به ولما علم السلطان بذلك غضب على الصدر الأعظم وسعى به بعض مبغضيه طمعا في نوال منصبه وما فتئوا يوغرون صدر سيده عليه حتى أمر بقتله في 14 أكتوبر سنة 1614 فخنق في قصره.

هذا وازدادت في أيام السلطان احمد الأول العلاقات السياسية مع دول الإفرنج وازداد بذلك تأثيرهم..

وفي نوفمبر سنة 1617 م توفي السلطان أحمد الأول وعمره 28 سنة ومدة حكمه 14 سنة تقريبا ولصغر سن ولده عثمان الذي كان لم يتجاوز ثلاث عشرة سنة من عمره خالف العادة المتبعة من ابتداء الغازي السلطان عثمان الأول أي تنصيب أكبر الأولاد أو أحدهم مكان والده وأوصى بالملك بعده لأخيه.

(15) - السلطان مصطفى خان الأول (1617- 1618م):

وكان قد قضى عمره داخل محلات الحريم ولم يتعاطى أشغالا السياسة مطلقا. بل ولم يعلم من أمور المملكة شيئا. ولم يلبث هذا السلطان على سرير الملك إلا ثلاثة اشهر تقريبا ثم عزله المفتي و آغا السراي. وساعدهم الإنكشارية على ذلك. فعزل في فبراير سنة 1618 م وأقاموا مكانه السلطان عثمان الثاني.

(16) -السلطان عثمان خان الثاني (1618- 1622 م):

اشهر هذا السلطان الحرب على مملكة بولونيا وحقيق أمنيته وهي فتح هذه المملكة وجعلها فاصلا بين أملاك الدولة ومملكة روسيا التي ابتدأت في الظهور. وقبل الشروع في الحرب أمر بقتل أخيه محمد تبعا للعادة المشروعة عندهم!. ثم أصدر أمرا بتقليل اختصاصات المفتي ونزع ما كان له من السلطة في تعيين وعزل الموظفين وجعل وظيفته قاصرة على الإفتاء، حتى يأمن شر أن يكون سببا في عزله كما كانت سبب عزل سلفه. لكن أتى الأمر على الضد بما كان يؤمل. وبعد أن أتم هذه التمهيدات الداخلية سير الجيوش والكتائب لمحاربة مملكة بولونيا ولكنه عجز عن ذلك لتلكؤ الإنكشارية. ثم تم الصلح في أكتوبر سنة 1620 فحنق السلطان على الإنكشارية من طلبهم الراحة وخلودهم إلى الكسل وإلزامه على الصلح مع بولونيا بدون تتميم قصده وعزم على إبطالها ولتنفيذ هذا الأمر الخطير أمر بحشد جيوش جديدة في ولايات آسيا وتنظيمها وتدريبها على القتال حتى إذا كملت عدة وعددا استعان بها على إبادة الإنكشارية. وشرع فعلا في إنفاذ هذا المشروع لكن أحس الإنكشارية بذلك فهاجوا واتفقوا على عزل السلطان وتم لهم ذلك في مايو سنة 1622. وأعادوا مكانه السلطان مصطفى الأول. ولم يكتفوا بعزله بل هجموا عليه في سراي قصره. وانتهكوا حرمتها وقبضوا عليه بين جواريه وزوجاته وقادوه قهرا إلى ثكناتهم موسعيه سبا وشتما وإهانة. مما لم يسبق له مثيل في تاريخ الدولة العثمانية. وزيادة على ذلك قاموا بإعدامه. وقد قتل ولم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ومدة حكمه أربع سنين وأربعة اشهر.

وبعد ذلك صارت الحكومة ألعوبة في أيدي الإنكشارية ينصبون الوزراء ويعزلـونهم بحسب أهوائهم فعزلوا داود باشا قاتل السلطان، بعد بضع أيام وصاروا يمنحون المناصـب لمن يجزل إليهم العطايا فكانت الوظائف تباع جهارا، وارتكبـوا أنـواع المظـالم في الآسـتانة. واستمرت الإضطرابات الداخلية في نفس كرسي الخلافة العظمى فلا امـن ولا سـكينة مـدة ثمانية عشر شهرا متوالية. حتى إذا شعر العموم بما وراء هذه الفوضى من الدمار والخراب عينوا كمانكش على باشا صدرا أعظما لتوسمهم فيه الخبرة والاستعداد فأشار عليهم بعـزل السلطان مصطفى ثانيا لضعف عزيمته ووهن قواه العقلية فعزلوه في سبتمبر سـنة 1623 وولوا مكانه السلطان مراد الرابع وبقي في العزل إلى أن توفي في سنة 1639 م.

(17) - السلطان الغازي مراد خان الرابع (1623- 1640م):

هو ابن السلطان احمد الأول ابن السـلطان محمـد الثالـث وولاه الإنكشـارية بعـد عزل عمه السلطان مصطفى الأول ابن السلطان محمد الثالث مع حداثة سنة كي لا يكون معارضا لهم في أعمالهم الاستبدادية ولا مضـعفا لنفـوذهم الـذي اكتسـبوه بقتـل سـلطان وعزل غيره واستمروا مدة العشر سنين الأولى من حكمه على غيهم وطغيانهم.

وانتهز الشاه عباس ملك العجم هذا الاختلال فرصة لتوسيع أملاكه من جهة حدود الدولة العثمانية..فسار الشاه بجنوده لاحتلالها..

ثم توفي الشاه عباس و استرد السلطان بغداد من العجم سـنة 1638م.. وكـان يؤمـل في السلطان مراد الرابع أن يضارع السلطان الغـازي سـليمان الأول القـانوني في الفتوحـات وبعد الصيت إلا أنه توفي وهو في مقتبل الشباب عـن غـير عقـب في فبرايـر سـنة 1640 م وسنه 31 سنة ومدة حكمه 16 سنة و 11 شهرا وتولى بعده أخوه ابراهيم.

(18) - السلطان الغازي ابراهيم خان الأول (1640-1648م):

هو ابن السلطان احمد الأول وكان غير ميال لمحاربـة النمسـا فاطمأنـت. وافتتح حروبه الخارجية بإرسال جيش جرار إلى بلاد القرم لمحاربة القوزاق الذين

احتلوا مدينة آزاق فحاربهم العثمانيون وابلوا فيهم بلاء حسنا واستردوا المدينة منهم بعد أن احرقوها وذلك سنة 1642.

ومن أعماله أيضا فتح جزيرة كريت وكانت تابعة لجمهورية البندقية.

ثم إن السلطان ابراهيم أراد أن يفتك برؤوس الإنكشارية في ليلة زفاف إحدى بناته على ابن الصدر الأعظم لتذمرهم وانتقادهم لأعماله ورغبتهم في التدخل في شؤون الدولة والخروج عن حدودهم. فعلموا بقصد السلطان وتآمروا على عزله وانضم إليهم بعض العلماء والمفتي عبد الرحيم أفندي واهاجوا عساكر الإنكشارية وقرر الجميع عزله وتولية ابنه محمد الرابع في سنة 1642 م و لم يتم السابعة من عمره. وتمت هذه الثورة في أغسطس سنة 1648 وبعد ذلك بعشرة أيام اظهر العسكر عدم ارتياحهم من الملك الفتي وطلبوا إعادة السلطان ابراهيم إلى عرش الخلافة فخشي رؤساء العصابة التي عزلته من تغلبهم بإرجاعه رغم انفهم وصمموا على قتله فساروا إلى السراي ومعهم الجلاد وقتلوه خنقا كما قتلوا السلطان عثمان الثاني من قبله فكانت مدة حكمه 8 سنين و 9 شهور وسنه 34 سنة.

(19) -السلطان الغازي محمد خان الرابع (1648- 1687م):

ولصغر سنه وقعت المملكة في الفوضى وصارت الجنود لا ترحم صغيرا ولا توقر كبيرا وسعوا في الأرض فسادا. ورجعت الحالة إلى ما وصلت إليه قبل تولي السلطان مراد الرابع بل إلى أتعس منها. وسرى عدم النظام إلى الجنود المحاصرة كنديا واضطروا قائدهم السر عسكر حسين باشا لرفع الحصار عنها. وكذلك سرى هذا الداء العضال إلى الجنود البحرية. وسبب انهزام الأسطول العثماني أمام العدو أمام مدينة فوقيه سنة 1649. ثم ثار بآسيا الصغرى ثائرون وتتابعت الفوضى...

إلى أن قيض سبحانه وتعالى الوالي الوزير محمد باشا الشهير بكوبريلي الذي تولى منصب الصدارة سنة 1067 هـ سنة 1656 فعامل الإنكشارية معاملة من يريد أن يطاع إطاعة عمياء وقتل منهم خلقا كثيرا. وأمر بعد تعيينه

بقليل بشنق بطريرك الأروام (جمع روم بحسب المرجع !) لما ثبت له تدخله في الدسائس والفتن الداخلية...

ولم تثن الإشكالات عزيمة كوبريلي محمد باشا بل ما لبث يقاوم أعداء الدولة في الداخل والخارج حتى أعاد لها سالف مجدها وجعلها محترمة في أعين الدول. وه بعد وفاته سنة 1661 خلفه ابنه كوبريلي زاده احمد باشا.

وكان خير خلف لأبيه فانه كان متصفا بالشجاعة و الإقدام وحسن الرأي والتدبير. واستمر في محاربة أعداء الدولة بدون فتور أو ملل حتى يزيل من أذهانهم ما خامرها من تضعضع أحوال الدولة وقرب زوالها. وقاد الجيوش بنفسه وعبر نهر الطونة لمحاربة النمسا ووضع الحصار أمام قلعة نوهزل مع أن هذه القلعة كانت مشهورة في جميع أوروبا بالمناعة، و اضطر كوبريلي احمد باشا حاميتها إلى التسليم بشرط خروج من بها من الجنود بدون أن يمسهم ضرر تاركين ما بها من الأسلحة والذخائر وأخلوها فعلا في سبتمبر سنة 1663. ولذلك اضطربت أوروبا بأجمعها لهول هذا.. فسعى البابا جهده لدى ملك فرنسا حتى قبل بإرسال ستة آلاف جندي فرنساوي وأربعة وعشرين ألف من محالفيه الألمانيين تحت قيادة الكونت دي كوليني. ثم لم يمكن الإنكشارية من الثبات أمام جنود العدو الأكثر منهم عددا وسميت هذه الواقعة بواقعة سان جوتار نسبة لكنيسة قديمة حصلت الحرب بالقرب منها. ثم تم الصلح. وبعد عشرة أيام أبرمت بين الطرفين معاهدة أهم ما بها إخلاء الجيش لإقليم ترنسلفانيا تحت سيادة الدولة العثمانية وتقسيم بلاد المجر بين الدولتين بان يكون للنمسا ثلاث ولايات وللباب العالي أربعة مع بقاء حصني نوفيجراد ونوهزل تابعين للدولة العثمانية.

ثم تعكزت العلاقات مع فرنسا. و أرادت إعلان الحرب على الدولة العثمانية لولا نصائح الوزير كولبر بحكمته وسياسته ومعاملة الدولة العلية باللين والخضوع من تجديد المعاهدات القديمة في سنة 1673. وفوض ثانيا إلى فرنسا حق حماية بيت المقدس كما كان لها ذلك من أيام السلطان سليمان. وبذلك عادت العلاقات إلى سابق صفائها بين الدولتين.

ومما زاد حدود الدولة اتساعا ومنعة من جهة الشمال خضوع جميع القوزاق الساكنين بالجزء الجنوبي من بلاد روسيا إلى السلطان محمد الرابع بدون حرب بل حبا في الدخول في حمى حامي دولة الإسلام. ولذلك أغارت بولونيا على ولاية أوكرين فاستنجد حاكمها الأكبر بالعثمانيين فأنجده السلطان. واستمرت الحرب بين الدولتين سجالا إلى سنة 1167.

وكانت روسيا آخذة إذ ذاك في تنظيم داخليتها وتقدم وكانت تتوق للدخول ضمن المجتمع الأوروبي فاستمرت الحرب بين القوزاق والروس من جهة والعثمانيين من جهة أخرى بين اخذ ورد حتى سنة 1681 حيث تم الصلح بينهم.

حصار مدينة فيينا من جديد:

وبعد أن انتصرت جيوش العثمانيين في عدة مواقع على النمساويين قصد ت عاصمة النمسا فحاصرتها سنة 1683 مدة شهرين واستولى العثمانيون على كافة قلاعها الأمامية وهدم أسوارها بالمدافع ولما لم يبق عليه إلا المهاجمة المتممة للفتح، أتى سوبيسكي ملك بولونيا ومنتخبي ساكس وبافييرا بجيوشهم بناء على إلحاح البابا عليهم واستنهاضه هممهم لمحاربة المسلمين حتى أضرم فيهم نار التعصب الديني. وفي سبتمبر سنة 1683 فاز المسيحيون بالنصر وانهزم جيش الصدر مصطفى باشا و أمر السلطان محمد الرابع بقتل الصدر قره مصطفى باشا وأرسل احد رجال حاشيته فقتله وأرسل برأسه إلى القسطنطينية!.

وبعد نجاة مدينة فيينا التي لم تحاصر بعد ذلك، تألبت كل من النمسا وبولونيا والبندقية ورهبنة مالطة والبابا ومملكة روسيا على محاربة الدولة الإسلامية لمحوها من العالم السياسي. والذي يدل على أن هذا التحالف كان دينيا محضا أن أصحابه أسموه (التحالف المقدس). ومما زاد أحوال هذه الدولة القائمة بمفردها أمام جميع الدول المسيحية ارتباكا قطع العلاقات بينها وبين فرنسا بسبب المناوشات البحرية المستمرة بين مراكبها وقراصنة المغرب.. فان جيوش الملك سوبيسكي كانت تهدد بلاد البغدان وسفن البنادقة تهدد سواحل اليونان وبلاد موره ولعدم وجود المراكب الكافية لصد هجمات سفن البنادقة

التي كانت تعززها مراكب البابا ورهبنة مالطة احتلت جيوش البنادقة في سنة 1686 اغلب مدن اليونان حتى كورنته وأثينا. أما النمسا فأغارت جيوشها على بلاد المجر واحتلوا مدينة يست الواقعة أمام مدينة بود. وفي سنة 1685 احتل النمساويون عدة حصون وقلاع شهيرة أهمها قلعة نوهزل. ووصلت الدولة إلى درجة من التقهقر أمام هذه القوى المتألبة عليها صار معها الخلاص صعبا.

وتتابعت النكسات على العثمانيين، فهاجت الجيوش الموجودة في الآستانة وأرسلوا الجيوش الباقية مع الصدر سليمان باشا فاشهروا عليه العصيان ولولا فراره إلى بلغراد لأعدموه. ثم أرسل الإنكشارية والسباه(اسم فرق من الجيوش العثمانية) وفدا للآستانة يطلب من السلطان الأمر بقتل الصدر فلم ير بدا من ذلك وأمر بقتله تسكينا لثورة غضب الجند. ولما لم يفد شيئا ولم تعد السكينة بين الجيوش وخيف على المملكة العثمانية من الداخل. فقرر الوزير الثاني القائم مقام قره مصطفى باتحاده مع العلماء عزل السلطان محمد الرابع فعزلوه في سنة 1687 م. بعد إن حكم أربعين سنة وخمسة اشهر وبقي في العزلة إلى أن توفي في ديسمبر سنة 1692 م. وولوا بعد عزله أخاه.

(20) - السلطان الغازي سليمان خان الثاني (1687- 1691 م):

وهو ابن السلطان ابراهيم تولى وكانت الآستانة فوضى. وانتهز الأعداء هذه الإضطرابات المستمرة لفتح الحصون العثمانية فاحتل النمساويون قلاع ارلو ولبا وغيرها واحتل مورزيني البندقي مدينة ليبه من بلاد اليونان وكافة سواحل دلماسيا سنة 1687 وفي السنة التالية أي سنة 1688 سقطت مدائن سمندريه وقلومباز وبلغراد في أيدي النمساويين ثم فقدت الدولة العثمانية في سنة 1689 مدائن نيش وودين من بلاد الصرب.

ثم تمكن الصدر الأعظم كوبريلي مصطفى باشا من تحقيق انتظام الجيش وساد الأمن داخل البلاد و سار بنفسه لمحاربة الأعداء فاسترد في قليل من الزمن مدائن نيش وودين وسمندريه وبلغراد في سنة 1690 بينا كان سليم كراي خان القرم يخضع الثائرين الصرب وتيكلي المجري يرجع اقليم ترنسلفانيا إلى أملاك الدولة وبذلك أعاد كوبريلي مصطفى باشا بعض ما فقدته الدولة من المجد

والسؤدد بسبب ضعف الوزراء وعدم إطاعة الإنكشارية. وفي يونيو سنة 1691 توفي السلطان سليمان الثاني عن غير عقب وعمره 50 سنة بعد أن حكم ثلاث سنوات وثمانية اشهر وتولى بعده أخوه.

(21) - السلطان الغازي احمد خان الثاني (1691- 1695م):

ولم تحصل أمور ذات بال في أيام هذا السلطان بل اقتصرت الحرب على بعض مناوشات ليس لها من الأهمية شان يذكر غير أن البنادقة احتلت في سنة 1694 جزيرة ساقز. ثم توفي في فبراير سنة 1695 وعمره 54 سنة قمرية تقريبا بعد أن حكم 4 سنين و 8 اشهر وتولى بعده السلطان الغازي مصطفى خان الثاني.

(22) - السلطان الغازي مصطفى خان الثاني (1695- 1703م):

ابن السلطان محمد الرابع. وكان متصفا بالشجاعة وثبات الجأش ولذلك أعلن بعد توليته بثلاثة أيام رغبته في قيادة الجيوش بنفسه. فسار إلى بلاد بولونيا مستعينا بفرسان القوزاق وانتصر على البولونيين عدة مرات ومن جهة أخرى حارب الروس سنة 1695 وبعد ذلك وفي سنة 1696 فاز السلطان فوزا مبينا على جيش ساكس في موقعة اولاش وبعد ذلك هُزم جيش السلطان أمام النمساويين. وكان ذلك في سبتمبر سنة 1697. وفي إثناء اشتغال السلطان ببلاد المجر. عاد الإمبراطور الروسي بطرس الأكبر لفتح ميناء ازاق لأهميتها لمملكته فدخلها في خلال سنة فكانت الدولة في خطر شديد من جهتي روسيا والنمسا. ثم ابتدأت الاتصالات للوصول إلى الصلح فتدخل ملك فرنسا لويس الرابع عشر. وبعد مباحثات طويلة أمضيت بين الدولة العثمانية والنمسا وروسيا والبندقية وبولونيا معاهدة كارلوفتس في يناير سنة 1699. فتركت الدولة بلاد المجر باجمعها وإقليم ترنسلفانيا لدولة النمسا. وتنازلت عن مدينة ازاق وفرضتها لروسيا فصار لها بذلك يد على البحر الأسود وزادت أهمية جوارها للدولة العثمانية أضعاف ما كانت عليه من قبل وردت لمملكة بولونيا مدينة كمينك وإقليمي بود وليا وأوك روين وتنازلت للبندقية عن جزيرة مورا وإقليم دلماسيا على البحر الأدرياتيكي بأجمعه تقريبا واتفقت مع النمسا على

مهادنة خمس وعشرين سنة وان لا تدفع هـي أو غيرهـا شـيئا للدولـة العثمانيـة. لا عـلى سبيل الجزية ولا على مجرد الهدية.

وبهذه المعاهدة فقدت الدولة جزأ ليس بقليل من أملاكهـا بأوروبـا وزادت أطـماع الدول في بلادها كما سيأتي.

ويمكننا القول بان الاتفاق قد تم من ذلك التاريخ بـين جميـع الـدول الأوربيـة إن لم يكن صراحة فضمنا، على الوقوف أمام تقـدم الدولـة العثمانيـة أولا، ثـم تقسـيم بلادهـا بينهم شيئا فشيئا. وهو ما يسمونه في عرف السياسـة بــ (المسـالة الشرقيـة) المبنيـة عـلى الخوف من انتشار الدين الإسلامي وحلوله محل الدين المسيحي ليس إلا.

أما ما كانوا يسترون خلفه غاياتهم من الدفاع عن حقوق الأمم المسـيحية الضـعيفة الخاضعة للدولة فلم يكن إلا ذريعة .

ثم عين السلطان رامي محمد باشا. فسار في إبطال المفاسد ومعاقبة المرتشين ومنـع المظالم فأهاج ضده أرباب الغايات وكثير عدادهم وأثاروا عليه الإنكشارية لمـيلهم بـالطبع إلى الهياج للسلب والنهب وهتـك الأعـراض. فطلبـوا عزلـه مـن السـلطان فـامتنع وأرسـل لقمعهـم فرقـة مـن الجنـود فانضـمت إلى الثـائرين وعزلـوا السـلطان مصـطفى الثـاني في أغسطس سنة 1703 بعد أن حكم 8 سنوات و 8 شهور وبقي معزولا إلى أن تـوفي وأقـاموا مكانه بعد عزله أخاه.

(23)- السلطان الغازي احمد خان الثالث (1703 - 1730م):

وهو ابن السلطان محمد الرابع. وفي تلك الآونة كان بطرس الأكـبر ملـك روسـيا يعمـل على إضعاف الأقوياء من مجاوريه أي السويد، وبولونيا، والدولة العثمانية. ولما تولى الصدارة (بلطه جي محمد باشا) مال لإثارة الحرب عـلى روسـيا فاشـهر عليهـا الحـرب وقـاد الجيـوش بنفسه وبعد مناورات مهمة حصرت الجيوش العثمانية البالغ قدرها مائتي ألف جندي قيصر روسيا وخليلته كاترينا. ولو استمر عليهم الحصار قليلا لربما كـان اخـذ أسـيرا هـو ومـن معـه وانمحت الدولة الروسية كلية من العالم السياسي. لكـن كاترينـا اسـتمالت بلطـه جـي محمـد

باشا إليها، وأعطته كافة ما كان معها من الجواهر الكريمة والمصوغات الثمينة، فخان الدولة ورفع الحصار عن القيصر وجيشه مكتفيا بإمضاء القيصر لمعاهدة فلكزن في يوليه سنة 1711 والذي أخلى بمقتضاها مدينة ازاق وتعهد فيها بعدم التدخل في شؤون القوزاق مطلقا.

لكن لم تمض على هذه المعاهدة بضعة أشهر حتى قامت الحرب ثانية بين الدولتين بسبب عدم قيام بطرس الأكبر بأحد شروط معاهدة فلكزن فتدخلت إنكلترا وهولندا في منع الحرب لإضرارها بتجارتهما. وبعد مباحثات طويلة أمضيت بينهما معاهدة جديدة سميت بمعاهدة أدرنه في يونيو 1713 م. وتنازلت روسيا بمقتضاها عما لها من الأراضي على البحر الأسود حتى لم يبق لها عليه موانئ أو ثغور.

وتتابعت المناوشات بين الدولة العثمانية والبنادقة، والنمسا وروسيا واضطرت الدولة العثمانية لقبول معاهدات جديدة كانت في صالح روسيا التي قوي حضورها في السياسة الأوربية. ثم حصل صراع بين روسيا والدولة العثمانية على النفوذ في بلاد القفقاس و أرمينيا وبلاد الكرج و سواحل بحر الخزر الغربية. فكادت الحرب تقوم بين الدولة والروس ولتحقق بطرس الأكبر من عدم اقتداره على مواجهة الجيوش العثمانية، طلب من سفير فرنسا بالآستانة أن يتوسط بينهما فقبل، ووفق بين الطرفين بان يمتلك كل منهما ما احتله من البلاد وقبلت الدولتان بذلك وأمضيتا بهذه الشروط معاهدة يونيو سنة 1724. أما الفرس فلم يقبلوا هذا التقسيم المزري بشرفهم والقاضي بضياع جزء ليس بقليل من بلادهم و قاموا لمحاربة الأجانب، لكنهم لم يتمكنوا من صد هجمات العثمانيين الذين فتحوا في سنة 1725 عدة مدن وقلاع أهمها مدائن همذان و تبريز وساعد ذلك تسلط الفوضى في إيران وانتهت هذه الحرب بالصلح مع الشاه أشرف في أكتوبر سنة 1727م. ولكن لما مات الشاه اشرف وانفرد طهماسب بالملك طلب من الدولة العلية أن ترد إليه كل ما أخذته من بلاد أجداده فلم تجبه الدولة ولذا أغار على بلادها. ولعدم ميل السلطان إلى الحرب ورغبته في الصلح ثار الإنكشارية فأعلنوا إسقاطه سنة 1730 م ونادوا

بابن أخيه السلطان محمود الأول خليفة للمسلمين فأذعن السلطان احمد الثالث وتنـازل عن الملك بدون معارضة. وكانت مدة حكمه 27 سنة و 11 شهرا.

(24) - السلطان الغازي محمود خان الأول (1730- 1754م):

هو ابن السلطان مصطفى الثاني ولما تولى لم يكن لـه إلا الاسـم فقـط وكـان النفـوذ للصدر بطرونا خليل يولي من يشاء ويعزل من يشاء تبعا للأهواء والإغراض حتى عيل صبر السلطان من استبداده وتجمهر حوله رؤساء الإنكشارية لتعدي هذا الزعيم على حقوقهم واتفقوا على الغدر به تخلصا من شره فقتلوه. وبعد أن استتب الأمـن اسـتأنفت الدولـة الحرب مع مملكة الفرس وتغلبت الجيوش العثمانية على جنود الشاه طهماسـب في عـدة وقائع.

وفي غضون كانت الحروب كثيرة بين الدول الأوربية نفسها. وكذلك قامت الحرب بين الدولة وروسيا بسبب مملكة بولونيا. فأعلنت روسيا والنمسا الحـرب عـلى بولونيـا. ومـن جهة أخرى أشهرت فرنسا الحرب على النمسا دفاعا عن بولونيا. وسعت لدى الباب العـالي بواسطة المسيو دي بونفال الذي خدم الدولة بعد أن اسلم واشتهر فيها باسم احمـد باشـا قائد الطوبجية لاستمالته للدفاع عن استقلال بولونيا الحاجز الحصين بينها وبين روسـيا. و تغلبت روسيا واحتلت جنودها مملكة بولونيا. ولما أحست النمسا أن فرنسـا تسـعى وراء التحالف مع الدولة، خشيت من حصـول هـذا الاتفـاق الـذي يكـون نتيجتـه عـدم نجـاح مسعاها مع روسيا في بولونيا، أسرعت في إرضاء فرنسـا فأبرمـت معهـا معاهـدة فيينـا في سنة 1735. وأخذت في التأهب والاستعداد للاشتراك مع روسيا في محاربة الدولة. وأوعزت إلى روسيا بافتتاح القتال فاتخذت هذه الأخيرة مرور بعض قـوزاق القـرم مـن أراضـيها في مارس سنة 1736 متجهين إلى بلاد الكرج لمساعدة الدولة ضد العجم حجة لإعلان الحـرب. وأغارت بكل قواها على بلاد القرم واحتلت عددا من الثغور البحرية. وهو ما حدا بالدولة إلى إبرام الصلح مع نادر شاه لتتفرغ لصد هجمات الروس. ولحسن حظ الدولـة كـان قـد تقلد منصب الصدارة رجل محنك اشتهر بحسن السياسة وهـو الحـاج محمـد باشـا. فلـم يغفل طرفة عين عن جمع الجيوش وتجهيز المعدات حتى أمكنـه في اقـرب وقـت إيقـاف

تقدم الروس الذين كانوا قد احتلوا إقليم البغدان ودخلوا عاصمة الإقليم. ومن جهة أخرى انتصرت الجيوش العثمانية على جيوش النمسا التي أغارت على بلاد البوسنة والصرب و الفلاخ فانتصر المسلمون في الصرب والجؤوا النمساويين إلى الجلاء عنها تاركين في كل موضع قدم جثث رجالهم وتقهقروا إلى ما وراء نهر الدانوب في سنة 1737. واستمر الحال على هذا المنوال من النصر والفوز على الأعداء حتى طلبت النمسا الصلح بواسطة سفير فرنسا. فكان هذا الفوز الأخير اكبر مساعد للوصول إلى الصلح الذي تم بينهما وبين روسيا في سبتمبر سنة 1739 م. على أن تتنازل النمسا للدولة العثمانية عن مدينة بلغراد وما أعطي لها من بلاد الصرب و الفلاخ بمقتضى معاهدة بساروفتس. أما روسيا فتعهدت قيصرتها (حنه) بهدم قلاع ميناء آزاق وعدم تجديدها في المستقبل. وبعدم إنشاء سفن حربية أو تجارية بالبحر الأسود أو ببحر آزاق. بل تكون تجارتها على مراكب أجنبية وبان ترد للدولة كل ما فتحته من الأقاليم والبلدان وسميت هذه المعاهدة معاهدة بلغراد. وبذلك انتهت هذه الحرب باسترداد جزء عظيم مما فقدته الدولة من ممالكها بمقتضى معاهدة كارلوفتس.

وبعد ذلك بذل سفير فرنسا جهده في إقناع الباب العالي بضرورة الاتحاد مع السويد لمحاربة روسيا لو تعدت على إحداهما خوفا من أن يلحق بهما تباعا ما أودى ببولونيا وجعلها خاضعة فعلا لأوامر روسيا فاقتنعت الدولة. وأبرمت مع السويد محالفة هجوم ودفاع ضد روسيا في سنة 1740.

وفي هذه السنة تحصل سفير فرنسا على تجديد الامتيازات القنصلية وكافة المزايا الممنوحة للتجار الفرنساويين وأمضى الطرفان هذه المعاهد الجديدة في سبتمبر سنة 1740 وهي عبارة عن معاهدة سنة 1673 مع بعض تسهيلات جديدة لفرنسا وتجارتها. وأرسل السلطان سفيرا من طرفه اسمه سعيد ليقدم صورة المعاهدة إلى ملك فرنسا لويس الخامس عشر مع كثير من الهدايا الثمينة فقابله الملك بالاحتفاء والإكرام اللائق بمقام مرسله السامي.

وعند عودته شيعه بالتبجيل والإجلال و أرسل معه مركبين حربيين وجملة من المدفعية الفرنساويين هدية منه للخليفة الأعظم ليكونوا معلمين في الجيوش العثمانية فيمرنوا الجنود المظفرة على النظم الجديدة التي ادخلها لوفوا الشهير في الجيوش الفرنساوية . وكان هذا من بدايات البلاء الذي تتابع فيما بعد، بتولي ضباط ألمان في نهايات الدولة تدريب الجيش، مما مكن المدربين الأجانب من فرنسيين وألمان..من دس أفكار الثورة والتمرد على الخلافة، وزرع الأفكار القومية، والتنظيمات الماسونية في الجيش العثماني فيما بعد..

وبعد ذلك بقليل توفي شارل السادس إمبراطور النمسا في 20 من شهر أكتوبر سنة 1740 وتولت بعده ابنته ماريه تيريزه فاتحدت فرنسا مع بعض الدول على محاربة هذه الملكة واقتسام أملاكها لما بين فرنسا والعائلة الحاكمة في النمسا من الضغائن القديمة. وسعي فرنسا دائما في إذلال النمسا وهدم أركان سلطانها. وبسبب موت هذا الملك حصلت الحرب الشهيرة بين فرنسا والنمسا المعروفة في التاريخ بـ (حرب ارث ملك النمسا). التي استمرت عدة سنين وانتهت بفوز ماريه تريزه على فرنسا. ولما ابتدأت هذه الحرب أظهرت فرنسا للدولة العلية بواسطة سفيرها لدى الباب العالي ما يعود عليها من الفوائد لو اتحدت معها على محاربة النمسا. وعرضت عليها احتلال بلاد المجر واسترجاعها إلى أملاكها بحيث ترجع الدولة إلى ما كانت عليه من الاتساع أيام سليمان الأول القانوني ويمكنها بعد ذلك مقاومة روسيا والوقوف في طريق تقدمها. وأبانت لها أنها إن لم تفعل ذلك تقدمت روسيا شيئا فشيئا وقويت شوكتها تدريجيا حتى يخشى منها على وجود الدولة. وقد أثبتت الأحداث لاحقا أن هذه الملاحظات كانت صحيحة.. ولو أنها صادرة من فرنسا طمعا في نوال غايتها وهي إذلال النمسا..

وفي ديسمبر سنة 1754 توفي السلطان محمود الأول بالغا من العمر ستين سنة. وكانت مدة حكمه 25 سنة وفي أيامه اتسع نطاق الدولة بآسيا وأوروبا.

(25) -السلطان الغازي عثمان خان الثاني (1754- 1757 م):

وبعد أن تقلد السيف في جامع أبي أيوب الأنصاري على حسب العادة القديمة، عين في منصب الصدارة العظمى نشانجي علي باشا بدل محمد سعيد باشا الذي سبق تعيينه صدرا بعد عودته من مأموريته في فرنسا. فسار في طريق غير حميد حتى أهاج ضده الأهالي اجمع. ولكون السلطان كان من عادته المرور ليلا في الشوارع والأزقة متنكرا لتفقد أحوال الرعية والوقوف على حقيقة أحوالهم. سمع إثناء تجواله بما يرتكبه وزيره من أنواع المظالم والمفارم وبعد أن تحقق ما نسب إليه بنفسه أمر بقتله جزاء له وبوضع رأسه في صحن من الفضة على باب السراي عبرة لغيره.

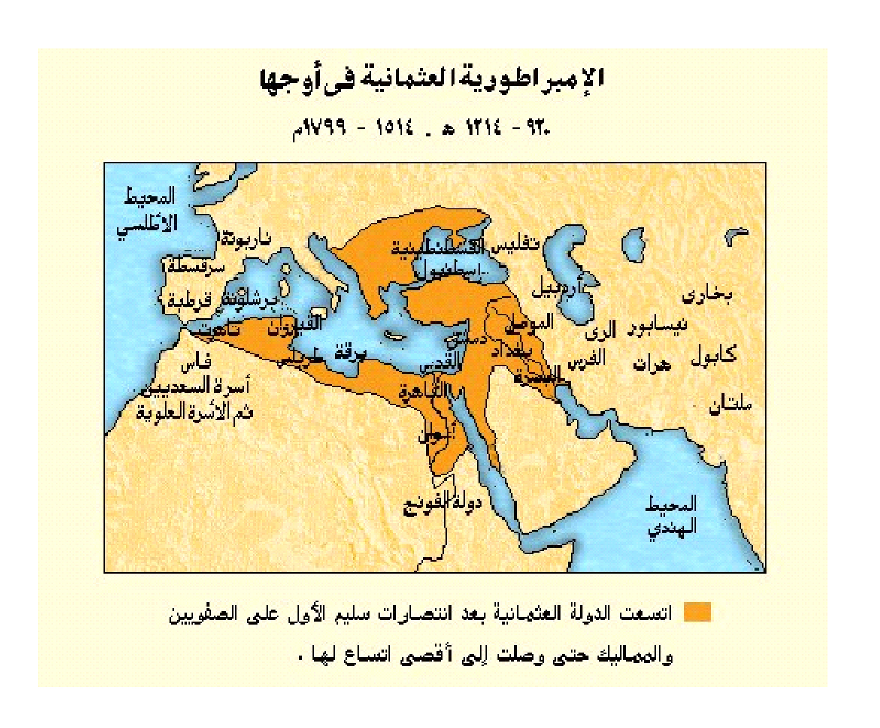
ثم توفي السلطان عثمان الثالث في أكتوبر سنة 1757 بدون أن يحصل في أيام حكمه القلائل ما يستحق الذكر وكانت مدة حكمه 3 سنين و 11 شهر وخلفه مصطفى الثالث.

(26) -السلطان الغازي مصطفى خان الثالث (1757- 1774م):

وهو ابن السلطان احمد الثالث وكان ميالا للإصلاح محبا لتقدم بلاده خصوصا وزيره الأول راغب باشا الذي مر ذكره. فاخذ هذا الوزير في إصلاح بعض الشؤون بمساعدة السلطان وتعضيده له. وبعد موت هذا الوزير الجليل نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا.وكانت روسيا قد تبنت توجها إمبراطوريا منذ عهد قيصرها بطرس الكبر، ووضعت برنامجا توسعيا طموحا نحو الشرق والغرب والجنوب.

ومن المفيد في هذا المقام أن نأتي بنصوص من وصية قيصر روسيا. وهي منقولة بحروفها من الجزء الأول من تاريخ جودت باشا. وتعطينا فكرتين هامتين:

- الأولى عن الصراع بين القوى الأوربية في القرن السابع عشر والثامن عشر.
- والثانية عن الأطماع الروسية التي لم تتبدل بعد القياصرة. وما زالت إلى اليوم.



وصية قيصر روسيا بطرس الأكبر لخلفائه:

- البند الأول: يجب أن تقاد العساكر دائما إلى الحرب. وينبغي للأمة الروسية أن تكون متمادية على حالة الكفاح لتألف الحرب... وعلى هذه الصورة ينبغي لروسيا أن تتخذ زمن الصلح والأمان وسيلة قوية للحرب. وكذلك زمن الحرب لأيام السلم. وذلك لأجل زيادة قوتها وتوسيع منافعها.
- البند الثاني: في وقت الحرب ينبغي اتخاذ جميع الوسائل الممكنة لاستجلاب ضباط للجنود من بين الملل والأقوام الذين هم أكثر تطورا في أوروبا. وكذلك في زمن الصلح يتعين استجلاب أرباب العلم والمعارف منهم أيضا. ويلزم الاعتناء بما يجعل الأمة الروسية تستفيد من منافع سائر الممالك ومحاسنها...

- البند الثالث: عندما تسنح الفرصة ينبغي التدخل في جميع الأمور والمصالح الجارية في أوروبا وفي اختلافاتها ومنازعتها. وعلى الخصوص في نزاعات ممالك ألمانيا...
- البند الرابع: ينبغي استعمال الرشوة لأجل إلقاء الفساد والبغضاء والحسد دائما في داخلية ممالك بولونيا وتفريق كلمتهم. واستمالة أعيان الأمة ببذل المال واكتساب النفوذ في مجلس الحكومة. حتى نتمكن من التدخل في انتخاب الملك وبعد الحصول على انتخاب من هو من حزب روسيا من تلك الأمة، ينبغي حينئذ دخول عساكر روسيا إلى داخل البلاد لأجل حمايتهم والتعصب لهم بإقامة العساكر المذكورة مدة طويلة هناك، إلى أن تحصل الفرصة لاتخاذ وسيلة تمكننا من الإقامة، وعندما تظهر مخالفة في ذلك من طرف الدول المجاورة فلأجل إخماد نار الفتنة مؤقتا ينبغي أن نقاسم المخالفين في ممالك بولونيا، ثم نترقب الفرص لاسترجاع الحصص التي تكون قد أعطيت لهم.
- البند الخامس: ينبغي الاستيلاء على بعض الجهات من ممالك اسوج بقدر الإمكان ثم نسعى في اغتنام وسيلة لاستكمال الباقي منها، ولا نتوصل إلى ذلك إلا بوجه تضطر فيه تلك الدولة إلى أن تعلن الحرب على دولة روسيا وتهاجمها، والذي يلزم أولا هو أن نصرف المساعي والهمة لإلقاء الفساد والنفرة دائما بين اسوج والدانمرك بحيث ان يكون الاختلاف والترقب بينهم دائمين باقيين.
- البند السادس: يجب على الأسرة الإمبراطورية الروسية أن يتزوجوا دائما من بنات العائلة الملكية الألمانية. وذلك لتكثير روابط الزوجية والاتحاد بينهم واشتراكهم في المنافع. إذ بهده الصورة يمكن إجراء نفوذهم في داخل ألمانيا وبهذا يربطون أيضا الممالك المذكورة لصالح منافعنا ومصالحنا.
- البند السابع: إن دولة إنكلترا هي الدولة الأكثر احتياجا إلينا في أمورها البحرية ولهذه الدولة فائدة عظيمة جدا لزيادة قوتنا البحرية. فلذلك من الواجب ترجيح الاتفاق معها في أمر التجارة على سائر الدول. وبيع

محاصيل ممالكنا كالأخشاب وسائر الأشياء إلى إنكلترا وجلب الذهب من عندهم إلى ممالكنا. واستكمال أسباب الروابط والمناسبات بين تجار وملاحـي الطـرفين. فيتوسـع بهذه الوسيلة أمر التجارة وسير السفن في ممالكنا.

- البند الثامن: على الروسيين أن ينتشروا يوما فيومـا شـمالا في سـواحل بحـر البلطيـق وجنوبا في سواحل البحر الأسود.
- البند التاسع: ينبغي التقرب بقدر الإمكـان مـن اسـتانبول والهنـد، وحيـث انـه مـن القضايا المسلمة أن من يحكم عـلى اسـتانبول يمكنـه حقيقـة أن يحكـم عـلى الـدنيا بأسرها. فلذلك من اللازم إحداث الحروب المتتابعة تارة مع الدولـة العثمانيـة وتـارة مع الدولة الإيرانية. وينبغي ضبط البحر الأسود شيئا فشيئا وذلـك لأجـل إنشـاء دار صناعات بحرية فيه. والاستيلاء على بحر البلطيـق أيضـا، لأنـه أهـم موقـع لحصـول المقصود. وللتعجيل بضعف بل بزوال دولة إيـران لـنتمكن مـن الوصـول إلى خلـيج البصرة، وربما نـتمكن مـن إعـادة تجـارة الممالـك الشرقيـة القديمـة إلى بـلاد الشـام، والوصول منها إلى بلاد الهند، التي هي بمثابة مخزن للدنيا. وبهذه الوسيلة نسـتغني عن ذهب إنكلترا.
- البند العاشر: ينبغي الاهتمام بالحصـول عـلى الاتفـاق والاتحـاد مـع دولـة اوسـتريا (النمسا)، والمحافظة على ذلك ومن اللازم التظاهر بقبول أفكار الدولة المشار إليهـا من جهة ما تطمع إليه من النفوذ في المستقبل في بلاد ألمانيا. وإما باطنا فينبغـي لنـا أن نسعى في تحريك حسد وعداوة سائر حكام ألمانيا لها. وتحريك كل مـنهم لطلـب الاستعانة والاستمداد من دولة روسيا ضدها. ومن اللازم إجـراء نـوع حمايـة للـدول المذكورة بصورة يتسنى لنا فيها الحكم على تلك الدول في المستقبل.
- البند الحادي عشر: ينبغي تحـريض العائلـة المالكـة في اوسـتريا عـلى طـرد الأتراك وإبعادهم مـن قطعـة الـروملي (الأراضي العثمانيـة عـلى سـواحل غرب بحر مرمـرة) وحيـنما نسـتولي عـلى اسـتانبول. علينـا أن نسـلط دول أوروبا القديمة على دولة اوستريا حربـا، أو نسـكن حسـدها ومراقبتهـا لنـا

بإعطائها حصة صغيرة من الأماكن التي نكون قد أخذناها من قبل. وبعده نسعى بنزع هذه الحصة من يدها.

- البند الثاني عشر: ينبغي أن نستميل لجهتنا جميع المسيحيين الذين هم من مذهب الروم المنكرين رياسة البابا الروحية والمنتشرين في بلاد المجر والممالك العثمانية في جنوبي ممالك بولونيا (أتباع المذهب الأرثوذوكسي) ونجعلهم يتخذون من دولة روسيا مرجعا ومعينا لهم. ومن اللازم قبل كل شيء إحداث رياسة مذهبية حتى نتمكن من إجراء نوع نفوذ وحكومة رهبانية عليهم. فنسعى بهذه الواسطة لاكتساب أصدقاء كثيرين ذوي غيرة نستعين بهم في ولاية كل من أعدائنا.

- البند الثالث عشر: حينما يصبح الاسوجيون متشتتين، والإيرانيون مغلوبين، والبولونيون محكومين والممالك العثمانية مضبوطة. أيضا حينئذ نجمع معسكراتنا في محل واحد مع المحافظة على البحر الأسود وبحر البلطيق بقوتنا البحرية. وعند ذلك نظهر أولا لدولة فرنسا كيفية مقاسمة حكومات الدنيا بأسرها بيننا ثم لدولة اوستريا. ويعرض ذلك على كل من الدولتين المشار إليهما كل منهما على حدة بصورة خفية جدا لقبول ذلك وحيث انه لا بد من أن تقبل إحداهما، فعند ذلك ينبغي مداراة واحترام كل منهما. وأن نجعل من كان منهما قابلا بما عرضناه عليهما واسطة للتنكيل بالأخرى. و تكون روسيا حينئذ قد ضبطت جميع الممالك الشرقية. عند ذلك يسهل علينا أن نقهر وننكل فيما بعد أية دولة بقيت في الميدان من الدولتين المذكورتين.

- البند الرابع عشر: على فرض المحال أن كلا من الدولتين المشار إليهما لم تقبل بما عرضته عليهما روسيا. فينبغي حينئذ لروسيا أن تنصرف لمراقبة ما يحدث من النزاع والخلاف بينهما. فإذا وقع ذلك فلا بد أن يحصل تعب للطرفين. وفي ذلك الوقت يجب على روسيا أن تنتظر الفرصة العظيمة وتسوق حالا عسكرها المجتمعين أولا بأول على ألمانيا. فتهجم في تلك الجهات. ثم تخرج أسطولين من السفن أحدهما من بحر ازاق حيث يحتشد

عساكرنا، من أقوام الأناضول المتنوعة. والثاني من ليمان خليج ارخانكل الكائنة في البحر المتجمد الشمالي. فتسير هذه السفن وتمر في البحر الأبيض والبحر المحيط الشمالي مع الأسطول المرتب في البحر الأسود وبحر البلطيق. وتهجم على سواحل فرنسا. وأما ألمانيا فانها تكون إذ ذاك مشغولة بحالها.وبما ذكرناه تصبح المملكتان المذكورتان مغلوبتين . فالقطعة التي تبقى من أوروبا تدخل تحت الانقياد بسهولة وبدون محاربة وتصير جميع قطعة أوروبا قابلة للفتح والتسخير.] ا هـ

وبعد اشتعال المعارك بين الروس والعثمانيين. وفي يونيو سنة 1772 م تهادن الفريقان بناء على توسط النمسا ثم طلب مندوب كاترينه الاعتراف باستقلال تتار القرم وحرية الملاحة لسفن روسيا التجارية في البحر الأسود وجميع بحار الدولة العثمانية. ولما لم تقبل الدولة هذه الشروط انفض الجمع على غير جدوى ثم مدت المهادنة سبعة اشهر واجتمع المؤتمر ثانية و طلبت كاترينه بلسان مندوبها طلبات أكثر إجحافا بحقوق الدولة وأرسلت بها بلاغا نهائيا 15 نوفمبر سنة 1773 وكان من تلك الشروط:

(سابعا: أن يكون لروسيا حق حماية جميع المسيحيين الأرثوذكسيين في بلاد الدولة العثمانية...)

ويظهر للمطلع على تلك الشروط أن كاترينه ما كانت تظن قبول الدولة لها بل جعلتها طريقة لاستمرار الحرب. ولذلك رفضتها الدولة العثمانية، وأصدرت أوامرها للجيوش باستئناف القتال بكل شدة خصوصا في بلاد الطونه فانهزم الروس عدة هزائم.

ثم توفي السلطان مصطفى الثالث في يناير سنة 1774 وبلغت مدة حكمه ست عشرة سنة وثمانية شهور وذكر أنه كان عادلا محبا للخير وله عدة مآثر خيرية كالمدارس و التكايا .

(27) -السلطان الغازي عبد الحميد خان الأول (1774- 1789م):

وهو ابن السلطان احمد الثالث. وكان قد قضى مدة حكم أخيه مصطفى الثالث محجوزا في سرايته كما جرت به العادة.

وفي أول عهده كانت روسيا تستعد استعدادا هائلا لرد ما فقدته من الاسم والشرف في أواخر أيام مصطفى الثالث. ولم يأت شهر يونيو سنة 1774 إلا و زحفت جيوشها إلى معسكر الصدر الأعظم... وبعد عدة انتصارات طلب الصدر من رومانزوف المهادنة وتوقيف القتال، وأرسل إليه مندوبين للاتفاق على عقد الصلح وقبول الشروط التي رفضتها الدولة عند اجتماع مؤتمر بوخارست. وبعد محادثات طويلة بين الطرفين قبل الصدر المعاهدة التي تم الاتفاق عليها في يوليو سنة 1774 وهي مكونة من ثمانية وعشرين بندا، وتعتبر بداية الدلائل على انهيار الدولة العثمانية:

أهمها استقلال تتار القرم و بسارابيا و قوبان - مع حفظ سيادة الدولة العثمانية عليهم فيما يتعلق بالأمور الدينية - وتسليم كافة البلاد والأقاليم التي احتلتها روسيا إلى خان القرم ما عدا قلعتي كريش ويكي قلعه. ورد ما اخذ من أملاك الدولة في الفلاخ و البغدان وبلاد الكرج و منكريل وجزائر الروم ما عدا بعض المناطق- وان يعطى إلى إمبراطور روسيا لقب بادي شاه في المعاهدات والمحررات الرسمية – وان يكون للمراكب الروسية حرية الملاحة في البحر الأسود والبحر المتوسط .

وان تبني روسيا كنيسة بقسم بيرا بالآستانة ويكون لها حق حماية جميع المسيحيين التابعين للمذهب الأرثوذكسي من رعايا الدولة – وان تكون كافة المعاهدات السابقة لاغية -... وغير ذلك.

ومن الغريب انه لم يذكر شيء فيها عن مملكة بولونيا وهي سبب هذه الحرب التي عادت على الدولة بأوخم العواقب .

وأضيف إلى هذه المعاهدة بندان سريان جاء في أحدهما أن الدولة تدفع إلى روسيا مبلغ خمسة عشر ألف كيس بصفة غرامة حربية على ثلاثة أقساط

متساوية في أول يناير سنة 1775 وسنة 1776 وسنة 1777. وفي الثاني أنها تقدم لروسيا المساعدات المقتضية للجلاء عما احتلته من جزائر الروم وسحب أسطولها منها.

وكانت هذه أول مرة تدفع فيه الدولة العثمانية الجزية لدولة أخرى !!!.

ومن المفيد الإطلاع على بعض البنود من نص تلك المعاهدة التي دعيت (معاهدة قينا رجه) نقلا عن ترجمة الجزء الأول من تاريخ جودت باشا:

- المادة الأولى: كل ما سبق وقوعه بين الدولة العثمانية ودولة روسيا من عداوة ومخاصمة قد محي وأزيل من الآن وإلى الأبد. وكل الأضرار والتعديات التي صار الشروع في استعمالها وإجرائها من الطرفين بالآلات الحربية وبغيرها صارت نسيا منسيا إلى الأبد. ولا يجري بعد الآن ولا في وقت ما انتقام. بل صار الصلح برا وبحرا عوضا عن العدوان بوجه لا يعتريه التغير. بل يراعى ويصان من طرف الهمايوني ومن طرف خلفائي الاماجد. وكذلك يحفظ ويصان ما جرى تمهيده مع ملكة روسيا المشار إليها وحلفائها من الاتفاق والموالاة الصافية المؤبدة والسالمة من التغيير. وتستمر هذه المواد جارية ومعتبرة بكمال الدقة والاهتمام وتكون قضية الموالاة مرعية بهذه الصورة بين الدولتين وفي أملاكهما وبين رعايا الطرفين بحيث لا تقع فيما بعد ضدية بين الفريقين لا سرا ولا جهرا ولا نوع من أنواع البغضاء والأضرار..
- ومما جاء في المادة الثامنة: تعطى الرخصة التامة لرهبان دولة روسيا ولسائر رعاياها بزيارة القدس الشريف وسائر الأماكن التي تستحق الزيارة ولا يتكلف المسافرون ولا السائحون لدفع نوع من أنواع الجزية والخراج و(الويركو) أصلا. ولا يطلب ذلك منهم إثناء الطريق لا في القدس الشريف ولا في سائر ألاماكن. وتعطى لهم الفرمانات بالوجه اللائق مع أوامر الطريق التي تعطى إلى رعايا سائر الدول. والذين يقيمون منهم في أراضي دولتي العلية لا يمكن أن يحصل لهم تعرض ومداخلة بوجه من الوجوه. بل تصير حمايتهم وصيانتهم تماما بمقتضى قوة أحكام الشريعة .

- وجاء في المادة الرابعة عشرة: يجوز لدولة روسيا أن تبنى كنيسة على الطريق العام فى محلة بك أو غلي في جهة غلطة غير الكنيسة المخصوصة قياسا علي سائر الدول. هذه الكنيسة هي كنيسة العوام وتسمى كنيسة دوسوغرنه وتكون تحت صيانة سفير دولة روسيا إلى الأبد وتكون أمينة من كل تعرض.
- وجاء في المادة السادسة عشرة:

- ثانيا: الديانة المسيحية تكون من كل الوجوه حرة كالأول ولا يحصل ممانعة لإجرائها قط ولا يمنع إحداث كنائس جديدة ولا ترميم الكنائس القديمة.
- ثالثا: الأراضي والأملاك الموجودة ضمن دائرة ابرائل وخوتين وفي سائر المواضع المأخوذة بغير حق المتعلقة من القديم بالأديرة وبسائر الأشخاص فهذه جميعا ترد للمرسومين المعبر عنهم الآن بالرعايا.
- رابعا: يكون لجماعة الرهبان الاعتبار بما يناسبهم من الامتياز....
- ثامنا: بعد انقضاء هذه المهلة تتعهد دولتنا العلية بمعاملتهم بالمروءة الكلية في أمر تعيين الجزية وتحافظ على سخائها الجليل على قدر الإمكان ويصير تأدية جزيتهم بواسطة مبعوثيهم مرة في كل سنتين وبعد أداء هذه الجزية بتمامها فلا يتعرض لهم احد أصلا كائنا من كان من باشا أو حاكم ولا يطالبون بشيء ما من اقتراحات الضرائب بأي اسم كانت. بل يكونون متمتعين بالامتيازات التي تمتعوا بها في الزمن السعيد أيام سلطنة جدي الأمجد السلطان محمد خان الرابع.
- تاسعا يرخص لأمراء هذه الحكومات أن يقيم من طرفه وكيلا لدى دولتي العلية باسم مصلحتك دار ويكون هؤلاء الوكلاء نصارى من ملة الروم بدلا عن (القبوكتخدايات) الذين كانوا يتعاطون رؤية أمور الملك وتجري في حقهم من جانب دولتي العلية المعاملة بكمال المروءة وينالون ما يستحقونه بحسب قواعد الملل أي أنهم يكونون معتبرين ومن كل تعرض آمنين ومصانين.

- عـاشرا: تعطـى الرخصـة وتحصـل الموافقـة مـن جانـب لدولـة العليـة إلى سـفراء إمبراطوريـة روسـيا بـان يتـذاكروا عنـد الاقتضـاء فـيما يتعلـق بصـيانة ومسـاعدة الحكومتين المذكورتين وتتعهد الدولة العلية برعاية ما يعرضه سفراء روسيا من المواد بحسب اعتبار الصداقة اللائقة بالدولتين.

- وجاء في المادة العشرون:

بحسب مفهـوم السـندات التـي عقـدت بـين الحـاكم توليسـتوي وبـين حسـن باشـا محـافظ آجـو بتـاريخ سـنة 1700 ميلاديـة وسـنة 1100 هجريـة خصصـت قلعـة آزاق بحدودها الأولى إلى دولة روسيا للأبد .

- وجاء في المادة الثالثة والعشرون:

... ودولتي العلية تتعهد أيضا بحسب مضـمون المـادة السـابقة بـان تشـمل بـالعفو جميع الذين صدرت منهم حركات ضد دولتي العلية في أثناء امتداد المحاربـة و أن تكـف يدها إلي الأبد عن اخذ الويركو عن الصبيان و البنات و عن طلب أي نوع كان من الجزية وانه ما عدا الذين لهم تعلـق بهـا مـن القـديم لا تـدعي عـلي فـرد واحـد مـن الطوائـف المذكورة بكونه من رعاياها وأنها تترك مرة أخرى جميع الأراضي وسائر الاستحكامات التـي ضبطها الكرجيون والمكريون لحكومتهم ولمحافظتهم المطلقـة وأنهـا لا تتعـرض ولا تجـري تضييقا على أديرة وكنائس الديانة بوجه ما ولا تمنع ترميم القـديم ولا بنـاء الجديـد منهـا وبأن تمنع باشا جلدر وجميع رؤساء الجيوش والضباط من التعـرض بـأي داع كـان لأمـوال الأديرة والكنائس المذكورة وإضاعتها ولا تتعرض دولة روسيا للطوائف المذكورة ولا تتدخل في أمورهم لأنهم من رعايا دولتي العلية.

- وجاء في المادة الخمسة والعشرون: جميع أسرى الحـرب مـن ذكـور و إنـاث من أي درجة ورتبة كانوا يسرحون و يردون الى أوطـانهم ماعـدا المسـيحيين الذين دخلوا في الدين المحمدي بإرادتهم في دولتي العلية والمسلمين الـذين تنصروا بإرادتهم في أثناء وجودهم في أراضي روسيا وهكذا كله بعـد مبادلـة التصديق على صكوك هذه العهدة المباركة حالا بلا عـذر أصـلا وبـلا عـوض

وبغير فدية. وكذلك جميع المسيحيين الذين وقعوا في الاسترقاق من بولونيين و بغدانيين و افلاقيين و من أهالي الموره والجزائر و الكرجيين كافة بلا استثناء يعتقون بلا ثمن وبغير عوض وكذلك الذين استرقوا من رعايا روسيا ووجدوا في ممالكي المحروسة يصير تسليمهم وردهم إلى مواطنهم وذلك بعد انعقاد المصالحة المباركة وكذلك تجري هذه الأمور أيضا بهذه الصورة عينها في حق رعايا دولتي العلية.

- وجاء في المادة الثامنة و العشرون:

وبما أن الصدر الأعظم و فلدمار شال دولة روسيا بتروقونت رومان جوف قد فوض إليهما من طرفي الهمايوني ومن طرف إمبراطورية روسيا المشار إليها أمر تمهيد عقود وعهود عهدة الصلح المباركة المنعقدة فجميع مواد الصلح المؤبد المسطر في العهدة المذكورة يصير إمضاؤها من طرف الصدر الأعظم و فلد مارشال وختمها بأختامها للتصديق كما لو كانت جرت بحضورهما والمواد المنعقدة التي تمهدت وصار الوعد بها تراعى مراعاة قوية بدون تغيير ولا تبديل وتجري بالدقة بحسب منطوقها ولا يفعل شيء مخالف لها قطعيا ويحرر في المواد المذكورة التي تقررت وجرى التصديق عليها من طرف الصدر الأعظم و الفلد مارشال المشار إليهما سندان ممضيان بامضائهما ومختومان بخاتميهما....

- وجاء في الخاتمة:

إن ما جري تحديده و تمهيده بحسب المواد المذكورة من الصلح و الصلاح المبطل للحرب و الكفاح يكون مقررا و معتبرا من بعد الآن... و كذلك شرط المادتين المحررتين... ذكر مادتان في خاتمة العهدة:

- إحداهما تتضمن المصاريف الحربية وذلك لان الدولة العثمانية كانت تعهدت بتأدية خمسة عشر ألف كيس لروسيا في مدة ثلاث سنين يدفع منها في كل سنة قسط وهو خمسة آلاف كيس.

- والمادة الثانية سرعة تخلية جزائر البحر الأبيض تأييدا لما هو مذكور في المادة السابعة عشرة من العهدة المذكورة وأسطول روسيا الموجود في البحر الأبيض وان كان مشترطا في المادة المذكورة انه يخرج في مدة ثلاثة اشهر فدولة روسيا قد تعهدت بإخراجه قبل المدة المذكورة إذا أمكن. انتهى.!!!

وبذلك انتهت هذه الحرب ونالت روسيا أقوى أمانيها بعد إذلال مملكة اسوج ومحوها من العالم السياسي تقريبا بحصرها ضمن حدودها الطبيعية. وهي طمس آثار مملكة بولونيا من الوجود كلية تقريبا وتجزئة معظمها بينها وبين النمسا وبروسيا بمقتضى معاهدة بين روسيا وبروسيا في 7 فبراير سنة 1772 وقبلتها النمسا في ابريل وأعلنت لملك بولونيا في 18 سبتمبر سنة 1772 وبذلك سقط الحاجزان الأولان من الحواجز الثلاثة الحائلة بين تقدم روسيا من جهة أوروبا وأمكنها أن توجه كل قواها لمكافحة الدولة العثمانية.

استيلاء روسيا على بلاد القرم:

أما روسيا فأخذت تبث رجالها في بلاد القرم لإيجاد المشاغبات الداخلية بها و بالتالي لابتلاعها وضمها الى أملاكها. و ما زالت مستمرة في إلقاء الدسائس ونشر الفتن بين الأهالي حتى عزلوا أميرهم دولت كراي الذي انتخبه الأهالي بمقتضى نصوص معاهدة قينا رجه واحتلت روسيا تلك البلاد بسبعين ألف جندي كانوا منتظرين على الحدود لهذه الغاية فتم لها مقصدها الذي كانت تسعى وراءه من مدة وهو امتلاك كافة سواحل البحر الأسود الشمالية في غضون سنة 1773 فهاجت الدولة وأرادت إشهار الحرب على روسيا. لكن حولت أنظارها ثانيا عن الحرب بمساعي فرنسا لعدم استعداد الدولة وقدرتها في ذاك الوقت على مقاومة روسيا فبلت مشورة فرنسا والاعتراف بضم القرم لروسيا واعترفت بذلك في سنة 1774 م. لكن لم يكن قصد روسيا ومساعديها إلا انتشاب القتال، وأرسلوا جواسيسهم إلى بلاد اليونان وولايتي الفلاخ من البغدان لتهييج المسيحيين على الدولة. وفي سنة 1787 م ساحت كاترينه في البلاد الجنوبية وبلاد القرم بأبهة واحتفال زائد وأقام لها القائد بوتمكين أقواس نصر كتب عليها: (طريق بيزنطة) فعلمت الدولة من

كل هذه الأحوال أنها تقصد محاربتها ثانيا. ولذلك أرادت هي المبادرة بإعلان الحرب قبل تمام استعداد أعدائها.. وفي هذه الأثناء كانت النمسا أعلنت الحرب على الدولة مساعدة لروسيا. وحاول إمبراطورها يوسف الثاني الاستيلاء على مدينة بلغراد فعاد بالخيبة إلى مدينة تمسوا ر حيث اقتفى أثره الجيش العثماني وانتصر عليه نصرا مبينا. ثم بعد ذلك بقليل توفي السلطان عبد الحميد الأول في 12 رجب سنة 1203 ه 8 ابريل سنة 1789 بالغا من العمر 66 سنة ومدة حكمه 15 سنة وثمانية شهور وتولى بعده سليم الثالث.

(28) - السلطان الغازي سليم خان الثالث (1789- 1807م):

وهو ابن السلطان مصطفى الثالث. تولى وجو السياسة مكفهر، ورحى الحرب دائرة فبذل جهده في تقوية الجيوش وإرسال المؤن والذخائر. لكن اليأس كان قد استولى على الجنود وغادر كثير منهم مراكزهم. وفي هذه السنة اتحد القائد الروسي مع قائد الجيوش النمساوية في الأعمال الحربية وضما جيوشهما لبعضهما فاستظهرا على العثمانيين في سبتمبر سنة 1789 م استولى الروس على مدينة بندر الحصينة واحتلوا معظم بلاد الفلاخ و البغدان و بسارابيا ودخل النمساويون مدينة بلغراد وفتحوا بلاد الصرب . فكانت الدولة في خطر عظيم. ولو استمر اتحاد النمسا وروسيا لفقدت اغلب أملاكها لكن من حسن حظها توفي الإمبراطور يوسف سنة 1790 م وخلفه ليوبولد الثاني فشغلته الثورة الفرنسية التي قامت على الملك لويس السادس عشر خوفا من امتداد لهبها. وسعت النمسا في مصالحة الدولة العثمانية وردت إليها النمسا بلاد الصرب ومدينة بلغراد وجميع فتوحاتها تقريبا.

إلا أن روسيا لم تتبع النمسا حليفتها في طريق الصلح بل استمرت على محاربة الدولة بمفردها. ثم توسطت إنكلترا وبروسيا وهولندا بين الدولة وروسيا وتم الصلح بين الطرفين في سنة 1792 على أن تمتلك روسيا بلاد القرم نهائيا وجزء من بلاد القوبان و بسارابيا و الأقاليم الواقعة بين نهري بوج و دينستر بحيث يكون هذا النهر الأخير فاصلا بين المملكتين، وتتنازل لها الدولة العثمانية

عن مدينة اوزي اوتشاكوف. وأمضيت بذلك معاهـدة في مدينـة يـاش أطلـق عليهـا اسـم هذه المدينة نسبة إليها.

وبعد إتمام الصلح مع النمسا وروسيا أخذت الدولـة في إصـلاح داخليتهـا وخصوصـا العسكرية والبحرية فعين احد المتقربين من السلطان واسمه كوشـك حسـين باشـا قبطانـا عاما وكان من الشبان الذين درسوا في أوروبا. وزوجه السلطان إحـدى أخواتـه فاسـتحضر عددا عظيما من مهرة المهندسين من السويد وفرنسا لصب المدافع في معامـل الطوبخانـة، وأصلح مدرسة البحرية ومدرسة الطوبجية التي أسسها البارون دي تـوت المجـري وتـرجم لتلامذتها مؤلفـات المعلـم فوبـان الفرنسـاوي في فـن الاسـتحكامات. وأضـاف إلى مدرسـة الطوبجية مكتبة جمع فيها أهم ما كتب في الفنون الحربية الحديثـة والرياضـيات لتكـون التلامذة على إطلاع تام في العلوم العصرية.و وضع نظاما للجنود المشـاة وشرع في تنسـيق فرق جديدة وتدريبها على النظام الأوروبي، فأنشأ أول فرقة منتظمة في سنة 1796 وجعـل عددها 1600 جندي تحت قيادة ضابط إنكليزي دخل في الدين الإسـلامي وسـمي إنكليـز مصطفى وكان القصد من ترتيب العساكر النظامية الاستغناء بهم عن جنود الإنكشارية.

وفي سنة 1798 أمرت الجمهورية الفرنساوية بونابرت القائد الشهير بالمسير إلى مصر لفتحها بغير إعلان حرب على الدولة العثمانية وأوصته بكتمان هذا الأمر حتى لا تعلم بـه إنكلترا فتسعى في إحباطه وكان القصد منه منع مرور تجارة الإنكليز مـن مصر إلى الهنـد. وحصلت بينه وبين أمراء المماليك واقعة الأهرام التي اظهر فيها المماليك من الشجاعة مـا أدهش الفرنساويين. وبعد أن بذلوا وسـعهم في الـدفاع عـن مصر. تقهقـروا أمـام المـدافع الفرنساوية فدخل بونابرت وجيوشه مدينة القاهرة بعـد أن أعلـن بهـا انـه لم يـأت لفـتح مصر بل انه حليف البـاب العـالي. وأنـه أتى لتوطيـد سـلطته ومحاربـة المماليـك العاصـين أوامره، كما زعم الإنكليز بعد ذلك عند دخولهم مصر سنة 1882.

و لكن لم يلبث ان وصله خبر واقعة أبي قير البحرية التي دمر فيها نلسن أمير البحر الإنكليزي الشهير جميع المراكـب والسـفن الحربيـة الفرنسـاوية في

أغسطس سنة 1798. وتسلطن الإنكليز على البحر المتوسط، وقطعوا المواصلات بينه وبين فرنسا. ولما علمت الدولة العثمانية باحتلال الفرنساويين القطر المصري أخذت في الاستعداد لمحاربتهم لاسيما وأنها كانت مطمئنة البال من جهة النمسا وروسيا اللتين كانتا مشتغلتين بمحاربة الجمهورية الفرنساوية خوفا من امتداد مبادئ الثورة الفرنسية إلى بلادهم فتفل عروشهم كما حصل للويس السادس عشر ملك فرنسا. ومن جهة أخرى عرضت عليها الدولة الإنكليزية مساعدتها على إخراج الفرنساويين من مصر لا رغبة في حفظ أملاك الدولة بل خوفا على طريق الهند من أن تكون في قبضة دولة قوية يمكنها معاكستها فقبلت الدولة العثمانية مساعدتها بكل ارتياح. وكذلك عرضت عليها روسيا إمدادها بمراكبها الحربية وانضمامها إلى السفن العثمانية والإنكليزية فقبلت أيضا. وأعلنت الحرب رسميا على فرنسا في سبتمبر سنة 1798. وأخذت الدولة في جمع الجيوش بمدينة دمشق وبجزيرة رودس لإرسالها إلى مصر واتت السفن الروسية من البحر الأسود إلى بوغاز الآستانة وخرجت إلى البحر الأبيض مع السفن العثمانية وذلك بمقتضى معاهدة أبرمت بين هذه الدول الثلاث التي اتفقت لأول مرة على عمل حربي مع ما بين الدولة العلية وروسية من العداوة القديمة المستمرة. ولما شعر بونابرت باجتماع الجيوش لمحاربته تحقق أن من يحتل مصر لا يكون آمنا عليها إلا إذا احتل القطر السوري. فلهذه الدواعي عزم بونابرت على فتح بلاد الشام. و دخل الرملة ثم يافا. ثم حاصر مدينة عكا من جهة البر ولم يدخلها لتيقظ احمد باشا الجزار قائد حاميتها. وفي أوائل ابريل بلغه تحرك جيش دمشق العثماني لإنجاد مدينة عكا فأرسل القائد كليبر لمحاربته ومنعه من الوصول إليها فالتقى بالعثمانيين عند جبل وأنجده بونابرت فتفرق الجيش المجتمع. وقطع نابليون بعدم النجاح وعاد بمن بقي من جيوشه إلى القاهرة. وفي أغسطس سافر بونابرت من الإسكندرية قاصدا فرنسا خفية مع بعض قواده حتى لا يضبطه الإنكليز القاطعون بمراكبهم سبل البحر الأبيض على الفرنساويين، وذلك أن الأميرال الإنكليزي أرسل إليه عدة نسخ من الجرائد الفرنساوية المذكور بها خبر تغلب النمساويين على فرنسا ووقوع

الفوضى في داخليتها فأراد بونابرت الرجوع إليها لاستمالة الخواطر إليه.. فغادره تاركا القائد كليبر وكيلا عنه. فبقي الجيش الفرنساوي بمصر بدون مراكب تحميه من نزول الإنكليز والعثمانيين على الثغور أو تأتي إليه بالمدد أو مجرد الأخبار من فرنسا. ونقص عدده إلى خمسة عشر ألفا بعد من مات ببر الشام بالطاعون والحرب. وظهر أن هذا العدد غير كاف لحماية السواحل وحفظ الطريق والمحافظة على الأمن في الداخل. ولذلك يئس القائد كليبر من حفظ مصر واتفق مع الباب العالي والأميرال سدني سميث في 24 يناير سنة 1800 على أن تنسحب العساكر الفرنساوية بسلاحها ومدافعها وترجع فرنسا على مراكب إنكليزية. وسار بعدها لمحاربة الجيش التركي الذي أتى إلى مصر في مارس سنة 1800، وبعد محاربة عنيفة فاز كليبر بالنصر وعاد إلى القاهرة فوجدها في قبضة ابراهيم بيك احد أمراء المصريين. فأطلق القنابل عليها وخرب منها جزءا عظيما واستمر الحرب في شوارعها نحو عشرة أيام. وفي 14 يونيه سنة 1800 قتل مجاهد فدائي من مدينة (حلب حرسها الله) اسمه (سليمان الحلبي) القائد كليبر في بستان السراي وهرب. فضبطوه و قتلوه هو ورفاق له ثلاثة اتهموا معه في القتل، منهم الشيخ الذي أفتاه بذلك في بيت المقدس رحمهم الله. ثم عين مكانه الجنرال مينو وكان قد زعم أنه اعتنق الدين الإسلامي وتسمى عبد الله مينو!!.

ولما علم الإنكليز والعثمانيون بموت كليبر وخروج بونابرت من مصر. أيقنوا بالغلبة عليهم وانزلوا بابي قير ثلاثين ألف مقاتل تحت قيادة الجنرال ابركرومبي في أوائل سنة 1801 فسار القائد مينو لمحاربتهم فانهزم أمامهم. ثم سار الإنكليز والأتراك إلى القاهرة وحصروا من بقي منها من الفرنساويين.. أما القائد مينو فبقي محصورا في الإسكندرية ولم يقبل التسليم إلا في سبتمبر سنة 1801 بعد أن وقعت بينه وبين العثمانيين والإنكليز موقعة عظيمة قتل فيها كثير من الطرفين فخرج منها مع من بقي معه وسافر إلى بلاده على مراكب الإنكليز وبذلك انتهت الحرب ورجعت البلاد إلى العثمانيين.

وبعد ذلك اتصل بونابرت الذي كان تعين رئيسا للجمهورية الفرنسية مع سفير الدولة العثمانية واظهر له ضرر اتحاد الدولة مع روسيا وإنكلترا خصوصا وان روسيا قد احتلت جزائر اليونان الواقعة ما بين جنوب ايطاليا وبحيث جزيرة موره وجنود إنكلترا باقية بمصر مماطلة في إخلائها، وما احتلته من ثغور الشام. وأخيرا أقنعه بوجوب تجديد العلاقات الودية مع فرنسا فكاتب السفير العثماني دولته بذلك. وبعد الحصول منها على الإذن أمضى مع بونابرت مشروع معاهدة سنة 1801. أساسها إخلاء مصر وتأييد امتيازات فرنسا السابقة في الشرق.

وفي هذه الأثناء حصلت في داخلية الدولة بعض اضطرابات بسبب شروع السلطان سليم الثالث في تنظيم الجيوش على النظام الجديد فان الإنكشارية لم ينظروا لهذه الإصلاحات العسكرية بعين الارتياح. فلما مات الجنرال دو بايت الفرنساوي الذي كان استحضر لتدريب النظام في سنة 1797 سعى الإنكشارية مع بعض العلماء المتذمرين من توجهات السلطان الغربية. وكان السلطان قد أصدر أمرا ساميا بفصل المدفعية عن الإنكشارية وتنظيمها ويكون مقرهم في الآستانة وان يكون لكل منهم موسيقى عسكرية وإمام لتعليم الدين وإقامة الصلاة...

الفتن الداخلية بسبب توجهات السلطان الغربية:

وقد انتشرت خلال انشغال الدولة العثمانية بحرب مصر، وهاجت ثورات كثيرة من قبل سكان اليونان والبلقان والصرب وغيرها من باقي ولايات الدولة بأوروبا بدسائس الدول الأوربية، وطموح السكان للاستقلال.. و لم يتمكن الإنكشارية من كبح جماحهم بل فاز المفسدون عليهم في عدة وقائع وصارت البلاد في كرب عظيم وبلاء شديد وهدد هؤلاء الثائرون مدينة أدرنه نفسها مع مناعتها. و يزعم مؤلف كتاب تاريخ الدولة العثمانية (فريد بيك) أن السلطان سليم أراد تجربة الفرق المنتظمة الجديدة التي أنشأها ودربها عسكريون أوربيون وأدخلوا عليها الأنظمة الأوربية. فقامت هذه الجنود بما عهد إليها خير قيام.. وعادت السكينة إلى ربوعها ورجعت الجنود المنتظمة إلى الآستانة مكللة بالظفر فانشرح السلطان من نجاح مشروع هذا النظام الجديد. وأغدق عليهم العطايا

والهبات ثم أصدر في شهر مارس سنة 1805 أمرا ساميا خط شريف إلى جميع الولايات بتركية وأوروبا بجمع جميع الشبان من الإنكشارية و الأهالي البالغين سن الخمسة والعشرين وإدخالهم العسكرية وتربيتهم على النظام الجديد بإشراف الضباط والمدربين الأجانب. فلم يقبل الإنكشارية هذا الأمر واظهروا التمرد.

واتحد بعض العلماء والطلبة ضد النظام الجديد فأذعن السلطان لمطلب الإنكشارية وأرجع العساكر النظامية إلى ولايات آسيا وعزل الوزراء وعين رئيس الإنكشارية صدرا أعظما. ومع ذلك فلم تنته هذه المسألة بسلام بل جرَّت بعد قليل إلى عزل السلطان، وكانت هذه بداية وقوف العلماء، وقيادات الإنكشارية في وجه عملية التغريب، والغزو الأوربي للجيش العثماني الذي تولى كبره السلطان سليم الثالث هذا.

وقد أدت قلاقل بلاد الصرب إلى قيام الحرب بين الدولة العلية وروسيا التي سيأتي بيان أسبابها.

علاقات الباب العالي مع فرنسا وروسيا وإنكلترا بعد خروج الفرنساويين من مصر:

أرسل بونابرت إلى بلاد الشرق الجنرال سبستياني لتجديد ربط الاتحاد والوداد مع الدولة العثمانية. وفي أثناء إقامته بالآستانة تمكن بمساعيه من عزل أميري الافلاق والبغدان المنحازين لروسيا. فساء ذلك روسيا وخشيت من امتداد نفوذ فرنسا في الشرق فأرسلت جيوشها لاحتلال هاتين الولايتين بدون إعلان حرب بدعوى أن تغيير أميريهما مضر بحقوق جوارها. فانتشبت نيران القتال بينها وبين الدولة واتحدت إنكلترا مع روسيا في هذه الحرب. فأرسلت إحدى فرقها البحرية أمام الدردنيل وأرسل سفيرها بلاغا إلى الباب العالي يطلب منه: تحالف الدولة العلية وإنكلترا وتسليم الأساطيل العثمانية وقلاع الدردنيل إلى إنكلترا والتنازل عن ولايتي الافلاق والبغدان إلى روسيا وطرد الجنرال سبستياني من الآستانة وإعلان الحرب على فرنسا و إلا فستكون إنكلترا مضطرة لاجتياز الدردنيل وإطلاق مدافعها على الآستانة.

وفي فبراير سنة 1807 قرن الإنكليز القول بالفعل واجتاز الأميرال الإنكليزي الدردنيل ودمر كافة السفن الحربية العثمانية الراسية بها، ومكث خارج البوسفور ينتظر تنفيذ لائحته التي سبق ذكرها. وبورود الخبر إلى الدولة بذلك وقع الرعب في قلوب سكان الآستانة خشية من وصول السفن الإنكليزية إلى البوسفور وهناك تكون الطامة الكبرى لوجود اغلب السرايات الملكية ودواوين الحكومة على ضفتيه. وكادت الدولة تستسلم للشروط. ولكن الفرنسيين شجعوها على الصمود ووعدوا بالمساعدة. فاخذوا في تحصين العاصمة وبناء القلاع حولها وتسليحها بالمدافع الضخمة وشكل الفرنساويون النازلون بالآستانة فرقة من مائتي مقاتل !! أغلبهم من المدفعية وكذلك الأسبان لمضادة سفيرهم لسياسة إنكلترا في الشرق. واهتم كل من في الآستانة في هذا العمل حتى الشيوخ والأطفال والنساء وبذل الإنكشارية جهدا كبيرا رغم خلافهم مع السلطان.. فلم يمض بضعة أيام حتى صارت المدينة في مأمن. فلما رأى الأميرال الإنكليزي استحالة دخوله البوسفور وقرب انتهاء تحصينات الدردنيل خشي من حصر مراكبه بين البوغازين وقفل راجعا في مارس سنة 1807 فنجا بمراكبه بعد أن قتل من رجاله ستمائة وغرق من سفنه اثنتان من مقذوفات قلاع الدردنيل. واجتمع بمراكب روسيا عند مدخل البوغاز. ثم أراد الأميرال الإنكليزي أن يأتي عملا يمحو ما لحقه من العار بسبب فشله في هذه المأمورية فقصد ثغر الإسكندرية فاحتلها في مارس سنة 1807 ثم سير فرقة إلى ثغر رشيد لاحتلاله فانهزمت وحاصر المدينة في ابريل لكن لم يقو على فتحها لإرسال محمد باشا المدد إليها، وأخيرا رحلوا عن الديار المصرية. بعد أن أجروا تجربة لاحتلالها.

عزل السلطان سليم الثالث: في هذه الأثناء التي كانت فيها رحى الحرب دائرة بين العثمانيين والروس دخل والي بوسنه بجيوشه إلى بلاد الصرب لمنع الثائرين من اللحاق بالجيش الروسي. وفي غضون ذلك توفي المفتي الذي كان معضدا للسلطان على إدخال الإصلاحات العسكرية وتولى مكانه قاضي عسكر الروملي وكان على الضد من سلفه، فاتحد مع مصطفى باشا قائم مقام الصدر

الأعظم المتغيب في محاربة الروس ولفيف من العلماء على السعي في إبطال النظام العسكري الجديد. معتبرين انه بدعة مخالفة للشرع. و اخذوا يقنعون العساكر الغير منتظمة التي كانت أضيفت إلى الفرق المنتظمة ببطلان إكراههم على لبس الملابس الغربية والتزيي بزي النصارى مع ما في ذلك من مخالفة القرآن الشريف والشرع المنيف.. وحصلت بينهم معركة سالت فيها الدماء ثم انتشرت هذه الفتنة وامتد لهيبها إلى جميع القلاع وحصلت عد معارك بين الفريقين كانت نتيجتها أن وصل الجمع الثائر على السلطان.. ولما بلغ السلطان خبر هذه الثورة أصدر على الفور أمرا بإلغاء النظام الجديد وصرف العساكر النظامية. لكن لم يكتف الثائرون بل قرروا عزل السلطان خوفا من أن يعود لتنفيذ مشروعه وساعدهم على ذلك المفتي الذي كان المحرك لهذه الثورة، فأفتى بأن كل سلطان يدخل نظم الإفرنج وعوائدهم ويجبر الرعية على إتباعها لا يكون صالحا للملك.

واستمرت هذه الثورة يومين ثم نودي في يونيو سنة 1807 بخلع السلطان سليم الثالث فعزل وكانت مدة حكمه 19 سنة وأقيم بعده مصطفى الرابع.

(29) - السلطان الغازي مصطفى خان الرابع (1807- 1808م):

عقب ذلك حصل الصلح بين فرنسا وروسيا بمقتضى معاهدة تلسيت في يوليو سنة 1807 التي جاء البند الثاني والعشرين وما بعده منها أن روسيا تكف عن محاربة الدولة العثمانية حتى يتوسط نابليون بين الطرفين. وانه بمجرد ما أمضيت الهدنة الابتدائية تخلي جيوش روسيا ولايتي الافلاق والبغدان بدون أن تدخلها الجيوش العثمانية حتى يتم الصلح نهائيا وجاء في المعاهدة السرية التي اتفق عليها نابليون واسكندر الأول قيصر روسيا إن لم يقبل الباب العالي توسط فرنسا بسبب الحوادث الأخيرة التي حدثت بالآستانة أو إن لم يتم المقصود بكيفية مرضية بعد قبول هذا التوسط بخمسة وثلاثين يوما فتتحد فرنسا مع روسيا على سلخ جميع الولايات العثمانية بأوروبا ما عدا الآستانة وما حولها وتقسيمها فيما بينهما مع إرضاء النمسا بجزء يسير. وهذا يظهر النوايا المبيتة لكافة الخصوم

المتحالفين، ويبين أنه لم يكن هناك أي دولة أوروبية تود خيرا أو تبغي صلاحا لدولة أو أمة إسلامية مطلقا.

ولم يطل العهد بالسلطان مصطفى الرابع فتم حجزه في نفس السراي التي كان محجوزا بها السلطان سليم. وعزل بعد أن حكم ثلاثة عشر شهرا وقتل في سرايته بعد ذلك بقليل وأقيم بعده محمود الثاني.

(30) - السلطان الغازي محمود خان الثاني (1808 – 1839م):

وهو ابن السلطان عبد الحميد الأول.وقد افتتح أعماله بأن قلد مصطفى باشا البيرق دار منصب الصدارة العظمى ووكل إليه امر تنظيم الإنكشارية، ولكنهم قاوموه وحصلت فتنة كبيرة أدت إلى قتل السلطان السابق المحجوز في السرايا (مصطفى الرابع)...

ثم وجه السلطان الجديد اهتمامه لإصلاح الشؤون الداخلية والاستعداد لإهلاك طائفة الإنكشارية وللتفرغ لذلك عقد الصلح مع الإنكليز في يوليو سنة 1809. وافتتح الإيصالات مع روسيا بدون أن يتوصل إلى اتفاق مرض للطرفين فاستؤنفت الحرب وكانت سجالا بين الجيشين. وفي هذه الأثناء فترت العلاقات بين روسيا ونابليون لعدم تنفيذ شروط معاهدة تلسيت وكانت الحرب بينهما قاب قوسين أو أدنى فسعت روسيا في مصالحة الدولة العثمانية، وتوصل الطرفان إلى معاهدة بوخارست في مايو سنة 1812. ولقد اعتبرت فرنسا هذه المعاهدة خيانة من الدولة للروابط القديمة الموجودة بين الدولتين. إذ بإبرامها تمكنت روسيا من استعمال الجيوش التي كانت مشتغلة بمحاربة العثمانيين في صد غارات فرنسا عن بلادها وإلزام نابليون بالعودة القهقرى بعد حرق مدينة موسكو وهلاك اغلب جيوشه عند عبورهم نهر بيريزينا عائدين إلى بلادهم مكسورين مدحورين. ولما بلغ رؤساء ثورة الصرب خبر معاهدة بوخارست القاضية بإرجاعهم إلى سلطة الدولة العلية المطلقة بعد ما بذلوه من الأموال والأرواح لإعطائهم نوعا من الاستقلال الإداري. ووعد قيصر روسيا بمساعدتهم، لم يقبلوا وآثروا الفناء في الدفاع عن استقلالهم فسيرت الدولة إليهم الجيوش فأخضعتهم إلى سلطانها قهرا. وأعطيت تعليمات شديدة تقضي

بمعاملة الصربيين بالرفق واللين كي يحافظوا على ولاء الدولة. وصارت الصرب مستقلة تقريبا واستبد زعيمهم ميلوش كملك مطلق لا سلطة للوالي العثماني عليه.

وثارت اليونان وأيدتها الدول الأوربية وروسيا. واستخدم العثمانيون محمد علي باشا لقمع الثورة وفتح بلاد اليونان فنجح بذلك سنة 1826. وفي يونيو من السنة التالية فتح العثمانيون مدينة أثينا وقلعتها الشهيرة اكروبول رغما عن دفاع عنها .

تدخل الدول الأوربية في شؤون الدولة العثمانية :

وبينما كان ابراهيم باشا يستعد لفتح ما بقي من بلاد اليونان في أيدي الثائرين. إذ تدخلت الدول بين الباب العالي ومتبوعيه بحجة حماية اليونانيين في الظاهر ولفتح ما دعوه بـ (المسألة الشرقية) وتعني عمليا (الإعداد لتقسيم بلاد الدولة العثمانية بينهم).

فقد عاتبت الدولة العثمانية روسيا أكثر من مرة على مساعدتها الثائرين وحماية من يلتجئ منهم إلى بلادها و استمرت روسيا على مساعدتهم طمعا في نوال بغيتها الأصلية وهي احتلالها الآستانة وجعلها مركزا للديانة الأرثوذكسية على غرار مدينة روما التي تعتبر مركزا للديانة الكاثوليكية. ثم استمرت المحادثات بين الدولتين مدة بدون فائدة لرغبة روسيا وعدم قبول الباب العالي أي تدخل أجنبي في شؤونه الداخلية وفي سنة 1825 تولى نيقولا الأول فاهتم بمسألة اليونان متبعا خطة سلفه السياسية. وباتحاده مع إنكلترا اضطر الباب العالي إلى التصديق على معاهدة آق كرمان سنة 1826. وملخصها أن يكون لروسيا حق الملاحة في البحر الأسود والمرور من البوغازين بدون أن يكون للدولة حق في تفتيش سفنها وأن تنتخب حكام ولايتي الافلاق والبغدان بمعرفة الأعيان لمدة سبع سنوات مع عدم جواز عزلهما إلا بإقرار روسيا. وأن تكون ولاية الصرب مستقلة تقريبا. وأن لا تحتل العساكر التركية إلا قلعة بلغراد وثلاث قلاع أخرى. ولم يذكر بهذه المعاهدة شيء عن اليونان لإيجاد سبب للإشكال في المستقبل بل اتفقت روسيا وإنكلترا على استعمال كل نفوذهما

لوضع حد للحروب المستمرة بها ولو كره البـاب العـالي ووافقـتهما دول النمسـا وبروسـيا وفرنسا.

واقعة ناورين:

وفي 5 فبراير سنة 1827 عرضت إنكلترا رسـميا عـلى الدولـة العثمانيـة توسـط جميـع الدول بينها وبين متبوعيها فلم تقبل ذلك بل أجابت سفير الانكليز. بعـد الـتروي والتأمـل في عاقبة هذا التدخل، أنها لم تسمح ولن تسمح به مطلقا. فاغتاظت الدول من هـذا الجـواب. واتفقت كل من فرنسا وإنكلترا وروسيا عـلى إلـزام البـاب العـالي بـالقوة بمـنح بـلاد اليونـان استقلالها الإداري بشرط أن يدفع اليونانيون جزية معينة يتفق على مقدارها فيما بعد، كـما يتفق على حدود الفريقين وأمهل الباب العالي شهرا لإيقاف الحركات العدوانية ضـد اليونـان و إلا فتضطر الدول لاتخاذ طرق أخرى لنفاذ رغبتها. ولما بلغـت صـورة هـذه المعاهـدة إلى الباب العالي لم يحفـل بهـا وبعـد انقضـاء الشـهر أصـدرت الدولـة الـثلاث أوامرهـا إلى قـواد أساطيلها التوجه لسواحل اليونان وطلبت بعد ذلك من ابراهيم باشا الكف فورا عن القتـال فقبل إيقاف الحرب مدة عشريـن يومـا ريـثما تأتيـه تعلـيمات جديـدة، واجتمعـت سـفن الثلاث دول المتحالفة في ميناء ناورين لمنع الأسطول الـتركي والمصري مـن الخـروج منهـا. وفي أكتوبر سنة 1827 تكامل اجتماع سفن الـدول المتحـدة، ولم تلبـث السـفن المقابلـة لبعضـها حتى انتشبت نـيران الحـرب بـين الفـريقين لسـبب واه، وسـلطت جميـع السـفن الأوروبيـة مدافعها على المراكب التركية والمصرية بعد أن استمر القتال عدة ساعات. و انتهت بانتصـار الدول المتحدة. ولما وصل خبر هذه الحادثة التي حصلت بدون إعلان حرب كما هي العـادة بين الدول إلى الباب العالي. أرسل بلاغا إلى سفراء هذه الدول الثلاثة يقـيم فيـه الحجـة ضـد هذا العمل المخالف للقوانين الدولية ويطلب به أن تمتنع الدول كلية عن التدخل في شـؤون الممالك العثمانيـة وأن تـدفع لـه تعويضـا عـن الخسـائر التـي نجمـت مـن تـدمير المراكـب العثمانية. فلم يجاوب السفراء على هذا البلاغ بل قطعوا العلائق مع الباب العالي ونزلـوا إلى مراكبهم مسرعين. و نشر السلطان في جميع الولايات منشورا عاما (خـط شريـف) يبـين فيـه

سوء مقاصد الدول عموما وروسيا خصوصا نحو الدولة العلية الدولة الإسلامية الوحيدة. مثبتا للأهالي على أن الباعث على هذا العدوان هو الدين لا السياسة. وختمه بحض المسلمين على القتال دفاعا عن الدين والملة والوطن. فاغتاظت روسيا لذلك وأعلنت الحرب على الدولة في ابريل سنة 1828.

ثم تلقى ابراهيم باشا أوامر والده واتفق مع الدولة المتحدة في أغسطس سنة 1828 بناء على الرجوع إلى مصر. على ما بقي من السفن المصرية. و ابتدأ انسحاب الجنود المصرية وكانت كلما أخلت محلا دخله الفرنسيون الذين نزلوا ببلاد اليونان. وفي نوفمبر سنة 1828 عقدت الدول الثلاث مؤتمرا في مدينة لندن لتقرير أحوال اليونان ودعت إليه الدولة العثمانية فأبت إرسال مندوب من طرفها. فاجتمع مندوبوها في اليوم المعين واتفقوا على استقلال موره وجزائر سكلاده واجتماعها على هيئة حكومة مستقلة يحكمها أمير مسيحي تنتخبه الدول ويكون تحت حمايتها على أن تدفع الحكومة اليونانية للباب العالي جزية سنوية قدرها خمسمائة ألف قرش فلم يقبل الباب العالي هذا القرار الصادر من دول غير مختصة فيما يقع بينه وبين متبوعيه واشتغل بمحاربة روسيا التي أعلنت الحرب عليه بعد أن دمر أسطوله. وأخيرا في 1830 أعلن الباب العالي بتصديقه على الشروط المدونة في الاتفاق الذي امضي بين الدولة في لندن في نوفمبر سنة 1828 القاضي باستقلال اليونان.

الغاء طائفة الإنكشارية: زعم المؤرخ أنه لما تحقق السلطان محمود أفضلية النظم العسكرية المستعملة في جيوش أوروبا. وسمع بما أتته الجنود المصرية المنتظمة من الأعمال الباهرة في محاربة موره. وعلم أن انتصارات ابراهيم باشا على اليونانيين لم تكن إلا نتيجة النظام العسكري. زاد تعلقه بإصلاح النظم العسكرية. وأراد إتمام المشروع الذي لم يمكن السلطان سليم الثالث إتمامه فجمع جميع ذوات واعيان المملكة وكبار ضباط الإنكشارية في بيت المفتي في أوائل سنة 1826. وتلا عليهم مشروعا محتويا على ستة وأربعين بندا ذكر بها بكل إيضاح كيفية التنظيمات المراد إدخالها وبعد إقرار الجمعية عليه حرر بذلك محضرا ختمه جميع الحاضرين حتى ضباط الإنكشارية وأفتى المفتي بجواز العمل بها شرعا

ومعاقبة من يعارض في نفاذها. ثم تلا المشروع على جميع ضباط الإنكشارية فأقروا عليه لكن لم تكن موافقتهم إلا ظاهرية فقط فانه لما ابتدئ في تعليم الضباط بمعرفة من تعين من ضباط الإفرنج بصفة معلمين تنبه الإنكشارية و اخذوا يستعدون للثورة والعصيان ليوقفوا تنفيذه كما فعلوا قبلا.. ولم يمض قليل حتى تم حل الإنكشارية ومطاردتهم و إبادة من عارض منهم.

ثم سار السلطان في خطة الإصلاحات الداخلية بناء على الفتوى الشرعية!!، وقد ذكر (المؤرخ الذي اعتمدنا مصدره آنف الذكر) ممتدحا أعمال السلطان فقال: (... ومن جهة أخرى اخذ في تغير العوائد القديمة واتباع المستحسن من عوائد أوروبا. فاستبدل العمامة بالطربوش الروني، وأمر بالزي الأوروبي، وأمر بأن يكون هو الزي الرسمي في العسكرية والمدنية، وأسس وساما دعاه وسام الافتخار، وأخيرا تجول بذاته في ممالك أوروبا ليستطلع أحوالها ويقف على حقائق الأمور... وبالاختصار فانه سار سير من يردي مجاراة أوروبا في نظاماتها وعدم الوقوف حال تقدم الدول الاخرى بسرعة لعلمه أن الوقوف في مثل هذه الظروف هو عين التأخر..) كما زعم من لعب بعقله من الضباط الذين تفشت فيهم الماسونية والافتتان بالغرب. وزيادة على ذلك أحيا ما أقامه السلطان مصطفى الثالث من مدارس الطوبجية وانشأ مدرسة حربية لتخريج الضباط على مثال مدرسة سان سير الفرنساوية التي أسسها نابليون الأول بفرنسا لتربية أولاد الضباط والإشراف على النظم العسكرية الغربية.

احتلال فرنسا لجزائر الغرب: وفي أواسط سنة 1830 نفذت فرنسا ما كانت تنويه من مدة ضد ولاية الجزائر بدعوى منع تعدي قراصنة البحر المسلمين على مراكبها التجارية. وكانت الحقيقة رغبتها في أن يكون لها مركز حربي بشمال إفريقيا حتى لا تكون إنكلترا صاحبة السيادة بمفردها على البحر الأبيض المتوسط باحتلالها معاقل جبل طارق وجزيرة مالطة واتخذت لذلك سبيلا وقوع الخلاف بينها وبين عامل الدولة العلية عليها. وقررت فرنسا في مجلس الوزراء المنعقد تحت رئاسة الملك نفسه في 7 فبراير سنة 1830 وجوب الاستيلاء على هذا الإقليم. ثم أرسلت للجزائر جيشا مؤلفا من نحو ثمانية

وعشرين ألف مقاتل وأسطولا بحريا مؤلفا من مائة سفينة وثلاثة سفن تحمل سبعة وعشرين ألف جندي بحري. ولما علمت إنكلترا بذلك خشيت على نفوذها من مشاركة فرنسا واحتجت ضد هذا المشروع ولما لم يفد احتجاجها شيئا.

وفي 20 ذي الحجة سنة 1245/ 12 يونيو 1830 نزلت عساكر فرنسا بالقرب من مدينة الجزائر و نشب القتال بين الفريقين في يونيو وبعد محاربة شديدة فاز الفرنساويون بالغلبة. ودخلت الجيوش مدينة الجزائر نفسها. وأعلنت فرنسا امتلاكها لها وبعد ذلك أخذت ترسل الجيوش تباعا إلى الجزائر لفتحها.

وخلال هذه الفترة تمرد محمد علي باشا في مصر وزحف على الشام وأدت وساطات ومداولات إلى تدخل الدول الأجنبية وإعطائه ولاية مصر وراثية في أبنائه بدعم من فرنسا في القصة المشهورة تاريخيا..

ثم توفي السلطان محمود الثاني في يوليو سنة 1839 وكانت مدة خلافته إحدى وثلاثين سنة وعشرة شهور وتولى بعده ابنه عبد المجيد.

(31) - السلطان الغازي عبد المجيد خان (1839- 1861م):

تولى الخلافة ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره. وكانت الحكومة في غاية الاضطراب بسبب انتصار جيوش محمد علي باشا والي مصر على جيوش العثمانيين، واحتلال جيوشه لمدائن عين تاب وقيصرية وملطية. ومما زاد أحوال الدولة ارتباكا أن احمد باشا القبطان العام للأسطول التركي خرج بجميع مراكبه الحربية واتى بها إلى ثغر الإسكندرية وسلمها إلى محمد علي باشا. و لما علم قناصل الدول بالآستانة بتسليم الأسطول إلى محمد علي باشا خشوا زحف ابراهيم باشا على القسطنطينية أرسلوا إلى الباب العالي لائحة سنة 1839 ممضاة من سفراء فرنسا وإنكلترا وروسيا والنمسا وبروسيا يطلبون منه أن لا يقر شيئا في أمر المسألة المصرية إلا بإطلاعهم. وأنهم مستعدون للتوسط بينه وبين محمد علي باشا لحل هذه المسألة المهمة. فقبل الباب العالي هذه اللائحة واجتمع السفراء عند الصدر الأعظم وتداولوا فيما يجب إعطاؤه لمحمد علي

باشا.وحصلت مداولات كثيرة، ولم تقبل روسيا تخويل مـؤتمر دولي حـق تحديـد علاقاتهـا مـع الباب العالي بل أعلنت أنها مصرة على التمسك بنصوص معاهدة (خونكار اسكله سي) وهـي حماية الدولة بعساكرها ومراكبها وبالتالي احتلال معظم أملاكها بدون حرب لو تعدى ابراهيم باشا حدود الشام. فعند ذلك طلبت كل من فرنسا وإنكلترا من الباب العالي التصريح لمراكبهـا بالمرور من بوغاز الدردنيل لحمايته عند الضرورة من روسيا ومن العساكر المصرية، ولمـا علـم باقي السفراء بهذا الطلب اضطربوا وخشوا حصول شقاق بين الدول المتوسـطة وأعلـن سـفير روسيا بأنه إذا دخلت المراكب الفرنسية والإنكليزية البوغاز فسيقطع علاقاتـه السياسـية مـع الباب العالي ويسافر في الحال وكانت حكومته قد أرسلت لـه مركبـا حربيـا ليسـافر عليـه إذا اقتضى الحال ذلك. وكتبت النمسا إلى لندن وباريس بأن طلبهما هذا مخل بسلم أوروبا وأنهما لو أصرا عليه فستخرج من التحالف وتحفظ لنفسها حريـة العمـل. فلـما علـم البـاب العـالي بذلك خاف من تفاقم الخطب ورفض طلب حكـومتي فرنسـا وإنكلـترا وطلـب مـنهما إبعـاد مـراكبهم عـن مـدخل البوغـاز. فلهـذه الأسـباب ولعـدم الإتفـاق بـين وزراء الـدول توقفـت المحادثات إلى سـبتمبر سـنة 1839. حتـى عـرض سـفير إنكلـترا عـلى البـاب العـالي أن دولتـه مستعدة لإكراه محمد علي باشا على رد السفن التركية بشرط أن يكون لها حق إدخال مراكبها في خليج إسلامبول لصد روسيا عند الضرورة. فلما علمت بذلك حكومة فرنسا أرسلت إلى قائد أسطولها في مياه تركيا أمرا في ديسمبر سنة 1839 أنه لا يشترك مع مراكب إنكلترا في أي حركـة عدوانية ضد حكومة محمد علي باشا (وهناك أدلة تاريخيـة كثـيرة عـلى عمالـة محمـد عـلي لفرنسا ضد العثمانيين، وتولي كثير من النصارى والمفتونين بفرنسا مناصب عنده). فعلم الكـل أنه لا بد من حصول خلاف بين فرنسـا وإنكلـترا بخصـوص المسـألة المصريـة. وأخـذت الـدول حذرها مما عساه يحصل من الأمور التي تنشأ بسـبب هـذا الخـلاف. فأعلنـت النمسـا بأنهـا لا ترغـب التـداخل لعـدم نجـاح طلبهـا المخـتص بانعقـاد مـؤتمر دولي في فيينـا أو بـرلين وأعلنت بروسيا وروسيا بأنهما يقبلان كـل مـا تقـرره الـدول في هـذا الشـأن بشرط أن يكـون

موافقا لرغبة الباب العالي وان يكون قبوله لهذا القرار صادرا عن كمال الحرية. فكأن الدول قبلت ما اتفقت عليه فرنسا وإنكلترا بالاتحاد مع الباب العالي ولكن لم يتم الاتفاق بين هاتين الدولتين لسعي إنكلترا في إرجاع المصريين إلى حدودهم الأصلية وعدم قبول فرنسا ذلك ورغبتها في مساعدة محمد علي باشا. وذلك أن فرنسا كانت تود أن تكون ولايتا مصر والشام له ولذريته وإقليما أدنه و طرسوس له مدة حياته وأما إنكلترا فكانت لا تريد أن يعطى إلا ولاية مصر لكن رغبة في إرضاء فرنسا قبلت أن يعطى مدة حياته نصف بلاد الشام الجنوبي بشرط أن لا تكون مدينة عكا من هذا النصف فرفضت فرنسا هذا الاقتراح دعما لعميلها محمد علي باشا.

وفي تاريخ 15 يوليو سنة 1840 اتفقت الدول على معاهدة صدق عليها مندوب الدولة العلية مقتضاها:

- أولا:أن يلزم محمد علي باشا بإرجاع ما فتحه للدولة العلية ويحفظ لنفسه الجزء الجنوبي من الشام مع عدم دخول مدينة عكا في هذا القسم.
- ثانيا:أن يكون لإنكلترا الحق بالاتفاق مع النمسا في محاصرة الشام ومساعدة كل من أراد من سكان بلاد الشام خلع طاعة المصريين والرجوع إلى الدولة العثمانية.
- ثالثا:أن يكون لمراكب روسيا والنمسا وإنكلترا معا حق الدخول في البوسفور لوقاية القسطنطينية لو تقدمت الجيوش المصرية نحوها.
- رابعا: أن لا يكون لأحد الحق في الدخول في مياه البوسفور ما دامت القسطنطينية غير مهددة.
- خامسا: يجب على الدول التي وقع مندوبوها على هذا الاتفاق أن تصدق عليه في مدة لا تزيد عن شهرين بحيث يكون التصديق في مدينة لندن.

وشفعت هذه المعاهدة بملحق مصدق عليه من مندوب الدولة العلية مبين فيه الحقوق و الامتيازات التي يمكن منحها لمحمد علي باشا.

وقبـل إمضـاء هـذه المعاهـدة ابتـدأت إنكلـترا في تحـريض سـكان لبنـان مـن دروز ومارونية و نصيرية على شق عصا الطاعة.

ثم عادت الدول للاختلاف وكادت تقـوم الحـرب مـع محمـد عـلي باشـا. ثـم أرسـل قناصل الدول الأربع المتحدة لمحمد علي (خلافا لفرنسا الداعمة له)، وعرضوا عليـه باسـم دولهم أن تكون ولاية مصر له ولورثتـه وولايـة عكـا لـه مـدة حياتـه وأمهلـوه عشرة أيـام لإعطاء جوابه فطلب منهم كتابة بذلك فلبوا طلبه ثم في اليوم التالي افهمـوه أن فرنسـا لا يمكنها مساعدته قط وان الدول مصممة على تنفيـذ مـا اتفقـت عليـه ولـو أدى ذلـك إلى حرب أوروبية لكنه أصر على عدم القبول والدفاع عن حقه. وفي 24 أغسطس 1840 حضر إليه القناصل ومعهم مندوب الدولة واخبروه بأنه لا حق له الآن في ولاية عكا. وأن الـدول لا تسمح له إلا بولايـة مصر فقـط لـه ولذريتـه فغضـب وطـردهم مـن عنـده. فـانصرفوا وأعطوه عشرة أيام أخر لإبداء جوابه بحيث إن لم يجاوب تكون الدول غـير مسـؤولة عـما يحصل له من الضرر. وبعد انقضاء هذه المدة بدون أن يبدي لهم جوابـه كتـب القناصـل بذلك إلى سفراء الدول باستانبول فاجتمعوا مع الصدر الأعظم وقرروا باتحادهم اخذ مصر والشام من محمد علي باشا. وفي أثناء هذه المدة عجزت فرنسا عن مساعدة محمد علي باشا، وأرسلت أوامرها لسفنها أولا بالانسـحاب إلى ميـاه اليونـان ثـم بـالعودة إلى فرنسـا وتركت مصر والشام لمراكب إنكلترا تحرق موانئها بمقذوفاتها.

وفي 11 سبتمبر أنزلت العساكر إلى البر في نقطـة تبعـد نحـو سـتة أميـال في شـمال بيروت ولم يتمكن ابراهيم باشا مـن مـنعهم لوجـود هـذه النقطـة تحـت حمايـة المـدافع الإنكليزية . ثم جاء سليمان باشـا بـلاغ مـن الأميرالـين الإنكليـزي والنمسـاوي بـان يخـلي مدينة بيروت حالا فطلب منهم مسافة أربع وعشرين ساعة كي يتداول مـع ابـراهيم باشـا فلم يقبل طلبه، و ابتدؤوا في إطلاق المدافع على المدينة لمدة يومين، حتى هـدم أو حـرق اغلب المدينة، كما أحرقت كذلك الثغور الشامية قصد استخلاصـها مـن محمـد عـلي باشـا وإرجاعها إلى الدولة العثمانية...

وفي أثناء هذه المدة عرض الكومودور نابير على محمد علي باشا أن الحكومة الإنكليزية تسعى لدى الباب العالي في إعطاء مصر له ولورثته لو تنازل عن الشام ورد السفن التركية إلى الدولة العلية فامتثل لهذا الأمر وقبل هذه الشروط لحفظ مصر لذريته وتم بينهما الاتفاق في نوفمبر سنة 1840. ولم يقبل الباب العالي هذا الاتفاق إلا بعد تردد وإحجام.

مسألة لبنان: و بمجرد إخلاء الجيوش المصرية لبلاد الشام وجبال لبنان تحركت في سكانها الدوافع الدينية القديمة الكامنة، وزادت الدسائس الأجنبية لإضرام نار الشقاق وبذر الفتن الداخلية توصلا لغاياتهم. وكانت فرنسا مساعدة للمارونية الكاثوليك، وإنكلترا معضدة للدروز ضدهم لتلجئهم لترك المذهب الكاثوليكي واعتناق المذهب البروتستانتي، فيدخلوا بذل تحت حمايتها الفعلية. ولا يعود لفرنسا حجة حمايتهم لسبب مذهبي. وظن كل فريق من هؤلاء التعساء أن الدولة التي تغرره تود صلاح حاله وترقيه، ولم ينتبهوا لدخائل هذه السياسة الخبيثة التي لا يتأخر أصحابها عن إهراق دماء الأبرياء توصلا لمآربهم. وبهذه الدسائس ساد الهياج في جميع أنحاء لبنان وظهر ما تكنه صدور سكانه من الأحقاد القومية والدينية، حتى تعدى الدروز على المارونية في سنة 1841، ودخلوا دير القمر وارتكبوا فيه ما تقشعر منه الأبدان من النهب والسلب.. ثم قام الدروز ثانية في سنة 1845، وقتلوا المسيحيين وحرقوا جثثهم ثم أضرموا النار في الدير بعد أن نهبوا كل ما به من المنقولات والأمتعة. بدون أن يحصل أقل أذى للمبشرين البروتستانت من الأمريكان والإنكليز !! الأمر الذي يدل دلالة واضحة على أن هذه المذابح لم تخل من تأثيرهم.

وبسبب هذه الإضطرابات المتعاقبة لم ير الباب العالي بدا من التدخل في إدارة الجبل لمنع هذه الفتن. فعزل الأمير بشير الشهابي بعد خروج العساكر المصرية من الشام. وعين مكانه واليا عثمانيا، وأبطل بذلك جميع امتيازات سكان الجبل الممنوحة لهم قديما. فلم تقبل الدول الأجنبية التي صار تدخلها مألوفا..وجربت الدولة العثمانية حلولا عدة كانت في كل مرة ترضي هذا فتغضب ذاك، وزاد تدخل الدول الأزمة تعقيدا.. وحصلت مذبحة سنة 1845

بين الطوائف، فأرسلت الدولة جيوشها واحتلت البلاد سهلا وجبلا بصفة عسكرية وأجـرت فيها الأحكام العرفية ثم دارت المحادثات بـين الـدول العظمـى والبـاب العـالي لتقريـر مـا يضمن السلام في الحال والاستقبال فاجتمعت آراؤهم أخـيرا بعـد مـداولات طويلـة واخـذ ورد واتفق على حل وسط. وبذا انتهت مسألة لبنان مؤقتا.وبما أن الدروز لم يقبلوا هـذه التسـوية إلا مـؤملين نـوال زيـادة عـما فيهـا طبقـا لوسـاوس منـدوب إنكلـترا لهـم بأنهـا ستمنحهم مع الوقت السيادة على جميع الشعوب الساكنة بلبنان. واستمرت الفتن جارية مجراها حتـى حصـلت مذبحـة سـنة 1860 وتـدخلت فرنسـا عسـكريا لحمايـة المارونيـة. وانسحبت ثانيا بعد توطيد الأمن وحفظ حقوق الموارنة.

حرب القرم و أسبابها:

كانت المنافسات دائمة بين قساوسـة الأرثـوذكس والكاثوليـك بشـأن التملـك أو إقامـة شعائر دينهم في الكنائس المعتبرة عندهم في مدينة القدس. وكانـت فرنسـا الحـائزة بمقـتضى عدة معاهدات قديمـة تـدعم الكاثوليـك. وكانـت روسـيا تسـعى مـن جهـة أخـرى لتجريـد الكاثوليك من هذا الامتيازات لإعطائهـا للأرثـوذكس لتـتمكن بواسـطتهم مـن بـث سياسـتها ونشر نفوذها بين رعايا الدولة العثمانية المتمسكين بهذا المذهب، والبالغ عددهم زيادة عن عشرة ملايين نسمة. ثم لما عين نـابليون الثالـث رئيسـا للجمهوريـة الفرنسـية الثانيـة باسـم البرنس لويس نابليون، فـاتَح الدولـة العثمانيـة في هـذه المسـألة، فعـين البـاب العـالي لجنـة مشكلة من عدة أعضـاء مختلفـي المـذهب لفصـلها بمقـتضى المعاهـدات القديمـة. فقـررت اللجنة بعد عـدة اجتماعـات متواليـة الأولويـة للكاثوليـك في امـتلاك عـدة كنـائس وأديـرة، فعارضت روسيا في نفاذ هذه الاتفاقية، وهددت الباب العالي بالحرب لو أمر بنفاذها.

وفي أثناء ذلك عمل القيصر نيقولا على سبر أفكار السير هاملتون سـيمور سفير إنكلترا لدى حكومته مظهرا له ضرورة اتحاد دولتي روسيا وإنكلـترا معـا على إضعاف نفوذ فرنسـا في الشرق وأخـذ الاحتياطيـات، لتجزئـة بـلاد الدولـة العثمانية حيث صار من المستحيل شـفاء هـذا (الرجـل المـريض) كـما صـارت

تدعى الدولة العثمانية في المحافل الدولية آنذاك على حد زعمهم. وعرضت روسيا أن تتساهل مع إنكلترا لو ساعدتها على نفاذ مشروعها في إعطائها القطر المصري وجزيرة كريت. فلم يجبه السفير الإنكليزي جوابا شافيا، بل أجاب القيصر أن الأولى معالجة هذا المريض وتعهده بالعناية حتى ينقه من مرضه، لأنه لو مات فستحصل حروب أوربية تهدر فيها الدماء انهارا عند تقسيم تركته. ولم يكن ذلك من الدولة الإنكليزية حبا بتقوية الدولة العثمانية أو شغفا ببقائها، بل خوفا من امتداد روسيا في الشرق واحتلالها الآستانة فتشارك عندها إنكلترا في ملك البحر الذي انفردت هي به.

ولما رأى إمبراطور روسيا عدم إصغاء إنكلترا لطلباته فاتح سفير فرنسا في أمر التساهل معها على تقرير الأمور في بلاد فلسطين طبق مرادها، وعرض عليه أن تتساهل روسيا أيضا مع فرنسا في مقابلة ذلك بل وتساعدها على امتلاك القطر التونسي لتقوية نفوذها في بلاد الغرب ! ومراقبة إجراءات إنكلترا في جزيرة مالطة. لكنه لم يجد من السفير الفرنساوي أيضا أذنا صاغية.

فتحقق للعموم من ذلك أن قصد روسيا الوحيد هو إعلان الحرب على الدولة العثمانية. وتقسيم ممالكها ولذلك أرسلت فرنسا سفنها البحرية إلى مياه اليونان سنة 1853 واستعدادا للحوادث التي لم تكن في الحسبان. أما إنكلترا فأذنت لمراكبها بالتربص في مالطة لحين صدور أوامر جديدة لها. وفي أثناء ذلك كان البرنس منشيكوف يبذل جهده لدى الباب العالي للحصول على تجديد شروط معاهدة (خونكاراسكله سي) القاضية بان يكون لروسيا حماية جميع المسيحيين الموجودين ببلاد الدولة. وكان الباب العالي يماطله في الإجابة. ثم أرسل للباب العالي بلاغا نهائيا و قطع السفير الروسي العلاقات مع الباب العالي وبارح الآستانة على إحدى مراكب روسيا.

ولما أبلغت الدولة صورة هذا البلاغ إلى إنكلترا تحققت من سوء نية روسيا نحو الدولة العثمانية، فانضمت إلى فرنسا وأرسلت إلى سفنها بمالطة أن تنضم إلى السفن الفرنسية وتتحد معها في كافة أعمالها. ومن ثم ظهر لجميع أوروبا أن فرنسا وإنكلترا متحدتان على حماية الممالك العثمانية ضد أطماع روسيا. ثم

أصدرت هاتان الدولتان أوامرها إلى مراكبها سنة 1853بالاقتراب من بوغاز الدردنيل لمد يد المساعدة للدولة العثمانية إذا اقتضى الحال.

واجتازت عساكر روسيا نهر البروث الفاصل بين أملاك الدولتين في يوليو سنة 1853 واحتلت الولايتين فعلا إذ لم يخطر ببال روسيا أن الدول الغربية تتألب مع الدولة العثمانية على محاربتها لحماية الدولة.

واهتم مندوبو بروسيا والنمسا بالاتحاد مع مندوبي فرنسا وإنكلترا في التوفيق بين الخصمين وإصلاح ذات بينهما منعا لسفك الدماء واشتعال نيران الحرب التي ربما عمت أوروبا بأسرها. و انفض المؤتمر بدون جدوى. ثم اجتاز عمر باشا النهر في 3 نوفمبر 1853. وبعد موقعة عظيمة هائلة انتصرت الجيوش العثمانية على الجيوش الروسية وأخرجتها من معاقلها الكائنة على ضفة النهر اليسرى قهرا. وفاز عمر باشا وجيوشه فوزا مبينا أدهش جميع العالم لعدم توقع انهزام روسيا. وعندما شاهد الإمبراطور نيقولا هذا الحال اجتمع مع فرنسوا جوزيف إمبراطور النمسا وفاوضه في خوفه من نجدة الدول الغربية فرنسا وإنكلترا للدولة العثمانية وسأله المساعدة والتحالف فلم يقبل الإمبراطور ذلك واظهر له شديد أسفه.

وفي هذه الأثناء تقدمت السفن الفرنسية والإنكليزية إلى بوغاز البوسفور برضا الباب العالي لتكون اقرب إلى البحر الأسود وإلى حماية الآستانة لو حاول الروس الهجوم عليها بحرا.

وفي نوفمبر سنة 1853 فاجأت السفن الروسية السفن التركية الموجودة في ميناء سينوب على البحر الأسود ودمرتها عن آخرها تقريبا مع أنها كانت تعهدت لدولتي فرنسا وإنكلترا بعدم إتيان أي أمر عدواني في البحر الأسود. ومن ذلك الحين صارت الحرب بين هذه الدول وروسيا أمرا واقعا لا محالة، لحماية الدولة العثمانية من عدوان روسيا وأطماعها. لا حبا في الدولة العثمانية، بل خوفا من امتداد نفوذ روسيا وبسط يدها على الآستانة كما أسلفنا.

وفي مارس سنة 1854 أمضي بين فرنسا وإنكلترا والدولة العلية في مدينة الآستانة اتفاق على محاربة روسيا وحماية الدولة العثمانية. و أرسل نابليون الثالث رسالة إلى مجلس النواب يخبره بإعلان الحرب على روسيا بالاتحاد مع إنكلترا.

وبعد ذلك أخذت الدولتان المتحالفتان في جمع الجيوش وما يلزم لها من المؤن والذخائر والسفن اللازمة لنقلها. وقبل وصول الجيوش البرية كان القتال قد ابتدأ فعلا في البحر الأسود. وفي أثناء ذلك أعلن الإمبراطور نقولا الحرب على الدول المعادية له ثم زحف الحلفاء بجيوشهم. ولما انسحب الجيش الروسي عن ولايتي الأفلاق والبغدان.احتلها الجيش النمساوي !

ولم تعترض روسيا ضد هذا الاحتلال خوفا من إغضاب النمسا ودخولها في التحالف المنعقد ضدها لتفضيلها وجود جيوش النمسا فيهما على وجود الأتراك أو الفرنسيين لعدم ميل النمسا للحرب. ثم أرسلت فرنسا وإنكلترا سفنها إلى بحر البلطيق والبحر الأبيض الشمالي. والمحيط الهادي لضرب الثغور الروسية. وفي أواخر هذه السنة دارت الاتصالات ثانيا في مدينة فيينا للوصول إلى الصلح وإيقاف أضرار الحرب قبل اشتدادها. وذلك أن فرنسا وإنكلترا عرضتا على النمسا أن تتحد معهما ضد روسيا إن لم تقبل روسيا الصلح قبل ختام السنة وتتعهد للدول الأربع بطلباتها وهي:

أولا: عدم استئثار روسيا بحماية مسيحي الدولة العثمانية وحماية ولايتي الافلاق والبغدان .

ثانيا:حرية الملاحة لجميع الدول في نهر الطونه .

ثالثا: تعديل المعاهدات المختصة بالمرور في ضائق الآستانة وخصوصا معاهدة سنة 1841.

رابعا: وضع قاعدة جديدة لتوازن القوى في البحر الأسود فتكون هذه المعاهدة الثلاثية الجديدة نافذة المفعول.

ثم في 28 ديسمبر اجتمع سفراء إنكلترا وفرنسا وروسيا والنمسا عند وزير خارجية فيينا وقرروا إعطاءه المهلة المطلوبة وبذلك انتهت هذه السنة والآمال متجهة نحو الوصول إلى صلح. ثم هاجم الروس العثمانيين ومن كان معهم من الجنود المصرية. في مدينة اوباثويا، فردهم عمر باشا القائد العثماني على أعقابهم و كان النصر بمجرد فضل الجيوش الإسلامية. و في مارس توفي إمبراطور روسيا وخلفه ابنه اسكندر الثاني.

وفي يناير سنة 1855 أمضى فكتور عمانويل ملك البيمونتي بايطاليا معاهدة هجومية ودفاعية ضد روسيا. وأرسل إلى بلاد القرم جيشا مؤلفا من ثمانية عشر ألف مقاتل. وفي 26 أغسطس انتصر المتحدون في واقعة تراكيتو وأخلى الروس مدينة سباستوبول بعد أن احرقوها عن آخرها. واحتلتها الجيوش المتحدة. أو بالأحرى احتلوا أطلالها. وبعد ذلك سارت الجيوش المتحدة نحو مدينة قلبرون فاحتلوها.وفي اليوم التالي هدم الروس قلاع مدينة اوتشاكوف وأخلوها قاصدين داخلية البلاد. ولولا ابتداء فصل الشتاء الذي يأتي مبكرا بتلك البلاد، لما وجدت روسيا من الجيوش ما يكفي لإيقاف أعدائها عن المدينة كيف المقدسة لديهم. وفي أثناء سنة 1855 أطلقت سفن فرنسا وإنكلترا قنابلها على عدة ثغور في بحر بلطيق وعطلت التجارة الروسية بالمرة. وكذلك حاصرت مدخل البحر الأبيض الشمالي ومنعت المراكب التجارية من الدخول فيه بالكلية. وبعد ذلك لم تحصل وقائع حربية مهمة بل دخلت المسألة في دور سياسي لتحقق اسكندر الثاني عدم الفوز خصوصا وان النمسا قد أظهرت له العداوة جهارا بعد سقوط سباستوبول وانضمت مملكة السويد إلى التحالف الأوروبي ضدها. وانعقد مؤتمر جديد في فيينا في شهر فبراير سنة 1855. و تظاهرت باقي الدول ضدها خصوصا مملكة السويد التي كانت تستعمل معها روسيا طرق التهديد والوعيد للحصول على بعض امتيازات تختص بالصيد على شواطئ النرويج، فأبرمت مع فرنسا وإنكلترا معاهدة هجومية ودفاعية ضد روسيا في 20 نوفمبر سنة.1852 وأعلنتها رسميا لجميع الدول. وبذلك تحققت روسيا انه صار من المستحيل عليها الانتصار على جميع

هذه القوى المتألبة ضدها ومالت إلى السلم قلبا وقالبا منتظرة اقل مفاتحة من الدول الغربية فتلبيها بالقبول . وفي أواخر سنة 1855. عرضت النمسا أن يرسل إلى روسيا بلاغا نهائيا بطلبات الدول الأصلية مع ما سبق عرضه من الاقتراحات أثناء المؤتمر الذي انعقد أخيرا بمدينة فيينا في ابريل سنة 1855. وان لم تجب روسيا جميع هذه الاقتراحات يستأنف القتال في ربيع سنة 1856 بكل شدة وصرامة وتنضم إلى الجيوش المحاربة جيوش النمسا ومملكة السويد والنرويج. فأقرت الدول على ذلك وقبلت روسيا هذه الإقتراحات الأكثر تأثيرا على نفوذها مما رفضته في السابق. وبعد محادثات طويلة تم الاتفاق على أن ينعقد مؤتمر سلام جديد في مدينة باريس لتقرير السلم نهائيا سنة 1856 واختار لرئاسته وزير خارجية فرنسا وفيه أمضيت جميع بنود معاهدة باريس الشهيرة التي أوصلت نابليون الثالث إلى أوج فخاره وأعادت لفرنسا سابق مجدها. إذ أنها لم تشترك في مثل هذه الحرب من عهد نابليون الأول وحفظت للدولة العثمانية أملاكها من غوائل روسيا. وتبين فيما بعد أن الدول الأوروبية دافعت عن الكعكة والغنيمة التي ستتقاسمها فيما بعد !!.

ومما زاد في أحوال الدولة العثمانية ارتباكا، تدخل الدول في الشؤون الداخلية ومنعها الدولة العثمانية من محاربة الثائرين، بتهديدها بقطع العلائق السياسية ونزول سفرائهم إلى مراكبهم بل وإرسال بعض السفن الحربية لتقرير مطالب الثائرين. كما أرسلت فرنسا وروسيا مراكبها في سنة 1858 إلى سواحل الجبل الأسود لمنع الجيوش العثمانية من الدخول بهذا القطر ومعاقبة أميره على مساعدة الثائرين في البوسنة والهرسك... ومن هذا يتضح جليا أن الدولة كانت في أحرج المواقف لعدم وجود مخلص لها أو صديق بين جميع الدول المسيحية المتألبة عليها سياسيا لإضعافها وعرقلة جميع مساعيها الإصلاحية في داخل بلادها. وتدخل تلك الدول في أمورها الداخلية المحضة. حتى خيل للمتأمل أن سفراء الدول بالآستانة صاروا شركاء لوزراء الدولة في جميع الأعمال في تلك الفترة.

وفي أوائل سنة 1858 توفي الصدر الأعظم رشيد باشا. وخلفه في هذا المنصب الخطير خصوصا في هذه الظروف السياسي الشهير عالي باشا وولى فؤاد باشا وزيرا للأشغال الخارجية وكان كل منهما على جانب عظيم من الحذق في الأعمال السياسية و عالما بمقاصد أوروبا السيئة نحو الدولة الإسلامية الوحيدة فعملا على تسوية جميع المسائل الداخلية بحكمة وسداد رأي. حتى لم يدعا لسفراء الدول حقا في التدخل. إذ لم يمض طويل زمن حتى عادت السكينة إلى بلاد البوسنة والهرسك، لوعد أهاليها بإصلاح أحوالهم. وكذلك انهيا مسألة الجبل الأسود بتحديد الحدود بمعرفة لجنة مشكلة من أربعة أعضاء (فرنسي وروسي وعثماني وجبلي) وقبلا قرار هذه اللجنة مع إجحافه بحقوق السلطنة، لكن لما كان السكون وانتظام الأحوال.

ثم حصلت الحرب بين الموارنة والدروز 1860 وأدت إلى تدخل الجيش الفرنسي في لبنان... وبعد خروج الجيوش الفرنسية من بيروت بعشرين يوما توفي السلطان عبد المجيد خان في يونيو سنة 1861. و كانت مدة حكمه 22 سنة ونصف وفي يوم موته بويع بالخلافة لأخيه.

(32) السلطان الغازي عبد العزيز خان (1861- 1886م):

وقد جرت في عهده جملة من الإصلاحات الداخلية منها:

- وضع مجلة الأحكام العدلية والقوانين التي أجازت للأجانب امتلاك العقارات وكافة الحقوق العينية والتصرف فيها بجميع الممالك العثمانية بعد أن كانت ممنوعة عنهم كلية وذلك في سنة 1285 الموافقة سنة 1869.
- ومنها وضع مجلة الأحكام الشرعية ليعمل بها في المحاكم النظامية التي أنشئت وكان جاريا إصلاحها. وكان وضع هذه المجلة بمعرفة لجنة من أشهر متشرعي ذلك العصر من العلماء والقانونيين والإداريين في الدولة العثمانية.

وبعد الحوادث التي مر ذكرها اقتنع السلطان أن تحالف الدول الأوربية مع الدولة في حرب القرم وما بعدها لم تكن نتيجة إلا إضعافها بالتدخل في شؤونها

الداخلية ومساعدة الطوائف المسيحية الخاضعة لها على الانشقاق عنها وبث روح الفتن والفساد في ممالكها تحت غطاء الحرية ونشر العلوم. وأن كل ذلك يعود بالنفع على روسيا جارتها القوية و عدوتها القديمة، لاسيما وقد عدَّل الدول بعد الحرب الفرنسية الألمانية أهم بنود معاهدة باريس التي أبرمت بعد حرب القرم لحفظ التوازن في البحر الأسود وعدم مراعاتها عقب إبرامها في حق ولايتي الأفلاق و البغدان. فلهذه الاسباب اعتقد السلطان أن الأولى و الأنجح لسياسة الدولة هو التباعد عن الدول الغربية والتحالف مع روسيا. وعضده في هذا الفكر الصدر الأعظم محمود نديم باشا. فأكثر السلطان من الاجتماع مع سفير روسيا بالآستانة. والمتواتر وان لم تثبته أوراق رسمية أنهما كانا يسعيان لوضع أساس معاهدة هجومية ودفاعية يكون من أهم بنودها الاختصاص بجميع بلاد الشرق وأن تتبع الولايات الإسلامية التي يغلب فيها العنصر الإسلامي للدولة العلية الإسلامية. وضم جميع الأقاليم المسيحية أو التي يسود فيها هذا العنصر للدولة الروسية ولما شاع هذا المشروع، لم يرق للدول الأوروبية التي لها مصالح في الشرق، وخصوصا إنكلترا. فاخذ عمالهم وسفراؤهم الظاهرون و السريون يعملون حتى اقنعوا الوزراء بوجوب عزله وصادفت مساعيهم أذنا صاغية عند بعض العلماء لما خالج صدورهم من عدم الميل للسلطان بسبب فسوقه العلني وزيارته معرض باريس وحضوره المسارح والمراقص...فقد كان خليفة (عكروتا) كما يدعو أمثاله أهل الشام..

و أصدر شيخ الإسلام فتوى بوجوب خلعه هذا نصها : (إذا كان زيد الذي هو أمير المؤمنين مختل الشعور وليس له إلمام في الأمور السياسية وما برح ينفق الأموال الميرية في مصارفه النفسانية، في درجة لا طاقة للملك والملة على تحملها. وقد اخل بالأمور الدينية والدنيوية وشوشها وخرب الملك والملة. وكان بقاؤه مضرا بها فهل يصح خلعه ؟: الجواب: يصح . كتبه الفقير حسن خير اللـه عفى عنه).

وخلع في 31 مايو 1876 م. ثم حصلت المبايعة للسلطان الجديد مراد خان الخامس من جميع الحاضرين على الأسلوب المتبع.

(33) - السلطان مراد الخامس (مايو1886- أغسطس 1886 م):

هو ابن السلطان عبد المجيد خان ارتقى منصب الخلافة في 31 مايو 1876 وقيل أنه كان متعلما متثقفا بالثقافات الغربية، مقتنعا بالمساواة بين جميع أصناف رعيته، ولكنه زُعم أنه ظهرت عليه علامات الاضطراب العصبي عقب توليته بنحو أسبوع ثم ازدادت شيئا فشيئا. وكان الصدر الأعظم يخفي هذا الأمر عن العموم. لكن ذاع خبره لعدم إجراء الاحتفال بتسليمه السيف السلطاني في جامع أبي أيوب الأنصاري، حسب العادة. ولعدم مقابلته قناصل الدول ليقدموا إليه أوراق تجديد تعيينهم لدى حكومته. وأخيرا لما اشتد عليه الحال استدعى الوزراء الطبيب ليدز ورف النمساوي الشهير بمداواة الأمراض العقلية. فحضر وبعد أن فحصه ولازمه عدة أيام متفرسا كل ما يبدو منه من الأقوال والإشارات، واستعلم عن عاداته وكيفية معيشته قال بتعسر برئه من هذا المرض. فتشاور الوزراء في الأمر ثم عرضوا على أخيه عبد الحميد أفندي أن تسلم إليه مقاليد الأحكام حيث حكم الأطباء بعدم لياقة أخيه السلطان مراد لإدارة مهامها. واجتمعوا في يوم الأربعاء 10 شعبان سنة 1293 31 أغسطس سنة 1876 وقرروا بوجوب المبايعة لمولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني. واستفتوا مولانا شيخ الإسلام في الأمر فأفتى بوجوب عزله وهذه نص الفتوى: (إذا جنَّ إمام المسلمين جنونا مطبقا ففات المقصود من الإمامة، فهل يصح حل الإمامة من عهدته ؟ الجواب: يصح والله اعلم. كتبه الفقير حسن خير الله عفى عنه).

أقول: ويجب النظر بعين الشك إلى ما يرويه المؤرخون عن تلك المرحلة التي سيطر فيها الماسون على أمور الدولة العثمانية الداخلية والخارجية، بدءا من مرحلة ما بعد السلطان عبد المجيد والله أعلم بتفاصيل هذه الواقعة، وشهودها من الطبيب النمساوي، إلى آخر من تولاها.

(34) - السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني (1886- 1909 م):

تزايدت ضغوط المفسدين على السلطان من أجل إلزامه بالدستور الذي كان أهم أهدافه مساواة المسلمين بالرعايا من اليهود والنصارى، وتمكن الفساد

باستلام مدحت باشا الصدارة سنة 1876وكان من أشد المنادين بهذه الإصلاحات.

والحقيقة – كما أشرت آنفا - فإنه يجب النظر بعين الريبة والتدقيق لمعظم ما كتب عن تاريخ الدولة العثمانية خلال القرن الأخير من حياتها. لأن الماسون واليهود كانوا قد تغلغلوا في الجيش وعموم دوائر الدولة، ولم يتيسر لي الإطلاع على مصادر تفصيلية عن تاريخ تلك المرحلة، و يُستنتج مما بلغنا عن مؤامراتهم على السلطان عبد الحميد الذي انقلبوا عليه، أن تلك الدسائس كانت قد بدأت قبل عهده بعدة عقود، منذ زاد نفوذ القناصل الأوربيين، وازداد تعلق الطبقة الجديدة من السياسيين والضباط، وحتى بعض السلاطين بالنموذج الأوربي للحضارة والسياسة، ونهش الماسون واليهود في بنية الدولة، إلى أن آلت لإسقاطها على يد ربيب يهود الدونمة المدعو (أتاتورك) !

- ولنتأمل فيما كتب فريد بك المحامي (صاحب مصدرنا الأساسي) (كتاب تاريخ الدولة العثمانية)، ويبدو أنه مصري من أصل تركي، وقد نشر كتابه سنة 1909 فيما يبدو والله اعلم. وكتابه يؤيد(جمعية الإتحاد والترقي) الماسونية، التي أشرفت على خلع السلطان عبد الحميد. فقد كتب يقول:

الدستور العثماني و النهضة الوطنية والإصلاحات في الدولة العثمانية:

(توفي السلطان سليمان القانوني سنة 1566 م والدولة العلية في إبان مجدها وأوج عظمتها وكانت ممالكها تحد شرقا بالحدود الهندية وغربا بالمحيط الأطلنطي وكانت أوروبا ترهب سطوته وتخشى قوته. فخلفه من بعده ملوك لم يتعقبوا خطواته ولم ينهجوا منهجه لاسيما وقد تألبت عليها الدول الأوروبية واختلفت عليها الفتن الداخلية. فبدأت في الانحطاط وانسلخت منها أجزاء كثيرة. وكانت أحيانا تنحط إلى أن تولى الخلافة السلطان سليم الثالث سنة 1789، والبلاد في اختلال والأحكام في ضعف و الإنكشارية قابضون على زمام الأمور يولون من شاؤوا من السلاطين، ويخلعون من شاؤوا ويقتلون من لم يسر وفق أهوائهم وأغراضهم، والبلاد في فوضى كادت تمزق شملها. فهاجه

حب الإصلاح وصرح بميله إلى تنظيم الجند على النمط الحديث وتسليحهم بالأسلحة الحديثة الاختراع فلم يوافق ذلك الإنكشارية فبطشوا به فمات والإصلاح في مهده.{ وانتبه لمديح الكاتب فإن السلطان سليم هو أول من جاهر بالفسوق و بعملية التغريب وخلع بفتوى من المفتي }.

على أن الفكرة رسخت في أذهان العثمانيين فتلقاها السلطان محمود وعمد إلى الإصلاح من الوجهة الإدارية والعسكرية فبدد جند الإنكشارية واحل محلهم جيشا منظما واخذ يبعث بمنشورات الإصلاح إلى الولاة والحكام ولكنه توفي ولم يتمم من فروع الإصلاح إلا تنظيم الجند تنظيما غير تام. وكانت فكرة الإصلاح قد سرت بين فئة من رجال الدولة فقاموا يبثونها على عهد السلطان عبد المجيد والسلطان عبد العزيز وأعظمهم شأنا وأعلاهم يدا مصطفى رشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا، فلما توفي السلطان محمود وخلفه السلطان عبد المجيد. نشر خط الكلخانة المشهور سنة 1839 م أي في 26 شعبان سنة 1255 هجرية. فكانت له ضجة اهتزت لها أوروبا وأخذ رجال الدولة منذ إصدار ذلك الخط الهمايوني ينظمون القوانين الخاصة لكل فرع من فروع القضاء. ثم تألفت لجنة جمعت أعاظم الأساتذة العثمانيين فألفوا المجلة الشرعية التي صدرت الإرادة الشاهانية من السلطان عبد العزيز عام 1289 هجرية بالسير حسب نصوصها وسن قانون الأراضي سنة 1274 هجرية وقانون الطابُو سنة 1275 هجرية وقانون الجزاء سنة 1274 هـ وكل هذه القوانين مقتبسة من القوانين الفرنسية مع مراعاة نصوص الشريعة الإسلامية (!!) ثم وضع قانون التابعية (الجنسية) العثمانية وتنظيم المحاكم الشرعية !والمحاكم النظامية والمحاكم التجارية{ وهي قوانين وضعية } ونظامات الإدارة الملكية، ونظام إدارة الولايات، ونظام شورى الدولة. ووضعوا نظاما للمعارف، ونظاما للمطبوعات، ونظامات أخرى للمطابع والطبع وحقوق التأليف والترجمة. ونظامات للرسومات وآخر للمعادن وغيره للطرق والمعابر وغير ذلك مما يقتضيه سير الحضارة ويلائم حالة الأمة. وبالجملة فإنهم لم يتركوا شيئا من لوازم إدارة الدولة حتى دونوا له قانونا. فمجموع هذه القوانين و النظامات كان معروفا في بلاد الدولة العلية بالدستور.

{وبالطبع فقد كانت مبارزة الـلـه تعالى بالحرب بالتشريع من دونه أول بوادر البوار والخسران وتألب الأعداء، فإنه:

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (فصلت:46) }

ومع ذلك فكان الحكم مطلقا وإرادة السلطان فوق كـل قـانون. وفي المـدة الـوجيزة التي جلس فيها السلطان مراد على سرير الملك كان مدحت باشا وحزبه الحـر قـد انتهـى من إعداد القانون الأساسي وترتيب نظام مجلس المبعوثين.{ومـدحت باشـا هـذا هـو رأس الأفعى الماسونية كما سيأتي تعريفه وبيانه }.

القانون الأساسي والسلطان عبد الحميد:

خلـع السـلطان مـراد سـنة 1293 هجريـة الموافـق 1876 م وجلـس السـلطان عبـد الحميد على عرش الخلافة وكان قد وعد رئـيس الأحـرار مـدحت باشـا قبـل جلوسـه عـلى العرش بمنح القانون الأساسي وإمتاع الأمة العثمانية بالحريـة. إلا أن عبـد الحميـد اظهـر حين جلوسه علامات دلت على إخلافه وعده. فمن ذلك انه جمع أعـداء الأحـرار وأضـداد القانون الأساسي وعينهم في السراي لتقوية مركزه. مع انه وعد مدحت باشا بتعيين الشاعر العثماني الكبير نامق كمال بك زعيم الانقلاب. وضياء باشا الأديب السياسي الشهير، مشـيرا فاخلف وعده. كما انه كان يسعى جهده لاستمالة الرأي العام إليه فكان يخدع الأهالي. إلا أن الأحرار لم ينخدعوا واستعدوا للمناضـلة في سـبيل القـانون الأسـاسي. وكانـت الدولـة في ذلك الوقت تحارب الصرب فهزمتهـا واسـتولى العثمانيـون عـلى قلعـة اكسـناج ووضـعت شروطا قاسية عليهم. ولكن هذه الدول رفضت هذه الشروط وطلبت مـن البـاب العـالي إبقاء الصرب على ما كانت عليه قبل الحرب ومـنح البوسـنة والهرسـك التـي كانـت ثـائرة أيضا إدارة مستقلة مع منح البلغار مثلها. فكان ذلك سببا لطمع الصربيين فقرروا محاربة الدولة ونظم جيوشهم المهندسون الروس.

ولكن كان الانهزام نصيبهم فاستولى العثمانيون على الكسناج وبلغـراد وسـاروا نحـو العاصمة بلغراد فاستنجد أمير الصرب بروسيا فأمر قيصرها سفيره في الآستانة بتقديم بلاغ شديد الـلـهجة إلى الباب العالي. وقـرر بعـد ذلـك عقـد مـؤتمر في الآسـتانة للنظـر في أمـر البلقان. وبالجملة فقد كان مركز الدولة العلية حرجا للغالية لأن أوروبا كلها تألبت عليهـا وكان يشتم من بلاغ سفير روسيا رائحة الحرب. فقرر الوكلاء إذ ذاك منح القانون الأسـاسي للتخلص من هذه الغوائل. واقتنع السلطان عبد الحميـد بوجـوب تنفيـذه لأنـه كـان مـن المستحيل قبول طلبات أوروبا. ولاتقاء الأخطار التي تنجم مـن رفـض تلـك الطلبـات كـان الواجب إجـراء بعـض الإصـلاح الـذي لا تـتمكن أوروبـا مـن انتقـاده هـو تنفيـذ القـانون الأساسي..

{ وانتبه لضغوط أوربا لفرض الماسون، والدستور الوضعي على الدولـة العثمانيـة، إذ يتابع فريد المحامي فيقول:}

وفي ذلك الوقت تعين مدحت باشا صدرا أعظما، وذلك لان الدول الأوروبية كلهـا تثـق به، لعلمها انه رئيس الأحرار وواضع القانون الأساسي، وقـرر السـلطان عبـد الحميـد تعيـين مدحت باشا كي ينظر في مسألة (المؤتمر الأوروبي) الذي قررت الدول عقده في الآستانة. فكان أول ما قام به مدحت باشا هـو إنهـاء المنازعـات بـين الدولـة وبـين الصرب والجبـل الأسـود وبلغاريا. وفي 24 ديسمبر 1877 اجتمع الوكلاء والعلماء والأمراء وغيرهم في الباب العـالي ثـم اقبل مدحت باشا وقرأ الإرادة الشاهانية التي منحت الأمة العثمانية الدستور والحرية..

على انه لم يكد ينتظم مجلـس المبعـوثين وينظـر في شـؤون الدولـة حتـى صـدرت الإرادة الشاهانية بفضه فتقوضت كل أركان ذلك البناء وابتليت الأمـة بطـور اسـتبداد جديـد لم تعهـد نظيره حتى في عصور الظلمات. هدم السلطان عبد الحميد ما بناه الأحرار ولكن رغما من ذلك لم تمت الفكرة في رؤوس العثمانيين فان هذا الجسم على قوته الكامنة بل على ضعفه الظاهر لم يقو على تحمل أذى الحكومة الحميدية بما انتابته من ضروب الظلم لاسـيما وألويـة الحكومـات

الدستورية قد انتشرت من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق وكواكب الحرية قد سطعت في كل مكان.

فبدأ الأحرار يعملون ليل نهار حتى انتصروا ذلك الانتصار الباهر عام 1908 فنالت الأمة العثمانية الدستور بجهاد جيشها الباسل و انتشرت الفكرة الوطنية من عهد مدحت باشا وساعد على انتشارها قصائد الشاعر العظيم نامق كمال بك الذي أدركه الموت في سجن ماغوسه . وألف نيازي بك أول عصابة في رسنة، وسار على إثره أنور بك ورائف بك، وحسن بك، وصلاح الدين بك.

أما إدارة الحركة فكانت في سلانيك والجمعية العمومية للاتحاد والترقي في باريس وكان الجميع يجتهدون لنشر الأفكار الحرة والمبادئ الدستورية. ومما ساعدهم على نشر أفكارهم انه لم يكن بينهم خائن فقويت حركتهم واتسعت حتى أصبح لا يمكن بقاؤها تحت طي الخفاء. وكانت لجنة الاتحاد والترقي وقفت مقدما على القوى التي يمكنها أن ترتكن عليها فوجدتها كافية وهذه القوى مؤلفة من الفيلقين الثاني والثالث المعسكرين في مناستر واسكوب وأدرنه وأزمير. ومن الفيلق الرابع المعسكر في أرض روم. فكان من المستحيل على الحكومة الحميدية إرسال الفيلق الأول المعسكر في الآستانة لمحاربة الدستوريين لأنه لا يمكن تجريد العاصمة من الجند. ومع ذلك فكان أغلب الضباط منضمين إلى الدستوريين. وكان جنود الفيلق الثاني والثالث أكثر من غيرهما فبدأ الدستوريون يؤلفون عصابات وطنية لمقاومة الحكومة إذا حاولت عرقلة مساعيهم فقامت عصابة نيازي بك ثم ظهرت عصابة أنور بك ورائف بك وحسن بك وغيرهم .

وانتهى الدستوريون من وضع الخطة في أواخر شهر يونيو سنة 1908 فأرسلت الحكومة الحميدية شمسي باشا لاقتفاء أثر عصابة نيازي بك، ولكنه قتل قبل أن يبدأ في مهمته، وأرسلت أيضا من أزمير ثلاثين فرقة من فرق الرديف فانضمت إلى الدستوريين وقوت صفوفهم وفي يوم 21 و 22 و 23 يوليو أرسل الدستوريون التلغرافات إلى الصدر الأعظم من سالونيك ومناستر

واسكوب وسيريس، هددوا فيها الآستانة بالزحف عليها إذا لم يعلن الدستور، فلما وصلت هذه التلغرافات إلى السلطان عبد الحميد أصدر الإرادة الشاهانية بمنح الدستور والقانون الأساسي.

الحادثة الإرتجاعية وخلع عبد الحميد:

تفرق شمل المستبدين منذ إعلان الدستور وازداد النفور بينهم وبين لجنة الاتحاد والترقي فأخذوا يفكرون في اجتثاث أصول الفساد.

فشجعوا أولا الجرائد على الكتابة ضد الجمعية ثم قامت حامية الآستانة بإيعاز من أركان السراي ولخصوا مطالبهم في شكل ديني كي ينضم إليهم أهالي الآستانة وها هي مطالبهم:

1. إحياء الشريعة.
2. عزل الصدر الأعظم وناظري الحربية والبحرية.
3. طرد احمد رضا بك وحسين جاهد بك وجاويد بك ورحمي بك وطلعت وإسماعيل حقي بك...الخ من المجلس.
4. عزل محمود مختار باشا لأنه لم يشترك معهم.
5. العفو عنهم.

فعقد مجلس المبعوثين اجتماعا فوق العادة ومع أن عدد الأعضاء لم يتجاوز الخمسين فإنهم قرروا إجابة مطالب الثوار وانتخبوا وفدا منهم ليبلغ السلطان قرارهم فتعين إذ ذاك توفيق باشا صدرا أعظم وادهم باشا ناظرا للحربية وقرر العفو عن الجنود فبدأ أولئك يطلقون البنادق احتفالا وكان يبلغ عدد أولئك ثلاثين ألفا واجتمع المجلس مرة أخرى بعدها فقرر قبول استقالة الرئيس احمد رضا بك وانقلبت لهجة الجرائد انقلابا إجباريا فباتت تتكلم عن السلطان عبد الحميد كما كانت تتكلم عنه أيام الاستبداد وكانت الحالة كذلك في الآستانة. فوردت الأنباء بمجيء الجنود من (الروم ايلي) لحماية الدستور ومجلس المبعوثين. ثم حاصر جيش الحرية الآستانة فأوفد المبعوثون وفدا لمقابلته. ودخل الجيش تحت قيادة محمود شوكت باشا الآستانة وحاصر يلديز وحدثت هناك

موقعة كبيرة انتهت بتسليم حامية يلديز ولكن السلطان عبد الحميد استمر على المقاومة فقرر جيش الحرية أن يحمل الحملة الأخيرة فأطلقت القنابل على حامية الباب العالي والنادي العسكري واستولت عليهما ثم قبضت على الكثيرين من أنصار الحكم القديم الذين أثاروا الفتن ومن بينهم مراد بك الداغستاني. واعدم الجواسيس رميا بالرصاص. ويقدر عدد القتلى 1200 قتيل وحاصرت الجنود الدستورية بعدها قشلاقات(معسكرات) اسكودار فاستولت عليها ولم يبق إذ ذاك أي خطر على القانون الأساسي فعاد أعضاء البرلمان إلى الآستانة واجتمعت الجمعية العمومية لتتداول في أمر السلطان عبد الحميد. وكانت النتيجة عزل السلطان عبد الحميد وتولية السلطان رشاد مكانه.

وتم يوم 27 ابريل سنة 1909 تتويج السلطان رشاد باسم السلطان محمد الخامس وبالجملة فان أنصار الاستبداد أثاروا فتنتهم الأخيرة فوقع الدستور في أزمة شديدة وتشتت شمل عشاقه وحماته. وترقب الملأ أن يعيد السلطان عبد الحميد ما فعله مع الدستور الأول. ولكن كانت الروح الدستورية قد قويت في قلوب العثمانيين وارتكزت على قوة الجند فاحتمل أنصار الدستور تلك الضربة بالصبر والثبات وتجدد النزاع الطبيعي بين الاستبداد والحرية وانتهى بخلع السلطان عبد الحميد.

(...)إلا أن عبد الحميد الذي طبع على الاستبداد لم يرقه أن يرى أمته متمتعة بالحرية راقية أوج الكمالات منظمة أمورها بنفسها مقيمة العدل فسولت له نفسه إحداث تلك الفتنة الارتجاعية لتقويض صروح الإدارة الدستورية ولولا أن أدرك الآستانة في ذلك الوقت بطل الحرية وقائد جيش الفدائيين محمود شوكت باشا. وبطلا الحرية نيازي بك وأنور بك لتم له ما أراده و لذهبت أتعاب حزب الاتحاد والترقي الذي جاهد في سبيل الحرية ثلاثين عاما أدراج الرياح.

واجتمع المجلس العمومي اجتماعا سريا وخلع عبد الحميد بموجب فتوى من شيخ الإسلام هذا نصها : (إذا اعتاد زيد الذي هو إمام المسلمين أن يرفع من الكتب الشرعية بعض المسائل المهمة الشرعية وان يمنع بعض هذه الكتب

ويمزق بعضها ويحرق بعضها وان يبذر ويسرف في بيت المال ويتصرف فيه بغير مسوغ شرعي وان يقتل الرعية ويحبسهم وينفيهم و يغربهم بغير سبب شرعي. وسائر أنواع المظالم ثم ادعى انه تاب وعاهد الله وحلف انه يصلح حاله ثم حنث وأحدث فتنة عظيمة جعلت أمور المسلمين كلها مختلة. وأصر على المقاتلة وتمكن منعة المسلمين من إزالة تغلب زيد المذكور ووردت أخبار متوالية من جوانب بلاد المسلمين أنهم يعتبرونه مخلوعا وأصبح بقاؤه محقق الضرر وزواله محتمل الصلاح فهل يجب احد الأمرين خلعه أو تكليفه بالتنازل عن الإمامة والسلطنة على حسب ما يختاره أهل الحل والعقد وأولي الأمر من هذين الوجهين. الجواب: يجب. كتبه الفقير السيد محمد ضياء الدين عفى عنه).

فلما قرئت هذه الفتوى الجليلة على الأعيان والمبعوثين سألهم سعيد باشا رئيس الأعيان الذي كان يرأس الجلسة أتختارون خلعه أم تكليفه بالتنازل.فأجابوا بصوت واحد الخلع..الخلع.

وهذه ترجمة قرار هذا المجلس العمومي المؤلف من الأعيان والمبعوثين: يوم الثلاثاء سابع ربيع الآخر سنة 1327 و 14 نيسان سنة 1325 / 27 ابريل 1909 م. (قرئت الفتوى الشرعية الموقع عليها بتوقيع شيخ الإسلام محمد ضياء الدين أفندي في المجلس العمومي المؤلف من المبعوثين والأعيان. ورجح بالاتفاق وجه الخلع الذي هو أحد الوجهين المخير بينهما. فاسقط السلطان عبد الحميد خان من الخلافة الإسلامية والسلطنة العثمانية. واصعد ولي العهد محمد رشاد أفندي باسم السلطان محمد خان الخامس إلى مقام الخلافة والسلطنة.

(انتهى كلام فريد بك. وينتهي هنا التلخيص من كتابه بتصرف كبير)

ولكن الحقيقة كانت غير ذلك الذي زعمه محامي الإتحاد والترقي هذا، فقد كانت باختصار.. أن:

اليهود ومسألة فلسطين وتناهب الدول الاستعمارية للعالم الإسلامي كانت السبب الأساسي وراء خلع السلطان عبد الحميد:

إن معظم الأحداث الكبرى التي جرت في المنطقة الإسلامية – العربية خاصة – كانت ترمي إلى الهدف الكبير الذي وضعه هرتزل ومن ورائه اليهود نصب أعينهم وهو الوصول إلى أرض الميعاد كان أمام اليهود عقبة كأداء لا يمكن تجاوزها وهي الدولة العثمانية وعلى رأسها السلطان عبد الحميد الثاني الذي حكم بين (1876-1909)

حاول اليهود أولا إغراء السلطان الصالح عبد الحميد، فالسلطان عبد الحميد وصل إلى الخلافة في وقت كادت الماسونية تأخذ بخناق الدولة حيث تمكن مدحت باشا – أبو الأحرار كما يسمونه – وبعبارة أدق في نظرنا " أبو الماسونية آنذاك " أقول تمكن أن يخلع خليفتين ويقتل السلطان عبد العزيز عم السلطان عبد الحميد، واشترط على السلطان عبد الحميد قبل أن يأتي إلى الحكم أن يعلن الدستور "أي الدستور العلماني الغربي الذي يتساوى فيه اليهود والنصارى مع المسلمين – وكان السلطان عبد الحميد شخصية داهية ذكية معتزة بربها فقبل. وبعد أن وصل إلى الحكم ألقى القبض على مدحت باشا وأودعه السجن في الطائف وأخيرا قتل مدحت في السجن بطريقة ذكية مما أثار سخط العالم الذي تحركه الماسونية على السلطان عبد الحميد، إلا أن تلاميذ مدحت واصلوا التخطيط للانتقام من السلطان عبد الحميد.

ولنرجع إلى هرتزل الذي توجه إثر انتهاء مؤتمر بال سنة (1897) لمقابلة السلطان عبد الحميد وأخذ معه حاخام القسطنطينية (موسى ليفي) وعرضوا على السلطان عروضا منها:

1. إنشاء أسطول عثماني.
2. دعم سياسة العثمانيين في العالم الخارجي.

3. مساعدة اليهود للسلطان في تحسين أوضاعه المالية.

4. إنشاء جامعة عثمانية في القدس.

قال هرتزل " مثلا لو رضي مولانا وباع لنا الأراضي التي ليس لها مـالكون في فلسـطين بالثمن الذي يقدره" فغضب السـلطان وقـال: (إن أراضي الـوطن لا تبـاع، إن الـبلاد التـي امتلكت بالدماء لا تباع إلا بالثمن نفسه)

ولم ييأس هرتـزل وقابـل السـلطان مـرة ثانيـة (1901) وفي هـذه المـرة عرضـوا عـلى السلطان نفسه (150) مائة وخمسين مليونا من الجنيهات الذهبية الإنجليزية فقال (إنكم لو دفعتم ملء الأرض ذهبا – فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعـي، لقـد خـدمت الملـة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة، فلـن أسـود صـحائف المسـلمين آبـائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين).

ولقد كانت المقابلة هذه المرة مع (قرة صو) المحامي اليهودي الماسـوني الـذي أشرف على محفل سالونيك.

ولقد نقلت بعض المصادر أن السلطان صاح في وجه هرتـزل (أخـرج مـن وجهـي يـا سافل) وصاح بالحاجب الذي أدخله قائلا (أما كنت تعلم ما يريده هذا الخنزير مني)

فطار هرتزل مع قرة صو إلى إيطاليا وأرسل (قرة صو) برقية إلى السلطان.

(ستدفع الثمن هذه المقابلة من نفسك وعرشك).

يقول هرتزل في مذكراته: (ونصحني السلطان عبد الحميد بـأن لا أتخـذ أيـة خطـوة أخرى في هذا السبيل لأنه لا يستطيع أن يتخلى عن أي شـبر واحـد مـن أرض فلسـطين إذ هي ليست ملكا له، بل هي لأمته الإسلامية التي قاتلـت مـن أجلهـا وروت التربـة بـدماء أبنائها.... وقال عبد الحميد: إن عمل المبضع في بدني لا أهـون عـلي مـن أن أرى فلسـطين تقتطع من أمبرطوريتي. ثم قـال: وفـر نقـودك يـا هرتـزل فعنـدما يـذهب عبـد الحميـد ستأخذون فلسطين مجانا).

وبعد هذا صمم اليهود على الإطاحة بعبد الحميد: وفي سنة (1904) فجروا عربة أمام المسجد الذي يصلي فيه السلطان صلاة الجمعة ونجاه الله من الموت وقتل كثير من الناس.

وتكالب الماسون على إقصائه، ودفعت الماسونية بعملائها إلى أن تصدروا المناصب العليا في الدولة أمثال طلعت باشا، أنور باشا – وزير الحربية – أرستيدي باشا – رومي أصبح وزيرا للنافعة، جمال باشا – حاكم الشام – مصطفى كما باشا قائد جبهة الشرق العربي في الحرب العالمية الأولى جاويد باشا (دافيد باشا) – وزير المالية.

حسين جاهد يالشين أحد أعضاء لجنة التوفيق الثلاثة (أمريكي وفرنسي وتركي) بين العرب واليهود وأصبح السلطان يجد نفسه يوما بعد يوم محاطا برجال اشترتهم الماسونية من خلال جمعية (الإتحاد والترقي) وأصبحت قبضته تخف تدريجيا حتى استطاعوا أن يجبروه على إعلان الدستور. فأنشأ مجلس المبعوثان (مجلس النواب) الذي دخله اليهودي والنصراني والمسلم وجاء (قرة صو) إلى مجلس المبعوثان.

وكان إعلان الدستور نصرا للنصارى واليهود في كل الأرض حتى أهدى جو رجي زيدان النصراني – دار الهلال – كتابه الإنقلاب العثماني إلى الأبطال !!؟ الذين أعلنوا الدستور سنة (1908). ثم استطاع الماسون أن يحركوا الجيش بقيادة محمود شوكت – العربي – وللأسف - واجتمع مجلس النواب لينتزعوا قرارا بالإطاحة بالسلطان. ولقد كانت أصابع ناحوم حاييم (حاخام القسطنطينية) بارزة في الأمر، وقدم كتاب الخلع إلى السلطان عبد الحميد ثلاثة.

1. قره صو.
2. أستيدي باشا.
3. عارف حكمت الذي كانت أمه خادمة في قصر السلطان فأخذ السلطان ابنها هذا – عارف – وأدخله في البحرية حتى أصبح ياورا في البحرية.

كان إقصاء السلطان عبد الحميد عن الخلافة في نيسـان سـنة (1909) وكانـت هـذه أكبر طعنة وجهت للإسلام، وفي تلك الليلة التي نزل فيها السلطان عبد الحميـد عـن سـدة الحكم نستطيع القول بأن:

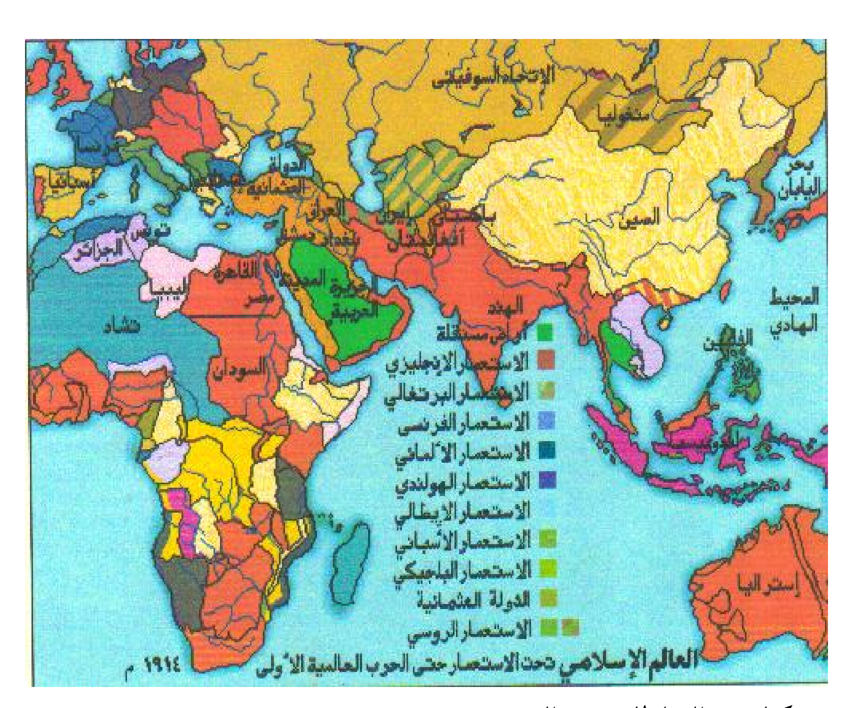
الإسلام الفعلي أزيل مـن الوجـود والشـهود وسـقطت فلسـطين – حقيقيـة – في يـد اليهود.

يقول أنور باشا – أحد أقطـاب الماسـونية و الإنقـلاب عـلى السـلطان عبـد الحميـد مخاطبا جمال باشا أتعرف يا جمال ما هو ذنبنا؟

نحن لم نعرف السلطان عبد الحميد فأصبحنا آله في يد الصهيونية واشترتنا الماسونية العالمية، نحن بذلنا جهودنا للصهيونية فهذا ذنبنا الحقيقي.

ويقول برنارد لويس: (لقد تعاون الإخوة الماسـون واليهـود سرا عـلى إزالـة السـلطان عبد الحميد لأنه كان معارضا قويا لليهود. إذا رفض بشدة إعطـاء أي شـبر أرض لليهـود في فلسطين.

(الذخائر العظام / ص: 921)



تركيا بعد السلطان عبد الحميد:

سقط السلطان المظلوم عبد الحميد بفعل الماسونية اليهودية، وأصبحت تركيا تسير من قبل (جمعية تركيا الفتاة، وجمعية الاتحاد والترقي) التي أضحت لعبة بيد الماسونية، فقد كانت القومية التركية التي يدعو إليها حزب الإتحاد والترقي بيد اليهود

وهكذا توالت النكبات على تركيا، الخلافة ضعيفة تلعب بها جمعية الاتحاد والترقي – الدعاة القوميون – وهم علمانيون لا متدينون، و المحافل الماسونية تنتشر انتشار النار في الهشيم، والديون تتراكم، ومن وراء ذلك كله الأصابع اليهودية التي صممت الإطاحة بتركيا لتصل إلى أرض الميعاد.

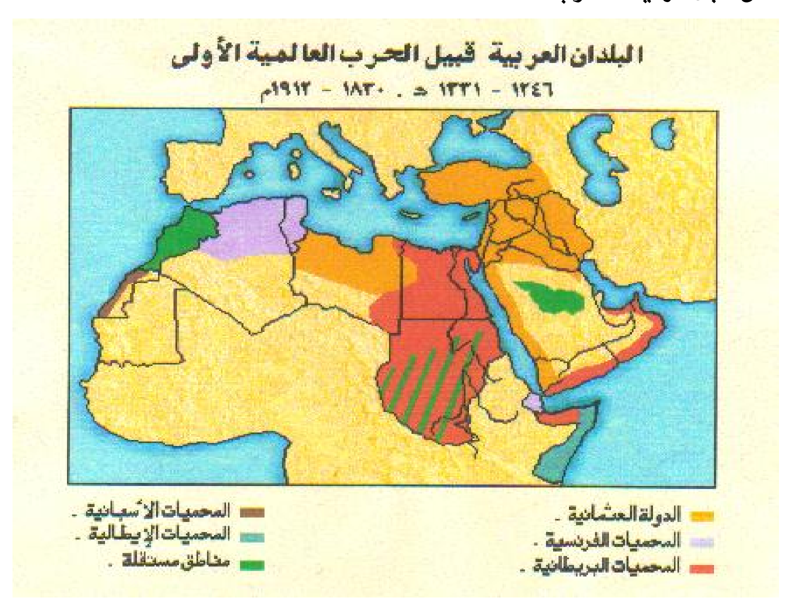
(35) - السلطان محمد رشاد خان الخامس (1909- 1924م):

تمت تولية السلطان رشاد وتم يوم 27 ابريل سنة 1909 و توج السلطان رشاد باسم السلطان محمد الخامس.

وكان قد قضى اغلب عمره في قصر زنجيرلي كوي. إلى حين حدوث الانقلاب العثماني على السلطان عبد الحميد.

وقد بقي السلطان رشاد حبيسا في قصره فيما كان العسكريون والسياسيون من جمعية الإتحاد والترقي يلعبون بمصير الخلافة.

وقد ورط هؤلاء المجرمون الخلافة العثمانية في عهده بدخول الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا ضد الحلفاء. وكان ولي عهده الأمير وحيد الدين. وقد توفي السلطان محمد الخامس قبل نهاية الحرب سنة 1918.



(36) – السلطان محمد السادس (وحيد الدين) (1918-1924):

وقد خلف السلطان محمد الخامس، وبقي كذلك حبيس قصره، فيما كان الحلفاء يسيطرون على مقدرات الخلافة ويقطعون أوصالها إربا بإشراف الإنكليز، ومؤامرات اليهود، وتنفيذ الماسون. حيث أبرزت المؤامرات كما سنرى، مصطفى كمال أتاتورك. وخرجت تركيا محطمة من الحرب العالمية الأولى

و تقاسمت الدول الكبرى ورثة الرجل المريض! كما كانوا يطلقـون عـلى تركيـا، واسـتراحت أوروبا من هذا الغول الرهيب الذي كان يقض مضاجعها لقرون طويلة.

وجاء مصطفى كمال بعد هزيمته في جبهته في الشرق العربي وبرزت شخصيته كقائـد عسكري من خلال بعض الإشتباكات العسكرية المسرحية مع اليونـان. وانطلقـت الأقـلام لتبرزه.

وفعلا رتبت لدول الكبرى (ولاسيما بريطانيـا) مـع مصـطفى كـمال واشـترطت عليـه شروطا في معاهدة لوان (1922) حيث كان يمثله فيها عصمت إينونو. فاشترط عليـه كـرز ون – وزير الخارجية بريطانيا – آنذاك – شروطا أربعة وهي:

إسقاط الخلافة في تركيا.

سحق أية محاولة لإعادة الخلافة.

محاربة الشعائر الإسلامية.

اتخاذ قانون غربي للحياة في تركيا بدل الشريعة الإسلامية. وقبل مصطفى كـما بهـذه الشروط وانسحبت دول الحلفاء من تركيا وعندما وقف مجلس العموم البريطاني في وجـه كرزون الذي وافق على سحب جيوش الحلفاء من تركيا، قائلين سـتعود تركيـا مـرة أخـرى لاحتلال أوروبا فقال: اطمئنوا.

(لن تقوم لتركيا قائمة بعد أن جردناها من الإسلام والخلافة).

وتمسح مصطفى كمال أولا بمسوح الرهبان، وتظهر صورة مصـطفى كـمال وهـو يلـبس ثياب العلماء في عيد الأضحى ويحمل السبحة الطويلة ويحـث النـاس عـلى الشـعائر الإسـلام ومرت الأيام وجمع مصطفى كمال العلماء واستشارهم بفصل الدين عن الدولـة (كالكنيسـة) واستنكر العلماء هذه الخطة فطبق مسحا بالنواصي والأعناق وقتل من العلماء مقتلـة كبـيرة. وأعلن إسقاط الخلافة سنة (1924) وناح الناس عليها، وتداعى الناس لينصبوا لهم خليفة ولـو كان الخليفة هو ملك مصر – ومع هذا رفضت بريطانيا – أن يعود هذا الإسم المجـرد صـورة

نظرية مصطنعة. وبذلك كان السلطان (محمد السادس) آخر الخلفاء العثمانيين وآخر من سمي خليفة في تاريخ الإسلام والمسلمين حتى الآن.. حيث لم تقم وإلى يومنا هذا خلافة إسلامية. وهكذا وصلت جمعية الإتحاد والترقي إلى الحكم واستراحت من الغول الرهيب الذي طالما أقض مضجعها وأرق أجفانها (عبد الحميد) وأصبحت تركيا الإسلامية دمية في يد اليهودية تحركها كيف شاءت وأنى أرادت. وأصبحت مقاطعاتها حمى مستباحا للذئاب الغربية من أعداء الإسلام، وأصبح هذه المارد الجبار (الدولة العثمانية) يؤكل شلوا شلوا.

فابتلع الغرب أولا دول البلقان النمسا والمجر والبوسنة والهرسك في تشرين الأول سنة (1908) (أي بعد تسلم الإتحاد والترقي زمام الأمور). وبعد إعلان الدستور بشهرين فقط. وانفصلت بلغاريا، واعتدت إيطاليا على ليبيا في خريف سنة (1911) ثم نشبت الحرب البلقانية سنة (1912). وفي هذه السنوات القليلة فقدت الدولة العثمانية جميع ولاياتها في أوربا (ماعدا تراقيا الشرقية). وفقدت ذلك الجزء من ليبيا الذي يتألف من ولايتي طرابلس الغرب وبني غازي - وقد انسحبت تركيا من ليبيا بمؤامرة خيانة مكشوفة لا تخفي على كل ذي عينين، ولا يفوتنا أن نذكر أن اليهود الإيطاليين هم المحافل الماسونية في سالونيك، وفي بيوت هؤلاء اليهود الإيطاليين كانت نعقد اجتماعات جمعية الإتحاد والترقي. فليس كبيرا أن تعطي جمعية الإتحاد والترقي ليبيا هدية متواضعة إلى إيطاليا كرد جميل على صنيعهم السابق الكبير.

وفضلا عن هذه الخسارة فقدت كريت، وكانت ميزانية تركيا قد ناءت بأعباء النفقات العسكرية.

وبدأت محاربة الشعائر في تركيا، فمنع الأذان باللغة العربية، ومنع اللباس الشرعي، ومزق رجال الأمن لدى مصطفى كمال ثياب النساء في الشوارع، وحرم غطاء الرأس بالنسبة للنساء، ومنعت الكوفية والعقال (لأن العرب يلبسونها) بالنسبة للرجال، وفرض لبس القبعة بالنسبة للرجال ومنع قراءة القرآن بالعربية. وأمر بترجمته إلى التركية. وحول كمال مسجد أيا صوفيا إلى متحف، وأقفرت المساجد وخلت المحاريب، و صوحت المآذن، وافتقد الناس

الشباب من طريق الإسلام، وأصبح اللقاء على كتاب اللـه في المسجد جريمة يحـاكم عليهـا القانون، واختلف من المساجد حلقات العلم و دروس الفقه، وتوارى العلماء أمامه تحـت التراب قتلا أو في بيوتهم. وتقدم السفهاء، وتكلمت الرويبضات كما جاء في الحديث:

- (إن بين يدي الدجال سنين خداعة، يخون فيها الأمين ويؤتمن فيها الخـائن، ويصـدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق وتفنى الوعول، وتظهر التحـوت، قيـل يـا رسـول اللـه ما الوعول وما التحوت؟ قال: الوعـول: أشراف النـاس والتحـوت: الـذين كـانوا تحت الأقدام لا يؤبه لهم).
- وعن أبي هريرة مرفوعا: (لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل، ويخون الأمين، ويؤمن الخائن، وتهلك الوعول وتظهر التحوت، قالوا يـا رسـول اللـــه ومـا التحـوت والوعول؟ قال: الوعول وجوه الناس وأشرافهم والتحوت الـذين كـانوا تحـت أقـدام الناس ليس يعلم بهم).
- وفي الحديث الآخر الصحيح الذي رواه الطبراني عن عوف بن مالك مرفوعا:

(أخاف عليكم ستا: إمارة السفهاء، وسفك الـدماء، وبيـع الحكـم. وقطيعـة الـرحم، ونشوا يتخذون القرآن مزامير، وكثرة الشرط).

وبقى مصطفى كمال يواصل الحرب على الإسلام حتى نهاية حياته وتركيا تـتحطم في جميع الميادين وتتراجع في كل مضمار.

أهم الأسباب الداخلية المباشرة التي أدت إلى سقوط الخلافة:

أولا: انتشار الدعوات القومية:

وخاصة (دعوة القوميـة التركيـة (الطورانيـة)، والقوميـة العربيـة، وأشراف الماسـون واليهود على إحيائها وإذكاء نار التعصب والفرقة بين أتباع القوميتين الرئيسيتين المكـونتين للدولة العثمانية.

القومية التركية (الطورانية):

لقد بذرت البذور الأولى للقومية التركية في داخل الأكاديمية العسكرية في إسطنبول مع الأساتذة العسكريين الألمان الذين وفدوا إلى الكلية ليدربوا الأتراك الذين كانوا بحاجة إلى جيش قوي مدرب على وسائل القوة الحديثة وأساليب القتال العسكرية، خاصة وأن تركيا تقاتل العالم بأسره يرميها عن قوس واحدة، فقد وصلت بعثة عسكرية ألمانية سنة (1883) يرأسها الكولونيل (فون درجولسن) وبقي يعمل قرابة ثلاث عشرة سنة تمت خلالها بذرة القومية.

وأما العامل الثاني لنشوء القومية الطورانية هو: هجرة اللاجئين المجريين والبولنديين إلى تركيا بعد فشل ثورتهم سنة (1848)، واعتنق هؤلاء الإسلام وأصبحوا من الطبقة المتنفذة في الدولة، ومن هؤلاء (قسطنطين بورزيكي)، وقد سمى نفسه بعد ذلك مصطفى جلال الدين باشا، فلقد كان هذا الرجل هو رأس الأفعى القومية التي نقلت سمها إلى عقول ونفوس الأتراك، يقول برنارد لويس:

(ولقد عمل يورزيسكي على نقل القومية البولونية ووضعها في قالب تركي، وساعده على هذا العمل ما عرضه من أعمال المستشرقين الغربيين الباحثين في الشئون التركية، وكان لها تأثيرا هام في تقدير التاريخ التركي القديم، والاعتقاد بالهوية المميزة).

ولا يفوتنا أن نعود فنذكر بأن جمعية الإتحاد والترقي كلهم ماسون (يهودية عالمية)، وأن يهود سالونيك هم اليد المحركة لهذه الجمعية وهم داخلون فيها. ونعود مرة أخرى فنذكر بكلام ستون وتسون: (إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الإتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية) فأطاحت بعبد الحميد وبتركيا وبالإسلام.

ولقد كان لهذه الدعوة إلى القومية التركية أثر سيء انعكس في نفوس الشعوب الإسلامية التي تخضع للسيادة العثمانية،و بدؤوا يطالبون بالاستقلال ويشكلون الجمعيات السرية لمحاربة تركيا، خاصة بعد السلوك المشين الغريب

الذي سارت عليه جمعية الإتحاد والترقي، وعلى رأس هذه الشعوب العرب الذين اتخـذوا من هذا السلوك مبررا للوقوف بجانب بريطانيـة ضـد الأتـراك في الثـورة العربيـة الكـبرى بقيادة الشريف حسين، وكان لها من النتائج الوخيمة على العالم الإسلامي.

فقد كتب ستون وستون يقول:

(إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الإتحاد والترقي أنها غير تركية وغـير إسـلامية، فمنذ تأسيسها لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضوا واحد من اصل تركي صـاف، فـأنور باشـا هو ابن رجل بولندي مرتد وكان جاويد من الطائفة اليهودية المعروفـة (دونمـة)، وكراسـو من اليهود الأسبان القاطنين في مدينة سالونيك، وكان طلعت باشا من أصل غجري اعتنـق الإسلام دينا، وأما أحمد رضا أحد زعمائهم في تلـك الفـترة فكـان نصـفه غجريـا إلى جانـب كونه من أتباع مدرسة كونت الفلسفية).

ويضيف ستون وتسون قائلا إن أصحاب العقول المحركة وراء الحركة كانوا يهـودا أو مسلمين من أصل يهودي، وأما العون المالي فكـان يجيـئهم عـن طريـق (الدونمـة) ويهـود سالونيك الأثرياء.... كما أنـه كانـت تـأتيهم معونـات ماليـة مـن الرأسـمالية الدوليـة – أو الشبيهة بالدولية – من فينا وبودبست وبرلين من باريس ولندن).

ويقول هربرت أبري:

(كان يهـود سـالونيكا يهوديـا ويعرفـون (بالدونمـة) – أي المرتـدون – شركـاء الثـورة التركية الحقيقيين، وهؤلاء هم من العرق اليهودي، ولكن معتقـدهم قـد لا يكـون يهوديـا أصلا، والاعتقاد الشائع بين الناس هو: أنهم مسلمون بالاسم، وأما بالفعل فإنهم من أتبـاع توراة موسى... وفي تلك الفترة التي نحن بصددها لم يعـرف أحـد مـن النـاس شـيئا عـنهم، سوى قلة من العلماء المختصين بدراسة الشرق الأدنى، ولم يكن أحـد مـن النـاس يجـرؤ أن يتنبأ أن هذه اليهودية المعروفة (بالدونمة) سـتلعب دورا رئيسـيا في ثـورة كـان لهـا نتـائج خطيرة في سيرة التاريخ).

يقول توينبي:

(إن الضباط في تركيا الحميدية هي الطبقة الوحيدة التي استطاعت أن تفتح نافذة فكرية دائمة تنفذ عن طريقها التأثيرات الغربية في سنة (1908) وبعد ثلاثين عاما من حكم استبدادي مظلم كان الجيل التركي الجديد من العسكريين هو رأس الحربة لهجوم الليبرالية الغربية على تركيا).

وثيقة السفير البريطاني في استانبول (لاروز) سنة 1910 حول العلاقة بين جمعية الإتحاد والترقي وبين اليهود و الماسونية:

هذه الوثيقة السرية هي أصلا رسالة سرية جدا أرسلها السفير البريطاني في القسطنطينية (السير جيرار ولاوزر) بتاريخ (1910/5/29م) إلى وزير الخارجية بريطانيا (السير ش. هارونج) وتحوي معلومات دقيقة حول العلاقة بين (جمعية الإتحاد والترقي) واليهود و الماسونية.

وهذه الوثيقة السرية كُشف عنها النقاب في بريطانيا حديثا، وقد نشرتها مجلة (المجتمع الكويتية) ابتداء من (1978/12/25م) في الأعداد (425.429) نقلا عن مجلة آفاق العراقية. ونقتطف منها الأجزاء الأهم:

- في مدينة (سالونيك) { مدينة يونانية كانت آنذاك تحت الحكم العثماني} مائة وأربعون ألف نسمة، منهم ثمانون ألف نسمة يهودي من أصل أسباني (أي هربوا من أسبانيا) (20.000) يهودي من سبط (لآوي) أو من اليهود المتظاهرين بالإسلام والذين يدعون (يهود الدونمة).
- ومعظم اليهود الإسبان يتمتعون بالجنسية الإيطالية، وهم ماسونية ينتمون إلى المحافل الإيطالية. فهم لذلك يتمتعون بالحصانة الممنوحة للأجانب في الدولة العثمانية ضد الملاحقة والتفتيش.
- أسس اليهودي (قره صو) قبل بضعة أعوام في سالونيك - بالتعاون مع الماسونية الإيطالية - محفل (ماسيدونيا روزيتا)، وأقنع رجال تركيا الفتاة ضباطا ومدنيين بالإنتماء إلى الماسونية، وهدفه فرض النفوذ اليهودي على الأوضاع الجديدة في تركيا.

يظهر أن المخططين لحركة تركيا الفتاة في سالونيك كانوا بالدرجة الأولى من اليهود.

بعد ثورة (1908م) بقليل أصبح من المعروف بأن عددا كبيرا من قاداتها كانوا من الماسونية.

جميع اليهود على الإطلاق كانوا مؤيدين متحمسين للعهد الجديد.

أصبح كل اليهودي جاسوسا لجمعية الإتحاد والترقي.

بدأ الناس يقولون: إن الحركة اليهودية أكثر منها تركية.

عينت إيطاليا اليهودي (بريموليفي) قنصلا عاما في سالونيك وعينت الولايات المتحدة (أوسكار شتراوس) سفيرا لها في القسطنطينية، وكان شتراوس يهودي.

العقيد اليهودي الدونمه (رمزي بيك) كان قائد الأفواج الأربعة التي أرسلت خصيصا من سالونيك إلى القسطنطينية وقد عين رئيسا لأركان حرب السلطان (محمد الخامس)، وعندما خلع السلطان (عبد الحميد) واعتقل في سالونيك عين أخ لرمزي بيك مشرفا على السلطان في سجنه.

أعلن المؤتمر الصهيوني التاسع المنعقد في هاسبورج في شهر كانون الأول سنة (1909م) أن إنقسام اليهود إلى صهيونيين، ودعاة للهجرة إلى مناطق أخرى غير فلسطين، قد انتهى بفضل (معجزة الثورة التركية) بمعنى أن فلسطين أصبحت مضمونة بلا شك.

بعد خلع عبد الحميد أُعلنت الأحكام العرفية لمدة سنتين، وكان معظم الضباط في المحاكم العرفية ماسونيين.

مدير المطبوعات في الدولة يهودي من سالونيك وله سلطة إيقاف أي جريدة.

وكالة الأنباء التلغرافية – التي تقدم رأي الاتحاديين في الأحداث الداخلية والخارجية – مديرها يهودي من بغداد.

رئيس الفرع الرئيسي لجمعية الإتحاد والترقي في القسطنطينية يهودي من سالونيك.

مديرية الأمن العام في الدولة بيد ماسوني من سلانيك.

في مقدونيا والقسطنطينية ظهر خلال العام الماضي (1909م) إثنتا عشر محفلا ماسونيا جديدا.

أُفهم الموظفون وغيرهم – من ذوي المناصب المهمة – أن مناصبهم وموارد رزقهم تتوقف على دخولهم في المحافل الماسونية.

لكي تشدد الجمعية قبضتها على الجيش أدخل عدد كبير من الضباط – وخاصة من ذوي الرتب الصغيرة – في محفل ماسوني يسمى (ريسنا) بلد (نيازي بيك)، ويرأس المحفل أخوه النقيب (عثمان فهمي بك).

دخل في الماسونية معظم نواب الجمعية في مجلس المبعوثان والأعيان في المحفل الذي يسمى (الدستور) وكان من كبار رؤسائه (طلعت بيك).

نواب المعارضة وخاصة العرب بدؤوا ينشئون لهم محافل خاصة بهم مثل (محفل التآخي العثماني) (أصدقاء الحرية) أو ينضمون إلى المحفل القائمة.

طائفة البكطاشية تفشت بينهم الماسونية.

في المدة التي بين (1909م- 1910م) أنشئت المحافل الماسونية التالية: (الوفاء الشرقي، نهضة بيزنيطة، الأصدقاء الحميمون للإتحاد والترقي، الحقيقة، الوطن النهضة، وفرع من محفل (نهضة مقدونيا)، الفجر). ويبدوا أن جميع هذه المحافل الماسونية – مثل شبكة المحافل الماسونية في سالونيك ومقدونيا – كان يقودها أو يخطط لها اليهود.

الأمير المصري سعيد حليم وأخوه الأمير عباس حليم والأمير عزيز حسن ماسونييون.

إدريس بيك راغب – رئيس المحفل المصري الأعظم – هو المؤسس والمهيمن على عدد من المحافل الماسونية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان.

عدد كبير من الروم الكاثوليك في لبنان ماسونيون.

محمد أورفي باشا أسس عددا من المحافل الماسونية في مصر والقدس وجنوب سوريا.

يوسف بيك السكاكيني من زعماء الماسون.

الزعيم الوطني المصري (محمد فريد) ماسوني كبير عين ممثلا في مصر لمحفل الشرق العثماني الأعظم واقيمت حفلة التنصيب في محافل ماسوني في (طنطا).

(حاييم ناحوم) حاخام الطائفة اليهودية الأكبر الجديد في تركيا كان زميل دراسة لعدد من أعضاء جمعية أعضاء الإتحاد والترقي البارزين.

(طلعت وجاويد) يمثلان قمة الماسونية في تركيا، وطبعا جاويد يهودي.

ومنذ أن أصبح طلعت وزيرا للداخلية - قبل حوالي سنة – عمل على نشر شبكة الماسونية في جميع مناطق الدولة، وأخذ يسند إلى الماسونيين الوظائف الكبرى في الأقاليم.

و قال (لاوزر): يتبين من هذا أن الحكومة الخفية لتركيا إنما هي محفل الشرق الأعظم الماسوني وعلى رأسه الأستاذ الأعظم (طلعت بيك).

الماسونية تمد نشاطها من تركيا إلى إيران. وجمعية الإتحاد والترقي الماسونية وراء الإنقلاب الذي وقع في إيران ويدور الحديث الآن حول بدء بإنشاء محفل الشرق الماسوني في إيران، و (فرح الله خان) القائم بأعمال السفارة الإيرانية الجديدة في القسطنطينية انضم إلى الماسونية حديثا.

يهتم اليهود أعظم الاهتمام بالاحتفاظ بنفوذهم المطلق في مجلس وزراء تركيا الجديدة.

يهتم اليهود أعظم الاهتمام بإيقاد شعلة الفرقة والخصام بين الأتراك وبين خصوم اليهود المحتلين.

المولون اليهود يرحبون بتقديم القروض للعهد الجديد في تركيا مقابل مكاسب إقتصادية.

لليهود نفوذ هائل في الصحافة الأوربية.

اليهود يسعون إلى تحقيق أهداف إسرائيل العليا في المستقبل.

قد أحكم اليهود سيطرتهم على هؤلاء الأتراك الشبان.

اليهود يمولون جريدة (تركيا الفتاة) وعددا أخر من الجرائد في القسطنطينية.

الممولون الأوروبيون – ومعظمهم من اليهود – يزودون تركيا الآن بالمبالغ المطلوبة.

جمعية الإتحاد والترقي الماسونية تشجع الثوريين اليهود والأرمن على تفجير القلاقل والإضطرابات والتوازن في روسيا القيصرية.

أعضاء جمعية الإتحاد والترقي يقلدون الثورة الفرنسية في أسالبيها بتوجيه من اليهود.

اليهود يزينون للأتراك الإلتقاء مع الهنغاريين (المجر) بدافع القومية الطورانية، لأن المجريين من أصل طوراني. وجميع هذه المعلومات حصلنا عليها من ماسونيين محليين في سرية تامة.] أهـ.انتهت وثيقة السفير البريطاني (لاوزر) التي كتبها سنة (1910م).

ثانيا: الثورة العربية الكبرى

ووقوف الشريف حين إلى جانب بريطانيا في الحرب العالمية الأولى ضد الخلافة العثمانية، بعد أن خدعه الإنكليز وأوهموه بأنهم سيساعدونه على إقامة خلافة عربية في جزيرة العرب والشام والعراق.

وقد كان الشريف حسين يتلمس المناسبة للتخلص من الحكم التركي، خاصة وأنه أحس أن الاتحاديين سنة (1914) يريدون التخلص منه. وكان عبد اللـه بن الشريف حسين {جد (الملك حسين)الهالك، والد (الملك عبد اللـه) الحالي سلسل عمالة الإنكليز والخيانات المتتالية }.

وكان عبد اللـه بن حسين آنذاك نائبا في البرلمان التركي، وقد اتصل بكتشنر (المعتمد البريطاني في مصر) و رونالد ستورز المستشار الشرقي في دار الاعتماد

البريطاني. وأطلعه على النفور الشديد بين أبيه وبين الأتـراك. وسـأله عـن إمكانيـة وقـوف بريطانيا بجانب الشريف فيما إذا أعلـن الشريـف الحـرب عـلى تركيـا، إلا أنـه لم يلـق أي تشجيع منهما، وقال كتشنر: ليس من المحتمل أن تقف بريطانيا بجانب أبيك.

(وكان الأمير عبد اللـه نفسه عضوا في إحدى الجمعيات السرية، وكان مؤمنا بفوائـد التفاهم الإنجليزي العربي متحمسا له) ونشبت الحرب الكبرى في آب سـنة (1914)، وكـان عبد اللـه متحمسا لإعلان الحرب على تركيا، بينما كان أخوه الأمـير فيصـل يـرى الوقـوف معها.

وفي سـنة (1915) زار فيصـل دمشـق واسـتانبول، وفي دمشـق انضـم إلى جمعيـة (العربية الفتاة) وأقسم على نصرتها.

وأعلن الشريف الحرب على تركيا يوم الإثنـين (5) حزيـران سـنة (1916). (وسـبحان ربي! كانت هزيمة العرب في (5) حزيران يوم الإثنين سنة 1967)!!!.

ومن جانب قبر حمزة بن عبد المطلب - رضي اللـه عنه - بالمدينة أعلن الحرب بعد أو وعدته بريطانيا باستقلال بلاد العرب وبتتويجه ملكا عليها، وكان كتشنر قد أصبح وزيرا للحربيـة البريطانيـة، واسـتلم مكماهـون معتمـدا بريطانيـا في مصر، وحـدثت الكاتبـات المعروفة بينه وبين مكماهون (مراسلات حسين - مكماهون)، ووعدوه بملك البلاد العربيـة بعد استقلالها.

واندفع الشريف حسين بكل طاقته يؤجج نار الحميـة العربيـة ضـد الأتـراك، وهُـزم الأتراك، وحصلت اتفاقية (سايكس بيكـو) لتقسـيم الـبلاد العربيـة بـين بريطانيـا وفرنسـا، وأعطيت فسلطين لليهود بوعد بلفور1917، وكان الجزء الجميل للشريف حسـين أن نفتـه بريطانيا ست سنوات وسلبت ملكه !! ولقد كانت الصدمة عنيفة لأعصاب الشريف حتـى داهمه الفالج وذاب جسده حسرة وألما، وكان يصب جام غضـبه طيلـة بقيـة حياتـه عـلى مكماهون و لويد جورج – الوزير البريطاني المعروف.

يقول جورج أنطونيوس:

(لقد زرته قبل موته بأشهر سنة (1931م)، وقد قلصه الفالج وابيض وجهه الوسيم من شحوب الموت... فقال لي: الإنجليز يا ولدي قوم شرفاء في أقوالهم وأفعالهم، في سراء والضراء: شرفاء !، ماعادا صاحب السعادة الموقر الهمام لويد جورج فهو أشبه بالبهلوان وبالثعلب. أقول: ثعلب، حاشا مقامك رحم الله صاحب السعادة كتشنر !!).

كانت هذه النتيجة الأسيفة الأليمة للتعاون مع الإنجليز. وصدق الله العظيم:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ) (آل عمران:149)

ولقد حذر بعض الصادقين العقلاء الشريف حسين من مغبة غدر الإنجليز ومن هذه الفاجعة المتوقعة، فد كتب (الأمير أرسلان) إلى الشريف عندما بلغه عزم لغزو سوريا مع جيوش الحلفاء قائلا: (أتقاتل العرب بالعرب أيها الأمير؟! حتى تكون ثمرة دماء قاتلهم و مقتولهم استيلاء إنجلترا على الجزيرة العرب وفرنسا على سوريا واليهود على فلسطين ؟!).

يقول لورنس في كتابه (أعمدة الحكمة السبعة): (لقد كنت أعلم أننا إذا كسبنا الحرب إن عهودنا للعرب ستصبح أوراقا ميتة، ولو كانت ناصحا شريفا للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم، لقد كان قادة الحركة العربية يفهمون السياسة الخارجية فهما عشائريا بدويا، وكانت بريطانيا والفرنسيون يقومون بمناورات جريئة اعتمادا على سذاجة العرب وضعفهم وبساطة قلوبهم وتفكيرهم، ولهم ثقة بالعدو... إنني أكثر فخرا أن الدم الإنجليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين التي خضتها، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت إنجليزي واحد).!!

ويقول وايزمان: (لقد قدم لنا لورنس خدمات جليلة).

وهـذا هـو لجاسـوس لـورنس المشـهور الـذي كـانوا يسـمونه – (لـورنس العـرب) ويلقبونه: (ملك العرب غير المتوج) !!.

مقارنة بين القومية الطورانية والقومية العربية:

لقد التفت القومية الطورانية (التركية) والعربية على أشياء أهمها:

أن الغرض من كل منهما هو القضاء على تركيا المسلمة، وعلى السلطان عبد الحميـد بالذات.

لقد بدأت القوميتان في وقت واحد تقريبا وإن كانت القومية العربية تقدمت قلـيلا على الطورانية.

القوميتان علمانيتان اتفقا على استبعاد الإسلام عن الحياة.

إن كلا من القوميتين نشأتا في محاضن أجنبية فالقوميـة العـربي نشـأت في المحاضـن الأمريكية وفي الجامعة الأمريكية، بينما الطورانيـة نشـأت في المحافـل الماسـونية اليهوديـة التي يشرف عليها اليهود الأسبان والبولنديون الإيطاليون.

إن الرواد الأوائل لكل من الدعوتين لم يكونوا مسـلمين أصـلا ولا مـن الجـنس الـذي يدعون إلى قوميته ! فمثلا (بورزيكي) الذي سمى نفسه مصطفى جـلال الـدين – بولنـدي الأصل – عمل على نقل القومية البولندية وصبها في قالـب تـركي، ومنـذ تأسـيس جمعيـة الإتحاد والترقي، لم يظهر بين زعمائها وقادتهـا واحـد مـن أصـل تـركي صـاف ! فـأنور باشـا بولندي مرتد، و جاويد من الطائفة اليهودية (دونمة)، و كراسـو (مـن اليهـود الأسـبان) في سالونيك، وطلعت باشا من أصل غجري، وأما أحمد رضـا فنصـفه شركسي ونصـفه مجـري ومتأثر بالفيلسوف (كونت) !.

و الرواد الأوائل للقومية العربية كانوا جمعيا من غير المسلمين ! من بطرس البسـتاني، و ناصيف وابنه إبراهيم اليازجي، والشدياق، وأديب إسحق، ونقاش، و شميل، و تقلا و صروف، و زيدان، ونمر، و مشاقة...، كل هؤلاء على الإطلاق من النصارى !! ثم جـاء القـرن الـعشرون وكان من قادتهم: زكي الأرسوزي (نصيري تركماني)، وميشيل عفلق (نصراني) زوجته يهوديـة !

وهما قائدا حزب البعث. و أنطون سعادة وجورج عبد المسيح، من قادة الحـزب القـومي السوري، نصرانييان !وجورج حبش – من قادة القوميين العرب كذلك!!.

يقول الكاردينال بريتولي للبابا: (إن المسيحية في الشرق هي التـي زرعـت الحركـات الثورية وحركات التغيير، وإن أسماء مثل ميشيل عفلق، وأنطوان سـعادة، وجـورج حـبش قد تفسر لك ما أعنيه).!!

إن الأصابع الماسونية- اليهودية – كانت تحـرك طلائـع الحـركتين، فالخمسـة الأوائـل الذين أنشأوا (جمعية بيروت السرية) كلهم من الماسـون. وكـذلك الـذين نـادوا بالقوميـة الطورانية هم من الماسون.

تأثرت القومية العربية بالنظريات الأمريكية، وتـأثرت الطورانيـة بـالثورة الفرنسـية. يقول فيليب حتى – أحد مؤرخي وفلاسفة القومية العربية ! -: (كان من نتـاج الاحتكـاك بين العقلية السورية والنتاج الفكري الغربي أن تولدت مبـادئ القوميـة العربيـة الشـاملة، واستمدت وحيها بالأكثر من النظريـات الأمريكيـة، بخـلاف القوميـة التركيـة التـي جـاءت متأخرة عن العربية والتي استمدت إلهامها من مبادئ الثورة الفرنسية).

كانت الأصابع اليهودية بارزة في القومية التركية، لا يزال اليهود يحرصـون عـلى ربـط العرب بقوميتهم.

يقول (أبا إيبان) - الذي كـان وزيـر خارجيـة إسرائيـل – في محـاضرة لـه في جامعـة برنستون الأمريكية: (يحاول بعض الزعماء العرب أن يتعرف على نسبة المد الإسلامي بعـد الهزيمـة الأخـيرة (1967)، وفي ذلـك الخطـر الحقيقـي عـلى إسرائيـل، ولـذا كـان مـن أولى واجباتنا أن نبقي العرب على يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإسلامي).

مصطفى كمال يحطم تركيا ويلغي الخلافة:

ولد (أتاتورك) سنة (1880) في مدينة سالونيك وهي – كما مر معنا - (مدينة يونانية - يهودية) حيث يقطنها (140) ألف منهم (80) ألفا من اليهود الإسبان و (20) ألفا من يهود الدونمة (أي المتظاهرين الإسلام).

ينسب مصطفى كمال رسميا إلى (علي رضا) وأمه (زبيدة) وتحيط شكوك كثيفة حول نسبه، فمصطفى لا يعترف بأبيه (علي رضا) ويقال: إن أصل أبويه من ألبانيا.

ولقد راجع مصطفى كمال دائرة النفوس في (سالونيك) وأسقط قيد الأبوة عنه.

ويقال أن زبيدة حملت به سفاحا من شخص اسمه (أبدو مسن آغا) لأنها كانت تعمل في أحد مواخير سالونيك، فولد أتاتورك لا يعلم اسم جده لأمه ولا لأبيه.

التحق بمدرسة دينية، ثم ألحقته أمه بمدرسة عصرية ثم دخل المدرسة الحربية في سالونيك سنة (1893م) وبعد أربع سنوات تخرج من المدرسة الابتدائية العسكرية الثانوية في (موناستر) بالبلقان حيث كانت الفتنة متأججة على الخلافة.

وبمعونة أصحابه نقل إلى سالونيك في صيف سنة (1907م) وعين في دائرة أركان الجيش الثالث. وهناك دخل في جمعية الإتحاد والترقي فوجد فيها منافسين أقوى منه مثل أنور باشا، وطلعت بيك فحصل بينه وبينهم نزاع. وفي سنة (1908م) قام الإنقلاب العثماني على السلطان عبد الحميد من أجل إعلان الدستور (للتسوية بين اليهود والنصارى والمسلمين) ونجحت الحركة ولم يشترك مصطفى كمال فيها.

وفي هذا العام نفسه سنة (1908م) أرسل إلى (طرابلس الغرب في ليبيا) لإبعاده، ثم رجع واشترك مع حركة (محمود شوكت) سنة (1909م) لإسقاط السلطان عبد الحميد، وكان آنذاك أحد ضباط الأركان وليس رئيسا للأركان.

وفي سنة (1910م) أُرسل إلى فرنسا لحضور مناورات عسكرية، وبعد أن رجع من فرنسا عين مشرفا على مدرسة الضباط فامتلأ حقدا على الإتحاد يين لتجاهلهم إياه فنقلوه قائدا لفرقة المشاة الثامنة والثلاثين في سالونيك.

ثم أغارت إيطاليا على ليبيا فأُرسل مصطفى ورقي إلى درجة بكباش ثم أرسلوه إلى الشام سنة (1917م) وكان قد وصل إلى رتبة لواء أي باشا وصار مساعدا لقائد الجيش الثاني. ثم عين قائدا لجبهة فلسطين:

وفي فلسطين تمت الصفقة مع (اللنبي) القائد الإنجليزي الذي احتل فلسطين، واتفق الإنجليز مع مصطفى كمال على الانسحاب. ليدخل اللنبي بردا وسلاما، وليضرب الجيوش التركية الأربعة ضربة قاصمة بعد أن ارتد اللنبي خائبا من أبواب السلط بعد أن هزمه جمال باشا قائد الجيش الرابع.

وكانت نتيجة هذه الخيانة تحطيم تركيا إلى الأبد، وأما نتيجة المعركة فكانت كارثة:

كان عدد الأسرى يقرب من مائة ألف جندي عدا القتلى برصاص الدروز والأرمن.

وبعد انتصار اللنبي حضر إلى اسطنبول فطلب من الدولة التركية المهزومة أن تعين مصطفى كمال قائدا للجيش السادس قرب الموصل حيث النفوذ الإنجليزي ومنطقة البترول لحماية مصالح الإنجليز وأمنهم هناك.

وكان مصطفى كمال بعد الهزيمة الكبرى التي كبدها تركيا، وبعد رجوعه كان على صلة بالقس المشهور (FRID) فرد الذي كان رئيسا للاستخبارات الإنجليزية في تركيا.

و كان مصطفى كمال على صلة وثيقة بالسلطان وحيد الدين (محمد السادس)، وذلك لأنه عين في ربيع سنة (1918م) مرافقا عسكريا له، وكان آنذاك وليا للعهد، وأظهر مصطفى كمال آنذاك لوحيد الدين كراهيته للإتحاد والترقي، وأبدى صلاحا وحرصا على مصلحة تركيا، وسرعان ما أصبح الاثنان صديقين حميمين، وغدا مصطفى جنديا للأمير وأمينا لسره.

وفي أثناء الحرب مات السلطان محمد رشاد (الخامس) وتولى وحيد الـدين الخلافـة، فقرب مصطفى كمال ورفع من مكانته.

ثم جرت مسرحيـات انتصـارات مصـطفى كـمال السـاحقة في الأناضـول وخاصـة في سقاريا أفيون. أزمير التي جعلت من مصطفى كمال خارقـة مـن الخـوارق تغنـي بمـدحها الشعراء حتى قال أحمد شوقي:

اللـه أكبر كم في الفتح من عجبِ

يا خالد الترك جدد خالد العربِ

لقد تمت المسرحية بهذا الإخراج الساحر الذي يأخذ بالألباب. و لقـد شـدد الإنجليـز في فرض الشروط على الخليفة ليبدو عاجزا ضعيفا وتساهلت مع مصـطفى كـمال ليظهـر بطلا فريدا.

ثم تظاهر الحلفاء بالعطف على الخليفة والسخط على مصطفى كـمال، فقـد احتـل الإنجليز القسطنطينية في (16) مارس سنة (1920م) وطلب الحلفاء مـن الأهليـين إطاعـة الأوامر التي تصدر إليهم من الخليفة مـما أدى إلى ازديـاد النقمـة عليـه، وفي المقابـل تـم الجلاء عن (أسكى شهر) والمحاصرة من قبل مصطفى كـمال وعـن (قونيـة) بـدون حصـول أدنى اشتباكات وتنظف الأناضول من القوات الحليفة والناس مبهورون بهذه الانتصارات.

وفي نفس المدة تخرج فتوى من شيخ الإسلام تصف مصطفى كمال وجماعته بـالكفر فيزداد سخط الناس على السطان والمفتي.

وبمعاهدات سرية واتفاقات خفية مع أتاتورك يقرر الحلفاء الجلاء عن استانبول

المخطط التدميري:

إن هذه المخطط يكشف الصلة الوثيقة المبكرة بـين مصـطفى كـمال وبـين الإنجليـز والحلفاء، ويبين لك بوضوح سر إبراز مصطفى كمال وانسحاب جيوش الحلفاء.

وقد كشف عن هذه الوثيقة صديقه الحميم وأمين سره (مظهر مفيد قنصوه) في مذكراته فيقول: وفي (1919/7/7) قرب الفجر وفي أرضروم بالأناضول أسر إلي مصطفى كمال وأكد كثيرا في وجوب كتمان السر وقال: هذا الدفتر سيبقي سرا حتى النهاية بيني وبينك وبين ثريا (شوكة ثريا ايدمير).

وبعد أن أكدنا له حفظ السر قال: إذن فسجل التاريخ أولا... قال فسجلت التاريخ (8/7) تموز سنة (1919م) قرب الفجر بعد أن رأى أنني سجلت التاريخ على الصفحة قال: حسنا أكتب ثم تابع

أولا: ستكون الجمهورية هي شكل الحكومة بعد الانتصار. هذه واحدة.

ثانيا: سيؤخذ التدبير اللازم بحق السلطان والعائلة المالكية عندما يحين الوقت المناسب.

ثالثا: سيرفع الستر عن النساء.

رابعا: سيلغي الطربوش وسنلبس القبعة مثل سائر الأمم المتمدنة.

قال مظهر مفيد: هنا سقط القلم من يدي بدون إرادة، تطلعت إليه كان يتطلع إلي قال لي: لماذا توقفت. قلت له: أرجو أن لا تؤاخذني يا باشا إذا قلت لك بأن لك جانبا خياليا. قال لي ضاحكا: سيكون الزمن هو الحكم في هذا. أما أنت فاكتب، استمررت في الكتابة.

خامسا: سنأخذ الأحرف اللاتينية... يكفي يا باشا يكفي.

ثم نفذ البرنامج التدميري، وبعد أن نفذ بعضه، لمح مظهر مفيد فقال له: يا عزيزي السيد مظهر مفيد ما هو رقم الفقرة التي وصلنا إليها ؟ هل تلقي نظرة على دفترة ملاحظاتك؟.

وفي (3) مارس سنة (1924م) ألغيت الخلافة:

إذ تقدم أتاتورك بمرسوم يقضي:

- إلغاء الخلافة وفصل الدين عن الدولة، وبإلغاء المحاكم العتيقة وقوانينها، حيث يجب أن تستبدل بها محاكم وقوانين عصرية.

- مدراس رجال الدين يجب أن تخلي مكانها لمدارس حكومية غير دينية.

وأقرت الجمعية الوطنية القانون بلا مناقشة. وبعد يومين حشد مصطفى كمال أمراء العهد القديم وأميراته ورحلوا إلى خارج البلاد، وكان قبلها بيوم أصدر قرارا بطرد الخليفة.

لقد اقتلع مصطفى كمال هذا الصرح الشامخ من الجذور، هذا الصرح الذي بقي منارا للمسلمين في أرض تركيا لمدة خمسة قرون. وفرق الراية الإسلامية التي يأوي إليها المسلمين منذ أربعة عشر قرنا، وتشتت الناس متفرقين عي سبل شتى كالغنم في الليلة الشاتية، وأصبحت الذئاب تنهش من هذه الفئام المتفرقة، كل يسن سلاحه ويمتشق حسامه ليذبح من شاء وكيف شاء.

وبقى أتاتورك وفيا للإنكليز حتى الموت إذ أنه صمم وهو على فراش الموت أن يوصي برئاسة الجمهورية إلى السفير البريطاني (بيرس لورين).

وثيقة يوصي بها مصطفى كمال لسفير بريطانيا لورين برئاسة تركيا:

وقد نقلتها ننقلها بنصها الحرفي جريدة الأهرام التي قامت بنقلها من جريدة صندي تايمز في يوم الخميس (16) ذي القعدة (1387هـ) المصادف (15) فبراير(1968) تحت عنوان (كمال أتاتورك يستدعي سفير بريطانيا ليخلفه في رئاسة الجمهورية التركية).

نشرت (صندي تايمز) أغرب صفحات التاريخ الدبلوماسي بعنوان: (كيف يرفض رجلنا أن يحكم تركيا ؟) قالت الصحيفة:

أنه في نوفمبر (1938) كان (كمال أتاتورك) رئيس تركيا يرقد على فراش الموت وعلى امتداد (15) سنة حاول أتاتورك بدكتاتورية صارمة أن يجرجر تركيا رغم أنفها ويدخلها إلى القرن العشرين، ومنع لبس الطربوش والحجاب وحطم سلطان الدين وأدخل نظام اللغة التركية بالحروف اللاتينية.

وعندما رقد أتاتورك على فراش الموت، كان يخشى ألا يجد شخصا يخلفه يكون قادرا على استمرار هذا العمل الذي بدأه، فاستدعى السفير (بيرسي لورين) السفير البريطاني إلى قصر الرياسة في استانبول، أما ما دار بينهما فقد

ظل سرا أكثر من ثلاثين عاما وها هو اليوم يكشف النقاب عه على يد (بيرز ديكسون) عن حياة والده (بيرسون ديسكون) فقد كان بين أوراق (ديسكون) برقية بعث بها (بيرسي لورين) إلى اللورد هاليفاكس) وزير الخارجية وربما كانت هذه البرقية أغرب وثيقة في التاريخ البريطاني المعاصر على الإطلاق، ففيها يروي (لورين) تفاصيل مقابلته غير المألوفة مع الديكتاتور المحتضر. وها هي الوثيقة:

عندما وصلت وجدت صاحب الفخامة يجلس على فراشه تسنده بعض الوسائد ويحط به طبيب وممرضات، وما أن دخلت حتى صرف الطبيب والممرضتين قائلا إنه سيضرب الجرس إذا احتاج لهم. وعندئذ بدأ فخامته يتحدث ببطء ولكن بعناية شديدة، وقال لي: إنه أرسل في طلبي لأنه يريد أن يطلب مني طلبا عاجلا راجيا أن أعطيه جوابي عليه بطريقة قاطعة.

ثم قال السفير: لقد كانت صداقتي ونصيحتي إليه هي الوحيدة التي كان يحفل بها ويقدرها أكثر من أية نصيحة أخرى. لأنها كانت ثابتة لا تتغير، وكان هذا هو السبب الذي جعله يستشرني في مناسبات متعددة.. بحرية تامة كما لو كنت وزيرا في مجلس الوزراء التركي، ثم قال: وقد كان من سلطاته (كرئيس للجمهورية) أن يختار خليفة له قبل وفاته، وقد كان أخلص رغبة له أن أخلفه في منصب الرئيس. ومن ثم فقد كان يريد أن يعرف رد فعلي على الاقتراح ، ثم بعد التفكير العميق اعتذر السفير وشكر العميل الذي ظهر عليه التأثر، ومال بظهره إلى الوسائد.

تقييم موجز لدولة الخلافة العثمانية:

يمكن تقسيم مرحلة الدولة العثمانية إلى ثلاثة أطوار:

1. طور القوة: ويمتد من تأسيسها إلى نهاية عهد السلطان الغازي مصطفى خان الثالث(1774م). وقد كان أوج الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الأول وابنه سليمان القانوني (1512-1566م).

2. طور الضعف والتراجع: وابتدأ منذ عهد السلطان عبد الحميد خان الأول (1774م) حيث دفعت السلطنة الجزية للمرة الأولى في حياتها، لروسيا (1777م)، وأقرت بجملة من الإمتيازات لنصارى الدولة العثمانية وصلاحيات تدخل الأجانب في شؤونها إلى نهاية عهد عبد المجيد خان (1861م).
3. طور الإنهيار ومؤامرات اليهود والماسون وسقوط الدولة العثمانية: ويبدأ منذ عهد السلطان عبد العزيز خان (1861م) الذي عزله المفتي لفسوقه، وينتهي بخلع السلطان عبد الحميد (1909م)، ثم استلام الماسون، ثم إسقاط أتاتورك للخلافة العثمانية وإلغائها حيث ختمت بالسلطان محمد السادس سنة 1924.

أسماء الخلفاء العثمانيين ومدة حكمهم:

أولا - طور القوة:

- (1) - السلطان عثمان مؤسس الدولة العثمانية (1300- 1317م)
- (2) - السلطان الغازي أورخان الأول(1317- 1360م)
- (3) - السلطان الغازي مراد خان الأول (1360-1389م).....قتل في حرب الصرب
- (4) - السلطان الغازي بايزيد خان الأول(1389- 1402م)..قتل أسيرا بيد تيمورلنك.
- (5) - السلطان محمد جلبي الغازي (1410-1421)
- (6) - السلطان مراد خان الثاني (1421 –1451م)
- (7) - السلطان الغازي محمد الثاني فاتح القسطنطينية (1451- م)
- (8) - السلطان الغازي بايزيد خان الثاني(1481- 1512م)........خلعه الإنكشارية.
- (9) - السلطان سليم الأول الغازي (1512- 1520م)

- (10) - السلطان الغازي سليمان خان الأول القانوني (1520- 1566)
- (11) - السلطان الغازي سليم خان الثاني(1566-1577م)
- (12) - السلطان الغازي مراد خان الثالث (1574-1595م)
- (13) - السلطان الغازي محمد خان الثالث (1995- 1603م)
- (14) - السلطان الغازي احمد خان الأول (1603- 1617م)
- (15) - السلطان مصطفى خان الأول (1617- 1618م)...عزله المفتي والإنكشارية.
- (16) - السلطان عثمان خان الثاني (1618- 1622 م)....عزله الإنكشارية وقتلوه.
- (17) - السلطان الغازي مراد خان الرابع (1623- 1640م):
- (18) - السلطان الغازي ابراهيم خان الأول (1640- 1648م):خلع وقتل.
- (19) - السلطان الغازي محمد خان الرابع (1648- 1687م) : عزله المفتي.
- (20) - السلطان الغازي سليمان خان الثاني (1687- 1691 م)
- (21) - السلطان الغازي احمد خان الثاني (1691- 1695م)
- (22) - السلطان الغازي مصطفى خان الثاني (1695- 1703م):عزله الإنكشارية.
- (23)- السلطان الغازي احمد خان الثالث (1703 - 1730م):..عزله الإنكشارية.
- (24) - السلطان الغازي محمود خان الأول (1730- 1754م)
- (25) - السلطان الغازي عثمان خان الثاني (1754- 1757 م)
- (26) - السلطان الغازي مصطفى خان الثالث (1757- 1774م).

ثانيا - طور الضعف:

- (27) - السلطان الغازي عبد الحميد خان الأول (1774- 1789 م)
- (28) - السلطان الغازي سليم خان الثالث (1789- 1807م): عزله المفتي.
- (29) - السلطان الغازي مصطفى خان الرابع (1807- 1808م).....خلع وحجز.
- (30) - السلطان الغازي محمود خان الثاني (1808 – 1839م)
- (31) - السلطان الغازي عبد المجيد خان (1839- 1861م).

ثالثا – طور الإنهيار والموت:

- (32) السلطان الغازي عبد العزيز خان (1861- 1886م) عزله المفتي.
- (33) - السلطان مراد الخامس (مايو1886- أغسطس 1886 م):عزله المتآمرون.
- (34) - السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني (1886- 1909 م): عزله المتآمرون بدسائس اليهود.
- (35) - السلطان محمد رشاد خان الخامس (1909- 1924م).
- (36) – السلطان محمد السادس (وحيد الدين) (1918-1924): أسقطه الماسون بتخطيط اليهود والإنكليز والأوربيين، وتنفيذ أتاتورك. وهو آخر الخلفاء العثمانيين. وبه انتهى مسمى الخلافة الذي استمر زهاء ثلاثة عشر قرنا ونصف القرن.

أولا: المناحي الإيجابية في دولة الخلافة العثمانية:

إبتداءا يجب أن نلفت النظر إلى أن معظم المراجع التاريخية المعاصرة التـي أرخـت للعثمانيين، قد ظلمت هذه الدولة المجيدة، وزورت تاريخهـا وتـاريخ المسـلمين في أيامهـا. وذلك لأن معظم كتاب التاريخ بعدها من المستشرقين، وتلاميذهم من ذراري المسلمين بما فيهم الأتراك والعرب كانوا حاقدين عليها. حيث ينتمي معظـم كتـاب السياسـة والتـاريخ المعاصرين من المنسوبين للمسلمين هـم مـن العلمانيـين، والقـوميين. وقـد تـولى أتـاتورك وأتباعه إلى اليوم الحجر على وثائق كثيرة هامة من أرشيف الدولة العثمانية، وخاصة عـن المرحلة الأخيرة من تاريخها والتي تولى فيها الماسون إسقاط الدولة.

وأذكر أننا درسنا في بلادنا العربية منذ الطفولة في المدارس الابتدائية ثم ما تـلا ذلـك من مراحل الدراسة شيئا من تاريخ تلك المرحلة تحت عنوان (الإحتلال العثماني) !!.

ولما درست في قسـم التـاريخ مـن جامعـة بـيروت دراسـتنا المنـاهج - التـي وضـعها التربويون والكتاب بحسب أهـواء فراعنـة بلادنـا مـن عمـلاء اليهـود والنصـارى -درسـونا تاريخ الذين تآمروا لإسقاطها وتعاونوا مع الكفار مـن الإنكليـز وحلفـائهم، مـن القـوميين والماسون العرب، ومعظمهـم مـن نصـارى الشـام، عـلى أنهـم أبطـال القوميـة العربيـة..، وشهداء الإستقلال !! كما قدمت لنا الذين قادهم لورنس الجاسوس الإنكليـزي عـلى أنهـم قادة الثورة العربية الكبرى على الإحتلال العثماني !

ومن هنا نقول أنه يجب أن تقرأ تلك التأريخـات بعـين الإتهـام، ومـنهج التمحـيص. لتميز حقيقة ما كان في تلك الدولة من سلبيات – سأذكر لاحقا أهمها – عما هو افتراءات وتزوير من وضع المستشرقين وعملائهم من المرتدين العلمانيين.

فإذا ما جئنا إلى إيجابيات دولة الخلافة العثمانية..

فيأتي في طليعتها الحفاظ على مسمى الخلافة الإسلامية، وحمل مشعل حماية المسلمين ضد هجمات أعدائهم، وتوحيد معظم ممالكهم الرئيسية في دولة واحدة قوية، بعد أن كانت الخلافة قد تحولت لمسمي رمزي في مصر حيث كان الخليفة لا يسيطر حتى على قصره في ظل سلطان دولة المماليك منذ سقوط بغداد، بل حتى قبل ذلك عندما كان القادة الأتراك يسيطرون على مقدرات ما بقي من الخلافة في بغداد فيما كانت عشرات الممالك والإمارات المستقلة تتقاسم رقعة العالم العربي والإسلامي.

وأما الفضيلة الثانية لها، فهي إنهاء دولة الروم البيزنطيين، وتردد أصداء الأذان في عاصمة ملكهم (القسطنطينية)، التي صار اسمها مدينة الإسلام (إسلام بول)، والتي انبعثت منها رايات الفتح والجهاد لتُدخل الإسلام إلى ربوع أوربا الشرقية بكاملها (اليونان وبلغاريا، ورومانيا والمجر، وبلاد الصرب والبوسنة والهرسك...، فمدت دولة الإسلام إلى بلاد البلقان بكاملها، ووصلت كما رأينا تفصيلا إلى وسط النمسا، وشمال إيطاليا، وملكت جزر المتوسط بكاملها، وأخذت الجزية والضرائب من معظم عظماء ملوك أوربا في حينها..

أما ثالث فضائلهم فلقد اعتبر العثمانيون أنفسهم حماة المسلمين، واعتبر الخليفة العثماني واجب حمايتهم مسؤولية في عنقه، فدافع عن شواطئ شمال إفريقيا من ليبيا وحتى مراكش، وأرسل الجيش والمدد، برئاسة وزير حربيته حتى إلى بلاد ما وراء النهر ليدافع عن بخارى و ترمذ و طشقند !!، وردت هجمات الصفويين عن العراق وشرق الأناضول، وبلاد القفقاس. وطردت البرتغاليين من شواطئ البحر الأحمر وبحر العرب وبحر الهند..

لقد وصلت الدولة العثمانية إلى أوج من الحضارة والسيطرة والقوة إلى مستوى لم تصل له دولة إسلامية في تاريخها..، لقد تمكن العثمانيون من دك أسوار القسطنطينية بقنابل تزن أكثر من 2000(كيلو غرام) وترميها من الشاطئ الآسيوي لمسافة 2 كيلو متر !! وذلك أواسط القرن الخامس عشر ! وجابت أساطيل العثمانيين البحر المتوسط وما حوله من البحار، و كانت تهاجم أساطيل

الأوربيين و موانئهم أحيانا بأكثر من ألف سفينة محملة بالمدافع الثقيلة ! حتى استطاع خليفتها العثماني (السلطان عبد المجيد) في القرن الثامن عشر أن يسمي البحر الأبيض المتوسط: (بحيرة عثمانية). فلما سأله أحد الصحفيين الإنجليز مستغربا ذلك الاسم قائلا: (إذا كنت تعتبر المتوسط بحيرة عثمانية ! إذن ماذا تدعون البحر الأسود الذي تحيط مملكتكم وجيوشكم به ؟ فأجابه مبتسما: ذاك مسبح قصري على شوطئ إسلام بول!)

أما البحر الأحمر فقد اعتبره الأتراك العثمانيون حملة مشعل الإسلام (بحر الحرم)، وجعلوه محرما على السفن الصليبية حتى التجارية المدنية، كي لا يمر صليب من أمام مدينة جدة، فيدنس الماء الذي يلمس شواطئها وهي في الحرم!! الله أكبر.. جدة هذه..التي أطلقت البوارج الأمريكية تحت رعاية آل سعود اليوم صواريخ كروز منها على أفغانستان وبغداد من.. (بحر الحرم) أي البحر الأحمر.من شواطئها التي عمرها آل سعود بالملاهي ومرافق الفسوق.. وسبحان مقلب الأحوال.

ولقد كانت الهوية الإسلامية لراية العثمانيين ظاهرة، رغم ما اعتراهم من البدع و الإنحرافات كما سنذكر لاحقا. وكانوا معظمين لشعائر الله، مهتمين بحماية الحرمين، والإنفاق على خدمتهما، وحراسة سبيل الحجيج.، كما نشروا المساجد في كل الأصقاع التي وصلها سلطانهم، وأوقفوا الأوقاف، وبنوا التكايا ومنشآت الخدمات المختلفة، و ما تزال آثارهم بطابعها المعماري التركي بارزة شاهدة في مشارق بلاد المسلمين ومغاربها.

وفي الوقت الذي كانت أوربا الشرقية مسرح معظم مواجهاتهم مع أوربا كما رأينا.. ازدهرت الحياة الإقتصادية والتجارية والصناعية تبعا لقوتهم وما فرضوه من الأمن والاستقرار..و صارت استانبول عاصمة الدنيا تليها في ذلك عواصم مصر والشام والحجاز، وموانئ جزيرة العرب وشمال إفريقيا. وتحركت قوافل التجارة على الطرق التجارية القديمة (طريق التوابل، وطريق الحرير)، ونقلت البضائع من وإلى تلك العواصم، لتنقلها سفن المسلمين إلى شواطئ المتوسط، وحتى إلى موانئ أوربا.

ثانيا: المناحي السلبية في دولة الخلافة العثمانية:

إن أول سلبية تذكر لسلاطين بني عثمان الأتراك هي أن تسلل التشريع الوضعي إلى نظام الحكم، على وجه التشريع والتقنين والحكم بغير ما أنزل الله، قد حصلت في زمانهم ولأول مرة في تاريخ الإسلام والمسلمين. في حين كان ذلك قبلا من بعض فساق ملوك وأمراء المسلمين وبعض خلفائهم، على وجه الاحتيال والتهرب والمراوغة. ولم يتجرأ أحد أن ينتقل للتشريع والتقنين، إلى زمان العثمانيين. وقد بدأ هذا كما رأينا زمن سليمان القانوني،بل منذ أيام الفاتح بشيء قليل إن صح ما روي في ذلك. وتطور بعد ذلك مع تسلل الضعف والإعجاب و الافتتان بأوربا لكثرة احتكاكهم بها. مما فتح باب التغريب وضياع الهوية، وإفساد النخبة التي تولت في النهاية إسقاط الدولة.

ويشترك سلاطين بني عثمان مع من سبقهم من خلفاء وملوك وأمراء الدول والممالك الإسلامية السابقة بمعظم السلبيات التي طبعت قصور الحكم منذ تحول نظام الحكم من الخلافة إلى الملك عضوض ثم الملك جبري. ومن ذلك:

الصراع على الملك بين الأبناء والإخوة. وكثرة القتل والخلع بين الإخوة ومن التف حمل كل واحد منهم من حاشية السوء. إلا أن سلاطين العثمانيين زادوا على ذلك رذيلة لم يسبقهم إليها أحد من المتصارعين على الملك في تاريخ المسلمين ؛ إلا وهي بدعة قتل إخوة السلطان عند توليه، و اجتثاثهم جميعا حتى الرضع !! وذلك بدعوى تلافي فتنة منافسة الخليفة على الملك مما يفسد الدولة ويضعفها أمام أعدائها ! وقد وجد السلاطين بحسب ما ذكر بعض المؤرخين من بعض شياطين الإنس من يفتيهم أن لهذا حجة في قوله تعالى (والفتنة أشد من القتل) ! فهم يرتكبون قتل الإخوة خوف فتنة الخلاف والفرقة !!

تدخل الأمهات الأجنبيات في صراعات القصر، وزاد الطين بلة أن العديدات منهن كن من بنات ملوك الكفار أو من صفيات السبايا بين روسية وصربية وإيطالية...، اللواتي عملن لصالح بلادهن وزاحمن إخوة أولادهن على ولاية العهد.

البذخ والترف والاستكثار من القصور والفرش والرياش، والمطابخ والحمامات الملكية، ولقد تيسر لي أن أزور بعض تلك الآثار في استانبول حيث يرى الناظر العجب العجاب من بقايا آثارهم التي سرق أنفسها في العهد الأتاتوركي.

الأثرة وظلم الرعايا وكثرة المكوس والضرائب التـي فرضـها الضـامنون لمهـمات جمـع الضرائب والمتصدرون لشؤون العامة، وقد زاد هـذا في أواخـر الدولـة بتحولهـا إلى النظـام الإقطاعي، حيث أقطع السلطان (الباشاوات) و(البيكاوات) الأراضي، فملكوهـا بمـن عليهـا من الـزراع والفلاحـين وسـاموا النـاس خسـفا وظلـما سـارت بأخبـاره الركبان،وصـار مـادة للمسلسلات والأفلام فيما تتالى من أيام حتى وصلت إلى (غوار الطوشة!).

ولقد كان للمرحلة العثمانية سلبيات خاصة بها فوق ما اشتركوا به مع غـيرهم، مـن السلبيات آنفة الذكر. ومن ذلك:

أن اتجاههم الحضاري كان أحاديـا وتجـلى بـالمنحى العسـكري..، ولم يولـوا المنـاحي الأخرى للتقدم الحضاري في مجال العلوم الإسلامية والتطبيقية، ومجـالات الفكـر والأدب.. أهمية، فطبع العالم الإسلامي بالجهل والتخلف فمنذ القرن السبع عشر ' فيما كانت أوربا تشهد التحول الكبير في ثوراتها الفكريـة والسياسـية والاجتماعيـة، والصـناعية. مـما أوجـد هوة حضارية بين الشرق والغرب ساهمت في انتقال راية الحضارة البشرية مـن شرقنـا إلى غربهم.

التخلف الديني، والتقوقع والتعصب المـذهبي (إذ حكـم الأتـراك وتعصـبوا لمـذهب الإمام أبي حنيفة رحمه اللـه)، في حين أنهم حكموا رقعة إسلامية تتعدد مذاهبها الأصـيلة في المسلمين. كـما شـهدت مـرحلتهم، تشـجيعا للتصـوف ومـدارس الـدراويش..فقـد كـان سلاطين العثمانيين، وشيوخ السلاطين من الصوفية..، وقد ساعدت أجـواء التخلـف والفقـر والظلم التي طبعت تلـك الفـترة النـاس عـلى الانـدفاع وراء الطرقيـة الصـوفية فـرارا مـن واقعهم المرير، وزادت الصوفية الأمة جهلا على تخلف ولاسيما في ثلثها الأخير.

العنصرية التركية، والتي وجدت منذ البداية، حيث تولى الأتراك معظم المناصب الهامة، والغريب أن الإهمال للعنصر العربي، والعناصر العرقية المشرقية الأخرى كان ملحوظا في حين تمكن بعض المسلمين من البلاد الغربية المفتوحة أن يجدوا فسحة في المناصب. وقد أوجد هذا هوة بين العثمانيين والمكون الأساسي للأمة الإسلامية عددا وأهمية وهم العرب. وقد زادت حدة هذه الظاهرة في الطور الأخير من الخلافة العثمانية عندما وجدت الفكرة القومية – بعد الثورة الفرنسية – طريقها إلى المفتونين من الترك والعرب على حد سواء،،وبرزت القومية الطورانية (التركية) بحدة، وتسلم جبابرتها من الماسون واليهود مقاليد الأمور، فأوجدوا المبرر للمتآمرين من ماسون العرب، ومن المغرر بهم من المثقفين، ومن الطامعين بالملك، أن يرفعوا نعرتهم القومية العربية أيضا. وكان هذا أكبر المعاول التي هدمت صرح الخلافة.

وهكذا تجمعت السلبيات رغم ما أسلفنا من الإيجابيات العظيمة لترسم النتيجة المحتومة بقدر الله. ويمكن تلخيص مجمل أسباب السقوط بالنقاط التالية باختصار.

ثالثا: الأسباب العامة لانهيار الدولة العثمانية:

دخول التشريع الوضعي على الشريعة الإسلامية بدعوى التقين والتنظيم وهبوب رياح التغريب جراء الإعجاب ببهارج الحضارة الغربية، وهذا من أهم أسباب ضياع المسلمين قديما وحديثا.

الترف والبذخ في حياة السلاطين، ولقصور الحاشية.ورجال الأجهزة الحكومية وكبار طبقات المجتمع وهو ثاني أهم أسباب انهيار الممالك والدول.

الظلم والطغيان والنظام الاستبدادي الفردي الفئوي القومي. وكثرة المكوس على الرعية.وتفشي النظام الإقطاعي بأسوأ صوره وسيئاته. وتفشي الطبقية في المجتمع. وهو ثالث أهم أسباب الزوال والبوار.

الجمود الفكري والفقهي والديني، والتقوقع المذهبي، والاتجاه الأحادي العسكري للحضارة العثمانية على حساب المناحي الحضارية الأخرى.

تدخل قناصل وسفارات الدول الأجنبية في شؤون البيت العالي (ديوان الخلافة) ودعم الأقليات لاسيما النصرانية للعبث بوحدة الدولة.

طغيان الشعور القومي لدى الأتراك. واعتماد سياسة التتريك والتميز العنصري وقمع القوميات ولاسيما في البلاد العربية.

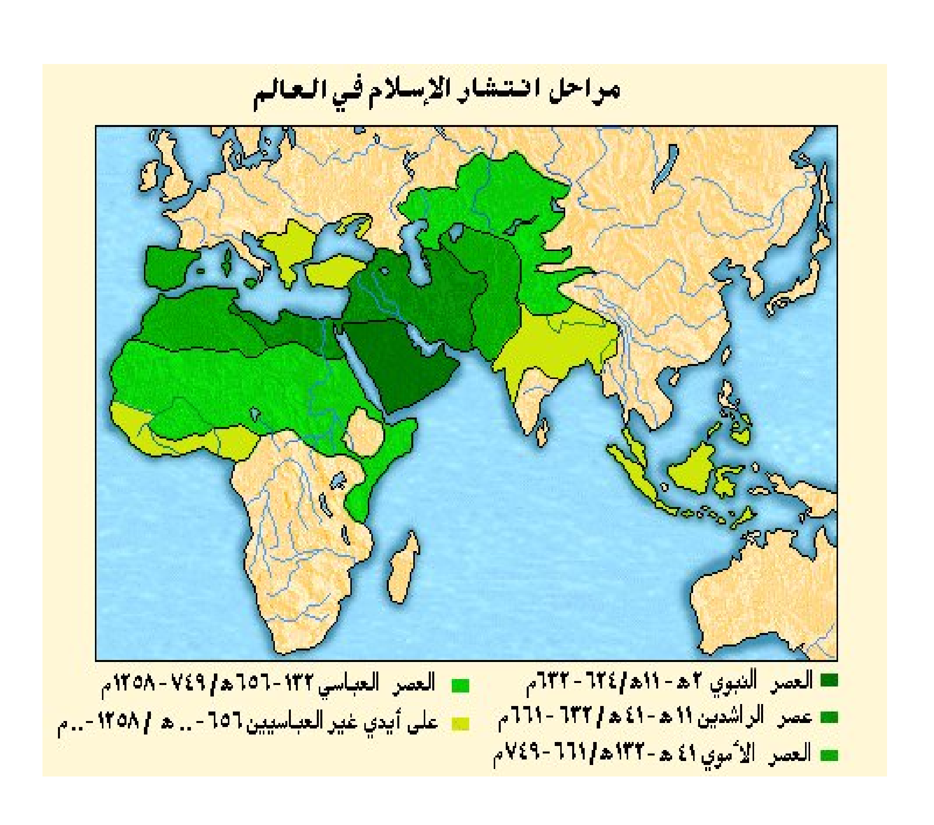
سيطرة يهود الدونمة والماسون على إدارة الدولة في الثلث الأخير من حياة الدول العثمانية ولاسيما القرن الأخير.

تفشي روح الشعوبية والقومية لدى العرب وغيرهم كرد فعل على سياسة التمييز التركي. والاتجاه لمقاومة الخلافة العثمانية، ومحاربتها ومعاونة الإنكليز عليها !.

افتتان نخبة الطبقة السياسية، والعسكرية، والثقافية والفكرية في الدولة العثمانية عامة بالحضارة الغربية، وسعيهم لتقليدها، وفقدان روح العزة الإسلامية

وأخيرا السبب الخارجي:

وهو تآمر الدول الأوربية وخاصة الإنكليز والروس والفرنسيين والطليان وغيرهم. وتعاونهم مع اليهود وإصرارهم على إسقاط الدولة العثمانية وتحالفهم ضدها. من أجل إيصال اليهود إلى فلسطين، وتقاسم الأوربيين ولاسيما تلك الدول الثلاثة لإرثها. وتقطيع أوصال العالم الإسلامي والعربي وابتلاعه.


مراحل انتشار الإسلام في العالم
العصر النبوي ٢هـ - ١١هـ/ ٦٢٤ - ٦٣٢م
عصر الراشدين ١١هـ - ٤١هـ/ ٦٣٢ - ٦٦١م
العصر الأموي ٤١هـ - ١٣٢هـ/ ٦٦١ - ٧٤٩م
العصر العباسي ١٣٢ - ٦٥٦هـ/ ٧٤٩ - ١٢٥٨م
على أيدي غير العباسيين ٦٥٦ - .. هـ / ١٢٥٨ - .. م

استعراض لأحوال دول وممالك العالم العربي والإسلامي منذ انهيار الخلافة العثمانية:
(منذ 1214هـ - 1800م وإلى 1425هـ - 2004 م)

أعتقد أنه حتى تكتمل الفائدة ويتحقق الغرض المقصود، من سرد خلاصة التاريخ الإسلامي في مقدمة بحث غرضه التأسيس لدعوة مقاومة إسلامية عالمية، يقودها طلائع واعية مستوعبة لعقيدتها الجهادية، فاهمة لمعطيات واقعها، مدركة لدروس تاريخها. أن من المفيد أن نختم هذا الفصل التاريخي بخلاصة تاريخ ما حل ببلدان العالم العربي والإسلامي بعد انفراط عقد الخلافة. وهو ما يصطلح عليه بالتاريخ الحديث للعرب والمسلمين. ورغم أن أكثر تلك الأحداث المأسوية قد حل بالمسلمين بعد انفراط عقد الخلافة العثمانية وتناهب الغرب الأوربي وروسيا لتركتها وذلك بعد سقوطها الرسمي بعد الحرب العالمية الثانية وخسارتها إلى جانب ألمانيا لتلك الحرب.

إلا أن تلك الأحداث التي تعتبر الجولة الثانية من الحملات الصليبية، كانت قد بدأت قبل ذلك حيث قضمت البلاد الأوربية الاستعمارية ما استطاعت من بلدان المسلمين في الأطراف البعيدة للعالم الإسلامي وقد بدأ ذلك منذ القرن السادس عشر، إلا أنه يمكن التأريخ لبدايته الجدية منذ حملة نابليون على مصر سنة 1798ميلادية، وهو التاريخ الذي يوافق بدايات الضعف والتقهقر في الخلافة العثمانية كما رأينا آنفا.

وسأسرد خلاصة ذلك التاريخ الحديث على قسمين، بلاد العالم العربي، ثم أهم بلاد العالم الإسلامي. وسأبدأ بالعالم العربي مسلسلا الدول من المشرق إلى المغرب. ومن آسيا إلى إفريقيا. فقد تفتت العالم العربي إلى اثنتين وعشرين دولة ! قابلة للزيادة هذه الأيام بحسب برامج جورج بوش ! وتجاوز عدد الدول الإسلامية خمسا وخمسين دولة !!. وليس هذا لدخول مزيد من الدول في الإسلام بالطبع، وإنما لتقسيم قصعته على مائدة المستعمرين شذر مذر!

أولا: العالم العربي

(1) - العراق:

كان العراق ولاية عثمانية منذ عام (922هـ - 1516م) وحتى (1335هـ - 1917م)، وتنافست على احتلاله ألمانيا وفرنسا وإنجلترا، فبعد تحقيق الوحدة الألمانية، اتجهت ألمانيا إلى سياسة التوسع شرقا على حساب الدولة العثمانية المنهارة، و يتضح ذلك في مشروعها الخاص بمد سكة حديد برلين – بغداد.

وقد أدركت بريطانيا خطورة النفوذ الألماني فتصدت لمواجهته نظرا لتهديده الوجود البريطاني في الخليج.

ولما اندلعت الحرب العالمية الأولى سنة (1332هـ - 1914م) بدأت القوات البريطانية تتحرك من الهند لاحتلال العراق منتهزة فرصة انضمام الدولة العثمانية إلى ألمانيا، ونجحت هذه الجيوش في الاستيلاء على الفاو والبصرة وسيطرت تدريجيا على جنوب العراق سنة (1333هـ 1915م). وفي سنة (1335هـ - 1917) احتلت بغداد والموصل وأعلنت بريطانيا نهاية تبعية العراق للدولة العثمانية.

وفي مؤتمر (سان ريمو) سنة (1338هـ - 1920م) تقرر وضع العراق تحت الحماية البريطانية.

أما عن تطور الحركة الوطنية العراقية، فقد بدأت من قبل أعضاء (جمعية العهد) الذين عقدوا اجتماعا بدمشق أعلنوا فيه استقلال العراق واتحاده مع سوريا سياسيا واقتصاديا كما قاموا بتحركات عسكرية على الحدود السورية العراقية.

ولبى العراقيون في الداخل نداء المقاومة وقاموا بثورة سنة (1337هـ - 1920م) التي امتدت من الموصل إلى البصرة وشارك فيها سائر القبائل والطوائف ولم يبق في أيدي الإنجليز سوى البصرة وبغداد والموصل.

وكانت بريطانيا قد توجت الأمير فيصل بن الشريف حسين ملكا على العراق وذلك في عام (1339هـ - 1930م) فعمل على تحقيق الاستقلال عن

طريق المفاوضات وعقدت معاهدة (1350هـ -1932م) فحصلت العـراق بمقتضـاها عـلى بعض المكاسب منها قبول العراق عضوا في عصبة الأمم سنة (1350هـ - 1932م).

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية سنة (1375هـ - 1939م) رأت بريطانيا الفرصة سـانحة لتسـتفيد مـن امتيـازات معاهـدة (1348هــ - 1930م) وذلـك باسـتعمال قواعـد المواصلات العراقية وبعض القواعد العسكرية مما جعل الوضع بالعراق يزداد توترا إلى أن انفجر بثورة رشيد عالي الكيلاني سنة (1359هـ - 1941م) بالعراق.

وتفجر الصراع العسـكري بـين الإنجليـز والعـراقيين الـذي انتهـى بهـرب رشـيد عـالي الكيلاني خارج العراق كما نجحت بريطانيا في اسـتمالة الأمـير عبـد الإلـه ونـوري السـعيد لتنفيذ مخططاتها في دعم نفوذها بالعراق.

وفي سنة (1364هـ - 1944م) جـرى تشـكيل خمسـة أحـزاب عراقيـة تبنـى بعضـها معارضة السياسة البريطانية في العراق لكن استطاعت بريطانيا حلها.

وفي (1374/5/8هـ - 5إبريل سنة 1955م) أعلـن قيـام (حلـف بغـداد) بـين العـراق وتركيا ثم انضمت إليه بريطانيا وإيران وباكستان والولايات المتحدة الأمريكية، فكان ذلك نوعا من عزل العراق وبعض البلدان العربية عن التيار العربي التحرري الذي راج آنذاك.

ولمواجهة الحلف تشـكلت لجنـة وطنيـة مـن القـوى القوميـة والشـيوعية تصـدت لقيادة الحركة الوطنية، وانتهت جهودها إلى تفجير ثورة (1377/7/10هـ - 14يوليـو سـنة 1958م) التي أطاحت بالنظام الملكي وأعلنت الجمهورية.

سنة (1965) استولى (حـزب البعـث العـربي الاشـتراكي) عـلى السـلطة عـبر الإنقلاب في العراق. ونصب (أحمد حسـن البكـر) رئيسـا للعـراق. وبعـد ثـلاث سنوات تمكن رجل حزب البعث النافذ (صدام حسين) نائب الرئيس البكـر مـن إزاحته بهدوء وتولى رئاسة العراق. وابتدأ عهده بتصفية كافـة مراكـز القـوى في

الحزب والدولة بالبطش والإعدامات الدموية، حتى سيطر بمفرده على الحكم كواحـد مـن أقوى رؤساء الأنظمة العربية الديكتاتورية وأكثرهم بطشا وجبروتا. وقد تميزت فترة حـزب البعث في العراق - كما في سوريا - بتصفية كافة الاتجاهات السياسـية الأخـرى. واتبعـت نهجا علمانيا إلحاديا يساريا مواليا لموسكو. و قد حارب صدام البعث الإسـلام والإسـلاميين وبطش بهم وسار بالعراق على طريق الكفر والظلم والطغيان، ولكن الذي يحسب لصدام أنه سعى لبناء دولة قوية متطورة علميا وتكنولوجيا، وأسس جيشا قويا كثير العدد موفور العتاد، وطور الصناعات العسـكرية ولاسـيما الصـاروخية، بـل طمـح لأن يمتلـك القـدرات النووية. وشهد العراق في عهده الديكتاتوري الـدموي نهضـة عمرانيـة وازدهـارا اقتصـاديا مستفيدا من الموارد النفطية الهائلة للعراق.

وبعد الثورة الشيعية الخمينية التي أطاحت بشاه إيران، تبنت إيـران مبـدأ تصـدير الثورة للدول العربية والإسلامية، وحركت القوى الشيعية التي كان صـدام قـد اضـطهدها كغيرها بقسوة. فبطش صدام بالشيعة ونكل بهم بوحشية. واسـتغلت أمريكـا الحـال بـين الجارتين القويتين ونجحت في إشعال حرب ضروس بينهما اتهمت كـل دولـة فيهـا الأخـرى بالتسبب في بدء الحرب التي استمرت من (1979) وإلى (1987) ودمـرت مـوارد البلـدين. ولكـن العـراق خـرج بتجربـة عسـكرية كبـيرة وطـور جيشـه. واسـتغلت أمريكـا النزعـة التوسعية لدى صدام، واستدرجته السفيرة الأمريكية وزينت له احتلال الكويت. فتورط في حرب الخليج الثانية واحتل الكويت بسهولة سنة 1990، وبذلك بلع صـدام الطعـم الـذي وضعته له أمريكا ليكون عذرها الواهي للتواجد الاستعماري في المنطقـة. وهكـذا زحفـت أمريكا مع جيوش حلفائها بنحو مليون جندي لتحرير الكويت وإنقاذ أصدقائها من حكام الخليج كما ادعت وادعى أولئك الحكام الخونة. وأسفرت الحـرب سـنة 1991 عـن تـدمير الجيش العراقي، و تركيع حكام الخليج وابتـزاز مخـزونهم المـالي في بنـوك أمريكـا، ووضـع الأمريكان قدمهم في المنطقة. وفرضت أمريكا حصارا ظالما على الشعب العراقي بحجة احتواء نظام صدام، وعبر 13 سنة من الحصار الوحشي قتـل أكـثر مـن مليـون ونصـف مـن الأطفـال

لانعدام الغذاء والدواء عدا ما هلك من الرجال والنساء، فضلا عن الحرب التي قتـل فيهـا أكثر من 300 ألف عسكري ومـدني تحـت القصـف الأمـريكي الـوحشي! وبعـد أن تأكـدت أمريكا من انهيار العراق ونظامه، نفذت الحلقـة الثانيـة مـن البرنـامج اليهـودي الصـليبي واحتلت العراق كاملا بشكل مكشوف في حرب الخليج الثالثة التي أسـمتها حـرب تحريـر العراق وذلك بعد أن سهل لها ذلك لفيف من المعارضين العـراقيين الـذين ربـتهم أمريكـا وبريطانيا عبر سنوات الحصار وكان في طليعـتهم القـوى الشـيعية التـي تمركـزت في إيـران بالإضافة لقوى أخرى، حيث أوصل صدام الشيعة والقـوى الأخـرى ببطشـه إلى الاسـتعداد للتعاون مع الشيطان للإطاحة به، وتداخلت المسـائل السياسـية المتشـابكة – ولـيس هنـا محل استقصـائها – لتكـون بدايـة البرنـامج الإسـتعماري الكبـير الـذي تجتـاح بـه أمريكـا وحليفتها بريطانيا الشرق الأوسط برمتـه مـن بوابـة العـراق، بعـد أن احتلـت أفغانسـتان وفرضت نفسها كقوة استعمارية إمبراطورية جديدة على العالم بأسره. وهكذا سقط نظـام صدام وحكم البعث الذي استمر زهاء 35 سنة. لتتولى هذه الأيام حكومـة عميلـة معينـة من قبل أمريكا حكم العراق الذي يعيث فيه فسادا أكثر مـن 150 ألـف جنـدي أمـريكي، ونحو 50 ألف جندي بريطاني عدى جيوش بقية الحلفاء الصليبيين.

(2) سوريا:

بقيت سوريا خاضـعة للحكـم العـثماني نحـو 400 سـنة . ومـع تهلهـل أحـوال الدولـة العثمانية بدأت بذور العمل التحرك القـومي العـربي في سـوريا مـن جـراء دسـائس تلاميـذ المستشرقين الصليبيين، ومعظمهم من النصارى، حيث لاقت أفكـارهم رواجـا نتيجـة سياسـة (التتريك) التي اتبعها الماسون الذين استولوا على الدولة العثمانية في أواخر عهدها. وقد بـدأ النشاط القومي في صور جمعيات ثقافية الطابع داخل سوريا وخارجهـا نـذكر منهـا جمعيـة النهضة العربية التي أسست في دمشق سـنة (1324هــ -1906م) وجمعيـة العربيـة الفتـاة التي أسست سنة (1329هـ - 1911م) في باريس وانتقلت لدمشـق وبقيـت بهـا حتـى سـنة

(1337هـ - 1920م). ثـم عقـد في بـاريس المـؤتمر العـربي الأول سـنة (1331هــ -1913م) والذي مثل اتحادا عربيا ضمن إطار القومية العربية.

أعقب هذا المؤتمر محاولة الأتـراك للتقـرب مـن العـرب، واسـتجاب لهـم العـرب في محاولة لصد أخطار المطامع الأوروبية. لكن حركتي (التتريك) و (القوميـة العربيـة) كانتـا تمضيان قدما، ولم يكن من المستطاع التوفيق بين قـوميتين في نطـاق دولـة واحـدة. ومنـذ ذلك الوقت حدث انفصام بين الأمتين وساد سـوء الظـن. وعنـدما قامـت الحـرب العالميـة الأولى سنة (1332هـ/1914م) دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا؛ وهنا قامت ما يعـرف بالثورة العربية الكبرى على تركيا، حيث قادهـا الأمـير حسـين بـن عـلي والي الحجـاز ضـد الأتراك، حيث خدعه البريطـانيون فتحـالف معهـم. واشـترك معـه أهـل الشـام. وانتهـت الحرب العالمية بهزيمة ألمانيا وحلفائها، وانتصار بريطانيا وفرنسا اللتان قسمتا المنطقة فيما بينهما بموجب اتفاقية سيكس – بيكو، ووعد بلفور الذي منح فلسطين لليهود.

وفي عام (1338هـ/ 1920م) عين المؤتمر السوري العام فيصل بن الحسين ملكـا عـلى سوريا. وفي نفس السنة صدرت قرارات مؤتمر سـان ريمـو الـذي كـان مـن بـين قراراتـه أن توضع سوريا تحت الانتداب الفرنسي، ووجهت فرنسـا إنـذارا للملـك فيصـل تطلـب منـه قبول الانتداب الفرنسي وتسريح الجيش السوري خلال 48 ساعة.

وقبل انتهاء الإنذار زحفت القوات الفرنسية إلى دمشق ؛ فأعلن الملك فيصل الجهـاد ؛ و هـاج الشـعب والتـف حـول حكومتـه والتقـى الجـيش الفـرنسي بـالجيش السـوري والمتطوعين بقيادة وزير الـدفاع يوسـف العظمـة في معركـة ميسـلون البطوليـة في يونيـو (1338هـ -1920م) ولكنها انتهت بانتصار الجيش الفرنسي ليحتل دمشق ومـن ثـم سـائر المدن السورية.

وعلى إثر ذلك غادر الملك فيصل دمشق وسيطر الفرنسيون على البلاد سيطرة كاملة، واتبعت فرنسا سياسة طائفة فقسـمت سـوريا إلى أربـع دويـلات هـي: دمشـق، وحلـب، ودولة العلويين، ودولة الدروز.

ولم يستسلم السوريون لهذه التدابير ؛ فقامت بعض حركات المقاومة. وفي سنة (1343هـ /1925م) ثار الدروز على الفرنسيين ثم امتدت الثورة إلى حماة ودمشق، وانتصر الثوار في عدة معارك لكن الفرنسيين قمعوها بوحشية.

وأمام ضغوط الثوار وافقت فرنسا على تشكيل حكومة وطنية بدمشق حاولت عن طريق المفاوضات عقد معاهدة تنص على تكوين جيش وطني وإصدار دستور للبلاد، لكن المقيم الفرنسي عمل على حل الحكومة سنة (1348هـ /1930م).

شكلت فرنسا حكومة عقدت معها معاهدة سنة (1354هـ /1936م). ثم اعترفت فرنسا بمنح سوريا استقلال مشروطا.

ولما قامت الحرب العالمية الثانية سنة (1357هـ /1939م) أعادت فرنسا الحكم العسكري في سوريا، وأدى استمرار المقاومة الوطنية والتنافس البريطاني الفرنسي إلى إجبار فرنسا على منح سوريا الاستقلال سنة (1359هـ /1941م). مع بقاء قواتها فيها.

وفي سنة (1361هـ /1943م) تم انتخاب (شكري القوتلي) رئيسا للجمهورية السورية المستقلة ثم اضطرت فرنسا إلى سحب قوتها من سوريا سنة (1365هـ/1946م) ليكتمل تحريرها واستقلالها.

بعد الإستقلال قامت في سوريا سلسلة من الانقلابات العسكرية بمؤامرات وتخطيط ودعم من السفارة الأمريكية في دمشق. وفي سنة 1958 قامت الوحدة بين مصر وسوريا في عهد جمال عبد الناصر، ثم انفصلت سوريا عن مصر، بانقلاب عسكري بعد ثلاث سنوات على الوحدة ! ثم جاء الدور على (حزب البعث العربي الاشتراكي) ليقوم بانقلاب 8 آذار 1963. وكان جل قيادات الحزب من الطوائف غير الإسلامية، فكانوا من النصارى والدروز والإسماعيلية و النصيرية..، وقد أعلن البعثيون الكفر والإلحاد وحرب الإسلام بلا خفاء ولا مواربة، كما انفردوا بالسلطة وبطشوا بالقوى السياسية الإسلامية والقومية واليسارية الأخرى. ثم انقسموا على بعضهم، وأعدم بعضهم بعضا، وقام

انقلاب سنة 1965 على الرئيس (أمين الحافظ) ذي الأصل السـني، ليـزداد نفـوذ النصـيرية والدروز في الحكم. وفي 5 حزيران من سنة 1967 خسرت سوريا ومصر الحرب مع إسرائيل وهزمتا هزيمة منكرة، واحتلت إسرائيل مرتفعات الجولان من غير قتال، حيث تـولى وزيـر دفاع سوريا آنذاك (حافظ الأسد) بيع الجولان لإسرائيـل واشـتهرت قصـة الفضـيحة دوليـا وإقليميا. ومن ثم كوفئ حافظ الأسد و النصيرية بتسليمهم مقاليد الحكم في سوريا بدعم من القوى العالمية والصهيونية. وكان ذلك بعد آخر الانقلابـات في سـوريا، وهـو مـا سـمي بالحركة التصحيحية، يقصدون تصحيح مسار حزب البعث !

ومنذ ذلك الوقت تحكم الطائفة النصيرية سوريا حكما طائفيا استبداديا.

حكم حافظ أسد سوريا خلال (1970- 1998). حكما عسـكريا اسـتخباراتيا بقبضـة من حديد، وبطش بكل همسة معارضة لحكمـه مـن أي هويـة سياسـية كانـت، وضـعف نفوذ البعثيين المرتدين المنحدرين من أصول الطائفة السنية التي تشكل 80% من سـكان سوريا. وسارت البلاد في دروب الكفر والإلحاد والعلمنة بوتيرة متسارعة، كما دب الفسـاد والرشوة في كافة مفاصل الحياة السياسي والإدارية والقضائية والاقتصـادية، وذاق الشـعب فيها ألوان العذاب !

قامت في سوريا ثورة إسلامية مسلحة على نظام حافظ أسد بقيادة الشـيخ مـروان حديد، وامتدت أحداثها من (1973) إلى (1983). ولاقـت انتشـارا في صـفوف المسـلمين السنة، ولكن النظام بطش بالشعب بقسوة وبكافة ألوان الإسلاميين ولاسيما بالجهـاديين، وبالإخوان المسلمين، وامتد عدوانه لكل ما يمت للإسلام بصلة، حتـى دوهمـت المسـاجد ومزقت المصاحف، وقتل المصـلون.،. وفي فبرايـر 1982 بلغـت الثـورة أوجهـا وتركـزت في مدينة حماة، فقام النظام النصيري البعثي بدك المدينة بالمـدافع والطـائرات وقتـل أكـثر من (50 ألف مسـلم) خـلال 14 يومـا ! وسـط صـمت إعلامـي دولي مريـب عجيـب. و تابعت الحكومة الاعتقالات التي كانت قد اشتدت منـذ 1979 وأعـدم في السـجون أكـثر

من 25 ألف مسلم في حملات إعدام ومجازر منظمة ! دفن أصحابها في مقابر جماعية. وانتهت الثورة.

أراد حافظ الأسد تولية ابنه باسل لخلافته في رئاسة الجمهورية، ورتب ذلك مع أمريكا والقوى الإقليمية، وفي طليعتها إسرائيل، ولكن باسل هلك فجأة في حادثة سيارة كما قيل، فرتب استخلاف ابنه بشار على عجل مع نفس القوى، وحضرت وزيرة خارجية أمريكا، اليهودية الشمطاء (أولبريت) إلى دمشق وأشرفت على تصويت البرلمان السوري على تعديل الدستور بالإجماع خلال 40 دقيقة. وعلى نقل ولاية العهد لبشار الذي مازال يحكم سوريا عبر أجهزة الإستخبارات التي أسسها أبوه إلى اليوم.

(3) لبنان:

كانت لبنان جزءا من بلاد الشام التي كانت ولاية عثمانية، ولما تقاسمت بريطانيا وفرنسا الشرق الأوسط، خرجت لبنان في حصة فرنسا باعتبارها جزءا من سوريا، ولكن فرنسا أعطت لبنان وضعا خاصا لوجود طائفة مسيحية كبيرة فيه، أرادت فرنسا الاعتماد عليها في نفوذها في المنطقة. ولما قسمت فرنسا سوريا إلى عدة دويلات، كانت لبنان إحدى لك الدويلات، فوضعت لبنان تحت الانتداب الفرنسي تطبيقا لمعاهدة (سان ريمو) وبدأ الجنرال غورو إعادة تقسيم سوريا ولبنان، وفي أغسطس سنة (1338هـ/1920) صدر قرار بإعلان قيام دولة لبنان، كما أعلن استقلالها عن سوريا، ثم اقتطعت فرنسا أجزاء من الأقاليم المجاورة لإقليم لبنان وألحقتها به وأسمته (دولة لبنان الكبير!!).علما أن هذا (الُبنان الكبير)!! بلغت مساحته بعد ما ألحق به (10 آلف كم مربع فقط)!

ثم قام الفرنسيون باستغلال لبنان، وعمدوا إلى تمزيق شمل المواطنين والدس بينهم لتمكين أقدامهم في البلاد، لكن بعض اللبنانيين لم يستكينوا لفرنسا فقامت بعض الثورات من حين لآخر ؛ ومن أشهرها ما حصل في سنة (1338هـ/1920م) ثورة جبل عامل التي أخمدها الفرنسيون. ولكن الفرنسيين اعتمدوا على ولاء النصارى الموارنة لبسط نفوذهم.

ثم توالت الثورات وتلاقت مع ثورات سوريا خاصة في ثورة عـام (1343هــ/1925م) في جبل الدروز. ثم حكم الفرنسيون بعد ذلك لبنـان حكـما مبـاشرا وإن أوجـدوا مجلسـا تمثيليا – حتى عام (1344هـ/1926م) حيـث أعطـوا الـبلاد دسـتورا. وتـم انتخـاب رئـيس للجمهورية اللبنانية هو شارل دبَّاس الذي بقى حتى وفاته سنة (1350هـ/1932م).

وفي سنة (1351هـ/1933م) تم تعيين حبيب باشا السعد رئيسا جديدا ثم تبعه عـام (1936م) إميل أده. وفي سنة (1355هـ/1937م) تم الاتفاق بين فرنسا واللبنـانيين عـلى أن يكون رئيس الجمهورية، مارونيا ورئيس الوزراء مسلما سنيا.

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية عبثـت السـلطات الفرنسـية بالنظـام السـياسي والإداري في لبنان، وعملت على انتشار الفساد في البلاد.

وفي سنة (1354هـ/1936م) تقدم الشيخ محمـد توفيـق خالـد مفتـي المسـلمين إلى المفوض السامي بعدة مطالب لتحقيق الإستقلال الشامل والاعتراف بسيادة لبنان ووحدته مع سوريا، بينما تقدم بطرس عويضة زعيم الطائفة المارونية بمطالـب تهـدف إلى تحقيـق الاستقلال والسيادة، وتوطيد العلاقات مع سوريا، ووضع دستور للبلاد.

وفي سنة (1361هـ/1943م) تشكلت حكومة تمثل الطوائف الرئيسية في لبنان وهي: (الموارنة، والسنة، والشيعة، والروم الأرثوذكس، والروم الكاثوليك، والدروز) معبرة في ذلـك عن شكل من الوحدة الوطنية وكان رئيس الجمهورية (بشارة الخوري). ثم أعطت فرنسـا لبنان الاسـتقلال سـنة (1364هــ/1945م) وتـم جـلاء القـوات الفرنسـية عـن لبنـان سـنة (1365هـ/1946م).

اسـتمر الاضـطراب الطـائفي في دويلـة لبنـان الإصـطناعية !، وانفجـرت الحرب الأهلية بين الموارنة والطوائف الإسلامية والملحقة بالإسـلامية والقوميـة سنة 1958. وسكنت الأحداث لتنفجر ثانية سنة 1975 بـين تحـالف النصـارى

الموارنة المدعومة من إسرائيل علنيا، والقوى القومية والإسلامية والفلسطينيين المقيمين في لبنان، ودخل النظام النصيري بإجازة أمريكية في الحرب بين الأطراف، ونفذ الجيش السوري بالتعاون مع الطيران الإسرائيلي مذبحة مخيم تل الزعتر الفلسطيني وقتل زهاء 50 ألف نسمة في تلك المذبحة ! ثم أحدث النصيرية مذبحة أخرى في المسلمين في طرابلس شمال لبنان، ونمت قوة الطائفة الشيعية و النصيرية اللبنانية خلال تلك الحرب بدعم من سوريا وإيران... ودمرت الحرب الأهلية لبنان وهلك زهاء مأتي ألف من مختلف الطوائف، ثم تدخلت إسرائيل علنيا و زحفت جيوشها برئاسة شارون آنذاك واحتلت بيروت! ونفذت مجازر مهولة فى الفلسطينيين في سنة 1982 وخاصة فيما عرف بمذابح صبرا و شاتيلا. وأجبرت المنظمات الفلسطينية على الرحيل من لبنان.

ثم عقد مؤتمر القمة العربية في الطائف وأرسى دعائم اتفاق هش، أطلق فيه يد سوريا في لبنان بإجازة أمريكية إسرائيلية..، والآن وبعد احتلال العراق، تغير البرنامج الأمريكي الصهيوني حيث تعيد أمريكا ترتيب خريطة المنطقة، لتطالب سوريا برفع يدها عن لبنان، حيث يبدوا أن الطوائف وعلى رأسها الموارنة سيلعبون دورا جديدا في برنامج بوش لإعادة تقسيم ما قسمته سيكس بيكو ورسمها من جديد وإعادة تقسيمها وتركيبها تحت المجهر.

(4) فلسطين:

لفلسطين منزلة كبرى عند المسلمين نظرا لوجود بيت المقدس ثاني الحرمين وأولى القبلتين، وقد اتفق الشريف حسين بن علي مع بريطانيا على أن تكون فلسطين ضمن الدولة العربية الكبرى التي وعدوه بها قبل الحرب العالمية الأولى، لكن بريطانيا كانت تريد ضمها إلى إمبراطوريتها لإعطائها لليهود بموجب وعد بلفور سنة الصادر سنة (1335هـ/1917م) والذي تعهدت فيه بريطانيا بتبني قرار المؤتمر الصهيوني الأول سنة (1314هـ/1897م) بأن تكون فلسطين وطنا قوميا لليهود.

انتهت الحرب العالمية الأولى بانتصار الحلفاء – ومنهم بريطانيا – وتم وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني سنة (1338هـ/1920م). في مؤتمر سان

ريمو. وتنكرت بريطانيا لوعودها للعرب بالاستقلال بينما التزمت بوعدها للصهاينة بالوطن لليهود في فلسطين. وخلال فترة الانتداب من (1338هـ/1920م) - (1367هـ/ 1948م) مكنت بريطانيا الصهاينة من امتلاك الأراضي، وفتحت أبواب فلسطين لاستقبال يهود العالم، فرفعت عدد اليهود الأصليين الذي كان 15 ألف نسمة من السكان اليهود الأصليين،إلى مئات الآلاف قبل سنة 1948.وجعلت اللغة العبرية لغة رسمية، وسمحت لهم بتكوين فرق عسكرية، بينما اتبعت خطة من شأنها التضييق على العرب.

خلال تلك الفترة قامت ثورات شعبية فلسطينية وأبرزها ثورات (1338هـ/1920) (1347هـ/1929م) (1354هـ/1936م) فكان الحاج أمين الحسيني مفتي القدس أبرز القادة في تلك الفترة، وكنوع من التهدئة طرحت بريطانيا مشروع تقسيم فلسطين لثلاث مناطق: يهودية، وعربية، وبريطانية. رفض الفلسطينيون هذا التقسيم واندلعت الثورات من جديد.

وكانت ثورة (1355هـ/1937م) التي قادها الشهيد عز الدين القسام أشدها ولكن بريطانيا أجهضتها بتوسط من بعض زعماء العرب ولاسيما الأمير فيصل بن عبد العزيز ملك السعودية !. واضطرت بريطانيا عام (1356هـ/1937م) للتخلي عن الفكرة. وبعد الحرب العالمية الثانية تراجعت بريطانيا إلى دولة من الدرجة الثانية، وبرزت الولايات المتحدة الأمريكية لتصبح إحدى القوتين الأعظم في العالم ؛ و ركز اليهود جهودهم لاستمالة الولايات المتحدة. وأثبت الرئيس الأمريكي ترومان للصهيونية أن الولايات المتحدة حليف أفضل حين مارس ضغطا على بريطانيا كانت نتيجته السماح بدخول 100 ألف يهودي إلى فلسطين وهي العملية التي جعلت بريطانيا تعجل بتدويل القضية و بتحويلها إلى الأمم المتحدة عام (1947م).

وأوصت اللجنة الخاصة للأمم المتحدة بشأن فلسطين بقسيمها إلى دولتين إحداهما عربية والأخرى يهودية مع تدويل القدس وجرى التصويت على ذلك وقامت بذلك دولة إسرائيل عام (1948م) وانسحبت بريطانيا من فلسطين بعد أن سلمت الصهاينة كل مقومات الدولة إداريا وعسكريا، وبعد أن مكنتهم من

السيطرة على مساحات من أرض تزيد على المساحات التي حددها تقسيم الأمم المتحدة، وفي (1367/7/7هـ) (15مايو سنة 1948م) جرى إعلان قيام دولة إسرائيل وواصلت المنظمات الصهيونية غاراتها للتوسع على حساب المناطق التي يسكنها العرب.

أدى إلى ذلك القيام الحرب الأولى بين العرب وإسرائيل سنة (1367هـ/1948م) التي انتهت بهزيمة الجيوش العربية بفعل خيانات الرؤساء والملوك العرب ولاسيما في الدول المجاورة والسعودية.وتأكد قيام دولة إسرائيل. واستولى اليهود على مزيد من الأراضي بحيث لم يبق من فلسطين سوى الضفة الغربية التي وضعت تحت الحكم الأردني وقطاع غزة الذي وضع تحت الحكم المصري. وفي سنة (1375هـ/1956م) كان اعتداء إسرائيل على غزة وسيناء بالتواطؤ مع إنجلترا وفرنسا الذي انتهى بتوسيع دولة إسرائيل وضم أراضٍ جديدة إليها بعد مذابح شنيعة ضد عرب فلسطين.

وفي عام (1382هـ/1963م) كان إعلان قيام (منظمة التحرير الفلسطينية) التي أسست جيشا فلسطينيا نجح في إلحاق بعض الخسائر بإسرائيل في الداخل وفي خارج حدودها مع لبنان والأردن. وفي عام (1386هـ/1967م) اندلعت الحرب بين العرب وإسرائيل للمرة الثانية وخسر على أثرها العرب الجولان والضفة الغربية وقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء التي احتلتها إسرائيل. نتيجة خيانة النظام السوري، واختراق الإستخبارات الإسرائيلية لقيادات جيش عبد الناصر من الزناة الماجنين..!

وفي عام (1392هـ/1973م) قامت حرب أكتوبر حيث انتصرت الجيوش العربية على إسرائيل، لكنها لم تستطيع تحرير تلك المناطق المحتلة نظرا لتدخل الولايات المتحدة ووقوفها إلى جانب إسرائيل ولخيانة الرئيس السادات الذي أوقف الهجوم، وتكرار النظام السوري لخياناته المألوفة..

وبعد أن تحصلت منظمة التحرير الفلسطينية، على كونها المثل الشرعي والوحيد للقضية الفلسطينية، بدأت بسلسلة مفاوضات سرية وعلنية مع إسرائيل برعاية من الأنظمة العربية الخائنة، وإشراف دولي. من أجل إنهاء

الصراع العربي الإسرائيلي. وقد بدأ ذلك من اتفاقيات كامب ديفد بين مصر وإسرائيل والفلسطينيين برعاية أمريكية سنة 1980،ثم حصلت قفزة استسلامية في مؤتمر مدريد للسلام (1991) والذي تبعه اتفاقيات أوسلو بين المنظمة ولإسرائيل، ثم تتابعت المؤتمرات والمؤامرات..بإشراف أمريكي وتعاون من الأنظمة العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي التي تضم الدول (ذات الشعوب الإسلامية). إلى أن تولى بوش وضع ما سمي بـ (خارطة الطريق) لتسوية القضية الفلسطينية سنة 2002، ولإقامة دولة شكلية للفلسطينيين في غضون سنة 2005ولكن إسرائيل مازالت تتملص وتتابع مسلسل القتل والمجازر في الفلسطينيين، وأمريكا مازالت تزداد علنية في انحيازها. فيما يبدو مخططا مكشوفا لتهجير ما تبقى من الفلسطينيين، وهدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه.

وقد انفجرت الإنتفاضة الفلسطينية ضد اليهود في سنة 2000 وانتقلت للعمل المسلح وبرزت المنظمات الجهادية الإسلامية لتملأ فراغ الساحة بعد انكشاف إفلاس الخط اليساري القومي العلماني وخيانته لقضية المسلمين، وعجزه. وتشهد هذه الأيام صدامات عنيفة بين قوى الجهاد الفلسطينية واليهود، فيما تتابع السلطة الفلسطينية بعد هلاك عرفات تعفنها و تفسخاتها بقيادة الخونة من أمثال محمود عباس (أبو مازن) المرشح لإطلاق رصاصة الرحمة على قضية فلسطين هذه الأيام.

(5) الأردن:

كانت الأردن جزءا من ولاية الشام عبر التاريخ الإسلامي. ولكنها بدأت تاريخها كدولة مستقلة منذ عام (1339هـ/1921م) بموجب اتفاقية سيكس بيكو التي جعلتها في حصة الإنكليز. فرسمت حدوده على الرقعة الجغرافية الممتدة شرق نهر الأردن ما بين السعودية والعراق وسوريا. وقد كانت الأردن متصرفية تتبع سوريا في العصر العثماني، ووفق اتفاقية سان ريمو وضع شرق الأردن وفلسطين تحت الانتداب البريطاني، ثم قررت بريطانيا فصل شرق

الأردن عن فلسطين، وعينوا عليها الأمير عبد اللـه بن الشريف حسين على أن يكون حكمه مستقلا إداريا و(مستنيرا) ! برأي مندوب بريطاني يقيم في عمان.

وفي سنة (1346هـ /1927م) عقدت معاهدة أردنية - بريطانية اعترفت بريطانيا فيها باستقلال شرق الأردن شكليا، وتكون حكم فيها ملكي مطلق، ثم عدلت سنة (1352هـ /1933م) بحيث حصلت المملكة على قدر من السيادة والاستقلال. وخلال الحرب العالمية الثانية وقف الأردن إلى جانب الحلفاء، وشاركت القوات الحربية الأردنية في المجهود الحربي ثم أعلنت بريطانيا إنهاء انتدابها للأردن. في (1365هـ/1946م) و تم إعلان قيام (المملكة الأردنية الهاشمية)، وبويع الأمير عبد اللـه ملكا دستوريا على البلاد.

في عام (1368هـ/1948م) انفجرت الحرب بين العرب واليهود وكان الملك عبد اللـه هو القائد الأعلى للجيوش العربية ! ولكن الضابط الإنكليزي (غلوب باشا) كان القائد الفعلي !!!...! وهكذا انتهت الحرب بالنكبة واستيلاء اليهود على قسم من الأراضي، وقيام إسرائيل. وفي عام (1369هـ/1950م) أعلن الملك عبد اللـه ضم الضفة الغربية من فلسطين إلى الأردن وذلك بعد قيام دولة إسرائيل.

وفي عام (1370هـ/1951م) قتل الملك عبد اللـه وتبعه ابنه الملك طلال الذي قام في سنة (1371هـ/1952م) بوضع دستور يساير الواقع الجديد. ولكنهم أعلنوا اختلاله العقلي، وخلفه في سنة (1372هـ/1953م) ابنه الملك حسين بن طلال.

استمر حسين في الحكم لأكثر من 46سنة ! وكان داهية محنكا، وعميلا خائنا ماهرا، أجاد اللعب على متناقضات المنطقة وعرف بممالأته للإنكليز الذين صنعوا العرش الأردني ثم للأمريكان الذين ورثوا النفوذ في المنطقة. كما أن اتصالاته القديمة جدا باليهود الصهاينة كانت شبه معلنة. وقد تولى كشفها بنفسه وأعلن قدمها وأنها تعود لأيام صداقته مع بنغوريون مؤسس إسرائيل !

تتمتـع الأردن باقتصـاد ضـحل جـدا، فهـي بلـد صـحراوي قليـل المـوارد وتعتمـد في استمراريتها على المساعدات الإقليمية والدولية. ويتكون ثلثـي السـكان مـن الفلسـطينيين المهجرين إبان الحروب المتتالية في فلسطين. ولذلك فالتوازن السياسي الداخلي فيها حـرج، وقد فقد توازنـه سـنة 1970 حيـث وقـع القتـال بـين الفلسـطينيين والنظـام الأردني وراح ضحيته أكثر من عشرين ألـف فلسـطيني ! وأخرجـت المـنظمات الفلسـطينية مـن الأردن ليستقر معظمها في لبنان، حيث أخرجت كما رأينا بعد الحرب الأهلية المجازر سنة 1982.

وقع الحسين معاهدة صلح مع إسرائيل أقام علاقات دبلوماسية معها ورفرف العلـم الإسرائيلي في سماء عمان جهارا نهارا فوق رؤوس شعبها ذي الأغلبية الفلسطينية !

هلك الحسين إثر إصابته بالسرطان سنة 1998-على ما أذكر – وتولت أمريكـا تغيـير ولاية العهد، فأبعدت أخاه وولي عهده لـعشرات السـنين، وولـت ابنـه (الملـك عبـد اللــه الحـالي) الـذي قضى معظـم حياتـه في بريطانيـا. ليتـابع سياسـة أبيـه. فتوطـدت علاقاتـه وزياراته لإسرائيل. وعندما غزت أمريكا العـراق واحتلتـه، قـدمت حكومـة الأردن لأمريكـا خدمات لوجيستية هامة، وتحركت القوات الأمريكية من الأراضي والأجواء الأردنيـة. بعـد منـاورات مشـتركة مـع الجـيش الأردني. وترتكـز الـبرامج الأمريكيـة الإسرائيليـة اليـوم في انطلاقتها الشاملة في المنطقة اليـوم إقتصـاديا وثقافيـا وسياسـيا.. عـلى مـا يقدمـه النظـام الأردني من خدمات خيانية جليلة للأعداء.

(6) بلاد الحرمين. المسماة بـ (السعودية !!):

خلال المرحلة العثمانية كانت البلاد المعروفة باسـم (السـعودية) اليـوم مكونـة مـن أجزاء شبه مستقلة. أهمها نجد، ولم تخضع عمليا للحكم العثماني، والحجاز التـي حكمهـا الأشراف وتبعوا فيها العثمانيين وكانوا تحت حمايتهم ورعايتهم. والشـمال المتـاخم للشـام والعراق، وكان يخضع لحكم آل الرشيد بتوكيل من العثمانيين أيضا.

وقد مر قيام الدولة السعودية الحالية منذ القرن الثامن عشر الميلادي بثلاثة أدوار:

الدور الأول: الدولة السعودية الأولى:

ويبدأ من سنة (1157 هـ - 1744م) وهي السنة التي هاجر فيها الداعية الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) إلى بلدة الدرعية وعقد الاتفاق بينه وبين أميرها الإمام (محمد بن سعود على النصرة والتعاون على نشر الدعوة. ويعتبر الأمير الإمام سعود بن محمد بن مقرن (1725م-1765م) مؤسس الدولة السعودية الأولى. ثم انتشر صدى الدعوة الوهابية في أنحاء الجزيرة.

توفي الأمير محمد بن سعود سنة (1178هـ/1765م) فبويع على الإمامة ابنه الأمير عبد العزيز ابن محمد، فوسع دولتهم ووصل في الجنوب إلى وادي الدواسر وفي الشمال إلى السماوة في شرق العراق، وقد اغتيل الإمام عبد العزيز بن محمد سنة (1228هـ /1813م) وكان قد عين ابنه سعودا خلفا له فبايع الناس سعود على الإمامة، فتمكن سنة (1228هـ/1813م) من فتح مكة والقضاء على نفوذ الأشراف في الحجاز.

ولم ترض الدولة العثمانية عن ضياع سلطانها على الحجاز، ثم إن النشاط المتزايد للحركة السلفية في نواحي العراق زاد من مخاوف العثمانيين، وبعد أن استنجد الشريف غالب بالعثمانيين كلف السلطان محمود الثاني وإليه على مصر(محمد على باشا) باستعادة الحجاز فاستولى على مكة والطائف.

الحملة المصرية الثانية:

ثم خرج محمد على بنفسه إلى الحجاز سنة (1228هـ/1813م) واستطاع تمكين سلطانه في مكة والمدينة والطائف ودخل تهامة وعسير. وفي تلك الأثناء توفي الإمام سعود بن عبد العزيز وخلفه ابنه عبد الله سنة (1230هـ/1814م) ثم أعد محمد علي حملة قوية جديدة جعل عليها ابنه إبراهيم باشا فتقدم إبراهيم باشا نحو واستولى على الدرعية عاصمة السعوديين بعد حصار طويل وقتال مرير، ووقع الصلح بينهما وذهب الإمام عبد الله إلى مصر مع من بقي من

أنصاره لتوقيع الصلح مع محمد علي واستطاعت قوات محمد على أن تمد نفوذها إلى منطقة القطيف.

وينتهي الدور الأول أو الدولة السعودية الأولى باستسلام الإمام عبد الله سنة (1818م).

الدور الثاني أو الدولة السعودية الثانية:

يبدأ عندما استطاع الأمير مشاري بن سعود الكبير الهرب من مصر، ثم بويع إماما سنة (1235هـ/1236هـ) (1819م/1820م)، وأقام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود والذي كان قد لاذ بالفرار عند تسليم الدرعية – أميرا على الرياض ثم خلف الأمير تركي ابنه الأمير فيصل بن تركي سنة (1250هـ/1834م) واستمر في كفاحه مع منافسي بيته من ناحية، ومع المصريين من ناحية أخرى.

وكان الإمام فيصل بن تركي قد أعطى إمارة حائل لأحد رجاله الذين ساعدوه في القضاء على قاتل والده تركي، وهو عبد الله بن الرشيد الذي سيكون مؤسسا لإمارة بيت الرشيد. ويقسم عهد فيصل بن تركي إلى دورين: الأول يبدأ بتوليه الإمارة بعد مقتل والده (1250هـ/1834م) وهو دور الفتن و الاضطرابات، وينتهي بتسليم فيصل لخورشيد باشا والي مصر على نجد والحجاز بعد تسع سنين من المقاومة – حيث أخذه إلى مصر وولى مكانه عمه خالد ابن سعود جاء يحكم نجدا حكما عصريا. فنفر منه أهل نجد، وعدوه أجنبيا، ثم أجمعوا على خلعه فخلعوه بعد أن قاوموا سنتين، ثم تولى الإمارة بعده عبد الله بن ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان بن سعود سنة (1257هـ/1842م) ولكن حكمه لم يدم فقد كان محمد علي قد أطلق سراح الإمام فيصل بن تركي فبايعه أهل نجد سنة (1259هـ/1843م) و استمر في الدور الثاني أربعا وعشرون سنة فبسط سيادته على الشطر الأكبر في شبه الجزيرة فدانت له الأحساء و القطيف ووادي الدواسر وعسير و الجبيل و القصيم. وبوفاته سنة (1282هـ/1865م) ينتهي الدور السعودي الثاني أو الدولة السعودية الثانية حيث تنازع أبناء فيصل بن تركي الملك، وكانت الدولة العثمانية قد أنهكت أهل

نجد بحملاتها المتعددة. و استمر الخلاف بين سعود وعبد اللـه ومحمد أبناء فيصل، ولكن في سنة (1291هـ/1874م) توفي الإمام بن فيصل وتولى الإمامة بعده أخوه عبد الرحمن، واستطاع أن يعيد أخاه الكبير عبد اللـه ويصالحه، وبايع أخاه عبد اللـه ولكن أبناء سعود انشقوا عن العائلة. وكان آل رشيد إلى ذالك الحين في طاعة آل سعود.

ولكن في سنة (1299هـ/1881م) حدثت وقعة الحمادة والتي أدت إلى استيلاء ابن رشيد على نجد وأخذه للإمام عبد اللـه وأخيه عبد الرحمن سجينين إلى حائل مع عشرة آخرين من آل سعود، وأقام سالم بن السبهان أميرا على الرياض والذي قام بقتل أبناء سعود محمد وسعدا وعبد اللـه وأجلى أهلهم إلى حائل.

وفي سنة (1308هـ/1889م) مرض الإمام عبد اللـه ؛ فأذن له وأخيه عبد الرحمن بأن يعودا إلى الرياض ؛ ولكن الإمام عبد اللـه مات في نفس السنة، وبويع أخوه عبد الرحمن بالإمامة.ثم استولى ابن الرشيد على نجد، فأخرج عبد الرحمن حريمه وأولاده فارتحلوا منها إلى الأحساء ثم إلى قطر وأخيرا إلى الكويت حيث بقوا فيها إلى أن فتح ابنه عبد العزيز الرياض وأقام الدولة السعودية الثالثة.

الدور الثالث- الدولة السعودية الثالثة:

كانت بريطانيا قد بسطت سلطانها في الكويت كما سيأتي، وكانت أطماعها تمتد للسيطرة على جزيرة العرب وبلاد الحرمين، ولكنها بمعرفتها الواقعية لمكانة بلاد الحرمين في نفوس المسلمين، ونفرتهم من وجود قوات أجنبية فيها، عمدت إلى احتلالها بصورة غير مباشرة، وذلك بتولية أسرة مالكة تابعة لها فيها. وهذا ما فعلته بعد دراسة في تاريخ المنطقة والقوى القبلية فيها.

وقد نصح حاكم الكويت التابع للإنكليز (مبارك الصباح) البريطانيين باعتماد عبد الرحمن بن فيصل آل سعود - الذي كان لاجئا عنده – لهذه المهمة. وبعد اجتماع المندوب البريطاني بعبد الرحمن آل سعود، أقنعه عبد الرحمن بأن كبر سنه لا يناسب المهمة، وقدم له ولده (عبد العزيز) ليقوم بالبرنامج

البريطاني. وأعجب المندوب بعبد العزيز الذي كـان في العشريـن مـن عمـره، وتوسـم فيـه القدرة والنجابة. ومن تلك النقطة يبـدأ تـاريخ الدولـة السـعودية الثالثـة والتـي مازالـت مستمرة إلى يومنا هذا. أخزاهم اللـه وأهلكهم.

زودت بريطانيا عبد العزيز بالذهب اللازم وبالمستشارين وبخبير عسـكري يسـاعده في إعداد قواته. وقام بحلته الأولى سنة 1901م تحت دعوى اسـتعادة ملـك آبائـه، ولكنـه مُنيَ بفشل ذريع. وعاد للكويت.

وبعد تدارس الأمر قرر عبد العزيز أن يعاود الكرة ولكن تحت دعـوى إحيـاء دعـوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأن يتستر تحت هذه الدعوة الدينيـة المحبوبـة مـن أهـل نجد. وفعلا لاقت دعواه التأييد من الناس و تمكن عبد العزيز سنة (1319هـ/1902م) من العودة إلى نجد والاستيلاء على الرياض وإعلان نفسه أميرا. وبـدأ بإزالـة كـل أثـر لسـلطان بني رشيد في حائل.

ثم بدأ عبد العزيز بجمع أنصار الدعوة الوهابية وكون منهم ما عرف باسم (إخـوان من طاع اللـه)، وكانت أشبه بميليشيا مسـلحة مـن المجاهـدين العقائـديين الـذين عرفـوا بالبأس وشدة الأيمان. وتوسعت قوات عبد العزيز فتحرك بهمـة ونشـاط وأثبـت كفاءتـه ودهاءه.

ثـم فـتح القصـيم سـنة (1321هــ/1903م) بعـد انتصـارين حاسـمين في(البكريـة و الشنانة) وتم الانتصار النهائي على ابن رشيد في موقعة (روضة مهنـا) بـالقرب مـن مدينـة بريدة في سنة (1334هـ/1913م) وبذلك انتهى حكم الأتراك للأحساء والذي دام 42سنة.

وبعد الحرب العالمية الأولى...لقب عبد العزيز بسلطان نجد وملحقاتها.

وكان لبريطانيا في تلك الأوقات عميل آخر يعمل في منطقة الحجاز مع الأشراف هو العميـل الشهير (لورنس العرب)، وكان قد خدع الشريف حسين– كما مر معنـا – بـأنهم سيسـاعدوه عـلى قيام خلافة عربية في الجزيرة العربية والشام والعراق إن هو حارب الخلافة العثمانية إلى جـانبهم، وهو ما فعله تحت اسم الثورة العربية الكبرى. ثم خدعته بريطانيا وقسمت مملكة أحلامـه بينهـا

وبين فرنسا. وأصبح على البريطانيين أن يختاروا لجزيرة العرب أحد العميلين (عبد العزيز) و (الشريف حسين)، وبعد مداولات ومشاورات، وقع خيار وزارة المستعمرات البريطانية على أتعس التعيسين، فاختاروا عبد العزيز، ونفوا المخدوع الآخر ليقضي بقية حياته ويموت منفيا في قبرص !

وبعد ذلك أرسل حملتين إلى الحجاز واستولى عليها وصار لقبه (ملك الحجاز وسلطان النجد وملحقاتها. وكان عزم الإنكليز معقودا على تمليك السلطان عبد العزيز جميع أجزاء الجزيرة العربية فاستطاع أن يدخل عسيرا ونجران في حدود مملكته. وفي عام (1350هـ/1932م) أصدر الملك عبد العزيز مرسوما وحد به أجزاء المملكة الحجازية والسلطنة النجدية والإمارات الأخرى وأسماها (المملكة العربية السعودية) !

كان إخوان من طاع الله قد صدقوا دعاوى ابن سعود الدينية، وهموا بالاستمرار بنشر دعوة التوحيد في الجوار نحو العراق والكويت واليمن والشام..، ولكن البرنامج البريطاني كان غير ذلك، ولم يرد الإنكليز من دعوة التوحيد إلا ستارا لبرنامجهم في تمليك آل عبد العزيز أل سعود المنطقة التي رسموا حدودها. فبدأت النفرة بين عبد العزيز و(إخوان من طاع الله) الذين كانوا وقود قيام ملكه ! كما أنكر الإخوان على عبد العزيز عدو أشياء منها تسميه بالسلطان صاحب الجلالة، ومنها كثرة مستشاريه الإنكليز والتزامه مشورتهم، ومنها ما لاحظوه من بدء تسلل النكهة العصرية لنظامه، وآل الأمر للحرب بين عبد العزيز والإخوان، فساعده الإنكليز بضرب تجمعاتهم بالطائرات، وزحف بمن والاه من القبائل والأعوان فقضى عليهم في الموقعة الشهيرة باسم (موقعة السْبِيْلَهْ) فذبح دعاة التوحيد وقتل أكثرهم، وتفرق من بقي حيا في القرى والقفار..، وبعد السبيلة طار المستشارون الإنكليز فرحا ورموا (كوفياتهم العربية في الهواء استعلنوا بملابسهم وهويتهم.

بعد ذلك أبرم عبد العزيز مع الإنكليز معاهدة تلتزم بموجبها حكومة جلالة الملكة اليزبيت بحصر ملك السعودية في عبد العزيز وذريته من بعده، على أن لا يبرم أمرا ولا قرارا سياسيا إلا بمشورتهم، ووقع المندوب البريطاني والملك عبد

العزيز بذلك وثيقة نشرت من قريب فيما نشلا من وثائق وزارة الخارجية البريطانية، وتناولتها الكتب ووسائل الإعلام !، كما اشتهرت وثيقة أخرى اعترف فيها عبد العزيز بحق اليهود في فلسطين، حيث ساعدهم ولده ووزير خارجيته (فيصل) على إجهاض الثورة الكبرى ضد المهاجرين اليهود سنة (1936) كما مر ذكر ذلك في الفصل الأول. ثم ظهر النفط وتناهبته الشركات البريطانية، ثم الأمريكية.

وبعد الحرب العالمية الثانية، وبروز أمريكا كقوة عظمى، وتراجع حجم ودور بريطانيا نسبيا. ورثت أمريكا السيطرة على معظم المستعمرات البريطانية بعد أن غابت عنها الشمس وحتى القمر وصارت ذيلا لأمريكا !

وبدهائه أدرك عبد العزيز التحولات الدولية، واجتمع بالرئيس (اليهودي) روزفلت على ظهر بارجة حربية أمريكية، وتعهدت له أمريكا ولورثته بما تعهدت به بريطانيا، كما تعهد لهم وذريته بما كان قد تعهد للإنكليز من قبل من الولاء والطاعة والعمالة، وهو ما حصل وما يزال يحصل مما شهدنا في هذه الأيام النحسات الأخيرة !. وفي عام (1373هـ/1953م) توفي الملك عبد العزيز.

ثم خلف الملك سعود أباه سنة (1953) وبايعته الأسرة والعلماء، ولكن سعود اقتنع بالأفكار القومية التي ازدهرت في بلاد العرب آنذاك، كما استعلن بأفكاره العصرية وسلوكياته الفاسقة المجاهرة، فاجتمعت الأسباب على خلعه، و ما قامت به الأسرة والعلماء. فخلع سنة (1964م). وخرج أبناؤه ليقيموا في الغرب، ولتصبح بناته وأحفاده مادة لمجلات أخبار الجنس والخلاعة والبذخ الفاجر مما نهبوه من حصتهم من أموال المسلمين. حتى نشرت بعض المجلات صورة لبعض أولاد بناته من السفاح و الزنا.

ثم تولى الحكم الملك (فيصل بن عبد العزيز) الذي استمر حكمه إلى عام (1975م).

ويعد الملك فيصل مؤسس السعودية الحديثة، ومؤسس العلمانية فيها، فقد شـهدت المملكة في عصره طفرة النفط، وتدفقت الأموال الطائلة عـلى خزينتـه. ولكونـه قـد عمـل وزير خارجية لأبيه أكثر عمره، فقد كان محنكا متمرسا بالسياسات الدوليـة، وقـد شـهدت البلاد في عهده ثراء وعمرانا، وتطويرا في التعليم، وأنشأ الإذاعة والتلفزيون السعودي عـلى الأسس العصرية وما فيها من الفسوق والعصيان والموسيقى وتكشف النساء والفتن..، ولما ثار على ذلك بعض الأمراء من أولاد إخوته ممن فيهم بعض النخوة والصلاح قمعهم وقتل زعيمهم. ولكي يكـبح جـماح العلـماء الوهـابيين ورئيسـهم العـالم الصـالح- كـما نحسـبه - (محمـد بـن ابـراهيم آل الشـيخ)، تفتقـت عبقريـة فيصـل عـن تقنـين المؤسسـة الدينيـة فنشأت في عهده فروع المؤسسة الدينية الرسمية، وعلى رأسها هيئة كبـار العلـماء، ولجـان الفتوى والـدعوة والإرشـاد، وهيئـة القضـاء الأعـلى، وهيئـة الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكر...إلى آخر تلك الهيئات. ومن أجل الـدور العـالمي الـذي سـتلعبه السـعودية لمكانـة الحرمين فيها ولقدراتها المالية، ولكي ينافس عبد الناصر الذي سعى لتـزعم العـرب، وأنشـأ لذلك المؤسسات والإذاعات...تفتقـت عبقريـة السـعوديين بمشـورة أسـيادهم عـن إنشـاء مؤسسات دينية عالمية لزرع مشروع الهيمنـة الروحيـة عـلى العـالم الإسـلامي، فأنشـئت: (رابطة العالم الإسلامي) و (الندوة العالمية للشباب الإسلامي) و (الهلال الأحمر السعودي) و (هيئة الإغاثة العالمية)...

وبنيت المؤسسات الدينية في الداخل على طريقة هيكل الـ (فاتيكـان) وجعـل عـلى رأسها ما يشبه الـ (بابا)، فاستحدث منصـب مفتـي الـديار، ورئـيس هيئـة كبـار العلـماء.. وصرفت المليارات في هذه المؤسسات داخليا وخارجيا لفـرض حضـورها الإعلامـي وإثبـات هيبتها في الداخل والخارج ونجحوا في ذلك لأسباب كثـيرة، منهـا أن أكـثر العـاملين في تلـك المؤسسات كـان مـن الصـادقين المخلصـين الصـالحين، الـذين رأوا الآثـار القريبـة المنظـورة لأعمال البر والخير، ولم يدركوا أهداف ون أوجدها وأهداف أسيادهم.

وفي أخر عهده شهد فيصل - كما يقول بعض الناس - تحـولا نحـو النخـوة والصـلاح، وصار يأمل في استرداد القدس، وحاولت المملكة في عهده لعب دور أسـاسي في السياسـات العربية والإقليمية والدولية.. دخل الملك فيصل في حرب مـع التيـار القـومي واليسـاري في العالم العربي، ومثلت السعودية طليعة ما سمي بـ (الرجعية العربيـة)، أو التيـار(اليمينـي العربي) الموالي لأمريكا والغـرب، في مواجهـة قـوى اليسـار الاشـتراكي والقـومي والشـيوعي العربي، الذي تزعمه عبد الناصر، و البعثيون في سوريا والعراق وأمثالهم.،. ودخـل فيصـل مع مصر عبد الناصر في حرب بالوكالة على أرض اليمن حيث دعمت السـعودية الإمـاميين ودعم عبد الناصر الجمهوريين.

وفي حرب 1973بين العرب وإسرائيل، قرر العرب استعمال سلاح النفط ضد إسرائيـل وأعوانها في الغرب، فنفذ الملك فيصـل قـرار حظـر الـنفط عـن الغـرب، فارتبـك الاقتصـاد العالمي، وظهر أثر هذا السلاح الاقتصادي الخطير، وقررت أمريكا قتـل الملـك فيصـل. كـما وضعت سياسات بعيدة المدى لإحتلال الخليج والسيطرة على منابع النفط عسـكريا وهـو ما ينفذ منذ 1990. وفعلا استطاعت أمريكا تجنيد أحد أولاد أخوة فيصل، وكان من أحد الأمراء المتسكعين في مواخير أربا وأمريكا من الزناة الخماريـن، ومـا أكـثرهم في آل سـعود وأشباههم. في الأسر الحاكمة في عالمنـا الإسـلامي المنكـوب.. فتسـلل لـقصر عمـه واغتالـه، وهكذا قُتل فيصل وانتهى عهده. والـلـه أعلم بحاله وعلى أي حال ونية لاقى ربه.

ثم تولى الحكم بعد وفاة الملك فيصل أخوه خالد بن عبد العزيز. وبويع لأخيه فهـد بولاية العهد من بعده. واستمرت المملكة في عهده عـلى الـنهج التبعـي لأمريكـا والغـرب، وبلغت النهضة العمرانية والتحديث في عهده ذروتها في مختلف المجالات.

وخلال حكم خالد كان الحاكم الفعلي هو فهـد ولي العهـد، ثـم تـوفي خالـد فجـأة، وقيل أنه مات مسموما، ليحل الأعور الدجال مكانه ويتولى كبر الكفر والعمالـة عـلى أرض الحرمين.

وبعد وفاة الملك خالد، تولى الحكم الملك فهد بـن عبـد العزيـز الـذي كـان مشـهورا بمجونه وفسقه ولياليه الحمـراء في منتجعـات أوربـا وأمريكـا الراقيـة المعـدة لأمثالـه مـن أغنياء الداعرين. كما اشتهر كواحد من أكبر المقامرين في صالات القمار في أوربا وأمريكـا، حتى كتبت عنه إحدى الصحف البريطانية تحت عنوان: (الأمـير الـذي خسر سـتة ملايـين باوند وخرج يضحك !!) وذلك عندما خسر في إحدى صالات لندن ما يعادل عشرة ملايـين دولار ! وصورته الصحافة مبتسما، لم تهزه تلك النازلة، لا بارك اللـه فيه.

تولى فهد والصحوة الإسـلامية في المملكـة تعـيش عصرهـا الـذهبي، بعـد أن صـارت المملكة ملجأ للإسلاميين الفارين من الحكومات العسكرية المجرمة في مختلف بـلاد العـالم العربي والإسلامي، ولاسيما من مصر ثم سوريا حيث خاض الإخـوان المسـلمون ومـا انشـق عـنهم مـن التنظـيمات الجهاديـة مواجهـات مسـلحة. وأدى لجـوء كبـار الإسـلاميين إلى السعودية إلى تمازج صحوتها السـلفية الوهابيـة بالأفكـار الحركيـة السياسـية و الجهاديـة الإسـلامية الوافـدة مـن مصر والشـام وغيرهـا، وكانـت سياسـة السـعودية اسـتيعاب تلـك الظاهرة باعتبار الهوية التي ترفعها ولظروفها الخاصة.

ثم تبنت المملكـة بإيعـاز مـن أمريكـا دعـم الجهـاد الأفغـاني، وفتحـت البـاب عـلى مصراعيه لمن أراد النفير بماله وبنفسه، وأدى هذا لارتيـاد عشرات الآلـف مـن السـعوديين لأفغانستان وتأثرهم بالأفكار الجهادية المعاصرة التي بنيت عـلى مسـائل الحاكميـة، وأدى كل هذا إلى تطور الصحوة الإسلامية في المملكة في تلك الفترة، في نفس الوقـت الـذي فـتح فيه فهد الباب على مصراعيه لتيار الحداثة والعلمنـة، وأدى هـذا إلى حالـة مـن الفـرز في المجتمع السعودي بين هذه التيارات، بالإضافة للتيار الديني الرسمي المتحالف مع الملكية الديكتاتورية المطلقة. وما يزال هذا الصراع على أشده إلى اليوم بين هذه التيارات الثلاثة.

وبعد غزو العراق للكويـت وتهديـده السـعودية، كـما برمجـت أمريكـا مـع صدام واسـتدرجته لـذلك، حضرت القـوات الأمريكيـة والمتحالفـة معهـا وضربـت بجرانها في السعودية وما حولها مـن إمـارات الـنفط، وأدى هـذا لحالـة غليـان في

السعودية بعد عودة الجهاديين من أفغانستان إلى قواعدهم سالمين. مما أدى لطرح فكـرة جهاد الحكومة السعودية والخروج عليها لعمالتها للأمريكان ولتفشى التشريعات الوضعية في قوانينها. ونتيجة تراكم مختلف مظاهر الفساد نشأت دعوات إصلاحية سياسية سـلمية عديدة بين إسلامية وعلمانية، وبـدأت الأوضـاع السياسـية في مملكـة فهـد تضـطرب منـذ مطلع التسعينات، ليصل الأمر إلى ذروته بخـروج الشـيخ أسـامة بـن لادن عـلى الحكومـة ودعوته لجهادها بعد أن أطلق شعار إخراج المشركين من جزيرة العرب.

وبعد أحداث سبتمبر 2001التي نفذها استشهاد يون سعوديون في معظمهم. وبعـد احتلال أمريكا للعراق، وتواجدها الكثيف في المنطقة، كشرت أمريكا عن أنيابهـا وكشـفت عن برامجها التي من ضمنها إحداث تغييرات في الأوضاع في السعودية، مما وضع مستقبل الأسرة السعودية منذ سنة 2003 على كف العفريت الأمريكي. وصدق رسـول اللــه صـلى اللـه عليه وسلم، فمن أعان ظالما على ظلمه سلطه اللـه عليه.

وفي مطلع سنة 2004 تفجرت أحـداث ثـورة جهاديـة مسـلحة تسـتهدف الأمريكـان والتواجد الغربي في السعودية، كما تستهدف الأسرة الحاكمـة وأجهزتهـا الأمنيـة عـلى حـد سواء، لتصـبح السـعودية ميـدانا جديـدا للمواجهـة المكشـوفة بـين المسـلمين وطليعـتهم الجهادية وصحوتهم الإسلامية وبين أمريكا وحلفائها وطليعتهم من قوى الردة والنفاق من حكام العالم العربي والإسلامي، حيث تأتي الأسرة الحاكمة في السعودية ومؤسسـتها الدينيـة الرسمية في طليعة هذه الجبهة من المرتدين والمنافقين.

ويحتاج التأريخ للدولة السعودية المعاصرة وعلماءهـا المنـافقون، في عهـد عبـد العزيـز وذريته إلى مجلدات كبيرة متخصصة تسجل تاريخهم الأسود وما ألحقوه مـن المصـائب بأمـة محمد صلى اللـه عليه وسلم، محليا، وعلى الصعيد العربي والإسلامي والدولي. فقد قام ملوك هذه الأسرة الذين بلغوا خلال القـرن العشريـن (1901- 2004) زهـاء (7000) أمـير، وكونـوا قبيلة (يأجوج و مأجوج) مصغرة محلية في جزيرة العرب وبلاد الحرمين. فأذلوا العباد وأظهروا

في الأرض الفساد، وإذا كان يأجوج ومأجوج سيشربون الفرات وبحيرة طبريا كما في الآثـار، فقد شرب يأجوج ومأجوج آل سعود، بحـيرة نفـط الجزيـرة، وضـخوها في شرايـين اليهـود والنصارى، وقاموا بكل أشكال حرب اللـه ورسوله والمؤمنين.

(7) الكويت:

كانت منطقة الكويت تعرف باسم " القـرين"، أمـا " الكويـت" فهـو تصـغير لكلمـة "كوت" وهي منطقة مجاورة لها . وهي ميناء صغير بناه (محمد بن عريعر) زعـيم قبيلـة بني خالد التي كانت تسيطر على المنطقة.

بدأ تاريخ الكويت الحديث بهجرة " آل الصباح" مـن نجـد. حيـث اتفقـوا مـع بنـي خالد على إدارة شئون البلاد إدارة مشتركة. لكن آل الصباح استقلوا بحكـم الكويـت سـنة (1170هـ/1756م)، وترأسهم الأمير (صباح الجابر) الذي لقب بصباح الأول.

وحصل خلفه (الشيخ عبد اللـه المبارك)عام (1292هـ 1876م) على لقب قائم مقام في المنطقة من الأتراك العثمانيين، ثم تـولى بعـد ذلـك الشـيخ (مبـارك بـن صـباح الثـاني) الحكم خلال (1313هـ -1896/1334م-1917م).

وقـد رأى الشـيخ مبـارك كي يحفـظ الملـك في أسرتـه بـدعم مـن بريطانيـا، أن يوقـع معاهـدة حمايـة مـع بريطانيـا عـام (1316هــ/1899م). وأصـبحت بريطانيـا بعـد هـذه المعاهدة مسؤولة عن علاقات الكويت الخارجية.!

وفي سـنة (1915م) تـوفي الشـيخ (مبـارك الصـباح) الـذي يلقبـه المـبشرون و المـنصرون الأوربيون في كتبهم بلقب (مبارك العظـيم)، ويثنـون عـلى خدماتـه في تسـهيل دخـول النشـاط التنصيري إلى جزيرة العرب ومنطقة الخليج العربي !. كما يثني عليه الإنكليز كواحد مـن أخلـص أعوانهم ومستشاريهم، وقد أسلفنا أنه كان وراء اقتراح آل سعود و جبارهم عبـد العزيـز لمهمـة السيطرة على بلاد الحـرمين ونجـد وتوابعهـا ضـمن البرنـامج الإنكليـزي للسـيطرة عـلى جزيـرة الإسلام والمسـلمين. وتكفيـه هـذه مفخـرة موبقـة بالإضـافة لخدماتـه الجليلـة بوضـع الكويـت

تحـت الحمايـة البريطانيـة ليحـافظ عـلى حكمـه، وتسـليمهم قـرارات الـبلاد الخارجيـة وسياستها الداخلية، ودعمه للمنصرين.

وفي سـنة (1921م) تـولى (الشـيخ أحمـد الجـابر) الحكـم و شـهدت فـترة حكمـه التنقيب عـن البـترول وتصـدير أول شـحنة مـن الـنفط الكـويتي سـنة (1946م). وكـذلك نظمت في زمنه الإدارات الحكوميـة المختلفـة، وتـم اسـتقدام البعثـات التعليميـة. ودخـل النفوذ الأمريكي إلى جانب النفوذ البريطاني.

ثم خلف (الشيخ أحمد الجابر) ابن عمه (عبد اللـه السالم الصباح) عـام (1950م) وقد أحدث في الكويت انتفاضة اجتماعية وثقافيـة وسياسـية. وفي عهـده أعلـن اسـتقلال الكويـــت في (يونيـــو 1961م) لتنضـــم للجامعـــة العربيـــة والأمـــم المتحـــدة ســـنة (1382هـ/1963م).

ثم خلفه الأمير الحالي (جابر الصباح)، وفي عهده صارت الكويت أفسد دول الخلـيج العربي في مجالات الدين والأخلاق والسياسات العلمانية، حتى صار الدين والشريعة مـادة للهزء والسخرية في صحفها الرسمية. حتى أعلن فيها عن تولى كويت متنصر مرتد رتبـة في الكنيسة، وحتى حكمت محكمة على كاتبة كويتية تنقصت مـن الـذات الإلهيـة، بغرامـة 100 دينار كويتي والسجن شهرا مع وقف التنفيذ !! – تعالى اللـه عن جحود الجاحدين.

وأما تحول الكويت لقاعدة أمريكية حقيقية، وممرا ومرتكزا لعبور القوات الأمريكية لإحتلال المنطقة. فأشهر مـن أن نضـيع الصـفحات في شرحـه هنـا. فقـد منحـت الكويـت القوات الأمريكية والبريطانيـة 60% مـن أراضـيها كقاعـدة عسـكرية للمنـاورات للهجـوم لاحـتلال العـراق سـنة 2003. والتفاصـيل مشـهورة. وأمـا دعـم حكومتهـا كـما حكومـة السعودية وكافة دول الخليج بالأموال الطائلة لحرب الإسلام والمسلمين، فمشهور، ويكفـي أن نورد مثالا على ذلك مما يحضرني من الـذاكرة مـا اشـتهر مـن دعـم الكويـت لحكومـة موسكو الشيوعية بـ (4 مليار دولار) فيما كـان المجاهـدون الأفغـان يـدقون أبـواب كابـل قبيل سقوطها سنة 1992 وكان الإفلاس يهدد الجيش الأحمر بالإنحلال..

(8) قطر:

تقع شبه جزيرة قطر داخل الخليج العربي، وعاصمتها "الدوحة" وهي منطقة غنية بالبترول والغاز. وكانت قطر جزءا من ساحل الخليج العربي الذي كان يسمى البحرين. وفي عام (1360هـ/1842م) عين الشيخ محمد خليفة (أحد رؤساء القبائل) واليا على قطر فحاول أن يستقل عن آل خليفة، واشتبك معهم في قتال هزم فيه، وعاد آل خليفة لحكم قطر.

تنازع السعوديون مع آل خليفة على حكم قطر، واشتبكوا معهم في قتال عنيف انتهى لصالح السعوديين الذي أصبحوا يحكمون قطر. و كان أول المبايعين محمد بن ثاني الذي تولى زعامة قبيلته ؛ ومنذ ذلك الحين ظهر آل ثاني في قطر. و حاول الشيخ محمد بعد ذلك الانفصال عن حكم آل خليفة والانفراد بالحكم فجرت معارك بين الطرفين.انتهت عام (1299هـ/1882م).

على أن محاولة الشيخ محمد أثمرت في عهد ابنه قاسم الذي اعتبر مؤسس إمارة آل ثاني المستقلة تحت سيادة الخلافة العثمانية في قطر ؛ إذ إنه وحد قطر واستقل عن البحرين.

ثم تولى بعده ابنه الشيخ عبد الله من (1331هـ/1913م) إلى (1368هـ/1949م).

و في عهد الشيخ عبد الله فقدت قطر سيادتها واستقلالها وأصبحت تحت الحماية البريطانية. كجاراتها. وعقدت معاهدة حماية سنة (1334هـ 1916م) وفي فترة حكمه تم اكتشاف البترول في قطر. ثم توفي الشيخ عبد الله، وخلفه ابنه الشيخ علي من (1368هـ/1949م) إلى 1379هـ/1960م) و انسحبت بعد ذلك بريطانيا من الخليج لتعلن قطر استقلالها عام (1390هـ/1971م). حيث دخلت كليا في النفوذ الأمريكي كما حصل لجيرانها.

وفي سنة (1391هـ/1972م) قام الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني بالاستيلاء على السلطة في البلاد،. وأعطتها بريطانيا الاستقلال عن الحماية البريطانية.

وتحسنت أحولها الإقتصادية والاجتماعية مستفيدة من ثروة النفط الذي بدأ إنتاجه وتصديره منذ عام (1949م).

ثم ظهر الغاز في قطر وصارت من أولى الدول المصدرة له في العالم. ثم عزل أمير قطر الحالي أباه أواخر التسعينيات وتولى السلطة، وبدأت قطر في عهده تحاول لعب دور إقليمي في المنطقة، وتناوئ السياسات السعودية. وتشهد تحولات سياسية تطويرية جريئة مقارنة بنظم الحكم الشمولية في الخليج العربي. وكان من أنجح سياساتها تلك، إنشاء قناة الجزيرة الفضائية الجريئة المشهورة ذائعة الصيت.

وفي حرب احتلال العراق سنة 2003، نقلت أمريكا كما هو معروف قيادة جيوشها قواتها التي تتحرك فيما تسميه منطقة العمليات الوسطى إلى الدوحة في قطر، وهي القيادة المسؤولة عن زهاء مليون جندي في المنطقة الممتدة من وسط آسيا إلى المغرب الأقصى. وقد أدارت أمريكا من قاعدة (السيلية) قرب الدوحة عمليات القصف الجوي والصاروخي والحرب الإلكترونية، ثم الإحتلال البري للعراق والذي زحف من خلال أراضي الكويت. كما كان فيها المركز الإعلامي للقوات الأمريكية أثناء الحرب. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

(9) البحرين:

هي مجموعة جزر تقع في الخليج العربي بين شبه جزيرة قطر وساحل الأحساء، وتحتوي على إحدى عشرة جزيرة أكبرها جزيرة البحرين، وكانت من قبل تعرف باسم جزيرة "أوال" حكمها آل خليفة من قبيلة العتوب، وقد وطدوا علاقتهم بآل سعود ضد العثمانيين.

ثم توطد مركز بريطانيا في البحرين بعد الحرب العالمية الثانية، ففي سنة (1365هـ / 1946م) أصبحت البحرين قاعدة للاستعمار البريطاني في الخليج.

ثم أعلنت بريطانيا سنة (1390هـ/1971م) استقلال البحرين و صدر قرار بتسميتها " دولة البحرين " في عهد عيسى بن سلمان أمير البحرين، ثم توفي

أمير البحرين وخلفه ولده حمد بن عيسى، وفي سنة 2002 قرر هذا (الحمد) تحويل البحرين إلى مملكة ! وسن دستورا وأعطى بعض الحريات، ولقب نفسه بصاحب العظمة ملك مملكة البحرين ! (العظَمة بفتح الظاء دفعا للحرج ! مع استحقاقه للسكون على ظائه بجدارة) علما أن مملكة عظمته لا تزيد مساحتها عن 600 كم مربع. أي ما يزيد قليلا عن مساحة ملعب كولف متوسط، ولله في خلقه شؤون.

وقد حول الأمريكان البحرين إلى ماخور لاستجمام واستراحة عساكرهم المحاربين في المنطقة حيث، نقلوا إلى هناك فرق من العاهرات من دول أوربا الشرقية ومختلف الدول الحليفة ومنها بعض العربية ! إبان حرب تحرير الكويت، وحرب تحرير العراق، وما ننتظره من تحريرات تالية. واللـه أعلم. ببركات أصحاب العَظْمة و الجلْلالة والسيادة و المعالي.. وعلمائهم المنفوخين من أصحاب السماحة.. قبحهم اللـه.

(10) الإمارات العربية المتحدة:

تقع هذه الدولة على طرف الجزيرة العربية الشرقي محاذية للخليج العربي وخليج عمان لتشمل سبع إمارات هي:- أبو ظبي، ودبي، والشارقة، وأم القوين، وعجمان، ورأس الخيمة، والفجيرة. وقد سادت قبيلة القواسم هذه المناطق، وقامت بنشاط بحري ضخم ؛ إذا سيطرت على الملاحة في الخليج في عهد زعيمها رحمة بن مطر القاسمي عام (1159هـ/1747م). وقد نجحت في هزيمة البرتغاليين، وامتد نفوذها، في المنطقة.

ثم تمكنت بريطانيا بعد حملات من القضاء على القواسم. وعقدت معاهدة مع شيوخ الإمارات. وبموجب ذلك صار المقيم السياسي البريطاني يدير شئون (الإمارات المتصالحة) كما أسموها، من مركزه في إيران منذ عام (1823م) و حتى عام (1934م). ثم انتقل المقيم السياسي للبحرين عام (1948م) وعين أول ضابط سياسي بريطاني مقيما سياسيا في الشارقة.

ثم أنشئت هناك عام (1953م) دار الاعتماد البريطاني، وانتقلت لدبي عـام (1954م). وفي عام (1968م) أعلنت الحكومة البريطانية انسحابها مـن منطقـة الخلـيج في مواعـد لا يتجـاوز (1971م). وبـدأت مسـاعي توحيـد الإمـارات في دولـة واحـدة. و في نفـس العـام (1968م) اتفق الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم أبو ظبي مع الشيخ راشد بن سعيد المكتوم حاكم دبي، وبحث معه اتحاد الإمارتين. تم دعوة الإمارات السبع الأخرى والبحرين وقطر للاجتماع في دبي. وانبثقت من هذا الاجتماع الاتفاقية المعروفـة باتفاقيـة دبي. و تـم اختيار الشيخ زايد رئيسا للمجلس الأعلى للاتحاد.

لكن الخلاف دب بين الأمراء حول وضع الدستور. وفي سنة (1971م) تم التوصـل إلى صيغة اتحاد سباعي يضم إمارات الساحل العماني، وأعلن مولد " دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة " سـنة (1971م) التـي ضـمت سـت إمـارات هـي: أبـو ظبـي، ودبي، والشـارقة، وعجمان، وأم القوين، والفجيرة، ثم انضـمت بعـد ذلـك إمـارة رأس الخيمـة (1972م) إلى الدولة الجديدة التي كونتها بريطانيا واعترفت بها، كما وافقت الجمعية العموميـة للأمـم المتحدة على قبولها عضوا فيها. فيما نأت البحرين وقطر بنفسها عن الاتحاد الوليد.

يبلغ عدد سكان الإمارات رغم كبر مساحتها النسبية زهاء 250 ألف مواطن فقط، ويقـيم فيها منذ عشرات السنين زهاء مليون هندي معظمهم من الهندوس، بالإضافة لمليـون آخـر مـن الأجانب فيهم جالية فلبينية نصرانية كبيرة، وعدد كبير من الأوربيين ولاسيما البريطانيين. وتعتـبر الإمارات مركزا لنشاط المنظمات التنصيرية في المنطقة بأسرها. كما أصبحت بعـد دخـول النفـوذ الأمريكي قاعدة جوية وبحرية رئيسية للقوات الأمريكية والبريطانية المحالفـة لهـا. وصـارت دبي إحدى أكبر العواصم التجارية العالمية، ووكرا للفساد والمجون والدعارة على المستوى العالمي، كما صارت مقرا رئيسيا لإدارة مكافحة الإرهاب، وفيهـا مكاتـب أمنيـة أمريكيـة رئيسـية يـديرها الأمريكان والبريطـانيون بالتعـاون مـع بعـض الإسـتخبارات العربيـة ولاسـيما المصريـة ذات الخـبرات الواسـعة في حـرب الإسـلاميين. كـما أن القيـادة العليـا لجـيش الإمـارات الصـغير

هم من البريطانيين، والرتب المتوسطة مـن المرتزقـة الباكسـتانيين، والـدنيا مـن متطـوعين شتى! ويرأسهم بعض الجنرالات الفخريين من أبناء الأسرة الأميرية !

(11) عُمان:

تقع عمان في الزاوية الجنوبية الشرقية من شبه جزيرة العرب. وتعد معقلا للخوارج الإباضية الذي أسسوا بها دولة منذ أواخر العصر الأموي.

وقد تعرضت عمان للخطر البرتغالي، فتصدى العثمانيـون لمـواجهتهم، كـما تعرضـت لتنافس تركي فارسي نظرا لأهمية موقعها الإستراتيجي. لكن ضعف العثمانيـين والبرتغـاليين فتح الباب للنفوذ البريطاني والفرنسي. وفي عهد السلطان سعيد بن تيمور، تمكن من إقـرار وحدة عمان بضم واحدة " البوريمي" بمساعدة بريطانيـا سـنة (1954م) ثـم تـولى الحكـم السلطان قابوس بن سعيد عام (1970م) بعد أن قتـل أبـاه واسـتولى عـلى السـلطة. وقـد شهدت البلاد في عهده نهضة سياسية واقتصادية. وفي عهده دخلت سلطنة عمان الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة بعد استقلالها. وتعتبر عـمان أحـد أهـم القواعـد العسـكرية البريطانية والأمريكية في المنطقة.

(12) اليمن:

لم يخضع اليمن خضوعا كليا لحكم الدولة العثمانيـة، وفشـلت كـل الحمـلات التـي نفذت من أجل تحويله إلى إدارة عثمانية، نظرا لحصانة الطبيعة والتفاف أهله على الأئمـة الزيدية في صنعاء.

وقد قامت الأسر الزيدية بالحكم في اليمن مـن سـنة (1506م) في العاصـمة صـنعاء. وخلال تلك الفترة حدث صراع طويل بين الأتراك والأسرة الزيدية، وفي القـرن التاسـع عشر الميلادي اقتصر نفوذ العثمانيين على تهامة وجنوبي اليمن وصنعاء وما حولها.

واستمر الحال إلى أن حصلت هدنـة بـين العثمانيـين واليمنيـين، وعرفـت باتفاقية (الدعان) وأثناء ذلك كان الإنجليز يحـاولون تثبيـت قـدمهم في عـدن وتوسيع رقعة نفـوذهم ؛ وبعـد الحـرب العالميـة الأولى وخسـارة تركيـا تعهـد

العثمانيون بالجلاء عن بلاد العرب - ومنها اليمن - فاستولى الإمـام يحيـى حميـد الـدين على الملك واستقل بالبلاد سنة (1923م) واعترف العثمانيون باستقلال اليمن. وظل الصراع في اليمن ضد بريطانيا إلى أن أبرمت معاهدة سنة (1934م) التي اعترفت فيها بريطانيا باستقلال اليمن.

ولكنها أبقت مشكلة الحدود في الجنوب. وهكذا بقى النزاع قائما، وبقيت بريطانيا موجودة في الجنوب العربي في عدن. وكررت بريطانيا هجومها على اليمن سنة (1956م). وفي (1957م) ثار عبد اللـه بن الزير على الإمام يحيي وتمكن من اغتياله واستولى على الحكم في صنعاء. ولكن الإمام أحمد بن يحي نجح في هزيمته واسترداد الحكم.

وفي مارس سنة (1955م) قام انقلاب ضد الإمام أحمد، لكنه فشل.

وفي سبتمبر سنة (1962م) تفجرت الثورة التـي قادهـا عبـد اللـه السـلال بـاليمن بمساعدة من مصر، ونجحت في إعلان نظام الجمهورية في اليمن الشمالي.

وكانت بريطانيا قد انسحبت من عدن وسلمت الحكم فيها للشيوعيين، فاستقلوا في اليمن الجنوبي، وحاربوا الإسلام والمسلمين.و استعلنوا بالإلحاد وهدموا المساجد و قتلوا العلماء. ثم سلطهم اللـه على بعضهم فأفنوا بعضهم في حرب ضروس خلال مدة قصيرة.

وكان قد تولى الحكم في اليمن الشمالي (الجاويش) علي عبد اللـه صالح، وما زال في السلطة إلى الآن، وقد تمكن بدهائه من الإمساك بزمام الأمور. ثم استغل ضعف الجنوبيين، وسن حرب الوحدة بالتعاون مع الإسلاميين وقبائل الشمال. وتوحدت اليمن بعامته سنة 1993.

ثم بدأ عبد اللـه صالح سياسة التقرب من أمريكا، و تحجيم الإسلاميين وقمع كل أشكال مناوئيه. وبعد أحداث سبتمبر تحالف صالح علانية مع أمريكا في حملاتها لمكافحة الإرهاب. وشن حملات تصفية على الجهاديين، وخاض الجيش اليمني عددا من المعارك الطاحنة لإخراجهم من حصونهم القبلية - نيابة

عن أمريكا - حيث ألحق بالجهاديين خسائر كبيرة، وما تزال الأحداث متكررة جارية في اليمن إلى الآن.

لتذكرنا بكل مرارة بما قاله شاعرها البردوني وكأنه يصف البلاد ورئيسها ومن امتطى من كبار شيوخها وعلمائها عندما قال يعارض بائية أبي تمام:

ماذا أُحدثُ عن صنعاءَ يا وطني

مليحةٌ عاشقاها السلُّ و الجربُ

ماذا تَرى يا أبا تمامْ ؟.. هلْ كذبتْ

أحسابنا ؟ أمْ تناسى عرقةُ الذهبُ

تَـأبى الرُؤوسُ العَوالي نارَ نخوتها

إذا امتطاها إِلى أسيادهِ الذنبُ

وما زال الأمل بالله أن يبعث من اليمن ببركة دعاء حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم، من يشبهون جند المعتصم الذين وصفهم البردوني في نفس قصيدته فقال:

سُتونَ ألفاً كآسادِ الشَّرى انطلقتْ و للمنجمِ قالتْ: إننَّا الشهبُ ولا يحتاج الأمرُ ستون ألفا.. وأسأل الله أي يسلط على (الجاويش) من شباب الإسلام من يشفي بهم صدور قوم مؤمنين... وما ذلك على الله بعزيز..

(13) مصر:

تنافست إنجلترا وفرنسا لاحتلال مصر أواخر القرن الثامن عشر، نظرا لموقعها الإستراتيجي واهتمت بها بريطانيا خاصة، لوقوعها في طريق مستعمراتها في آسيا.

ولذلك أرسلت بريطانيا أسطولا تمكن من هزيمة الفرنسيين – بعد احتلالهم مصر بحملة نابليون سنة (1212هـ - 1798م) – في معركة أبي قير البحرية سنة (1212هـ - 1798)، وبعد جلاء الفرنسيين عن مصر سنة (1801م)،

أرسلت بريطانيا أسطولا لغزو مصر عن طريق رشيد سنة (1212هـ - 1807م)، لكن مقاومة أهلها أدت إلى فشل هذا الغزو.

كان (محمد علي) قد نجح بذكائه في التسلق على أكتاف الحركة الشعبية. واستطاع أن يقنع الناس به فاتخذ العثمانيون قرار بتعيينه واليا على مصر. ونجح في الاستقلال بمصر سنة (1219هـ -1805م) ثم أذعن السلطان سليم الثالث وأصدر فرمانا بتعيينه سنة (1806م)، وكون جيشا حديثا، وأنفذ البعثات إلى فرنسا لتي أيدته ودست العملاء في مستشاريه في شتى الميادين ولاسيما في مجال التعليم والغزو الفكري الإستشراقي، فتأسست العلمانية ومدارس الضلال العربية المعاصرة في عهده، وكانت بوابة البلاء على مصر والعالم العربي كله، كما سنرى في الفصل التالي.

وقد قام محمد علي بحملات عسكرية ناجحة في السودان وشبه الجزيرة العربية والشام وبلاد اليونان، لكن تحالف الدول الأوروبية خاف من طموحاته، فوضعوا له حدا، أدى إلى فقدانه أحلامه الإمبراطورية بعد هزيمته في معركة نوارين البحرية سنة (1827/1242م) مع البريطانيين، وإرغامه على الانسحاب من كل الأقاليم التي استولى عليها ما عدا مصر وفق مؤتمر لندن سنة (1255هـ /1840م).

ومع ذلك نجح محمد علي في تأسيس أسرة حاكمة في مصر إذ تولاها بعد وفاته عباس الأول، ثم سعيد باشا، ثم الخديوي إسماعيل، ثم الخديوي عباس... وصولا إلى الملك فاروق أخر حكام الأسرة، التي انتهت بقيام ثورة يوليو سنة (1271هـ /1952م) التي تزعمها الرئيس جمال عبد الناصر ورفاقه الذين عرفوا بالضباط الأحرار، وانتهى الأمر بالملك الفاروق منفيا في إيطاليا حيث عملت أسرته في الدعارة !.

وتجدر الإشارة إلى أنه في عهد الخديوي إسماعيل تعاظم النفوذ الفرنسي في مصر، و الذي كان من مظاهره حصول (فرديناند ديليسبس) على امتياز حفر قناة السويس لتوصيل البحر الأحمر بالبحر المتوسط، وكلف حفر القناة وافتتاحها مصر أرواحا كثير من المصريين وأموالا طائلة، فوقعت الدولة تحت

طائلة الديون، الأمر الذي أدى إلى تدخل إنجلترا وفرنسا و نجاحهما في الإشراف على الشؤون المالية في مصر عن طريق (صندوق الدين)، وتشكيل لجنة ثنائية فرنسية إنجليزية لضمان تحصيل الديون.

وكانت فرنسا وبريطانيا قد عقدتا اتفاقا وديا سنة (1801م) جلت بمقتضاه فرنسا عن مصر وتخلت عن أطماعها الاستعمارية في إخضاع مصر لسيطرتها.

وانتهزت بريطانيا فرصة قيام الثورة العرابية بقيادة أحمد عرابي ضد الخديوي توفيق لتحقيق هدفها في احتلال مصر.

فأرسلت بريطانيا حملة على مصر سنة (1299هـ - 1882م). ونجحت في الاستيلاء على الإسكندرية، ثم هزمت العرابيين عند التل الكبير، ثم احتلت القاهرة وقضت نهائيا على الثورة العرابية. ولكن حركة المقاومة السياسية ضد الإنجليز استمرت بعد ذلك بزعامة مصطفى كمال الذي حاول استغلال عداء فرنسا لبريطانيا وندد بالإنجليز في المحافل الدولية خصوصا بعد أن اقترفوا جريمة مذبحة دنشواي سنة (1323هـ - 1906م) كما أسس الحزب الوطني سنة (1324هـ /1907). وكان قد أصدر صحيفة اللواء سنة (1318هـ/1901م) التي فجرت الحركة الوطنية في مصر ضد الإنجليز.

وفي سنة (1337هـ/1919م) قامت ثورة كبرى ضد الإنجليز بزعامة سعد زغلول مطالبة بالاستقلال وإلغاء الحماية البريطانية على مصر التي فرضها الإنجليز سنة (1332هـ/1914م).

وبعد فشل الثورة لجأ المصريون إلى أسلوب المفاوضات لتحقيق الاستقلال، ثم عقد مصطفى النحاس معاهدة مع بريطانيا سنة (1354هـ/ 1936م) فحققت لمصر استقلالا غير تام.

وظلت إنجلترا تتعاون مع القصر والملك فاروق وأحزاب الأقلية التي شكلت حكومات ضعيفة نجم عن سياستها مزيدا من الفساد، ثم قامت حركة الضباط الأحرار بزعامة جمال عبد الناصر بثورة (23يوليو سنة 1952م).

وكانت قد نشأت في مصر أواخر العشرينات حركة إسلامية كان لها بـالغ الأثـر عـلى مسار الأحداث في مصر والعالم العربي عموما. وهي حركة الإخوان المسـلمين التـي أسسـها الشيخ حسن البنا، الذي وضع أسس حركته التي كانت تهدف إلى إعادة الخلافة الإسـلامية وتصحيح أوضاع المسلمين والدعوة إلى العود إلى تحكيم الشريعـة الإسـلامية والـدفاع عـن قضايا المسلمين، وما لبثت الحركة أن دخلت في صراع مع القصر، والنفـوذ البريطـاني. وقـد انتشرت الحركة مابين (1928) ونهاية الأربعينات انتشارا واسعا في مصر، وامتدت إلى بـلاد الشـام وغيرهـا، و توجـف الإنكليـز منهـا شرا، ولاسـيما بعـد مسـاهمات الإخـوان في مصر وسوريا في حرب اليهود سنة (1948). ثم تآمر الإنكليز والملك فاروق على الحركـة، فـأودع المجاهدون العائدون من فلسطين في السجون، واغتيل حسن البنا رحمه اللـه تعالى وغفر له. ثم كان للتنظيم الخاص (السري) الذي أنشأه دور في مقاومة الإنكليـز في منطقـة قنـاة السويس. ثم اتفق الإخوان مع الضباط الأحرار على إسقاط الملـك فـاروق، ونجـح انقـلاب الضباط الأحرار في سـنة 1958، وتـولى اللـواء نجيـب رئاسـة الدولـة، ثـم انتقلـت الرئاسـة لجمال عبد الناصر الذي تنكر للإخوان وانقلب علـيهم وأودع قيـاداتهم في السـجون سـنة 1954، وأعدم بعضهم مـن أبطـال مقاومـة الإنكليـز. ثـم أعلـن عبـد النـاصر تـأميم قنـاة السويس وحصلت الحرب التي دعيت بالعـدوان الـثلاثي عـلى مصر سـنة 1956.واشـتركت فيها بريطانيا وفرنسا وإسرائيل، ووفرت هذه الحرب لعبد الناصر الدعاية الكافية لدعوتـه الحماسية للقومية العربية، والوحدة العربيـة، والأفكـار الإشـتراكية، و الـدعوات التحرريـة التي نادى بها، وكانت كثير مـن بـلاد العـالم العـربي تشـهد حركـات تحرريـة تحمـل تلـك الأفكار، كما كان لعبد الناصر تحركا دوليا، مع بعض الزعماء العالميين، ولاسيما دعوة تجمع دول عـدم الانحيـاز إلى جانـب الـزعيم اليوغوسـلافي الشـيوعي (تيتـو)، والـزعيم الهنـدي (نهرو)، و الإنـدونيسي (سـوكارنو) حيـث عقـد في بـلاده مـؤتمر بانـدونغ (1954)، وكانـت تلـك الأفكـار ميالـة للإتحـاد السـوفييتي فـيما عـرف بسياسـة الحيـاد الإيجـابي في الصراع الأمريكي السوفيتي...وقصة عبد الناصر تطول وهي مرحلـة مهمـة في تـاريخ مصر والعـالم

العربي، وليس هنا محل استقصائها.. وسرت أفكار عبد النـاصر ودعاياتـه في العـالم العـربي الذي كانت تروج فيه دعـوة القوميـة العربيـة وتنشـأ الأحـزاب السياسـية المختلفـة عـلى أساسها. وفي سنة 1958 توصل القوميون العرب في سوريا وعبد الناصر إلى إعـلان الوحـدة التي طبلت لها الجماهير وزمرت، ثم انفصمت الوحدة خلال 3 سـنوات. وقـد حكـم عبـد الناصر مصر حكما استبداديا فرعونيا، وأنشأ لذلك أجهزة أمنيـة و اسـتخباراتية اسـتباحت دماء العباد وأعراضهم وحرماتهم. وقد نشرت عشرات الكتب والدراسات عن تلك الحقبـة السوداء بما يغني عن الشواهد هنا..

وقد بطش (الزعيم الملهم) كـما أسـموه بكـل معـارض لـه، وكـان للحركـة الإسـلامية وخاصة الإخوان المسلمون النصيب الأوفر من ذاك البطش الذي بلغ ذروتـه سـنة 1965، إذ أعلن عبد الناصر الحرب عليهم خلال زيارة له لموسكو، وافتخر بأنه أدخل السجن (17 ألف) رجل منهم في ليلة واحدة !، ثم أعدم كوكبة من أبناء مصر كان على رأسهم الأسـتاذ سيد قطب، رحمه الـلـه. ودخل عشرات الألـوف مـن الإخـوان سـجون عبـد النـاصر منـذ 1954 على مراحل، ولم يخرج أكثرهم إلا في عهد خلفه السادات أواسط السبعينيات !

وخلال حكم عبد الناصر، عم الفساد أجهـزة الدولـة وانـتشرت الخلاعـة والمجـون ولاسيما في قيادات الجيش وأجهـزة الإسـتخبارات، وتمكـن الموسـاد الإسرائـيلي مـن زرع العملاء في قيادات الجيش الذي غرق قادتـه وقـادة الأمـن في الـدعارة و الانحـلال. وفي صبيحة الخامس من حزيران (يونيو) سنة 1967، كانت مصر على موعد مع نتائج تلـك الحقبة التي عبد فيها أكثرهم الرجل الوثن، وخلال أقل مـن نصـف سـاعة وفـيما كـان كبار قادة وضباط الجـيش المصري يغطـون في نـومهم بعـد ليلـة حمـراء قضـوها زنـاة مخمورين، كان الطيران الإسرائيلي يدمر سـلاح الطـيران المصري وهـو في مطاراتـه عـلى الأرض. وهكذا تُركت القوات البرية المصرية تحت رحمة الطيران الإسرائـيلي الـذي نفـذ فيها مجازر مروعة. لتنجلي معركة الأيام الستة عن احتلال اليهود لصحراء سيناء وصولا إلى ضفة قناة السويس. فيما تكفـل البعثيـون و النصـيريون في الجبهـة السـورية ببيـع

مرتفعات الجولان لإسرائيل، وتولى حافظ الأسد – كما مر معنا إعلان سقوط الجبهات والانسحاب الكيفي منها قبل وصول اليهود إليها بأربع وعشرين ساعة. ثم مرر عبد الناصر وعباده مسرحية استقالته بعد الهزيمة، وخرج الغوغاء إلى الشوارع هاتفين بحياته وبقائه في السلطة. وبعد سنتين من الهزيمة توفي عبد الناصر سنة 1969. وبعد وفاته نشرت الكثير من الكتب عنه بين من ذهب به مذهب التقديس. إذ انتشر ما عرف بالأحزاب الناصرية في مصر والعالم العربي، وذهب البعض إلى الاعتقاد بما نشره بعض المتقاعدين من الإستخبارات الأمريكية وغيرها، حيث أثبتوا أنه كان عميلا للاستخبارات الأمريكية وأنه نفذ برنامجا معدا معهم منذ البداية وإلى النهاية، ومن أشهر تلك الكتب كتاب (لعبة الأمم) لمؤلفه (كوبلاند) الذي فصَّل في تلك الفرضية التي رفضها محبوه واعتبروها دعاية صهيونية ! ومهما يكن من أمر التكهنات، فالوقائع التي لا مجال للمماراة فيها أنه كان طاغوتا جبارا ملحدا في دين الله، ذاقت مصر وأبناؤها في عهده الويلات. وتركها بعده قاعا صفصفا من الفقر والفساد، وانتشار الفسوق والعصيان والأفكار الضالة المارقة.

ثم خلفه في السلطة (أنور السادات)، وسرعان ما اتجه اتجاها معاكسا، فنهج نهجا أمريكيا وأسمى سياسته (سياسة الانفتاح)، فنمت الرأسمالية في عهده وتقلصت العلاقات مع الإتحاد السوفييتي. ولمواجهة المد اليساري الذي نمى نموا سرطانيا في عهد سلفه الهالك، اتبع السادات سياسات كان منها إطلاق المجال للحركات الإسلامية، فأفرج عن الإخوان المسلمين وسمح للدعوة الإسلامية بالنمو في الجامعات، وسرعان ما ملأ الإسلاميون الجامعات والنقابات المهنية والعلمية، واكتسحوا الشارع المصري، فبدأ بكبح جماحهم.

وفي سنة 1980 فاجأ السادات العالم بطرحه فكرة الصلح مع إسرائيل وتطبيع العلاقات تحت ذريعة بناء مصر وتنميتها في جو السلم، وأتبع ذلك بزيارته الشهيرة لإسرائيل والقدس، وعاد ليجد المارد المسلم الذي أطلقه من (قمقم) عبد الناصر بانتظاره في القاهرة. ثم أتبع خطواته السريعة باتفاقيات كامب ديفيد الشهيرة، وعرضته وسائل الإعلام يصافح مناحيم بيغن جزار

مذابح (دير ياسين الشهيرة)، وبموجب تلك الاتفاقيات، ردت إسرائيل صحراء سيناء لمصر بحيث تبقى تحت سيطرتها عمليا، ورفرف العلم الإسرائيلي في سماء القاهرة على ضفاف النيل فوق أول سفارة لدولة إسرائيل في العالم العربي. فحمل عليه العلماء والخطباء الشرفاء، فألقاهم في السجون. وأعلن الحرب على الإسلاميين سنة (1981)، وزج قادتهم في السجون، وتحدى الخلق معلنا أنه ألقاهم في السجون كالكلاب !

وبعد ذلك قيض له من ألقاه تحت الكراسي صريعا، إذ قتله عناصر من تنظيمي الجماعة الإسلامية والجهاد في حادثة المنصة الشهير، وهو في يوم عزه واستعراض قواته، إذ أنه كان قد خرج على قومه في زينته في استعراض عسكري كبير، فخسف به.

ثم خلفه نائبه (حسني مبارك)، فأكمل المشوار الذي رسمته أمريكا وسار في سياسات التطبيع مع اليهود قدما.

وقد شهد عهد مبارك حربا ضروسا من النظام المصري على الإسلاميين، وتصدت له الجماعات الجهادية ودخلت في صراع مرير لم يضع أوزاره إلا من قريب بعد أن نجحت أجهزة الأمن بفضل سياسات التصفية والبطش، وخلا الجو لمبارك ورهطه يبيضون ويصفرون في أنحاء أرض الكنانة.

واليوم تعتبر مصر أحد أعمدة السياسات الأمريكية الصهيونية في المنطقة، ومستند الأنظمة العربية والإسلامية في كفاح الإسلاميين أمنيا وفكريا.

ورغم ذلك مازالت أمريكا تلوح ببرامجها التي تستهدف مصر بالتقسيم والتهديد بعد أن تغلغل عملاؤها في مختلف مناحي حياة المصريين.

(14) السودان:

نجح محمد علي باشا حاكم مصر في إرسال عدة حملات إلى السودان بقيادة أصغر أبنائه إسماعيل كامل سنة (1819م/1821م) وتمكنت هذه الحملات من ضم السودان إلى مصر وتحقيق وحدة وادي النيل. فلما استولت بريطانيا على

مصر سنة (1299هـ /1882م) خططت لفصل السودان عن مصر والوصول إلى منابع النيل.

وعندما قامت الثورة المهدية في السودان بزعامة السيد محمد أحمد المهدي، طلبت بريطانيا من مصر سحب قواتها من السودان وأرسلت حملة بقيادة (غوردون) لكن الثوار هزموه وقتلوه بالخرطوم سنة (1302هـ -1885م) وفي سنة (1313هـ -1896م) أرسلت بريطانيا حملة (كتشنر) إلى السودان واستعانت بجهود عساكر مصريين ! ونجحت الحملة في هزيمة الثوار المهديين سنة (1315هـ - 1898م) بعد الاستيلاء على أم درمان وبذلك تحقق لبريطانيا ضم السودان إلى إمبراطوريتها.

واتفقت بريطانيا والحكومة العميلة لها في مصر سنة (1316هـ - 1899م) على حكم السودان حكما ثنائيا رغم احتجاجات الوطنيين المصريين وأخذت بريطانيا في إثارة الصراع بين المصريين والسودانيين لكنها لم تنجح. إذ بعد قيام ثورة سنة (1337هـ - 1919م) في مصر قامت ثورة في السودان بزعامة (عبد القادر ود حبوبة) تطالب بجلاء بريطانيا عن وادي النيل.

وبرغم قضاء بريطانيا على الثورة تصاعدت الحركة الوطنية في السودان. ففي عام (1340هـ -1922) تشكلت جمعية الإتحاد السوداني وجمعية اللواء الأبيض، وأخذتا تعملان سرا لطرد بريطانيا وتحقيق وحدة مصر والسودان.

لكن الحركة الوطنية السودانية ظلت تقاوم الوجود البريطاني، وتشكل حزب الأمة بزعامة المهدي، والحزب الوطني الاتحادي بزعامة الأزهري ليقودا النضال ضد بريطانيا. وبعد قيام ثورة يوليو في مصر سنة (1371هـ - 1952م) وعقد اتفاقية الجلاء سنة (1375هـ - 1956م) اتفقت مصر وبريطانيا على ترك الخيار للسودانيين لتقرير مصيرهم ؛ فاختاروا الإستقلال الذي تم عام (1956م) وقامت دولة وفق النظام الجمهوري اعترفت بها جامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة.

وتتالت الحكومات المدنية والعسكرية على السودان، إلى أن تسلم الحكم جعفر النميري بانقلاب عسكري. وفي عهده نمت الحركة الإسلامية التي كان أبرزها حركة (الجبهة القومية الإسلامية السودانية) التي تزعمها حسن الترابي، وقامت على أسس الإخوان المسلمين ثم فصلها الترابي مستقلا لها بفكر جديد يرتكز إلى أفكاره واجتهاداته الحركية والفقهية الخاصة. ثم تحالف الترابي و النميري على أساس تحكيم الشريعة في السودان، ثم رتب الترابي انقلابا عسكريا أطاح بالنميري وجاء بحكم ما عرف بثورة الإنقاذ من الضباط المنتمين للترابي بزعامة الرئيس (عمر البشير). ثم وقع الطلاق بين الترابي وتلاميذه الضباط فاعتقلوا شيخهم مرات، حيث تحول للمعارضة !

وقد حاول البشير ورفاقه النهوض بالسودان، وتطبيق الشريعة، ولكن المؤامرات الأمريكية أنهكتهم بدعم حركات التمرد المسلحة جنوب السودان وشرقه ثم في غربه مؤخرا. وآل الأمر بزمرة البشير لاختيار سياسة الرضوخ لأمريكا وطلباتها التي لم تنتهي. فطردوا الجهاديين، ثم طردوا بن لادن، ثم وقعوا اتفاقيات مهينة مع النصارى الجنوبيين، ثم افتتحوا مكاتب معلنة لـلـ (FBI) وعقدوا الاتفاقيات الأمنية لمكافحة الإرهاب، وبلغ بهم الأمر أن يسلموا بض المجاهدين المطاردين من قبل نظام ليبيا لحكومة القذافي وهم يعلمون أنهم يسلمونهم للإعدام، كما سلموا عددا من الإخوة السعوديين لأجهزة أمن بلدهم سنة 2004..ورغم التنازلات اللامتناهية، مازالت الحكومة الأمريكية تطارد حكومة السودان بالتهديد والوعيد، إلى أن بلغ الأمر هذه الأيام بإعلان أمريكا والدول الغربية ومنها بريطانيا وفرنسا وغيرها التدخل المباشر السياسي والعسكري في غرب السودان، بدعوى المنازعات القبلية في إقليم دارفور، في مخطط مكشوف لتقسيم السودان، لتثبت سياسة المداهنة و التنازلات أنها لا تسفر إلا عن افتراس الوحش للثور الأسود بعد أن أكل الثور الأبيض فيما كان ينظر إليه ويخذله. وسبحان الديان فكما تدين تدان. وإن في ذلك لعبرة لأولي الألباب. إن كان ثم هناك بقية منهم.

(15) ليبيا:

بعد تحقيق الوحدة الإيطالية سنة (1285هـ/1870م) تطلعت إيطاليا إلى المشاركة في حركة الاستعمار الأوروبي. ونظرا لقربها من ليبيا فقد اعتبرتها مجالا حيويا، لذلك هاجر الكثيرون من الإيطاليين إلى ليبيا، وشكلوا جالية أخذت تنشر الثقافة واللغة الإيطالية في البلاد وتمهد للنفوذ السياسي والاقتصادي الإيطالي.

ثم مهدت إيطاليا لاحتلال ليبيا بعد موافقة القوى الدولية مثل إنجلترا وفرنسا وروسيا وألمانيا على طموحاتها، فأرسلت حملة احتلت طرابلس وبنغازي بعد إخفاق الحامية العثمانية في القتال سنة (1329هـ/1911م)، وقدر للأقاليم الأخرى السقوط في يد الغزاة سنة (1912م). أما مدينة أجدابية فسقطت سنة (1923م)، كما سقطت فزان سنة (1928م).

وفي سنة (1929م) أصدر موسوليني مرسوما بتوحيد برقة وطرابلس في ولاية واحدة، كما احتلت قواته واحة الكفرة سنة (1930م).

ولما قامت حركة الجهاد ضد إيطاليا، قمعتها بوحشية وقوة. فاستنفرت المسلمين في الدولة العثمانية والعالم العربي، وأخذ المتطوعون يتدفقون على ليبيا بقيادة عزيز المصري وأنور باشا. كما قام السنوسيون (وهم حركة دينية صوفية جهادية) في إقليم برقة بدور هام في الجهاد وضيق الثوار الخناق على الإيطاليين، وشدوا من أزر الحاميات العثمانية في ليبيا.

وبعد إخفاق الدولة العثمانية في حربها مع إيطاليا في البلقان، خضعت لمطالب إيطاليا بسحب قواتها نهائيا من برقة وطرابلس.

فتصدى السنوسيون لمقاومة الاحتلال، واتبعوا أسلوب الغارات الخاطفة (حرب العصابات) وكادوا ينتصرون على الإيطاليين لولا دعم بريطانيا عسكريا واستمالتها أحمد السنوسي الذي غادر ليبيا إلى الآستانة سنة (1918م).

وفي سنة (1920م) عقدت إيطاليا معاهدة مع محمد إدريس السنوسي، اتفق فيها الطرفان على إنهاء الحرب واعترف السنوسي بسيادة إيطاليا على برقة، كما اعترفت له إيطاليا بالسيادة على الأراضي التي كانت تحت نفوذه.

ومع ذلك واصلت الحركة الوطنية النضال خصوصا بعد وصول موسوليني إلى الحكم في إيطاليا سنة (1922م). فقد أعلن أن ليبيا إيطالية وألغى جميع الاتفاقات السابقة.

ثم قاد المجاهد الشيخ الشهيد عمر المختار رحمه الله حركة النضال متبعا أسلوب الحرب الخاطفة، مما أنهك الجيوش الإيطالية. لكن إيطاليا أرسلت قوات جديدة إلى ليبيا ونجحت بعد عناء وخسائر كبيرة في الإيقاع بالثوار، وقبض على عمر المختار وشنق شهيدا – كما نحسبه - رحمه الله سنة (1350هـ/1931م).

ولما قامت الحرب العالمية الثانية وانضمت إيطاليا إلى ألمانيا، عاد محمد إدريس السنوسي إلى ليبيا بصحبة قوات بريطانية تمكنت من تحرير ليبيا سنة (1943م) بعد هزيمة قوات المحور، وأصبح الوضع ممهدا لاستقلال ليبيا، والذي أعلن في عام (1951م). وقام بذلك النظام الملكي في ليبيا.

وفي سنة (1968) قام العقيد القذافي بانقلاب عسكري (يعتقد أنه رتبه مع المخابرات البريطانية)، واستولى على السلطة في ليبيا وما زال فيها حتى الآن وأطلق على ليبيا اسم الجمهورية الشعبية العربية الليبية العظمى...

وقد اشتهر العقيد بمزاجه المتقلب، وحكمه الديكتاتوري الدموي القمعي، كما اشتهر بمغامراته العسكرية والسياسية في الجوار، وفي القضايا الإقليمية، مما أنهك اقتصاد ليبيا وكبد جيشها الصغير العدد نظرا لقلة عدد سكانها خسائر فادحة. ثم سولت للقذافي شياطينه يخرج على العالم بنظريات سياسية عجيبة، فأظهر كتابا نسب تأليه لنفسه ودعاه الكتاب الأخضر. وزعم أنه النظرية الثالثة للحكم بين النهج الاشتراكي والديمقراطي. والكتاب مزيج من الغرائب والتفاهات والكفر والضلال والسماجة التي تثير الغثيان..وقد قرأت أكثره بالجهد

والعناء وكثير من الصبر رغم صغره . وعجبت من قدرة كاتبه على جمع ذاك القدر من السخافة والبلادة والحقارة..

ثم استعلن القذافي بالكفر والآراء الدينية الشاذة، فأنكر السنة، وحذف بعض الكلمات من القرآن، وشرع وفنن وافترى على الله الكذب..واتخذ من بعض الغانيات حرسا شخصيا له. وله غرائب و تفاهات يطول لها الخطاب تذكر بصرعات الحاكم بأمر الله الفاطمي العبيدي الزنديق الأحمق صاحب العجائب.

وقد قامت على القذافي انقلابات عديدة كادت تطيح به لولا تدخل الإستخبارات الأمريكية والبريطانية لإنقاذه رغم دعاويه الثورية. كما قامت في ليبيا حركة جهادية ضده سنة 1989 فقمعها بقسوة ودموية، ثم قامت حركة جهادية أواسط التسعينيات تمكن من القضاء عليها أيضا. وملأ سجون ليبيا بخيرة الشباب المسلم وأطلق عليهم لقب الزنادقة !

- قاتله الله - وقد زاود القذافي طوال سني حكمه العجاف على الدنيا بشعارات العروبة و الإشتراكية والوحدوية. إلا أنه طلع على الأمة مؤخرا بدعاويه الإفريقية وعزمه على الانسلاخ عن العالم العربي والانسحاب من الجامعة العربية.

ثم لبس قميصا عجيبا مزينا بصور بعض الرؤساء الأفارقة، و صور رؤوس تشبه الغوريلات.. ثم أعلن مؤخرا انبطاحا كاملا للسياسات الأمريكية والغربية، فسلم جميع مخزون بلاده الإستراتيجي من الصواريخ وبدايات مشروع الأبحاث النووية و زعم أنه مخزون ليبيا من أسلحة الدمار الشامل. وصار بوش يضرب به المثل كنموذج يحتذى يريد من رؤساء العرب والعالم الإسلامي وغيره اقتفاء أثره.

وتقوم ليبيا هذه الأيام بدفع التعويضات الهائلة لكل دولة أوربية تزعم أنها تعرضت لعمل إرهابي كان مدعوما من ليبيا، حيث يعلن الساسة الأوربيون عودة العلاقات مع ليبيا. كما أعلن بوش أنه راض عن ليبيا، وأعلن موافقته

على أن تستأنف شركات النهب الاستعماري نهب بترول ليبيا كمكافأة للقذافي على استخذائه المهين قبحه الله.

(16) تونس:

دخلت تونس سنة (980هـ/1573م) تحت حكم العثمانيين كغيرها من البلاد العربية التي سبقتها. وبقى فيها الأتراك زهاء 300 سنة. ونظرا لضعف الدولة العثمانية، فقد تنافست كل من فرنسا وإيطاليا لاحتلال تونس. لكن فرنسا نجحت في مد نفوذها من خلال عقد معاهدة ودية مع باي تونس سنة (1245هـ/1830م) حصلت بمقتضاها على امتيازات تجارية داخل تونس.

كما استطاعت فرنسا أن تحول دون تدخل بريطانيا في أمور تونس بأن اتفقت معها على أن تطلق إنجلترا يدها في قبرص مقابل عدم منافسة إنجلترا لفرنسا في تونس.

وانتهزت فرنسا فرصة عبور قبيلة تونسية إلى الجزائر، وأرسلت جيشا إلى تونس تمكن من هزيمة الباي محمد الصادق سنة (1298هـ/1881م) وأرغمته على توقيع معاهدة يعترف فيها بتحويل تونس إلى محمية فرنسية.

ثم اندلعت حركة الجهاد والمقاومة الإسلامية والوطنية التونسية سنة (1881م) بتكوين حركة " الجامعة الإسلامية " التي لجأت إلى التنديد بالاحتلال وإثارة المشاعر الوطنية من منطلقات إسلامية وتحرك بعض العلماء من علماء مسجد الزيتونة للدعوة للجهاد. وبالفعل تحرك الثوار من مراكز التجمعات القبلية في الجنوب، وامتدت الثورة إلى مدن القيروان وسوسة و قابس و زغوان و صفاقس، وتمكن الثوار من السيطرة التامة على جنوب البلاد لكن فرنسا اتبعت أسلوب وحشيا في قمع الثورة والتنكيل بالثوار. وفي سنة (1908م) " تأسس حزب تونس الفتاة " الذي طالب بالدستور والتحم رجاله في معارك مع الفرنسيين سنة (1911م) لكن فرنسا قمعتهم بوحشية.

وفي مارس سنة (1920م) تأسس " الحزب الحر الدستوري التونسي" الذي تمكن من الاستيلاء على قيادة النضال ضد الاستعمار الفرنسي دعائيا وسياسيا

واجتماعيا، واستطاع تجنيد المثقفين والعمال، حيث أبرمت فرنسا عه اتفاقية استقلال تونس سنة (1956م). وبذلك سلمت تونس لعميلها الماكر (الحبيب بورقيبة) الذي استطاع خداع العلماء، بهوية إسلامية مزيفة، ثم استعلن بهويته العلمانية المارقة لما تمكن من الأمر، وجاهر بمحاربة التشريع الإسلامي والسير بتونس بسرعة في طريق التغريب ونشر الفسوق ومسح الهوية الدينية.

وفي مطلع الثمانينات هبت رياح الصحوة الإسلامية على تونس من المشرق، وأسس عدد من الدعاة (حركة الإتجاه الإسلامي) بزعامة الشيخ راشد الغنوشي، ودخلت الحركة معترك المنافسة السياسية السلمية، ولكن بورقيبة قمع الحركة وسجن شيوخها واستطاع تقسيم قيادتها واستمالة بعضهم. ثم دخلت الحركة الإنتخابات العامة أواسط الثمانينيات، وفازت بأكثرية أدهشت الأوساط المختلفة وضربت لها أجهزة الإنذار في أوربا ولاسيما فرنسا. فقعت الحركة، تابعت عملها السياسي، وكانت تعد لانقلاب عسكري مفاجئ. ولكن البرنامج كشف.

ثم رتب وزير داخليتها آنذاك (زين العابدين بن علي) انقلابا أبيضا على عجل بالترتيب مع الأمريكان تفاديا لنجاح انقلاب الإسلاميين. واستولى بذلك على السلطة. وخسف بالإسلاميين وغيرهم وحكم تونس حكما ديكتاتوريا متابعا مسار تغريب هذا البلد الإسلامي العريق. وتشردت الحركة الإسلامية وقياداتها في البلاد الأوربية، وطورد مؤيدوهم شر مطاردة. وصارت تونس إحدى ركائز السياسة الأمريكية الاستعمارية في العالم العربي. ثم أجرى فرعون تونس في أوكتوبر 2004 انتخابات هزلية لتجديد ولايته ففاز بـ 95.96% في مشهد ديمقراطي يثير الغثيان.

(17) الجزائر:

حكمت الدولة العثمانية الجزائر مثل باقي الدول العربية الأخرى. واستمر حكمهم زهاء 300سنة. وقد مر الحكم العثماني للجزائر بعدة بمراحل بدءا من عصر (البالارباي) من عام (1546م) إلى (الدايان)عام (1081هـ/1671م) والذي انتهي عام (1930). و في نفس الوقت كانت فرنسا تطمع في احتلال

الجزائـر الاسـتراتيجي، خصوصـا وأنهـا كانـت تتمتـع بامتيـازات تجاريـة فيهـا منـذ القـرن السادس عشر.

وفي سنة (1315هـ1801م) وقعـت فرنسـا مـع الجزائـر معاهـدة تـنص عـلى حريـة التجارة بين الطرفين. وعجلت باحتلال الجزائر لتحول دون تغلغل النفوذ البريطاني فيهـا، و من أجل ذلك عقدت معاهـدة سريـة مـع روسـيا سـنة (1223هــ/1808م) حظيـت فيهـا فرنسا بموافقة روسيا على احتلال الجزائر.

لكـن انشـغالها بمشـكلاتها الأوروبيـة أجـل الغـزو حتـى سـنة (1830/1245م). ثـم تذرعت فرنسا بمسألة تافهة مؤداها إهانة الداي حسين لقنصلها حين صفعه بمنشـته عـلى وجهه لتتخذ من الحادثة ذريعة للغزو و الإحتلال.

و بالفعل أرسلت فرنسا أسطولها الذي حاصر سواحل الجزائر مدة ثلاثة أعوام.

وفي عام (1245هـ/1830م) انتهزت فرنسا ضعف الدولـة العثمانيـة وأرسـلت حملـة عسكرية نجحت في الاسـتيلاء عـلى الجزائـر سـنة (1245هــ/1830م) بعـد طـرد الحاميـة العثمانية منها. ثم تطورت حركة المقاومة الجزائرية المناهضة للاحتلال بزعامة الأمير عبـد القادر الجزائري الذي التفت حوله القبائل وبايعتـه في وهـران سـنة (1832م). كـما أيـده رجال الصوفية واتفق الجميع على الجهاد.

ومن مدينة " معسكر " في غـرب الجزائـر أخـذ الأمـير عبـد القـادر، يغـير عـلى الأراضي الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي بعد أن فرض نفوذه عـلى الأقـاليم الغربيـة مـن الـبلاد. وقـد انتصر الثوار على جيوش فرنسا في " معركة المقطع " سنة (1250هـ/1835م). ثم لجأ إلى حرب العصابات، وتمكن من إنزال هـزائم متواليـة بالفرنسـيين. وفي مـايو سـنة (1252هــ/ 1837م) عقد الفرنسيون معاهدة مع الأمير عبد القادر هي " معاهـدة تافنـا " وفيهـا اعترفـت فرنسـا بسيادة الأمير عبد القادر على غربي الجزائر، كما اعترف هو بسلطة فرنسـا عـلى الأراضي التـي

احتلتها. واستفاد الأمير من المعاهدة التي أتاحت له تنظيم قواته وتحصين المدن والثغـور، كما اهتم بتنظيم شؤون دولته. ولما أخلت فرنسا بشروط المعاهدة وهاجمت الثوار، تمكن الأمير عبد القادر مـن الاسـتيلاء عـلى المنـاطق المحيطـة بمدينـة الجزائـر سـنة (1255هــ/ 1840م).

فكان رد الفعل الفرنسي في الإغارة على مدن غربي الجزائر، فاستولت على تلمسان و مستغانم وغيرها من المـدن في إقلـيم وهـران، فاضـطر الأمـير عبـد القـادر إلى الهـرب إلى الصحراء. وانتهى مصيره بالقبض عليه وسجنه في الجزائر سنة (1268هـ/1852م) ثم سمح له الفرنسيون بالخروج من الجزائر، فتوجه إلى دمشق لتكون منفـى لـه، وظـل بهـا حتـى وفاته (1300هـ/1883م).

ثـم اتبعـت فرنسـا سياسـة تـوطين الفرنسـيين في الجزائـر بعـد نـزع أمـلاك الأهـالي وأراضيهم، وعمدت إلى إثارة الفرقة بين العـرب والبربـر في محاولـة لطبـع الـبلاد بالطـابع الفرنسي و إلغاء هويتها العربية الإسلامية.

ثم قيض اللـه للجزائر رجلا فذا هو الشيخ (عبد الحميد بن بـاديس)، الـذي أسـس (جمعيـة العلـماء المسـلمين)، التـي حفظـت بأعمالهـا التربويـة والعلميـة هويـة الجزائـر الإسلامية وعروبتها، وكونت الجيل الـذي حمـل لـواء الثـورة الكـبرى التـي انطلقـت سـنة (1954). والتي استمرت إلى أن تحقـق الإسـتقلال سـنة (1963)، بعـد أن دفعـت الجزائـر أكثر من مليون نسمة من الضحايا والشهداء .

ولكـن الـذي حصـل أن فرنسـا بـدهائها، بعـد أن أيقنـت أن اسـتقرارها في الجزائـر مستحيل، وأن الإستقلال لابد حاصل، اختارت العمل على أن يكون الأمر مـن بعـدها لثلـة من التنظيمات والأحزاب التي كان روادها قد تربوا على الأفكار الوافدة من أوربا ولاسـيما من التيارات القومية والاشتراكية والليبرالية الغربية، والتي كانت قد كونـت بمجموعهـا مـا عرف باسم (جبهة التحرير الوطني) التي بدأ نفوذ الإسـلاميين فيهـا يتضـاءل مـع الوقـت. وهكذا حددت فرنسا من سيخلفها على الجزائر، وقيدتهم ببنود اتفاقيـة (إيفيـان). وقـال الرئيس الفرنسي ديغول أيامها:

(يريدون استقلال الجزائر؟ حسنا ! سنعطيهم إياها ونستردها بعد ثلاثين سنة !).

واستقلت الجزائر، وآلت رآستها إلى (هواري بومدين)، وكان قوميا عربيا، ويساريا قريبا من الفكر الشيوعي..، وسارت الجزائر في عهده وازداد نفوذ العسكر من أعضاء (حزب جبهة التحرير الوطني) الذين كان العديد منهم يحمل الجنسية الفرنسية، وأصبح هذا الحزب منذ ذلك الوقت حزب السلطة الحاكمة الأوحد. وتولى هذا التيار الذي عرف (بالتيار الفرانكفوني) مهمة حرب الإسلام وتصفية الإسلاميين في الجزائر.

وبعد هلاك بومدين خلفه الرئيس (الشاذلي بن جديد)، واستمر (حزب جبهة التحرير) في سياسة الحزب الواحد، وزاد الشاذلي على سيئات سلفه سياسة العودة إلى أحضان فرنسا،حيث كان بومدين عربيا ويساريا قوميا معاديا لفرنسا. وهكذا ازداد نفوذ التيار الفرانكفوني وكبار العسكر المتنفذين.

وازدادت أحوال الجزائر سوءا وإفلاسا رغم أنها واحدة من كبريات الدول المصدرة للنفط والغاز في العالم..

وفي مطلع السبعينيات، نهض (مصطفى بويعلي)، يطالب حكومة الشاذلي بوقف زحف الفساد، وبالعودة بالبلاد إلى أصالتها الإسلامية ويذكرهم بمبادئ ثورة 1954التي رفعت شعار الإسلام والجهاد، حيث كان أحد المجاهدين الذين شاركوا فيها. ثم ما لبث (بويعلي) أن أعلن الجهاد وأسس (حركة الدولة الإسلامية). وحمل السلاح وصعد الجبال في ثلة من أنصاره يجاهدون النظام الجزائري. ثم تمكنت الحكومة في سنة 1976 من قتله، واعتقلت العديد من أنصاره وساقتهم إلى السجون.

وفي أواخر الثمانينات بلغت الأزمة الإقتصادية في الجزائر مداها، وانفجر الشعب الجزائري في ثورة تظاهرات عامة عرفت بـ (مظاهرات الخبز)..، وأدرك النظام الجزائري ورئيسه الشاذلي أنه لابد من إحداث تغير جذري في الأوضاع، فأعلن الشاذلي سنة (1988) سلسلة من الإصلاحات الشاملة كان من أهمها،

إنهاء سياسة الحزب الواحد، وإطلاق المسار الديمقراطي وحرية تشكيل الأحزاب السياسية.

وهكذا أقبل الجزائريون بحماس على تشكيل الأحزاب وإنشاء الصحف، وازدهرت الحركة السياسية. وكان في طليعة الذين تحركوا بحماس في هذه الفسحة من الحرية، مختلف مكونات الصحوة الإسلامية في الجزائر والتي كانت تشهد ازدهارا مكبوتا منذ أواسط السبعينيات، شأنها في ذلك شأن باقي البلاد العربية والإسلامية التي كانت تشهد صحوة إسلامية عارمة، بعد أن بدأ يتبدى إفلاس سراب الأفكار القومية واليسارية التي ازدهرت خلال الخمسينيات والستينيات.

وهكذا أعلن الشاذلي عن إجراء انتخابات بلدية (1988)، تتبعها انتخابات برلمانية سنة (1989) من أجل بدء المسار الديمقراطي في الجزائر. وبدأت الأحزاب المتنوعة استعدادها لخوض تلك التجربة.

تكونت الساحة السياسية في الجزائر إبان الإنتخابات سنة (1989) من ثلاث محور، هي:

1. حزب السلطة وهو حزب (جبهة التحرير الوطني)، الذي حكم الجزائر منذ الإستقلال بطريقة بوليسية وانفرد بالسلطة ربع قرن من الزمن.
2. قوى الصحوة الإسلامية.
3. الأحزاب العلمانية التي شكلت آنذاك.

وكانت الجبهة الإسلامية للإنقاذ أقوى التكتلات الإسلامية وتزعمها (عباسي مدني)، وبرز إلى جانبه ا (علي بلحاج). وتكونت الجبهة من خليط من مدارس الصحوة و قياداتها والتنظيمات الإسلامية والدعاة المستقلين.. بالإضافة لقواعد عريضة من عوام المسلمين الذين آمنوا بعموميات مشروع الإسلام السياسي. وأما القوى العلمانية الناشئة بعد حرية الأحزاب:

فقد تعددت تلك القوى والأحزاب، بعد أن أطلقت الحريات، ولكن أبرز تلك القوى بحسب ما أثبتته الإنتخابات التالية كانت:

- أولا: حزب جبهة القوى الإشتراكية: وهـو حـزب ينـتشر في منطقـة القبائـل ويحمـل فكرا غربيا ليبراليا، وقد تزعمه) آيت أحمد). وقد سير المظـاهرات بعـد فـوز الإنقـاذ يبدد بها ويخوف الحكومة والغرب من زحف الأصولية.
- ثانيـا:حـزب التجمـع مـن أجـل الثقافـة والديمقراطيـة: وهـو حـزب شـديد العـداء للإسلاميين ينادي بالحل الإستئصالي لهم. وقد وتزعمه (سعيد سعدي).
- ثالثا: الحزب الشيوعي: وتزعمته (لويزا حنون).تبنت الطرح الديمقراطي.

ومع انصرام الإنتخابات البلدية، تبين أن الجهة الإسلامية للإنقاذ، قـد سـحقت أقـوى الأحزاب السياسـية العلمانيـة في الجزائـر، وهـو حـزب السـلطة ! (حـزب جبهـة التحريـر الوطني)، وأن الأحزاب العلمانية حديثة التشكيل لم تحصل إلا على الفتات.

وتولت بذلك جبهة الإنقاذ معظم بلديات الجزائر، وبـدأ عناصرهـا في خدمـة النـاس بروح طيبة وإخلاص افتقدتها الجزائر منذ عهود طويلة، مما رفع في أسـهم الجبهـة شـعبيا وأهلها للنصر التالي. وهو الإنتخابات التشريعية (البرلمانية). وتمخض الدور الأول فيها عـن فوز الجبهة بأغلبية ساحقة من دورها الأول، وبدا أن ذلك سيمكنها خـلال الشـوط الثـاني من الدورة الإكماليـة مـن الأغلبيـة السـاحقة،التي تأهلهـا لتشـكيل الحكومـة منفـردة، و الترشح بذلك لرئاسة الدولة !!

وضربـت نـواقيس الخطـر في مشـارق الأرض ومغاربهـا.. وأعلنـت الـدول الصـليبية الكبرى عن استعدادها للتدخل لقطع الطريق على الإسلاميين مـن الوصـول للسـلطة. بـل صرح (فرانسـوا ميـتران)، الـرئيس الفـرنسي في حينهـا، أن فرنسـا عـلى اسـتعداد للتـدخل العسكري للحيلولة دون وصول الإسلاميين للسلطة. وكان الحل الوحيد أمامهم هو إحداث إنقلاب عسكري مدعوم من قبل الغرب ولاسيما فرنسا لقطع الطريق على الإسـلاميين مـن أن يصلوا لحكم الجزائر.

وحصل الإنقلاب. وجاء العسكر بقيـادي سـابق هـو (محمـد بوضـياف) ليتولى رآسـة الدولـة. واعتقلـت قيـادات الجبهـة الإسـلامية للإنقـاذ وأودعـت

السجون، وقمعت المظاهرات بالعنف، وفتح النظام العسكري العديد من السجون الصحراوية لعشرات آلاف المعتقلين من الإسلاميين.. وكان هذا سبب بداية الإنتفاضة الجهادية المعاصرة في الجزائر، وبداية لفصل دموي فيها لم تنته ذيوله إلى الآن. فصل كبد بلدناالحبيب إلى الآن زهاء ربع مليون ضحية من المسلمين الأبرياء. ورحبت فرنسا والغرب بالانقلابيين الذين خططوا لهم ودعموهم، لينقضوا معهم على نتائج هذه الكذبة الكبرى التي يسمونها (ديمقراطية).

ويرأس الجزائر حاليا الرئيس (عبد العزيز بوتفليقة)، وقد فاز بتأييد شعبي كاسح في الإنتخابات الرئاسية، معتمدا على مشروع مصالحة وطنية تبناه لإنهاء إرهاصات تلك الأحداث. وقد بناه على مشروع قانون (الوئام المدني) الذي طرحه سلفه والذي يقضي بالعفو عن المسلحين الذين يسلمون أنفسهم للسلطات.

وتشهد الجزائر التي عرفت بروابطها المتينة مع فرنسا، في عهد بوتفليقة، تزايدا في روابطها مع أمريكا. التي اعتبرتها من الحلفاء المفضلين لديها في مكافحة الإرهاب، حيث يعلن أوباما بين الحين والآخر رضاه عن النظام في تصفية التيارات الأصولية وحصارها. وما تزال أحداث الجزائر مستمرة وإن كانت حدتها قد خفت بعد القضاء على الجماعات المسلحة التي انحرف كثير منها عن جادة الصواب بفعل استهداف الأبرياء مما أفقدها شعبيتها وأوردها دروب الهزيمة و التشرذم.وأسأل اللـه أن يقيض لبلدنا الحبيب أمر رشد يعز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته.إنه على ذلك قدير.

(18) المغرب:

ظلت مراكش مستقلة عن العثمانيين وإن قامت بينهما علاقات التعاون وتبادل المنافع بين حين وآخر. وكذلك بقيت مناهضة لأطماع أسبانيا والبرتغال حتى أوائل القرن العشرين. وبعد احتلال فرنسا الجزائر سنة (1830م) وتونس (1881م) توجهت بأنظارها نحو المغرب الأقصى الذي كانت تحكمه دولة الأشراف العلويين. وفي نفس الوقت كانت أسبانيا تطمع في احتلال البلاد. وأما

فرنسا فقد عقدت مع إنجلترا " الاتفاق الودي" سنة (1904م) الذي أتاح لها موافقة بريطانيا على احتلال المغرب الأقصى.

وفي مؤتمر الجزيرة سنة (1906م) تقرر إقامة نظام دولي خاص في طنجة، كما تقرر إطلاق يد أسبانيا وفرنسا لبث نفوذها في المغرب. وبينما نجحت أسبانيا في الاستيلاء على منطقة "الريف" في الشمال، وجهت فرنسا حملة على المغرب الأقصى سنة (1907م) مقابل إطلاق فرنسا يد إنجلترا للعمل في مصر. فاحتلت مدينتي الدار البيضاء و"وجدة"، ثم استولت على مدينة فاس سنة (1329هـ/1911م).

وفي سنة (1912م) أرغمت فرنسا السلطان عبد الحفيظ على توقيع معاهدة الحماية على البلاد. ولما احتجت أسبانيا على ذلك جرت مفاوضات بينها وبين فرنسا، انتهت بتوقيع معاهدة تقسيم المغرب إلى منطقتين منفصلين: إحداهما لفرنسا، والأخرى لأسبانيا، بينما تظل طنجة منطقة دولية.

ثم عملت فرنسا على محو شخصية المغرب العربية الإسلامية بفضل جهود ممثلها في المغرب "الجنرال ليوتي" المقيم العام الذي جمع في يده السلطان السياسية والعسكرية والإدارية والمالية، والذي سمح للمهاجرين الفرنسيين بالاستيطان في المغرب الأقصى. واندلعت حركت الجهاد والمقاومة الوطنية على إثر ذلك فقامت ثورة في فاس سنة (1912م) ما لبثت أن انتشرت في المناطق المجاورة، فقمعتها فرنسا بوحشية وقسوة.

ثم قامت ثورة أخرى من قبل قبائل البربر وسكان الشاوية وضرب الثوار الحصار حول فاس، لكن " ليوتي" استخدم المدفعية في ضرب الثوار وإفشال الحصار.

ثم تركزت المقاومة في منطقة الأطلس المتوسط ونجح الثوار في الاستيلاء على مراكش وأغادير سنة (1912م)، لكن الفرنسيين قمعوا الثورة واستولوا على المدينتين وأمنوا المواصلات بين فاس ومكناس والرباط.

عندئذ اعتصم الثوار بالجبال وحققوا الاستقلال بها حتى عام (1934م).

أما عن المقاومة الوطنية في منطقة الريف فقد قادها عبد الكريم الخطابي سنة (1921م) وظلت مستقلة حتى سنة (1926م).

وقد انتصر الثوار في عدة معارك مثر "أبران" و "إغرين" على الأسبان وتمكنوا من هزيمتهم وقتل قائدهم في معركة "أنوال" الشهيرة التي هزم فيها الخطابي جيوش خمس دول أوربية من الفرنسيين والأسبان ومن عاونهم، وقتل الآلاف منهم وأسر عشرة آلاف من الجنود فيهم زهاء 100جنرال و5 ماريشالات.

وبويع الخطابي من قبل الثوار ليكون "أمير الريف" فحكم الشريعة الإسلامية وأرسل الشرطة والقضاة والفقهاء يعلمون الناس دينهم في قراهم المتناثرة وسط الجبال. وأدركت فرنسا خطر انتصارات الخطابي فتدخلت بمساعدة الأسبان، ونجحت القوات الفرنسية بمساعدة البحرية الأسبانية في هزيمة الثوار، وضرب الطيران الإسباني القرى والسكان بالغازات السامة !! وهُزم الخطابي ونفي إلى فرنسا، ولكن أعوانه هربوا به في الطريق، ولجأ إلى مصر حيث ظل فيها هذا الشيخ البطل إلى حين وفاته سنة (1963م). رحمه الله رحمة واسعة. ومع ذلك استمرت المقاومة ضد الفرنسيين والأسبان. ففي عام (1934م) تشكل أول تنظيم سياسي في المغرب باسم " كتلة العمل الوطني المغربية " من أجل تحرير البلاد.ثم تأسس " الحزب الوطني " وازدادت الحركة الوطنية اشتعالا بتولي محمد بن يوسف الحكم وتأييده للثوار ومساعدتهم. كما تأسس " حزب الاستقلال " سنة (1358هـ/1940م) واندلعت حركة المقاومة في كل أرجاء المغرب، وفي سنة (1947م) خطب السلطان محمد بن يوسف في طنجة خطبة حماسية طالب فيها بالحرية والسيادة ووحدة البلاد. الأمر الذي ألهب حماس الثوار الذين ظلوا يتعاونون مع السلطان حتى نال المغرب استقلاله ووحدته سنة (1956م).

ثم حكم المغرب بعد ذلك الملك الحسن الثاني بن محمد الخامس، مدة طويلة، وكان فرعونا ظالما وديكتاتورا طاغية، فقتل كل من ناوأه من كل اتجاه ومشرب من الإسلاميين وحتى الشيوعيين وما بينهما من الأفكار. وملأ سجونه الشهيرة المرعبة بالسجناء الذين قضى الكثيرون منهم تحت سياط الجلادين

وأجهزة التعذيب المستوردة من أوربا ! كما أحاط الملك نفسه بأجهزة أمنية كثيرة ومجرمة، و سيَّج ملكه بطبقة كثيفة من علماء السلطان وفقهاء القصر من المغاربة الذين يركعون ويسجدون له بدعوى سجود الملائكة لآدم عليه السلام ! بل استورد الملك علماء السلطان من أصقاع الدنيا من بلاد العرب والعجم. واشتهرت المغرب في عهده بالفقر والبطالة والفساد وانتشار المخدرات والدعارة والمجون والانحلال الاجتماعي في كثير من طبقات الناس، وكان الملك في طليعة الزناة المشاهير والفاسدين المعروفين حتى قيل أن الممثلة الفرنسية الشهيرة (بريجيت باردو) ذكرت خبر لياليها الحمراء معه في مذكراتها! كما حاز الملك (الخنفوس) - كما كان يسميه (الشيخ عبد الحميد كشك) رحمه الله - على عدة جوائز من دور الأزياء العالمية كملك للأناقة !! فيما يموت أكثر شعبه من الفاقة والعوز، ويرمي شبابه بأنفسهم في براثن الموت في مراكب الهجرة غير الشرعية بحثا عن العمل في شواطئ أوربا !. ولكن صحوة إسلامية متعددة المشارب من الصوفية إلى السلفية إلى الجهادية، إلى السياسية وقفت لذلك الفساد بالمرصاد، ولاقت من الملك العنت والبطش والتضييق بحسب جدية مواجهتها له.

ثم هلك الملك سنة 2002، ليخلفه الملك الحالي (محمد السادس) نسخة عفنة عن أبيه. حيث دخلت المغرب في فلك أمريكا أيضا كغيرها وصارت أجهزة أمنها كتيبة في الهجمة الأمريكية لحرب المسلمين فيما عرف بمكافحة الإرهاب. أسأل الله له ولأمثاله من فراعنة بلاد المسلمين دعوة سيدنا نوح عليه السلام:

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً ﴾ (نوح: 27 / 26).

(19) موريتانيا:

تقع جنوب المملكة المغربية الحالية وقد دخلها الإسلام بعد فتح العرب بلاد المغرب أواخر القرن الأول الهجري، وأطلقوا على المنطقة اسم (شنقيط) وكانت هذه المنطقة تتبع الدول المغربية مثل دولة الموحدين ودولة الحفصيين ودولة السعديين والدولة العلوية.

تعرضت المنطقة لغارات البرتغاليين الذين أسسوا بها مراكز لتجارة الصمغ والـذهب والرقيق، ثم تلاهم الأسبان بعد قرنين ثم تلاهم الفرنسيون فالهولنديون.

وفي سنة (1901م) أرسلت فرنسا حملة لاحتلال البلاد أقنع قائـدها الأمـراء المحليـين بطلب الحماية الفرنسية، ولما احتلت فرنسا مراكش – المملكة المغربيـة حاليـا – خضـعت البلاد جميعها للاحتلال الفرنسي الذي أطلق عليها اسم (موريتانيا).

واتبع الفرنسيون سياسة التفرقة بين المسلمين البيض والزنوج وحاربوا اللغة العربيـة وحـاولوا نشر الثقافـة الفرنسـية. لكـن حركـة الجهـاد المقاومـة للاحـتلال تفجـرت عـام (1908م)، واستمرت حتى عام (1934م) مطالبة بالاستقلال.

ثم تشكل حزبان أساسيان تصديا للاستعمار الفرنسي هماٍ، (حزب الاتحـاد الـوطني) و (حزب منظمة الشباب) ثم اندمجا في حزب واحد سـنة (1948م) هـو (حـزب التفـاهم الموريتاني) ثم انشق عـلى نفسـه، وأخـيرا ثـم الاتحـاد سـنة (1958م) تحـت اسـم (حـزب التجمع الموريتاني) الذي تبنى قضية التحرير والاستقلال.

وفي عهد (ديجول) أصدر لهم دستورا قبلتـه موريتانيـا مرغمـة وأصـبحت بمقتضـاه عضوا في الجامعة الفرنسية. وفي سنة (1959م) فاز حزب التجمع الموريتاني في الانتخابـات وشكل رئيسه المختار ولد داده الوزارة وأصبح الحزب الحاكم في البلاد.

ثم نشأ حزب جديد يدعو إلى الاستقلال التـام و الانضـمام إلى المغـرب هـو (حـزب النهضة).وفي سنة (1960م) أحرزت موريتانيا استقلالها وأصبحت عضوا في الأمـم المتحـدة كما قبلت عضوا في الجامعة العربية سنة (1973م).

وفي سنة (1978م)، قام انقلاب في موريتانيا بزعامة محمـد السـالك ولكنـه لم يستمر في الحكم طويلا فقد أطاح انقلاب آخر به، ثم لحقته عـدة انقلابـات أدت

إلى عدم استقرار أحوال البلاد خصوصا بعد تعرضها لمشكلات اقتصادية وسياسية مع جارتها (السنغال).

وآل الأمر أخيرا عبر انقلاب عسكري منذ نحو عشرين سنة إلى الرئيس الحالي (معاوية ولد سيدي أحمد الطايع). فحكم البلاد حكما عسكريا استخباراتيا، و أوصلها لقعر الأزمات والفقر والفساد. ولكن القفزة الجديدة التي أحدثها هذا الطاغوت هي الانفتاح على أمريكا وإسرائيل، حتى وصل الأمر به لإقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع تل أبيب، وافتتح سفارة للعدو الصهيوني في نواكشوط العاصمة !

وقد قامت عليه عدة انتفاضات شعبية وانقلابات عسكرية قمعها كلها بالحديد والنار، ومازال يجثم على صدور المسلمين في موريتانيا قبحه الله وأهلكه وأمثاله من فراعنة بلاد المسلمين.

(20) اريتريا:

ليس تحت يدي الآن ما يكفيني من المعلومات لكتابة ملخص واف عن هذا الإقليم المسلم، ولكن الذي أذكره من معلوماتي العامة، أنها كانت تخضع للاحتلال الإثيوبي (الحبشة)، منذ زمن بعيد، وقد ذاق المسلمون في عهد إمبراطورها (هيلا سي لاسي) صنوف العذاب، وقامت فيها منذ عشرات السنين ثورات جهادية للتخلص من حكم الأحباش وتحصيل الاستقلال عنهم. ثم حصل انقلاب شيوعي في إثيوبيا، ولكن اريتريا بقيت تعاني نفس البلاء تحت حكمهم واستمرت الثورات الجهادية المسلحة.

ثم تسللت المنظمات التنصيرية إلى إثيوبيا وأنشأت أجهزة الإستخبارات المختلفة كيانات ثورية وسياسية تقوم على عقائد علمانية ويسارية ونصرانية، تطالب أيضا باستقلال إثيوبيا، وتقاتل الأحباش. وقد لاقى الثوار الإرتريون مختلف أشكال الدعم من البلاد والأنظمة العربية، إلى أن تحقق استقلالها. ولكن الحكم آل فيها إلى المدعو (أسياسي أفورقي) فقلب ظهر المجن للعرب وتنكر لعروبة إريتريا بل و لإسلاميتها، واتبع سياسة انفتاح على الغرب وعلى

إسرائيل التي كثفت حضورها في البحر الأحمر مقابل سواحل الحرم المكي، و تحكمه بمضيق باب المندب !،وتابع المجاهدون المسلمون قتالهم ولكن ضد حكومة بلادهم هذه المرة، وفي إريتريا اليوم عدد من المنظمات الإسلامية المسلحة العاملة في ظروف صعبة من العزلة والعوز، حتى صارت قضية شبه منسية من العرب والمسلمين فيما تعيث المنظمات التنصيرية والموساد الإسرائيلي فيها فسادا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(21) (22)- الصومال وجيبوتي:

وتحتل موقعا استراتيجيا يعرف بالقرن الإفريقي في مقابلة سواحل اليمن وجزيرة العرب.وقد هاجرت إليها منذ أزمنة سحيقة قبائل العرب واختلطت بالأفارقة. وكانت على علاقة تجارية بالعرب منذ عصور ما قبل الإسلام. وبعد ظهور الإسلام، واستمرت هذه العلاقات، ثم وهاجرت قبائل عربية في القرن الرابع الهجري إلى شرقي إفريقية وأسست مدنا تجارية مثل مقديشو و براوة ونقلت معها الإسلام والحضارة العربية، واختلط العرب بسكان السواحل من قبائل البانتو فامتزجت الدماء وتكون الشعب السواحلي الذي يتكلم اللغة الساحلية، ثم خضعت المنطقة للاستعمار البرتغالي بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح سنة (1498م). ولما استقر العثمانيون في عدن أغاروا على البرتغاليين بمساعدة العناصر العربية، ففي سنة (1586م) تمكنوا من إلحاق مقديشو بالدولة العثمانية.

ولما قامت (دولة اليعاربة) في عُمان أرسلت أسطولا بحريا إلى ساحل إفريقية الشرقي سنة (1698م) تمكن من بسط سيادة العمانيين على البلاد باستثناء مستعمرة موزنبيق.

وفي عهد دولة بوسعيد العمانية سقطت (ملبسة) في يد السلطان سعيد بن سلطان سنة (1837م)، بل إنه نقل عاصمته من مسقط إلى زنجبار.

ونظرا لقيام الصراع بين أفراد أسرة البوسعيديين تدخلت بريطانيا في شؤون الصومال، كما تدخلت فرنسا، وبريطانيا و إثيوبيا وكينيا لدعم نفوذهم في البلاد.

ثم تمكنت فرنسا من وضع يدها على منطقة قريبة من مضيق باب المندب عرفت بالصومال الفرنسي، وكذلك إنجلترا على منطقة أخرى عرفت بالصومال البريطاني وإيطاليا على ثالثة عرفت بالصومال الإيطالي.

ثم اندلعت الحركة الوطنية الصومالية أواخر القرن التاسع عشر وأرغمت بريطانيا على إخلاء المناطق الداخلية من الصومال البريطاني.

ثم تعاظمت حركة المقاومة ضد الفرنسيين والبريطانيين والإيطاليين مطالبة باستقلال الصومال وتحقيق وحدته.

وقد تحقق تحرير الصومال الإيطالي سنة (1960م) بعد صدور قرار هيئة الأمم المتحدة سنة (1959م) كما تحقق تحرير الصومال البريطاني في نفس العام ثم اتحد الإقليمان في جمهورية واحدة عرفت باسم (جمهورية الصومال) سنة (1960م) أما الصومال الفرنسي فلم يحرز الاستقلال إلا في عام (1977م)، وتسمى باسم (جمهورية جيبوتي).

والتحقت الدولتان بالجامعة العربية.

وقد حكم الصومال لفترة طويلة طاغوت عنيد هو (محمد سياد بري)، ولكنه لما هلك أواخر الثمانينيات، تفتت الصومال في صراع قبلي نظرا لتجذر الصراع القبلي فيها وتعقده وتشابكه. مما أتاح المجال مطلع التسعينيات للتدخل الأمريكي، فرست البوارج الأمريكية على شواطئ الصومال، ولكنها سرعان ما غاصت في رمالها وأوحالها، وتصدت لها القبائل والمجاهدون، وبدأت نذر فيتنام صومالية تلوح أمام الأمريكان، ففروا على عجل لا يلوون على شيء ومل زال الصومال متفتتا في حالة استقرار حرج يندلع فيه القتال بين الفينة والأخرى.

ثانيا: أحوال بعض دول العالم الإسلامي:

1. تركيا:

حكم مصطفى كمال أتاتورك لتركيا (1924- 1938):

يكاد المتتابع لتاريخ مصطفى كمال، يجزم أن هذه الرجل حكم تركيا وحده حكما مطلقا لا ينازعه فيه أحد، حكما دكتاتوريا يقوم على السحق و الإبادة والدماء والأشلاء.

فقد أعلن الجمهورية بعد مؤامرة حاكها مع أصحابه وكان يرى وجوب اقتلاع سيطرة الدين من تركيا، ثم ألغى الخلافة وأقر قانونا يقضي اعتبار كل معارضة للجمهورية وكل ميل إلى السلطان المخلوع خيانة يعاقب عليها بالموت.

وفي (3) مارس سنة (1924م) تقدم بمشروع إلغاء الخلافة وطرد الخليفة، وفصل الدين عن الدولة وإلغاء المحاكم الدينية العتيقة وقوانينها ليحل محلها محاكم وقوانين عصرية، وإلغاء المدارس الدينية ليحل مكانها مدارس حكومية علمانية.

وفي اليوم الثاني أصدر أمرا بطرد الخليفة وجميع الأمراء والأميرات من تركيا ورحّلوا خارج البلاد.

بعد أن تخلص من خصومه واصل تدميره للإسلام والبلاد. ففرض القبعة– التي كانت رمز الكفر في نظر الأتراك – فعارضها الأتراك، فنصب لهم المشانق في ميادين المدن.

ثم استورد القوانين الوضعية الأوروبية، فاستدعى الخبراء ليضعوا القوانين الجنائية والمدنية والتجارية المأخوذة من القوانين الإيطالية والسويسرية والألمانية.

ثم ألغى الحروف العربية التي يكتب بها الأتراك والتي كتب بها التراث الإسلامي كله من فقه وحديث وتفسير وتاريخ.وأرغمهم على الكتابة بالأحرف اللاتينية حتى يفصلهم نهائيا عن دينهم وتراثهم.وحددوا يوما ليعاقب بعده كل من لم يتقن الحروف اللاتينية من حرمان وظيفة، وتجريد جنسية وطرد من البلاد وسجن.

ثم منـع تعـدد الزوجـات، وقـرر المسـاواة بـين الرجـال والنسـاء في جميـع الحقـوق والواجبات والمواريث..، وأنشأ مدارس الفنون للشباب والشابات، ومدارس لتعليـم الـرقص الشرقي والغربي، ومنع الحجاب وأخرج المرأة من بيتها وأدخلها في مناصب الدولـة، وأنشـأ المسارح المختلطة، وشجع الحفلات الراقصة...

حول المسـجدين العظيمـين – أيـا صـوفيا، ومسـجد الفـاتح – إلى متحفـين. ونصـب تماثيله في كل مكان.

ألزم النـاس الأذان باللغـة التركيـة، وألـزمهم تـلاوة القـرآن الكـريم باللغـة التركيـة لا بالعربية، وسمع مرة أذان الفجر من مسجد مجاور فأمر بهدم المئذنة.

أدخـل التقـويم الجريجـوري الغـربي محـل التقـويم الهجـري. وألغـى عيـد الفطـر والأضحى. وجعل يوم الأحد العطلة الأسبوعية بدل الجمعة. منع الحج، ومن الحجاب.

وخلاصة القول لقد كان يحكم وكأنه ليس في تركيا أحد.

كان يقول: أنا تركيا وتركيا هي أنا، أنا رئتها التي تتنفس بها، فكـل محاولـة لتـدميري هي محاولة لتدمير تركيا.

وهكذا استمر يدمر تركيا ويمسح عن وجهها هـذا الـدين – الـذي رفعهـا – لـتحكم خمسة قرون متتالية أراض لا تغيب عنها الشمس، وواصل تدميره لكل الأعمدة التي أقيم عليها صرح هذه الدولة المسلمة الشامخ إلى أن أصبحت تركيا في ذيل قافلة الرقيق في كـل مناحي الحياة.

وقد قامت ضد أتاتورك عدة ثورات أهمها ثورة الصوفية النقشبندية سنة 1924. ثم سنة 1930 ولكنه قمعهم بقسوة. كما قاومه الصـوفيون مـن الطريقـة التيجانيـة، وحركـة سعيد النور سي بالطرق السلمية والدعوة، فقمعهم أيضا. ثم تفرد في الحكم.

ثم أصيب أتاتورك بمرض الكبد بسـبب الخمـر وضـعفت ذاكرتـه وأصـيب بـالأمراض الجنسية المختلفة.

وفي أثناء مرض الموت استدعى أتاتورك السفير البريطاني (لورين) ليوصي له برئاسة الجمهورية التركية كما سبق !!!.

ويحدث الأتراك عن العذاب الذي كان يعاني منه أثناء مرضه العجب. وكان يصيح صياحا يخترق شرفات القصر الذي يقيم فيه (دولة باغجة) في القسطنطينية.

وأصبح جلدا على عظم، وسقطت أسنانه، وأوصى أن لا يصلى عليه صلاة الجنازة، وفي نوفمبر سنة (1938م) رحل أتاتورك من الدنيا ملعونا في السماء والأرض.

بعد أن دمر تركيا الإسلام، ومزق الأسرة، وحطم الأخلاق، وداس القيم، وانتهك الشعائر وحول المساجد إلى مخازن للحبوب..

يقول عرفان أوركا: (إن أتاتورك قد اقتنع بأن كفاحه يجب أن يوجه إلى الدين وكان يعتقد من صغره أن لا حاجة إلى الله، وكان يقول: إن قوة العقل والإرادة تتغلبان على قوة الإله، وكان في آخر عهده يرفع قبضته ويشير إلى السماء ساخرا مهددا).

تركيا بعد أتاتورك (1938- 2004م)

1. مات أتاتورك بعد أن خلف تركيا فقرا بلقعا، وكانت أعماله محط أنظار الغرب. فعض على إنجازاته التدميرية بالنواجذ وجيء بنائبه عصمت إينونو ليصبح رئيسا للجمهورية. فاعترف بإسرائيل سنة (1948م)، وبدأت أمريكا بزرع القواعد العسكرية فيها.
2. ثم أراد الغرب أن يسبر غور التجربة الكمالية في الشعب التركي. فأجبروا عصمت إينونو على إنشاء الأحزاب السياسية، فاختار إينونو (جلال بايار) وكلفه بتشكيل الحزب المعارض والحزب الديمقراطي، وكان يساعد جلال بيار عدنان مندريس فأصبح عدنان قطب الرحى في الحزب.
3. ثم دخلت تركيا حلف شمال الأطلسي سنة 1950وانتشرت فيها القواعد الأمريكية، وصارت تحت النفوذ الأمريكي واليهودي

4. ويشاء اللـه أن تحصل في هذه الفترة حادثة عجيبة لعدنان مندريس فبينما كـان ذات مرة يركب طائرة توقف أحد محركاتها وأعلن الربان حالة الخطر، فعاهـد منـدريس ربه لإن أنجيتني لأعيدن الإسلام إلى تركيا. واحترقت الطائرة وكـان الشـخص الوحيـد الذي نجا منها هو مندريس.
5. دخل الحزب الديمقراطي سنة (1950م) الإنتخابـات ببرنـامج عجيـب توقعـت لـه كـل الدراسات الأمريكية الفشل المطلق.

كان البرنـامج لا يتضـمن أكـثر مـن عـودة الأذان باللغـة العربيـة، والسـماح للأتـراك بالحج، وإعادة إنشاء وتدريس الدين بالمدارس، وإلغاء تدخل الدولة في لباس المرأة.

وقد بنى دعايته الانتخابية على أساس العودة التدريجية إلى الإسلام كمصدر أسـاسي لقوة الشعب التركي المتدين.

كانت النتيجة مذهلة، سـقط حـزب أتـاتورك إلى اثنـين وثلاثـين نائبـا، وفـاز الحـزب الـديمقراطي بثلاثمائـة وثمانيـة عشر مقعـدا، وكانـت دهشـة اليهوديـة العالميـة الماسـونية عظيمة حين اكتسح مندريس خليفة أتاتورك، ويومها صاح إينونو قائلا: لقد انتصر عـدنان مندريس بدعايته الدينية.

وتسلم عدنان مندريس مقاليد الحكم رئيسا للوزراء. وجلال بايار رئيسا للجمهورية، وشرع لتوه ينفذ وعوده التي بذلها للشعب أثناء عملية الإنتخابات.

واسـتجاب منـدريس لمطالـب الشـعب فعقـد أول جلسـة بمجلـس الـوزراء في غـرة رمضان، وقـدم للشـعب هديـة الشـهر الكـريم: (الأذان بالعربيـة وحريـة اللـبس وحريـة التدريس الدين و بدأ بتعمير المساجد).

وجاءت انتخابات عام (1954م) وهبط نواب حزب أتاتورك إلى (24) نائبـا، وسمح بتعليم اللغة العربية، وقراءة القرآن وتدريسه في جميـع المـدارس حتـى الثانوية وإنشاء عشرة آلاف مسجد، وأنشأ اثنـين وعشريـن معهـدا في الأناضـول لتخريج الوعاظ والخطباء وأساتذة الدين، وسمح بإصدار مجـلات وكتـب تـدعو

إلى التمسك بالإسلام والسير على هديـه، وأخـلى المسـاجد التـي كانـت الحكومـة السـابقة تستعملها مخازن للحبوب وأعادها أماكن للعبادة.

وتقارب مندريس مع العرب ضد إسرائيل، وفرض الرقابة على الأدوية والبضائع التـي تصنع في إسرائيل وطرد السفير الإسرائيلي سنة (1956م)، وفتح (25) ألف مدرسة لتحفيظ القرآن.

تحركت اليهودية العالمية ضد مندريس، وحركت أمريكـا والـدول الغربيـة الماسـونية في الجيش، فقام الجنرال الماسوني (جمال جو رسل) سنة (1960م) بـانقلاب وشـنق عـدنان مندريس وفطين زورلو، وحسن بلكثاني.

وكتب الصحفي اليهودي سامي كوهين: لقد كان السبب المباشر الذي قـاد منـدريس إلى حبل المشنقة سياسته القاضية بالتقارب مع العالم الإسلامي والجفاء والفتور التـدريجي في علاقتنا مع إسرائيل، ثم ضرب حزب العدالة.

1- في سنة (1965م) أجريت انتخابات مرة أخرى ربح فيها حزب العدالة بأغلبية ساحقة، وكان رئيسه سليمان ديميريل، وقـال إينونـو: أنـا لم يهزمنـي ديميريـل... بـل هزمتنـي جماعة النور الإسلامية الصوفية. أتباع الشيخ سعيد نورسي.

وحصـل حـزب العدالـة عـلى (263) مقعـدا مـن (450) مقعـدا وضـاعف ديميريـل مدارس الأئمة إلى (72) ومدارس تحفيظ القرآن إلى اثنتي عشر ألف مدرسة وتقرب للعرب وفترت علاقاته مع إسرائيل. واشترك بالمظاهرة الإسلامية ضد إسرائيـل في الربـاط فتحركـت أمريكا ومن ورائها اليهودية العالمية وحركت الجيش وجاء الإنقلاب العسكري الذي نحـي فيه ديميريل عن الحكم، ولكن لم يعدم بسبب أنه ماسوني.

2- و تزداد الديون على تركيا يوما بعد يوم، بالأضعاف إلى أن نسبة التضخم بلغـت (42% - 60%) سنة (1970م9 والبطالة (20%) والديون كانـت سـنة (1970م) (21) مليـار دولار، وفي سنة (1979م) أصبحت (17) مليار).

واستسلمت الحكومة للبنك الدولي وخفضت قيمة الليرة التركية إلى (8) مرات وفي سنة (1980م) ارتفعت نسبة الربا إلى (30%) أعلى نسبه في العالم.

3- ظهر حزب السلامة الوطني الإسلامي سنة (1972م) الذي كان يقوده الدكتور (نجم الدين أربكان) الحاصل على دكتوراه من جامعة ألمانية، والتف كثير من الشباب التركي حول هذا الحزب، ووقف الحزب ضد الغرب الصليبي بزعامة أمريكا، فطالب بالخروج من حلف الأطلسي وتحرير تركيا من القواعد الأمريكية، ووقف ضد إسرائيل، واليهود وعارض انضمام تركيا إلى السوق الأوروبية المشتركة، وطالب بإرسال كتائب من الجيش التركي لمساعدة المجاهدين الأفغان، كما أرسلت الحكومة جيشا يحارب مع أمريكا في كوريا.

4- وفي سنة (1972م) دخل المعركة الإنتخابية وفاز باثنين وأربعين مقعدا، وشارك في الحكم مع حزب الشعب الذي يرأسه أجاويد، وشرط أربكان أن يكون هو النائب لرئيس الوزراء وأن يكون له ثمانية من الوزراء في الحكومة التركية.

5- وفي هذه السنة غزت تركيا قبرص لحماية المسلمين الأتراك من فتك القبارصة اليونانيين النصارى، ولعب أربكان دورا مهما في قرار التدخل.

6- وبدأ الحزب يحاول إعادة تربية الأتراك على الإسلام، ففتح أبوب الحج للشعب فبلغ عدد الحجاج (150) ألف سنويا، وهذا رقم خيالي بالنسبة لما سبق. رغم أن عدد السكان كان زهاء خمسين مليون نسمة ! وافتتح الحزب (3000) مركز للتعليم في القرى و (3000) مدرسة لإعداد الأئمة والخطباء، ووضع خطة لإنشاء جامعة إسلامية، والتحق بمدارس الأئمة والخطباء ما يقرب من مائتي ألف طالب، وطالب الحزب بجعل العطلة الرسمية يوم الجمعة بدل الأحد، وإجراء عقود الزواج حسب الشريعة وبتعليم القرآن واللغة العربية في المدارس. وسيطر الحزب على الإتحاد العام لطلبة تركيا.

وفي (1980/9/7م) عمل الحزب مظاهرة تحت شعار يوم إنقاذ القدس، وحرق العلم الإسرائيلي وطالب بإقامة دولة إسلامية وحكم الشريعة الإسلامية. وهنا حركت أمريكا الجيش التركي وأقام كنعان إيفرين بالإنقلاب الأمريكي في (1980/9/12).

كما صرح بعض المسؤولين الأمريكيين، أن هناك مخاوف متزايدة من حكم إسلامي وبصورة تتعارض مع خط الزعيم التركي (أتاتورك) الذي أرسى دعائم الدولة العلمانية في تركيا، فالانقلاب التركي أنقذ تركيا من أن تتحول من دولة علمانية إلى دولة تحكمها التقاليد الدينية الإسلامية، ومدح و اينبرغر إفرين وزمرته وأعطوا تركيا سبعمائة وثلاثة مليون دولار.

واعتقل إفرين أربكان ورجال حزب السلامة وافتتح عهده بوضع إكليل من الزهور على قبر أتاتورك، واعتبر إيفرين وحكومته عام (1981) هو عام أتاتورك.

منع إفرين الملتحين من البقاء في الجامعات خاصة أكاديمية (سكا ريا) ومنع الحجاب.

7- في (24) إبريل سنة (1981م) مثل نجم الدين أربكان زعيم حزب السلامة الوطني هو وثلاثون من أعضاء الحزب أمام محكمة عرفية عسكرية، وقد قرأ المدعي العام العسكري لائحة الإتهام، أما الجرائم التي جاءت في لائحة الإتهام فهي:

أ. العمل على استبدال مبادئ الدولة القانونية والاجتماعية و الإقتصادية والسياسية بمبادئ تقوم على أساس الإسلام.

ب. قيام عدد من المنظمات الشبابية والطلابية والعمالية والمهنية والمرخصة والمرتبطة سرا بالحزب والتي تعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية في تركيا.

ج. اجتماعات الحزب وهتافات تكشف أهدافه، ومن هذه الهتافات (محمد قائدنا)، (سنحطم الأصنام ونقيم دولة الإسلامية)، ومن لافتاته. (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللـه فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (المائدة:44).

د. ترديدهم لذكر اللـه في اجتماعاتهم وتذكيرهم الأمة بأنها حاربت خلال تاريخها من أجل الإسلام لا من أجل أشخاص أو أبطال.

هـ إصرار أربكان على افتتاح مدارس تعليم القرآن في كل قرية وإصراره على فتح مسجد أيا صوفيا.

و. هاجم معاهدة لوزان وتغيير الحروف العربية واستبدال القوانين، وختم حديثه بأن تركيا اليوم جمهورية ملحدة.

ز. طالب الحزب بأن تكون الجمعة يوم العطلة الرسمية وأن يكون الزواج شرعيا. وقد طلبت النيابة العامة بسجن أربكان وإخوانه (14- 36) عاما.

تركيا بعد حكم الإنقلاب العسكري:

في مطلع التسعينات قبل العسكر بإعادة الديمقراطية وانتخب تورغوت أوزال لرئاسة الوزراء. ثم نجح في انتخابات رئاسة الجمهورية وحقق إصلاحات إقتصادية مشهودة.

وفي 1996 خاض حزب السلامة الإنتخابات تحت اسم (حزب الرفاه)، وحاز على أعلى الأصوات إذ حصل لوحده نسبة 22% من الأصوات، فقامت الدنيا، واستلم أربكان رئاسة الوزراء. وتعرض لضغوط دولية اضطر تحتها لتوقيع عدد من المعاهدات مع إسرائيل، ولم يرض العسكر والعلمانيون عنه مع ذلك، وحكمت عليه المحكمة الدستورية بحل الحزب ومنعه وكبار وعاونيه من مزاولة السياسة وحل حزب الرفاه.

وفي سنة 2003 عاد بعض الإسلاميين من بقايا الرفاه وغيرهم لتشكيل حزب يتبنى خطا علمانيا إسلاميا معتدلا جدا جدا في نظر الغرب بقيادة، (رجب طيب أردوغان) الذي كان من تلاميذ أربكان وكان واليا لبلدية استانبول، وكان رجلا ذائع الصيت مشتهرا بنزاهته وخدماته. وفاز الحزب الذي حمل اسم (حزب العدالة والتنمية) بـ (36%) من الأصوات بالانتخابات !!، فرضخ العلمانيون للنتيجة واعترفت أوربا بنزاهتها. وشكلوا حكومة ما تزال تتعرض للضغط والابتزاز من أمريكا والغرب، وتقوم بتنازلات شرعية ومبدئية

كثيرة. ولكن يشهد لها أنها استعصت على الأمريكان ولم تقدم كل الخدمات العسكرية المطلوبة منها، ولم تسمح للأمريكان بالمرور برا إلى شمال العراق من تركيا، وكان موقفا مشرفا (نسبيا) قياسا بما فعله خونة الحكام العرب أثناء وبعد احتلال العراق. وتشهد تركيا تجاذبا اجتماعيا وسياسيا كبيرا بين الإسلامية المتأصلة والعلمانية المتفشية. و يجب أن نذكر هنا أن الحكومة الحالية تقدم لأمريكا خدمات كبيرة في مجالات مكافحة الإرهاب ومطاردة الجهاديين من أتراك وغيرهم مما جعل تركيا هدفا لعمليات بعض التنظيمات الجهادية.

2. باكستان:

تقع باكستان في شبه القارة الهندية ويبلغ تعداد سكانها اليوم زهاء 140مليون نسمة. وقد دخل الإسلام في الهند إبان عصر الخلافة الأموية، واستطاع العباسيون استرداد النفوذ الإسلامي بالهند خلال العصر العباسي الأول بعد ثورة الهندوس ضد المسلمين. كما شهدت الهند قيام دول إسلامية متتالية مثل الدولة الغزنوية التي استطاع مؤسسها محمود الغزنوي أن يتوسع في شبه القارة الهندية على حساب الهندوس، وبذل جهودا جبارة تابعتها بعد ذلك الدولة الغورية من أجل نشر الإسلام، كما تلتها دول أخرى مثل دولة المغول التي أحرزت شهرة كبيرة في الفن والعمارة الإسلامية والتجارة . وعم الإسلام وحكم ثلثي القارة الهندية.

وفي أواخر عهد الدولة المغولية تعرضت البلاد للغزو الأجنبي من قبل البرتغاليين والفرنسيين والإنجليز.

وأسس الإنجليز شركة الهند الشرقية البريطانية منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي سنة (1009هـ). فناهضت النفوذ البرتغالي في الهند وفتحت المجال أمام احتلال الإنجليز لبعض أقاليم الهند.

اتبع الإنجليز سياسة إثارة الهندوس ضد المسلمين، وتمثل رد الفعل في ظهور حركات إسلامية تناهض بريطانيا، لكن الإنجليز قمعوا الثوار بوحشية وقسوة، وأعلنوا أن (الهند مستعمرة بريطانية) على إثر ذلك اندلعت حركات الجهاد

الإسلامية والمقاومة الوطنية. ثم بدأ التيار الإسلامي ينشط على يد بعض العلماء والمفكرين من أمثال محمد إقبال ومن السياسيين مثل محمد على جناح اللذين وطالبوا بتحرير المسلمين في الهند، وفي سنة (1324هـ) تأسس (حزب الرابطة الإسلامية) الذي أنشأ جامعة إسلامية في (دكا).

وخلال الحرب العالمية الأولى قام (غاندي) بمناهضة الاحتلال البريطاني سلميا، كما قام محمد علي جناح بدعوة إسلامية تدعو إلى العنف من أجل تحرير البلاد بدلا من سياسة غاندي المسالمة.

وفي سنة (1347هـ) قرر زعماء المسلمين بقيادة محمد علي جناح المطالبة بنظام اتحادي يمنح المسلمين في الهند حكما ذاتيا، فرفضه حزب المؤتمر الهندي بزعامة غاندي.

وفي سنة (1349هـ) طالبت (الرابطة إسلامية) بقيادة محمد إقبال بتأسيس دولة إسلامية في الهند برئاسة محمد علي جناح.

وفي سنة (1356هـ) أعلن محمد علي جناح تمسكه بتأسيس دولة إسلامية منفصلة في الهند أطلق عليها لأول مرة اسم (باكستان).

تلت ذلك فترة صراعات دموية بين المسلمين والهندوس، صمد المسلمون خلالها وظلوا متمسكين بمطالبهم حتى وافقت بريطانيا على استقلال الهند سنة (1366هـ)(1947) واعترفت بدولة باكستان في نفس العام.

ويعتقد أن جناح كان عميلا لبريطانيا. وهو من أصل إسماعيلي باطني، وما لبثت زوجته وأسرته أن تنصرت وقد أقام الباكستان على أصول إنكليزية دستوريا وسياسيا.

انضمت باكستان إلى هيئة الأمم المتحدة في منتصف شوال سنة (1366هـ) وكان محمد علي جناح أول رئيس لها. وبعد وفاته سنة (1367هـ) خلفه (الخوجا) نظام الدين الذي أعلن تطبيق الشريعة الإسلامية، ولكن ذلك لم يطبق.

وفي سنة (1376هـ) وضع أول دستور لباكستان على أسس التشريعات الإنكليزية المتناقضة جملة وتفصيلا مع الشريعة الإسلامية. وبمقتضاه أصبحت (جمهورية دستورية)، وكانت عاصمتها مدينة (كراتشي)، وتولى (إسكندر ميرزا) رئاسة الجمهورية ثم تنازل عنها للقائد العسكري (محمد أيوب خان).

وفي سنة (1385هـ) وقعت الحرب بين الهند وباكستان حول إقليم كشمير ذي الغالبية المسلمة.وهزمت الأخيرة فتنازل أيوب خان عن رئاسة الجمهورية لقائد الجيش (الجنرال يحي خان) سنة (1389هـ).

وفي سنة (1390هـ 1971م) أجريت الانتخابات وفاز فيها (حزب عوامي) برئاسة (مجيب الرحمن) الذي عارض (حزب الشعب) بقيادة (ذو الفقار علي بوتو) وعبر هذا الصراع عن صراع أعنف بين (باكستان الشرقية) و (باكستان الغربية) وفي سنة (1391هـ 1972) أعلنت باكستان الشرقية استقلالها فقامت الحرب الأهلية التي انتهت بإعلان رئيس حزب الشعب ذو الفقار علي بوتو رئيسا لجمهورية باكستان الغربية، بعد انفصال باكستان الشرقية التي تكونت بها دولة (بنغلاديش).

وفي سنة (1397هـ) قام انقلاب عسكري بقيادة (الجنرال ضياء الحق) على حكم ذو الفقار علي بوتو الذي أعدم فيما بعد.

وعمل ضياء الحق على تحكيم الشريعة تدريجيا، وقدم خدمات كبيرة للمجاهدين الأفغان، وخضعت باكستان في عهده للنفوذ الأمريكي، ولكن المطالب الأمريكية وتدخلها في شؤون الباكستان والأفغان كانت كبيرة، ولم ينفذها ضياء الحق كليا، فقد كان الرجل تحت تأثير قناعاته القومية وعاطفته الإسلامية. فاغتالته أمريكا وتولت أسرة بوتو (ابنته بنظير بوتو، وابنه مرتضى بوتو) تنفيذ العملية. بإشراف السفارة الأمريكية ثم عاد الحكم إلى حزب الشعب الذي تترأسه (بنظير بوتو) رئيسة وزراء باكستان. ثم خسرت الانتخابات أمام حزب جديد نشأ باسم (الرابطة الإسلامية) وتزعمه (نواز شريف). ورغم أن الباكستان خضعت كليا للسياسات الأمريكية في عهد بنظير وشريف، إلا أن أمريكا كانت تحتاج لحاكم عسكري عميل وقوي ينفذ سياساتها في باكستان

وأفغانستان بشكل ديكتاتوري. فرتبت لانقلاب عسكري على نواز شريف، أوصل الجنرال (برويز مشرف) للسلطة سنة 1997. ومنذ ذلك الوقت تحكم أمريكا باكستان حكما شبه مباشر.

وفي سنة 2001 قام مشرف بالمهمة الرئيسية التي جاء من أجلها، واعتمدت أمريكا عليه بشكل كلي في إسقاط نظام طالبان. وتصفية المجاهدين العرب، والباكستانيين، ومجاهدي وسط آسيا في مذبحة مروعة (راجع التفاصيل في كتاب - باكستان مشرف - المشكلة والحل والفريضة المتعينة).

ثم أجرى مشرف انتخابات صورية مزورة عين بها نفسه رئيسا دستوريا !، ثم أجرى مسرحية أخرى جاء بها ببعض الأحزاب للبرلمان، واشترك الإسلاميون في هذه المسرحية !!

يتابع مشرف اليوم خدماته الجليلة لأمريكا في اجتثاث الإسلام من باكستان، وسط ذهول وعجز من تيارات العلماء والإسلاميين الذين ضرب غالبيتهم فالج القعود أو عمى البصيرة، رغم قوتهم وكثرتهم. فقد أعلن مشرف يوم توليه السلطة أن قدوته هو أتاتورك محطم الخلافة في تركيا وماسح الإسلام منها. وما تزال باكستان تعيش تبعات هذا المخطط، والله المستعان.

3. إيران:

إيران كلمة مشتقة من اسم الشعوب الآرية التي هاجرت إلى الإقليم الواقع شرق العراق وحتى الحدود الغربية لبلاد التركستان في العصور القديمة.

وقد أطلقت كلمة " بلاد فارس" على هذا الإقليم في العصر الإسلامي. وقد أقام المغول " دولة الإيليخانين" في إيران التي ظلت تحكم معظم أقاليمها حتى قيام الدولة الصفوية الشيعية سنة (906هـ) التي يعد قيامها بداية لتاريخ إيران الحديث.

وكان مؤسس هذه الدولة هو الشاه إسماعيل الصفوي الذي استطاع أن يوحد البلاد ويقيم دولة على المذهب الشيعي الاثني عشري.

وقد دخلت الدولة الصفوية في صراع مع الدولة العثمانية السنية، وانتهى الأمر بهزيمة الصفويين في معركة "جالديران" سنة (930هـ).

ومن أشهر حكام الدولة الصفوية طهماسب ابن الشاه إسماعيل الذي رفض الاعتراف بالتبعية للعثمانيين. فحاربوه ودخلوا بغداد ثم تبريز عاصمة الصفويين سنة (941هـ).

وبعد موته خلفه ابنه الشاه عباس الكبير الذي شهد حكمه تدخل بريطانيا في شؤون إيران ونجح في استرداد بغداد و تبريز من العثمانيين. كما أسس مدينة عرفت باسمه هي " بندر عباس" صارت قاعدة تجارية هامة.

ولما ضعفت الدولة الصفوية ارتقى عرش إيران قائد من قوادهم هو " نادر شاه" سنة (1149هـ) الذي انتصر على العثمانيين، وطرد الروس من بعض المدن إيران التي استولوا عليها من قبل. كما توسع شرقا حتى بخارى وأفغانستان وهاجم دولة المغول في الهند وخرب عاصمتهم "دهلي".

وبعد مقتله سنة (1163هـ) استقلت الكثير من الأقاليم عن إيران كبلاد الأفغان وجورجيا وسيطرت روسيا على تركستان وحلت الفوضى والقلاقل بإيران. وظل الحال كذلك حتى قيام الدولة القاجارية سنة (1193هـ). ومؤسس هذه الدولة في إيران هو " أقا محمد خان" الذي استطاع القضاء على الفتن وأعاد وحدة إيران.

وفي عهد خلفه " فتح شاه" صارت إيران ميدانا للصراع الدولي بين فرنسا وروسيا وبريطانيا، إذا استولى الروس على بعض الأقاليم الشمالية من إيران، كما حصلت بريطانيا على امتيازات تجارية، كما استولت على بعض الأراضي في شرق إيران وضمتها إلى الهند.

وفي عهد "ناصر شاه" جرى اقتباس بعض مظاهر الحضارة الأوروبية،و اتبع خلفه الشاه مظهر الدين الذي تولى سنة (1314هـ) سياسة الأخذ بالحضارة الأوروبية. وبفعل ضغط المعارضة الوطنية أصدر دستورا للبلاد سنة (1324هـ).

ولما قامت الحرب العالمية الأولى أصبحت إيران ميدانا للصراع الدولي بين ألمانيا وتركيا من جهة وروسيا وإنجلترا من جهة ثانية. وبعد انتهاء الحرب عقدت معاهدة بين إيران وبريطانيا اعترفت فيها الأخيرة باستقلال إيران.

وفي سنة (1340هـ / 1922) قام أحد الضباط وهو " رضا بهلوي " بانقلاب عسكري، و تحررت إيران من الروس والبريطانيين.

وسار رضا بهلوي على نهج كما أتاتورك في تركيا، فاتجه إلى سياسة " التغريب " فأدخل النظم الغربية الحديثة كما ألغى الامتيازات الأجنبية، وأسس جامعة طهران سنة (1354هـ).

ولما قامت الحرب العالمية الثانية التزم رضا بهلوي موقف الحياد. لكن تآمر الحلفاء أدى إلى هجوم روسي إنجليزي تؤيده الولايات المتحدة على إيران، وتم خلع رضا بهلوي سنة (1363هـ / 1945) وخلفه محمد رضا بهلوي.

أعلن محمد رضا بهلوي الحرب على دول المحور، وقدم الحلفاء مقابل ذلك مساعدات اقتصادية وعسكرية إلى إيران. ثم دخلت إيران في النفوذ الأمريكي والبريطاني تماما. وصار الشاه شرطيهم في منطقة الخليج.

وبعد الحرب تعاون الروس مع "حزب توده" الشيوعي لإحداث المتاعب في وجه الشاه. لكن في سنة (1365هـ) تحسنت العلاقات مع روسيا وتم توقيع معاهدة سنة (1365هـ) انسحب الروس بمقتضاها من شمال إيران.

أما بريطانيا فقد حصلت على امتيازات التنقيب عن البترول في إيران، كما حصلت على امتيازات تجارية للإيرانيين وفق اتفاقية عقدت سنة (1367هـ). ورفع (محمد مصدق) لواء المعارضة ضد الشاه والإنجليز، وأقر المجلس النيابي تأميم صناعة النفط. واستعان الشاه بالجنرال زاهدي وأسند إليه رئاسة الوزراء، ونجح في إخماد الحركة الوطنية، وقبض على محمد مصدق وحكم عليه بالإعدام.

حمل " حزب توده " الشيوعي لواء المعارضة، ونجح الشاه في قمعه، كما قمع حركة فدائيان إسلام" ذات التوجه السياسي الإسلامي الشيعي، وولدت أحزاب

معارضة عديدة. وفي سنة (1375هـ) انضمت إيران إلى " حلف بغداد" الموالي للغرب وخصوصا الولايات المتحدة، فأثار ذلك الاتحاد السوفيتي.

حاول الشاه تحت هذه الظروف القيام بالإصلاحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فألغى الإقطاع، وأصدر قانون الإنتخابات، وعمل على استرضاء العمال عن طريق مشاركتهم في الأرباح، ونشر الثقافة الغربية في البلاد.

ومع ذلك ازدادت المعارضة الوطنية والإسلامية التي استطاع (الخميني) أحد رجال الدين الشيعة تزعمها وهكذا أطاحت الثورة الإسلامية الشيعية سنة (1398هـ / 1979) بزعامة "الخميني" بالنظام الملكي وأعلنت قيام الجمهورية الإسلامية في إيران. وما تزال تحكم إيران إلى اليوم.

4. أفغانستان:

وتقع في قلب وسط آسيا، وعاصمتها "كابول" وتحيط بها باكستان شرقا وجنوبا، و تحدها إيران غربا وبلاد تركستان الغربية شمالا.

وكان لهذا الإقليم الذي اعتنق سكانه الإسلام في العصر الأموي، دور هام في التاريخ والحضارة الإسلامية. وقد عرب بتعدد عناصر سكانه من عرب وترك وفرس ومغول، كما تعددت لغاته من عربية وتركية وفارسية فضلا عن "لغة البشتو" الأفغانية.

وقد تأسس بها عدة دول إسلامية في العصر العباسي منها الدولة السامانية و الطاهرية و الصفارية. كما قامت الدولة الغزنوية بهذا الإقليم ونجحت في نشر الإسلام في كثير من أقاليم بلاد الهند.

ثم تعرضت أفغانستان للغزو المغولي، ووقعت تحت حكم " التيموريين" وقد شهدت في عهدهم ازدهارا حضاريا وعمرانيا وفكريا. ثم اجتاحتها الدولة الصفوية، لكن أحد القادة الأفغان وهو "أحمد خان" استطاع أن ينفصل عنها ويؤسس حكما مستقلا سنة (1153هـ). وقد عرفت هذه الدولة لأول مرة في التاريخ باسم "الدولة الأفغانية" التي كانت "قندهار" عاصمة لها.

وفي عهد ابنه "تيمور شاه" نقلت العاصمة إلى "كابول" وامتد نفوذ دولتـه إلى الهنـد بعد الانتصار على " المهراتا " في معركة " باني بت ".

بوفاة تيمور شاه ضعفت الدولة الأفغانية، ونجح السيخ في الهند في انتزاع الكثير من ولاياتها الهندية.

وفي عهد " زمان شاه " الذي خلف والده تيمور شاه سنة (1207هـ) شب الصراع بين أفـراد الأسرة الحاكمـة، وحـاول اسـترداد أمجـاد دولتـه بعـد أن صـفا الجـو لـه، فاصـطدم بالإنجليز في الهند لذلك تآمروا عليه وأيدوا أخاه محمود شاه الذي تولى الحكم بـدلا منـه. وفي عهده شب الصراع بين أفراد الأسرة الحاكم حتى ظفر" دوست محمد " بالحكم ولقب نفسه بلقب " أمير كابول " دون أن يلقب بالشاه أو الملك لا هو ولا أحد من خلفائه.

ثم تنافست بريطانيا وروسيا للاستيلاء على أفغانستان ونجحت بريطانيا في احتلالهـا سنة (1255هـ). لكن عودة " دوست محمد " إلى الحكم أتاحـت لـه طـرد الإنجليـز سـنة (1257هـ) وأرغمهم على الاعتراف بسيادته على بلاده.

وفي سنة (1280هـ) توفي دوست محمد وخلفه ابنه " شير علي " وفي عهـده حاولـت بريطانيا بسط نفوذها على بـلاد الأفغـان " فاسـتعان بـالروس، وقامـت الحـرب الأفغانيـة الثانية سنة (1295هـ) بين شير علي وبريطانيا التي انتهت بهزيمتـه ووقـوع بـلاده فريسـة الاحتلال البريطاني.

لكن حركات الجهاد ومقاومة القبائل الأفغانية اندلعت ضـد الإنجليـز في عهـد عبـد الرحمن حفيد دوسـت محمـد، وتـدخلت روسـيا في الصراع الـذي انتهـى بعقـد معاهـدة بطرسبورج سنة (1325هـ) التي كـان مـن أهـم شروطهـا الاعـتراف باسـتقلال أفغانسـتان واحترام سيادتها.

وفي عهد خلفه " أمان الـلـه خان " عاد النفوذ البريطاني إلى أفغانسـتان مـرة أخـرى، فاندلعت الحرب الأفغانية الثالثة بين الطرفين سنة (1339هـ - 1921) وتمكن الأفغان مـن هزيمة الإنجليز هزيمة منكرة واضطروهم إلى الاعتراف باستقلالهم مرة أخرى.

وفي عهد أمان اللـه خان. جرت محاولة الاتجاه نحو العلمنة والأخذ بالنظم الغربية على طريقة مصطفى كما أتاتورك. فانـدلعت الثـورة الشـعبية الإسـلامية بقيـادة العلـماء. وتنازل أمان اللـه خان عن الحكم لأخيه عناية اللـه عام (1348هـ)، ونجـح أحـد قطـاع الطرق ويسمى " باجه السقا " في الاستيلاء على كابول وأعلن نفسه ملكا على بلاد الأفغان باسم " حبيب اللـه غازي".

وعاد القائد (محمد نادر شاه) ابن عم الملك المخلوع إلى البلاد واستولى على السلطة وأعلن نفســه ملكـا عـلى أفغانسـتان. وفي عهـده تأسـس الحـزب الـديمقراطي ذي الميـول الشيوعية سنة (1351هـ).

وبعد وفاته تولى ابنه الملك " محمد ظاهر شـاه " فـنهض بـالجيش، و حـاول إنشـاء نظام دستوري ونشر التعليم، ووثق علاقاته بالدول الإسلامية واتبع سياسات الانفتاح عـلى الغرب وكان كثير التردد على إيطاليا ودول أوربا.

وبـدأ التنـافس الـروسي الأمـريكي في أفغانسـتان، وتعـاظم الخطـر الـروسي، وحـاول الشيوعيون قلب نظام الحكم متعاونين مع السردار (محمد داوود) ابن عم الملك ونجحـوا في القيام بانقلاب سنة (1393هـ) ألغـى الملكيـة وأعلـن قيـام الجمهوريـة. وحكـم الـبلاد بطريقة دموية بالغة القسوة فقتل آلاف الناس!.

ثم نجح الشيوعيون في إحـداث انقـلاب عسـكري جديـد سـنة (1398هـ / 1980م) بزعامة " محمد نور تراقي". فقتل آلاف النـاس خـلال أيـام ! وأعـدم 29 ولـدا مـن أبنـاء داوود أمام عينيه، ثم ختم به وأعدمه رميا بالرصاص !!! فذاق داوود ما أذاق النـاس مـن القهر والقتل ! ثم نهج تراقي نهج الشيوعية الحمراء.

فانـدلعت المقاومـة وحركـات الجهـاد التـي اتخـذت طـابع الجهـاد الإسـلامي ضـد الحكومة الشيوعية، وتدخل الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة في " المسـألة الأفغانيـة "، فقام السوفيت بإعداد انقلاب آخر بزعامة " بابراك كارمل" المؤزر بـالقوات السـوفييتية التي تدخلت مباشرة في عملية غزو مكشوفة سنة 1979 م.

وانطلقت أحزاب المجاهدين تواجه روسيا وتلقت دعما إسـلاميا وعالميـا. مـما أدى لهزيمة الروس هزيمة منكـرة فانسـحب الـروس سـنة 1989. وكانـت هـزيمتهم

في أفغانستان إيذانا بانهيار الإتحاد السوفييتي وتفككه وتفكك حلف وارسو العالمي.

ثم تمكن المجاهـدون مـن إسـقاط الحكـم الشـيوعي خصوصـا بعـد انهيـار الإتحـاد السوفييتي سنة 1990 وسقوط الشيوعية العالمية وزوالها.

لكن فتنة الصراع بين الفصائل المختلفة من المجاهدين أوقع البلاد في حـروب أهليـة مابين (1992-1996)، بتدبير من أمريكا وبعض الـدول الأوربيـة، والإسـلامية وعـلى رأسـها باكسـتان والسـعودية. وراح ضـحية هـذه الحـرب زهـاء 40 ألـف مسـلم فـيهم خـيرة المجاهدين.

ثم ولدت حركة طالبان في قنـدهار أواخـر سـنة 1993. بزعامـة المـلا محمـد عمـر، وتمكنت من إقامة إمارة إسلامية أعلنت الحكم بالشريعة الإسـلامية بعـد دخولهـا كابـل سنة 1996. وصارت أفغانستان ملجأ للحركات الجهادية العربية والإسلامية. ودخل طالبان في صراع مرير مع تحـالف أحـزاب الشـمال مـن الأوزبـك و الفرسـوان و الهـزارة الشـيعة، وتدخلت القوى الدولية والإقليمية مرة أخرى..

إلى أن غزت أمريكا أفغانستان بمعاونة باكسـتان والسـعودية ودول الخلـيج وبعـض الدول الأوربية وإيران ! بعد أحداث سبتمبر الشهيرة، وأسقطت إمارة طالبـان في ديسـمبر 2001 وما تزال القوى الإسلامية المتعددة، والطالبان يخوضون غمار الجهاد من جديد ضد القوات الأمريكية وحلفائها إلى الآن.

5. دول وسط آسيا (تركستان):

تقع تركستان (بلاد الأتراك) في أسيا الوسطى وتحـدها مـن الشرق الصـين ومنغوليـا، ومن الغرب قـزوين ونهـر أورال، ومـن الجنـوب التبـت وكشـمير وباكسـتان وأفغانسـتان وإيران، ومن الشمال منغوليا وسيبيريا. وكان يتقاسمها بالاحتلال كل من الاتحاد السوفيتي السـابق والصـين الشـعبية، بموجـب معاهـدات عديـدة بـدأت بمعاهـدة " برشـينك" في أغسطس 1689 م. وانتهت بمعاهدة " سانت بتروسبورغ" في فبراير 1981م.

ويعرف الجزء الغربي الذي كان يحتله الاتحاد السوفييتي بتركستان الغربية ويتألف من خمس دول تبلغ مساحتها مجتمعة زهاء 5 مليون كم مربع !.أما الجزء الشرقي الذي احتلته الصين الشعبية فيعرف بتركستان الشرقية (سيانغ يانغ) كما أسماه الصينيون بعد احتلاله. وتبلغ مساحته زهاء (750 734.1) كم مربع.

الغزو الروسي لبلاد آسيا الوسطى الإسلامية ومراحله:

- كان الروس أمة وثنية ثم دخلوا النصرانية سنة 378هـ أي 988م.
- بعد فتح القسطنطينية من قبل العثمانيين سنة (857 هـ / 1452م) فر قساوستها إلى روسيا وصار الروس يمثلون الكنيسة الشرقية و يحملون لواء الصليبية في آسيا.
- ظهر إيفان الثالث سنة 885هـ / 1480ميلادية. وبدأ حروبه ضد التتار المسلمين وأبعدهم عن موسكو.
- خلفه حفيده (إيفان الرهيب) الذي اكتسح بلاد التتار المسلمين واستولى على حوض نهر الفولغا وفرض النصرانية على التتار فيها أو الهجرة.
- فرض إيفان النصرانية على بلاد المسلمين البشكير. فاستخفى أهلها بالإسلام نحو 300سنة وأعلن أحفادهم الإسلام عام 1905 على عهد القيصر الذي أعطى الحريات الدينية.
- انتزع إيفان سيبيريا من المسلمين عام 988هـ /1580م. ثم احتل بلاد القفقاس التي كانت تابعة للعثمانيين مستفيداً من نزاعهم مع الشيعة الصفويين في إيران.
- اعترف شاه إيران (نادر شاه) للروس بالسيطرة على بلاد القفقاس عام 1813م وأعلن أهل القفقاس الجهاد ضد الروس بقيادة شعب الداغستان وذلك 1722- 1859 م. فحاربوا الروس 137 سنة حتى خضعت القفقاس. ثم انطلق الروس إلى وسط آسيا بعد أن رأوا صعوبة الانتشار في أوربا. فقرر اسكندر الثاني قيصر روسيا عام 1273هـ/1856م أن وسط

آسيا هو مجال التوسع الروسي واتجهت القوات القيصرية إلى وسط آسيا اعتباراً من 1276هـ / 1859م.

- احتل الروس طشقند عام 1282هـ/1865م، وتوالى بعد ذلك سقوط المدن و الخانيات وهي (الإمارات الصغيرة).
- فسقطت سمرقند 1868م. ثم بخارى 1873م. ثم خوارزم 1874م. وواجه الروس مقاومة شديدة في خوقند، فدكوا المدينة وأحدثوا بها مذبحة رهيبة سنة 1876م. ثم سقطت مرو وبلاد التركمان بعد مقاومة عنيفة من 1873 م إلى 1874 م. وأتم الروس السيطرة على بلاد التركستان سنة 1900م وأصبحت حاضنة للإدارة العسكرية الروسية التي اتبعت فيها سياسة الستار الحديدي وحاولوا تنصير المسلمين.
- كان تحرك الروس وسقوط المسلمين سريعاً، وذلك رغم المقاومة الباسلة نتيجة عوامل عديدة أهمها النزاع القومي والفرقة العرقية بين أكثر من مئة عرق وجنس قومي يكونون نسيج المنطقة الإثني !. وكذلك التخلف وتدني مستوى التعليم والتسليح بين المسلمين. وكذلك ضعف الدولة العثمانية في استنابول وترهلها وعدم قدرتها على نجدة للمسلمين كما مر في تاريخها تلك الفترة.
- فرض الروس القياصرة سياسة البطش وفرضوا التخلف والجهل على البلاد ليسهل احتلالها.
- دبت الفوضى في دولة القياصرة مدة ربع قرن من (1905- 1928) واتسعت حركات التمرد السياسية التي أسفرت عن الثورة البلشفية بعد هزيمة القياصرة أمام اليابان وانهيار هيبتهم سنة 1904م ونتيجة كثرة الفساد الإداري والاقتصادي وسوء الإدارة في الأقاليم.
- بدأت الثورة البلشفية بحركة عمالية في مدينة بتروغراد في آذار سنة 1917م وعاد لينين (اليهودي) من سويسرا يحمل مبادئ الشيوعية التي نادى بها ماركس (اليهودي) أيضا. وتسلم السلطة ونادى الأقليات في الاتحاد

السوفيتي لمساعدته مقابل إنصاف الأعراق والأديان بوعود كاذبة جذابة خص المسلمين بقدر كبير منها واستحثهم حتى انضم كثير من المسلمين إلى ثورة البلشفيك سعياً منهم للثأر من طغيان القياصرة.

- ورغم بوادر خيانة الروس البلشفيك للمسلمين سيطرت حالة التشرذم والتفكك عليهم وسعى كثير من رجال الدين المسلمين والعلماء في الوقوف مع البلشفيك والسلطات الروسية وجروا وراءهم عوام المسلمين إلى الكفر والضلال والاحتلال !.
- استمر لينين في سياسة الخداع ووجه نداءات استعطاف وتعاضد مع المسلمين وانزل وثائق وبيانات استحثت المسلمين العثمانيين والإيرانيين ضد القياصرة وأرفق ذلك ببعض السياسات المنفتحة مع المسلمين مثل تسليم بعض الأوقاف والآثار الإسلامية لإدارتهم الدينية.
- مع ذلك لم يكن انخداع المسلمين بلينين كاملاً. فقد لاقت قواته مقاومة شرسة ولاسيما في بلاد التركستان وأوزبكستان ووادي فرغانة.
- حصلت ثورة أهلية إسلامية عارمة في منطقة الأورال وسيبيريا فهزموا الجيش الأحمر واستقرت تلك الثورة في وادي فرغانة وحاول العثمانيون مساعدتهم واستمرت تلك المقاومة من 1918- 1928م.
- بعد انهيار المقاومة دبت الفرقة والفساد في أوساط كثير من المسلمين التركستان و الأوزبك وانضم كثير منهم للأحزاب والجمعيات والمؤسسة الشيوعية والاشتراكية وحاول كثير من رجال الدين المسلمين التوفيق بين الشيوعية والإسلام والماركسية ولم يحل هذا دون حصول سياسة تصفية المسلمين على عهد لينين ثم ستالين حتى قضوا على من ناصرهم من المسلمين.
- خلف ستالين لينين واستمرت سياسة البطش الذي صار معلناً لاسيما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية التي أبلى بها المسلمون الرازحون تحت احتلال الاتحاد السوفيتي بلاءً عظيماً. ووقفت كثير من قيادات المسلمين الدينية

بصلابة مع الاتحاد السوفيتي وموسكو وستالين ضد الألمان في الحرب الثانية!!.

- استطاع ستالين أن يخدع كثير من القيادات الدينية الإسلامية المنافقة من أعلى ممثلي الإفتاء ووصولا إلى كثير من عوام المسلمين. وبعد انتهاء الحرب العالمية شن ستالين حرب إبادة على المسلمين في القفقاس وجهوريات وسط آسيا وبلغ ضحاياه أكثر من 20 مليون مسلم.نقل الملايين منهم ليموتوا في صحراء سيبيريا الجليدية حتى أكلوا جثث موتاهم ! ثم استمرت هذه السياسة بعده في عهود خروتشوف ثم خلفه بريجينيف ومن تلاهم، حتى تفكك الاتحاد السوفيتي بفضل الله ثم بفضل الجهاد الأفغاني ووقوف الأمة الإسلامية وطليعتها المجاهدة وقفة الدين والشرف في أفغانستان وذلك بهزيمتهم وانتهاء دولتهم سنة 1990 م.ولله الحمد.
- وصل غورباتشوف إلى الحكم بعد حركة الإصلاح (البروستريكا). وتفكك الاتحاد السوفيتي وزالت الشيوعية واستقلت شكلياً جمهوريات وسط آسيا. وربطتها روسيا معها بإدارة عسكرية وتواجد عسكري فعلي لاسيما على الحدود وخصوصاً في طاجيكستان وأوزبكستان و تركمانستان.
- ثم أنشئ بإشراف أمريكي رابطة دول وسط آسيا لمقاومة الإسلام الزاحف من أفغانستان.
- وعلى جبهة القفقاس ذاق الروس هزيمة منكرة على يد الشيشان ما بين 1994 و 1997. وأعقب ذلك استقلال الشيشان ثم احتلالها مرة أخرى وتهجير أكثر أهلها، وما يزال الجهاد فيها جاريا إلى الآن. وتلوح بوادر انتقال الثورة إلى الداغستان ثم سائر القفقاس لتلتقي مع أوار النار المضطرمة تحت الرماد أيضاً في منطقة ما وراء النهر ووسط آسيا قريبا إن شاء الله.

واقع جمهوريات آسيا الوسطى والمسلمون بعد تفكك الاتحاد السوفيتي:

تكون الاتحاد السوفيتي البائد قبل تفككه من خمسة عشر جمهورية اتحادية رئيسية وبلغ عدد سكانه مجتمعاً نحو 286 مليون نسمة، وشغل مساحة إجمالية قدرها 22 مليون كم2، وكانت نسبة عدد السكان المسلمين فيه نحو 75 مليون نسمة.

والمطلع على نسبة المسلمين في تلك الجمهوريات في أسيا الوسطى يندهش من الاكتشاف أن أكثر من نصف مساحته قائمة أصلاً على الجمهوريات الإسلامية الأصل، وأن معظم عواصمه الرئيسية كانت حواضر إسلامية قبل مائة سنة فقط، وأن ذلك امتد لأكثر من ألف سنة، فسبحان الله، ولعل الإحصائيات الرسمية التالية تبرز هذا وهي إحصائيات ذات دلالات سياسية وعسكرية مستقبلية بعيدة المدى.

فجمهوريات الاتحاد السوفيتي البائد حسب أهميتها ونسبة المسلمين فيها هي على الشكل التالي [1]:

أولاً: جمهورية روسيا الاتحادية: عاصمتها موسكو. مساحتها نحو 10 مليون كم2. عدد سكانها نحو 143مليون نسمة ونسبة المسلمين فيها تتراوح ما بين 10- 25 % من السكان.

ويتبع جمهورية روسيا الاتحادية عدة جمهوريات تقع في حوض الفولغا وهي:

1. جمهورية بشكيريا: عاصمتها (أوفا)، عدد سكانها 4.5 مليون نسمة ، نسبة المسلمين فيها 56%.
2. " تتارستان" عاصمتها (قازان) سكانها 4.5 مليون نسمة.نسبه المسلمين فيها 50%.

---

[1] (أخذت الإحصائيات من رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية المنورة عن أحوال المسلمين في وسط آسيا).

3. "مورد يفيا: " (شار نسك) 1.15 مليون. نسبة المسلمين 55%.

4. "ماري:" (يوشكارا اولا) 15،1 مليون نسبة المسلمين 52%

5. 5 "أورنبرغ: " (ألوينبرغ شكالوف) 250 ألف نسمة نسبة المسلمين 50%.

6. "أدمورت:" (أجنسيك) 1.850 مليون نسمة نسبة المسلمين 52%.

ويبتع جمهورية روسيا الاتحادية خمس جمهوريات ذات حكم ذاتي تقع شمال القفقاس وهي:

1.داغستان: عاصمتها (محج قلعة) وعدد سكانها 2.35 مليون. نسبة المسلمين 60%.

2.كبا رداي بلكار: عاصمتها(نالجيك 760 ألف نسمة. نسبة المسلمين 55%.

3. جمهورية قار شاي شركس: عاصمتها شركس. 450 ألف نسمة. المسلمين 60%.

4. أو ستينيا الشمالية: عاصمتها (اردجونيكرزي) مليون نسمة. المسلمين 55%.

5. الشيشان أنجوش: عاصمتها (جروزني) سكانها 1.73 مليون المسلمين 66%.

6. جمهورية الأديجا: عاصمتها (ماي كوب) 540 ألف نسمة. المسلمين 50%.

7. جمهورية سيبيريا: عاصمتها (أو مسك) 25 مليون نسمة نسبة المسلمين 25%.

هذا عن جمهورية روسيا الاتحادية ذاتها، ثم نأتي إلى الجمهوريات التي استقلت:

ثانياً: جمهورية روسيا البيضاء: عاصمتها (مسنك) مليون نسمة نسبة المسلمين غير محددة.

ثالثاُ: جمهورية أوكرانيا: عاصمتها (كييـف) وعـدد سـكانها 51 مليـون نسـمة بما في ذلـك سكان ولاية القرم (وعددهم 7 مليون) ونسبة المسلمين فيها 71% !!!

رابعـاً: جهوريـة لا تفيـا: عاصـمتها (ميلنـوس) وسـكانها 2.5مليـون نسـبة المسـلمين غـير معروفة.

خامساً: جمهورية استونيا: عاصمتها (نازلين) سكانها 1.15 مليون نسـمة. نسـبة المسـلمين غير معروفة.

سادساً: جمهورية مولدا فيا: عاصـمتها (كشـينوف) عـدد سـكانها 4 مليـون نسـمة نسـبة المسلمين 5%.

سابعاً: جمهورية ليتوانيا: عاصمتها (ريجا) سكانها 3.5 مليون نسمة وفيها 18000 مسلم.

ثامناً: جمهورية أرمينيا: عاصمتها (باريفان) وسـكانها 3.3 مليـون نسـمة نسـبة المسـلمين فيها 17%.

ويتبعها جمهورية نخجيفان بحكم ذاتي وسكانها 300 ألف نسمة عاصمتها ناجوان ونسبة المسلمين 95%.

تاسعاً: جمهورية جورجيا: وعاصمتها (تفليس) وسكانها 3.5 مليون نسمة نسـبة المسـلمين فيها 19% وتتبع جورجيا كل من:

جمهورية أبجازيا: عاصمتها (سوقوم) وسكانها 750 ألف نسمة نسبة المسلمين فيها 19%.

جمهورية أجاريا: عاصمتها (باطوم) وسكانها 450 ألف نسمة نسبة المسلمين فيها 40%.

عـاشراً: جمهوريـة أذربيجـان: عاصـمتها بـاكو وعـدد سـكانها 7.27 مليـون نسـمة، نسـبة المسلمين فيها 82% أكثرهم من الشيعة.

ثم جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية وهي:

أحـد عشر: جمهوريـة أوزبكسـتان: مسـاحتها 447.400 كـم2. عاصـمتها (طشـقند) عـدد سكانها 25 مليون نسمة، نسبة المسلمين فيها 88% من السكان.

إثنى عشر: جمهورية طاجيكستان: عاصمتها (دوشنبيه). وسكانها 5.5مليون نسـمة نسـبة المسلمين فيها 80%.

ثلاث عشر: جمهورية قيرغيزستان: وعاصمتها (بتشكيك) وسكانها 5 مليـون نسـمة. نسـبة المسلمين 73%.

أربعة عشر: جمهورية تركمانستان: عاصمتها عشق أباد، سـكانها 4 مليـون. نسـبة الإسـلام فيهم 86%.

خمسة عشر: جمهورية كازاخستان: وعاصمتها(المآتا)، وسكانها 17 مليون نسـبة المسـلمين 52%.

وقد استقلت الجمهوريـات الأربعـة عشر عـن الاتحـاد السـوفيتي الـذي لم يبقـى منـه إلا روسيا الاتحادية.

وخلاصة أحوال المسلمين في آسيا الوسطى بعد رحيل السيطرة الروسية:

1. استمرار العلاقـات الأمنيـة والعسـكرية مـع الجـيش والأمـن الـروسي لاسـيما عـلى الحدود مع أفغانستان.
2. ارتباط الدول الخمسة بإشراف روسي أمريكي في حلف دول وسط آسيا وهو حلف أمني عسكري لمواجهة مد الجهاد والإسلام القادم من أفغانستان.
3. حلول الاحـتلال والنفـوذ الأمـريكي اليهـودي الغـربي ومـا يتبـع ذلـك مـن سـيطرة اقتصادية وثقافية وحركات تبشير وتنصير مكان النفوذ الروسي الشيوعي السابق.
4. تحول الكوادر والأحزاب والشخصيات الشـيوعية الأساسـية إلى العمالـة للأمريكـان تحت مسميات جديدة قومية ووطنية وديمقراطية.

5. استمرار سياسة العداء للإسلام وبشكل سافر على يد المرتدين والشيوعيين من أبناء المسلمين في البلد بعد أن كانت هذه المهمة موكلة للاستعمار الصليبي الروسي. وبذلك شنت هذه الحكومات حرباً مكشوفة على الحركات والدعوة والنشاطات الإسلامية المختلفة كالمدارس ودور التحفيظ ومظاهر الالتزام. فطاردت بشكل خاص التوجهات الجهادية كما في عموم بلاد الإسلام تحت مسمى مكافحة الإرهاب
6. في طاجيكستان وصلت المواجهة مع الإسلاميين لحد الصدام المسلح وتمكنت الحكومة من تدجين الحركة الإسلامية الأساسية فيها وهي حركة النهضة فيما تستمر أجزاء من الحركة ذات التوجه الجهادي مسيطرة على مناطق وأجزاء من طاجيكستان.
7. في أوزبكستان ومع ميلاد بوادر جهادية وصلت لحد التخطيط لقتل رئيس الدولة وتنفيذ بعض الأعمال الجهادية العسكرية حصلت موجة من الاعتقالات تلتها محاكم صدرت فيها أحكام ظالمة بالإعدام على بعض المجاهدين وبالسجن على عشرات آخرين. وأثبتت هذه المواجهة الدعم والتعاون الأمني الإقليمي على مستوى الدول الخمسة والدولي بإشراف أمريكي حيث اعتقل العديد من هؤلاء المتهمين من دول متعددة وسلموا لحكومة أوزبكستان فوراً وذلك بفعل التعاون المباشر بين دول المنطقة وروسيا والأمريكان والنظام الدولي، خوفا من قفزة يحققها جهاد المسلمين إلى آسيا الوسطى بعد الانتصار الزاهر الذي حققوه في أفغانستان وأدى لقيام نواه حقيقية لدولة الإسلام المرتقبة ونهضة المسلمين العائدة المنشودة إن شاء الله.
8. قيرغيزستان: جرت المناورات العسكرية ضد الإرهاب والخوف من الهجوم المفترض لطالبان !رغم تشتت طالبان واختفائها وذلك أواسط سنة 2004 م.

9. تركمانستان: منعت بناء المساجد الجديدة وطباعة القرآن. ومنعت اللحى والحجاب، وأمرت الحكومة بكتابة هلوسات رئيس تركمانستان - في كتاب كتبه - على جدران المساجد إلى جانب القرآن أو عوضا عنه!

تركستان الشرقية المحتلة من قبل الصين:

فتحت تركستان الشرقية أول مرة على يد القائد المجاهد قتيبة بن مسلم حيث دخل إلى " كاشغر " وذلك في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك عام (96هـ/715م).

وفي نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي الأول في القرن الثالث للهجرة أسلم الخاقان سلطان الترك " ستوق بوغراخان " وسمى نفسه عبد الكريم، وتبعه في الإسلام أبناؤه وكبار رجال دولته، ومنذ ذلك اليوم أصبح الإسلام دينا رسميا للدولة، وبقيت تركستان دولة إسلامية مستقلة حوالي تسعة قرون، ومنذ ذلك الحين جميع أهلها مسلمون.

الاحتلال الصيني لتركستان الشرقية:

في القرون الثامن عشر الميلادي وقعت أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي فريسة للاستعمار الأوروبي والآسيوي. ففي أسيا اتفق المستعمران الروسي والصيني على تقسيم أرض المسلمين الأتراك من خلال عدة معاهدات. وسقط هذا الجزء المسلم في يد الصين بعد أن لقي (000. 200. 1) تركستاني مسلم حتفهم، ونفي (22000) عائلة تركية إلى داخل الصين ليذوبوا في شعوب الصين !.

الاستقلال التركستاني:

ثار المسلمون في تركستان الشرقية ضد الاستعمار الصيني والاضطهاد البوذي سبعة ثورة كبيرة عارمة. أثمر آخرها عام 1863 م عن تحرير تركستان الشرقية من الحكم الصيني وتكوين مملكة مستقلة في القرن التاسع عشر الميلادي، تشكلت حكومات محلية في خمس مناطق، وانضوت جميعها تحت حكم " أتاليق غازي يعقوب بك " الذي منحه السلطان العثماني لقب أمير المسلمين، وكان

أتاليق رجلا جيدا أنشأ المساجد والمدارس الإسلامية، ومازال عدد منها موجـودا حتـى الآن، ولكن الأطماع الاستعمارية لروسيا والصين تجددت. وبالفعل استولت القوات الصينية على تركستان الشرقية في عام 1878 م. وصدر مرسـوم في 18 نـوفمبر 1884 م بجعـل تركسـتان الشرقية مقاطعة. وتسميتها " سـنكيانج " أي المسـتعمرة الجديـدة وجعـل " أورومـتشي " عاصمة لها.

الاستقلال الثاني لتركستان الشرقية:

استمرت ثورات التركستانيين ضد الاستعمار الصـيني، وقتـل الكثـير مـن المسـلمين في سبيل خلاصهم وخلاص بلادهم من الحكم الصيني البوذي، وكانت الحكومة الصينية تقمع تلك الانتفاضات بكل وحشية وقسوة. وكلما زادت في اضـطهادهم وعنفهـا تجـد في أهلهـا الإصرار، حتى تمكن أحد أصحاب الاتجاهات الدينيـة وهـو " ثابـت دامـوللا " مـن تحريـر البلاد وتشكيل جمهورية تركستان الشرقية في كاشغر في نوفمبر 1933 م.

ولكن الوالي الصيني (شنغ شي تساي) قضى على الثوار وجمهـوريتهم في شـهر يوليـو 1934 م بمساعدة روسيا الخائفة من وجود هذه الدولة الفتية المسلمة في جوارها.

الحكم الصيني الشيوعي في تركستان الشرقية:

في عـام 1949 م أعلـن قائـد الجـيش الصـيني في تركسـتان الشرقيـة استسـلام الـبلاد وخضـوعها لـرأس الكفـر و الإلحـاد في الصـين " مـاوتسي تونـغ " زعـيم الحـزب الشـيوعي الصيني، ودخلت القوات الصينية الشيوعية تركستان الشرقية في أكتـوبر 1949 م. وبـذلك بدأ عهد جديد من الإرهاب والظلم في تاريخ تركستان الشرقية المسلمة.

مرحلة ما بعد ماوتسي تونغ:

تتميز هذه الفـترة بتحـول الشـيوعيين مـن تطبيـق سياسـة الإرهـاب المكشـوف إلى ممارسة سياسة تطبيق الشيوعية العلمية و (التصيين) الثقافي. ومن أبرز هذه الممارسات:

أولا: التضييق في ممارسة الشعائر الدينية والحيلولة دون انتشار تعاليم الإسلام وذلك لقطع صلة الأجيال الجديدة بهويتهم الإسلامية.

ثانيا: منع أفراد الشعب التركستاني من ممارسة حقوقهم الإنسانية المشروعة كالتعليم وحرية التعبير إلى جانب الاعتداء بالمطاردة والاعتقال بل والقتل.

ثالثا: مصادرة ثروات تركستان الشرقية وحرمان أهلها الأصليين من خيرات بلادهم، وفرض حياة الفقر والعوز عليهم وإهمال التنمية الاقتصادية في البلاد.

رابعا: خداع العالم بإقامة حكم ذاتي صوري لتركستان الشرقية يديره الصينيون من وراء الستار، وينفذه الموظفون التركستانيون العملاء التابعون لهم.

خامسا: إغراق تركستان الشرقية بالمهاجرين الصينيين وإحلالهم في أماكن سكن وعمل أهل البلد الأصليين.

سادسا: القيام بتنفيذ التفجيرات النووية في الأراضي التركستانية مما نتج عنه إفساد البيئة بالسموم ونشر الأمراض بين أفراد الشعب التركساني.

سابعا: إجبار أفراد الشعب التركستاني المسلم على تنفيذ سياسة تحديد النسل، وممارسة أقصى العقوبات مع المخالفين لهذه السياسة.

ثامنا: تشجيع الزواج بين التركستانيين والصينيين.

وما يزال المسلمون إلى اليوم يرزحون تحت هذا الحيف والجور والظلم، مما جعل بعضهم يحملون السلاح ضد الحكومة الصينية التي تطاردهم بضراوة، وقد لجأ بعضهم سنة 1997 إلى طالبان، وأعادوا إنشاء الحزب الإسلامي التركستاني. وقد قتل الكثير منهم إبان الغزو الأمريكي لأفغانستان مدافعين عن الإمارة الإسلامية سنة 2001. ثم قتل الجيش الباكستاني في مناطق سرحد الحدودية أميرهم (حسن أبو محمد التركستاني)مع رهط من رفاقه في شهر 11/ 2003. رحمهم الله تعالى وتقبلهم في الغرباء الفارين بدينهم، وجمعنا بهم في عليين.

6. إندونيسيا:

وهى أكبر الدول الإسلامية في تعداد السكان، إذ يبلغ عدد سكانها ما يزيد على 200 مليون نسمة، ويعتنق الإسلام منهم حوالي (92%) من عدد السكان، وقد انتشر الإسلام فيها عن طريق التجارة وحل محل الوثنية والبوذية. وتضم إندونيسيا مجموعة من الجزر الواقعية في جنوب شرق آسيا وأكبرها سومطرة، وجاوة، وبورنيو، وسيليبس، وتيمور، وجزائر الملوك، وغينيا الجديدة، وشبه جزيرة الملايو.

ونظرا لأهمية موقعها الإستراتيجي تعرضت للتنافس الاستعماري البرتغالي والهولندي والإنجليزي والأسباني والأمريكي، وكانت البرتغال سباقة إلى احتلال اندونيسيا، وقد اتبع البرتغاليون سياسة التبشير التي حولت بعض إلى المسيحية، ثم آلت إندونيسيا لحكم الأسبان الذين ورثو إمبراطورية البرتغال.

ثم استولى الهولنديون على البلاد سنة (1005هــ) وأقاموا شركة الهند الشرقية الهولندية سنة (1011هـ) التي اتخذت من (جاكرتا) مقرا لها.

وفي سنة (1226هـ)، استولت بريطانيا على البلاد ثم تقاسمت حكمها مع هولندا بموجب اتفاق بينهما عقد سنة (1229هـ).

اندلعت مقاومة سكان إندونيسيا ضد الاستعمار بزعامة الأمير عبد الفتاح الذي شكل جيشا من الفدائيين وبنى أسطولا قويا أثار المتاعب في وجه الهولنديين.

وفي القرن الثالث عشر لم تتوقف المقاومة فاندلعت حرب طويلة كبدت الهولنديين خسائر فادحة.

تأسست عدة أحزاب إندونيسية بعد الحرب العالمية الأولى مثل (الجمعية المحمدية) وحزب (شركت إسلام) و (الجمعية العائشية) الخاصة بالسيدات، و(حزب جاوة الفتاة) و(جمعية اتحاد علماء المسلمين) وغيرها ومعظمها ذات طابع إسلامي جهادي، ثم تبلورت هذه الجمعيات والأحزاب في حزبين رئيسين هما (حزب القمصان الخضراء) وحزب (القمصان الحمراء)، كان الحزب الأول

يلجأ إلى أسلوب المفاوضات لتحقيق الاستقلال أما الحزب الآخر فقد اتخذ أسلوب الجهاد المسلح وتحول إلى (حزب شيوعي) وخلال الفترة ما بين الحربين تأسس (حزب إندونيسيا العظمى) و (الحزب الوطني) بزعامة سوكارنو اللذان نجحا في إرغام هولندا على تخفيف سياسة العنف والابتزاز الاقتصادي.

ولما قامت الحرب العالمية الثانية استولت اليابان على إندونيسيا سنة (1361هـ) فاندلعت حركة المقاومة الوطنية برئاسة أحمد سوكارنو ومحمد حتا، كما تأسس حزب إسلامي يسمى (حزب الله) واشترك الجميع في مواجهة الاحتلال الياباني.

ولما انتهت الحرب أعلنت اليابان استقلال إندونيسيا سنة (1364هـ) وبعد انسحاب اليابان اشتركت إنجلترا وهولندا في حملة على إندونيسيا تمكنت من الاستيلاء على بعض الجهات والمدن الهامة في سومطرة وجاوة، ومع استمرار النضال أرغمتها على الاعتراف باستقلال إندونيسيا وفق اتفاقية عقدت سنة (1366هـ) لكن هولندا لجأت مرة أخرى إلى غزو البلاد سنة (1368هـ) وألغت اتفاقية سنة (1366هـ)، ونتيجة للضغط الدولي جرى عقد مؤتمر لاهاي سنة (1369هـ) الذي أسفرت عن إنهاء الاستعمار الهولندي.

ثم حدث صراع بين الأحزاب ذات الميول الشيوعية والأخرى الإسلامية وأسفر الصراع عن انقسام إندونيسيا إلى حكومتين إحداهما سوفيتية ومركزها (ماديون) والأخرى وطنية ومركزها (جاكرتا)، ثم اتحدت الدولتان سنة (1369هـ) تحت اسم (جمهورية إندونيسيا) برئاسة أحمد سوكارنو.

قام انقلاب شيوعي سنة (1385هـ)، لكن وزير الدفاع كلف الجنرال (سوهارتو) بمواجهة الانقلاب الذي أيده أحمد سوكارنو.

وتحت ضغط القوى الوطنية الإسلامية أرغم سوكارنو على التنازل عن الحكم سنة (1386هـ - 1968) وتولى الجنرال سوهارتو رئاسة الجمهورية.

ثم تدهورت أحوال البلاد بسبب فساد سوهارتو وأسرته..وحصلت اضطرابات كثيرة. وأدت إلى اعتماد الإصلاحات السياسية والانتخابات التي

تنازعنهـا أحـزاب علمانيـة وشخصـيات مدنيـة وعسـكرية، ومـا تـزال هـذه أحوالهـا إلى اليوم.حيث آلت رئاسة الجمهورية في الإنتخابات الأخيرة 2004 إلى جـنرال عسـكري تعهـد في خطاب فوزه بمكافحة الإرهاب بالتعاون مع أمريكا وأستراليا.!!

تعرضت البلاد وما تزال لحركة تنصير قوية منذ مئـات السـنين، وقـد اشـتدت خـلال القرن الأخير، وقد قرأت في بعض التقارير الإحصائية لبعض المؤسسات الإسلامية السعودية سنة 1992أن عدد الذين تنصروا في أندونسيا يبلغ زهاء 30 مليون نسمة !.

ونظرا لكبر البلاد وتطورها الصناعي وانتشار الصحوة الإسلامية القوية فيهـا، تتعـرض إندونيسيا لمؤامرات لتقسيمها، وقد نجحت الدول الأوربية بدعم حركات النصـارى الـذين نصروهم عبر سنين الإحتلال ثم الإستقلال، بفصل تيمور الشرقيـة عـن إندونيسـيا، وتشـهد جزر الملوك أعمال قتال بين المسـلمين والنصـارى الـذين قـاموا بـأعمال وحشـية، فـأحرقوا البيوت، وصوروا بعضهم وهم يأكلون لحـوم القـتلى مـن المسـلمين نيئـة ومشـوية ! وقـد انتعشت مؤخرا في إندونيسيا وماليزيا وتايلانـد ومـا جاورهـا مـن دول شرق آسـيا صـحوة إسلامية قوية تحولت للجهاد والمواجهة للمصالح الأمريكية والغربية والأسترالية، مما جعل تلك البلاد هدفا للحملات الأمريكية المسعورة تحـت دعـاوى مكافحـة الإرهـاب.أن اللــه إخواننا ونصرهم.

7. ماليزيا:

مملكة إسلامية معاصرة تضم شبه جزيرة من الملا يو وشمال جزيرة بورنيـو وتتـألف من ثلاثة عشرة ولاية. وقد انتشر الإسلام في ماليزيا عن طريق التجارة، ففي عام (675هــ) أسلم ملكها باسم (سلطان محمد شاه) وتبعه رعاياه وكانت البلاد مـن قبـل قـد تعرضـت للاستعمار البرتغالي عام (918هـ) ثم حل محله الاستعمار الهولندي سنة (1051هـ).

وفي سنة (1201هـ) وقعت البلاد تحت الحكم البريطاني وفي سنة (1360هـ -1940) اجتاحت اليابان البلاد، ثم انسحبت منها بعد الحرب العالمية الأولى وعاد الاستعمار البريطاني الذي أقام اتحادا بين المحميات البريطانية في الملايو.

وفي سنة (1375هـ) صدر الدستور وتألفت جبهة ائتلاف برئاسة (تنكو عبد الرحمن) استطاعت أن تحصل على الاستقلال سنة (1376هـ).

وفي عام (1383هـ) تأسس اتحاد يضم الملايو وسنغافورة وشمال بورنيو عرف باسم (اتحاد ماليزيا) وفي عام (1385هـ) خرجت سنغافورة عن دولة الاتحاد.

قامت نهضة معاصرة في ماليزيا متأثرة بالنموذج الياباني، فتحولت إلى دولة صناعية مزدهرة. وتشهد ماليزيا صحوة إسلامية و جهادية واعدة هذه الأيام فتح اللـه عليهم.

ونكتفي بهذه النماذج من الدول العربية والإسلامية، فالقصة متكررة، وبسيطة، وخلاصتها:

احتلال الدول الأوربية وغيرها لبلاد المسلمين بالتدريج منذ القرن السابع عشر..وتصاعد ذلك بعد انهيار الدولة العثمانية. ثم قيام حركات مقاومة وجهاد لذلك الإحتلال، ثم نشوء أحزاب علمانية وقوميو ويسارية..استولت على جهود الجهاد، ورتب المستعمرون لهم استلام الحكم بعد الإستقلال، فحاربوا الإسلام ونهبوا البلاد وأذلوا العباد لصالح أسيادهم. ثم ورث الروس والأمريكان النفوذ الإستعمار، واستمرت المأساة وازدادت ضراوة.

ثم لما انفردت أمريكا بالسيطرة على العالم منذ 1990، سيطرت على أولئك الحكام وأخضعتهم، وبعد إحداث سبتمبر 2001، ازدادت الكارثة، وتحولت لكابوس على المسلمين جراء تحالف أولئك الحكام المرتدين مع أمريكا ضد شعوبهم عامة والمسلمين الملتزمين خاصة، تحت دعوى مكافحة الإرهاب.حيث أعلنت أمريكا بقيادة جورج بوش الحملات الصليبية اليهودية الجديدة

مفتتحة ذلك باحتلال أفغانستان ثم العراق. حيث تستعد للمراحل التالية فيما يجاورها.

وبعد ما مر من الاستعراض السريع لأهم محطات التاريخ الإسلامي، وأهم الممالك والدول التي قامت عبر ذلك التاريخ، وقبل أن نزدلف إلي الفصل التالي الذي سندرس فيه دراسة تحليلية محطات الصراع مع الروم، وملامح ذلك الصراع، ومعادلات القوى فيه، وذلك من أجل البحث عن مسببات النصر والهزيمة في مراحل ذلك الصراع. نرى من المفيد بل الضروري أن نعرض قبل ذلك لفكرة سريعة عن تاريخ هؤلاء الروم، والمحطات الرئيسية للدول والممالك التي حملت رايتهم عبر التاريخ، وإلى أيامنا هذه. وكذلك عن خلاصة مسار صراع المسلمين مع الروم منذ البعثة النبوية وإلى أيامنا هذه.

لأن أهم المعلومات اللازمة لنا بعد معرفتنا بأنفسنا وتاريخنا ومحطات نصرنا وهزائمنا وأسباب ذلك..، أن نعرف ما يمكن من مثل ذلك عن عدونا. لنعرف نقاط ضعفه وقوته وندرس تاريخ صراعنا معه، ومعطيات وأسباب النصر عليه بإذن الله.

نبذة سريعة وموجزة عن تاريخ الروم

(600 قبل الميلاد – 2004 ميلادية)

بدأ تجمع قبائل الرومان القدماء في السهول الشرقية لشبه الجزيرة الإيطالية. وهناك بنوا النواة القديمة لمدينة روما، خلال القرن السادس قبل الميلاد.

ونتيجة لضيق السهول الزراعية من حولها، خاضت تلك القبائل داخل شبه الجزيرة صراعا داميا على موارد الرزق، مما أكسبها مراسا في القتال ودفعها للانتشار خارج الجزيرة والتمدد برا في أوروبا وبحرا على طول سواحل البحر المتوسط.

ورث الرومان عن اليونان حضارتهم التي انهارت، وورثوا معظم مكوناتها. فورثوا دينها وآلهتها، كما ورثوا فلسفة اليونان ونظامهم السياسي والاجتماعي الذي يقوم على نظام الطبقات (الأشراف ـ العبيد ـ العامة). كما

طوروا نظامهم الديمقراطي واخذوا عنه أسس حضارتهم التي تعتبر امتدادا لحضارات اليونان من حيث الخصائص العامة.

ولكونهم نشؤوا على سواحل البحر، بنى الرومان الأوائل أسطولا تجاريا جابوا به موانئ المتوسط شرقا وغربا. وسرعان ما أغرت القوة والأطماع ملوك الرومان الأوائل لبناء أسطول عسكري قوي يسيطرون به شيئا فشيئا على سواحل ذلك البحر الذي عرف لاحقا ببحر الروم. حيث غزت جيوشهم برا وبحرا كامل البلاد التي حوله، لينشئوا مع الوقت إمبراطورية استعمارية عتيدة ضمت كامل أوروبا وبلاد اليونان وغرب بلاد الأناضول وبلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا. ووصل سلطانهم إلى القرن الإفريقي وبلاد الحبشة.

بهذا التمدد أصبح الرومان على تماس وصراع مع الإمبراطورية القوية الأخرى في الشرق وهي (فارس). حيث كانت الأناضول (تركيا) وحدود الشام على العراق مسرح صراع طويل ومرير بين الإمبراطوريتين استمر إلى قيام الحضارة الإسلامية التي أزالتهما معا عن المشرق.

كما ذكرنا فقد بقي الروم على دينهم الوثني إلى أن جاء المسيح عليه السلام بدين النصرانية، وتولى أحبار اليهود تحريض الحاكم الروماني في فلسطين عليه وعلى أتباعه، وسعوا في قتله وغدروا به، فرفعه الله تعالى:

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللـه وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾ (النساء:157).

فطاردوا أتباعه على مدى أكثر من قرنين من الزمن، تولى أحبار اليهود خلالها تحريف الدين الجديد. وساح أتباع المسيح عليه السلام وحواريوه وتلاميذهم في الأرض مطاردين، وأقام لهم الرومان المذابح في كل مكان فروا إليه، كما جاء ذكر بعض ذلك في القرآن الكريم في قصة أصحاب الأخدود وأصحاب الكهف. واستمر ذلك إلى أن بلغ أوجه في عصر الإمبراطور(دقليديانوس) الذي بطش بالنصارى بطشا شديدا حتى، سمي

عصره في التاريخ المسيحي بعصر الشهداء. وهو الإمبراطور الذي خرج في عهده أصحاب الكهف أواخر القرن الثالث الميلادي والله أعلم.

وشيئا فشيئا ازداد أتباع النصرانية في أنحاء الإمبراطورية الرومانية. وخلف الإمبراطور (قسطنطين) سلفه (دقليديانوس). وكانت زوجة قسطنطين نصرانية، فاعترف بالديانة النصرانية ديانة رسمية ثانية إلى جانب الوثنية، وهدأت مطاردة النصارى. ثم ما لبث قسطنطين أن تنصر وزالت الوثنية لتصبح النصرانية دين الرومان منذ مطلع القرن الرابع الميلادي وإلى اليوم.

لما تبنى قسطنطين النصرانية، وجدها مشتتة على مذاهب كثيرة، نتيجة انتشار الحواريين وسرية أتباعهم وخلط الأحبار، فطلب إليهم أن يجمعوا الأناجيل الكثيرة ويختصروها في كتاب واحد تعتمده الإمبراطورية. فانعقد المجمع النصراني الأول حيث وجد الأحبار والرهبان أمامهم زهاء أربعمائة إنجيل مختلفة الروايات يعود أقربها تاريخيا إلى المسيح إلى نحو مأتي سنة بعد رفعه عليه السلام واعتقادهم بصلبه، وذلك نتيجة البطش وتناقل أحبار النصارى روايات الإنجيل مشافهة خوفا من كتابتها خشية الرومان. فلما كتبت بعد قرنين من رفع المسيح أو أكثر،حوت كثيرا من الخلط نتيجة دس الرواة وتقادم العهد وهذا هو السبب الأساسي في تحريف الإنجيل، الذي تتابعت عملية تحريفه من قبل رجال الكنيسة زمن الرومان وبعده. وهكذا خرج المجمع الكنسي الأول بأربعة أناجيل معتمدة هي أناجيل (لوقا، ويوحنا، ومتى، مرقص).

كان (بطرس) أحد كبار أحبار اليهود المعادين لدين المسيح وأتباعه حيث تولى تعذيب من قدر عليه بالتعاون مع الحاكم الروماني في فلسطين، ثم زعم أنه تنصر وأن لديه تكليفا ببناء الكنيسة الكبرى على صخرة روما فذهب إلى هناك وأقام الكنيسة التي تطورت لتكون الفاتيكان وتصبح مقر باباوات النصارى إلى اليوم.وإلى بطرس هذا يعود تشويه وتحريف كثير من عقائد النصارى (وخاصة في المذهب الكاثوليكي) وهكذا أصبحت مذاهب النصرانية خليطا من تعاليم المسيح والأصول اليهودية وما بقي من أثار الوثنية الرومانية الإغريقية الأصل.

حيث سادة عقيدة التثليث، و الأقانيم الثلاثة (الأب والابـن والـروح القـدس) كـما يـدجل النصارى ويفترون على الـلـه الكذب، سبحانه وتعالى عما يشركون.

وتبنى النصارى عقيدة صلب المسيح، وأقاموا دينهم على هـذه الفريـة الكبرى. ثـم سيطر المذهب الكاثوليكي الذي تولى أصحابه برئاسة بابا روما ودعم إمبراطورهـا مطـاردة باقي المذاهب النصرانية التي لم تؤمن بألوهية المسيح وغير ذلك مـن الأباطيـل، وبطشـت بهم بأقسى أساليب البطش وأنهت وجودهم.

الأمر المهم الثاني الذي فعله قسطنطين بعد إدخال النصرانية وتوحيد الأناجيـل، أنـه بنى مدينة القسطنطينية، في مكان اختاره في إحدى رحلاته في منطقة القرن الذهبي عـلى مضيق البوسفور الذي يصل البحر الأسود ببحر مرمرة، وهي مدينة إسلام بول (اسطنبول) اليوم. واتخذها قسطنطين عاصمة ثانية للامبراطورية بعد روما وكان ذلـك بدايـة انقسـام الروم إلى شرقيين وغربيين وكان انقساما سياسيا وحتى مذهبيا.

بعد موت قسطنطين خلفه إمبراطور آخـر رأى اتسـاع الإمبراطوريـة الرومانيـة التـي شملت كامل أوروبا وضفاف البحر الأسـود ومعظـم الأناضـول وبـلاد الشـام ووادي النيـل والحبشة وشمال إفريقيا. فرأى تقسيمها إداريا إلى أربعـة أقسـام لكـل قسـم منهـا حـاكم مستقل الإدارة. وبعد موت الإمبراطور تحول هذا التقسيم إلى ولايتين شرقيتـين عاصـمتهما القسطنطينية تضـمان شرق أوروبـا وشرق وجنـوب المتوسـط وغربيتـان تشـملان معظـم أوروبا الغربية وعاصمتهما روما.

أواخر القرن الرابع الميلادي حصلت هجرات بشرية واسعة مـن وسـط آسـيا باتجـاه غربها، فتدافعت القبائل وأجلى بعضها بعضا عن أراضيها، مما دفع بكثير منهـا إلى العبـور إلى شمال شرق أوروبا، وعرف ذلك بغزوات البرابرة الذين نزلوا إلى شمال أووربا من جهـة الدول الإسكندنافية. وكـان مـن أبـرز تلـك القبائـل، قبائـل الجرمـان والألمـان والتشـيك و السلاف و الغال و القـوط و الآلان و الهـون و الونـدال.... وامتـازت تلـك القبائـل بالبـأس والوحشية في هجماتها ذات الطابع البربري. ولم تعرف تلك الشعوب الوثنية الرعويـة مـن أوجه الحضارة إلا القتال والتدمير.

أتعبت تلك الغزوات وأعمال السلب والنهب التي مارسها البرابرة على شمال شرق الإمبراطورية الرومانية الأباطرة واستنزفت كثيرا من قوتهم فيما كانوا منهمكين في صراعهم التاريخي مع الفرس في المشرق. واضطر إمبراطور الروم إلى أن يعرض على تلك القبائل أن تستوطن شمال شرق أوروبا، ويكون لها حقوق السكن والزراعة والصيد شمال نهر الدانوب، لعله يستريح من هجماتهم. فاستقروا فترة ثم ما لبثوا أن اتخذوا من هذه المنطقة منطلقا للهجوم على غرب أوروبا.

وبرز (أتيلا) زعيم قبائل الهون الشرس، الذي قاد جيوشا جرارة بلغ أن يهجم في بعض معاركة بربع مليون فارس ! وكان شعار رايته خنجرا مغروسا في الأرض كتب تحته: (الأرض التي تطؤها خيلي لا ينبت فيها العشب) !.

وأسفرت هجماته في النهاية عن سقوط روما أواسط القرن الخامس الميلادي وبالتالي اندفعت قبائل البرابرة لتستوطن غرب أوروبا ولتستقر كل منها في ناحية من نواحيها مكونة الأساس القديم للدول الأوروبية القومية الحالية. فسكن الغال فرنسا وسموا بالفرنجة. وسكن الجرمان والألمان حوض الراين (ألمانيا). وسكن الآلان (إيطاليا). وسكن القوط (أسبانيا). وسكن الوندال جنوبها وإليهم نسبت أرضهم باسم (وندالوس) يعني أرض الوندال، والتي صارت مع الوقت (الأندلس).

ومع الوقت اختلطت هذه الشعوب بالرومان وشعوب تلك البلاد الأصلية، وتزاوجت معها ثم تنصرت. وقام لتلك الدول ملوك وحضارات مستقلة، وتبع الجميع روما وبابا الفاتيكان كمركز للإشعاع الديني لكل أوروبا. فيما بقي شرق أوروبا موحدا حيث يقوم قيصر الروم بحكمها ويسيطر على قسم من الأناضول وبلاد الشام ومصر والحبشة وأجزاء من شمال أفريقيا حيث صار للروم الشرقيين الذين سموا (البيزنطيين)، صار لهم مذهبهم المستقل وكنيستهم الـ(أرثوذوكسية). وتحولت بعض الممالك في أوروبا إلى الحجم الإمبراطوري كألمانيا وفرنسا وأسبانيا. فيما قامت ممالك أخرى في إيطاليا

والبرتغال وإنجلترا على النظام الإقطاعي حيث تحالف الملك والنبلاء والكنيسة خلال تلك العصور الوسطى.

وهكذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 610 ميلادية، وكانت هذه أحوال النظام الدولي آنذاك. الفرس في العراق وإيران وحوض قزوين وأجزاء من أفغانستان والسند، والروم البيزنطيين وملوك أوروبا يتقاسمون الغرب وحوض المتوسط. وقامت دولت الإسلام وتحققت نبوءته صلى الله عليه وسلم حيث أخبر فيما روي عنه:

(ثم فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها أبدا، والروم ذات القرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن أهل صخر وأهل بحر هيهات لآخر الدهر،هم أصحابكم ما كان في العيش خير).

فزحفت جيوش المسلمين لتدخل فارس بمكوناتها في حضارة الإسلام، ولتنتزع من ملك الروم كامل مستعمراتهم شرق وجنوب المتوسط. وليؤول النظام الدولي كما بينا في الفصل السابق، صراعا بين المسلمين والروم.

خلال القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلادي أغرى ضعف المسلمين الروم. وبتشجيع من بابا الفاتيكان الذي التقت نداءاته مع مصالح ملوك أوربا الإقتصادية ومشاكلهم الداخلية وفيما بينهم، انطلقت الحملات الصليبية الأولى من أوربا الغربية، وساهم فيها ملوك أوربا وعلى رأسهم ملوك إنجلترا وفرنسا وألمانيا، وعاونهم قيصر القسطنطينية بالعتاد وبالأسطول البحري.

استمرت الحروب الصليبية نحو قرنيين ونيف، ولم تنقطع خلالها الحروب الداخلية بين الممالك الأوربية، وكذلك الصراعات الدامية بين نبلاء أوربا وأمراء الإقطاعيات وبين ملوكها، وكذلك بين الملوك والباباوات المتعاقبين. وكذلك بين الروم الشرقيين ومن جاورهم من ممالك أوربا الشرقية. وباندحار الحملات الصليبية كما سنبين في الفقرات اللاحقة من هذا الفصل. عادت جيوش أوربا من المشرق تحمل معها روح الحضارة الإسلامية وعلومها الإنسانية

والعلمية، وخلاصة ما حفظته من حضارات الشرق التي صهرتها حضارت الإسلام ونقلت خلاصتها، كحضارات الهند وفارس و التركستان وتخوم الصين.

وخلال تلك العصور الوسطى (من القرن الخامس، وإلى القرن الخامس عشر الميلادية) كانت أوربا تغط في حال من التخلف والجهل، وظلمات صراع الملوك وأمراء الإقطاع وهيمنة الكنيسة المتحالفة معهم، والتي تولت إغراق الناس في ظلمات الجهل والجاهلية. وكانت ممالك أوربا على تماس حضاري مع ممالك المسلمين في الأندلس. وكان أبناء الملوك و كبار النبلاء يقصدون عاصمتها قرطبة وجامعاتها ومكتباتها للدراسة وطلب العلم.

وبقي الحال هكذا إلى أن استطاع الأتراك العثمانيون إسقاط القسطنطينية عام 1453 ميلادية. لتنتهي العصور الوسطى ويبدأ العصر الحديث في أوربا. وبعد ذلك بقليل تمكن ملوك أسبانيا النصارى مدعومين من ملوك أوربا من إسقاط آخر ممالك المسلمين في الأندلس(غرناطة) سنة 1492م. وكذلك ورثوا خلاصة حضارتها. وأدت هذه العوامل إلى نهضة الممالك الأوروبية ودولها القومية.

وفي نفس الوقت مطلع القرن الخامس عشر أيضا، ابتدأ انطلاق روسيا القيصرية شرقا لتسيطر على النصف الشمالي لقارة آسيا(خلال القرون الثلاثة التالية). وتنضم إلى نادي الدول الأوربية الصليبية الكبرى، ولتدخل في حروب صليبية طاحنة مع الدولة العثمانية فيما بعد كما رأينا.

خلال القرون الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر وإلى منتصف الثامن عشر، سيطرت الدولة العثمانية على البحر المتوسط وعلى الشرق، وتوغلت في شرق أوربا واستولت على ممالكها وعلى مخلفات الإمبراطورية الرومانية البيزنطية وتوغلت غربا في بلاد البلقان. لتقف منذ القرن السابع عشر وإلى أواسط القرن الثامن عشر على أسوار فينا عاصمة النمسا. وهناك اتحدت جهود ملوك أوربا والفاتيكان لوقف هذا الزحف الإسلامي، حيث بدأ العد التنازلي للإمبراطورية العثمانية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر،

ولينطلق نجم الحضارة الأوربية الحديثة (الروم المعاصرون)، بعد أن أفل نجم المسلمين.

وخلال القرن الخامس عشر ونتيجة لما عانت شعوب أوربا من سيطرة بابا الفاتيكان والمذهب الكاثوليكي. قامت حركات إصلاحية ولدت في ألمانيا وانتشرت في أوربا وأدت إلى ظهور مذهب نصراني جديد هو المذهب (البروتستانتي) الذي حمل كثيرا من المؤثرات اليهودية التوراتية. ثم ما لبث أن لاقى رواجا في بريطانيا وانتقل منها ليستقر في الولايات المتحدة بعد ذلك. وبذلك انقسمت أوربا على ثلاثة مذاهب رئيسية توزعت الأغلبية جغرافيا فيها بحيث ساد المذهب (الأرثوذوكسي) في روسيا وشرق أوربا. وساد المذهب (الكاثوليكي) وسط أوربا وغربها وانتشر المذهب (البروتستانتي) في بريطانيا والولايات المتحدة.

أدت الثورة الصناعية والعلمية لنهضة أوربا. وأدت الثورة الفرنسية أواخر القرن الثامن عشر إلى يقظة شعوب أوربا ونهضتها. وكانت حركة الكشوف الاستعمارية التي انطلقت من أوربا منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي بمباركة البابا قد أسفرت عن قيام إمبراطوريات بحرية استعمارية كبرى على رأسها: البرتغال – أسبانيا- بريطانيا- فرنسا- هولندا....

وخلال القرن الثامن عشر شهدت أوربا ثورات عديدة. وانهار النظام الإقطاعي، وتكونت (البرجوازية). لينهض النظام الصناعي الرأسمالي مكان الإقطاع. وقامت معارك كبرى بين الملوك والنبلاء أسفرت عن توحيد إمارات مبعثرة وتكوين دول اتحادية، مثل حروب توحيد إيطاليا وألمانيا خلال القرن التاسع عشر. وبدأت ترتسم معالم خارطة أوربا ودولها القومية بالشكل القريب من شكلها الحالي.

وخلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر دخلت الإمبراطوريات الكبرى الأوربية حروبا استعمارية عديدة فيما بينها في داخل أوربا وفي المستعمرات البعيدة وراء البحار، من أمريكا الشمالية والجنوبية إلى إفريقيا إلى جنوب وجنوب غرب آسيا وفي الجزر النائية في المحيطات. وأسفرت تلك المعارك عن

اندحار أسبانيا والبرتغال. واستيلاء البريطانيين والفرنسيين على معظم مستعمراتها لتصبح الدولتان الأقوى في أوربا التي صارت حضارتها الغربية الوريثة الطبيعية لحضارة الروم.

وبوصول الإمبراطورية العثمانية لما أسلفنا من أسباب الضعف، دخلت في حالة الاحتضار ودعيت في عرف السياسة الدولية آنذاك بـ(الرجل المريض). وبدأت أوربا الاستعمارية، تتآمر على تقاسمها، وتسن سكاكينها لتقسيم و ابتلاع أشلائها. ودخل اليهود على خط المؤامرة في هذه المرحلة ليتولوا الدسائس، ويستولوا على الجملة العصبية للروم الجدد (أوربا وأمريكا)، وذلك بسيطرتهم على عالم السياسة والمال والفكر الإعلام والدعارة والجاسوسية !.

أهم أسباب نهضة أوربا واسترجاعها لواء الحضارة وقيام الحضارة الغربية وانطلاقتها الاستعمارية منذ مطلع القرن السادس عشر- باختصار-الحملات الصليبية على المشرق ونقل خلاصة التراث الحضاري الإسلامي وما حفظته من حضارات المشرق في فارس والهند ووسط آسيا والإفادة من كل ذلك. و نشاط حركة الترجمة العلمية ودراسة أسباب الهزيمة في الحروب الصليبية.(منذ القرن الثالث عشر).

سقوط القسطنطينية وهجرة العلماء والمكتبات وإرث الحضارة الرومانية إلى أوربا.(خلال القرن الخامس عشر).

سقوط الأندلس ونهب مكتباتها الزاهرة وإكمال ما حصلوه من الحملات الصليبية من وراثة مكونات الحضارة العربية الإسلامية.(منذ القرن السادس عشر).

الكشوف الجغرافية وتطور الأساطيل الأوربية وعودة فوائد ذلك من أرباح التجارة ولاسيما بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح وتحويل طريق التجارة عن بلاد المسلمين. وما جنوه من كنوز البلاد المفتوحة لاسيما العالم الجديد (القارة الأمريكية) منذ القرن السادس عشر).

اكتشاف البخار وتطوير السفن والقاطرات واكتشاف البارود والمتفجرات وتطوير الأسلحة (منذ القرن السابع عشر).

الثورة الفرنسية نهايات القرن 18 على الملكية وحلفها المقدس مع الكنيسة وانطلاق الأفكار السياسية والنهضة القومية التي أدت إلى سقوط النظام الإقطاعي وتوحد الدول القومية الكبرى كألمانيا وإيطاليا وفرنسا على حساب الإمارات الصغيرة.

الثورة على الكنيسة والتفلت من تحجرها وانطلاق العالم التجريبي والحرية الفكرية بعد الثورة الفرنسية على الملوك والكنيسة.

الثورة الصناعية في القرنين الـ (18) والـ (19) وثورة المخترعات العلمية وتطوير الآلة الصناعية المدنية والعسكرية.

الروح العسكرية والتوجه الإستعمار للغزو والفتوح والتضحية وبذل الجهود في مختلف أقطار الأرض تحت قيادة ملوك مغامرين تواقين للمجد والثراء والتوسع.

وهكذا ولّدت هذه العوامل دولا استعمارية قوية كان في طليعتها روسيا القيصرية التي اجتاحت جيوشها وسيطرت أكثر من نصف قارة آسيا. وبريطانيا التي شكلت إمبراطورية احتوت الصين والهند ومعظم أمريكا الشمالية ودول كثيرة أخرى في آسيا وأفريقيا حتى أطلقوا عليها اسم (الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس). وفرنسا التي تليها في الانتشار و الاتساع وكذلك أسبانيا الإمبراطورية والبرتغال اللتان كانتا سباقتان للانتشار الاستعماري ودول أخرى كهولندا وبلجيكا وإيطاليا..

خلال القرن التاسع عشر بدأت حروب الإستقلال في أمريكا الشمالية وأسفرت الثورة التي قادها (جورج واشنطن) عن قيام الولايات المتحدة الأمريكية التي تكونت بعد الحروب الأهلية التالية لتنضم إلى جانب روسيا القيصرية ودول أوربا الغربية إلى نادي الدول الكبرى.

أدى الصراع الأوربي – الأوربي على السياسات الأوربية وعلى الغنائم الاستعمارية إلى اشتعال الحرب العالمية الأولى (1914-1918). التي ذهب ضحيتها زهاء ستة ملايين إنسان ! التي كان من نتائجها انهيار الإمبراطورية العثمانية. حيث رسمت بريطانيا وفرنسا خطة تقاسم تركتها. وامتدت لتصبح أكبر دولتين استعماريتين. في التاريخ ولاسيما بريطانيا التي صارت إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس.

وهكذا انطلقت أوربا بعد الحرب العالمية الأولى في الموجة الرئيسية من الحملات الصليبية الثانية على العالم الإسلامي، والتي يمكن التأريخ لها عمليا منذ حملة نابليون على مصر عام 1798. رغم أن زحف الصليبيين على أطراف العالم الإسلامي كان قد بدأ منذ مطلع القرن السادس عشر حيث احتلت البرتغال وأسبانيا وفرنسا وبريطانيا وهولندا كثيرا من المستعمرات في أطراف العالم الإسلامي. ولكن ذروة الحملات كانت بعد اتفاقية سيكس – بيكو سنة 1917 م. بين فرنسا وبريطانيا.

أدى الصراع الاستعماري بين الدول الأوربية ذاتها وظهور ألمانيا النازية وتكوينها محورا مناوئا للدول الأوربية بالتعاون مع إيطاليا واليابان إلى نشوب الحرب العالمية الثانية (1939-1945). وأدت هذه الحرب التي حصدت زهاء من 82 مليون إنسان إلى تحطيم البنى الإقتصادية والاجتماعية للدول الاستعمارية الأوربية وأعادت رسم خارطة أوربا بشكلها الحالي تقريبا. كما أدت إلى ضمور الدول الأوربية وبروز الإتحاد السوفييتي الذي ورث روسيا القيصرية وأقام دولة شيوعية تحكم إرثها من موسكو.بعد الثورة البلشفية الشيوعية سنة 1917 م. وكذلك بروز الولايات المتحدة الأمريكية كأكبر دولتين من دول الروم تسيطران على مقدرات العالم. وورثت هاتان الدولتان معظم الإرث الاستعماري الهام للدول الأوربية. وورثتا بذلك راية الروم المعاصرين بصورة رئيسية.

كما أسلفنا قام النظام الدولي الجديد بعيد الحرب العالمية الثانية و تقاسم الإتحاد السوفيتي بشكل رئيسي و الولايات المتحدة وما تبقى من دول أوربا القوية ؛ فرنسا وبريطانيا سيادة العالم مدة نصف قرن.

إنهار الإتحاد السوفيتي بعد ورطته في أفغانستان وانفردت الولايات المتحدة الأمريكية التي نضجت قوتها العسكرية لتصبح أقوى من مجموع أقوى 9 دول عظمى عسكريا تليها في قائمة الدول القوية كما تقول الدراسات الإستراتيجية. ولينضم اقتصادها ليكون أعلى اقتصاد قوي في الأرض. لتصبح بقدراتها العلمية و التكنولوجية وتعدادها الذي ناهز 300 مليون نسمة، وريثة حضارة الرومان كما أعلن قادتها. وهذه حقيقة.

وهرعت بريطانيا (الدولة الاستعمارية العجوز المنحلة) لتدخل في فلكها بحكم وحدة اللغة والمذهب (البروتستنتي)، والتاريخ المشترك. وصارت بقية الدول الأوربية تابعة لها عبر حلف الناتو. الذي بدأ يلحق به معظم مكونات حلف وارسو من دول أوربا الشرقية وحتى روسيا ذاتها... لتتحد جهود الروم في الحملات الصليبية الثالثة على العالم الإسلامي بقيادة أمريكا التي انطلقت منذ إعلان قيام النظام العالمي الجديد عام 1990 و بلغت مداها منذ نهاية القرن العشرين ومطلع الألفية الميلادية الثالثة، وهي أيامنا هذه، حيث تولت أمريكا وحلفاؤها وذيولها المنافقون أن يملؤوا الأرض جورا وظلما .

السيطرة اليهودية على الروم المعاصرين (الإتحاد السوفييتي البائد – أوربا– أمريكا):

(1) تسلط اليهود على الإتحاد السوفييتي البائد وروسيا الحالية:

- الثورة البلشفية واليهود:

الثورة البلشفية يهودية التفكير والتخطيط والتمويل والتنفيذ، ففيلسوفها ومفكرها هو ماركس، حفيد حاخام اليهودي (مردخاي ماركس). وكذلك لينين، الذي حول كلمات ماركس إلى واقع ثورة، وأمد الحركة الشيوعية بمؤلفاته هو يهودي كذلك.

جاء في قرار بني بيرث (أبناء العهد اليهودية) سنة (1939) مـايلي: (لقـد نشرنـا روح الثورية التحريرية الكاذبة بين شعوب الغير، لإقناعهم بالتخطي عن أديانهم بل بالشـعوب بالخجل من الإعلان عن تعاليم هذه الأديان، ونجحنا في إقناع كثيرين بالإعلان جهـارا عـن إلحادهم الكلي وعدم الإيمان بخالق البتة، وأغويناهم بالتفاخر بكـونهم أحفـاد القـرود – نظرية داروين –، ثم قدمنا لهم عقائد يستحيل عليهم سبر أغوارهـا الحقيقيـة: الشـيوعية والفوضوية التي تخدم مصالحنا وأهدافنا.

وأما التمويل فهو يهودي كما مر.

وكان (يح بـروكلن) الحـي الشرقـي مـن نيويـورك مسرحـا لتخطـيط للثـورة، يتـولاه (تروتسكي) ولا زال هذا الحي هو مركز التخطيط اليهودي العالمي لتدمير البشرية..

وقد صدر في الأسبوع الأول للثورة قرار ذو شقين بحق اليهود:

- يعتبر عداء اليهود عداء للجنس السامي يعاقب عليه قانونيا.
- الاعتراف بحق اليهود في أنشاء وطن قومي في فلسطين.

- الكتب السياسي الأول للثورة البلشفية:

مكون من سبعة أشخاص خمسة من اليهود لأبوين وهم:

لينين: يهودي، وزوجته (تربسكايا) يهودية.

تروتسكي: يهودي.

كامينيف: يهودي.

سوكولنكوف: يهودي.

زينونيف: يهودي.

أما ستالين فزوجته يهودية اسمها (روزاكاجا نوفتش).

يبنوف: روسي وليس يهوديا، وهو الوحيد.

- الدولة التي شكلها لينين سنة (1918م).

وهذه أول حكومة بعد الثورة:

الجهة	العدد الكلي	اليهود
الوزراء	22	17
إدارة الحرب	43	34
لجنة الشئون الداخلية	64	45
لجنة الشئون الخارجية	17	13
لجنة الصحافة	42	41
مجموع كبار الموظفين	532	425

أي أن نسبة الموظفين (80%) من اليهود.

ولعل القارئ الكريم يحسب أن هذا كان في بداية الثورة، إلا أن الأمر استمر حتى يومنا هذا ففي سنة (1965م) كتبت الكاتبة السوفيتية (نينا اليكسيفا): (عدد اليهود في الإتحاد السوفيتي لا يزيد عن واحد في المئة، وكلنهم يمثلون ستين في المائة من هيئة التدريس في المعاهد العليا والجامعات، وثمانين في المائة من مسؤولية التوجيه العقائدي في الحزب السياسة الخارجية، وإن نائب رئيس الوزراء ورئيس المجلس الاقتصادي في الوسفيات يهودي).

(2) مؤتمر يالطة سنة (1945م) وتسلط اليهود على الدول العظمى:

إثر الحرب الثانية اجتمع الأقطاب الثلاثة (روزفلت، ستالين، تشرشل) وقرروا: محو النازية و تقسيم ألمانيا إلى مناطق احتلال بين الحلفاء. وتصفية الإمبراطورية اليابانية، وتشكيل حكومات ديمقراطية في أوروبا الشرقية، ودرسوا المذكرة الصهيونية التي تتضمن:

- أن يفرض على ألمانيا تعويضات قدرها (5 مليارات) دولار توزع على اليهـود المـتضررين في أوربا والذين نزحوا إلى أمريكا وفلسطين.
- رفع جميع القيود عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين.
- منح اليهود المساعدات لإنشاء كيانهم السياسي.

أما الأقطاب الثلاثة فيهم يهود إما نسبا وإما ميولا وعاطفة.

فروزفلـت: يهـودي منحـدر مـن أسرة يهوديـة اسـمها (روزنـبرغ)، ثـم تحولـت إلى روزفلت. و هاجرت من أسبانيا إلى أمريكا، وكان جده (كلينتون روزفلت) أحد ثلاثة كونوا لجنة لجمع الأموال لماركس وإنجليز لإخراج البيان الشيوعي. وقد قدم اليهود إلى الـرئيس الأمريكي روزفلت ميدالية ذهبية مكتوب عليه:

(الرفاهيــة والحكمــة لفـرنكلين روزفلــت نبينــا الجديــد الــذي ســيعيدنا إلى الأرض الميعاد).

أما ستالين: فهو يهودي نسبا، وزوجته يهودية اسمها (روزاكاجان فتش). وقد بقيت هذه الحسناء اليهودية مع أسرتها تدير الإتحاد السـوفيتي قرابـة ثلاثـة عقـود حكـم فيهـا ستالين، وقد كان (لازاركاجانوفتش) شقيق روزا مسيطرا على ستالين ومولو توف].

{ وأما تشرشل فهو من أخلص المتحمسين للفكرة الصهيونية }.

(3) تسلط اليهود على أوربا:

كنت أمتلك في أرشيفي بعض المعلومات الإحصائية والدراسات حول هـذا الموضـوع، ولكني فقدتها في لندن بسبب هجرتي السريعـة منهـا إلى أفغانسـتان، ثـم فقـدت القسـم الآخر في أفغانستان إبان سقوطها.

ولكن خلاصة ما أتذكره من ذلك هو السيطرة الهائلة للوبيات اليهودية والصـهيونية على عالم السياسة والصحافة والإعلام والبنوك والمؤسسات الإقتصادية في أوربا عموما.

فمما أذكر على سبيل المثال:

- نشرت مجلة (المشاهد السياسي) وتصدرها الـ (BBC) في أحد أعـدادها سـنة 1996، دراسة عن قوة اللوبي اليهودي في الحزبين البريطانيين الرئيسيين (حزب المحافظين) و (حزب العـمال). وخلصـت إلى نتيجـة، أن اليهـود يسـيطرون عـلى الحـزبين بدرجـة متقاربـة ومدهشـة. وتحـيرت في السـؤال: مـن سـيدعم اليهـود في الإنتخابـات بـين الحزبين؟! وكنت أمتلك المجلة في أرشيفي.وفيها تقرير إحصائي مهم.

- ولما كنت أدرس في فرنسا سنة (1985) عقدت المنظمات والجمعيات اليهودية مؤتمرا تحت شعار (سنة 2000- فرنسا يهودية !) وكان بالفرنسية: L an 2000 La France est juif !!.

ونشرت الصحف دراسات عن انتشار اليهود في مختلف مؤسسات الدولة فكانت إحصائية مدهشة ! وقد قام حزب الجبهة الوطنية اليميني القومي الفرنسي المتطرف ضد اليهود والعرب والأجانب بنشر معلومات خطيرة عن هذا التغلغل اليهودي..

وقل مثل ذلك عن كل بلد آخر ويمكن تحصيل هذه المعلومات لمن أراد استزادة من الإنترنيت..ويكفي أن نرى مواقف الإتحاد الأوربي ومنها إعلانه المنظمات الفلسطينية ومنها حماس منظمات إرهابية، رغم اعتراف أوربا بحق مقاومة الإحتلال، والشواهد كثيرة. رغم أن الشعوب الأوربية بدأت تعلن تبرمها بهذا الوضع. حتى أعلنت إحصائية رسمية للاتحاد الأوربي أن زهاء 60% من الشعب الأوربي يرى إسرائيل هي الخطر الأول على السلام العالمي، مما أثار ردة فعل عنيفة في أوساط اليهود الأوربيين وإسرائيل.

(4) تسلط اليهود على أمريكا المعاصرة. و ظاهرة المسيحيين المتهودين (الكنيسة الإنجيلية) و(المحافظون الجدد):

اكتشفت أمريكا سنة 1492ميلادية. ولما بدأت أخبار خيرات العالم الجديد تصل إلى مسامع الناس في أوربا، صارت على مر ثلاث عقود تلت مهوى أفئدة المغامرين، والمنشقين والمطاردين في أوربا، كما أصبحت منفى للمجرمين والمنفيين.

وأدرك اليهود الذين كانوا يعانون في أوربا من الظلم والاحتقار من النصارى، أهمية هذا العالم الجديد بل اعتقد بعضهم أنها أرض الميعاد التي بشروا بها في كتبهم القديمة.

ولما ظهرت مناجم الذهب والثروات الطائلة تحركت حاسة الشم والنهم لدى اليهود وبدؤوا بهجرة كثيفة نحو العالم الجديد. وسرعان ما شكلوا جالية كبيرة وعملوا في مجالهم التاريخي، المال والربا.

ولما استقلت أمريكا وبدأت تتكون الولايات المتحدة الأمريكية كان بعضهم قد حاز نفوذا في مجالات البنوك ورؤوس الأموال، والأعمال المصرفية. حتى تخوف وتنبأ أحد أوائل الرؤساء الأمريكان وهو (؟؟)، من نفوذ هذه الشرذمة وحذر منهم، وقال في وثيقة ما تزال محفوظة في مكتبة الكونغرس محذرا قومه منهم، بأنه يتوقع إلاّ يكبح جماح هذه الفئة ويحال بينها وبين طموحاتها وجشعها فإنه يتوقع إن يأتي على أمته الأمريكية زمان يتحكم فيهم هؤلاء ويملكون أقواتهم..وكنت أحتفظ بصورة عن مقولته تلك وهي شهيرة.

وفعلا آل الأمر إلى ماحذر منه، فقد لعب اليهود دورا ماليا بارزا في تمويل الدول في الحرب العالمية الأولى، ثم الثانية، ودخلوا في تمويل نهضة التصنيع في أوربا وأمريكا، ولم ينصرم القرن التاسع عشر إلا واليهود يحتكرون تجارة المال والأعمال ولأعمال المصرفية في أوربا وأمريكا، وصار لهم لوبي يتحكم بحملات الإنتخابات الأمريكية، والأوربية.. وسيطروا على قطاع الإعلام والصحافة في أمريكا كما أوربا، وسيطروا على صناعة السينما وعالم هوليود، ودسوا حسناواتهم ليكونوا عشيقات أو زوجات لكبار الشخصيات السياسية والاقتصادية ! وقامت لهم الجمعيات والمنظمات، وبلغ تعداد الجالية اليهودية في أمريكا أكثر من ثمانية مليون نسمة يقطن أكثرهم قلب الولايات المتحدة الاقتصادي (مدينة نيويورك) التي تعتبر من عواصم اليهود في العالم. ثم دخل اليهود وأبناء اليهوديات مجال السياسة بأنفسهم وصار منهم النواب في الكونغرس ومجلس الشيوخ والوزراء وحتى الرؤساء!

ونظرا لاعتناق الغالبية من نصارى أمريكا المذهب البروتستانتي، الذي يرتكز على تفسيرات العهد القديم (التوراة) والكتب والأدبيات اليهودية، ولدت مدارس مذهبية جديدة تعتبر حب اليهود والعمل على إعادة مجدهم لإسرائيل من أقرب القربات الدينية.

وتطورت هذه المذاهب والجمعيات وصار لها وسائلها الإعلامية الكثيرة من مئات محطات الراديو والقنوات التلفزيونية والجرائد والمجلات، والكتاب ومراكز الدراسات والدعوة...إلخ،

ثم ظهرت الكنيسة (الإنجيلية) وكان من أبرز معتقدات وجوب دعم إسرائيل كواجب ديني، والاعتقاد بأن معركة عالمية ستقوم في سهل (هرمجدون) شمال فلسطين بين اليهود المدعومين من ملوك النصارى، وبين المسلمين، وأنها ستكون معارك يفنى فيها ملايين البشر، وهي مقدمة لعودة المسيح نزوله من السماء لإنقاذ المؤمنين به. واعتقد هؤلاء أن نهايات القرن العشرين أو أوائل القرن الحالي هي موعد لهذا الحدث. وكان الكثيرون من الساسة الأمريكان من اعتقد بهذه الطلاسم منهم الرئيس ريغان نفسه ! وقد كتبت كتب عدة حول هذا الموضوع وترجم بعضها للعربية. (وللشيخ سفر الحوالي دراسات وكتب قيمة في هذا الموضوع لمن أراد استزادة).

ولذلك تلقت إسرائيل دعما لا متناهيا من أمريكا خلال الربع الأخير من القرن الماضي وما زالت. ثم ظهرت نهايات القرن الماضي في أمريكا مدرسة دينية سياسية ألعن في معتقداتها، أطلقوا على أنفسهم (المحافظون الجدد)، وكان منهم إدارة الرئيس بوش الأب، و إدارة الحالية والرئيس الحالي جورج بوش الابن نفسه.

ويقيم هؤلاء مذهبهم كذلك على الأساطير التوراتية ووجوب إعادة بناء الهيكل ومملكة إسرائيل وأن الله يبارك أمريكا لقيامها بهذه المهمة، بالإضافة للأحلام الإمبراطورية في توسع أمريكا، وسيطرتهم على الشرق الأوسط متحالفين مع اليهود، وعلى سيادة حضارة العرق الأبيض، و ضرورة إفناء الأعراق الأخرى، وتبنوا نظريات (صراع الحضارات) وأن الأرض لا تتسع لحضارتين..وأن على حضارة العرق الأبيض: النصرانية الدين، الديمقراطية السياسة، الرأسمالية الاقتصاد، الإباحية الأخلاق والثقافة.. أن تسحق الحضارات الأخرى وتخضعها وتفرض عليها دينها وثقافتها ونظامها. بل إن المحافظين الجدد هؤلاء والذين يمكن تسميتهم بالصليبيين المتهودين، أعلنوا

اتخاذهم من الإسلام والمسلمين عدوهم الأول، وأعلنوا الصدام مع حضارتهم كقدر محتوم، بل قال أحد كبرائهم: (نحن ورثة حضارة الروم، وأعداؤها في التاريخ أعـداؤنا في الحـاضر)، وصرح جورج بوش بأن حربه الحالية في الشرق الأوسط حرب صليبية، ثم اعتذر وقال أنها زلة لسان، ثم زلّها الخبيث عدة مرات متتالية !، وقام أحد كـبراء جنرالاتـه مـن القساوسـة العاملين في التوجيه بالنيل من الإسلام ومن رسول الإسلام صلى اللـه عليه وسلم بأسـلوب يتماشى مع حقارة ذلك الجنرال الملعون، والشواهد تحتاج كتابا مفردا، وهي مشتهرة..

وهكذا سيطر اليهود على الإدارة الحالية سيطرة تامـة، وصـار اليهـود وأبنـاء وأزواج اليهوديات وتلاميذهم أغلبية في مجلس الشيوخ، والكـونغرس، والحكومـة، والمؤسسـات...، وصارت حربنا مع إسرائيل هي عمليا حرب مع أمريكا، أهلكهم اللـه.

هذا بإيجاز مختصر تاريخ الروم منذ نشـأتهم وإلى يومنـا هـذا والـذي اسـتمر زهـاء 2500 سنة حتى الآن وسيسـتمر إلى أن تقـوم السـاعة عـلى شرار الخلـق. ويكـون الـروم حينها أكثر الناس، كما أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام .

تطور النظام الدولي وخلاصة الصراع بين المسلمين والروم:

(8هـ - 1425هـ)(629 م – 2004 م)

عن ثوبان أن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم قال:(ثم يوشـك الأمـم أن تـداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئـذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن اللـه من صدور عدوكم المهابـة مـنكم وليقـذفن اللـه في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول اللـه وما الـوهن قـال حـب الـدنيا وكراهيـة الموت). (رواه أبو داود)

وعن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم أنه قـال:(ثـم فـارس نطحـة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها أبدا والروم ذات القـرون كلـما هلـك قـرن خلـف

مكانه قرن أهل صخر وأهل بحر هيهات لآخر الـدهر هـم أصـحابكم مـا كـان في العـيش خير) (مسند الحارث، زوائد الهيثمي ج2/ ص 713 /.)

و عنه صَلَّى اللـه عَلَيْهِ وَسَلَّم:َ(أَشَدُّ النَّاسِ عَلَيْكُمْ الرُّومُ وَإِنَّمَا هَلَكَتُهُمْ مَعَ السَّاعَةِ) (مسند أحمد 17335).

لو أردنا أن نلخص صراعات الحضارة الإسلامية وحروبها مع أعدائها عبر التاريخ منـذ قامت وإلى يومنا هذا، نجدها تثبت ما جاء في إخباره صلى اللـه عليه وسـلم بكـل جـلاء. فقد كانت مراحل الصراع على الشكل التالي:

الدولة النبوية والصراع مع الروم:

الصراع مع الروم خلال الدولة النبوية:

كان توجيه الرسول صلى اللـه عليه وسلم للمسلمين لجهاد الروم (بني الأصفر)، هو الأساس لما تم بعد ذلك، من استمرار لهذا الصراع الأزلي. وقد كان فاتحة ذلك كما رأينـا في مؤتة (8هـ - 629م) بعد غدرهم برسول رسول اللـه، صلى اللـه عليه وسلم، ثم تبـوك. ثم تجهيز رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم، لجيش إسامة لغزو الروم، وإشرافـه بنفسـه الشريفة عليه، إلى آخر رمق في حياته. حيث كان من آخر كلامه الشريف كما جاء في الآثار الشريفة: أنفذوا بعث أسامة.. لعن اللـه من تخلف عنه..ومنذ ذلك الحين ما تـزال رحـى هذه المواجهة الأزلية دائرة.

الصراع مع الروم في دولة الخلفاء الراشدين:

يتبين مما سبق، أن الصراع مع الروم، كان احـد شـقي الجهـد الأسـاسي للمواجهـة في زمـن الراشدين. وبعد زوال فارس ودخولها في الحضارة الإسلامية خلال عهـد عمـر وعهـد عـثمان رضي اللـه عنهما، صارت المواجهة مع الروم هي المحـور الأسـاسي. حيـث تميـزت المواجهـة الإسـلامية بالطابع الهجومي، وكما رأينا ذلك تفصيلا في فصـل التـاريخ، فقـد انتـزع المسـلمون خـلال مـدة وجيزة من الروم؛ بلاد الشام ومصر، ومعظم ممتلكات الروم البيزنطيين في شمال إفريقيا، وهددوا

عاصمة الروم (القسطنطينية) ذاتها في ولاية عثمان رضي اللـه عنه، بـل دخلـوا الأنـدلس على الروم الغربيين، وإن لم يمكثوا فيها.

الصراع مع الروم في العصر الأموي:

وكما فصلنا في (ص ؟ وما بعدها) فـأن الصراع مـع الـروم كـان هـو المحـور الأسـاسي لحـروب الدولـة الإسـلامية إلى جنـب حـركتهم شرقـا في بـلاد السـند (باكسـتان) وكرمـان (بلوشستان)، سجستان (إيران)، وخراسان (أفغانستان)، وبلاد ما وراء النهر (وسـط آسـيا)، وتميز الصراع آنذاك بأنه طور هجومي، واستطاع فيه المسلمون انتزاع كامل شمال إفريقيا من الدولة البيزنطية. وانتزاع الأندلس من ملول (القوط). ودخلوا بـلاد الفرنجـة (الغـال) وهي فرنسا فدخلوا مدنها تولوز وليون وبوردو. حيث توقف الزحف عنـد مدينـة (تـور) شمال غرب فرنسا.!!

وهكذا شمل الصراع الروم الشرقيين (البيزنطيـيـن) و الغربيين (ممالك غرب أوربا).. كما استولى المسلمون خلالها عـلى بعـض جـزر المتوسـط. وحـاصروا القسـطنطينية عـدة مرات. ولم يكن للروم مبادرات هجومية مهمة خلال المرحلة الأموية. وكان أهم ذلك:

- غارات الجراجمة (المردة):

أغار الجراجمة عـلى الثغـور الإسـلامية في عهـد عبـد الملـك بـن مـروان سـنة 70هـ بتحريض من الروم، مهتبلين انشغاله بحرب ابن الزبير وقمع الفـتن التـي ثـارت في عهـده، وقد عالجهم عبد الملك بالمال، فقد فاوض الإمبراطور البيزنطـي جوسـتنيان الثـاني عـلى أن يدفع له ألف دينار كل أسبوع، على أن يتخلى عن مساعدتهم في غاراتهم.

- غارات الروم البحرية:

أغار الأسطول البيزنطي على الأسطول العربي سنة 129هـ وهزمـه. وتمكـن الأسـطول البيزنطي من الاستيلاء على قبرص.

وخلال هذه الفترة دخل المسلمون في صراع مع الترك الوثنيين في وسط آسيا، وواصل القائد الفاتح (قتيبة بن مسلم) حتى فتح أفغانستان وبلاد ما وراء النهر وتركستان الغربية والشرقية ووصل إلى تخوم الصين مضيفا إلى رقعة الدولة الإسلامية نحو (5 مليون) كيلومتر مربع. فيما كان نظراؤه يتقدمون في فتح بلاد السند وشمال الهند، لتصل الدولة الإسلامية خلال الخلافة الأموية لأقصى اتساعها عبر الفتوح.

الدولة العباسية والصراع مع الروم:

أولا: الصراع مع الروم خلال المرحلة العباسية الأولى (مرحلة القوة):

كما رأينا تفصيلا، فقد كان الصراع مع الروم هو المحور الأساسي، وشبه الوحيد خلال تلك الفترة. وقد كان في بدايته هجوميا عبر نظام الصوائف و الشواتي. ثم تحول دفاعيا بشكل شبه كامل تقريبا، وكثرت غارات الروم على خط الدفاع الطويل معهم، والممتد من تخوم الجزيرة شرق الأناضول وإلى شمال الشام وصولا إلى أنطاكية والبحر المتوسط شمال غرب الشام.

وكان من أهم الغارات التي تعرضت لها الدولة خلال تلك الفترة:

- غارات الخزر مع جموع من الترك على أرمينية سنة 147هـ وسبيهم المسلمين وأهل الذمة وتخريبهم مدينة تفليس (عاصمة جورجيا اليوم)، ثم غارتهم ثانية سنة 183هـ.
- غارات قراصنة البحر (الميذ) على البصرة سنة 148هـ وسنة 149هـ وسنة 153هـ وسنة 178هـ وسنة 179هـ وسنة 225هـ وسنة 227هـ وسنة 231هـ.
- وغارتهم على جدة سنة 151هـ.
- غارات الروم بمراكبهم على دمياط (مصر) سنة 238هـ.

أما الروم الغربيون (ممالك أوربا الغربية) فقد كانت الهدنة هي طبيعة العلاقة معهم. وقد تحولت لعلاقات حسنة أحيانا كما كان بين الرشيد وشارلمان مللك بلاد الغال (فرنسا الحالية) حتى تبادلوا الهدايا.

ثانيا: صراع العباسيين والدول الإسلامية المستقلة مع الروم منذ العصر العباسي الثاني، وإلى قيام الدولة العثمانية (247هـ - 922هـ):

لم يتوقف الصراع مع الروم بشقيهم، الشرقي (الروم البيزنطيين)، والغربي (ممالك أوربا المسيحية). وكما أسلفنا فقد غلب عليه منذ انصرام العصر الذهبي للدولة العباسية، الطابع الدفاعي، إلا في حالات قليلة. والحقيقة أنه مع ضعف الخلافة المركزية لبني العباس في بغداد. تصدت الدول المستقلة، كما مر معنا في ثنايا مختصر تاريخها لشرف مهمة الجهاد، دفعا وطلبا، وحماية الحوزة والدفاع عن ديار المسلمين وأنفسهم وأعراضهم..

فوجدنا السلاجقة في بلاد الري والأناضول، يجاهدون الروم البيزنطيين بضراوة، وكذلك فعل الحمدانيون، في شمال غرب بلاد الشام. ولما قامت الدولة الأتابكية، قام الزنكيون بجهاد الصليبيين الذين قدموا من ممالك أوربا، ولم يأل قيصر القسطنطينية في دعمهم على مدى قرنين من الزمان. فلما قامت دولة الأيوبيين ورثوا من أولاد عمومتهم

الزنكيين مهمة الشرف تلك.، فلما ورث المماليك حكم مصر والشام، ورثوا معها إتمام المهمة الشريفة، ونظفوا بلاد الشام من دنس الصليبيين نهائيا. فيما كان السلاجقة مستمرين بجهاد الروم في آسيا الصغرى، حتى قام العثمانيون من أحفادهم وحملوا شرف الراية التي كانت ما تزال خفاقة يحملها الملوك والأمراء المختلفون رغم ما اعتورهم من فسوق وصراع على الملك، وقد مر معنا ذكر طرف منها..

أما في مغرب بلاد المسلمين، فما زال الأمر كذلك كما رأينا. فقد قام الأغالبة، والموحدون، والمرابطون.. وغيرهم مت ملوك وأمراء ممالك المغرب الأقصى بالدفاع عن الإسلام والمسلمين، كلما سولت للروم - بشقيهم –

أنفسهم أن يهاجموا ديار الإسلام. وأما في دولة الأندلس، فما فتئت غبـار الحـرب معقـودة بين المسلمين، ونصارى أسبانيا المدعومين من ملوك أوربـا.. إلى أن اسـتطاعوا في النهايـة أن يديلوا دولة الإسلام هناك بعد أن دبت الفرقة والضلال، والتعـاون مـع النصـارى في ملـوك الطوائف. عندما استباحوا أن يستنصروا بهم على بعضهم..فسلطهم اللــه علـيهم وادالـوا دولتهم...

وهذا استمرت السنة مضـطردة..إلى أن تسـلم رايـة جهـاد الـروم..الدولـة العثمانيـة الإسلامية الناشئة التي كانت تـدك حصـون القسـطنطينية في مشرق المسـلمين..فـيما كـان الروم الغربيون يدكون حصون غرناطة في مغربها عـلى شـواطئ الأطـلسي..لتبتـدئ حقبـة جديدة من هذا الصراع الأزلي بيننا وبين الروم.

الدولة العثمانية والصراع مع الروم:

ثـم ولـدت الدولـة العثمانيـة مـن أحفـاد السـلاجقة الأتـراك، في الأناضـول، وتمكـن السلطان محمد الفاتح من دك أسوار القسطنطينية بمدافع زنة قذائفها يصل إلى (3 طـن) سـنه (1452) م!. بعـد أن نهضـت الدولـة العثمانيـة نهضـة وازت وفاقـت نهضـة الـروم البيزنطيين ودول أوربا المتطورة آنذاك..

وشكل سقوط القسطنطينية زلزالا على مستوى التاريخ، حتى اعتبره المؤرخون نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثـة، وحـق لهـم.. فقـد كـان هـذا سـببا في انسـياح العثمانيـين في الفتوح شمالا وجنوبا وغربا، ونهضـتهم حتـى وصـلت دولـة الإسـلام تحـت راياتهم إلى الحجم الإمبراطوري وأعادت توحيد أجزاءها تحت خليفة واحد، بعـد أن نقـل العثمانيون الخلافة إليهم وجعلوا مركزها القسطنطينية التي غدا اسـمها (إسـلام بـول) أي مدينة الإسلام تلك التي صار اسمها فيما بعد (إسطنبول).

كما كان بداية نهضة الدول الأوربية ومـا تـلا ذلـك مـن الثـورة الصـناعية والثـورات الإقتصادية والاجتماعية. وبذلك ولدت دول أوربية حديثة ذات بأس. حيث تولـت الصراع مع دولة الإسلام آنذاك وهي الخلافة العثمانية.

وقد انساحت جيوش العثمانيـين تفتح بلاد اليونان وسواحل البحر الأسـود والبلقـان ودول شرق أوربا، حتى وصلت إلى أسوار (فيينا) عاصمة النمسا، أواخر القرن السابع عشر حيث توقفت. وبدأت أوربا هجومها الصليبي المعاكس الثاني..

وفيما كان الأتراك ينساحون في أوربا وآسيا بعد فتح القسطنطينية عام 1452، كانت جيوش النصارى تحاصر آخر ممالك المسلمين في الأندلس. لتسقط آخـر معاقـل الإسـلام في أوربـا الغربيــة (غرناطــة) ســنة 1493. وليتــأجج الصراع بــين العثمانيــين ودول أوربــا الاستعمارية، التي حملت مشعل حضارة الرومان الصـليبيين بعـد الإمبراطوريـة البيزنطيـة الرومانية من القسطنطينية. وهكذا استمر الصراع بين الإسلام والـروم طيلـة فـترة الخلافـة العثمانية، إلى أن تمكنت الـدول الأوربيـة مـن إسـقاطها وإعـلان ذلـك عـام 1924، حيـث تقاسمت الـدول الاسـتعمارية إرثهـا، وهـو مجمـوع بـلاد العـالم العـربي والإسـلامي. فـيما تقاسمت من دول العالم..

العالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة العثمانية والصراع مع الروم:

لم يتوقف صراع المسلمين مـع الـروم بغيـاب المسـلمين كقـوة سياسـية عـن المسرح الدولي بسقوط العثمانيـين. لقد استمر صراع الإسلام ممثلا بالشـعوب الإسـلامية وحركاتـه الجهادية والتحررية ضد قوى دول أوربا الاستعمارية في كافـة بلدانـه.. ففـي أقصى مشرق المسلمين، انساحت جيوش الروس لتسقط العواصم الإسلامية في آسـيا.. فاسـتولت قـواتهم على بلاد البشكير و تتارستان و القرم وشرق البحر الأسود وسيبيريا و القفقاس. ثـم زحفـوا على جمهوريات وسـط آسـيا وأسـقطوا عواصـمها الكـبرى بعـد مقاومـة ضـارية وخسـائر مليونية، وسقطت تركمانستان و أوزبكستان وكازاخسـتان و قيرغيزسـتان و طاجيكسـتان، وعواصم الإسلام الشهيرة مرو / بخارى / ترمذ / طشقند.. مـا بـين مطلـع القـرن 16 وعـام 1904 حيث استقرت جيـوش روسـيا القيصريـة عـلى ضـفاف نهـر جيحـون الـذي يشـكل حدودها مع أفغانستان.. التي كانت في مجال النفوذ الإنكليزي..

وبعد أن استولت دول أوربا على بلاد العالم العربي والإسلامي في آسيا وأفريقيا استمر المسلمون في صراعهم مع الروم الجدد متمثلين بالدول الاستعمارية الكبرى وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا وهولندا والبرتغال وبلجيكا.. وغيرها. حيث تقاسمت هذه الدول احتلال العالم، وكان نصيب الأسد فيها لبريطانيا ثم فرنسا.. حيث قسمت وزارتا المستعمرات في (باريس / لندن) إرث الدولة العثمانية، وخاصة بلاد العالم العربي، فيما عرف بمؤامرة أو اتفاقية (سيكس ـ بيكو) التي أبرمت سنة 1919.. ولتُدخل بريطانيا في الصراع مع المسلمين عاملا جديدا هم اليهود. بإطلاق الوزير البريطاني (بلفور) وعده المشؤوم، بجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود. وهكذا رزحت بلاد الهند والسند (باكستان) وأفغانستان وإيران وجنوب شرق آسيا وكثير من الدول الإسلامية، وفيها الجزيرة العربية والسودان ومصر والعراق والأردن وفلسطين، تحت الإحتلال الإنجليزي. ورزحت كل من سوريا وفيها لبنان وتونس والجزائر وأجزاء من المغرب وقسم من القرن الأفريقي تحت الإحتلال الفرنسي.. وأخذت أسبانيا أجزاء من المغرب وموريتانيا وبعض البلاد الأفريقية كما أخذت إيطاليا ليبيا وأجزاء من القرن الأفريقي..

وكانت أغلب بلاد وسط أفريقيا الإسلامية قد سقطت تحت احتلال تلك الدول الأوربية قبل ذلك. وكانت حصة الأسد فيها لفرنسا كما سقطت جزائر المحيط الهندي والهادي من الفلبين إلى إندونيسيا إلى سنغافورة إلى تيلاند وماليزيا وبورما وبنجلادش.. تحت احتلالها أيضا قبل ذلك. وقد شكلت المرحلة الاستعمارية تلك ميدانا للصراع بين الشعوب الإسلامية والروم ممثلين بدول أوربا الاستعمارية. ولم تخف الدول الاستعمارية اليهودية الرومانية الروح الصليبية في حركتها الاستعمارية تلك وقد ظهرت في كثير من تصريحاتهم. ومن ذلك: أن القائد البريطاني (اللورد اللنبي) لما ركز علمه ذي الصليبين فوق جبل الزيتون في بيت المقدس صرخ قائلا: (الآن انتهت الحروب الصليبية).. بروح الثأر لهزيمة أجداده على يد صلاح الدين الأيوبي. أما (غورو) الجنرال الفرنسي فقد كان من باكورة أعماله أن زار قبر صلاح الدين وضربه بالسيف وكسر

قطعة حجر منه ما تزال محفوظة في المتحف الحربي بدمشق، ليقول له:(هـا قـد عـدنا يـا صلاح الدين). أما الإيطـاليون فقـد كـان نشـيدهم العسـكري أيـام احـتلال ليبيـا.. ينضـح بالأحقاد الصليبية ويفتخـر بـذهاب الجنـد لقتـل المسـلمين...والأمثلـة كثـيرة عـلى الـروح الصليبية لحركة الإستعمار الحديث.

الصراع بين الروم أنفسهم بعد غياب المسلمين عن مسرح القـوى الدوليـة وتحـولهم إلى غنائم استعمارية:

وهكذا تغير شكل النظام الدولي ليصبح مجال الصراع فيـه بـين الـروم أنفسـهم عـلى الغنائم الاستعمارية و السياسات الأوربية، مما أشعل حربيـن عالمتـين مدمرتين، اسـتمرت الأولى مابين (1914 ـ 1918) وأزهقت فيها أوربا زهاء 9 ملايـين نفس، وتمكنت ألمانيا فيها من جر الدولة العثمانية التـي تـولى زمـام أمورهـا (الماسـون) ويهـود الدونمـة فجرتهـا إلى دخول الحرب إلى جانبها، مما برر تقاسم أشلائها بخسارة ألمانيـا الحـرب وكـذلك حليفتهـا الدولة العثمانية المتماوتة.

ثم اشتعلت الحرب العالمية الثانية ما بين (1939 ـ 1945) لتزهق أوربا بالإضافة إلى روسيا وأمريكا زهاء 82 مليون نفس بشرية ولتسفر تلـك الحـرب عـن تـدمير بنيـة أوربـا التحتية، اقتصاديا واجتماعيا، لتسمح بميلاد قـوتين عظيمتـين اسـتعماريتين جديـدتين عـلى وجه الأرض هما (روسيا / أمريكا) حيـث تسـابقت دول أوربـا لتنتمـي إلى حلـف إحـدى هاتين الدولتين فدخلت دول شرق أوربا مع الإتحاد السوفيتي مكونة حلف وارسو بزعامة موسكو. ولتدخل معظم دول أوربا الغربية في حلف أمريكا مكونـة حلـف النـاتو بزعامـة واشنطن ولتبدأ مرحلة جديدة من مراحل النظـام الـدولي يقـوم فيهـا الصراع بـين هـذين القطبين حيث لم يعد للمسلمين وجود على المسرح الدولي كقوة تمثل طرفا، لأنهـم صـاروا في قصعة الغنائم، تتـناهبهم تلـك الـدول وتـديرهم في فلكهـا عـلى دأب أجـدادهم مـن الغساسنة و المناذرة..

النظام العالمي الحديث وقيام الإمبراطوريتان السوفييتية والأمريكية و صراعهما على النفوذ:

كما أسلفنا أدت الحرب العالمية الثانية إلى دمار أوربا وتقهقر دولها الاستعمارية عن مرتبة الصدارة، وبروز قوتين عظيمتين هما الإتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية. ومن ثم دخلت دول أوربا الشرقية كشبه مستعمرات للإتحاد السوفييتي لتشكيل حلف وارسو وما يسمى بالمعسكر الشرقي. ولتدخل أوربا الغربية وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا في حلف أمريكا وتكون حلف الناتو أو المعسكر الغربي. وقد أسفرت الحرب العالمية الثانية عام 1945 عن إعادة رسم ميزان القوى في العالم على هذا الأساس. وأُنشأت عصبة الأمم المتحدة من الدول الكبرى لوضع أساس لنظام دولي عالمي جديد في حينها.. ثم تعدلت لتقوم هيئة الأمم المتحدة. ونهضت الصين كقوة اقتصادية ونووية وبشرية وفرضت نفسها في مصاف الدول العظمى. لتكوّن مع أمريكا والإتحاد السوفيتي وفرنسا وبريطانيا الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن. المؤسسة الأهم المنبثقة عن هيئة الأمم المتحدة.

وبدأت الحرب الباردة بين القطبين في مجالات التجسس وسباق التسلح وصراع النفوذ في إلحاق أكبر قدر ممكن من دول العالم الثالث تلك في فلك هذا الحلف أو ذاك.

وكانت الثورة البلشفية الشيوعية قد قامت في روسيا سنة 1917 وحل الإتحاد السوفييتي بفلسفته اللينينية الماركسية محل روسيا القيصرية. ودعم الإتحاد السوفييتي بعيد الحرب العالمية الثانية حركات التحرر في البلدان التي لم تكن قد استقلت عن الدول المستعمرة خلال الثورات التي قامت عليها في مرحلة ما بين الحربين. كما انتشر الفكر الإشتراكي والشيوعي في كثير من الدول وحمل مبدأ الثورة على الدكتاتوريات المدعومة من قبل الدول الاستعمارية لاسيما أمريكا ودول أوربا الغربية. ودعم الإتحاد السوفييتي تلك الحركات وأدى الصراع على النفوذ بين أمريكا والإتحاد السوفيتي إلى قيام نظام الحروب بالوكالة بدعم الروس السوفييت لتلك الحركات.

وقد أدت حروب الوكالة و صراعات النفوذ إلى اكتساح السوفييت لمعظم دول العالم الثالث ولاسيما في كثير من دول إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وقد رسخ السوفييت أقدامهم في بلاد عربية مهمة مثل العراق وسوريا ومصر واليمن الجنوبي وليبيا والجزائر والقرن الأفريقي.

وقد قامت تبعا لذلك عدة حروب بالوكالة تقاتلت فيها دول متعددة أو حتى شعوب دولة واحدة في صراع النفوذ هذا، كتلك التي قامت في كوريا و الفيتنام والقرن الأفريقي واليمن الشمالي والجنوبي ولبنان وكذلك العديد من دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

كما لعبت الدولتان على حبل الصراع العربي الإسرائيلي بالدعم السافر من قبل أمريكا لإسرائيل وتمثيل السوفييت دور دعم الجانب العربي. والملاحظ أن كثيرا من تلك الحروب والثورات قد ضيقت مجالات النفوذ الأمريكي حتى يمكن القول أن حصيلة جولات الملاكمة تلك بين أمريكا والسوفييت الروس قد أبرزت تفوق الروس بالنقاط في معظم تلك الجولات.. إلى أن ارتكب الروس في نشوة الظفر والتقدم تلك غلطتهم التاريخية القاتلة فأقدموا على احتلال أفغانستان عام 1979 بصورة شبه مكشوفة إثر سلسلة انقلابات شيوعية مدعومة من قبلهم على الملكية فيها منذ عام 1965.. وهكذا حققوا في قفزة استراتيجية نصف الطريق إلى الحلم القيصري بوصولهم إلى المياه الدافئة في الخليج العربي إذا لم يبق بينهم وبينه من فاصل إلا مثلث بلوشستان الباكستاني الإيراني بمسافة لا تزيد عن 500 كيلومتر.

وبدا وكأن أمريكا قد قبلت الأمر الواقع وسلمت ولم تبد حراكا يذكر رغم صفارات الإنذار باقتراب الخصم اللدود إلى منابع النفط التي يتحكم من يسيطر عليها باقتصاديات العالم الرئيسية. ولم يتوقع أحد المفاجأة التي حصلت وقلبت وجه العالم بل ذهبت به إلى مرحلة تاريخية جديدة عصفت بكل ثوابته القديمة..

هزيمة روسيا في أفغانستان وانهيار الإتحاد السوفييتي. وقيام النظام العالمي الجديد بزعامة أمريكا كقطب أوحد ينفرد بمقدرات السياسة والاقتصاد في العالم:

لم يدر في خلد أحد من صناع السياسة وعباقرة العسكرية و أفذاذ المفكرين أنه يمكن لشعب يشغل المرتبة الرابعة في قائمة أفقر شعوب العالم، يمكن له أن يصمد لأقوى قوة عسكرية في الأرض ومتاخمة له بحدود يزيد طولها على 1000 كيلومتر توفر له إمدادا لوجيستيا نموذجيا ومباشرا.. ولكن شاء اللـه أن تتحقق المعجزة.. فقد صمد الأفغان لعملاء الروس من حكامهم منذ عام 1965 إلى 1979 مما سبب الإطاحة بالانقلابات الواحد تلو لآخر. ثم صمدوا للغزو المباشر والمواجهة العسكرية الشرسة مع الآلة العسكرية الساحقة للجيش الأحمر ثلاث سنوات (1979 ـ 1982) حتى اقتنعت الإدارة الأمريكية وحلفاءها في الناتو بأن هناك فرصة تاريخية لتحطيم الجيش الأحمر السوفييتي على قمم وسفوح الهندوكوش بصورة أسوأ كثيرا مما فُعل بالجيش الأمريكي في فيتنام. فقرر الكونغرس سنة 1982 تبني الجهاد الأفغاني وركوب موجته..

وأدي الإذن الأمريكي بدعمه والأمر بذلك لحلفائهم الأوربيين وأذيالهم من دول العالم الإسلامي، ولاسيما دولا رئيسية مثل الباكستان التي تزيد حدودها مع أفغانستان عن 2200 كيلومتر والسعودية التي تتمتع بنفوذ المرجعية والحرمين على المسلمين، ومصر ذات الوزن الإستراتيجي في العالم العربي والإسلامي، وسواها من الدول إلى فتحت أبواب كافة أنواع الدعم بالمال والسلاح للجهاد الأفغاني.. فقد ساهمت أمريكا وحلفاؤها الأوربيون بحصص مالية كبيرة وألزمت دول الخليج ولاسيما السعودية بدفع حصص كبيرة من الدعم، وانفتح الباب أمام كل من أراد من المسلمين دعم الجهاد الأفغاني، وفتحت الباكستان سفاراتها أمام من يريد الذهاب إلى هناك، وخفضت بعض شركات الطيران العربية قيمة تذاكر السفر أمام من يريد الجهاد! فقد كان ثمة إجازة من أمريكا. واستفادت الحركات الإسلامية ولاسيما الجهادية من الفرصة فتواجدت في الساحة وخاضت معركة نصرة المسلمين.. بالمختصر؛ لقد قدر اللـه أن تتوفر كل الظروف للانتصار المذهل.. وليس هنا مقام التاريخ لهذه التجربة

الفريدة في تاريخ المسلمين بل والعالم في حيثياتها وما نتج عنها، وهو موضوع مهم جدا يحتاج أسفارا خاصة به. ولكن المتعلق بموضوعنا هنا أن نقول أن النزاع بين الجيش الأحمر السوفييتي وحلف وارسو برمته وبين المسلمين على أرض أفغانستان، أسفر عن نصر مذهل أجبر الروس على جر أذيال الخيبة والهزيمة والانسحاب من أفغانستان بعد عشر سنوات، أي عام 1989 متكبدين عشرات آلاف القتلى والجرحى وتاركين وراءهم أشلاء أكثر من 50.000 آلية عسكرية فضلا عن حطام مئات الطائرات..

وهكذا ربحت أمريكا آخر جولة في الحرب بالوكالة مع السوفييت بالضربة القاضية حيث قام المسلمون بلكم الإتحاد السوفييتي تلك اللكمة! وكانت الحصيلة لصالح أمريكا.. وكانت نقطة البداية لانهيار المعسكر الشرقي وانفراد أمريكا بالسيطرة على العالم وتمكنها من إعلان النظام العالمي الجديد.

وتدحرجت الكرة بسرعة إذ أُجبر الروس على إعلان تفكك الإتحاد السوفييتي، وحل حلف وارسو وإزالة جدار برلين بين الألمانيتين.. وسرعان ما استقلت الجمهوريات المتعددة عن روسيا وسقطت الأنظمة الشيوعية في دول أوربا الشرقية تباعا كأحجار الدومينو، وقام محلها أنظمة سارعت للارتماء على أعتاب القوة العظمى الوحيدة في العالم أمريكا..

وهكذا تغيرت معطيات النظام الدولي ليقوم على أنقاضه مرحلة جديدة يمكن التاريخ لبدايتها بـ 1990 موعدا لانطلاق ما سمي بـ (النظام العالمي الجديد).

واجتمع (غورباتشوف) الذي أِشرف على حل الإتحاد السوفييتي بـ (مرغريت تاتشر) رئيسة وزراء بريطانيا آنذاك بالرئيس الأمريكي (ريغان). ليعلنوا أن الإسلام وحضارته وشعوبه هم العدو المقبل للحضارة الغربية.. وطرحت فكرة توسيع حلف الناتو ليشمل روسيا ودول أوربا الشرقية، أي دمج (وارسو) في (الناتو) عمليا ولما سُئل عن جدوى ومعنى بقاء حلف الناتو بعد زوال المعسكر الشرقي، ولم لا يحول لحلف اقتصادي وثقافي؟ أجاب القائمون عليه بأن هناك ضرورة لتقويته وتوسيعه لمواجهة الخطر القادم والمتمثل بالإسلام

والأصولية الإسلامية.. ثم خلف (كلينتون) (ريغان) ليعلن انطلاق حملات مكافحة الإرهاب الإسلامي.. وبدأت أمريكا رسم سياسات العالم والتدخل في مصائر شعوبه ودوله. ومن أبرز الآثار التي نتجت عن قيام النظام العالمي الجديد على العالم العربي والإسلامي ما يلي:

استدراج أمريكا للعراق لغزو الكويت وتزعم أمريكا وبريطانيا ودول الناتو لحلف دولي من 31 دولة، حيث أُلزمت بعض الدول العربية والإسلامية بالدخول في غزو العراق والخليج. حتى وصل الحشد إلى ما يقارب المليون جندي! كان نصفهم من الأمريكان وشكل الإنجليز 20 % منهم فيما شارك الناتو فيه بكامل الأعباء والمسؤوليات.. وأسفرت الغزوة التي كانت باكورة الحملات الصليبية الجديدة على العالم الإسلامي ـ كما صرح بذلك أكثر من مسؤول أمريكي ـ أسفرت عن تثبيت أمريكا لأقدامها في الخليج واحتلاله عمليا.

وكشفت كثير من الدراسات عن هذا البرنامج وهو احتلال منابع النفط والطاقة بشكل مكشوف، كان قد خطط له منذ أوائل السبعينيات أيام الرئيس (كارتر) وشكلت قوات التدخل السريع الأمريكية (المارينز) خصيصا له. وهكذا بدأ برنامج الصليبيين الجدد باجتياح الشرق الأوسط والعالم الإسلامي.

إلزام الدول العربية المعنية والفلسطينيين والعالم العربي والإسلامي من ورائهم بتوقيع اتفاقيات السلام والتطبيع مع اليهود وبدأ البرنامج الصهيوني بالسير نحو طرد الفلسطينيين والسيطرة على المنطقة عبر برنامج التطبيع الثقافي والإقتصادي والسياسي والاجتماعي مع اليهود.

انطلاق ما يسمى بحملات مكافحة الإرهاب ضد الحركات الجهادية والأصولية الإسلامية، التي تطورت لتكون حملات ضد كافة الصحوة الإسلامية ووصلت في عهد (بوش) الذي تلا (كلينتون) لتكون حملات إبادة أو تركيع لكافة المسلمين. وهكذا بدأت مؤامرة تصفية مكتسبات الجهاد الأفغاني وانطلقت حروب الإبادة ضد المسلمين في البوسنة و الشيشان، وانطلقت

الحكومات العربية والإسلامية بتنفيذ ما أوكل إليها من تصفية قواعد وتنظيمات الجماعات الجهادية بكاملها في كل مكان.

وهكذا أعيد المسلمون قسرا إلى مسرح الصراع مع الروم بعد أن أسفر صراع الروم فيما بينهم خلال مرحلة الحرب العالمية الأولى إلى الثانية ثم مرحلة الحرب الباردة عن حسم المنافسة لصالح أمريكا التي سارعت بريطانيا بالدخول في ركابها وانجرت دول أوربا الناتو من كان راغبا منها ومن كان راهبا للسعي خلفها في إدارة هذا النظام العالمي الجديد.

آخر الحلقات في صراعنا مع الروم:(صراع المسلمين مع أمريكا وحلفائها) حاليا:

أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، واحتلال أمريكا للعراق، واشتعال الحرب الصليبية ضد المسلمين بقيادة أمريكا ورئيسها جوج بوش منذ مطلع القرن 21:

انتهت ولاية (كلينتون). وأسفرت الإنتخابات الأمريكية عام 2000 عن فوز (جورج W بوش) إبن الرئيس الأمريكي (جورج بوش) الأب الذي انطلق النظام العالمي الجديد والحملات الصليبية في عهده. واستطاع حفنة من رجال أبيه ومن بعض المتطرفين المسيحيين المتصهينين، ممن يطلقون على أنفسهم اسم (المحافظون الجدد) الانضمام إليه لتشكيل الإدارة الأمريكية الجديدة. وتسابق القادة والسياسيون والمفكرون والمنظرون منهم إلى إعلان مبادئهم وتطلعاتهم وأفكارهم، ولم يستحوا منها. فاستعلن أحدهم بالقول:(إن الأمريكان هم ورثة الإمبراطورية الرومانية وأن أعداءها في التاريخ هم أعداءها في الحاضر والمستقبل). ولم يخف بوش فيما بعد قوله (بأنه يقود حملة صليبية على المسلمين). ولم يعد موضوع أولوية دعم إسرائيل واحتلال منابع النفط وزيادة رقعة مكاتب مكافحة الإرهاب في عواصم دول العالم ولاسيما العربية والإسلامية سرا. وانطلقت أمريكا في سياسة تحجيم أوربا ودول العالم الرئيسية واتخذت الإدارة من مشروع مكافحة الإرهاب عالميا برنامجا لتصفية الحركات الإسلامية وجر الحكومات العربية والإسلامية إليه طوعا وكرها.

وكانت حركة طلاب العلوم الشرعية في أفغانستان أو ما يسمى بـ (حركة طالبان) قد استطاعت إنهاء الحرب الأهلية وهزيمة الأحزاب المتصارعة في أفغانستان ووضعت حدا لانتشار الفساد في الأرض، وأقامت نظاما للحكم بالشريعة الإسلامية، وأعلنت قيام إمارة أفغانستان الإسلامية، ودخلت كابول سنة 1996 وأعلن الملا محمد عمر أميرا للمؤمنين فيها. واستطاعت إلى عام 2000 ترسيخ أقدامها وحكمها في أفغانستان والسيطرة على نحو 94 % من مساحتها.

ولما كانت حملات مكافحة الإرهاب قد ضيّقت أقطار الأرض على كثير من شباب الحركات الجهادية، وكثير من الشباب المسلم خاصة من البلاد العربية ووسط آسيا، أصبحت الإمارة الإسلامية في أفغانستان ملاذا ومهجرا لكثير من كوادر وشباب تلك الحركات. فأصبح تدمير الإمارة الإسلامية وإخراج هذه النخبة المهاجرة المجاهدة الذين سموا (الأفغان العرب) منها. وابتدأت أمريكا ذلك بسلسلة من إجراءات الحصار السياسي والإقتصادي والتشويه الإعلامي والمواجهات الأمنية.

وفي صبيحة 11 سبتمبر 2001، تمكن 19 شابا التابعين لتنظيم القاعدة الذي يتزعمه (أسامة بن لادن)، تمكنوا من اختطاف عدد من الطائرات والدخول بها في عمليات استشهادية في واشنطن ونيويورك فدمروا أبراج مركز التجارة العالمية، وجانبا من مبنى الـ (بنتاغون) مقر وزارة الدفاع الأمريكية مما أسفر عن مقتل وجرح عدة آلاف من الأمريكيين..

ومع أن هذه العمليات شكلت تصعيدا كبيرا بعد عدد من العمليات الأخرى الأصغر حجما ضد الأهداف الأمريكية التي قام بها تنظيم القاعدة أو غيره من التنظيمات بسبب موجة الاعتداءات الأمريكية على المسلمين ودعمهم لليهود في فلسطين ولكافة أعداء الإسلام. إلا أن وسائل الإعلام الأمريكية والدولية استطاعت تصوير ما تلا ذلك الحدث من ردود أفعال أمريكا الوحشية الطاغية، وإطلاق حرب عالمية لمكافحة الإرهاب ومحاربة المسلمين على كل

صعيد، استطاعت تصوير ذلك على أنه رد فعل مبرر بسبب هجمات الإرهاب الإسلامي على أمريكا وأمنها القومي...

وابتدأ بوش حربه العالمية على الإرهاب، وكان من ذلك:

شن حرب إعلامية عارمة من أجل شحن الأجواء وتهيئتها، بتصوير المسلمين عموما والصحوة الإسلامية و الجهاديين خصوصا على أنهم الخطر المحدق بالبشرية. والتضخيم من حجم هذا العدو و إمكاناته حتى وصل إلى الزعم بأن الجهاديين يمتلكون أسلحة الدمار الشامل، وأحدث تكنولوجيات العصر، وعشرات آلاف المقاتلين المدربين المنتشرين في عشرات البلدان... ودمجت أمريكا كل ذلك تحت مسمى (القاعدة) الذي صنع الأعلام الأمريكي من اسمها (بعبعا) مخيفا يجب محاربته، حيث أدخلت تحت هذا المسمى كل جهد إسلامي في مواجهتها، بل كل من أرادت سحقه في حملتها. وبهذا بررت أمريكا كل ما تلا ذلك من عدوان وإجراءات، وبررا زحفها في حملة احتلال على الشرق الأوسط والعالم الإسلامي..

الهجوم على الإمارة الإسلامية في أفغانستان وإسقاط حكومة طالبان وتدمير البنية التحتية للمجاهدين الأفغان العرب وغير العرب فيها.

إطلاق حملة مكافحة الإرهاب وإلزام كافة الدول بها، وعقد عشرات المؤتمرات من أجل ذلك. ورفع بوش شعار جده قابيل (لأقتلنك)! وأطلق مقولة (من لم يكن مع أمريكا في حربها مع الإرهاب فهو ضدها) ولم يترك أي هامش للحياد.

أطلق بوش يد أجهزته الأمنية من الـ CIA والـ FBI وسواها، وما تبعها من أجهزة أمن من باقي دول العالم التي أدخلها طوعا أو كرها في حملة بربرية من القتل والأسر والتنكيل والتشريد وإقامة المعتقلات التي فاقت معتقلات النازية في إجراءاتها ضاربا بعرض الحائط بكل نداءات الهيئات الدولية والأمريكية المعنية بحقوق الإنسان.

في شهر مارس 2003 فرغت أمريكا من إعداد الأجواء السياسية والإعلامية على مدى عام ونصف من التهويل من أجل تضخيم إمكانية العراق ونظام صدام حسين، بامتلاكهم لأسلحة الدمار الشامل، واخترعت وهما آخر هو علاقة (صدام حسين) بـ (القاعدة). وصنعت خوفا من تسرب أسلحة الدمار الشامل (الموهومة) من العراق إلى القاعدة والإرهابيين، بناء على هذه العلاقة (الموهومة). فزحفت جيوش أمريكا وحليفتها بريطانيا بنحو 300.000 جندي مدجج بأرقى ما وصلت إليه التكنولوجية العسكرية عبر التاريخ. وهاجمت العراق انطلاقا من أراضي عدد من الدول العربية والإسلامية وعلى رأسها الكويت وقطر والسعودية والأردن ومصر وباكستان وتركيا.. وعلى مدى عشرين يوما دكت الطائرات والصواريخ الأهداف المدنية والعسكرية ثم أعلنت في أول شهر يوليو انتهاء عملياتها واحتلال العراق. وسارع مجلس الأمن الدولي بكامل أعضائه لإضفاء الشرعية على هذا الإحتلال بعد أن تخلت روسيا وفرنسا وألمانيا عن معارضتها المتعثرة للحرب ودخلت في الفلك الأمريكي.

يهيئ أوباما الآن هو وكبار رجال إدارته وإعلامه للقفز نحو الخطوة التالية، سوريا وربما إيران ويلوح بتقسيم السعودية والاستيلاء على مصر.. وليس هنا محل استعراض تاريخ يجب كتابته وتحليله بكل دقة وأمانة نحو أجيال المسلمين القادمة. إلا أن الأهداف المعلنة بلا حياء من قبل أوباما قد أعلنت بلا خفاء وهي:

تغيير خارطة الشرق الأوسط السياسية بتبديل بعض الأنظمة وإعادة رسم ملامح وجودها.

تغيير خارطة الشرق الأوسط جغرافيا بتقسيم دول وإنشاء أخرى وتوسيع البعض وقضم أطراف أخرى.

إعادة رسم معالم الثقافة والمكونات الحضارية والدينية العرب والمسلمين وتبديل مكوناتها بما يضمن انسجامها مع أفكار المستعمر والقضاء على كل بذور النهضة والمقاومة.

العمل على ربط منطقة الشرق الأوسط بالاقتصاد الأمريكي عبر اتفاقيات للشراكة الإقتصادية والتبادل التجاري تدخل إسرائيل في صلبه ويحول شعوب المنطقة إلى عبيد مستهلكة للإنتاج الأمريكي وإدارة الصهيونية.

احتلال العراق لأجل غير مسمى والسيطرة بذلك على أكبر احتياط نفطي في العالم فضلا عما تسيطر عليه من نفط الخليج ووسط أسيا بما يضمن لأمريكا أن تمسك بشريان الاقتصاد العالمي وتتحكم بدول أوربا وروسيا وشرق آسيا والصين.

فرض المشروع الصهيوني لدولة إسرائيل التي أصبحت تمتلك الجيش الوحيد وليس الأقوى فقط في المنطقة بعد أن فككت أمريكا جيش مصر ودمرت جيش العراق ووضعت لسوريا برنامج إلغاء جيشها وعدم تحديثه وإلغاء التجنيد الإلزامي فيه مما يخفض عدده إلى الحد اللازم لحفظ الأمن الداخلي فقط.

وهكذا عاد شعار (لأقتلنك) ليرفع من جديد على يد هولاكو القرن الحادي والعشرين: (مستر بوش!) وحملته الصليبية اليهودية الأمريكية البريطانية الجديدة.

وليستمر الصراع بكل جلاء بين الإسلام والمسلمين وخصومه الروم الجدد كما كان عبر 14 قرنا. تماما كما أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام.. صراعا أبديا أزليا مع الروم. وسيستمر كذلك إلى قيام الساعة.

خلاصة النظام الدولي، و صراع المسلمين مع الروم عبر التاريخ الإسلامي:

المرحلة وتاريخها	أطراف الصراع	ملاحظات
المرحلة النبوية بعد قيام دولة المدينة: 1 هـ - 11 هـ	المسلمون × مشركي جزيرة العرب المسلمون × الروم	عم الإسلام جزيرة العرب بعد عام الوفود مؤتة ـ تبوك ـ بعث أسامة رضي الـلـه عنه
خلافة أبي بكر الصديق رضي الـلـه عنه: 11 هـ - 13 هـ	المسلمون × المرتدين في الجزيرة المسلمون × الفرس المسلمون × الروم	تثبيت الإسلام في الجزيرة بداية فتوح العراق فتح الأردن وجنوب فلسطين
خلافة عمر رضي الـلـه عنه: 13 هـ - 25 هـ	المسلمون × الفرس المسلمون × الروم	فتح العراق وفارس (القادسية ـ نهاوند) فتح الشام ومصر
خلافة عثمان رضي الـلـه عنه: 25 هـ - 33 هـ	المسلمون × الفرس المسلمون × الروم	زوال فارس ودخولها في الحضارة الإسلامية فتح شمال إفريقيا و دخول الأندلس وبعض جزر المتوسط
خلافة علي رضي الـلـه عنه: 33 هـ - 40 هـ	الفتنة الكبرى المسلمون × الروم	لا حول ولا قوة إلا بالـلـه هدنة مؤقتة
الخلافة الأموية:	المسلمون × الترك وسط	فتح تركستان والسند وما وراء

41 هـ - 132 هـ	آسيا المسلمون × الروم	النهر تثبيت الفتح في شمال إفريقيا والأندلس وفتح بعض جزر المتوسط
الخلافة العباسية: 132هـ -656هـ	المسلمون × الروم المسلمون × التتار	مواجهات العباسيـين مع الروم البيزنطيـين ـ هدنة مع الروم الغربيين (ملوك أوربا) ـ المسلمون في الأندلس × الروم الغربيـين
دول الطوائف الإسلامية: 656 هـ - 1452م	المسلمون × الروم	المسلمون × الصليـبيـين والبيزنطيـين في الشام ـ المسلمون في الأندلس × ملوك أسبانيا وأوربا
الدولة العثمانية: 1452م - 1924 م	المسلمون × الروم	الصراع بين الدولة العثمانية والدول الأوربية خلال مرحلة الفتح ثم مرحلة السقوط
المسلمون تحت الإحتلال خلال ما بين الحرب-ي-ن: 1914 م - 1945	الروم × الروم المسلمون × الروم	أوربا × أوربا الحرب العالمية الأولى والثانية المسلمون يجاهدون الإحتلال
المسلمون تحت حكم نواب	الروم × الروم المسلمون × الأنظمة	الحرب الباردة: روسيا × أمريكا

الإستعمار: 1945 م - 1990م	نواب الروم	حكام الأنظمة × الصحوة الإسلامية
النظام العالمي الجديد: 1990 م - ؟؟20 م	أمريكا × كل البشرية ! المسلمون × الروم بقيادة أمريكا	نظام القطب الأوحد والسيطرة الأمريكية على الأرض. الحركات الجهادية × أمريكا وحلفائها



المسلمون في العالم
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م
قازاخستان
منغوليا
بلغاريا
يوغسلافيا
ألبانيا
تركيا
تركمانستان
سنكيانج
الصين
كشمير
المغرب
إيران
العراق
الجزائر
ليبيا
مصر
المدينة
باكستان
نيبال
موريتانيا
السعودية
مكة
بورما
مالي
النيجر
الهند
تشاد
السودان
نيجيريا
إثيوبيا
الكاميرون
كينيا
تنزانيا
المحيط
الأطلنطي
أنجولا
أكثر من ٩٠ ٪ مسلمون
أكثر من ٧٠ ٪ مسلمون
أكثر من ٥٠ ٪ مسلمون
من ٣٠ ٪ إلى ٣ ٪ مسلمون



الفصل الرابع

الصــراع مــع الــروم

ومعادلات القوى فيه عبر التاريخ

- عن ثوبان أن رسول اللـه صلى اللـه عليـه وسـلم قـال: (ثـم يوشـك الأمـم أن تـداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بـل أنـتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السـيل ولينـزعن اللــه مـن صـدور عـدوكم المهابـة منكم وليقذفن اللـه في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول اللــه ومـا الـوهن قـال حب الدنيا وكراهية الموت).
- وعن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم أنه قال: (ثم فارس نطحة أو نطحتـان ثـم لا فارس بعدها أبدا، والروم ذات القرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن. أهل صـخر وأهل بحر هيهات لآخر الدهر هم أصحابكم ما كان في العيش خير).

الفصل الرابع

الصراع مع الروم ومعادلات القوى فيه عبر التاريخ

كما تبين لنا من الفصل السابق فقد استمر صراع المسلمين مع الروم منذ عهد النبي صلى اللـه عليه وسلم وإلى يومنا هذا وما زال. وقد أخبر رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم في بعض الآثار التي تعتبر من معجزات نبوته صلى اللـه عليه وسلم عن أن قتالنا معهم قتال أزلي مستمر إلى قيام الساعة ومن تلك الآثار:

جاء في مسند الحارث و زوائد الهيثمي ج2 / ص 713:

باب قتال فارس والروم: حدثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو إسحاق عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو عن بن محيريز قال: قال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم:(ثم فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها أبدا والروم ذات القرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن أهل صخر وأهل بحر هيهات لآخر الدهر هم أصحابكم ما كان في العيش خير) وقد أورده ابن حماد في كتاب الفتن ج2/ ص 479.

جاء في مسند الإمام أحمد رحمه اللـه. الحديث رقم 17335:

حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّ الْمُسْتَوْرِدَ قَالَ بَيْنَا أَنَا عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقُلْتُ لَهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللـه صَلَّى اللـه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:(أَشَدُّ النَّاسِ عَلَيْكُمْ الرُّومُ وَإِنَّمَا هَلَكَتُهُمْ مَعَ السَّاعَةِ) فَقَالَ لَهُ عمرو أَلَمْ أَزْجُرْكَ عَنْ مِثْلِ هَذَا).

وفعلا فقد صدّقت أحداث التاريخ ما كان قد أخبر به رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم. فما أن قامت دولة الإسلام على عهد النبي صلى اللـه عليه وسلم حتى بدأ اشتباك المسلمين مع الروم وتتابع ذلك كما أوجزنا سابقا بلا توقف حتى يومنا هذا. فقد قرأت في إحدى الصحف أيام حرب الخليج الثانية.(عاصفة الصحراء وتحرير الكويت) أن بعض المؤرخين قد أحصى

الحروب التي قامت بين المسلمين والروم. فبلغت أكثر من 3600 حرب بـين مختلـف دول الإسلام ودول الروم! خلال 1410 سنين.

فقد قاتل المسلمون أمما كثيرة، من الفرس والترك والسند والهنـد والمغـول والصـين.. وغيرهم وقد كانت جميعها حروبا وصدامات محدودة بتاريخهـا وزمانهـا. ولكـن التـاريخ أثبت أنها الروم ذات القرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن وكلـما تلاشـت دولـة مـنهم آلت القيادة إلى أخرى، فهم أهل جيوش البر والبحر. ومـا زلنـا وإيـاهم في قتـال وسـيبقى ذلك إلى قيام الساعة. فحتـى اليهـود سـينتهي القتـال معهـم بإبـادتهم في معركـة الحجـر والشجر. وحتى يأجوج ومأجوج سينتهي القتال معهم حيث يهلكهم اللـه تعالى. ولكـنهم الروم ودولهم وممالكهم والقتال معهم إلى قيام الساعة كـما جـاء في الحـديث وهـم أشـد الناس على المسلمين. بل تقوم الساعة والروم أكثر الناس كما في الحديث الصحيح رغم أنها لا تقوم إلا على شرار الخلق وهم غالبيتهم وما ذاك إلا لأنهم حازوا مـن الخصـال – بقـدر اللـه - ما مكنهم من البقاء.

فقد جاء في مسند الإمام أحمد: (عن المستورد الفهري أنـه قـال لعمـرو بـن العـاص تقوم الساعة والروم أكثر الناس فقال له عمرو بن العاص أبصر ما تقول قال أقول لـك مـا سمعت من رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم فقال عمرو بن العاص إن تكن قلـت ذاك إن فيهم لخصالا أربعا إنهم لأسرع الناس كرة بعد فرة وإنهم لخـير النـاس لمسـكين وفقـير وضعيف وإنهم لأحلم الناس عند فتنة والرابعة حسنة جميلة وإنهم لأمنع الناس من ظلم الملوك) (مسند أحمد 17334).

ومن المفيد ونحن نتصدى في البحث للإجابة على السؤال الهام، الذي كتـب الكتـاب من أجله وهو: (كيف نواجه أعداءنا في عالم ما بعـد سـبتمبر بقيـادة أمريكـا ؟) أي كيـف نتصدى للحملات الصليبية اليهودية الثالثة بنجـاح إن شـاء اللــه. مـن المفيـد أن نعـرض للمحطات الرئيسية في صدامنا مع الحمـلات الصـليبية السـابقة، لنـتلمس مفـاتيح الـنصر والهزيمة فيها، عبر دراسة تحليلية هادفة. وهي مادة هذا الفصل إن شاء اللـه.

كيف سارت تلك الحملات الأولى والثانية وهذه الثالثة الأخيرة؟ من كان أطرافها مـن جانب الروم؟ من قام بالمواجهة والدفع والمقاومة من جانب المسلمين؟ من كان معنا ومن كان علينا من داخلنا ومن خارجنا خلالها؟

ولن أقف هنا مع تفاصيل أحـداث التـاريخ، فهـو مسـجل معـروف في مراجعـه، ولا سيما تاريخ الحروب الصليبية الأولى وكذلك الثانية التي تمثل تاريخ العرب الحـديث. وقـد مر نبذة عـن ذلـك في الفصـل السـابق. ولكنـي سـأكتفي هنـا بالتحليـل واستقصـاء العـبر واستخلاص الدروس.

فهذا الفصل من أهم مرتكـزات دعـوة المقاومـة في مجـال فقـه الواقـع واستكشـاف أسباب النصر والهزيمة..

وسنأخذ من التاريخ المحطات الرئيسية الثلاثة لحملات الروم على المسـلمين. ونعتـبر لها تقسيما تاريخيا نظريا، حيث نلاحظ أنها كانت على الشكل التالي:

- الحملات الصليبية الأولى (من منتصف القـرن الحـادي عشر وإلى نهايـة القـرن الثالـث عشر المـيلادي تقريبـا)، عـلى سـواحل بـلاد الشـام ومصر وكـان فيهـا احـتلال بيـت المقدس.
- الحملات الصليبية الثانية (1800-1970) تقريبا. على مكونات الدولة العثمانية والعـالم الإسلامي ولاسيما العـالم العـربي بعـد معاهـدة (سـيكس-بيكـو1919) ووعـد بلفـور (1917).
- الحملات الصليبية الثالثة (1990- 2004 وما زالت) على العالم الإسـلامي عامـة والشرق الأوسط خاصة.

وهناك ملاحظة واضحة وهي أن مركز الصراع كان في الحملات الصليبية الثلاثة يدور في بلاد الشام وما جاورها من بلاد العراق ومصر وجزيـرة العـرب بشـكل رئـيسي. وهنـاك كانت مفاتيح النصر والهزيمة لكلا الطرفين.

ولا نـنسى أن سـاحة الصراع الحـديث (منـذ ا القـرن السـادس عشر وإلى اليوم) مع الروم المعاصرين عموما، قد امتدت على طول رقعـة العـالم الإسـلامي

وعرضه واستهدفت كافة بلاده من أقصى جزر الفلبين في المحيط الهادي شرقا وإلى أقصى سواحل مراكش وموريتانيا على ضفاف الأطلسي غربا. ومن وسط آسيا والقرم والبلقان وشمال أفريقيا شمالا، وإلى أواسط أفريقيا وجنوب شرق آسيا وإندونيسيا جنوبا.

- المرجعيات عند المسلمين

وقبيل أن ندخل إلى دراسة الحملات الصليبية الثلاثة ومعادلات القوى فيها. من المفيد أن نلفت النظر إلى مفهوم المرجعية والقيادة لدى المسلمين عبر التاريخ الإسلامي لأن ذلك يساعد كما سنرى على فهم إدارة ذلك الصراع.

فبحسب المفهوم المتفق عليه فإن (أولي الأمر) كمصطلح سياسي شرعي لدى المسلمين، هم العلماء والأمراء. وبحكم النصوص الشرعية وما دأب عليه الحال فقد شكل رؤوس الناس وقياداتهم ولاسيما زعماء القبائل والعشائر الكبرى وأصحاب الرأي وذوي الأحلام والنهى منهم، القطب الثالث في المرجعية لدى المسلمين إلى جانب الأمراء والعلماء. وهكذا يمكن تحديد المرجعية لدى المسلمين عبر تاريخهم. بثلاثة مرجعيات. هي بحسب أهميتها كما يلي:

المرجعية السياسية: وتتكون من الخليفة الشرعي حال وجوده أو من السلاطين والملوك والأمراء من أصحاب الحكم والسلطان حال تعدد الممالك التي غلبت على معظم التاريخ الإسلامي.

المرجعية الدينية: وتتكون من علماء الدين الإسلامي حيث آلت هذه المرجعية إلى علماء وأئمة المذاهب الأربعة وكبار علمائهم وفقهائهم المتبوعين عبر التاريخ الإسلامي.

المرجعية الاجتماعية: وتكونت في الغالب من رؤساء القبائل والعشائر التي تكون البنية الأساسية للمجتمعات العربية والإسلامية.

وهكذا كان عبر التاريخ الإسلامي في حالات الوحدة السياسية تحت خليفة واحد أو خلال فرقتها تحت سلطان ملوك وأمراء متعددين.

فإن الناس رجعوا في قيادتهم وإتباعهم دائما ولاسيما عند الملمات الكبرى إلى هذه المرجعيات.

ولست هنا بصدد الاستطراد في تحليل ذلك ودوره في التاريخ الإسلامي وآثاره السياسية والاجتماعية إلا بالقدر اللازم لفهم بنية المقاومة في المجتمعات الإسلامية ضد الحملات الصليبية، و دور هذه المرجعيات في ذلك.

كما أن من الضروري أن أوضح أن هذا التقييم الدراسي القائم على الملاحظة والاستنتاجات، ليس تقييما للصواب والخطأ في مناهج تلك التجمعات لا من الناحية العقلية ولا من وجهة النظر الشرعية. فقد يفيد البحث أن شريحة معينة أو مذهبا معينا كان له دور في المقاومة نذكره بحسب أهميته، من دون أن يكون ذلك- كما يفترض أن ذلك مفهوم- تزكية لتفاصيل معتقدات ونهج وطريقة تفكير أصحاب تلك الظاهرة. فهو تقييم وتصنيف دراسي وليس تقييم ترجيح وتصويب للمناهج والمعتقدات على سبيل تحديد الصواب من عدمه. وفق موازين السياسة الشرعية.

وأعتقد أنه في حين يجهل أكثر المسلمين اليوم دور هذه المرجعيات وتماسكها وأثر ذلك على تماسك الأمة وقدرتها على المقاومة، فإن العدو قد أدرك ذلك وعمل على تحطيم هذه المرجعيات الثلاثة ما وسعه ذلك. واخترع بدائل لها أو أفسدها وجعلها تخدم أغراضه كما سنرى بالسير مع تلك الحملات في الدراسة التحليلية التالية.

- الحملات الصليبية الأولى (1050-1291)

المستخلص على سبيل النبذة من المراجع التاريخية، أنه لما ضعفت خلافة بني العباس وصار النفوذ من حول الخليفة العباسي للقادة والجند الذين كان معظمهم خلال النصف الثاني من تاريخها من الأتراك الذين نصبوا سلطانا منهم كان الحاكم الفعلي لمركز الخلافة وما حولها. وانحصر نفوذ الخليفة في الغالب في قصره أو في بغداد وما حولها.. ومع الوقت استقل الأمراء الذين يتبعون للخليفة نظريا في أطراف دولة الخلافة بدول وممالك متعددة، كثيرا ما تصارعت فيما

بينها أو تصارع كبراؤها على الملك والسلطان فيها. وتقسمت تلك الممالك في كثير من الأحيان لتشتمل على مجرد مدن صغيرة أو حتى قلاع وحصون. فمملكة في الموصل، وأخرى في بيروت، وثالثة في طرابلس، ورابعة في حلب، وأخرى في دمشق وهكذا. وسيطرت الشيعة على بلاط الخليفة ببغداد، وانتشر القرامطة في الخليج العربي، وسيطر الإسماعيلية والنصيرية من غلاة الشيعة على سواحل الشام وقامت الدولة العبيدية التي نسبت نفسها للفاطمية وأقامت خلافة مستقلة لها في مصر استمرت ما يقرب من قرنين.

خلال ذلك الوقت مطلع القرن الحادي عشر الميلادي أطلق بابا الفاتيكان نداءه إلى ملوك أوروبا بضرورة تخليص بيت المقدس وصليب الصلبوت - الذي يزعمون كذبا أن المسيح صلب عليه- من أيدي (الكفار) – يقصد المسلمين- وسرعان ما استجاب الملوك من مختلف أوروبا ولاسيما إنجلترا وفرنسا وألمانيا للنداء لمصالح سياسية واقتصادية كما يذهب كثير من المؤرخين ولم تكن الروح الصليبية غائبة عن دوافعهم أيضا. وتعاون قيصر القسطنطينية مع تلك الحملات بتزويدها بالمؤن عند مرورها من أراضيه في شرق أوربا وآسيا الصغرى وكذلك بوضع الأسطول الروماني في خدمتهم.

وهكذا تتالت الحملات الصليبية التي يؤرخ لها المؤرخون بسبع حملات رئيسية على سواحل الشام وجنوب غرب الأنضول(في منطقة الرها وهي ما بين أدنه ولواء اسكندرون في تركيا اليوم) ومصر أخيرا عبر مائتي سنة. وتمكن الصليبيون خلالها من احتلال بيت المقدس وإقامة إمارة مركزية فيه، وتمكنوا من إقامة العديد من الإمارات الصليبية المستقلة عن بعضها بحسب ارتباطها بملوك أوروبا المتعاونين على المسلمين المتصارعين فيما بينهم في كثير من الأحيان.

كانت الإمارات الإسلامية المحاذية للإمارات الصليبية ضعيفة مفككة متصارعة فيما بينها، كإمارات حلب وحماة ودمشق وحمص والموصل. وقد شهدت الكثير من الانقلابات و التصارع الداخلي. وأذاق الأمراء والسلاطين فيها شعوبهم ويلات المكوس وأنواع المظالم. وهكذا احتل الصليبيون المناطق الواقعة بحسب مصطلحات الجغرافيا المعاصرة منطقة لواء الاسكندرون و

الساحل السوري غرب الشام من الجبل إلى البحر المتوسط ومنطقة لبنان وفلسطين بالكامل. ولم يستطع الخليفة العباسي الضعيف في بغداد أن يفعل شيئا. ولم يحرك الخليفة الفاطمي في القاهرة ساكنا، بل شهد تاريخ الفاطميين تعاونا مع الصليبيين. كما سجل التاريخ تعاون النصيرية الذين يسكنون الجبال الغربية في محاذات الساحل في سوريا مع الصليبيين أيضا حيث قاتلوا إلى جانبهم. وشهد العالم الإسلامي خاصة والمشرق العربي عامة حالة شديدة الاضطراب والضعف في تلك الفترة.

ولكن الوثائق التاريخية التي تثبت هذا الحال المتدهور على صعيد المرجعية السياسية تثبت في الوقت ذاته أن تلك الفترة كانت تشهد ازدهارا علميا برز فيه الكثير من العلماء الكبار والأئمة والخطباء، وحملت المساجد مسؤولية المرجعية الدينية ومسؤولية سياسة الناس إلى جانب المرجعية الاجتماعية بعيدا عن مفاسد القصور وصراع الأمراء...

حيث كانت البنية الاجتماعية القبلية متماسكة سليمة البنيان، وهكذا رجع الناس إلى رؤوسهم من العلماء ورؤوس القبائل وصدروا عن رأيهم.

ومع قدوم الصليبيين هب العلماء والخطباء يحثون الناس على الجهاد ويطرقون أبواب الأمراء يحرضونهم على القتال، بدءا من باب الخليفة في بغداد وصولا إلى أبواب أمراء الشام... ولكن المراجع التاريخية تروي قصصا مؤسفة من حالة التفكك وفساد أنواع الأمراء وحكام المدن والحصون.. وقد ذكر بعض المؤرخين من قصص تلك المرحلة، أن العلماء جالوا المساجد واستحثوا الناس وجمعوا أموالا من أجل بناء جيش للجهاد، و طرقوا أبواب الأمراء بحثا عن أهل لهذه المهمة، فلم يرحب بهم أحد من الأمراء حتى سمعوا بأحدهم على أنه مظنة خير ونخوة، فذهبوا إليه ودفعوا إليه المال بعد أن وعدهم خيرا، ثم رجعوا إليه ولم يعثروا عليه فبحثوا عنه شهرا في بادية الشام فوجدوه قد خرج للصيد وبنى بأموالهم التي جمعت لجهاد الصليبيين قصرا في البادية ليأوي إليه مع ندمائه وحاشيته في ليالي الصيد والقنص!!

وروى المؤرخون أن حال أكثر الأمـة آنـذاك كـان انصرافـا إلى الـدنيا وزخرفهـا ورووا كيف أن الخطباء والوعاظ كانوا يلهبون حماس الناس في المساجد التي كانت تضج بالبكاء والعويل، حتى ما إذا خرج الرجال مـن المسـجد عـاد كـل إلى دنيـاه لا يلـوي عـلى شيء... وكأنما يعيد التاريخ نفسه اليوم!!

وسرعان ما أفاقت الأمة من الصدمة وعملت المرجعية الدينية عملها في الأمة، حيث تروي الكتب التي أرخت لتلك المرحلة كيف قامت هـذه المرجعيـة الدينيـة بشـحذ همـة رجال الأمة وكيف تجاوبت المرجعية الاجتماعية ورؤوس القبائل والعشـائر في الشـام ومـا حولها مع نداءات الجهاد، وباشرت نخب الأمة آنذاك بالاشتباك مع الصـليبيين منـذ اليـوم الأول.. إلى أن تصاعدت المقاومة.

واستردت الأمة مرجعيتها السياسية بسرعة بقيام أحد أمراء شمال الشام وهو الأتابك الأمير المجاهد (عماد الدين زنكي) الذي تصـدى للصـليبيين شـمال غـرب الشـام واسـتطاع إسقاط إمارة الرها الصليبية.فلمع نجمه والتف المجاهدون وبعض الأمراء حولـه وبـدأت تتكون نواة الدولة الزنكية التي كانت عاصمتها في البدايـة الموصـل (شـمال غـرب العـراق على حدود الشام) ثم انتقلت إلى حلب (شمال غرب الشام) في عهد ابنه الملك (نور الدين محمود زنكي) رحمه اللـه. الذي تـولى بعـد أن اغتـال الحشاشـون الباطنيـة مـن نصـيرية الشام أباه، فتولى الإمارة وامتد سـلطانه ليشـمل شـمال العـراق وسـوريا و الأردن ولتقـوم الدولة الزنكية وليحمل نور الدين على عاتقه مهمة بنـاء القاعـدة الأساسـية للجهـاد ضـد الصليبيين في المشرق، حيث يعود الفضل إليه رحمـه اللــه في كـل الأمجـاد التـي حصـلت فيما بعد على يد صلاح الدين. وتاريخ هذه الفترة مشهور جدا. قد تناولته الكتب ووسائل الإعلام والأفلام والمسلسلات التلفزيونية بما يغني عن الترديد والاستطراد.

فقـد قضى الملـك الزاهـد نـور الـدين حياتـه مجاهـدا للصـليبيين في الشـام، محققـا الانتصار تلو الآخر وامتد سلطان الزنكيين إلى دمشق التي صارت عاصمتهم بعـد حلـب في الجهاد.

واهتم الصليبيون بالاستحواذ على مصر لما لها من أثر في دعم من يستحوذ عليها في الصراع على الشام. حيث أغراهم ضعف الفاطميين ومكاتبة بعض كبار وزرائهم للصليبيين في بيت المقدس يستقدمونهم إلى مصر ويعدونهم بتسليمها. وأدرك نور الدين أهمية السباق إلى مصر فأرسل جيشه إليها بقيادة القائد الكردي (أسد الدين شيركوه) ليدعم جيش الخليفة الفاطمي ضد الحملة الصليبية المرتقبة على مصر. واصطحب أسد الدين معه ابن أخيه القائد الناشئ (صلاح الدين الأيوبي) رغم كراهته لمغادرة الشام. ولكن أقدار المجد كانت بانتظاره في مصر.

توفي أسد الدين شيركوه الذي كان الخليفة الفاطمي يستقوي به على وزرائه المتصارعين على السلطان والمتآمرين مع الصليبيين. فاختار الخليفة الفاطمي صلاح الدين لمنصب الحاجب الذي يرأس الوزراء ظنا منه أنه يستطيع السيطرة عليه لصغر سنه ولكونه غريبا عن مصر، وليستقوي بجيشه على أمراء الفاطميين. وحصلت الحملة الصليبية على مصر واستبسل صلاح الدين وجيش الشام ومصر، وأمدهم نور الدين بالمدد فتمكنوا من صد الحملة الصليبية التي هاجمتهم برا وبحرا بمساعدة أسطول الروم القادم من القسطنطينية. وبعيد النصر بقليل توفي آخر الخلفاء الفاطميين حيث أعلن صلاح الدين نهاية الخلافة الفاطمية، وخطب الجمعة باسم الخليفة العباسي وأعاد المذهب السني الشافعي إلى مصر، وتوطد ملكه فيها. حتى خشي نور الدين ومعاونوه في دمشق من استقلال صلاح الدين بملك مصر، فأرسل إليه مرات يستقدمه، فأبطأ صلاح الدين عليه، حتى هم نور الدين بالخروج إلى مصر بجيشه ليضمن ضمها إلى مملكته من أجل توحيد مصر والشام في الجهاد ضد الصليبيين.

وكان من قدر الله ولطفه أن توفي نور الدين الملك الزاهد المجاهد. فأعلنت أسرته ولده اسماعيل ولي عهد له، وكان طفلا في الحادية عشر من عمره. فنزل صلاح الدين إلى دمشق معترفا بإسماعيل ومن أجل مناقشة مواجهة الصليبيين واجتمع أهل الحل والعقد من علماء وقادة مصر والشام على بيعة صلاح الدين الأيوبي سلطانا على بر مصر والشام، حيث اقتنعوا بعدم صلاحية أن يؤول

الأمـر إلى طفـل في ظـروف مواجهـة الصـليبيين، وضرورة قيـام سـلطان قـوي لولايـة أمـر المسلمين وقيادة الجهاد. وبذلك قامت الدولة الأيوبية.

وعمد صلاح الدين إلى مكاتبة الأمراء في الحجاز واليمن وشمال إفريقيا وكذلك ملوك السلاجقة في الري شـمال العـراق، وكـذلك توطـدت علاقتـه بالخليفـة العبـاسي في بغـداد محاولا رص صفوف الأمة في المواجهة المقبلـة. حيـث كـان صـلاح الـدين قـد عقـد هدنـة مؤقتة مع الصليبيين حتى يفرغ من القضاء على فتن صغار الأمراء من الفـاطميين في مصر والمتناحرين على الإقطاعيـات والحصـون في الشـام. ثـم نقـض الصـليبيون الهدنـة بإغـارة قائدهم (أرناط) عـلى قافلـة للحجـاج جنـوب الأردن فنقضـت الهدنـة واشـتعل القتـال و تتالت انتصارات صلاح الدين وتتوجت بمعركة حطين ثم بفتح بيت المقدس لينصب صلاح الدين منبر الجمعة الرائع الذي كان نور الدين زنكي رحمه اللـه قد أمر بصـناعته ليضـعه في المسجد الأقصى لأول خطبة جمعة بعد الفـتح. وكـان القـدر أن ينصـب في عهـد صـلاح الدين ويخطب عليه إمام مسجد الجمعة في حلب الذي كـان قـد بشر بـالفتح الـذي تـم سنة 583 هجرية. في نفس الموعد الذي بشربه الشيخ!!

ولما أدركت الوفاة صلاح الدين، قسم المملكة بين أبنائـه الـذين سرعـان مـا اختلفـوا فيما بينهم ليؤول الملك إلى أخيه الملك العادل الذي تـولى ملـك مصر والشـام وحصـلت في عهده آخر الحملات الصليبية التـي كانـت عـلى مصر، والتـي قادهـا ملـك فرنسـا (لـويس التاسع) الذي أسره الملك العادل وأودعه السجن في المنصـورة. ثـم أطلـق سراحـه. وهنـاك كتب بعد تفكر وتأمل في تاريخ قرنين من الحملات الصليبية العسكرية كتب ملاحظاته في فشل الغزو العسكري للشرق الإسلامي وضرورة العمل على الغزو الفكـري حيـث شـكلت ملاحظاته الأرضية الأولى للحملات الصليبية المعاصرة التي قامت عـلى التبشـير والتغريـب ثم الإستعمار بعد ذلك بخمسة قرون.

ثم توفي الملك العادل بعد أن حمل مهمة جهاد الصليبيين، ثم لمـا آل الأمـر إلى الملك الصالح اسماعيل الذي صار سلطانا على الشام، وإلى عمـه الملـك نجـم الـدين أيـوب الـذي صـار ملكـا عـلى مصر. وتواطـأ اسـماعيل مـع الصـليبيين

واستعان بهم ضد نجم الدين في مصر وأعطاهم عددا من القلاع والحصون، وسمح لهم بشراء السلاح من أسواق دمشق. فوقف له بالمرصاد سلطان العلماء في زمانه (العز بن عبد السلام) عالم دمشق، فسجنه ثم أطلق سراحه فارتحل إلى مصر ليتابع سيرة الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على سلطان مصر الذي آواه وأكرمه.

واستكثر الأيوبيون في مصر من العبيد والمماليك فحشدوا منهم المئات والآلاف، واتخذوا منهم الجند والقواد. وصارت قوة كل أمير من أمراء مصر والشام من الأيوبيين بعدد عبيده ومماليكه الذين كان كثير منهم من وسط آسيا وبلاد التركستان. وأغرى قادة المماليك ما هم عليه من القوة وما عليه حال ملوكهم وأمرائهم الأيوبيين من التفسخ والضعف فانقلبوا عليهم واستلموا الحكم في مصر والشام تبعا لذلك،بعد وفاة نجم الدين أيوب أثناء معركة المنصورة (1250م). حيث تزوجت زوجته (شجرة الدر) بكبير قواده من المماليك ثم تنازلت له عن الملك. لتقوم بذلك الدولة المملوكية. وكان لسلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله القصة التاريخية المشهورة، حيث لم يفت بصحة ولايتهم لأنهم عبيد غير أحرار. واضطروا للنزول على فتواه بضرورة بيعهم ورد ثمنهم لبيت مال المسلمين حتى صاروا أحرارا وصحت ولايتهم!!

وحملت دولة المماليك راية الجهاد ضد التتار الذين كانوا قد اجتاحوا المشرق وأسقطوا بغداد واستباحوا مدن الشام... وقرعوا أبواب مصر، فنهض لهم سلطانها المملوكي المجاهد (قطز) الذي لم يفت له سلطان العلماء بالأخذ من أموال العامة لشراء السلاح، إلا بعد أن وضع ماله وأخذ مال أمراء المماليك لذلك الغرض. فأفتاه وحرض المسلمين على الجهاد في مصر والشام وكانت موقعة عين جالوت أول هزيمة استراتيجية للتتار.. أدت إلى بداية تراجعهم.

وخلف الملك الظاهر بيبرس قطز على السلطان بعد أن اغتاله وهم عائدون من عين جالوت ليظفر بالملك وبهجة النصر! ومع ذلك حمل بيبرس مسؤولية جهاد الصليبيين في الشام زهاء 27، إلى أن أجلاهم عن آخر حصونهم. حيث

تم الجلاء الكامل في عهد السلطان خليل بن قلاوون وانتهت بذلك الحملات الصليبية الأولى (1291).

والمستخلص من مسار هذه الحملات دروس وعبر كثيرة وما يخصنا لهذا البحث هو معرفة ما كان من أمر المرجعيات التي تولت إدارة المواجهة في الطرف الإسلامي:

1. المرجعية السياسية: كانت غائبة ابتداء. ثم تكونت عبر الزنكيين ثم الأيوبيين ثم المماليك.
2. المرجعية الدينية: تولت المواجهة إلى أن قامت المرجعية السياسية. ثم وقفت ردءا لها إلى نهاية المواجهة.
3. المرجعية الاجتماعية: وقفت إلى جانب المرجعيتان. واكتمل النصاب، فواجهت الأمة الإسلامية أمة الصليبيين.

و كانت معادلة المواجهة في الحملات الصليبية الأولى باختصار:

أمة الإسلام × أمة الصليب ⟵ انتصرت أمة الإسلام

لم تواجه أمة الإسلام بشرائح قليلة، ولا بعصابات صغيرة، ولا بتنظيمات محدودة لا سرية ولا علنية... لقد وقفت الأمة بكاملها للحملات الصليبية وهزمتها. ولم يعطل صراع الأمراء والسلاطين على الملك ولا خور عامة الأمة وقعودها عن الجهاد.

- الحملات الصليبية الثانية (1798-1970)

أقامت الحملات الصليبية الأولى في المشرق العربي زهاء مائتي سنة. مكنتهم من الاحتكاك عن قرب بالحضارة الإسلامية. ليس عسكريا فحسب. فقد كان هناك كثير من فترات الهدنة، كما قامت كثير من العلاقات التجارية بين الإمارات الصليبية والإسلامية من حولها. وتمكن كثير من الرحالة ورجال الدين الأوربيين أن يزوروا بلاد المسلمين ويطلعوا على البون الشاسع في التفكير

والتطور والنظام السياسي والإقتصادي والحياة الاجتماعية والثقافية. كما تمكنوا من نقل كثير من المخطوطات والكتب حتى عد المؤرخون الأوربيون الحملات الصليبية من أسباب عصر النهضة في أوروبا ونهاية العصور الوسطى.

وفي أواخر أيام الحملات أدرك ملوك النصارى ألا سبيل لهم إلى البقاء. وبدؤوا يعيدون التفكير في طريقة غزوا المسلمين والتعامل معهم.

وفي الحملات الأخيرة على مصر(1249ميلادية)، وقع (لويس التاسع) ملك فرنسا أسيرا مع آلاف من جنوده الصليبيين بيد المماليك، وأودع السجن. وهناك كان لديه فسحة من التأمل ليضع أسس هامة لتفكير الصليبيين في كيفية غزو المسلمين. وكتب توجيهاته الهامة تلك والتي كان خلاصتها:

(إن المسلمين لا يهزمون ما دامت عقيدتهم قائمة ويجب أن تبدأ الحرب على المسلمين بحرب الكلمة) ثم ما لبثت الحملات الصليبية الأولى أن انتهت كليا بسقوط عكا سنة (640هجرية – 1291ميلادية).

وهكذا أدرك الغرب الصليبي أنه لا يمكن التغلب على المسلمين بالقهر والقوة العسكرية لأن ذلك يستفز لديهم بسبب المشاعر الدينية وطبيعة عقيدتهم كل أسباب المقاومة والقتال. وأن السبيل إلى ذلك هو غزوهم فكريا وتغيير طريقتهم في الاعتقاد والتفكير لتجفيف جذور قوتهم وقدرتهم على المقاومة ومن ثم يسهل الاستيلاء عليهم عسكريا.

الغزو الفكري للمسلمين ونتائجه العملية في الميدان السياسي:

انتهت الحملات الصليبية الأولى نهاية القرن الثالث عشر، وابتدأت الثانية مطلع الثامن عشر. فكيف استفاد الصليبيون من مدة 500 سنة للإعداد و التخطيط للعودة على خبرة و معرفة ؟!

منذ عادت بقايا الحملات الصليبية مدحورة إلى أوربا انكب العلماء والمفكرون الأوربيون على دراسة خلاصة حضارتنا العربية و الإسلامية ونشطت حركة الترجمة وقامت مراكز وجامعات الإستشراق وهو التخصص في الدراسة الشرقية. ومع انهيار الحكم الإسلامي للأندلس 1492 م. حصل مثل

ذلك وخلال القرون السادس عشر و السابع والثامن عشر نشطت حركة الرحالة والكشافة والمستشرقين. ثم نشأت حركات التبشير برعاية البابا ودعم وتسابق ملوك أوربا على دعم المهام المقدسة للبحارة والمكتشفين.. وعلى مدى هذه القرون الطويلة توغل هؤلاء البحاثة والبعثات الإستشراقية والاستكشافية في كافة أرجاء العالم العربي والإسلامي وقدموا الدراسات والأبحاث ونقلوا الكتب والمخطوطات التي تجمعت في جامعات ومراكز دراسات استشراقية عملاقة تخصصت في دراستنا...

وأذكر على سبيل المثال من ذلك أني دخلت مكتبة جامعة الدراسات الشرقية في لندن للبحث عن كتب في التاريخ السياسي المعاصر للجزائر، فلما دخلنا إلى دليل كمبيوتر المكتبة علمت أن المكتبة تحوي على ما طوله 114 كم من الرفوف المرصوصة بالكتب من مختلف الدراسات واللغات من العربية وسواها ! ولما طلبت منه كتب عن الجزائر...علمت بوجود (30000) كتاب عن الجزائر بمختلف اللغات. فلما حددنا اللغة العربية أذكر أنها كانت ما يربوا عن 5000 كتاب فلما حددنا المطلوب باللغة العربية عن التاريخ السياسي المعاصر للجزائر عثرت على 263 كتاب. ووجدت ضالتي من وثائق مرحلة الاستقلال في عشرات الكتب منها !! فتأمل... وقد عرفت بالصدفة أن المكتبة تحوي 6000 مخطوطة بلغة البشتون تعود لتواريخ مختلفة ولك أن تتساءل . كم من البشتون يعرف قراءة لغتهم المكتوبة ؟! فيما درسها علماء أوربا وقرؤوا مخطوطاتها !

ولقد رأيت مثل ذلك في مركز(جورج بومبيدو) في باريس وهو مكتبة مقروءة مسموعة مرئية تحتوي مئات آلاف الكتب والأبحاث والدراسات...، وسعت عن مثل ذلك عن جامعات هولندا وألمانيا ويرها. ورأيت في أسبانيا مكتبة (الأوسكوريال) قرب مدريد حيث تحتوي زهاء خمسين ألف مخطوطة عربية، عدا ما تحتويه مكتبة الفاتيكان وسواها من مراكز التبشير والتنصير..

باختصار.. لقد توغل الإستعمار الحديث في بلادنا بعد أن امتلك معلومات في كافة المناحي وقرأنا وفهمنا كما يقرأ خطوط كفه.. لقد تحركوا

بعلمية وعمليـة..إنهـم الـروم وخصـالهم. هـؤلاء الـذين لا يعـرف أكثرنـا عـنهم إلا ظـاهر قشرتهم الحضارية حاليا من الانحلال والفجور والمجون.. ولكن القاعـدة الحضـارية لهـذه الأمم الرومية أعقد من ذلك بكثير. ولا بـد مـن أن نعـرفهم كـما عرفونـا ونقـاومهم عـلى بصيرة كما غزونا على بصيرة ومعرفة...

وقـد كتـب بعـض المـؤرخين والبحاثـة العـرب والمسـلمين عـددا مـن الكتـب حـول الإستشراق وعلاقته بالاستعمار وحركات التبشير وعلاقتها بالاستعمار، مما يندهش له المـرء من ترابط هذه المواضيع الثلاثـة... وهكـذا بـدأ الغـزو الفكـري لبلادنـا مـع قـدوم حملـة نابليون (1789م). وبدأ تغلغل الماسون في البلاد العربية والخلافة العثمانية. وبدأت ريـاح التغريب و الإستعمار الفكري تهب على بلادنا قبـل الإسـتعمار الـذي أتى بزخمـه أواسـط القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين..وكان قد بدأ منذ القـرن السـادس عشر يقضـم أطراف العالم الإسلامي.

وعلى منحـى مـواز للغـزو الفكـري دأبـت طلائـع الإسـتعمار عـلى صـناعة الصـنائع الاستعمارية وإقامة علاقاتها بمختلف شرائح المجتمع ولاسيما قطاع أمرائه وعلمائه وهكذا تسللوا إلى الجملة العصبية للجسد الإسلامي الذي كان يرتمي مريضا يحـتضر مـع الخلافـة العثمانية. فلما نضجت الطبخة الاستعمارية الكبرى. أعان الإستعمار على غزواته ما حققته أوربا مما أسلفنا من النهضة العلمية والثورة الصناعية والتطور في مجال السـلاح ووسـائل النقل السريعة.. وهكذا دهمنا الإستعمار وقد توفر له كل شيء وتساقطت بـلاد المسـلمين بأسهل مما تسقط العاصفة أوراقا صفرا لشجرة مريضة قد نخـر السـوس سـاقها وتآكلـت جذورها ودب العطب في كل مناحي حضارتها دينيا وفكريا وسياسيا وعلى كل صعيد..

لقد أوصلتها السنن لأن يتحقق لنا ما أخبر به بن خلدون من قيام الممالـك وزوالهـا واندثارها.. وهكذا شهدت الحضارة نقلتها الرابعة بحسب تـوينبي كـما أسـلفنا في الفصـل السابق من الشرق الإسلامي إلى أوربا الغربية الصليبية ووريثتها أمريكا.

بداية الحملات الصليبية الثانية:

ويمكن التأريخ للحملات الصليبية الثانية ودفعتها الرئيسية بمطلع القرن التاسع عشر حيث انطلقت حملة نابليون إلى مصر سنة 1789. مع أن انطلاقهم نحو أطراف العالم الإسلامي وتمكنهم من إنشاء رؤوس جسور وقواعد بحرية على شواطئ بلاد المسلمين واحتلال الجزر البعيدة في أطراف العالم الإسلامي يرجع إلى أواسط القرن السادس عشر. حيث وصلت بهم الجرأة أن ينشئوا مستعمرات لهم على شواطئ جزيرة العرب وحتى على التفكير في غزو الحرمين كما حاول الأسطول البرتغالي ذلك. ولكن العثمانيين وقوتهم البحرية المسيطرة أفشلت المحاولة. وما لبث العثمانيون أن سيطروا على البحر المتوسط والبحر الأحمر وبحر العرب. وبعد أن سيطر الإنجليز على مستعمرات البرتغال على سواحل إفريقيا والهند والجزر الواصلة إلى الفلبين، وبعد احتلالهم لشبه القارة الهندية، تمكنوا من احتلال السواحل الجنوبية للجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي – الفارسي- وأقاموا بالتعاون مع مشيحات الخليج محميات لهم تتبع عمليا التاج البريطاني. ولم يتجرؤوا - لفهمهم الحضاري واستيعابهم- على التفكير في احتلال قلب الجزيرة العربية ولاسيما الحجاز، لوجود المقدسات فيها وخشية وجود الخلافة المركزية(العثمانية) ولو شكليا، وخشية أن يستفز إعلان الجهاد العام من قبلها دفاعا عن الحرمين المسلمين ضد بريطانيا في مناطق هي في غنى عن الصدام معهم فيها.

ثم بدأ التسابق الفرنسي - البريطاني بشكل سافر على قلب العالم الإسلامي جنوب المتوسط في بلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا والجزيرة العربية فاحتل نابليون مصر مطلع القرن التاسع عشر وزحف إلى جنوب فلسطين كما احتلت فرنسا تونس والجزائر وأجزاء من شمال مراكش ما بين 1830- 1844م. كما دخلت أسبانيا الصحراء المغربية و منطقة الريف سنة 1860م.

وبلغت الحملات الصليبية الثانية نقطة الذروة بعيد الحرب العالمية الأولى وخسارة الدولة العثمانية للحرب إلى جانب ألمانيا بعد سيطرت الماسون على إدارتها. والحجر على آخر خلفائها السلطان عبد الحميد. فأبرمت معاهدة أو

مؤامرة سيكس بيكو سنة 1917 وفي نفس السنة صدر وعد بلفور عـن وزارة المسـتعمرات البريطانية بإعطاء فلسطين وطنا قوميـا لليهـود بعـد أن تسـيطر عليهـا بريطانيـا بحسـب الاتفاقية التي جعلت فلسطين في حصتها.

وهكذا سقط المشرق العربي كله تحت احـتلال جيـوش الحمـلات الصـليبية الثانيـة تحت مسمى الاستعمار الحـديث. فـدخل الجـنرال الفـرنسي (غـورو) دمشـق سـنة 1920 واحتلت فرنسا سوريا وكان لبنان ضمنها، ودخل الجنرال الإنجليزي (اللنبي) القـدس سـنة 1921، واحتل الجيش البريطاني فلسطين وشرقي الأردن والعراق بعـد أن غـدرت بريطانيـا بالشريف حسين ونكثت بوعودها التي كان قد أبرمها معه وزيرها (مكماهون) مـن أجـل كسب معاونته وجر العرب للانقلاب على الأتراك العثمانيين. حيث خدع الشريـف حسـين وظن أن بريطانيا سوف تعاونه على إقامـة خلافـة عربيـة عـلى أنقـاض العثمانيـة تشـمل جزيرة العرب والعراق والشام فقاد مـا عـرف باسـم الثـورة العربيـة الكـبرى حيـث قاتـل العرب في الحجاز والشام إخوانهم الأتراك من جنود الخلافة بدعم وتعـاون مـن الإنجليـز. وكانت بريطانيا قد احتلت مصر والسودان قبل ذلك فيما آلت ليبيا إلى إيطاليا(1904م).

هذا عن العالم العربي، أما في العالم الإسلامي فقد تقاسمته أوربا الاستعمارية كـذلك. فصارت الهند وبلاد السند (باكستان) وإيـران تحـت الاحـتلال البريطـاني، ووُضـعت تركيـا باسم الاستقلال والجمهورية تحت حكم يهود الدونمة بإشراف اليهـودي (مصـطفى كـمال أتاتورك) الذي أقام الجمهورية التركية وأعلن إسقاط الخلافة، وتخلت بذلك تركيا عن إرثها في الـدول العربيـة والإسـلامية للعـالم الصـليبي، فـيما تقاسـمت فرنسـا وبريطانيـا الـدول الإسلامية في وسط إفريقيا..

أما روسيا فقد انطلق قياصرتها منذ أواسط القرن السادس عشر في حركـة استعمارية التهمت الممالك الإسلامية واحدة تلو الأخرى فاحتلـت روسـيا بـلاد القرم والبشـكير و تتارسـتان وبـلاد القفقـاس; الشيشـان وداغسـتان وجورجيـا وأذربيجان وانطلقت شرقا لتبتلع تركمانستان و أوزبكسـتان و طاجيكسـتان و

قيرغيزستان وكازاخستان وكانت قد استولت على سيبيريا بالكامل وحطت جيوش القياصرة رحالها على ضفاف نهر جيحون على حدود أفغانستان سنة 1904 بعد أن كانت قد أسقطت عواصم الإسلام الكبرى; مثل مرو و بخارى و ترمذ و سمرقند و طشقند.... ثم ورثت روسيا الشيوعية بعد الثورة البلشفية 1917 تلك المستعمرات بعد أن قضت على الأسرة القيصرية وكان لليهود الروس دور رئيسي في الثورة الشيوعية فكرا وتنفيذا.

أما بلاد نجد والحجاز فقد استولت عليها بريطانيا بطريقة ذكية تتناسب مع قدسية الحرم. فقد تبنت بريطانيا أميرا شابا من أسرة آل سعود التي كانت قد لجأت إلى الكويت بعد سقوط الدولة السعودية الثانية، حيث تعرفت وزارة المستعمرات على عبد الرحمن آل سعود عن طريق عميلهم الأكبر في الكويت (مبارك الصباح) الذي يدعوه قادة التنصير في جزيرة العرب بـ (مبارك العظيم) جراء ما قدم لهم من خدمات وتسهيلات للتنصير في جزيرة العرب. وهكذا عرضت بريطانيا على عبد الرحمن آل سعود معاونتها لاستعادة ملك أجداده في نجد، فقدم لهم بسبب كبر سنه ولده عبد العزيز سنة 1898، فمولت بريطانيا حملته الأولى على نجد سنة 1901 ثم ونتيجة ما لاقاه من الصعوبات تبنى عبد العزيز فكرة إحياء الدعوة الوهابية وعاود الكرة في السنة التالية. وتمكن بمساعدة بريطانيا التي أمدته بالمال والخبراء والضباط الإنجليز وبسبب زعمه حمل راية الدعوة الوهابية حصل عبد العزيز على مساعدة جماعات (الإخوان) حملة الدعوة الوهابية الذين ساعدوه فتمكن من دخول نجد والاستيلاء عليها. وبعد تفكير عميق تخلت بريطانيا عن (الأشراف) في الحجاز لصالحه لتضع كامل بلاد نجد والحجاز ومعظم جزيرة العرب تحت سلطة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي أعلنته بريطانيا سلطانا على نجد والحجاز سنة 1935 لتقوم (الدولة السعودية الثالثة). وأبرم التاج البريطاني مع عبد العزيز اتفاقية تبعية يلتزم فيها بان لا يخرج عن مشورتهم وأوامرهم وأن لا يبرم معاهدة ولا اتفاقا إلا بإذنهم مقابل كفالة التاج البريطاني لعرشه مدة حياته ولأبنائه وراثيا من بعده. ثم أمدت بريطانيا عبد العزيز ليحارب الإخوان وساعدته بالطائرات فقضى على

بقيتهم في معركة(السبيلة) الشهيرة، ليخلوا له الجو ويدخل من تبقى من حملة الدعوة الوهابية تحت عباءة سلطانه وملكه.

وبعد أن سيطرت بريطانيا على فلسطين تعاونت بشكل كثيف مع الوكالة اليهودية للهجرة التي أقامتها الحركة الصهيونية. وضخت في فلسطين مئات آلاف اليهود الذين شحنتهم السفن من مختلف الدول الأوربية ولم يكن عدد اليهود الأصليين في فلسطين يجاوز 15000 نسمة عندما احتلتها بريطانيا. وشعر المسلمون بالخطر الداهم وقامت الثورة التي قادها الشيخ عز الدين القسام رحمه الله الذي قدم من الساحل السوري لإحياء الجهاد في فلسطين سنة 1936. واشتعلت المعارك بين المسلمين واليهود، فاستنجدت بريطانيا بعبد العزيز آل سعود لإخماد الثورة. فأرسل ابنه ووزير خارجيته فيصل من أجل إقناع الفلسطينيين بوقف الثورة وإعلان الهدنة. فاقنع فيصل زعمائها بالوثوق بوعود(صديقتنا بريطانيا) على حد زعمه. وهكذا أجهضت الثورة الرئيسية التي وقفت في وجه حملات التهجير والتهويد في فلسطين. ثم تتابعت جهود مختلف الدول الأوربية في دعم وكالة الهجرة اليهودية وإمداد اليهود بالمال والسلاح حتى وصل عددهم سنة 1947 إلى 650 ألف نسمة. وتمت مسرحية دخول الجيوش العربية وهزيمتها في فلسطين سنة 1947 فأعلن اليهود ميلاد دولة إسرائيل لتسارع الجمعية العامة للأمم المتحدة وبمباركة من دول أوروبا وأمريكا وروسيا للاعتراف بها.

وهكذا زرعت الحملات الصليبية الثانية الكيان السرطاني اليهودي في أقدس مقدسات المسلمين واحتل اليهود نصف مدينة القدس بعد أن استولت بريطانيا الصليبية على بلاد نجد والحجاز بصورة غير مباشرة عبر صك الملك الوراثي في عبد العزيز وأبنائه.

إذن...

لقد سقط العالم العربي والإسلامي برمته تحت الإحتلال الغربي الذي لم يخف هويته الصليبية. فقد صاح الجنرال اللنبي وهو يركز علم بريطانيا ذي الصليبين على قمة جبل الزيتون في بيت المقدس قائلا:(الآن انتهت الحروب

الصليبية). وكـذلك ذهـب الجـنرال غـورو الفـرنسي إلى ضريـح صـلاح الـدين وضرب قـبره بالسيف وكسر قطعة منه وقال له:(ها قد عدنا يا صلاح الدين). وصرح موسوليني حـاكم إيطاليا الاستعمارية بأنه يحمل أمجاد الرومان إلى جنـوب المتوسـط.. وهكـذا كـان سـلوك باقي الدول الأوربية حيث ذهبت.

واستمرت هذه الحملات في احتلالها المباشر العلني طيلة ما سمي بمرحلة الإسـتعمار القديم. إلى أن أدت الثورات الجهادية، والحركـات التحرريـة إلى إجبـار الـدول المسـتعمرة على تغيير أسلوبها إلى مرحلة الإستعمار الحديث. لتتابع الحملات فتكها بكافة بـلاد العـالم الإسلامي بشكل أذكى وأدهى. فبدأ إعلان استقلال الـدول العربيـة والإسـلامية منـذ مطلـع الأربعينات وكان آخرها دولة الإمـارات العربيـة المتحـدة، التـي أعلـن (اسـتقلالها!!) سـنة 1973. أما الممالك الإسلامية التي احتلها الروس فلم ينفك عن الإحتلال المبـاشر إلا بعضـها عند تفكك الاتحاد السوفييتي سنة 1990.

وكما أسلفت فإن استقلال تلك البلاد كان شكليا. وأدى قيام روسيا وأمريكا كـدولتين عظميين إلى أن ترث كل منهما القيام بمهام الإستعمار الحـديث في معظـم تلـك الـدول ولم يبق لفرنسا وبريطانيا إلا بعض الفتات الاستعماري هنا وهناك.

وقد سجل التاريخ الحديث أن الثورات الجهادية التي قارعـت الاسـتعمار وواجهـت الحملات الصليبية الثانية قد اشتعلت في كافـة بـلاد العـالم الإسـلامي، ولم تـترك الاسـتعمار ينعم بالهدوء. فكانت الثورات ما تلبث أن تهدأ لتنـدلع مـن جديـد. فقـد أجـبرت ثـورات العلماء بريطانيا على الرحيل مبكرا عن أفغانستان، ثم جلـت عـن الهنـد وباكسـتان بعـد احتلال دام قرابة قرنين، وكذلك أجبرتها ثورات العراق ومصر والسودان وعدن على الرحيل بعد خسائر كبيرة، وكذلك خرجت فرنسا من الجزائر وتونس والمغرب وسوريا بعد خسائر فادحة. وبنفس الطريقة خرجت إيطاليا من ليبيا وكذلك أسبانيا من المغرب... وهلم جرا.

والدارس لمسار الحملات الصليبية الثانية يجد بعض النقاط الهامة في الإختلاف وتطوير الصليبيين لأساليبهم بين الحملتين الأولى والثانية، ومن أهم ذلك:

أن الحملات الصليبية الأولى كانت ذات بعد ديني أساسا ممتزج ببعد اقتصادي ثانوي. في حين كانت الحملات الثانية ذات بعد ديني صليبي واقتصادي استعماري وسياسي من أجل الصراع على النفوذ. وكذلك ذات بعد حضاري يقصد إلى نشر ثقافة المستعمر ونظمه العلمانية في البلاد المستعمَرة.

أن الحملات الصليبية الأولى تركزت على سواحل المشرق والشام فقط، في بيت المقدس وأكنافه وسواحل سوريا ولبنان. في حين استهدفت الحملات الصليبية الثانية كامل بلاد العالم العربي والإسلامي، وتركزت في الشرق الاوسط وفي دعم إسرائيل في بيت المقدس.

أن الحملات الصليبية الأولى استهدفت الأرض باحتلالها، في حين استهدفت الحملات الثانية احتلال الأرض والإنسان المسلم الذي قصدته بالمسخ والتغيير في كافة أبعاد مكوناته الحضارية.

وهذه أهم الملاحظات; وهي أن الحملات الأولى تمت في حالة جهالة تامة من قبل المستعمرين الصليبيين بالأرض الإسلامية وسكانها وكامل مكوناتهم الحضارية والدينية والثقافية. في حين تمت الحملات الثانية بناء على معرفة تفصيلية ودراسات متعمقة مكنتهم من الدخول على بصيرة توغلوا فيها وفق خرائط واضحة المعالم للأرض والشعوب و تركيبتها النفسية والعرقية والدينية وكامل مواصفاتها. وهذه نقطة تحتاج الوقفة التالية:

فماذا كان من شأن المرجعيات الثلاثة في قيادة المجتمعات العربية والإسلامية؟؟

حالة المرجعيات الإسلامية خلال الحملات الصليبية الثانية:

على صعيد المرجعيات السياسية:

كانت قد سقطت تماما بسقوط الخلافة العثمانية عمليا (منذ نهايات القرن الثامن عشر) ثم رسميا (1924م) وكان حال القيادة السياسية لا يقل إن لم يزد سوءا في الغالب عن أحوال أمراء المشرق المتنازعين أيام غزو الصليبيين و التتار. و بالإمكان القول أن المسلمين كانوا بلا مرجعية سياسية عمليا.

على صعيد المرجعية الدينية:

فقد كانت المرجعية ما تزال حية. وتمثلت في تلك المرحلة بأئمة المذاهب الفقهية، ومراكز الإشعاع الديني ككبريات المساجد في كل بلاد المسلمين. وبرزت في هذه المرحلة الطرق الصوفية كمرجعية دينية في أكثر بلاد المسلمين. حيث كانت الصوفية قد ازدهرت خلال المرحلة العثمانية وما سبقها.

على صعيد المرجعية الاجتماعية:

فقد كان النظام القبلي العشائري مازال متماسكا في معظم العالم العربي والإسلامي وكان متداخلا جدا مع المرجعية الدينية مما وفر القاعدة الشعبية لوقود الثورة.

وهكذا عمت الثورات على الإستعمار العالم الإسلامي بأكمله. مثل ثورة الإمام شامل في القفقاس على الروس والتي استمرت زهاء أربعين سنة وكذلك ثورات الأوزبك وغيرهم في وسط آسيا والتي أخمدها الروس بكل قسوة، فتحول المسلمون في جهادهم إلى الحفاظ على دينهم وقومياتهم سرا. وما زالت الثورات تندلع ضد الروس طوال تاريخهم. وكذلك قامت ثورات ضد الإنجليز قادها (علماء الديوبند) وأئمة المذهب الحنفي والطرق الصوفية في شبه القارة الهندية وبلاد السند وأفغانستان التي انتهت بجلائهم. وكذلك واجه الإنجليز ثورات العراق والثورة المهدية في السودان والانتفاضات التي قادها علماء الأزهر في مصر. وكذلك ثورة علماء اليمن على الإنجليز. كما واجهت فرنسا ثورة ضارية في الجزائر وكذلك اعمال مقاومة كثيرة في المغرب وسوريا وبعض

البلاد الإفريقية كما قام عبد الكريم الخطابي بجهاد الإسبان وتحالف جيوش أوربا في الريف المغربي وهزم في معركة أنوال الشهيرة جيوش خمس دول أوربية مجتمعة أسر فيها آلاف الجنود وأكثر من مئة جنرال. وكذلك قاد عمر المختار و السنوسيين الجهاد ضد إيطاليا في ليبيا لأكثر من أربعين سنة... وكذلك كان الأمر في مختلف بلدان العالم الإسلامي.

وهكذا ورغم غياب المرجعية السياسية، تمكنت المرجعيتان الدينية و الاجتماعية من لم شمل الأمة، وإطلاق المقاومة عبر حروب العصابات الجهادية وأنواع المقاومة المدنية والعصيان وأعمال التظاهر والكفاح السياسي. مما أدى في نهاية المطاف إلى إجبار المستعمرين على الرحيل وإعطاء تلك البلاد استقلالها. ولكن بعد أن تمكن الاستعمار من وضع أسس المرحلة التالية من الحملة الصليبية الثانية بأسلوب ماكر خبيث.وهو ما عرف باسم الاستعمار الحديث.

وكانت معادلة القوى في صراع المسلمين مع الحملات الصليبية الثانية خلال مرحلة الاستعمار العسكري إلى الاستقلال بعد أن دخل اليهود فيها بشكل أساسي منذ الحرب العالمية الأولى فصارت المعادلة على الشكل التالي:

أمة الصليب + أمة اليهود × أمة الإسلام ⟵ انتصرت أمة الإسلام

ومرة أخرى يمكننا القول هنا أن المقاومة والمواجهة لم تكن من فعل عصابات محدودة ولا تنظيمات سرية ولا نخب عقدية فقط وإنما شملت أمة الاسلام في كل قطر حيث التفت حول زعماء الجهاد والثورة. فلما كانت قضية الصراع قضية أمة في مواجهة أمم تأهلت الأمة للانتصار ورحل الاستعمار.

وهنا ينتقل الحديث إلى مرحلة الاستعمار الحديث ما بين الحملتين الصليبيتين الثانية والثالثة والتي تناولتها في المحاضرات السابقة التي غطت هذا البحث تحت عنوان المرحلة الثانية من الحملات الصليبية، ثم أجد الآن أنها مرحلة مستقلة مهدت للحملات الثالثة ولذلك سأتناولها هنا بعنوان مستقل هو ما يلي.

- مرحلة الاستقلال السياسي (الشكلي) وقيام الاستعمار الحديث:

خلال المرحلة الممتدة ما بين حصول الاستقلال في البلاد العربية والإسلامية، وقيام النظام العالمي الجديد (1990) أي منذ الأربعينات إلى السبعينات بحسب استقلال الدول وإلى سقوط الاتحاد السوفيتي وتفرد أمريكا بإدارة العالم وقيادة الروم المعاصرين. تحولت الدول الأوربية وروسيا وأمريكا اللتان دخلتا على خط الاستعمار تحولت إلى مرحلة عرفت بمصطلح الإستعمار الحديث. والذي لم تنفك منه بلاد العرب والمسلمين إلى يومنا هذا. حيث ورثت أمريكا وإدارتها الصهيونية مهمة قيادة الحملات الصليبية الثالثة كما سنبين لاحقا إنشاء الله.

أما عن هذه المرحلة، فاستكمالا لما كان المستعمرون الأوربيون قد قرروه من الغزو الفكري للمسلمين من أجل إحكام السيطرة عليهم. لم يضيع المستعمرون الوقت واستفادوا من تجربهم السابقة وما أسسوه من مشاريع التبشير والاستشراف والاستعمار. فقد قدمت مع جحافل الاحتلال الأولى وسائل الغزو الفكري والثقافي. فافتتحت المدارس التبشيرية والجامعات الغربية وأنشئت المطابع والأندية الاجتماعية والثقافية، والصحف ودور النشر، ونشر الاستعمار أفكار التغريب والعلمانية وأنشأ الأحزاب الوطنية على أساسها ليؤهلها لمرحلة الاستقلال. وشجع الاستعمار عبر النشاطات الأدبية والفكرية والثقافية عمليات التغريب، كما فتح الباب على مصراعيه لخروج الشباب المثقف إلى الدول المستعمِرة من أجل إكمال دراساتهم الجامعية والعليا. ليعودوا محملين بأفكاره وثقافته وقد بهرتهم حضارته وملئت قلوبهم وعقولهم ولم يبق لهم من النسبة إلى أمتهم إلا لون البشرة ولغة اللسان !! وقد أسفرت هذه الجهود عبر مرحلة الإستعمار التي استغرقت عقودا في بعض البلاد، وجاوزت القرن في بلاد أخرى كما في الجزائر وشبه القارة الهندية، بل أكثر من ذلك في مناطق أخرى كوسط وأطراف آسيا وبعض بلاد أفريقيا. وأثمرت هذه الجهود الاستعمارية بالغة الذكاء عن نتائج غاية في الأهمية كونت مقومات الاستعمار الحديث ومهدت للحملات الصليبية الثالثة. ومن تلك النتائج:

أنشأ المستعمر على عينه نخبا سياسية في بلادنا وأهلها لتحل محله و تسهر على حراسة مصالحه وتقوم بأعبائه بأبنائنا، فتحقق له المكاسب ولا يتحمل خسائر المواجهة مع المقاومة. لأن هذه النخبة الوطنية تبدو أمام شعوبها راعية الاستقلال.

إختار الإستعمار بحسب أحوال كل بلد شكل السلطة؛ إما أسرا حاكمة تتوارث الملك كما في بلاد جزيرة العرب والأردن والمغرب بكفالته وإشرافه. وإما أحزابا سياسية تتداول السلطة عبر حياة نيابية مسرحية كما في الهند وباكستان وبعض الدول العربية. في حين اختار طريقة الانقلابات والدكتاتوريات العسكرية لبلاد أخرى،كما مصر وسوريا والعراق. كما أوجد نوعا من الدكتاتوريات المدنية في صنف ثالث. لتتولى تلك السلطات الحكم من بعد رحيله فيما عرف بمرحلة الإستقلال.

أشرف المستعمر عبر تسليط الضوء الإعلامي والمسرحيات السياسية والعسكرية أحيانا على صناعة هذه النخب التي قرر الاعتماد عليها لتبدو أمام شعوبها وكأنها صانعة الإستقلال. وتمت سرقة الجهود الجهادية التي قام بها العلماء والمرجعيات الدينية والشعوب التي جاهدت تحت شعار الإسلام من أجل تحقيق الاستقلال. وهكذا سارت المظاهرات المصفقة من قطعان البشر التي مسخها الاستعمار مع الوقت لتحمل أفكار القومية والوطنية وتنتمي إلى تيارات الفكر السياسي الغربي من اشتراكية وديمقراطية وشيوعية ولبرالية رأسمالية وسواها. وهكذا أعلن الإستقلال الشكلي في بلادنا وطبّلت الشعوب وزمّرت للأصنام المصطنعة التي حملت على عاتقها مهمة استمرار المرحلة الثانية من الحملات الصليبية الثانية وسيطر الاستعمار الحديث على بلادنا بشكل كامل.

ربط المستعمر هذه الأنظمة التي صممها ورسم حدود بلادها وشكل بنيتها به عبر أساليب عديدة من أهمها إقامة القواعد العسكرية لجيوشه في أكثر تلك البلاد بحيث يستطيع نشرها وإعادة السيطرة متى شاء ومن أجل استخدامها في صراعاته الدولية. كما ربط تلك الأنظمة والبلاد (المستقلة!) بالمعاهدات

السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والأمنية بطريقة تضمن له تبعيتها أكثر من فترة الاستعمار العسكري.

أقام المستعمر عبر شركاته الاحتكارية الكبرى، وما قيدنا به من الاتفاقيات الإقتصادية وما وضعنا به تحت الإشراف القسري بمؤسسات النقد الدولي، ما شكل عمليا إخطبوطا أمسك بكافة مقدرات بلادنا وضمن له نهب ثرواتنا ولاسيما النفطية والغازية والثروات المعدنية. و أنشا مع عملائه وشركائه من أبناء وطننا الذين تكونوا من رجال السلطة وكبار التجار. وبهذا قام الإستعمار الاقتصادي بامتصاص دماء شعوبنا وقوت أبنائنا. ليحصل على ما جاء من أجله بجيوشه الجرارة ولكن دونما خسائر ولا عساكر في هذه المرحلة.

نشر المستعمر مؤسسات التنصير وحماها. فتعرضت بلاد العالم الإسلامي لحملات كثيفة من التنصير لم تثمر في قلب العالم الإسلامي والعربي إلا عن تشكيك بعض المسلمين بدينهم وإضعاف ارتباطهم به ولكنها نجحت في أطراف العالم الإسلامي كأواسط إفريقيا وجنوب شرق آسيا كالفلبين وإندونيسيا وبنغلادش وبورما حيث تنصر عشرات الملايين من المسلمين!.

عمل الإستعمار الحديث عبر نوابه الأشاوس هؤلاء! على استبعاد الشريعة الإسلامية والحكم بما أنزال اللـه في بلاد المسلمين. وقام أبناؤنا الذين تخرجوا من كليات الحقوق والقانون في جامعات الغرب، بوضع دساتير وتشريعات و قوانين مبنية على أصول القانون الغربي والحضارة الرومانية ودساتيرها الوثنية. وقام هؤلاء (المشرّعون) الذين اغتصبوا (حق الألوهية والتشريع) بسن القوانين وصياغة الدساتير التي استمدت من القانون الفرنسي والبريطاني وصارت أساس بنية السلطات والهيكل السياسي في بلاد المسلمين.

عمل المستعمر نتيجة دراسة متعمقة لشعوبنا ومكوناتها الدينية والاجتماعية والحضارية عموما على تحطيم المرجعيات الثلاثة التي تحدثنا عنها والتي تولت هزيمته في الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية:

فأما المرجعية السياسية:

فقد أسقطت الخلافة ثم تولى المستعمر بنفسه المرجعية السياسية. ثم تولى تسليمها إلى من نصبهم من الملوك والرؤساء والأمراء والسلاطين ليتبعوه في كل شيء فيحكمون بقوانينه، ويقيمون نظامهم السياسي على أصوله، ويبنون أفكارهم وأحزابهم على أفكاره المستوردة، ويرتبطون به بكل أواصر الولاء والمودة. وهكذا دمرت المرجعية السياسية للمسلمين وغابت نهائيا منذ سقوط الخلافة حتى بشكلها الرمزي 1924 م.

وأما المرجعية الدينية:

فقد ركز المستعمر حربه على المساجد والعلماء والهيئات الدينية المستقلة عند الحكومات كالأزهر في مصر، وجمعيات علماء الإسلام ومؤسساتهم المختلفة... فاستمال نوابه عبر سيف المعز وذهبه كثيرا من أقطاب الوسط الديني ورجالاته وعلمائه. واستحوذت حكومات الإستقلال بعد الإستعمار على المؤسسات الدينية ودمجتها في وزارة سميت وزارة الأوقاف أو الشؤون الدينية أو ما شابهه..

وأنشأت أكثر الحكومات مرجعيات دينية منافقة تعمل بأمر السلطان وتصدر الفتاوى المفضلة بحسب الإرادات الملكية والرئاسية كما حصل لإدارة الأزهر في مصر والزيتونة في تونس وهيئة كبار العلماء والأمر بالمعروف والقضاء الأعلى والدعوة والإرشاد في السعودية وقس عليها ما جرى في سواها.

وعمدت أجهزة الإعلام وسياسات الدولة إلى تشويه كل من أبى من العلماء المخلصين وأئمة المساجد المستقلين والعلماء وطلاب العلوم الشرعية فقطعت أرزاقهم وحاصرتهم ماديا ومعنويا، ومع الوقت حولتهم في نظر المجتمع (المتحضر) كما يسمونه ويروجون في الإعلام إلى نموذج مضحك من التخلف والنفعية والبعد عن الواقع.... وهكذا راقبت الحكومات المساجد وفرضت خطب الجمعة واستوعبت بشكل أو بآخر هذه المرجعية الدينية التي كانت الملاذ

الأخير للأمة. ونجحت هذه الخطة الاستعمارية بشكل متفاوت بحسب بلاد المسلمين فقد كان نجاحها باهرا في العالم العربي ولاسيما الشام ومصر وشمال أفريقيا وبلاد الجزيرة. وكان تاما كاملا كما في تركيا في. حين كان أقل من ذلك في بعض البلاد، ومحدودا كما في أفغانستان و الباكستان وما شابهها من الظروف... ولكن بالإجمال.. تم تدمير أو شل المرجعية الدينية الكلاسيكية التي حفظت للمسلمين المحرك الوجداني للمقاومة عبر التاريخ.

ومن الإنصاف أن نقول ونذكر أنه رغم الدور البارز الذي لعبته المرجعيات الدينية في مقارعة الإحتلال إلا أنها كانت ومنذ المرحلة العثمانية تسير نحو التخلف وتعتريها الأمراض و العلل على صعيد انتشار البدع والطرق الصوفية الغالية والمتحللة والداعية إلى الخنوع. كما أصاب المرجعية الدينية عموما البعد عن المنهج العلمي الشرعي والتخلف في مجالات الإبداع و الاجتهاد. مما سهل على المستعمر والحكومات عزلها وتفكيكها مع الوقت. بل استطاع المستعمر أيام الاستعمار أن يستميل كثيرا منها إلى صفه ويكون طبقة من علماء الاستعمار تضاهي طبقة علماء السلطان وتجاوزها في الاثر والضرر على الأمة وبدا أن هذه المرجعية الدينية ذاتها بحاجة إلى ثورة تجديد تعيدها لأصولها الصحيحة ونضارتها وجدارتها التاريخية.

أما على صعيد المرجعية الاجتماعية:

فقد تم تفكيكها مع قيام الدول الحديثة والمدن الكبرى وهجرة العمال والطلاب والموظفين من الأرياف إلى المدن بسبب طبيعة المجتمع المدني المعاصر، مما أدى لتحلل القبائل وضعفت الروابط العشائرية وتهلهلت وعجزت عن أن تكون رابطة عصبية تمكن زعماءها ورؤوسها من لعب دور مركز ثقل في الأحداث والتغيرات السياسية. وقد تفاوت هذا التحلل من بلد لآخر. ففي حين ما تزال القبلية مسيطرة قوية في بعض البلدان مثل أفغانستان واليمن وبعض أطراف جزيرة العرب وإفريقيا.. تفككت هذه الروابط بشكل شبه كامل، وغاب أثر هذه المرجعية تماما وزال في معظم باقي الدول نتيجة التحولات الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة.

فمن الذي واجه مصائب هذه المرحلة الماكرة من الحملات الصليبية الثانية بإدارة نوابها من الحكام المرتدين؟ لاسيما بعد تحطم الهياكل الأساسية لمرجعيات الأمة وانهيار مقومات الصمود والمقاومة فيها؟!

لقد قامت بعض الأحزاب المعارضة لأنظمة الحكم هذه. بمناوأة الإستعمار في أهدافه السياسية والاقتصادية. ولكن معظم تلك الأحزاب قامت أيضا على نفس الأفكار الوافدة من الغرب. وتبنى معظمها في العالم العربي والإسلامي الإيديولوجيات القومية اليسارية أو الليبرالية الديمقراطية.. ولأن هذه المعارضات هي أيضا صنائع إستعمارية من الناحية الفكرية، أمكن للمستعمر أن يستعملها ويوظفها أو يقضي عليها، أو يعطيها فرصة استلام السلطة للانقلاب على الحكم القائم واستبداله بحكم جديد من تلك الأحزاب العلمانية والمعارضات السياسية. كما حصل في سلسلة الانقلابات العسكرية في سوريا ومصر و الباكستان والجزائر والعراق واليمن وليبيا، وفي كثير من البلاد الإفريقية أو في جنوب شرق آسيا.. وفسح الاستعمار المجال لشيء من التبادل الديمقراطي للسلطة في بعض البلاد. فحلت أحزاب المعارضات محل أحزاب الحكومات بالتداول، ولكن الحال العام ومقومات الارتباط بالاستعمار لم تختلف في شيء يذكر. في حين حافظ الإستعمار الحديث على قبضته بالاستغلال الاقتصادي وامتصاص الثروات وعلى سيطرته على مركز الإشعاع الصليبي والفكري الغربي عبر حكومات بالية حفظ لها شكلها الخارجي وحكم كل شيء من خلالها، ولم يسمح لأي شكل من أشكال التداول الحقيقي للديمقراطية التي طبقت في بلاده.

لقد شهد العالم العربي والإسلامي خلال مرحلة الخمسينيات والستينيات والسبعينيات تنامي المد القومي واليساري إلى أقصى حالاته، حيث وصل للسلطة في العديد من البلدان، فأدخل البلاد حيث وصل في حالة من التبعية للاتحاد السوفييتي مع شيء من الموازنة مع المصالح والارتباطات مع الغرب كما حصل في مصر والجزائر وسوريا واليمن الجنوبي والصومال وغيرها. وشهدت مرحلة الحرب الباردة والصراع بين القطبين حالة انعكست على بلادنا

بالاضطراب السياسي نتيجة تبعية الأحزاب القومية والوطنية واليسارية وكذلك الليبرالية بحسب تبعيتها للشرق أو للغرب. بحسب صراع تلك البيادق على السلطة والنفوذ والعمالة للجهات الخارجية التي تمدها بالدعم المادي أو المعنوي والسياسي من أجل الوصول لسلطة.

وهكذا عانت الشعوب الإسلامية من كافة تلك الخيارات التي سمح لها الشرق أو الغرب الصليبي بالتنافس. في حين حكمت جميعها بأمر من أسيادها على التوجهات الإسلامية بالإقصاء ومنعتها من أن تشكل مرجعية دينية تنهض بالأمة إلى مستوى مواجهة الانهيار الذي غدا شاملا في كل منحي الحياة...

وخلال هذه الفترة تمددت إسرائيل لتلتهم باقي فلسطين والشطر المتبقي من القدس بل ولتحتل أجزاء من الدول العربية المجاورة تزيد مساحتها على ستة أضعاف مساحة فلسطين عبر حروب مسرحية كان أهمها نكسة (5 يونيو حزيران 1967). حيث أصبحت إسرائيل بعدها واقعا مريرا يستنزف مقدرات الأمة ويمرغ كبرياءها ويرهق واقعها السياسي ويوفر لفراعنتها مادة المزايدات على شعوبها.

ولأن الله تعالى قد قضى بحفظ دينه وكتابه وببقاء طائفة ظاهرة على الحق في هذه الأمة تقاتل على هذا الدين لا يضرها من خذلها ولا من خالفها وهم على ذلك، نشأ في هذه الأمة ومنذ الأيام الأولى لسقوط الخلافة، بذور الصحوة الإسلامية والنهضة المباركة في هذه الأمة على شكل مدارس متنوعة المناهج والمشارب. ولكنها تسعى لهدف واحد هو إعادة الأمة إلى دينها وشريعتها وحكم ربها. وسأترك التفصيل في ظاهرة الصحوة للفصلين القادمين. ولكن أكتفي هنا بذكر معادلة المواجهة وأطراف الصراع في تلك الفترة بين الصليبيين وقوى المقاومة في هذه الأمة.

فقد انتشرت ظاهرت الصحوة الإسلامية بأشكال شتى، فكان أبرزها ما قام على شكل أحزاب سياسية دخلت المعترك السياسي سعيا إلى السلطة من أجل تطبيق الشريعة. وقام بعضها على شكل مدارس فكرية عقدية أو شكل جمعيات أو جماعات إصلاحية تهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع كي يتأهل لحكم

الشريعة، في حين قامت في أماكن أخرى على شكل أئمة وخطباء شعبيين وعلماء عامة ودعاة إصلاح.. ووصلت في بعض الأحيان لتأخذ شكل المواجهات المسلحة مع الحكومات المرتدة. وكان لهذه الظاهرة إنتاجها الأدبي وكتابها ومفكروها ورموزها، وانعكس الصراع الحضاري على كثير من شرائح المجتمع بالرغبة بالتدين وانتشرت مظاهر الحجاب واللحى وانتشر الكتاب الإسلامي وبعض العادات والأعراف الدينية التي بدأت تغزو كافة المجتمعات العربية والإسلامية.

وأحس الغرب الصليبي والشرق الملحد الداعم لأنظمة الحكم المختلفة بالخطر، ودق ناقوسه وأوعز للحكومات بدء حملات المواجهة والتصفية لهذه البذرة الحية الناشئة، لقطع جذورها قبل أن يسمق جذعها وتورق أغصانها وتوتي أكلها... وهكذا تحول الصدام في الأمة من كونه مع الإستعمار مباشرة ليصبح صداما بين أفراد وجماعات الصحوة وبين الحكومات المرتدة الاستعمار واتخذ هذا الصدام أشكالا عديدة من القمع والسجون وحل الأحزاب وإغلاق الصحف والجمعيات.... ووصل في بعض الأحيان إلى مواجهات مسلحة عنيفة.

وخلال الفترة الممتدة من بدايات الاستقلال وإلى قيام النظام العالمي الجديد وانطلاق الحملات الصليبية الثالثة بزعامة أمريكا.كانت بلاد العالم الإسلامي جميعها تقريبا ميدانا مختلف السخونة والغليان لهذا الصراع الذي صارت معادلته بعد دخول طرف جديد فيها على الشكل التالي:

أمة الصليب + أمة اليهود + طائفة(حكام) × الصحوة الإسلامية ⟵ هزمت الصحوة.

والملاحظ على هذه المعادلة أمور في غاية الأهمية،غيرت طبيعة قوى الصراع ونتيجته عما حصل في الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية ومن ذلك:

أولا: اختفاء دور الصليبيين واليهود في المواجهة المعلنة ليصبح إدارة ودعما من وراء الستار وتصدرت طائفة الردة بقيادة الحكام من أوليائهم لمهمة المواجهة.

ثانيا: خروج الأمة وشعوبها من المواجهة لعدم ظهور العدو الحقيقـي، وأخـذ الصراع شكلا من أشكال الفتنة والاقتتال بين الحاكم وبعض طبقات المحكومين.

ثالثا: وقوع مهمة المواجهة مع هذه القـوى الجبـارة عـلى عـاتق الصـحوة الإسـلامية التي لم تكن تشكل إلى قوى جزئية تعد بالعشرات أو المئات أو الآلاف على أحسن الأحوال بحسب كل بلد مما أدى إلى سحقها أو إخراجها عن مسارها وإفشالها في تحقيق أهدافها.

رابعا: برز الدور الهام في هذه المرحلة من الصراع للمؤسسة الدينية الرسمية وكتيبة علماء السلطان لتؤكد وتساعد على خروج الأمة من المعركة وانحصارها في الفئات القليلـة للظاهرين على الحق. حيث قامت هذه المؤسسة بإصباغ صفة الشرعية والشهادة بالإسلام والإيمان على الحكام المرتدين وأضفت عليهم لقب (أولياء أمـور شرعيـين) وبالتـالي أكـدت القناعة لدى العامة بأن الخروج عليهم حـرام وأن مـواجهتهم فتنـة وأن علاقـتهم بـالغرب وما يبرمون من المعاهدات الاسـتعمارية هـي ضـمن صـلاحياتهم بصـفتهم أئمـة شرعيـون. وهذا ما باركه الغرب وسعى إلى تحقيقه.

وهكذا تصاعدت وتيرة الصـدام بـين تلـك الحكومـات والصـحوة الإسـلامية بمختلـف مدارسها ولاسيما المدرسة الجهادية المسلحة منذ أواسط الستينات. ولكـن الـذي حصـل في نهاية هذا الصراع أنه لم يأتي عام 1990 إلا وقد دحر نـواب الإسـتعمار وطلائـع الصـليبيين من حكامنا المرتدين قوى الصحوة بمساعدة أسيادهم المستعمرين وبدعم استراتيجي مـن أجهزتهم الدينية المنافقة وآلاتهم الإعلامية الرهيبة، حيث استطاعوا دحر مختلف مـدارس الصحوة الإسلامية وإيصالها إلى الفشل عمليا ومنعها من تحقيق أهدافها وحشرها في عنق زجاجة الأزمة. في حين وقفت شرائح الأمة من هذه المعركة المصيرية موقف المتفـرج بكـل بلادة تتجرع القهر وتتقلب في ألوان الاضطهاد وتعيش نكد العيش.

ومن المفيد جدا أن نعرض لخلاصة البرنامج الاستعماري في الغزو الفكري منذ بداية الحملات الصليبية الثانية بقيادة أوربا،وإلى قيام الحملات الصليبية الثالثة الأخيرة بقيادة أمريكا.

- مسار المأساة وأسبابها بين الحملتين الصليبيتين الثانية والثالثة (1798 م - 1990م).

لقد شهدت المنطقة الإسلامية خلال القرون الثلاثة الماضية، تغيرا بدأ بطيئا ثم أخذ يشتد تدرجيا حتى إذا بدأ النصف الأول من القرن العشرين بلغ التغيير قمته، وأصبح سبيل التقليد للغرب عارما. حتى أصبح الناظر لأول وهلة يحسب أن هذا السيل الجارف لا يمكن الوقوف في وجهه، وأن محاولة التصدي له هو ضرب من العبث الضائع أو الانتحار الواضح. وكانت معركة التغيير على ثلاثة أطوار:

الطور الأول: اللقاء بين الغرب والشرق في ميدان القتال.

الطور الثاني: المعركة بين الغرب والشرق في ميدان الفكر و الثقافة والدين.

الطور الثالث: المعركة بين أبناء الشرق أنفسهم في ميادين الفكر والدين و السياسة.

(1) - أما الطور الأول:

فكان للغرب صولات وجولات إبان الحروب الصليبية، ثم انتهت بهزيمته نهائيا وخروجه مهزوما مدحورا.

(2) - أما الطور الثاني:

فقد اتبع الغرب أساليب عديدة، واستعمل وسائل كثيرة لإماتة المسلمين موتا بطيئا، وكان هدفه في هذا الطور غسل أدمغة المسلمين من إسلامهم وإخراجهم بهدوء من دين الله إلى دين الطاغوت، دون إثارة ضجة ولا صخب.

وتولت الأجهزة الغربية تربية طبقة بديلة لهم في جميع المجالات، وسلمت مقاليد الأمور لهم، وأبعدت الصادقين عن أجهزة التوجيه والبناء وأصبحت

دوائر التعليم والإعلام – الصحافة والراديو ومن ثم التلفزيون – بأيـدي الطبقـة المنسـلخة عن الشرق (المسلم) المعلنة لولائها للغرب (الصليبي الملحد).

ويمكن أن تتخلص مهمة هذه الفترة بكلمة جب – المستشرق الإنجليزي –:

(هذا – التعليم – هو السبيل الوحيد لفرنجة الـبلاد الإسـلامية وتغريبهـا، لقـد كـان التركيز قويا لإنشاء الطبقة التي تأخذ نهائيا بوجهة نظر لا سلطان للـدين عليهـا، وحينئـذ يمكن الجلاء عن أرضها وتسليمها زمام السلطة فيها لأنها امتداد لفكر المحتل).

وكذلك تمثلها كلمة (لورد ميكالي) رئيس اللجنة التعليمية في الهند –:

(يجب أن ننشيء جماعة تكون ترجمانا بيننا وبين الملايين من رعيتنا وسـتكون هـذه الجماعة هندية اللون والدم إنجليزية الذوق والرأي واللغة والتفكير).

وهي نفس كلمة (اللورد ليد) – المعتمد البريطاني عن كلية فيكتوريا سنة (1936م):

(ومتى تسنى للجمهور بأن يعرف هذه الكلية يتنبه الآباء أن تعلـيم أولادهـم فيهـا ينمي فيهم من الشعور الإنجليزي مـا يكـون كافيـا لجعلهـم صـلة للتفـاهم بـين الشرقـي والغربي).

(3) – أما الطور الثالث:

(طـور الإسـتقلال الـوطني) كـما يحلـو لهـم أن يسـموه، ومجـيء الأنظمـة المحليـة، والعسكرية بالذات، فقد كان هذا الطور أشـد الأطـوار تـأثيرا، وفرضـت الحضـارة الغربيـة بالقوة العسكرية التي تسمى بالوطنية والتقدمية والشعبية، وهذه الأنظمة التـي جـاءت بضجة الزفاف الوطني، والتـي قـدمت إلى الأمـة بأهـازيج شـعبية حماسـية، وتحـت هـذا الضجيج والصخب قام أبنـاء الـوطن – المسـتغربين – الحـاكمين بنصـب المشـانق وسـحق المبادىء و اجتثاث القيم، و إبادة العلماء والمخلصين.

ولقد لقـي الصـادقون مـن أبنـاء جلـدتهم الحـاكمين – مـن العـذاب والاضـطهاد – أضعاف أضعاف ما رأوه أيام الإنجليز والفرنسيين، ويكفي أن نضرب أمثلة لهذا:

ما لقيه الباتان على يد أمان الـلـه خان في أفغانستان.

ما لقيه الأكراد على يد مصطفى كما أتاتورك في تركيا.

ما عاناه الإخوان المسلمون على يد عبد الناصر وزبانيته في مصر.

وما يواجهه الصادقون على أيدي الأنظمة العسكرية المنبثـة في أرجـاء العـالم العـربي والإسلامي فهي نسق واحد و نموذج واحد في محاربة الحق وأهلـه ينسـجون عـلى منـوال سابقيهم ويسيرون على نهجهم.

وإن صورة القسوة والوحشية التي عامل بهـا الغـرب أبنـاء المسـلمين لتبـدو هزيلـة صغيرة بجانب الصورة التي عاملهم بها الحكام المحليون (الإنجليز السمر).

خطوط التغيير:

هذا وقد سار التغيير في العالم الإسلامي في خطوط ثلاثة متوازنة:

1- الخط الأول: خط الإفساد الأخلاقي.

2- الخط الثاني: خط محاربة مصادر التشريع الإسلامي وتمييع النصوص.

3- الخط الثالث: خط التمزيق الأمة الإسلامية.

أما الخط الأول: الإفساد الخلقي:

فيتخلص في كلمة زويمر – رئيس المبشرين – في مؤتمر القدس سنة (1934م):

(... نريد أن نخرج جيلا لا صلة له بالـلـه، ولا صلة لـه بـالأخلاق التـي تقـوم عليهـا الأمم).

فكـان التركيـز عـلى المـرأة وإخراجهـا، وعمـل الإتحـادات النسـائية والمسرح والغنـاء والتمثيـل ومعاهـد الفنـون الجميلـة، والمعاهـد الرياضـية للبنـات، ونشر

العري والمسابح ودور الأزياء، والصورة العارية، ودكاكين التجميل. حتى أصبحت المرأة كما قال (موروبيرجر) في كتابه – العالم العربي اليوم: (إن المرأة المسلمة المتعلمة هي أبعد أفراد المجتمع عن تعاليم الدين وأقدر أفراد المجتمع على جر المجتمع كله بعيدا عن الدين).

وقد بدأت ثورة المرأة على الإسلام بوضوح في مصر إبتداءا من منيرة ثابت:(أول صحفية مصرية) والتي يسمونها (الفتاة الثائرة) وكانت صديقة لسعد زغلول وتستطيع أن تتدخل في توجيه دفة الحكم.

ثم جاءت هدى شعراوي وقامت في ثورة سنة (1919) بمظاهرة نسائية، وأحرقن الحجاب في الشوارع العامة. وكانت (صفية زغلول) زوجة سعد زغلول أول زوجة زعيم تظهر سافرة في المحافل العامة وسمت نفسها على الطريقة الإنجليزية باسم زوجها وأطلقت على نفسها لقب (أم المصريين).

ولقد كان زوجها سعد زغلول زعيما من زعماء الحركة النسائية ويقول: (لقد شاركت صديقي قاسم أمين في أفكاره التي ضمنها كتابه (المرأة الجديدة).

وصدرت الصحف تدافع عن حقوق المرأة منها (فتاة الشرق) ومجلات (الهلال) و(المقتطف) و(المصور).

ونادى (لطفي السيد) بالتعليم المختلط وفرضه على الجامعة المصرية. ولذا فقد أشادت (هدى شعراوي) بهذا الفعل، ثم أيده طه حسين وسمير القلماوي.. وغيرهم.

وفي تركيا سنة (1929) صدر قرار حرَّم تعدد الزوجات وقضى على الحجاب، ونظام الحريم، وقانون الطلاق وخرجت المرأة في مدن تركيا باللباس العاري.

وفي سنة (1965) أصدر الحبيب بورقيبة قرارات مشابهة في تونس.. وهكذا في باقي البلاد.

أما الخط الثاني: (التشكيك في مصادر التشريع الإسلامي وتمييع نصوصها):

فقد تمثل في الهجوم على:

القرآن نفسه: وتميز القرآن المكي، والتشكيك بالمدني وسلخ القرآن عن الوحي، واعتبار الوحي انفعالا نفسيا وحالات عصبية.

وكان أول من جاهر من ذراري المسلمين بإنكار ربانية القرآن ورفع عقرته بجحود المصدر الإلهي للقرآن هو(طه حسين) في كتابه (الشعر الجاهلي) الذي اتبع فيه مصدر التشكيك الذي ورثه عن ديكارت.

السنة المشرفة: وقد كان التركيز في عدائها لتحطيمها كمصدر أساسي لشرح القرآن وبيان مجمله وتقييد مطلقه وتخصيص عمومه.

وقد جاء الهجوم على السنة من نواح كثيرة أهمها:

التعرض لشخصية الرسول صلى اللـه عليه وسلم والنيل منها.

التركيز على صحيح البخاري باعتباره أصح كتاب بعد كتاب اللـه والتشكيك فيه: وقد كتب (أبو ريا – أضواء على السنة المحمدية –) (وصالح أبو بكر – الإسرائيليات في البخاري –) وكتبت مجلة العربي (راجعوا البخاري فليس كل ما فيه صحيح).

التركيز على النيل من شخصية أبي هريرة كأكثر روا عن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم – رواية -. والطعن بشخصية السيدة عائشة كمصدر غني من مصادر نقل هذا الدين.

والآن هناك دعوة عريضة تتبناها بعض الأنظمة مثل (القذافي) في ليبيا لنبذ السنة نهائيا.

اللغة العربية: باعتبارها لغة القرآن فنادوا:

نبذ قواعد اللغة (النحو والصرف) وقد نادى بهذا سلامه موسى، وطه حسين، وتوفيق الحكيم صاحب قاعدة (سكّن تسلم).

العاميـة بـدل الفصـحى: ابتـداء مـن (ونلهلـم سـبيتا) (الألمـاني: مـدير دار الكتـب المصرية)، ثم (ويلمور) القاضي الإنجليزي، و(نليكوكس) – المهندس الزراعـي الإنجليـزي – وأخيرا جاء سـلامة مـوسى، و قاسـم أمـين، ثـم كتـب بالعامية المصريـة كـل مـن يوسـف السباعي وإحسان عبد القدوس.

اتخاذ الأحـرف اللاتينيـة بـدل العربيـة: ونـادى بهـذا عبـد العزيـز فهمـي – مصر – وسعيد عقل – لبنان –.

وأما مصطفى كمال أتاتورك فقد نفذ هذا الأمر بالحديد والنار.

د- (الدعاية) للشعر المنثور بد الشعر الموزون. {لكون الشـعر العمـودي أحـد أهـم أوعية اللغة العربية}.

التاريخ الإسلامي:

والتركيز على الشبهات فيـه وتضـخيم مسـاحة الإخـتلاف بـين الصـحابة رضي اللــه عنهم. والتركيز على أن الدولة العباسية هي دولة الإماء والخمور والغلمان خاصـة في عهـد الرشيد {كما روج لذلك} – كتاب الأغاني للأصفهاني – ثـم تشـويه تـاريخ الدولـة العثمانيـة الإسلامية واعتباره نوعا من الإستعمار.

استبدال الثقافة الغربية بالثقافة الإسلامية:

ففي مصر – قائـدة العـالم العـربي – أوصى المـؤتمر التبشـيري المنعقـد سـنة (1906) بإنشاء جامعة علمانية تناهض الأزهر الذي (يهدد الكنيسة بالخطر) ولتكن هذه الجامعة على غرار الجامعات الفرنسية. فقامت الجامعـة المصريـة (1908م) واسـتلم رئاسـتها بعـد فترة لطفي السيد.

وقد ظهـرت كتابـات تنـادي بالـذوبان بـالغرب مثـل كتابـات طـه حسـين في كتابـه (مستقبل الثقافة في مصر) حيث يقول: (علينا أن نسير سيرة الأوروبيـين ونسـلك طـريقهم لنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرهـا، مـا يُحـب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب).

وقد بدأ هذا الخط أيام (محمد علي باشا) من خلال كتابة رفاعة الطهطاوي في (تخليص الإبريز بتلخيص باريز) واشتدت الدعوة إليه أيام الخديوي إسماعيل وظهر خط إسماعيل في كتابات (محمد عثمان جلال) خليفة الطهطاوي. ووضع إسماعيل نظاما للأزهر سنة (1872م) وجاء دنلوب واستلم التوجيه في وزارة المعارف وأقصى الإسلام نهائيا عن المدارس وازدرى الأزهر وحاول الحط من مكانته فكان حامل شهادة اللغة الإنجليزية يأخذ شهريا (12) جنيه وحامل شهادة اللغة العربية يأخذ (4) جنيهات، وأما الأزهري يأخذا (112) قرشا مصريا.

ثم ظهرت مدارس كثيرة في هذا الشأن:

المدرسة الأولى (مدرسة الذوبان في الغرب نهائيا) وقطع الصلة بالإسلام ومن أبرز الأسماء في هذا الشأن: طه حسين، سلامه موسى، لطفي السيد وصهره إسماعيل مظهر، وعبد العزيز فهمي...

مدرسة الخلط والترقيع (بين الإسلام والثقافة الغربية) ويتزعمها (جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده).

وارتفعت في هذا المجال دعوات وعلت أصوات بشعارات كبيرة منها:

التطوير: ومعناه تمييع النصوص الإسلامية، وإدخال الإلحاد والعلمانية الغربية بالثوب المقنع البراق، ومن هذا القانون تطوير الأزهر الذي صدر أيام عبد الناصر فكان ضربة قاصمة له.

ومعنى التطوير كذلك بناء قنطرة فوق الهوة التي صنعها الإسلام بين الشرق والغرب من أجل الوصول إلى التفاهم والتواصل وبالتالي تؤدي إلى تمزيق العالم الإسلامي كما يقول جب: (لعل الآراء الجديدة وحاجات الحياة ستنجح أخيرا في تشتيت المجتمع الإسلامي وتمزيق وحدته).

الإتصال بالثقافة اليونانية كأساس من أسس التطوير.

رفع شعار الحرية: وقد قامت الحكومات العلمانية في العالم الإسلامي بتوفير الحرية الفكرية إذا استعملها الناس ضد الدين.

الدعوة إلى دين عالمي: كما نادى به: (كالغرلي): ومعنى الدين العالمي إنهاء الإسلام نهائيا وذوبانه في بوتقة اليهودية العالمية.

التقارب بين الأديان: كما نادى بذلك (آصف على قبطي الإسماعيلي) وأصبحت المؤتمر تعقد من أجل هذا الشأن.

الدعوة إلى أنواع للإسلام: كالإسلام الكلاسيكي. والإسلام الحديث كما قال فضل الرحمن الهندي، وبه قال أحمد خان مؤسس الكلية المحمدية الإنجليزية الشرقية (نشر الإسلام الحديث المتأثر بالمذاهب الغربية) وكذلك تكرار أسماء الإسلام الهندي والإسلام الباكستاني والإسلام التركي.

العلمانية (secularism) (اللادينية) وذلك ليصبح الإسلام كالمسيحية تماما لا صلة له بالحياة كما جاء في كتاب (الإسلام وأصول الحكم) علي عبد الرازق.

الإصلاح الديني: كما يسمونه، كما حصل في برنامج (التحطيم الكمالي للإسلام) باسم الإصلاح الديني كما يسميه (سميث) و(بروكلمان) وغيرهم من المستشرقين، ومعنى الإصلاح الديني تغيير نصوص الإسلام نصوص جديدة ويبقى عليه اسم الإسلام.

وقد كان الإستعمار والإستشراق والتبشير هذه الأصابع الثلاثة للأخطبوط المعادي للإسلام تسير جنبا إلى جنب.

وقد عقدت الجامعات الأمريكية بالذات عدة مؤتمرات لمحاربة الإسلام على رأسها المؤتمرات التي عقدت في جامعة (برنستون) في أمريكا.

مؤتمر جامعة بن ستون سنة (1947م) واسمه (الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته).

مؤتمر جامعة برنستون سنة (1953م) واسمه (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة)

مؤتمر لاهور الذي عقد سنة (1955م) بترتيب المستشرقين الغربيين وفشل تماما.

الخط الثالث: خط التمزيق للأمة المسلمة

ومن وسائله:

القومية: العربية والكردية والهندية.

الدعوات العالمية: كالشيوعية.

الدعوات الإنسانية الماسونية – اليهودية – وفروعها مثل نوادي الليونز، و الروتاري، شهود يهوه، بني برث، (أبناء العهد).

الفرق (الكافرة) المنسوبة للإسلام: مثل:

القاديانية – البابية - البهائية – النصيرية- الدروز...].أهـ

- خط التحول التاريخي:

[إن أخطر ما تعرضت له الأمة الإسلامية هو عملية التحول الداخلي أي الهزيمة الروحية والنفسية والعقلية أمام أعدائها، فاستخذت أمام الأصنام، وركعت على أقدام الطغاة، وأصابها الوهن الذي عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه (حب الدنيا وكراهية الموت). ففي الحديث الصحيح:الذي رواه أحمد: (يوشك ـن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قال قائل: من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير. ولكنكم غثاء كغثاء السيل.ز ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قيل: وما الوهن يا رسول الله ؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت).

- فكيف أصبحت (خير أمة أخرجت للناس) غثاءا..؟
- وكيف أصبح الخير النافع زبدا و جفاءا..؟
- وكيف خلفت الأسود قرودا..؟
- وكيف ولدت ليوث الغاب خنازيرا..؟

إن أخطر ما يمكن أن تصاب به الأمم هو هزيمتها في أعماقها. فهذا هو الداء القاتل، إن أشد رمية أصابت الأمة في مقتلها هي فقدان الثقة بنفسها. فالشعوب إنما تنتصر يوم أن تتفاعل بمبادئها و تحيا بعقائدها وتستعلي بدينها.

ولن تهزم أمة تلتف على عقيدة صحيحة تعيش مـن أجلها وتجاهـد لإحيائها مهـما كـان أعداؤها، ومهما تألبت عليها القوى..، وهذا المبـدأ هـو الـذي سـطره رب العـزة في سـبب النصر والهزيمة إذ يقول سبحانه:

﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللـه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران:165). فالهزيمـة تبـدأ داخليـة ثـم تـنعكس عـلى سـاح المعركة. والخلل يبدأ في أعماق النفس ثـم نـرى آثـاره انـدحارا في ميـادين الحيـاة، سـلوكا وأخلاقا ومعاملة. فكيف تمت عملية التحويل ؟!

- أوربا وحرب الكلمة بدل حرب السيف:

في الحملات الأخيرة على مصر(1249ميلادية)، آخر أيام الأيوبيين وأول أيام المماليـك، وقع (لويس التاسع) ملك فرنسا أسيرا وأودع سجن القلعة. وهناك كان لديـه فسـحة مـن التأمل ليضع أسس هامة لتفكير الصليبيين في كيفية غزو المسلمين. وكتب توجيهاته الهامة تلك والتي كان خلاصتها:

(إن المسلمين لا يهزمون ما دامـت عقسـدتهم قائمـة ويجـب أن تبـدأ الحـرب عـلى المسلمين بحرب الكلمة).

وهكذا أدرك ملوك النصارى ألا سبيل لهـم إلى البقـاء. وبـدؤوا يعيـدون التفكـير في طريقة غزوا المسلمين والتعامل معهم.

و كانت حملة نابليون على مصر نقطة بارزة في تحول المعركة وأسـاليبها، فلقـد غـزا نابليون مصر (1798م) مدججا بأحدث الأسلحة الفرنسية ومدافعها ورشاشـاتها. ودخلـت الخيل الأزهـر وداسـت سـنابكها الحصـير الـذي خـرج عشرات الألـوف مـن علـماء الأمـة، فانتفض الأزهر وهب دفاعا عن كرامة هذا الدين وأقض مضجع نابليون وأرق أجفانـه ولم يستطع الاستقرار رغم العملاء الذين وقفـوا بجانبـه كيعقـوب القبطـي ومـن وقـف معـه الأروام ونصارى الشام وغيرهم. وأخيرا انقض (سليمان الحلبي) على (كليبر) نائب نـابليون الذي خلفه في مصر وقتله.

وكان خـروج الفرنسـيين مـن مصر مـن أبـرز المعـالم في أوروبـا الحديثـة، إذ أدت إلى تصميم أوروبا على خوض معركة اللسان بدل معركة السنان. واتجهت إلى نزع هذا الدين من أعماق هذه الأمة ليغرسوا بدله القومية والعصبية وغيرها من الشعارات لمحاولـة لمـلأ الفراغ.

فقد جاء في مؤتمر (الشرق الأدنى وثقافته) الذي أقامه مجموعـة مـن المسـتشرقين في جامعة أمريكية جاء في:

(أننا في كل بلد إسلامي دخلناه نبشنا الأرض حتى نخرج أثار ما قبل الإسلام ونحن لا نطمع أن يرتد المسلم عن عقيدة الإسلام إلى عقيدة ما قبل الإسلام ولكـن يكفـي تشـتيت ولائه).

وجاء في تقرير أحد معاهد الإرساليات بقلم نبيه أمين فارس :

(بينما كان الشرق الأدنى مطمحا لأفكار بناء الإمبراطوريات كان أيضا مطمح جماعـة أخرى من الناس تنشد أن تنجز عـن طريـق الكلمـة مـا عجـز أجـدادهم الصـليبيون عـن تحقيقه عن طرق السيف).

{ولنضرب مثالا عن ذلك بما بدأ في عقر دار لإسلام ن الإفساد، في مصر والشام}

- محمد علي باشا (وريث نابليون) (1904-1949):

وجاء محمد علي باشا ليعمل ما عجز عن عمله نـابليون، وأراد أن يحـول مصر قطعـة من فرنسا، وبدأ بإرسال البعثات إلى فرنسا لتغسل أدمغة المبعوثين، ومن بـين الـذين ذهبـوا هناك (رفاعة الطهطاوي) الذي عاد داعية للثقافة الغربي وكتب (تخليص الإبريـز في تلخـيص باريز) ونقـل القـانون الفـرنسي. واتخـذ محمـد عـلي باشـا رجـلا فرنسـيا – وهـو طبيـب – مستشارا له وكان اسم هذا الرجل (كلوت بك) وكـان لهـذا الفـرنسي تـأثيرا كبـيرا في تغريـب مصر. وفي عهـد محمـد عـلي أدخلـت القـوانين الفرنسـية لتحـل تـدريجيا محـل الشريعـة الإسلامية. وكان جلساءه الخاصين من السياح والقناصل والمبشرين. ومن أعمق الآثار السيئة التي حلت أيـام محمـد عـلي باشـا أنـه فـتح أبـواب مصر والشـام – عنـدما خضـعت لـه –

للمبشرين النصارى، فقد كانت موصدة دون هؤلاء بسبب صرامة الدولة العثمانية وحزمها في هذا الموضوع ومنعها للمبشرين.

وكان نتيجة دخول المبشرين للشام أن أنشأوا جامعتين في لبنان:

الأولى: الكلية السورية الإنجيلية التي أنشأها البروتستانت ثم أصبح اسمها (الجامعة الأمريكية) – بيروت.

الثانية: كلية العزير التي أنشأها الكاثوليك ثم أصبح أسمها (الجامعة اليسوعية.

ولقد كانت الجامعة الأمريكية نقطة الانطلاق لكثير من الآراء والاتجاهات المنحرفة التي تركت أثارا عميقة في عملية تحويل العالم العربي، ومن هذه الاتجاهات الإتجاه القومي الذي كان يراد له أن يحل محل عقيدة الإسلام في القلوب لملء الفراغ الذي خلفه الإسلام بعد أن انحسر في جميع مناحي الحياة.

جاء في كتاب المجتمع العربي / جامعة بيروت / كلية الآداب:

(إن أول جمعية بدأت تدعو إلى القومية العربية هي جمعية مسيحية أوحى بفكرة تأسيسها رجل يسمى (الياس حبالين) من بلدة ذوق مكايل. وكان أستاذا للغة الفرنسية يدرسها في الجامعة الأمريكية لطلاب صف، فيهم إبراهيم اليازخي ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس وكان الأستاذ معجبا بالثورة الفرنسية).

وأصبحت القومية العربية بفضل قادتها ودعاتها ومعظمهم من النصارى دينا جديدا حل محل الإسلام كما قال علي ناصر الدين في مقدمة كتبه قصة العرب، هامش ص:38 (العروبة نفسها دين عندنا نحن القوميين العرب المؤمنين العريقين من مسلمين ومسيحيين، لأن كان لكل عصر نبوته المقدسة، فالقومية العربية هي نبوة هذا العصر).

وقدمت لنا الجامعة الأمريكية ومدارسها في المنطقة قادة الأحزاب القومية في المنطقة: فأسس حزب القوميين السوريين: أنطون سعادة ومن بعده أسد أشقر ثم جورج عبد المسيح.

وأسس حزب البعث: ميشيل عفلق النصراني، زكي الأرسوزي النصيري، ورئس حـزب القوميين العرب: جورج حبش بتوجيه من أستاذه قسطنطين زريق - الأسـتاذ في الجامعـة الأمريكية.

جاء في البروتوكول الخامس من بروتوكولات حكماء صهيون: (لقد بذرنا الخلاف بـين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية خلال عشرين قرنا).

وقد نجحت الدول الغربية في توجيه محمد عـلى باشـا لتأديـة أكـبر خدمـة للغـرب ومنها:

1. زلزلة سلطة الدولة العثمانية الإسلامية على الشرق ومحاربة تركيا في موطن كثيرة.
2. تنشيط حركة التبشير النصراني في المنطقة.
3. تحويل مصر وسوريا إلى دول متغربة بتفكيرها وحياتها.
4. ضرب الحركة الإسلامية التي ظهرت في الجزيرة العربية (الحركة الوهابية).
5. إدخال القوانين الغربية لتطبيق على المسلمين.

وكل القضايا التي فعلها (الخمسـة المتقدمـة) خطـيرة وأحـدثت أثـرا كبـيرا في حيـاة المسلمين خاصة فيما يتعلق بإدخال الدين الجديد (ديـن نـابليون) أي القـوانين الفرنسـية وخلطها بالقانون الإلهي فأنشأ دينا جديد خليطا من (الدين الفـرنسي والـدين الإسـلامي) وكان ساعده الأيمن في تبديل دين الـلـه هو رفاعة الطهطـاوي. وأمـا أسـتاذه الكبـير فهـو الدكتور (كلوت) الذي وجه الحياة المصرية في أكثر مناحيهـا. وأمـا بالنسـبة لضرب الحركـة والوهابية (دعوة التوحيد) في الجزيرة العربية فأرسل محمد علي ابنه إبـراهيم باشـا سـنة (1231هـ) (سنة 1815م) إلى جزيـرة وفي سـنة (233هــ) (1817م) فـدخل إبـراهيم باشـا (الدرعية) عاصمة الدعوة. وقضى على الدعوة الوهابية.

وقبل أن نطوي صفحة محمد علي باشا لا بد من وقفة عند رفاعة الطهطـاوي الـذي كان له اكبر الأثر في عملية التحويل.

لقد أقام الطهطاوي (أحد أعضاء بعثات محمد على إلى باريس) في باريس من (1826-1831) فرجع وكتب كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) الذي كتبه أثناء إقامته في فرنسا وعرضه على أستاذه (جومار). وأبدى إعجابه الشديد بفرنسا، وقد قام في تخليص الإبريز بترجمة الدستور الفرنسي وبتمجيد الثورة الفرنسية التي حطمت الكنيسة وأحالتها إلى ركام من مخلفات التاريخ.

وفي زمن الخديوي إسماعيل كان الطهطاوي عضده الأيمن في الإفساد والتغريب وكتب زمنه كتابيه (منهاج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية) و (المرشد الأمين للبنات و البنين) وهو يبدي اهتماما ظاهرا بالتاريخ الفرعوني ويسمى رمسيس الثاني (فرعون سيدنا موسى): (فخر الدولة المصرية في الأزمان الجاهلية ومصباح تاريخها). ولا ينقضي عجب المسلم وهو يرى الطهطاوي يعرض نظام الشركات والمصاريف الربوية دون تعليق. ويرى أن الرقص الفرنسي نوع من الشلبنة (الأناقة والفتوة والرياضة ويعجب بالمرح ويشجع الطهطاوي على اختلاط الجنسين، وتعليم الفتيات دون قيود ولا التزام بحدود شرعية ومنع تعدد الزوجات وتحديد الطلاق وأصبح يردد شعارا جديدا (أخوة الوطن).هذا الشعار الذي أصبح دينا لدعاة القومية والعنصرية فيما بعد.

والطهطاوي شأنه شأن معاصره (خير الدين التونسي) الذي ألف كتاب (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) هما أول رسل الحضارة الغربية في بلادنا اللذين عملا كطلائع لهدم صرح الإسلام العظيم في نفوس أبنائه.

- صالون الأميرة نازلي فاضل:

كانت نازلي ابنة مصطفى فاضل – أخ إسماعيل باشا – وكان مصطفى وليا للعهد ثم أقصاه إسماعيل فسافر إلى تركيا ثم إلى أوروبا وهناك تربت ابنته نازلي وأتقنت عدة لغات وتزوجت أحد وزراء تونس ثم عادت إلى مصر لتعمل بها من التخريب ما عجزت عنه الدوائر الغربية. ففتحت صالونها ملتقى هواة السلطة ومحط أنظار الذين يحلمون بالعلو في الأرض، لأن الصالون أصبح يحظى

برعاية (كرومر) - المعتمد البريطاني في مصر- وكان الرواد الـدائمون لهـذا الصـالون ممـن يتطلعون إلى الانتفاع بجاه الأميرة ومالها.

من بين هؤلاء الذي يعتبرون علية مجلسها:

- سعد زغلول: الذي جاء من الشارع – دون جاه ولا علـم ولا مـال – وتـولى رئاسـة مكتبها وبقي حتى سن السادسة والثلاثين لم يتزوج ثم تزوج (صفية ابنة مصطفى فهمـي) رئيس وزراء الإحتلال البريطاني لبضعة عشرة عاما، والغريب أن هذا الزواج من ابنة رئيس الوزراء التي لا تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها. وأصبحت (صفية) فيما بعد تحمل اسم (صفية زغلول) وتكنى (بأم المصريين).

ومن رواد الصالون: الشيخ جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمـد عبـده ولقـد اطلعت على رسالة بين الشـيخين عـن الأمـيرة مـما يـدمي القلـب عـن حالـة قـادة الفكـر الإسلامي!! في ذلك الوقت.

ومن رواد الصالون كذلك:

لطفي الخولي. ثم جيء بقاسم أمين الذي رد مرة عـلى أحـد الفرنسـيين (دار كـور)، وقد نال هذا الفرنسي من مكانة المرأة في الإسـلام. فقـام أمـين ورد عليـه وبـين أن الإسـلام أعطى المرأة مكانتها اللائقة وحفظ وظيفتها الأساسية واحتشامها بلباسـها. وبسـبب هـذه المقالة أوغر سعد زغلول ومحمد عبده صدر الأميرة نازلي على قاسم أمين لأن كلامـه ينـال من مقام الأميرة لأنها تدعو إلى العري والتهتك. ثـم اقترحـوا حـلا لرضـا الأمـيرة عليـه بـأن يكتب كتابا عن المرأة فخرج سنة (1900م) بكتاب (تحرير المرأة) الـذي اشـترك في كتابتـه قاسم أمين و محمد عبده. وقبل سنوات اكتشف هذا السر فقد أعلن حفيد محمد عبده أن جده هو كاتب كتاب (تحرير المرأة) ومعنى تحرير المرأة: تحريرها من القيم والمبـادئ والحياء والخلق.

وبقيت بريطانيا ترعى هذا الصالون ورواده حتى أوصلوهم إلى سدة الحكم:

فقد أصبح محمد عبده مفتيا للديار المصرية، وأصبح سعد زغلول وزيرا للمعارف ثم رئيسا للوزراء وأضحى لطفي السيد (أستاذ الجيل) رئيسا للجامعة المصرية وفرض الاختلاط بين الجنسين في الجامعة.

ولطفي سيد: هذا هوا الذي سخر صحيفته المسماة (بالجريدة) لتكريس آراء كرومر والدفاع عنها، والدعوة إلى الفرعونية وصياغة شخصية مصرية ذات طابع مميز.

وقد كان صنائع صالون نازلي فاضل يتبنون هذا بفصل مصر عن العالم العربي الإسلامي.

فمثلا سعد زغلول أجاب عن سؤال حول الوحدة العربية قائلا:(إنها وحدة بين أصفار).

وسار في هذا الخط طه حسين الذي قال: (إن الدين واللغة لا يصلحان أساسا للوحدة السياسية، وإن المصري فرعوني قبل أن يكون عربيا)، وقد نشر هذا الحديث (سلامة موسى) في صحيفته (المجلة جديدة) (1928م) لأنه كان يسير في نفس الخط.

وقال طه حسين (لو وقف الإسلام بيني وبين فرعونيتي لنبذت إسلامي).

وفي سنة (1927م) مات زغلول ليأتي النحاس رئيسا للوفد، حيث فرضته الدبابات البريطانية في 4 فبراير سنة 1942 رئيسا للوزراء رغم أنف الملك فؤاد.

- صفية زغلول (أم المصريين) وهدى الشعراوي. ولقد كان لصفية وهدى أثر كبير في إفساد فطرة المصرية الطيبة. أما صفية فكانت تدير عجلة الفساد من فوق سدة الحكم بسبب كون زوجها رئيسا للوزراء، وهي كما ذكرنا ابنة مصطفى فهمي رئيس الوزراء من قبل.

أما هدى شعراوي فهي ابنة سلطان باشا الذي وقف بجانب الإنجليز ضد الثورة العرابية وقد استلم من الإنجليز مبلغا ضخما لقاء عمالته ثم أصابه السرطان وقبل أن يموت زوج ابنته من رجل ثري اسمه (علي شعراوي) في

الخمسينات من عمره فأصبح اسمها (هدى شعراوي) وكان علي شعراوي من عملاء الإنجليز وقد أُخذت هدى إلى أوربا و لدى عودتها من رحلتها، وعلى سلم الباخرة نزعت خمارها (منديل الرأس) ووضعته تحت قدميها وقالت: انتهى عصر الظلام إلى الأبد، وشكلت (جمعية السيدات المصريات).

- كرومر حاكم مصر البريطاني والقس دنلوب:

أما كرومر فهو المعتمد البريطاني الذي يدير مصر منذ الاحتلال سنة 1882 إلى 1906، وقال الدكتور النشار (أعلن كرومر منذ مجيئه إلى مصر أنه سيهدم القرآن والكعبة والأسرة الإسلامية والأزهر) [1].

ركز كرومر في هجومه على الدولة العثمانية وحمل على الإسلام من خلال تركيا التي تمثله،و نشر الإنجليزية، وحارب العربية، ونادى بفكرة مصر للمصريين، وحط من قيمة الأزهر ورجاله رقى طبقة المتفرنجين، وكان يقول:

" سوف يجد محبو الوطنية أحسن أمل لهم في ترقي أتباع محمد عبده للحصول على مصر مستقلة بالتدرج "[2]

ألف كرومر كتاب (مصر الحديثة New Egypt) وادعى أن الإسلام مناف للحضارة ويعلم أتباعه الحقد على مخالفيهم !! وهو ينافي العمران ويبيح الطلاق ويحرم الربا والخمر.

كان لطفي السيد أحد الذين حملوا لواء الدفاع عن كرومر وسياسته في صحيفته (الجريدة)، وصحيفة المقطم.

---

[1] لاحظ قوله وتفاصيل ما سيأتي من برامج الأوربيين في ما أسموه (حرب الكلمة) منذ القرن التاسع عشر. وقارن برنامج (كرومر) الحاكم البريطاني لمصر منذ (1882) , مع برنامج (بريمر) الحاكم الأمريكي للعراق منذ (2003). واستراتيجية (رامسفيلد) و (رايس) لـ (حرب الأفكار) و (تطوير المجتمعات) العربية والإسلامية دينيا وثقافيا وسياسيا واجتماعيا ! لتكتشف أن ما يجري الآن هو مجرد فصل لاحق لفصل سابق..ولم يختلف إلا الغباء في التطبيق الأمريكي الذي يقوم على الحمق والجهل والبطش وهمجية الكاوبوي الذي حرم ثقافة الأوربيين ومكرهم !

[2] الآن (عراق) مستقلة بالتدرج !!

أما دوجلاس دنلوب:

فهو أحد سيئات كرومر الكبرى. فلقد شجع كرومـر المـبشرين في مصر والسـودان إلا أنه عندما رأى طريقتهم الساذجة في التعرض للنـاس في الشـوارع خشي أن يـؤدي عملهـم هذا إلى يقظة الناس ومن ثم تتفجر ثورة وطنية بحمية إسلامية. فحد من نشاطهم، فرفع المـبشرون تقريـر إلى الحكومـة البريطانيـة فأرسـلت بريطانيـا عتابـا إلى كرومـر فـرد عـلى المبشرين بأني سـأعمل عـن طريـق راهـب واحـد أضـعاف عملكـم، وأحضر دنلـوب سـنة (1889) وهو راهب تخـرج مـن كليـة لاهـوت بريطانيـة وعينـه كرومـر (1897) سـكرتيرا للمعارف. ثم سنة (1906) عين مستشارا لـوزارة المعـارف، وقـد كـان دنلـوب هـو الـوزير الفعلي.

وكان ينفذ سياسة كرومر (عقل بريطاني وأيدي مصرية)[1] ويرفع شعار سيده:

(متى توارى القرآن ومكة من بلاد العـرب يمكننـا حينئـذ أن نـرى العـربي يتـدرج في سبيل الحضارة).[2]

وقد حارب دنلوب اللغة العربية والأزهر، وشجع الإنجليزية وأصبح تـدريس العلـوم والرياضيات والكيمياء والجغرافيا بالإنجليزية وحارب التعليم العالي بحجة أن المصريـين لا يصلحون للتعليم العالي وحارب الكتب الإسلامية أو التي فيها عاطفة إسلامية مثـل كتـب علي مبارك و عبد العزيز جاويش.

وأخطر ما عمله دنلوب، أنه رسم المناهج التي أصبحت مثلا يحتذى للدول العربيـة وقسم التعليم إلى قسمين:

- ديني: وجعله خاصا بالأزهر ومعاهده.

---

(1) الآن (عقل أمريكي يهودي بريطاني).. وأيدي عراقيـة وأردنيـة وسـعودية وباكسـتانية ومصريـة....إلى آخر قافلة السوائم !!

(2) الآن تطالب أمريكا بحذف ما تسميه آيـات وسـور الجهـاد والتحـريض عـلى الكراهيـة مـن منـاهج التعليم. وتروج لمصحف مختصر تريد نشره أسموه (فرقان الحق) !!يحرض على التسـامح بـين الـذئاب والنعاج ! وتدخل الحكومات الأئمة في دورات تأهيلية لتجنب التطرف !

ومدني: حارب فيه كل كلمة دينية، ومنع من توظيف خريجي الأزهر – أهل العلـم الحقيقي – وإذا احتاج إلى بعضهم كان يدفع للواحد 112 قرشا مصريـا في الشـهر، هكـذا كانت الحال في مصر – رائدة العالم العـربي – أواخـر القـرن التاسـع الـعشر وأوائـل القـرن العشرين.

ففي السياسة: يرجع الأمر إلى الإنجليز فمعتمدهم هـو الحـاكم الفعـلي للبلـد وأمـا الخديوي فلا يملك من أمره شيئا.

وفي الاقتصاد: خيرات مصر تصب في جيوب الإنجليز.

والأزهر: مقصى عن توجيه دفة الحياة.

الإعلام: الإذاعة مديرها لطفـي السـيد وأمثالـه كـما أنـه مـدير الجامعـة، والصـحف اليومية والدورية. والمجلات معظمها بي النصارى كالأهرام، والمقطم، والمقتطف، الهلال، ما ينوف على عشرين منها بأيدي النصارى، ووزارة المعارف والمناهج: بيد دنلوب.

والجامعة: بيد لطفي السيد. ثـم جـاء طـه حسـين ليواصـل الـدور مـن خـلال كتبـه (الشعر الجاهلي) و (الأدب الجاهلي) لينكر ربانية القرآن وأطلق كلمته.

(للتـوراة أن تحـدثنا عـن إبـراهيم وإسـماعيل وللقـرآن أن يحـدثنا عـن إبـراهيم وإسماعيل ولكنا لا نرى هذين مصدرا تاريخيا موثوقا) ثم استلم الجامعة، ثم المعارف قال بعضهم " انتهى عهد دنلوب وابتدأ عهد طه حسين ".

وفي أواخر القرن التاسع عشر حصل أخطر حدث في العصر الحديث وهو مؤتمر بال (1897م) الذي عقده هرتزل في سويرا.

- مؤتمر بال في سويسرا /1897 /:

يكاد كثير من مفسري التاريخ يجمعون أن مؤتمر بال يعتـبر أخطـر حـادث في العصر الحديث، وهو نقطة التحول بالنسبة للعالم الإسلامي، إذ دأبـت بعـده

اليهودية العالمية على تنظيم الخطط وإحكام الأحابيل والشباك التي تصطاد بها المسـلمين للوصول إلى أرض الميعاد.

وأما هرتزل فهو صحفي يهودي نمساوي ولـد سـنة (1860) وفي سـنة (1894) حضر محاكمة الضابط اليهودي (دريفوس) الـذي يحمـل الجنسـية الفرنسـية حيـث اتهـم هـذا الضابط بالتعامل مع ألمانيا وحكمت عليه بجريمة الخيانة عشر سنوات مـع تجريـده مـن مناصبه العسكرية، ولقد أثرت المحاكمة في نفس هرتزل. إذ ظن أن دريفوس حكـم ظلـما بسبب دينه اليهودي وقال – من شاء أن يُنصف في هـذا المجتمـع فلينـتصر – وصـمم أن يعمل من أجل إنشاء وطن لليهـود، وبعـد هـذا الحـدث بسـنة أي سـنة (1895م) أصـدر كتابه (الدولة اليهودية) وهو شـبيه بالكتـاب الـذي أصـدره مـوسى هـيس (مـن رومـا إلى القدس).

وفي سنة (1897) استطاع أن يجمع المنظمات الصهيونية في مؤتمر صـهيوني عـالمي في بال، وأعلن هرتزل في نهاية المؤتمر أن الدولة اليهودية قامت وحدد لـذلك زمنـا لا يتعـدى خمسين سنة.

وانبثقت عن هذا المؤتمر (بروتوكولات حكماء صهيون) التي تعتبر أخطر الوثـائق في العصر الحديث، ومعظم التدمير الذي حل بالبشرية في القرن العشرين كانت بسببها.

من نصوص من البرتوكولات:

البرتوكولات الثاني (لا تحسبوا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء. نحـن الـذين رتبنـا نجـاح دارون – من قبل – وإن فرويد منا، وإن ماركس و نيتشة منا، وسنبقى ننشر آراءهـم لمـا لها من أثر هدام على الفكر الأممي). (الفكر الأممي) يعني فكر الأمم غير اليهودية، وقـد أشار القرآن إلى طبيعة اليهود هذه فقال تعالى:

(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَـبِيلٌ وَيَقُولُـونَ عَـلَى اللــه الْكَـذِبَ وَهُـمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران: 75).

ليس من حرج ولا إثم علينا – اليهود – إذا أسأنا إلى الأمم الأخرى غير اليهودية.

البرتوكول الثالث: (سننشر بين الشعوب أدبا قذرا مريضا يهدم الأسرة. وسنستمر بالترويج لهذا الأدب، يجب أن نعمل – لتنهار – الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا.

إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ويصبح همه ارواء غريزته الجنسية وعندئذ تنهار الأخلاق في كل مكان ونستولي على العالم وهو مخدر).

البرتوكول الرابع: (سننزع فكرة اللـه من أذهان المسيحيين ونضع بدلها أرقاما حسابية وضرورات مادية).

وخلاصة البرتوكولات تتخلص في كلمة (أوسكار ليفي) التي قالها بتبجح وصلف:

(نحن اليهود سادة العالم ومفسدوه ومحركو الفتن فيه وجلادوه).

وكانت طريقة اكتشاف البرتوكولات أن روسيا علمت أن اليهود يخططون ضدها فأرسلت لاقتحام مقر حكماء صهيون وبالفعل وبخطة محكمة أوقدوا النيران حول العمارة فهرب اليهود من العمارة فاقتحموها وأخرجوا ما استطاعوا أن يخرجوه من الأوراق ثم أحضرتها روسيا. وقام الدكتور (نيلوس) بتحليلها وتوقع نيلوس سقوط القيصرية في روسيا، وسقوط الدولة العثمانية.

وقد كان البرتوكول الرابع عشر يقول:(يجب علينا أن نحطم كل عقائد الأديان)

- السلطان عبد الحميد يعرقل على اليهود الطريق إلى فلسطين:

إن معظم الأحداث الكبرى التي جرت في المنطقة الإسلامية – العربية خاصة – كانت ترمي إلى الهدف الكبير الذي وضعه هرتزل ومن ورائه اليهود نصب أعينهم وهو الوصول إلى أرض الميعاد كان أمام اليهود عقبة كأداء لا

يمكن تجاوزها وهي الدولة العثمانية وعلى رأسها السلطان عبد الحميد الثاني الـذي حكـم بين (1876-1909)

حاول اليهود أولا إغراء السلطان الصالح عبد الحميد، فالسلطان عبد الحميـد وصـل إلى الخلافة في وقت كادت الماسونية تأخذ بخناق الدولة.

ولنرجع إلى هرتزل الذي توجه إثر انتهاء مـؤتمر بـال سـنة (1897) لمقابلـة السـلطان عبد الحميد وأخذ معه حاخام القسطنطينية (موسى ليفي) وعرضوا على السلطان عروضا منها:

1. إنشاء أسطول عثماني.
2. دعم سياسة العثمانيين في العالم الخارجي.
3. مساعدة اليهود للسلطان في تحسين أوضاعه المالية.
4. إنشاء جامعة عثمانية في القدس.

قال هرتزل " مثلا لو رضي مولانا وباع لنا الأراضي التي ليس لها مـالكون في فلسـطين بالثمن الذي يقدره" فغضب السلطان وقال:

(إن أراضي الوطن لا تباع، إن البلاد التي امتلكت بالدماء لا تبـاع إلا بـالثمن نفسـه) ولم ييأس هرتزل وقابل السلطان مرة ثانية (1901) وفي هذه المـرة عرضـوا عـلى السـلطان نفسه (150) مائة وخمسين مليونـا مـن الجنيهـات الذهبيـة الإنجليزيـة فقـال (إنكـم لـو دفعتم ملء الأرض ذهبا – فلن أقبـل بتكلـيفكم هـذا بوجـه قطعـي، لقـد خـدمت الملـة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة، فلـن أسـود صـحائف المسـلمين آبـائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين).

ولقد كانت المقابلة هذه المرة مع (قره صو) المحامي اليهودي الماسـوني الـذي أشرف على محفل سالونيك.

ولقد نقلت بعض المصادر أن السلطان صـاح في وجـه هرتـزل (أخـرج مـن وجهي يا سافل) وصاح بالحاجب الذي أدخله قائلا (أما كنـت تعلـم مـا يريـده

هذا الخنزير مني) فطار هرتـزل مـع قـره صـو إلى إيطاليـا وأرسـل (قـرة صـو) برقيـة إلى السلطان.

(ستدفع الثمن هذه المقابلة من نفسك وعرشك).

يقول هرتزل في مذكراته: (ونصحني السلطان عبد الحميد بـأن لا أتخـذ أيـة خطـوة أخرى في هذا السبيل لأنه لا يستطيع أن يتخلى عن أي شـبر واحـد مـن أرض فلسـطين إذ هي ليست ملكا له، بل هي لأمته الإسلامية التي قاتلـت مـن أجلهـا وروت التربـة بـدماء أبنائها.... وقال عبد الحميد: إن عمل المبضـع في بـدني لأهـون عـلي مـن أن أرى فلسـطين تقتطع من إمبراطوريتي. ثم قال: وفـر نقـودك يـا هرتـزل فعنـدما يـذهب عبـد الحميـد ستأخذون فلسطين مجانا).

وبعد هذا صمم اليهود على الإطاحة بعبد الحميـد وفي سـنة (1904) فجـروا عربـة أمام المسجد الذي يصلي فيه السلطان صلاة الجمعة ونجاه اللـه مـن المـوت وقتـل كثـير من الناس.

وتكالب الماسون على إقصائه، ودفعت الماسونية بعملائها إلى أن تصـدروا المناصـب العليا في الدولة أمثال طلعت باشا، أنور باشا – وزير الحربيـة – أرسـتيدي باشـا – رومـي أصبح وزيرا للنافعة، جمال باشا – حاكم الشام – مصـطفى كـما باشـا قائـد جبهـة الشرق العربي في الحرب العالمية الأولى جاويد باشا (دافيد باشا) – وزير المالية.

(حسين جاهد يالشين) أحد أعضاء لجنة التوفيق الثلاثة (أمريكي وفرنسي وتركي) بـين العـرب واليهـود وأصـبح السـلطان يجـد نفسـه يومـا بعـد يـوم محاطـا برجـال اشـترتهم الماسونية من خلال جمعيـة (الإتحـاد والترقـي) وأصـبحت قبضـته تخـف تـدريجيا حتـى استطاعوا أن يجبروه على إعلان الدستور. فأنشأ مجلس المبعوثان (مجلـس النـواب) الـذي دخله اليهودي والنصراني والمسلم وجاء (قره صو) إلى مجلس المبعوثان.

وكـان إعـلان الدسـتور نصرا للنصـارى واليهـود في كـل الأرض حتـى أهدى جورجي زيدان النصراني – دار الهلال – كتابه الإنقلاب العثماني إلى

الأبطال!!؟ أعلنوا الدستور سنة (1908) ثـم اسـتطاع الماسـون أن يحركـوا الجـيش بقيـادة محمود شوكت – العربي واجتمع مجلس النواب لينتزعوا قرارا بالإطاحة بالسـلطان. ولقـد كانت أصابع ناحوم حاييم (حاخام القسطنطينية) بارزة في الأمر، وقـدم كتـاب الخلـع إلى السلطان عبد الحميد ثلاثة.

1. قره صو
2. أستيدي باشا
3. عارف حكمت الذي كانت أمه خادمة في قصر السلطان فأخذ السلطان ابنها هـذا – عارف – وأدخله في البحرية حتى أصبح ياورا في البحرية.

كان إقصاء السلطان عبد الحميد عن الخلافة في نيسـان سـنة (1909) وكانـت هـذه أكبر طعنة وجهت للإسلام، وفي تلك الليلة التي نزل فيها السلطان عبد الحميـد عـن سـدة الحكم نستطيع القول بأن:

الإسلام الفعلي أزيل مـن الوجـود والشـهود وسـقطت فلسـطين – حقيقيـة – في يـد اليهود.

يقول أنور باشا – أحد أقطـاب الماسـونية و الإنقـلاب عـلى السـلطان عبـد الحميـد مخاطبا جمال باشا أتعرف يا جمال ما هو ذنبنا؟

نحن لم نعرف السلطان عبد الحميد فأصبحنا آله في يد الصهيونية واشترتنا الماسونية العالمية، نحن بذلنا جهودنا للصهيونية فهذا ذنبنا الحقيقي.

ويقول برنارد لويس: (لقد تعاون الإخوة الماسون واليهود سرا على إزالـة السـلطان عبـد الحميد لأنه كان معارضا قويا لليهود. إذا رفض بشدة إعطاء أي شبر أرض لليهود في فلسطين.

تركيا بعد السلطان عبد الحميد:

سقط السلطان الصالح عبـد الحميـد بفعـل الماسـونية اليهوديـة وأصـبحت تركيا تسير من قبل (جمعية تركيا الفتاة، وجمعية الاتحاد والترقي) التـي أضـحت لعبة بيد الماسونية، فقد كانت القومية التركيـة التـي يـدعو إليهـا حـزب الإتحـاد

والترقي بيد اليهود وهكذا توالت النكبات على تركيا، الخلافة ضعيفة تلعب بها جمعية الاتحاد والترقي – الدعاة القوميون – هؤلاء علمانيون لا متدينون،المحافل الماسونية تنتشر انتشار النار في الهشيم، الديون تتراكم، ومن وراء ذلك كله الأصابع اليهودية التي صممت الإطاحة بتركيا لتصل إلى أرض الميعاد.

- مصطفى كمال يحطم تركيا ويلغي الخلافة:

وخرجت تركيا محطمة من الحرب العالمية الأولى و تقاسمت الدول الكبرى ورثة الرجل المريض! كما كانوا يطلقون على تركيا، واستراحت أوروبا من هذا الغول الرهيب الذي كان يقض مضاجعها لقرون طويلة.

وجاء مصطفى كمال بعد هزيمته في جبهته في الشرق العربي وبرزت شخصيته كقائد عسكري من خلال بعض الإشتباكات العسكرية مع اليونان. وانطلقت الأقلام لتبرز مصطفى كمال. وهناك بعض المحللين التاريخيين والسياسيين يرون أن سكوت دول الحلفاء الثلاث التي كانت تعسكر قواتها على مقربة من أرض المعركة كان لخطة وهي إبراز مصطفى كمال من أجل دور الذي ينتظره وهو محاربة الإسلام وإسقاط الخلافة.

وانسحبت دول الحلفاء من تركيا وعندما وقف مجلس العموم البريطاني في وجه كرزون الذي وافق على سحب جيوش الحلفاء من تركيا قائلين ستعود تركيا مرة أخرى لاحتلال أوروبا فقال: اطمئنوا.

(لن تقوم لتركيا قائمة بعد أن جردناها من الإسلام والخلافة).

- حالة العالم الإسلامي بعد منتصف القرن التاسع عشر(إلى منتصف القرن العشرين).

كان العالم الإسلامي في النصف الأول من القرن العشرين نائما في سبات عميق مستسلما للذل قد استمرأ السياط التي بيد جلاديه تلهب ظهره.

وقد اتفق الغرب الذي يقبض بخناق العالم الإسلامي على أمرين:

أن لا تقوم للإسلام قائمة.

أن تقوم الدولة اليهودية في فلسطين.

والعالم الإسلامي قسمان: العالم الإسلامي العربي. و العالم الإسلام غير العربي.

- أحوال العالم الإسلام العربي:

أما العالم الإسلامي العربي: فقلبه النابض مصر وهي في قبضة بريطانيا وقد رأينا كيف عاثوا بها فسادا عن طرق أسرة محمد علي وعن طريق صنائعهم فيها، وكانت الأردن والعراق وفلسطين تحت وطأة الإحتلال البريطاني كذلك، ولم يكن حالها أحسن من حال سابقتها مصر.

وأما فرنسا: فكانت تتحكم بسوريا ولبنان والشمال الأفريقي، حيث صممت أن تحول الشمال الأفريقي إلى ماخور كبير من مواخير باريس من تونس حتى طنجة. وفرضت اللغة الفرنسية وأخرجت الظهير البربري (القانون البربري) في 16 مايو سنة 1930 الذي قضى بتنفيذ الأحكام العرفية البربرية وقانون الأحوال الشخصية البربرية بدل الشريعة الإسلامية. وذلك للتفريق بين العرب والبربرية. وتحويل البلد إلى ساحة نزاع عرقي وسلخ المسلمين عن دينهم.

وفي نفس الوقت أثار سعيد عقل، ويوسف السودا، و فيكتو ر خلاط، شبح الفنيقية، وإحياء أسماء هاينبال، وصناعة حزب القوميين السوريين، وإعلان أن لبنان لا ينتمي إلى العرب بل هو جزء من حضارة البحر المتوسط.

وفي مصر: يثير سلامة موسى وطه حسين الفرعونية. وأعلن طه حسين في مستقبل الحضارة في مصر: أن مصر جزء من حضارة المتوسط (الأوروبية) وليست عربية فهي أقرب إلى حضارة إيطاليا وفرنسا واليونان منها إلى جزيرة العرب. ويجب تقليد الأوربيين في مأكلهم ومشروبهم وملبسهم وحياتهم.

وأما فلسطين: فهي تحت إدارة المندوب السامي البريطاني- اليهودي (هر برت صموئيل). الذي يمهد لإقامة دولة اليهود فيها. ولذا فإنه يغرق المدن الكبرى بالمسارح والسينما والأندية الليلية بالإضافة إلى التحكم بالمناهج المدرسة

العلمانية وإقصاء التربية الإسلامية والتاريخ الإسلامي عن الحياة المدرسية. وكانت الإذاعة بأيديهم.

وأما النصيريون في سوريا: فكانت فرنسا بالإضافة إلى ما تقدم من وسائل بريطانيا في عملية التغيير، كانت ترعى طائفة النصيريين الذين سمتهم العلويين ليختلط أمرهم لدى المسلمين. وهذه الطائفة الذين كانوا قد اتخذوا من بينهم إلها وهو (سليمان المرشد) وقد كان راعيا للبقر واتخذ رسولا اسمه (سليمان الميدة) كان يعمل راعيا للجمال، وسليمان المرشد هذا من قرية (جوبا يرغال) شرقي اللاذقية، وكان المستشار الفرنسي يسجد له مع الساجدين ليزيد أتباعه غيا. وقد صنع له جلبابا فيه مصابيح كهربائية تضيء فيسجد له الأتباع !.

- أحوال بقية المسلمين في العالم الإسلامي:

أما عن المسلمين في بقية العالم الإسلامي فحدث عنهم ولا حرج، فزيادة عن الجهل المطبق الذي يتضور فيه غالبية المسلمين، شجعت الدول الاستعمارية وعلى رأسها بريطانيا الطرق الصوفية المنحرفة التي لا تفهم من الإسلام إلا العزلة السلبية والصبر على الإتسعمار، لأنه ابتلاء من الله. و التمسح بالقبور وإقامة الأضرحة ورفع الرايات فوقها من أجل التبريكات، و إشغال الشعب بعيد ميلاد المشايخ وتتويجهم ثم الدعوات حول قبورهم والحلف بأسمائهم وإهداء الزهور على أنصابهم.

وزيادة على هذا فقد ابتدعت نبوات جديدة وظيفتها إلغاء الجهاد، وترسيخ الولاء لبريطانيا.

1- ففي الهند: أبرزت (ميرزا غلام أحمد) القادياني. وهذا المتنبىء ولد سنة (1840) في قاديان / وأصيب في شبابه بالهستيريا.. وفي سنة (1884) أعلن حرمة الجهاد ضد الإنجليز في كتابه (براهين أحمدية).

وفي المرحلة الثانية: أعلن تشبهه بالمسيح سنة (1891) وأصدر ثلاثة كتب (فتح الإسلام توضيح مرام، إزالة أوهام).

وقال: أنه المسيح الموعود.

وفي المرحلة الثالثة أعلن أنه نبي سنة 1900، وقد ادعى أن الله جمع جميع الأنبياء في شخصه.

قال بشير محمود (أحد الدعاة القاديانيين): (غلام احمد أفضل من بعض أولي العزم من الرسل) !!.

ولقد تبعه الكثيرون ليبايعوه على الولاء لبريطانيا. يقول محمود أحمد (خليفة ميرزا غلام احمد في رسالته: (هدية لسمو الأمير ويلز نجل جورج الخامس سنة 1931):

(أنا أرحب بك وأؤكد لك أن الجماعة الأحمدية وفية لبريطانيا وستبقى وفية – إن شاء الله – وإن منهج هذه الجماعة منذ تأسيسها أن تطيع الحكومة القائمة بريطانيا وهذا شرط البيعة فيها).

جاء في كتاب (ترياق القلوب) لميرزا غلام أحمد: (لقد قضيت عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية و نصرتها، وألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر الإنجليز من الكتب والنشرات ما لو جمع لملأ خمسين خزانة. وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وكابل).

2- البابية والبهائية في إيران:

وهذا دين آخر رعته بريطانيا وحرصت على نشره روسيا من أجل تمييع العقيدة الإسلامية. و البابية مؤسسها شيعي يدعى (ميرزا علي محمد الشيرازي) تلقب بالباب واشتق اسمه من الحديث الموضوع (أنا مدينة العلم وعلي بابها). وادعى النبوة أولا، ثم ادعى أنه المظهر لله، ثم أسس تلميذه (البهاء) دين البهائية.

وفي سنة 1848 عقد البهائية مؤتمر بدشت، وأعلنت البابية نسخ الشريعة الإسلامية بالبابية. ثم أعدم البهاء، وتفرقت جماعته إلى فرق (في نواحي إيران).

ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن النواة الأولى لأتباع الباب كان لليهود فيها عدد كبير منهم... وقد كان قسم من أعمال السفارة الروسية في طهران منحصرا في تهيئة الألواح و تنظيم أعمال البابية.

وقد مرت دعوة البهاء بثلاثة أطوار، الأول ادعى فيه أنه عيسى عليه السلام، ثم ادعى النبوة ثم ادعى الألوهية...

- مدرسة مد الجسور نحو الغرب:

لقد اشرنا أكثر من مرة إلى أن الغرب آثر أن لا يستعمل القوة إلا في حالات الضرورة القصوى لأنه أدرك أن بإمكانه أن يصنع من خلال ربائبه من أبناء البلد أضعاف ما تحققه جنده وأساطيله الجوية والبحرية.

ولقد رأى الإنكليز- بالذات – أن من أفضل الطرق لضرب جذورهم في أرض المسلمين هو إقامة مدارس تقوم بردم الهوة بين الغرب المشرك والشرق المسلم بتمييع الحواجز وإزالة الفواصل وتقريب الشقة بين الإيمان الناصع والكفر الصريح بتلبيس الأمور واختلاط الشارات وهدم الفوارق بين المسلمين والكافرين [1]. ومن هذه المدارس:

مدرسة محمد عبده في مصر.

مدرسة أحمد خان، وعلى طريقته وحيد الدين خان. (في الهند).

مدرسة محمد عبده في مصر:

يختلف المفسرون لأحداث التاريخ حول شخصية محمد عبده وفي تحليل مواقفه السياسية وصلته بالاحتلال البريطاني [2]:

---

[1] الآن تقوم أمريكا بنفس البرنامج , عن طريق افتتاح المراكز الثقافية , والمؤسسات العلمية والبحثية العالية. وعن طريق أخذ الطلبة المتفوقين دراسيا , وأبناء الأغنياء والشخصيات السياسية والاجتماعية في بعثات دراسية إلى أمريكا لغسل عقولهم وإعادتهم بعقول وثقافة وتبعية روحية لأمريكا. وتصرح أمريكا في دعايتها لبرامج تلك البعثات , أن هؤلاء الخريجين سيتسلمون مهمة إدارة بلادهم في كل المجالات , وسيكونون زعماء بلادهم في المستقبل !

[2] أما نحن فلا نختلف , ولا ريب عندنا أن محمد عبده كان ماسونيا عميلا لبريطانيا مرتدا ملحدا في دين الله. ونحن متفقون مع شيخ الأزهر في زمانه (الشيخ عليش) رحمه الله , حيث كفره علنا وبين وجوه ردته - قاتله الله - وسامح الطيبين المغفلين المخلصين،المخدوعين به.

فمنهم من يغالي فيه و يرى فيه المصلح الذي أيقظ مصر من سباتها العميق، وأنه بذل وسعه في إصلاح الأزهر.، وأنه كان لا يستطيع مواجهة بريطانيا فاضطر إلى مهادنتها من أجل حماية الأوقاف الإسلامية والقيام بالإصلاح الجذري للأزهر و العلماء. ومن هؤلاء تلميذه محمد رضا، ومحمد البهي..

ومنهم من يرى أنه قام بدور كبير في خدمة بريطانيا أكثر من العلمانيين الصرحاء، وذلك لأنه مد الجسور بين النفسية المصرية الإسلامية والنفسية الإنجليزية الحاقدة، واستطاع أن يقنع الكثيرين أنه لا بد من التعاون مع بريطانيا.

ومن أصحاب هذا الرأي الشيخ عليش شيخ الأزهر الذي كفر محمد عبده.

ومهما يكن من أمر فهناك قضايا كبرى لا نستطيع إغفالها في حياة محمد عبده:

1. دخوله الماسونية وهذا أثبته له حتى تلميذه وأثبت حصوله على أوسمة في الماسونية من الملحق الثقافي الأمريكي في المحفل الماسوني اللبناني.
2. وقوفه بجانب كرومر ضد الخديوي عباس.. ومكانته الرفيعة لدي الإنكليز وتدخلهم لدعمه في كل ملمة به. كما خصوه بمنصب الإفتاء في مصر وحصروه فيه.
3. كان محمد عبده من رواد صالون الأميرة نازلي كما أسلفنا. وقد حفظت صور لمحمد عبده يخالط فيها بعض نساء الإفرنج وغيرهن من خليعات مصر في ذلك الزمان.
4. كان كرومر يقول للخديوي عباس:

(إسمح لي أن أقول أنه مادام لبريطانيا العظمى نفوذ في مصر، فإن الشيخ محمد عبده يكون هو المفتي حتى يموت).

وقد جاء في كتاب كرومر (مصر الحديثة):

(إن محمد عبده كان مؤسسا لمدرسة حديثة قريبة الشبه من تلك التي أسسها السيد أحمد خان في الهند مؤسس جامعة عليكرة).

يقول المستشرق الإنكليزي (هاملتون جب) في كتابه: (أين يتجه الإسلام):

(ومن ناحية أخرى نجد أن الشيخ محمد عبده قد صنع جسرا فوق الهوة التي تفصل التعليم التقليدي الجاف عن التعليم المصري الخاضع لمذهب العقليين الذي غزا الشرق والغرب).

لا أشك أن تفسير محمد عبده للقرآن والذي نقله تلميذه محمد رضا يدل على الهزيمة الروحية أمام ضغط الغرب الجاثم على صدور المسلمين واستحياء من المستشرقين. حيث أول الملائكة بالقوى الطبيعية، وفسر سجودهم لآدم بتسخير قوى الأرض له، وأول الجن بالميكروبات، و الطير الأبابيل بمخلوقات من جنس البعوض والذباب، والحجارة مت سجيل بالجراثيم..!

فأين كان محمد عبده من قوله تعالى:

(وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللـه مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ) (هود:113).

مدرسة أحمد خان بهادور في الهند:

لقد أقلق بريطانيا وجود علماء صادقين مجاهدين في شبه لقارة الهندية من أمثال الشيخ (أحمد بن عرفان الشهيد(1842) الذي ألهب شعلة الحماس والجهاد في نفوس المؤمنين في الربع الأول من القرن التاسع عشر. ولذلك لجأت إلى تربية صنائع دينية تمسح من الأذهان فكرة الجهاد فاخترع تعددا من المدارس مثل:

القاديانية، وقدمت ميرزا غلام أحمد على أنه نبي ينسخ الجهاد.

أحمد خان. العلماني الذي نادى بإلغاء الجهاد أيضا.

وقد ولد أحمد خان هذا سنة 1817في دهلي، ثم عمل في خدمة بريطانيا أمينا في الحكم الجنائي 1837. ولدى قيام المسلمين بالجهاد سنة 1857، وقف أحمد خان ضد الثورة الإسلامية، وخلص كثيرا من البريطانيين من القتل، ودفع مبلغا ضخما من ماله لإنقاذهم، وألف كتابا عن أسباب الثورة أنحى فيه باللائمة على المسلمين الجهلة.

وقد منحته بريطانيا وسام نجمة الهند. وفي سنة 1875 أنشأ (الكلية الشرقية الإنجليزية) في عليكرة. واسمها الآن (الجامعة الإسلامية). وهلك سنة 1898.

ومن أهم محاولات أحمد خان:

إنشاء دين جديد تنصهر فيه الأديان الثلاثة (الإسلام، النصرانية، اليهودية).

محاولة إثبات صحة الأناجيل، وكتب في هذا كتابا سنة 1862أسماه تبيان الكلام.

نادى بالمذهب الطبيعي الدهري، وقال أن جميع الأنبياء كانوا طبيعيين لا يعتقدون بالإله- والعياذ بالله- ولقب نفسه بالطبيعي.

زعم أنم النبوات تكتسب بالرياضة الروحية. إلغاء فريضة الجهاد.

مدرسة وحيد الدين خان في دلهي بالهند:

وقد أشد وحيد خان بسلفه أحمد خان. وكان من أفكاره التي جاءت في كتبه:

1. الدعوة إلى إنشاء مركز عالمي عصري بشرط أن يبتعد عن السياسة بكل شكل.
2. ترك الدنيا لأهلها وتذكير الناس بالموت فقط.
3. إلغاء الجهاد والدعوة لترك مواجهة الغرب، والدعوة إلى الإستكانة والذل والصبر.
4. أن الأنبياء بعثوا للمؤمنين الفاسدين.

المستشرق الإنكليزي (جب) يكتب عن العالم الإسلامي سنة 1932:

خلال الثلث الأول من القرن العشرين، نجح اليهود وحلفاؤهم الغـربيين في مجـالات شتى في العالم الإسلامي..

فقد أسقطوا الخلافة العثمانية، وزجـوا بتركيـا في الحـرب العالميـة الأولى، فحطموهـا وتقاسموا ممتلكاتها، وقد وقف الزعماء العرب بسـذاجتهم إلى جانـب الحلفـاء والإنجليـز خاصة ضد إخوانهم المسلمين الأتراك العثمانيين، ظنا مـنهم أنهـم سـف يسـاعدوهم عـلى قيام مملكة عربية مستقلة !ولمن الحقائق التي سبق أن أشار إليها القرآن كانت غير ذلك! يقـول لـورنس (رجـل الإسـتخبارات البريطـاني) الـذي رتـب الثـورة العربيـة الكـبرى ضـد العثمانيين لمساعدة بريطانيـا التـي أغـدقت الوعـود الكاذبـة للشريـف حسـين والي مكـة والحجاز آنذاك. يقول: (كنت أعلـم أننـا إذا كسـبنا الحـرب فـإن عهودنـا للعـرب ستصـبح أوراقا ميتة، ولو كنت ناصحا شريفا للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم، لقـد كـان قـادة الحركـة العربيـة يفهمـون السياسـة الخارجيـة فهـما عشـائريا بـدويا، وكـان البريطـانيون والفرنسيون يقومون بمنـاورات جريئـة اعـتمادا عـلى سـذاجة العـرب وضـعفهم وبسـاطة قلوبهم وتفكيرهم، وكان لهم ثقة بالعدو. إنني أكثر ما أكـون فخـرا أن الـدم الإنكليـزي لم يسفك في المعارك الثلاثين التي خضناها، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تسـاوي في نظري موت إنكليزي واحد)..

لقد قال ويزمن بعد ذلك: (لقد قدم لورنس خدمات جليلة لليهود)!

ثم بدأ الغرب عن طريق التعليم ينفث الم في أوصـال هـذه الأمـة، فأفسـد الناشـئة، وأفسـد النسـاء وحطـم المكونـات الأسريـة، وأدخـل أنديـة الماسـون و الروتـاري في نخبـة المجتمعات.. ونشر الفسوق عبر المسرح والسينما ووسائل الإعلام..

يقول المستشرق الإنكليزي جب في كتابه وجهة العالم الإسلامي:

(عن (التعليم) [1]:

إن هذا هو السبيل الوحيد لفرنجة بلاد المسلمين وتغريبها، لقد كان التركيز قويا لإنشاء الطبقة التي تأخذ نهائيا بوجهة نظر لا سلطان للدين عليها، وحينئذ يمكن الجلاء عن أراضيها وتسليمها زمام السلطة فيها لأنها امتداد لفكر المحتل.]!

[إن المدارس والمعاهد لا تكفي فليست إلا الخطوة الأولى ويجب صرف الاهتمام إلى خلق رأي عام بالاعتماد على الصحافة، فهي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذا في العالم الإسلامي، و مديرو الصحف القومية معظمهم من التقدميين والصحف تتميز بنزعة علمانية غالبة كما يرى.] !

ويضيف بأن التعليم والصحافة قد ترك المسلمين لا دينيين إلى حد بعيد:

[إن العالم الإسلامي سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينيا في كل مظاهر حياته.]

ويبدي جب تخوفه من ناحيتين:

1. المعاهد الدينية.
2. الحركات الإسلامية: التي يرى أنها تتطور بسرعة مذهلة مدهشة، وتنفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين المراقبون من إماراتها ما يدعوهم إلى الريبة في أمرها.

و يقول: [إن الحركات الإسلامية لا ينقصها إلا الزعامة وظهور صلاح الدين.] !

- زعيم المبشرين (زويمر) يصف المسلمين الذين يريدهم الغرب سنة 1933 [2]:

[1] انتبه لاهتمام الإستعمار الأوربي بالتعليم , ولتصريحهم بلا خفاء عن أهدافهم من وراء ذلك. وتذكر الإلحاح والإجبار الذي تمارسه أمريكا اليوم لإعادة مسخ ما مسخ من مناهج التعليم.وعقد الحكومات العربية والإسلامية بضغط من أمريكا عشرات المؤتمرات تحت الشعار الخادع: (تطوير مناهج التعليم).

[2] إقرأ..وتمعن..وستفهم: أنه لم يتبدل أي شيء في برنامج الإستعمار بين الروم الصليبيين الأوربيين , والروم المتصهينين الجدد الأمريكيين. اللهم إلا ما أشرنا إليه من خصائص الكاوبوي الأمريكي , وثلاثيته: الحمق والجهل والبطش..لأنه يستعجل النتيجة.ولأنهم قزم بلا تاريخ ولا حضارة.

يقول زويمر مخاطبا المبشرين في مؤتمر القدس سنة 1933:

- إن مهمتكم هي إخراج المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية. هذا ما قمتم به خلال الأعوام المئة السابقة خير قيام.

- لقد قضينا في هذه الحقبة من الدهر منذ الثلث الأخير من القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية، تلك التي تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية.

- أنتم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل تمهيد.

- إنكم أعددتم شبابا في ديار الإسلام لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية. وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقا لما أراد له الإستعمار، لا يهتم للعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في الدنيا إلا في الشهوات، فإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بأغلى ما يملك.] !

ويقول زويمر:

[إن السياسة الاستعمارية لما قضت منذ1882م على برامج التعليم في المدارس الابتدائية، أخرجت منها القرآن، ثم تاريخ الإسلام، وبذلك أخرجت ناشئة لا هي مسلمة، ولا هي مسيحية، ولا هي يهودية. ناشئة مضطربة، مادية

الأغراض، لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقا، فلا للدين، ولا للكرامة، ولا للوطن حرمة] ! أهـ

لقد وصف(زويمر) الجيل خلال القرن التاسع عشر والثلث الأول القرن العشرين وصفا دقيقا. ولكنه خاب فأله فيما بعد، ولم يصدق ظن (جب)، الذي رأى أن الشرق المسلم سيصبح علمانيا عن قريب.

لقد كان اللـه – عز وجل - لهم بالمرصاد.(فقد نهضت الصحوة الإسلامية بمدارسها المختلفة، ثم أفرزت الصحوة الجهادية، وعادت الأمة تلتمس الخلاص في طريق القرآن).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللـه فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال:36)].أهـ

- الدعوة القومية والأسباب الحقيقية التي كانت وراءها:

السبب الرئيسي: هو محاولة الغرب استعاد الإسلام كرابطة وحيدة وإحلال رابطة جديدة مكانه بعد فشل الغرب في الحروب الصليبية، فأراد أن يستعمل أسلوب الفكر واللسان بدل السنان، وذلك ليسهل للغرب تثبيت أقدامه في بلادنا، خاصة بعد حملة نابليون على مصر.

طموح محمد علي باشا وإبراهيم باشا إلى عمل إمبراطورية قومية عربية.

التخلص من تركيا المسلمة والقضاء عليها حتى يرث الغرب ممتلكاتها.

محاولة النصارى التخلص من تركيا لأنها كانت تطبق عليه الجزية وبعض الواجبات الاستثنائية التي تقابل المسلمين دفع الزكاة والقيام بالجندية لحماية الدولة الإسلامية.

وطمعا من المسيحيين أن يقودوا المجتمعات التي يعيشون فيها ويوجهوا دفتها ويصبحوا سادتها وعلية أقوامها.

التطور التاريخي للفكرة القومية:

تعتبر حملة نابليون النقطة الأولى في بداية تحويل العرب من الإسلام إلى القومية، وقد اختمرت هذه الفكرة في ذهن نابليون على أثر المقاومة التي حركها الأزهر بنداء (الله أكبر) واقتنع الغرب بهذه الفكرة.

وخرج الفرنسيون سنة (1904) من مصر وجاء محمد علي باشا، وكان محمد علي ضابطا ألبانيا – لا يعرف العربية جاء مع الحملة التي أرسلها الخليفة إلى مصر لمقاومة نابليون، وكان محمد علي يتيما طموحا ذكيا، ولكنه كان أميا، فكان مصابا بعقدة النقص بسبب أميته، فأراد أن يحضر مصر ويطورها، فقضي على المماليك ونودي به حاكما على مصر.

محمد علي باشا والفرنسيون:

كان محمد علي معجبا بالفرنسيين، فهو منذ صغره على صلة بفرنسي اسمه ليون (Lion) ثم استقدم إلى مصر د. (كلوت) الطبيب الفرنسي ليكون مستشاره، فأشار عليه بفكرة القومية (وقد عنى كلوت بأن يطبع الطلاب في الدارس العليا التي كان يديرها على الشعوب الصحيح بالقومية العربية) وبدأ محمد علي يرسل البعثات إلى فرنسا، فرجعت البعثات تحمل بذور الفكرة القومية، ومن بين هؤلاء رفاعة الطهطاوي الذي أقام في باريس (1826- 1831) فحمل فكرة الثورة الفرنسية القومية.

ابراهيم باشا في بلاد الشام:

كان محمد علي باشا يطمع في امبرطورية عربية تنفصل عن الحكم العثماني، وقد زين له هذا الأمر الغرب (الفرنسيون بالذات) فأرسل ابنه إبراهيم باشا واحتل الشام كلها، ومكث حكم إبراهيم في بلاد الشام سبع سنوات (1833- 1840) وقد كان لهذه السنوات أثر عميق في تغيير مجرى الأحداث في الشام ولمدة قرن ونيف.

فماذا صنع إبراهيم باشا في الشام:

ألغى الأحكام الإسلامية المطبعة على النصارى في الشام ونادى بمساواتهم بالمسلمين وكذلك فعل أبوه في مصر.

شجع الجمعيات التبشيرية ومدارسها، وأما أبوه في مصر فكان جلساؤه دائما من السفراء والسائحين والمبشرين، وكان نتيجة هذا التشجيع للمبشرين في الشام.

أ. قدوم البعثات البروتستنتية (الأمريكية) وكان من بين رجالاتها [1]:

(أيلي سميث). الذي مكث يعمل دائبا للنصرانية من (1834- 1857) فنقل المطبعة التي كانت للبعثة من مالطة إلى بيروت وبدأت تطبع بالعربية وهي أول مطبعة من نوعها في بلاد الشام، وأقام سميث هو وزوجته في بيروت مدرسة للبنات وهي أول مدرسة في بلاد الشام من هذا النوع.

الدكتور (كورنيليوس فاندك) جاء طبيبا مع البعثة الأمريكية وبقي يعمل 55 سنة في بلاد الشام (ربما كانت جهوده أكبر الجهود الفردية الأجنبية قيمة وأكثرها أثرا في التطور الثقافي في البلاد.

ناصيف اليازجي: (1800-1871) لبناني نصراني، عمل مع البعثة الأمريكية، وفي مطبعتها مع سميث وفانديك، و قام هو وابنه إبراهيم اليازجي بترجمة التوراة، وكان ابنه إبراهيم هو أول من أسس (جمعية بيروت السرية) ذات الطابع القومي.

وإبراهيم هذا كان نصرانيا ماسو نيا، عاش ما بين (1847-1906)، مات في مصر ونعته المحافل الماسونية فيها، وهو صاحب القصيدة التي تنادي بالثورة على الأتراك.

[1] لاحظ قدم المحاولات الأمريكية للتسلل للمنطقة , حيث لم يتمكنوا لقوة بريطانيا وفرنسا وغيرها من دول الإستعمار آنذاك. حتى جاءتهم الفرصة وجاء مقت أن يحصدوا ما زرع أجدادهم المبشرون البروتستانت من النصارى المتهودين.

تنبـهوا واستفيقوا أيها الــعربُ

أقـداركـم فـي عــيـون التـرك نازلـة

لنـطـلبن بـحد الـسيف مأربنـا

لقد طما السيل حتى غاصت الركبُ

حقكم بين أيدي الترك منتهبُ

فـلــن يـخيـب لنا فـي جـنـبه أربُ

بطرس البستاني: (1819-1883)، وهو لبناني كان يعمل مترجما في القنصلية الأمريكية في بيروت، غير دينه من ماروني إلى بروتستنتي بسبب صداقته مع سميث و فاندك. وظفه المبشرون مدرسا في مدرسة عبيـة، تـرجم التـوراة مـع سـميث واسـتغرق في الترجمـة عشر سنوات، أصـدر قـاموس (محـيط المحـيط) ومخـتصره (قطـر المحـيط) و (دائـرة المعـارف للبستاني).

أصدر في فتن عـام (1860) (بـين النصـارى والـدروز في لبنـان) مجلـة اسـمها (نفـير سورية) يدعو إلى الوحدة القومية، أسس عام (1863) (المدرسة الوطنية) كان يدرس هو و ناصيف اليازجي فيها. وأصدر عام (1870) مجلة اسمها (الجنان) صـحيفة نصـف شـهرية سياسـية وأدبيـة، - شـعارها (حـب الـوطن مـن الإيمـان). وأصـدر صـحيفتي (الجنـة) و (الجنينة).

ويعتبر اليازجي والبسـتاني مـن الـرواد الأوائـل لفكـرة القوميـة العربيـة، فلقـد قـام تلاميذهم بالتنظيمات القومية التي آتت أكلها فيما بعد وأثمرت هذا الإقصاء لـدين اللــه عن الحياة وتربية الرواد الذين يعتبرون القوميـة مـثلهم الأعـلى الـذي تقـدم لـه القـوانين والتضحيات.

من ثمار البعثة الأمريكية عدا إبراز اليازجي والبستاني أنها قامت بإنشاء أكـبر معهـد لحضانة الفكر القومي وهو:

الجامعة الأمريكية في بيروت (1866):

وكان اسمها في البداية (الكلية السورية الإنجيلية)، وكان أول رئيس لها هو (دانيال بلس) راهب أمريكي يحمل الدكتوراه في اللاهوت، وبقي رئيسا للجامعة حتى عام (1902) وخلفه ابنه (هوا رد بلس)، وأثر الجامعة الأمريكية في المنطقة لا يوازيه أي أثر في الفكرة القومية. ولقد خرجت الجامعة أجيالا من قادة بلاد الشام على مدى قرن ونيف. ومن أساتذتها المعروفين برعاية الفكر القومي (قسطنطين زريق) الذي نخرج على يديه (جورج حبش).

البعثة الكاثوليكية – اليسوعية، وقد قامت بإنشاء مطبعة حجرية (1847) وأسست مدرسة يوسف التي عرفت فيما بعد بالجامعة اليوسعية.

ج – اللعازريون: افتتحوا كلية (عين طورة) في لبنان.

- الجمعيات القومية:

ومن الأعمال التي قامت بها البعثات التبشيرية إنشاء الجمعيات التي تنادي بالفكر القومي وأهمها:

1- جمعية الآداب والفنون عام (187):

أسستها البعثة التبشيرية الأمريكية وعلى رأسها سميث و فاندك و البستاني و ناصيف اليازجي، و لم يمض عليها عامان حتى بلغ أعضاؤها خمسين عضوا أكثرهم من النصارى السوريين في بيروت، ولم يكن فيهم مسلم واحد ولا درزي، وبقيت الجمعية خمس سنوات.

2- الجمعية الشرقية عام (1850):

أسسها اليسوعيون وكان يشرف عليها الأب دبر ونر.

3- الجمعية العلمية السورية عام (1857):

بلغ أعضاؤها مائة وخمسين عضوا، اشترك فيها بالإضافة إلى مؤسسيها من أتباع البعثة الأمريكية بعض المسلمين والدروز، ونالت اعتراف الحكومة بها عام (1868).

(كان أول صوت ظهر لحركة العرب القومية هو صوت إبراهيم اليازجي أحد أعضاء الجمعية فألقى قصيدة اتخذت صورة النشيد القومي).

4- جمعية ببيروت السورية عام (1875):

يقول جورج انطونيوس (يرجع أول جهد منظم في حركة العرب القومية إلى العام (1875) أي قبل ارتقاء عبد الحميد العرش بسنتين حين ألف خمسة شبان من الذين درسوا في الكلية البروتستنتية السورية – الجامعة الأمريكية – ببيروت جمعية سرية وكانوا جميعا من النصارى، ولكنهم أدركوا قيمة انضمام المسلمين والدروز إليهم، فاستطاعوا أن يضموا إلى الجمعية نحو اثنين وعشرين شخصا ينتمون إلى مختلف الطوائف الدينية، ويمثلون الصفوة المختارة والمستنيرة في البلاد، وكانت الماسونية قد دخلت قبل ذلك بلاد الشام على صورتها التي عرفتها أوروبا، فاستطاع مؤسسو الجمعية السرية عن طريق أحد زملائهم أن يستميلوا إليهم المحفل الماسوني الذي كان قد أنشئ منذ عهد قريب ويشركوه في أعمالهم)

من هذا ندرك:-

أن بداية العمل القومي المنظم كان في بلاد الشام عن طريق النصارى.

أن هؤلاء النصارى من تلاميذ البستاني و اليازجي أو من محبيهم وكانوا ثمرة جهود البعثة الأمريكية.

إن من بين المؤسسين إبراهيم اليازجي صاحب شعار الجمعية.

لنطلبن بحد السيف مأربنا

فلن يخيب لنا في جنبه أربُ

وكذلك كان فارس نمر باشا (نصراني لبناني) وصهره (شاهين مكاريوس) من مؤسسيها، وهؤلاء الثلاثة من كبار الماسونيين المعروفين.

فالأيادي الماسونية - اليهودية – هي التي تبنت فكرة القومية العربية، وهي نفس الأيادي التي كانت تحرك في الوقت ذاته (القومية الطورانية) التي يتبناها يهود الدونمة في سالونيك وتعقد اجتماعاتهم في بيوت اليهود الإيطاليين.

وأن الذي أوحى بفكرة تأسيس جمعية بيروت السرية هو رجل يسمى إلياس حبالين من بلدة ذوق مكايل، وكان أستاذا للغة الفرنسية يدرسها في الجامعة الأمريكية لطلاب صف فيهم اليازجي ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس، وكان الأستاذ معجبا بالثورة الفرنسية).

وقد كان يشك أن مدحت باشا – زعيم الماسونية وكان يكنى بأبي الأحرار – وراء تشكيل الجمعية، فقد جاء في برقية أرسلها القنصل البريطاني في حزيران عام (1880):

(ظهرت في بيروت منشورات تحض على الثورة يشك في أن مدحت هو منشؤها) وكان مدحت آنذاك واليا على الشام.

ولكن حزم السلطان عبد الحميد ومتابعته للجمعية ومنشوراتها جمد نشاطها، وكان أهم منشورات الجمعية هو المنشور الثالث الذي صدر في 31 ديسمبر 1880 وحدد مطالبهم بأربع نقاط.

منح سوريا مع لبنان الاستقلال.

الاعتراف بالعربية لغة رسمية.

رفع الرقابة عن حرية التعليم.

عدم إرسال أبناء العرب للحرب مع الأتراك خارج بلادهم.

هجرة دعاة القومية إلى القاهرة:

نتيجة مكافحة السلطان عبد الحميد للجمعيات السرية القومية، انتقل أولئك الدعاة الأوائل للقومية إلى القاهرة حيث يجثم كرومر المعتمد البريطاني. فهاجرت العائلات النصرانية إلى القاهرة لتبث من هناك الأفكار العلمانية

والدعوة القومية، ولتنطلق منها لمحاربة تركيا. وكان من أبرز تلك الأسماء التي استقرت في القاهرة:

فارس نمر وصهره شاهين مكاريوس، صاحب جريدة المقطم اليومية، ومجلة المقتطف الشهرية وهما ماسونيان.

سليم تقلا الذي أسس جريدة الأهرام اليومية التي مازالت إلى يومنا هذا.

جو رجي زيدان: صاحب دار الهلال وله مؤلفات كثيرة.

أديب اسحق (مدير صحيفة مصر) وسليم نقاش (مدير صحيفة التجارة)، وكان هذان النصرانيان يعملان بإدارة جمال الدين الأفغاني، وهو الذي أسس هاتين الصحيفتين.

روز اليوسف، وقد جاءت من الشام و كانت نصرانية، وتظاهرت بالإسلام، وسمت نفسها فاطمة يوسف، ولكنها سمت صحيفتها باسمها القديم (روز اليوسف).

أحمد فارس الشدياق- ماروني اعتنق المذهب البروتستانتي على يد البعثة الأمريكية، ثم جاء مصر وأصدر صحيفة (الجو ائب) ثم أسلم على يد (باي تونس).] أهـ[1].

- [(جمال الدين الأفغاني) و (محمد عبده) و (عبد الرحمن الكواكبي):

ولا بد هنا أن أشير إلى ثلاثة من الدعاة ممن كانوا يتزيون بزي العلماء وهم مشهورون في العالم كله كدعاة إلى الوحدة الإسلامية، وكانوا مع الوقت نفسه يهاجمون تركيا ويسعون إلى هدم صرح الخلافة. وهم:

الأفغاني: وكان يحتضن كثيرا من النصارى واليهود، وكان طبيبه الخاص اسمه هارون يهوديا، وقد حضر موته هو ونصراني آخر اسمه (جو رجي كنجي)، وكان ينزل في لندن ضيفا على (مستر لنت) البريطاني صاحب كتاب

---

[1] (الذخائر العظام : ج 1 / 879 - 882).

(مستقبل الإسلام)، وعندما حاول الخليفة منع الأفغاني من الخـروج مـن تركيـا توسـط لـه السفير البريطاني وخرج. وكان الأفغاني رئيسا لمحفل الشرق الماسوني.

أما محمد عبده: فكان صديقا حميما لكرومر، وصرح بأن الشيخ عبده سيبقى مفتيا لمصر مادامت بريطانيا فيها، وكان ماسونيا، وكان مـن رواد صـالون الأمـيرة نـازلي فاضـل، ومن تلاميذه: أحمد لطفي السيد العلماني الذي أعلن كفره البواح في صحيفته (الجريـدة) وسعد زغلول، وقاسم أمين (صاحب كتاب تحرير المرأة)، وهؤلاء كـان لهـم أثـر عميـق في مجرى الأحداث في مصر.

وعبد الرحمن الكواكبي (1849-1903): وكان جل أصدقاؤه وتلاميذه مـن المسـلمين واليهود والنصارى. وكانت دروسه في مقهى (سـبنلددبار)، نـادى بمبايعـة خليفـة عـربي في كتابه (أم القرى)، وله كتاب آخر اسمه (طبائع الاسـتبداد)، دعـا إلى المسـاواة بـين الأديـان لتحقيق التمسك القومي:

(دعونا ندبر حياتنا الدنيا ونجعل الأديان تحكم الأخـرى فقـط، دعونـا تجتمـع عـلى كلمة سواء، ألا وهي فلتحيا الأمة، فليحيا الوطن، فلنحيا طلقاء أعزاء)، (هذه الأمم أوروبـا وأمريكا قد هداها العلـم لطرائـق الاتحـاد الـوطني دون الـديني، والوفـاق الجـنسي دون المذهبي، و الارتباط السياسي دون الإداري).

هؤلاء الثلاثة [1] كانت أفكارهم تمهيدا للعلمانية، فقد كانـت آراؤهـم قنطـرة عـبرت عليها العلمانية إلى الإسلام كما يقول البرت حوراني.

وحطموا الحاجز النفسي بين الكافرين والمسلمين، وأصبحت نفـوس المسـلمين قابلـة لتقبل الأفكار الواردة وعلى رأسها القومية، يقول البرت حوراني:

---

[1] الثلاثة هم: عبد الرحمن الكواكبي (السوري) , و الشيخين جمال الـدين (الأفغـاني) وتلميـذه محمـد عبده (المصري).ومن المؤسف أننا درسنا في كل مراحل التعليم في بلادنا: أطفالا وشبابا , أنهـم مـن رواد الإصلاح والتنوير , والتحرر..., بل إني أتذكر أن عبده والأفغاني كانا يعتـبران مـن المدرسـة الإصـلاحية في مناهج الإخوان المسلمين والحركة الإسلامية , ويرد ذكرهم بالثناء والتزيين..فلا حول ولا قوة إلا باللـه !

(ومن الحق أن الذي يقرأ لمحمد عبده في مناظراته مع رينان ومع فرح انطون يحس أنه كان يريد أن يقيم سدا في وجه الاتجاه العلماني يحمي المجتمع الإسلامي من طوفانه، ولكن الذي حدث هو أن هذا السد قد أصبح قنطرة للعلمانية عبرت عليه إلى العالم الإسلامي لتحتل المواقع الواحد تلو الآخر).

ثم جاء تلاميذ محمد عبده ليعمقوا هذا التيار وليقودوا بعلمانتيهم.

فمثلا لطفي السيد: عمق الوطنية الإقليمية وتزعم الدعوة إلى التاريخ الفرعوني.

وجاء سعد زغلول: وسلمه كرومر وزارة المعارف لينادي بالاتجاه الوطني الإقليمي الفرعوني على الصعيدين السياسي والاجتماعي، ويقول كرومر بأني سلمته وزارة المعارف لأنه من تلاميذ الشيخ عبده.

وجاء قاسم أمين: ليوضح العموميات ويفصل مجمل ما كان يدعو إليه الشيخ عبده، وينادي بخلع الحجاب ونزع الحياء من حياة المرأة حتى أن الكتاب (تحرير المرأة) نال إعجاب الشيخ عبده، وقد اطلع على مسودته هو وتلميذه لطفي في جنيف سنة (1897) كما ذكر لطفي السيد وقاسم أمين.

ولذا تعزى الفصول الفقهية في الكتاب إلى الشيخ محمد عبده – كما يظن – لأن قاسم أمين لا علم لهذه القضايا.

ويذكر في هذا المجال إسماعيل مظهر صاحب (مجلة العصور) وهو صهر لطفي السيد، وكذلك لا بد من الإشارة إلى إصبع من أصابع التخريب وهو عبد العزيز فهمي – صديق لطفي السيد الحميم، وصديقهم الثالث طه حسين الذي فصل من الجامعة بسبب كفره الصريح في كتابه(الشعر الجاهلي) فاستقال لطفي السيد من الوزارة (وكان وزيرا للمعارف) احتجاجا على فصل طه حسين من الجامعة المصرية.

هذه المجموعة هي التي فرغت الشعب المصري من الإسلام لتحل محلة أفكار جديدة من الفرعونية والعلمانية والوطنية اللادينية، وقد تكون الصداقة بين هؤلاء وبين الشيخ عبده إن هي إلا محاولة لتقريب هذه الفئة من الإسلام،

ولكنه لم يستطع بعد أن تساهل – من أجل جذبهم – في كثير من القواعد الشرعية التي تحدد الولاية والعداوة والصداقة والمقاطعة، وأفتى بكثير من الفتاوى من أجل رفع الحواجز بينه وبين كرومر من جهة، وبينه وبين هذه الفئة من جهة أخرى، مثل الفتوى الترنسفالية، وفتواه في المرآة والطلاق بالإضافة إلى تفسير كثيرا من الآيات الغيبية في القرآن تفسيرا يكاد يخرجها عن اللسان العربي ويلغي مضمونها بالكلية.

جاء في تقرير كرومر سنة (1906) المقدم إلى الحكومة البريطانية عن حزب محمد عبده:

(... وهؤلاء راغبون في ترقية مصالح مواطنيهم وإخوانهم في الدين، ولكنهم غير متأثرين بدعوى الجامعة الإسلامية، ويتضمن برنامجهم – إن كنت فهمته حق الفهم – التعاون مع الأوربيين لا معارضتهم في إدخال الحضارة الغربية إلى بلادهم)

ويقول كرومر:

(إني أشك كثيرا أن صديقي محمد عبده ما كان إلا إدريا Agnostic).

ويقول صديقه بلنت – الإنجليزي –:

(أخشى أن أقول أن محمد عبده – بالرغم من أنه المفتي الأعظم – ليس له من الثقة بالإسلام أكثر مما لي من الثقة في الكاثوليكية).

وأصدق كلمة في محمد عبده وشيخه كلمة الشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام في الدولة العثمانية:

(فلعل الشيخ محمد عبده وصديقه أو شيخه جمال الدين أرادا أن يلعبا في الإسلام دور لوثر وكلفن – زعيمي البروتستانت – في المسيحية فلم يتسن لهما الأمر بتأسيس دين حديث للمسلمين، وإنما اقتصر سعيهما على مساعدة الإلحاد المقنع بالنهوض والتجديد).

ويقول شيخ الإسلام مصطفى صبري – كذلك –:

(أما النهضة الإصلاحية المنسوبة إلى محمد عبده فخلاصتها أنه زعزع الأزهر من جموده على الدين، فقرب كثيرا من الأزهريين إلى اللادينين خطوات،

ولم يقرب اللادينين إلى الدين خطوة، وهو الذي أدخل الماسونية في الأزهر بواسطة شيخه جمال الدين الأفغاني، كما أنه هو الذي شجع قاسم أمين على ترويج السفور في مصر). [1]

- الدعوة القومية بداية القرن العشرين:

وأما دعاة القومية العربية فبالإضافة إلى نصارى الشام في القاهرة الذين تولوا توجيه الفكر في مصر كلها ! فقد كان يعمل هناك في المركز الآخر في باريس بعض النصارى السوريين ومنهم: نجيب عازوري. وهو نصراني سوري ألف سنة (1904) جمعية (عصبة الوطن العربي) في باريس. وكان هدفها الذي أعلنته تحرير الشام والعراق من السيطرة التركية، ونشر سنة (1905) كتاب (يقظة الأمة العربية) باللغة الفرنسية، وأصدر بالاشتراك مع الكتاب الفرنسيين مجلة (الاستقلال العربي) حيث صدر العدد الأول منها في أبريل سنة (1907)، وتوقفت بعد إعلان دستور سنة (1908).

يقول ساطع الحصري احد كبار الكتاب القوميين: (إن القومية ابتدأت بنجيب عازوري الذي وضع آماله العربية السورية في فرنسا أولا وفي إنجلترا ثانيا) وكانت أعمال نجيب عازوري تمهيدا لمؤتمر باريس سنة (1931).

مؤتمر باريس سنة (1913):

يكاد كثير من كتاب القومية العربية يعتبرون مؤتمر باريس أساسا للقومية الحديثة، وكان عدد المشتركين (24) عضوا نصفهم من المسيحيين ونصفهم من أبناء المسلمين، و يقول عنه أنيس الصايغ بأنه كان خاليا من المطالبة بالاستقلال حتى لا تحرج بعض الدول الأوربية التي كانت تشجع الحركة القومية وتمدها بالأموال، وقد صرح الزهراوي رئيس المؤتمر لمراسل جريدة (الطان: Le

[1] لاحظ التركيز الإنكليزي الأوربي على أمور رئيسية , يتكرر التركيز عليها اليوم من قبل الاستعمار الأمريكي ؛ ومن أهم ذلك:

- تمييع مسألة الولاء و البراء وإزالة الحواجز النفسية ووضوح الأحكام الشرعية في الفرق بين المؤمن والكافر.

- الإصرار على إفساد المرأة كبوابة لإفساد الأسرة والمجتمع والأمة بأسرها.

tamp) الفرنسية بأنه ليس للمؤتمر علاقة بولايات العرب غير العثمانية – أي الشمال الأفريقي –، فإن فرنسا تشرف على المؤتمر وهي تحكم الشمال الأفريقي، وشكر وزارة الخارجية الفرنسية، ورفض المؤتمر إشراك مصر في المؤتمر، وقد طالبوا بجعل اللغة العربية رسمية في البلاد العربية واضطرت الحكومة الاتحادية أن تفاوضهم بإدخال (3) وزراء عرب وخمسة من الولاة العرب كذلك في سلك الدولة.] أهـ.

عوامل هامة في تطور الحركة القومية:

هنالك عوامل هامة كان لها أثر كبير في تأجيج نار القومية العربية في الرابع الأول من القرن العشرين، ومن أهم هذه العوامل:

استلام جمعية الإتحاد والترقي الحكم في تركيا بعد إسقاط السلطان عبد الحميد في (27) نيسان سنة (1909)، وبدأت المناداة بالقومية الطورانية التركية، ومن فلاسفتها خالدة أديب – اليهودية – التي أصبحت فيما بعد وزيرة للمعارف. وكذلك ضيا كوك ألب وهو تلميذ اليهودي دوركايم و تلميذ اليهودي الآخر مويز ألب، ومن المعلوم أن قادة الإتحاد والترقي كلهم على الإطلاق من الماسون، وليس منهم واحد مسلم الأصل أو تركي العرق، فأنور بولندي، جاويد – يهود دونمة – كاراسو – يهودي أسباني... وبدأت جمعية الإتحاد والترقي بفرض عملية التتر يك على جميع المحافظات العربية وغيرها، ففرضت التركية في الدواوين والمدارس والمناهج، وبدأت عملية التتريك كذلك في أجهزة الدولة، وقد ظهر هذا واضحا في انتخابات مجلس النواب (المبعوثان) الذي انتخب على أثر إعلان الدستور سنة (1908) فأشرفت جمعية الإتحاد والترقي على الإنتخابات لتكون النتيجة في جانب الجنس التركي، فكانت النتيجة أن نجح (150) من الأتراك و (60) من العرب، بينما العرب متفوقون في عدد السكان بنسبة (5: 2).

وفي غمرة الفرحة بتكبيل أيدي السلطان عبد الحميد أنشئت (جمعية الإخاء العربي العثماني) وفي (2) أيلول سنة (1908) بعد الدستور بشهر، فعاشت هذه الجمعية ثمانية أشهر ثم حلتها الجمعية الإتحادية.

وقد أدت عملية التتريك الجبري على يد يهـود الدونمـة إلى ردود فعـل عنيفـة لـدى العرب بإنشاء الجمعيات السرية والعلنية.

تشكيل الجمعيات العلنية والسرية التي تنـادي بالقوميـة العربيـة، وتنـادي بفصـل الدول العربية عن الأتراك، ولو على الأقل عبر الحكـم الـذاتي في داخـل الدولـة العثمانيـة، بحيث يكون للعرب إدارة أمورهم الداخلية من تعليم و اقتصاد وثقافة، ومشاركة الدولـة العثمانية في الأمور الخارجية كالدفاع وغيرها.

3- تولية جمال باشا واليا على بلاد الشام، وكانت خالدة أيـب اليهوديـة أمينـة سره، وقـد اضطر جمال باشا أن يهادن العرب ويحسن إليهم في بداية الحرب الكبرى، لئلا ينضم العرب إلى معسكر الحلفاء ضد تركيا، وقد استلم جمال باشا قيادة الجيش الرابـع في سوريا، و كان يحس بوجود التجمعـات القوميـة السريـة في بـلاد الشـام و يعلـم أن العرب قد ضاقوا ذرعا بتصرفات الاتحاديين وبتعصبهم لتركيا، فكـان العـرب يبحثـون عن مخرج، واتصل زعماؤهم بفرنسا، مما جعل جمال باشا يقتحم السفارة الفرنسية في كل من بـيروت ودمشـق ويضـبط وثـائق فيهـا تثبيـت اتصـال قـادة التنظـيمات والجمعيات بفرنسا وتنادي بانفصال سوريا عن العثمانيين، إلا أن جمال باشا أراد أن يغض الطرف عن القضية طمعا في وقوف العرب لجانب تركيا في الحرب.

وبعد إحساس جـمال بنيـة الشريـف حسـين بـدخول الحـرب ضـد تركيـا إلى جانـب بريطانيا استشاط جمال باشا غضبا وأمـر بإعـدام (11) شخصـية عربيـة في (21) آب سـنة (1915) بعد المحاكمة العسكرية في (عاليه) في لبنان.

وفي (6) أيـار سـنة (1916) شـنق (21) شخصـية عربيـة أخـرى مـنهم عبـد الحميـد الزهراوي (رئيس مؤتمر باريس وعضو مجلس الأعيـان الـتركي)، وسـليم الجزائـري مسـاعد عزيز المصري في الجمعية القحطانية، وكانت كذلك للمرة الثانية في عاليه.

ولقد أحدثت هذه الإعدامات هزة عنيفة في العالم العربي، وقد نفذ جمال باشا الإعدام بعد توسط الشريف حسين وابنه فيصل، إلا أنه لم يصغ إليهما، وقد كان الأمير فيصل بن الحسين آنذاك في دمشق فرمى كوفيته على الأرض وداسها وقال:

(طاب الموت يا عرب).

4- دخول الشريف حسين الحرب العالمية إلى جانب بريطانيا ضد تركيا، فقد بقي الشريف حسين في تركيا ستة عشر عاما، وكان السلطان عبد الحميد يخشى منه. وبعد إعلان الدستور سنة (1908) اختارته جمعية الإتحاد والترقي ليكون أميرا لمكة، وعارض عبد الحميد في هذا التعيين.

وقد كان إعلان الدستور في (24) تموز سنة (1908) بعد مؤتمرات طويلة المدى أدارها أعضاء جمعية الإتحاد والترقي الذين كان معظمهم من اليهود الدونمة أو الأتراك المتهودين الذين تلعب بهم أصابع الماسونية في محافل سالونيك، وقد كانت الجمعية تعقد اجتماعاتها في بيوت اليهود المنتمين إلى الجنسية الإيطالية.

فقد كتب ستون وستون يقول:

(إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الإتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية، فمنذ تأسيسها لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضوا واحد من اصل تركي صاف، فأنور باشا هو ابن رجل بولندي مرتد، وكان جاويد من الطائفة اليهودية المعروفة (دونمة)، و كراسو من اليهود الإسبان القاطنين في مدينة سالونيكا، وكان طلعت باشا من أصل غجري اعتنق الإسلام دينا، وأما أحمد رضا أحد زعمائهم في تلك الفترة فكان نصفه غجريا إلى جانب كونه من أتباع مدرسة كونت الفلسفية).

ويضيف ستون وتسون قائلا: إن أصحاب العقول المحركة وراء الحركة كانوا يهودا أو مسلمين من أصل يهودي، وأما العون المالي فكان يجيئهم عن طريق (الدونمة) ويهود سالونيكا الأثرياء.... كما أنه كانت تأتيهم معونات مالية

من الرأسمالية الدولية – أو الشبيهة بالدولية – مـن فينـا وبودبسـت وبـرلين مـن بـاريس ولندن).

ويقول هربرت أبري:

(كان يهود سـالونيكا ويعرفـون (بالدونمـة) – أي المرتـدون – شركـاء الثـورة التركيـة الحقيقيين، وهؤلاء هم من العرق اليهودي، ولكن معتقـدهم قـد لا يكـون يهوديـا أصـلا، والاعتقاد الشائع بين الناس هو: أنهم مسلمون بالإسم، وأما بالفعل فإنهم من أتباع تـوراة موسى... وفي تلك الفترة التي نحن بصددها لم يعرف أحد من الناس شيئا عنهم، سوى قلـة من العلماء المختصين بدراسة الشرق الأدنى، ولم يكن أحد من الناس يجرؤ أن يتنبأ أن هذه اليهودية المعروفة (بالدونمة) ستلعب دورا رئيسيا في ثورة كان لها نتـائج خطـيرة في سـيرة التاريخ).

وقد كان الشريف حسين يتلمس المناسبة للتخلص مـن الحكـم الـتركي، خاصـة وأنـه أحس أن الاتحاديين سنة (1914) يريدون التخلص منه وكان عبد اللـه بن حسـين آنـذاك نائبا في البرلمان التركي، وقد اتصل بكتشنر (المعتمد البريطـاني في مصر) وبــ (رونالدسـتورز) المستشار الشرقي في دار الاعتماد البريطاني. وأطلعـه عـلى النفـور الشـديد بـين أبيـه وبـين الأتراك وسأله عن إمكانية وقوف بريطانيا بجانب الشريف فيما إذا أعلن الشريف الحرب على تركيا، إلا أنه لم يلق أي تشجيع منهما، وقال له كتشـنر: لـيس مـن المحتمـل أن تقـف بريطانيا بجانب أبيك.

(وكان الأمير عبد اللـه نفسه عضوا في إحدى الجمعيات السرية، وكان مؤمنا بفوائـد التفاهم الإنجليزي العربي و متحمسـا لـه) ونشـبت الحـرب الكـبرى في آب سـنة (1914)، وكان عبد اللـه متحمسا لإعلان الحرب على تركيا، بينما كان الأمـير فيصـل يـرى الوقـوف معهـا. وفي سـنة (1915) زار فيصـل دمشـق واسـتانبول، وفي دمشـق انضـم إلى جمعيـة (العربية الفتاة) وأقسم على نصرتها.

وأعلن الشريف الحرب على تركيا يوم الاثنين (5) حزيـران سـنة (1916)،

(وسبحان ربي ! فقد كانت هزيمة العرب في يوم الاثنين (5) حزيران سنة (1967).

ومن جانب قبر حمزة بن عبد المطلب -رضي اللـه عنه - بالمدينة أعلن الحرب بعد أو وعدته بريطانيا باستقلال بلاد العرب وبتتويجه ملكا عليها، وكان كتشنر قد أصبح وزيرا للحربيـة البريطانيـة، واسـتلم مكماهـون معتمـدا بريطانيـا في مصر، وحـدثت المكاتبـات المعروفة بينه وبين مكماهون، ووعدوه بملك البلاد العربية بعد استقلالها.

واندفع الشريف حسين بكل طاقته يؤجج نار الحميـة العربيـة ضـد الأتـراك، وهُـزم الأتراك، وحصـلت اتفاقيـة سـيكس بيكـو لتقسـيم الـبلاد العربيـة بـين بريطانيـا وفرنسـا، وأعطيت فلسطين لليهود بوعـد بلفـور، وكـان الجـزاء الجميـل للشريـف حسـين أن نفتـه بريطانيا ست سنوات وسلبت ملكه، ولقد كانت الصدمة عنيفة لأعصـاب الشريـف حتـى داهمـه الفـالج وذاب جسـده حسرة وألمـا، وكـان يصـب جـام غضـبه طيلـة حياتـه عـلى مكماهون و لويد جورج – الوزير البريطاني المعروف.

يقول جورج انطونيوس:

(لقد زرته قبل موته بأشهر سنة (1931م)، وقد قلصه الفالج وابيض وجهـه الوسـيم من شحوب الموت... فقال لي: الإنجليز يا ولدي قوم شرفاء في أقوالهم وأفعـالهم، في السراء والضراء: شرفاء، ما عدا صاحب السعادة الموقر الهمام لويـد جـورج فهـو أشـبه بـالبهلوان وبالثعلب. أقول: ثعلب، حاشا مقامك رحم اللـه صاحب السعادة كتشنر).

كانت هذه النتيجة الأسيفة الأليمة للتعاون مع الإنجليز. وصدق اللـه العظيم:

﴿ يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا إِنْ تُطِيعُـوا الَّـذِينَ كَفَـرُوا يَـرُدُّوكُمْ عَـلَى أَعْقَـابِكُمْ فَتَنْقَلِبُـوا خَاسِرِينَ﴾ (آل عمران:149).

ولقد حذر بعض الصادقين العقلاء الشريف حسين من مغبة غدر الإنجليز ومـن

هذه الفاجعة المتوقعة، فد كتب شكيب أرسلان إلى الشريف عندما بلغه عزمه لغزو سوريا مع جيوش الحلفاء قائلا: (أتقاتل العرب بالعرب أيها الأمير حتى تكون ثمرة دماء قاتلهم و مقتولهم استيلاء إنجلترا على جزيرة العرب وفرنسا على سوريا واليهود على فلسطين).

يقول لورنس في أعمدة الحكمة السبعة: (لقد كنت أعلم أننا إذا كسبنا الحرب إن عهودنا للعرب ستصبح أوراقا ميتة، ولو كانت ناصحا شريفا للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم، لقد كان قادة الحركة العربية يفهمون السياسة الخارجية فهما عشائريا بدويا، وكان بريطانيا والفرنسيون يقومون بمناورات جريئة اعتمادا على سذاجة العرب وضعفهم وبساطة قلوبهم وتفكيرهم ولهم ثقة بالعدو... إنني أكثر فخرا أن الدم الإنجليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين التي خضتها، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت إنجليزي واحد).

ويقول و ايزمان (لقد قدم لنا لورنس خدمات جليلة)، هذا هو لورنس الذي كانوا يسمونه – ملك العرب غير المتوج.

وصلت جمعية الإتحاد والترقي إلى الحكم واستراحت من الغول الرهيب الذي طالما أقض مضجعها وأرق أجفانها (عبد الحميد) وأصبحت تركيا الإسلامية دمية في يد اليهودية تحركها كيف شاءت وأنى أرادت.

وأصبحت مقاطعاتها حمى مستباحا للذئاب الغربية من أعداء الإسلام، وأصبح هذه المارد الجبار (الدولة العثمانية) يؤكل شلوا شلوا. فابتلع الغرب أولا دول البلقان: النمسا والمجر والبوسنة والهرسك في تشرين الأول سنة (1908) -أي بعد تسلم الإتحاد والترقي زمام الأمور- وبعد إعلان الدستور بشهرين فقط، وانفصلت بلغاريا، واعتدت إيطاليا على ليبيا في خريف سنة (1911) ثم نشبت الحرب البلقانية سنة (1912). وفي هذه السنوات القليلة فقدت الدولة العثمانية جميع ولاياتها في أوربا (ماعدا تراقيا الشرقية). وفقدت ذلك الجزء من ليبيا الذي يتألف من ولايتي طرابلس الغرب وبني غازي – لقد

انسحبت تركيا من ليبيا بمؤامرة خيانة مكشوفة لا تخفي على كل ذي عينين، ولا يفوتنا أن نذكر أن اليهود الإيطاليين هم أساتذة المحافل الماسونية في سالونيك، وفي بيوت هؤلاء اليهود الإيطاليين كانت تعقد اجتماعات جمعية الإتحاد والترقي، فليس كبيرا أن تعطي جمعية الإتحاد والترقي ليبيا هدية متواضعة إلى إيطاليا كرد جميل على صنيعهم السابق الكبير.

وفضلا عن هذه الخسارة فقدت كريت، وكانت ميزانية تركيا تنوء بأعباء النفقات العسكرية.

القومية بعد الحرب الأولى (1914 - 1918):

تعتبر وقفة العرب بجانب الحلفاء ضد تركيا المسلمة نقطة تحول كبرى في الفكر القومي والتجمع على أساس القومية. إذ لم يكن الإنجليز يحلمون في يوم من الأيام أن يقف العرب بجانبهم بوصفهم كفار ضد بني دينهم وعقيدتهم (الأتراك المسلمون).

يقول لورنس: (رجل المخابرات البريطاني وملك الصحراء العربية كما يسمونه):

(وأخذت أفكر طيلة الطريق إلى سوريا وأتساءل: هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية؟ وهل يغلب الاعتقاد الوطني المعتقدات الدينية ؟ وبمعنى أوضح: هل تحل المثل العليا السياسية مكان الوحي و الإلهام، وتستبدل سوريا مثلها الأعلى الديني بمثلها الأعلى الوطني؟).

ويعتبر الغرب هذا الموقف نقطة تحول إلى مرحلة جديدة في التفكير القومي.

كتبت (الايكونومست) في حزيران سنة (1962) تحت عنوان (الإسلام ضد القومية) مايلي:

(لقد وضع العرب منذ الحرب العالمية الأولى القومية في المكان الأول حين قاتلوا بجانب الإنجليز – الكفار – من أجل التحرر من المسلمين الأتراك.

باستثناء من (الإخوان المسلمين) فليس هناك في العالم العربي اليوم أناس ذوو تفكير سياسي يضعون مجتمع الدول الإسلامية فوق قوميتهم العربية).

ولكن بعد الحرب الأولى إن كانت التجربة القومية مريرة إلا أنه برز عامل جديد وهو: جثوم الإستعمار بثقله على كاهل العالم العربي، وأصبح هذا العامل وترا جديدا يعزف عليه دعاة القومية ومفكروها، خاصة بعد ازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين وقيام ثورة سنة (1936). فلسطين.

فهناك نقاط بارزة ما بين الحربيين الأولى والثانية أدت إلى ازدياد التفكير القومي أهمها:

الإستعمار البريطاني والفرنسي وقد نقل معه:

العلمانية (اللادينية) إلى أجهزة الدولة، ورفع الطبقة الممزقة اجتماعيا، المتفلتة أخلاقيا، المستعدة للنفاق وإيقاد البخور وإشعال الشموع للحاكم، الجديد وأصبحت هذه الطبقة هي المستعمر الجديد وإن كانت من أبناء المنطقة.

المناداة بالأفكار القومية كبديل للإسلام وكأساس للتفكير والتجمع والتنفير من الإتجاه الديني، وأخذ العبرة من التاريخ الأسود المرير لرجال الدين في العصور الوسطى في أوربا.

أصبح نغم التحرر من الإستعمار مادة دسمة للطبقات الناقمة على الإسلام والتي تريد أن تجعل من بعض فترات الحكم التركي صورة للإسلام الذي يمثل الجمود والتأخر والانحطاط!!

إسقاط الخلافة على يد مصطفى كمال أتاتورك، وما تبع ذلك من تفكير جدي بإنشاء تنظيم حركي إسلامي لإعادة الخلافة وقيام حركة (الإخوان المسلمين) على يد حسن البنا.

3- بروز التفكير القومي على شكل تنظيمات يقودها المسيحيون، وبروز حزب البعث، والقوميين العرب، والقوميون، السوريون على السطح، وكانت الجامعة الأمريكية محضنا دافئا لكثير من هذه الأفكار)] أهـ.

ولنعرض إلى نموذج من نماذج الفكر القومي العربي ومنهجه السياسي التـي ازدهـرت أشباهها في العالم العربي والإسلامي:

حزب البعث العربي الاشتراكي:

تكون حزب البعث الاشتراكي من حزبين:

1. حزب البعث العربي: وقد أسسه الأرسوزي و عفلق.
2. الحزب العربي الاشتراكي: الذي أسسه سنة (1938) عثمان الحوراني، ثم آلت قيادته إلى أكرم الحوراني، وقد انضم أكرم الحـوراني سـنة (1936) إلى الحـزب السـوري القـومي وانسحب منه سنة (1938) لينضم إلى حزب الشباب العربي الاشتراكي.

وفي (1952/1/26) انضم الحزبان الأول والثاني فكونا حزب البعث العربي الاشتراكي.

حزب البعث العربي:

اختلف في المؤسس، فمنهم من قال ميشيل عفلق وصلاح البيطار، ومـنهم مـن قـال زكي الأسوزي، إلا أن حركة (23) شباط التي عملها صلاح جديـد النصـيري سـنة (1966) في سوريا أحلت الأرسوزي أبا روحيا للحزب، والبعث هو وارث (عصبة العمل القومي) وهـي عبارة عن نواة تنظيمي كل من عفلق و الأسوزي، وقد بقيت هـذه العصـبة مـن (1932-1939).

وفي سنة (1939) انسحب الأرسوزي منها وشكل الحزب القومي العربي).

أما زكي الأرسوزي: فهو رجل مصيري، ملحد، لا يتكلم العربية ! متأثر بمباديء الثـورة الفرنسية والنازية، وخاصة كتاب نيتشة: (هكذا تلـم زرداشـت) عـن مـوت الإلـه ونشـوء الإنسان السوبرمان، بدأ يتعلم العربية بعد سنة (1940)! وكان الأرسـوزي يـرى الجاهليـة العربية مثله الأعلى، ويعتبرها المرحلة العربية الذهبية.

يقول سامي الجندي (ناقشته سنة (1946) بالقرآن فعاب علي نزعتي الدينية).

مبادئ الحزب البعث:

المنقولة عن مباديء الحزب القومي الذي شكله الأرسوزي سنة (1939) ورمزه النمر.

1. العرب أمة واحدة.
2. للعرب زعيم واحد يتجلى من إماكانات الأمة العربية يمثلها ويعبر عنها.
3. العروبة وجداننا القومي، مصدر المقدسات، عنه تنبثق المثل العليا، وبالنسبة إليه تقدر قيم الأشياء.
4. العربي سيد القدر، وفسرها الأرسوزي مستشهدا بالإنجيل:(لا تسقط شعرة من رؤوسكم إلا بأمر أبيكم الذي في السموات).

يقول الجندي:

(وفي 1940/11/29. كنا في غرفة فقال الأرسوزي: أرى أن نؤسس حزبا نسميه حزب البعث العربي).

(أصبحت مباديء الحزب القومي هي مباديء حزب البعث العربي هي هي).

ويقول سامي الجندي:

(كنا عصاة تمردنا على كل القيم القديمة، أعداء لكل ما تعارف عليه البشر، ألحدنا بكل الطقوس والعلاقات والأديان).

(اتهمنا بالإلحاد وكان ذلك صحيحا أيضا،رغم كل ما زعم البعثيون فيما بعد من مزاعم التبرير).

أما مشيل عفلق:

وفي آذار سنة (1949) جاء حسني الزعيم فأيده البعث، ثم اختلفوا معه فألقى ميشيل عفلق في السجن، فكتب مذكرة استعطاف له فخرج ثم جاء

(الحناوي) بعد حسني الـزعيم فاختـار ميشـيل وزيـرا للمعـارف، فاغتنمهـا فرصـة ليرسـل البعثيين في بعثات دراسية إلى فرنسا، فعادوا واستلموا الجامعات الإدارات.

كان الصراع على أشده بين قادة الحزب، حتى أنه في انتخابات سنة (1955) للمـؤتمر القطري كانوا يقولون (عفلق جاسوس إنجليزي، و الحوراني فـرنسي، والبيطـار عمـل لأكـثر من دولة).

أما الاتهامات بالسرقة والجرائم الخلقية فحدث عنها ولا حرج.

وهنا نسجل بعض الملاحظات:

1- لقد كان الحزب مأوى يتجمع فيه كـل النـاقمين عـلى الإسـلام أو الطـامعين في الحكـم، فانتبـه النصـيريون إليـه ودخلـوه ليكـون سـلما إلى دولـتهم النصـيرية، ودخـل فيـه الإسماعيليون مثل سامي الجندي و عبد الكريم الجندي.

والدروز: مثل سليم حاطوم.

واليهود: مثل أحمد رباح الذي كان رئيسا للحزب في دمشق.

و إيلي كوهين: ضابط المخابرات الإسرائيلي الذي ذهب إلى الأرجنتين، وأقام صـداقة مـع أمين الحافظ، ثم دخل سوريا باسم (كامل أمين ثابت)، وسـكن حـي (أبـو رمانـة) في دمشـق، وأصبح شقته الحصن الحصين الذي يأوي إليه قادة البعـث وفـوق أسرة كـوهين شرب نخـب النصر سليم حاطوم وعبد الكريم زهر الدين يوم الإنقلاب البعثي (8 آذار 1963)، وعرضت على كوهين الوزارة، واستشار بن غوريـون رئـيس وزراء إسرائيـل فلـم يوافـق، وكـان يسـمى الشـاب الثوري الأول، وكان الشخص المدني الوحيد الذي يدخل المطارات والقواعد العسـكرية، وأخـيرات اكتشفت السفارة الهندية أن يهودي مـن خـلال الإشـارات اللاسـلكية التـي يرسـلها إلى إسرائيـل يوميا، وكانت فضيحة عالمية، وحوكم كوهين، وكان الذي يحاكمه هم تلاميـذه وربائـب حجـره، ولعله وعد بأن يخلي سراحه إذا أخفى مصائب الحزب البعثي الحاكم.. وكان سليم حـاطوم هـو رئـيس المحكمـة العسـكرية التـي حاكمتـه، وبسرعـة فائقـة طويـت القضـية، وأعـدم كـوهين

ليطوي في صدره مآسي ونكبات الصبية البعثيين الذي تديرهم اليهودية العالمية من خلال المرأة والكأس.

2- إن المؤسسين الحزب البعث ليسوا مسلمين أصلا فزكي الأرسوزي نصيري ملحد، وميشيل عفلق مسيحي – قيل أنه يوناني الأصل.

3- إن مباديء حزب البعث كفر صريح، (العروبة مصدر المقدسات، عنه تنبثق المثل العليا، وبالنسبة إليه تقدر قيم الأشياء، العربي سيد القدر) فالمثل العليا هي العروبة وليس الإسلام أو القرآن والسنة.

4- كان أتباع البعث الأوائل ملحدين، أعداء للأديان جميعا. قال سامي الجندي في كتابه البعث: (لقد كنا خوارج على الشرائع التي تعارف عليها الناس فنسفناها جميعا).

5- ويقول: (إن الحزب رغم ادعائه القومية والوطنية لم يعد دراسة عن القضية الفلسطينية أخطر قضية العربية في العصر الحديث).

6- لقد تسلق النصيريون على سلم البعث فاستطاعوا أن يستلموا البلد عسكريا ومدنيا، وفي (22) شباط سنة (1966) قام صلا جديد – النصيري–بإقصاء عناصر أهل السنة من مراكز القوى – وفي سنة (1970) عندما جاء حافظ الأسد – بالحركة التصحيحية جعل الدولة نصيرية خالصة.

7- إن الأحزاب القومية ليس لها أيديولوجية (عقيدة) تجاه الكون والإنسان والحياة، ولذا بقيت إطارا فقط دون مضمون، ولذا اضطرت أن تملأ فراغها العقائدي بالماركسية والاشتراكية، ولذا فإن الأحزاب القومية كلها أصبحت: (عربية الإطار والمظهر شيوعية الحقيقية والمخبر) وهذا الذي أقر به جلال السيد في كتابه (حقيقة القومية العربية) بأن هنالك تيار عفوي قام بصياغة المواضيع الإقتصادية، لأن الرواسب قد أطلت تحت ستار التقدمية والاشتراكية وبأن الشيوعية هي حقيقة هذا التيار.

8- لقد انتحر الحزب بمجرد وصوله إلى الحكم، ولقد انتقد ميشيل عفلق سنة (1965) في سوريا تسلط العسكريين على الحزب وإقصاء المدنيين من

اللجان المركزية للحزب، فطرد عفلق، بل حكم عليه بالإعدام هو والمؤسس الآخر صلاح البيطار، ثم لوحق البيطار حتى اغتالته النصيرية في منفاه في باريس سنة (1981). وأما عفلق فقد احتضنه البعث العراقي بعد وصوله إلى الحكم في إنقلاب (1968) على عبد الرحمن عارف، فجاء به تلميذه صدام حسين الذي أصبح نائبا لرئيس الجمهورية ثم بالتالي رئيسا لجمهورية العراق.

وقد سئل صدام حسين في مقابلة صحيفة له طبعت ووزعت في الأردن سنة (1981): ما علاقتك بميشيل عفلق ؟ فرد صدام:

(علاقة الابن بأبيه. ولولا ميشيل ما كان صدام شيئا)، ومن المعروف أن صداما كان حارسا خاصا لميشيل عفلق من بداية الستينات، وكان ميشيل يستعمله لتصفية خصومه السياسيين، وفي سنة (1979) صفى الرئيس صدام حسين – منذ الأيام الأولى لحكمه – معظم قادة الحزب لمعارضتهم المبدئية لرئاسته.

وكتب عن مأساة الحزب بعض قادته مثل الدكتور منيف الرزاز (التجربة المرة)، ومطاع الصفدي (حزب البعث مأساة المولد ومأساة المصير).

لقد انتهى الحزب في سوريا إذ تسلق عله النصيريون ثم قتلوه، وأصبحوا يتفكهون بالتعدي على كل الأديان والقيم المباديء. فاستعانوا أولا بذراري المسلمين الداخلة في حزب البعث، ثم صفوهم تدريجيا، وأصبح الكفر هو شعار الدولة في كل الأجهزة: كتب إبراهيم خلاص في مجلة جيش الشعب السورية(1967/4/25):

(والطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي هي خلق الإنسان الاشتراكي العرب الجديد الذي يؤمن أن الله والأديان والإقطاع ورأس المال والاستعمار والمتخمين وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمي محنطة في متاحف التاريخ). تعالى الله عما يلحد المجرمون.

وقال شفيق الكمالي يمدح صداما:

تبارك وجهك القدسي فينا

كوجه الـلـه ينضح بالجلال

{ أستغفر الـلـه العظيم وأتوب إليه !! وتعالى الـلــه عـما افـترى هـذا الكلـب الـذي سرعان ما لاقى جزاءه في الدنيا قبل الآخرة.

ولتوفيق الكمالي مع صدام قصة هـي في الحقيقـة مـن آيـات الـلــه.. ففـي الحـرب العراقية الإيرانية 1979-1986 عرض الخميني وقـف الحـرب مقابـل اسـتقالة صـدام، وفي إحدى جالسته الخاصة، قال هذا الشاعر توفيق الكـمالي لجلسـائه، لـو أن سـيادة الـرئيس قبل وحقن الدماء..، ورفعت الإستخبارات التقرير، فاستدعى صدام الكمالي، الـذي اعـترف باقتراحه معتذرا بأنه رأي أن ذلك سيكون من فضائل الرئيس الكثـيرة عـلى الأمـة .. فـأمره صدام أن يمد لسانه، وأخذه بيده وقطعه بمدية حادة..وهكذا ألقـي صـدام اللسـان الـذي شبه وجهه القذر، بوجهـه سـبحانه وتعـالى..، فـألقي في المزبلـة التـي يسـتحقها بيـد ذات الطاغية الذي امتدحه، فسبحان الـلـه رب العالمين.

وعندما دخلت قوات البعث حماة سنة (1964) كانت تهزج قائلة:

هات سلاح خذ سلاح

دين محمد ولى وراح

وفي سنة (1980) خرجت سرايا الدفاع والحزبيون يهتفون (سقط الـلـه) (الأسد ربنا) (لا إله لا الوطن ولا رسول إلا البعـث) (لا إلـه إلا سـاجي – ابـن سـليمان المرشـد –الـذي ادعى الألوهية بين النصيرية في الأربعينات!).

{ وفي النصف الثاني فمن الثمانينات، وبعد القضاء عـلى الثـورة الجهاديـة في سـوريا، خرجت مظـاهرة بعثيـة نصـيرية في مدينـة حمـص التـي يضـم ثراهـا قبـور عشرات آلاف الصحابة رضي الـلـه عنهم، وكانوا يهتفون: (حلَّك يا الـلـه حلَّك..تعين حافظ محلك)..

- (حلك) تعني بلهجة تلك المنطقة (حان لكَ).. أي (آن لله) أن يستخلف حافظ الأسد ربا مكانهُ..- أستغفر الله العلي العظيم- ولعنة الله على الطغاة الملحدين. }

9- لقد ابتدأ حزب البعث مع بداية الحرب الثانية (1939)، وكانت النازية والفاشستية تملأ برنينها العالم وذا فقد تأثر بها.. فمثلا كان زكي الأرسوزي متأثر بنيتشة فيلسوف النازية، وخاصة بكتابه (هكذا تكلم زرداشت عن موت الإله....) وأما عفلق فهو متأثر كذلك (بنيتشه) و(جيد)، فجاءت أفكارهم تلخيصيا للإلحاد والقلق الذي كان يعاني منه نيتشه الذي كان يسمي المسيحية (دين الكلاب العرجاء)، وأهم سمات فلسفة نيتشة تتخلص في ثلاثة نقاط:

1. الإلحاد.
2. إن فكرة القيامة هي التي جعلت من المسيحية (أخلاق العبيد) إذا أن، حقد الضعفاء تجاه الأقوياء جعلهم يوحون لهم بفكرة الآخرة، فاستسلم الأقوياء للأساطير، وعم ظلام المسيحية العالم.
3. اليأس والقلق: اللذان هما شرطان دائمان للعظمة الإنسانية.

وإليك مقارنة بين كلام عفلق وكلام النازية والفاشستية:

1. (البعث قدر الأمة العربية) يقابل كلام موسوليني (الفاشستية هي قدر الأمة الإيطالية) وهو الحق الإلهي عند هتلر، وهو نفس كلام ترو تسكي:(إن الحزب الشيوعي لا يخطئ لأنه تجسيد للحتمية التاريخية).
2. إن العقيدة البعث لا يمكن الوصول إليها بالعقل ولكن بالإيمان وحده) يقابل كلام موسوليني (الفاشستية لا تنافس، إنها تدرك بالإحساس).
3. (إن القدر الذي حملنا رسالة البعث أعطانا الحق في أن نأمر بقوة ونتصرف بقسوة) وهو نفس الكلام موسوليني (إن القدر الذي حملنا رسالة الفاشستية أعطانا الحق في أن نأمر بقوة، ونتصرف بقسوة).

4. (إن البعث هو الطليعة، وعلى الجماهير أن تمشي وراءها)، وهو نفس كلام موسوليني (إن الفاشستية هي حكم الصفوة المختارة وعليها أن تقود الجماهير).].

{ تذكرني هذه الشواهد، بما لفت نظري أثناء دراستي التاريخ في جامعة بيروت، ما وجدته في أحد الكتب المقررة عن وحدة إيطاليا، وجدت تشابها كبيرا بين فكر وأعمال أحد دعاة القومية والوحدة الإيطالية – لا يحضرني اسمه الآن – وما كنا نسمعه من أفكار عفلق و الأرسوزي وحزب البعث في سوريا، ومن ذلك الشعار الثلاثي، وتسمية جريدتهم البعث..وغير ذلك. ولا أشك الآن أن أفكار البعث صنعت في أقبية الماسونية، ومؤامرات الصليبية، حتى أني قرأت في إحدى الصحف أن البابا قال لعفلق في إحدى لقاءاته معه: لقد نجحت يا ميشيل فيما فشلت فيه الحروب الصليبية !

ثم كانت تجربة عبد الناصر والضباط الأحرار، ودعواهم القومية العربية نموذجا شبيها في مصر لما سلف من نموذج البعث في سوريا والعراق. }

الانقلابات العسكرية والقومية:

إن الأفكار الجديدة لا بد لها من قيادات عسكرية تفرض آراءها بالقوة، وبهذه الطريقة استبدل الإسلام بالقومية و الإشتراكية.

ولذا فقد أوصت الدوائر الغربية في بلادنا والمستشرقون بوجوب المجيء بقيادت شابة عسكرية يفرض من خلالهم ما يريد الغرب من مبادىء.

يقول قسطنطين زريق:

(إن العرب لا بد لهم في عهدهم الجديد من قيادة قديرة و تقدمية، وأن عليهم أن ينبذوا من تقاليدهم العناصر الرجعية، وعندئذ فقط تستطيع الطائفة المستنيرة أن تواصل كفاحها ضد العناصر الرجعية بالتعاون مع الغرب).

ويقول جب:

(إن نجاح التطور يتوقف إلى حد بعيد على القادة والزعماء في العالم الإسلامي وعلى الشباب منهم خاصة).

وفكرة القومية قضية جذابة براقة تستطيع أن تخدع الجماهير بسهولة باسم التحرر والتقدم والوطنية.

يقول جب:

(إن الأسلوب الذي استطاعت به طبقة المتغربين تأمين الثابتة على السلطة في الدولة... فالقومية هي فكرة غربية تماما).

ومن المعلوم أن العسكريين لا علم لهم بإدارة الأمم ولا رعاية الشعوب ولا سياسة الجماهير، ولذا تدار البلاد من خلالهم. لقد وصف (ستيف ميد) المبعوث من وزارة الخارجية الأمريكية فئة العسكر لانقلاب سنة (1952) في مصر وصفا دقيقا يصلح لكل العسكريين فيقول:

(إن هؤلاء الأولاد يظنون أنفسهم أعضاء عصابة (روبين هود) الهزلية، وهم فرحون بأنهم يحملون صفة (أبطال الثورة)، ولكني لم أجد واحد استطاع أن يشرح لي ما هو هدف هذه الثورة... إنهم لا يهتمون بالسياسة.. ولعل هذا من حظنا نحن وعبد الناصر معنا... إنهم بحاجة إلى من يقول لهم ماذا يفكرون ويعملون).

ولقد سأل بعض ضباط الجيش عبد الحكيم عامر – غداة إطلاق النار على عبد الناصر في ميدان المنشية – سنة (1954) عما حققته الثورة وأسباب الحادث فقال في صراحة (إنه لا يعرف عما تحققه الثورة، وأن جمال هو الذي خطط ونفذ، وهو الذي يعرف خطوات المستقبل).

ويقول مورو بيرجر في كتابه (العالم العربي اليوم):

(إن النخبة العسكرية في الشرق الأدنى في مصر والسودان والعراق وتركيا وإيران وباكستان كانت عوامل هامة في جلب التغيير... فأصبح العرب متغربين بدون أن يتكلفوا الذهاب إلى أوربا).

يقول مايلز كوبلاند:

(إن عبدا الناصر لو لم يكن قد ولد فإن لعبتنا كان عليها أن تخلقه أي تربي حاكما دكتاتوريا مثله).

ولذلك فإن مناداة عبد الناصر بالقومية سنة (1954) كان بإشارة أمريكا كما بين ذلك مايلز كوبلاند – رجل المخابرات الأمريكي –، ولقد كان لمناداة عبد الناصر أثرا بالغا في العالم العربي، وما كان للقومية أن يكون لها هذا الانتشار لولا مصر وزعيمها، ولقد مهد عبد الناصر لهذا الانتشار القومي وكذلك نجاح البعث وتغلغل الشيوعية وانحسار الإسلام من المنطقة كلها. ولكن الأفكار التي فرضت على المنطقة بالقوة اجتثت من فوق الأرض – كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار – كما يقول بنارد لويس:

(إن أخذ أي نظام سياسي جاهز ليس فقط من بلد مختلف بل من حضارة مختلفة وفرضه بواسطة الغربيين أو الحكام المتغربين في الشرق عمل خاطىء، فلقد فرضت الديمقراطية بأوامر و فرمانات الحاكم المطلق... فكانت النتيجة قيام نظام لا صلة له بماضي أو بحاضر البلد، ولا صلة له بحاجات مستقبلة)[1].

ولقد نادى (كوك ألب) التركي، بفصل الدين عن الدولة (علمانية الدولة)، ونادى بوجوب أخذ ثقافة الغرب بحذافيرها، ومع الاحتفاظ بالثقافة القومية أو بعبارة أدق هو يريد إقصاء الإسلام نهائيا عن الحياة مع عدم السماح للناس أن يسموا هذا العمل إلحادا أو زندقة، بل على الناس أن يسموا هدم الإسلام سلاما.

ويعتبر الغربيون كوك ألب (واضع الأسس النظرية للدولة التركية الحديثة) كما يقول هارولد سميث]أهـ

---

[1] وهذا بالضبط ما تفرضه أمريكا اليوم فرضا في البلاد العربية والإسلامية وهو ما تسميه الشرق الأوسط الكبير !

القومية التركية الطورانية:

لقد بذرت البذور الأولى للقومية التركية في داخل الأكاديمية العسكرية في (استانبول) مع الأساتذة العسكريين الألمان الذين وفدوا إلى الكلية ليدربوا الأتراك الذين كانوا بحاجة إلى جيش قوي مدرب على وسائل القوة الحديثة وأساليب القتال العالية، خاصة وأن تركيا تقاتل العالم بأسره، والذي يرميها عن قوس واحدة، فقد وصلت بعثة عسكرية ألمانية سنة (1883) يرأسها الكولونيل (فون درجولسن) وبقي يعمل قرابة ثلاث عشرة سنة تم خلالها بذر بذرة القومية.

وأما العامل الثاني لنشوء القومية الطورانية فهو: هجرة اللاجئين المجريين و البولنديين إلى تركيا بعد فشل ثورتهم سنة (1848)، واعتناق هؤلاء الإسلام، حيث أصبحوا من الطبقة المتنفذة في الدولة، ومن هؤلاء (قسطنطين بورزيكي)، وقد سمى نفسه بعد ذلك مصطفى جلال الدين باشا، فلقد كان هذا الرجل هو رأس الأفعى القومية التي نقلت سمها إلى عقول ونفوس الأتراك، يقول برنارد لويس:

(ولقد عمل يورزيسكي على نقل القومية البولونية ووضعها في قالب تركي، وساعده على هذا العمل ما عرضه من أعمال المستشرقين الغربيين الباحثين في الشئون التركية، وكان لها تأثير هام في تقدير التاريخ التركي القديم، والاعتقاد بالهوية المميزة).

ولا يفوتنا أن نعود فنذكر بأن أعضاء (جمعية الإتحاد والترقي) كلهم ماسون (منظمة يهودية عالمية)، وأن يهود سالونيك هم اليد المحركة لهذه الجمعية. ونعود مرة أخرى فنذكر بكلام ستون وتسون: (إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الإتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية) فأطاحت بعبد الحميد وبتركيا وبالإسلام.

ولقد كان لهذه الدعوة إلى القومية التركية أثر سيء انعكس في نفوس الشعوب الإسلامية التي تخضع للسيادة العثمانية، و بدأوا يطالبون بالاستقلال

ويشكلون الجمعيات السرية لمحاربة تركيا، خاصة بعد السلوك المشين الغريب الذي سارت عليه جمعية الإتحاد والترقي، وكان على رأس هذه الشعوب (العرب) الذين اتخذوا من هذا السلوك مبررا للوقوف بجانب بريطانيا ضد الأتراك في الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين، وكان لهذا نتائج وخيمة على العالم الإسلامي.

يقول توينبي:

(إن الضباط في تركيا الحميدية هي الطبقة الوحيدة التي استطاعت أن تفتح نافذة فكرية دائمة تنفذ عن طريقها التأثيرات الغربية، لذلك ففي سنة (1908) وبعد ثلاثين عاما من حكم استبدادي مظلم كان الجيل التركي الجديد من العسكريين هو رأس الحربة لهجوم الليبرالية الغربية على تركيا).

مقارنة بين القومية الطورانية والقومية العربية:

لقد التقت القومية الطورانية والعربية على أشياء أهمها:

أن الغرض من كل منهما هو القضاء على تركيا المسلمة، وعلى السلطان عبد الحميد بالذات.

لقد بدأت القوميتان في وقت واحد تقريبا وإن كانت القومية العربية تقدمت قليلا على الطورانية.

القوميتان علمانيتان اتفقا على استبعاد الإسلام عن الحياة.

إن كلا من القوميتين نشأتا في محا ضن أجنبية، فالقومية العربية نشأت في المحاضن الأمريكية وفي الجامعة الأمريكية، بينما الطورانية نشأت في المحافل الماسونية اليهودية التي يشرف عليها اليهود الإسبان والبولنديون الإيطاليون.

إن الرواد الأوئل لكل من الدولتين لم يكونوا مسلمين أصلا ولا من الجنس الذي يدعون إلى قوميته، فمثلا (بورزيكي) الذي سمى نفسه مصطفى جلال الدين – بولندى الأصل – عمل على نقل القومية البولندية وصبها في قالب تركي، ومنذ تأسيس جمعية الإتحاد والترقي لم، لم يظهر بين زعمائها وقادتها

واحد من أصل تركي صاف، فأنور باشا بولندي مرتد، و جاويد من الطائفة اليهودية (الدونمة)، و كراسو (من اليهود الإسبان) في سالونيك، وطلعت باشا من أصل غجري، وأما أحمد رضا فنصفه شركسي ونصفه مجري ومتأثر بـ (كونت).

الرواد الأوائل للقومية العربية كانوا جمعيا من غير المسلمين من بطرس البستاني، و ناصيف وابنه إبراهيم اليازجي، و الشدياق وأديب إسحق ونقاش و شميل وتقلا و صروف وزيدان ونمر ومشاقة، كل هؤلاء على الإطلاق من النصارى، ثم جاء القرن العشرون وكان من قادتهم: زكي الأرسوزي (نصيري تركماني) وميشيل عفلق (نصراني). قادة البعث، وأنطون سعادة وجورج عبد المسيح من قادة الحزب القومي السوري حبش – من قادة القوميين العرب. وكلهم نصارى !!

يقول الكاردينال بريتولي للبابا: (إن المسيحية في الشرق هي التي زرعت الحركات الثورية وحركات التغيير، وإن أسماء مثل ميشيل عفلق، وأنطوان سعادة، وجورج حبش قد تفسر لك ما أعنيه).

إن الأصابع الماسونية- اليهودية – كانت تحرك طلائع الحركتين، فالخمسة الأوائل الذين أنشأوا (جمعية بيروت السرية) كلهم من الماسون. وكذلك الذين نادوا بالقومية الطورانية هم من الماسون.

هناك بعض الرؤوس المدبرة للإطاحة بالإسلام في تركيا، انتقلت لتواصل عملها في القاهرة ! فمثلا عزيز المصري كان في جمعية الإتحاد والترقي، ثم أنشا (الجمعية القحطانية) و (جمعية العهد)، والحاخام اليهودي في استانبول – ناحوم حاييم _إنتقل إلى القاهرة بعد إسقاط الخلافة في تركيا وكان له تأثير في السياسة المصرية، أيام عبد الناصر. وكذلك اسماعيل أحمد أدهم، جاء من تركيا إلى مصر وألف كتاب (لماذا أنا ملحد) وأسس (المجمع الشرقي لنشر الإلحاد).

تأثرت القومية العربية بالنظريات الأمريكية، وتأثرت الطورانية بالثورة الفرنسية. يقول فيليب حتى: (كان من نتاج الاحتكاك بين العقلية السورية

والنتاج الفكري الغـربي أن تولـدت مبـادئ القوميـة العربيـة الشـاملة، واسـتمدت وحيهـا بالأكثر من النظريات الأمريكية، بخلاف القومية التركية التي جاءت متـأخرة عـن العربيـة والتي استمدت إلهامها من مبادئ الثورة الفرنسية).

كانت الأصابع اليهودية بارزة في القومية التركية، لا يزال اليهود يحرصـون عـلى ربـط العرب بقوميتهم.يقول (أبا إيبان) - الذي كان وزير خارجية إسرائيل – في محـاضرة لـه في جامعة برنستون الأمريكيـة: (يحـاول بعـض الـزعماء العـرب أن يتعـرف عـلى نسـبة المـد الإسلامي بعد الهزيمة الأخيرة (1967)، وفي ذلك الخطر الحقيقي عـلى إسرائيـل، ولـذا كـان من أولى و اجباتنا أن نبقي العرب على يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإسلامي).].

إن واقع العرب يدل دلالة واضحة على النتائج التي توصلت إليها الدعوات القوميـة والإقليمية والعلمانية هي:

قطع صلة العرب بالدولة الإسلامية.

تمزيق العالم العربي إلى دويلات هزيلة حتى تبقى في قبضة العـالم الغـربي والشرقـي، تتسابق في ولائها لأمريكا أو إلى روسيا لتحمي أنظمتها في المنطقة.

تضخم الكيان الإسرائيلي الذي أصبح تنينا يفتح شدقيه يبتلع كل فترة جزءا من بـلاد العرب.

انهيارات في معظم النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية.

نشوء أجيال ليس لهـا هويـة معينـة، ولـيس لهـا أي مبـدأ في الحيـاة، لا تعلـم لمـاذا تعيش؟ ممزقة خلقيا، متفسخة اجتماعيا، متفككة أسريا، أفئدتهم هواء، تـراهم كـل يـوم في رأي، يغيرون أفكارهم كما يغيرون أزيائهم في الاعتقـاد والاقتصـاد والثقافـة والاجـتماع، يقول زويمر – زعيم المبشرين – مخاطبا المبشرين:

(إنكم أعددتم شبابا في ديار الإسلام لا يعرف الصـلة باللـــه، ولا يريـد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم مـن الإسـلام فجـاء الـنشء الإسـلامي طبقـا لمـا أراده

الإسـتعمار، لا يهـتم للعظـائم، ويحـب الراحـة والكسـل ولا يصرف همـه في الـدنيا إلا في الشهوات).

إن هـذا الشرق لم يشـهد في يـوم مـن الأيـام وحـدة ولا عـزة، ولم يكـن لـه كيـان إلا بالإسلام الذي وحده أول مرة، ولن يجد نفسه مرة ثانية إلا بالإسلام.

لقد مزقت القومية أوربا فنقلها العرب ليمزقوا أمتهم الإسلامية، بل ليفتتوا الشعوب العربية نفسها.

كما يقول توينبي متسائلا ومعترفا بذنب بلاده وحضارته:

(فهل من الضروري حقا أن يتفتت العالم العربي كما تفتت الإمبراطورية الأسبانية في أمريكا – لسوء الحظ – إلى عشرين دولـة مسـتقلة عـن بعضـها تعـيش في قوالـب ضـيقة غربية النمط. هذا هو الوجه الثـاني الكـالح لحضـارتنا الغربيـة، ومـن المؤسـف أن تقلـده الشعوب الناطقة بالعربية تقليدا تاما. إن سحر القومية جذاب في أمثال هذه المجتمعـات الإسلامية المبعثرة، ولكن القومية لن تقود هذه المجتمعات إلى حياة جديدة، بل إلى حكـم بالموت والفناء).

إن النغمة التي عزفتها الطبقـات المتسـلطة في العـالم الإسـلامي والعـربي هـي نغمـة القومية، وهي مزوقـة جميلـة تشـنف الأسـماع وتـبهج القلـوب، ولكنهـا مخـدرات تـذبح الشعوب من خلالها على مذابح الشهوات قرابين رخيصة في سبيل الطغاة والطاغوت، وإن الخرير الذي يعكسه صوت النزيـف الـدموي قـد جـذب كثـيرا مـن القطعـان لتسـاق إلى مذبحها ونهايتها البئيسة الأليمة.

يقول جب:

(إن الأسلوب الذي استطاعت به طبقة المتغربين تأمين قبضتها الثابتـة عـلى السـلطة في الدولة... كان القومية... فالقومية هي فكرة غربية تماما).

وإن سبب انتشار القومية في العـالم العـربي هـو سـيطرة الغـرب نفسـه عـلى العـالم الإسلامي.

يقول المؤرخ الإنكليزي توينبي في كتابه (الغرب والشرق والمستقبل):

(ففي الوقت الحاضر الذي يجد الغرب نفسه منذ الحرب العالمية الثانية ويـرى أنـه جزء إلى أكثر من أربعين دولة قومية مستقلة ذات سيادة يهدد بانهيـار البيـت كلـه كـاملا على من فيه بسبب انقسامه هكذا على نفسه.

ومع ذلك فإن اعتبار الغرب لا يزال له من القوة في العالم ما يبقي جرثومـة القوميـة الغربية قادرة على السريان والعدوى، ومن المأمول أن يستطيع العـالم الإسـلامي عـلى كـل حال إيقاف انتشار هذه الداء السياسي الغربي – القومية – عن طريـق الشـعور الإسـلامي القومي بالوحدة)!!.

إن القومية ليست الدواء الناجع لأمراضنا، بل هي داء عضال مما أصابنا.

يقـول سـميث: (وتـاريخ الشرق الأدنى الحـديث يـدل أن القوميـة المجـردة ليسـت القاعدة الملائمة للنهوض بالواجب الشاق، وما لم يكن المثل الأعلى إسـلاميا عـلى وجـه مـن الوجوه، لن تثمر الجهود البتة).

وما أجمل كلمة سيدنا عمر بن الخطاب ننهي بها هذا الحديث:

(نحن قوم أعزنا الـلـه بهذا الدين ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الـلـه).

قال الـلـه تعالى:﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنبياء:10).

فالمسلمون والعرب يُذكرون بالقرآن، فبسبب من هذا الكتـاب تـذكر هـذه الأمـة، ولقـد تقدم العرب أول مرة إلى البشرية على هدي هذا القرآن، وأمسكوا بزمام البشريـة بعـد أن تمسكوا بالكتاب وأقاموه في حياتهم.

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلونَ ﴾ (الزخرف:44).

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالأِنْجِيلَ وَمَا أُنْـزِلَ إِلَـيْكُمْ مِـنْ رَبِّكُمْ ﴾ (المائدة: 68).

فأهل القرآن ليسوا على شيء، ولا وزن لهم ولا قيمة إلا إذا أقاموه فيهم، وعملوا به في حياتهم، وطبقوه في واقعهم.

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَـارِكُمْ مَـا فَعَلُـوهُ إِلا قَلِيـلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً ﴾ (النساء:66).

جاء في تقرير ديلسبس – القنصل فرنسا العالم في سوريا – في (1956/8/19) الذي كتبه بمساعدة مساعده (بلانس) مايلي:

(من أبرز الحقائق التي يلحظها من يريد دراسة هذه البلدان، المكانة التي يحتلها الدين في نفوس الناس، والسلطة التي له في حياة الناس، فالدين يظهر في كل مكان وفي كل أمر.

ففي المجتمع الشرقي يظهر أثر الدين في الأخلاق العامة، وفي اللغة، وفي الأدب و في جميع المؤسسات الاجتماعية.

والرجل الشرقي لا ينتمي إلى وطن ولد فيه – الشرقي ليس له وطن – بل إلى الدين الذين ولد فيه، وكما أن الرجل في الغرب ينتمي إلى وطن، فإنه في الشرق ينتمي إلى دين، وأمة الرجل الشرقي هي مجموعة الناس الذين يعتنقون الدين ذاته الذي يعتنقه هو، وكل فرد خارج عن حظيرة الدين هو بالنسبة إليه رجل أجنبي غريب).

القوميات والإقليميات الجاهلية:

لقد حرك الغرب وتلاميذه في كل مكان نغمات الارتباط بالجاهليات التي تسبق الإسلام حتى يقطع الصلة بالإسلام ويتجاوزها.

ففي المغرب: حاولت الإدارة الفرنسية أن تشد أزر الروح الجنسية بين بربر مراكش، فقامت بإصدار الظهير البربري في 16 مايو سنة 1930 الذي قضى بتنفيذ الأحكام العرفية البربرية وقانونهم الخاص بالأحوال الشخصية بدل الشريعة الإسلامية.

وفي إندنوسيا: اكتشف الحضارة الجاوية – الهندوكية.

وفي لبنان: أثار سعيد عقل ويوسف السودا و فيكتور شبح الفينيقية، وقالوا بأن لبنان لا ينتمي إلى العرب، بل هو جزء من حضارة البحر المتوسط – إيطاليا، واليونان.

وفي مصر: أثيرت الحضارة الفرعونية، خاصة بعد اكتشاف توت عنخ آمون، وبعد أن حل شامليون ألغاز(حجر روزيتا)، وتولى سلامة موسى،

ولطفي سيد، ثم سعد زغلول، وطه حسين الدعوة إلى الفرعونية، وبدأت تظهر أسماء رمسيس، الأهرام، نفرتيتي، أبو الهول، واتخذ أبو الهول شعارا يمثل نهضة مصر، وفي زمن عبد الناصر أقيم السد العالي فأثارت اليونسكو همة العالم لإنقاذ معبد (أبي سنبل الفرعوني)، ونقل تمثال رمسيس - فرعون موسى - إلى القاهرة وكلف الملايين، وأصبح الأتراك ينادون بشعار (تركيا للأتراك) ومصر (للمصريين).

يقول (كويلرينغ) عن لويس توماس:

(أنه قد استطاع أن يرسم الخطوط العريضة للظروف التاريخية والاجتماعية للحركة التي انتهت بالزعماء الأتراك المحدثين إلى تحقيق مبدأ تركيا للأتراك، وهذا المبدأ الذي سار عليه أغلب شعوب المنطقة).

ولذلك كان الكماليون يقولون:

(نريد أن نبني إسلاما تركيا يكون ملكا لنا وجزءا من مجتمعنا الجديد على نحو الكنيسة الإنجليكانية التي هي مسيحية على النمط الإنجليزي).

وفي مصر العربية كانت أضواء هذه الصيحات تتجاوب فتحرك الببغاوات المصرية التي تلعب بها الأصابع الغربية (الإنجليزية بالذات) فتنادي (بفرعونية مصر)، فقال طه حسين (المصري فرعوني قبل أن يكون عربيا)، وقال طه حسين: (لو وقف الإسلام بيني وبين فرعونيتي لنبذت إسلامي) !.

وعليه فانه ليس من الغريب أن ترى اهتمام الغرب الكبير بالآثار والمتاحف الوطنية حيث تأسست قبل قرن تقريبا هيئات غربية للإشراف على التنقيب في العالم الإسلامي لربط المسلمين بالآثار وبالقيم والأعلام الذين كانوا قبل مجيء الإسلام، فجاء (بوتا) و(لايارد) إلى العراق، و عملت (مارييت) في مصر، و(سشلمان) في تركيا ثم أنشئوا دوائر الآثار والمتاحف الوطنية، وليس عجيبا بعد ذلك أن ندرك تبرع مؤسسة (روكفلر اليهودية) بعشرة ملايين دولار لإنشاء متحف للآثار الفرعونية ومعهد لتخريج رجال الآثار، ولعلنا بعد هذا نصل إلى سبب النص في صك الانتداب البريطاني على فلسطين مادة (21):

(يجب أن تضع الدولة المنتدبة وتنفيذ في السنة الأولى من تاريخ هذا الانتداب قانونا خاصا بالآثار والعاديات). كل هذا لقطع صلة بإسلامهم وربطهم بالجاهلية الأولى، حتى يتسنى للغرب أن يستعبدهم ويذلهم تحت يده.

يقول الدكتور (ولسون) في مؤتمر الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة الذي عقد في جامعة (برنستون) سنة (1952): (إن في بلاد الشرقيين الأدنى والأوسط في هذه الأيام نهضة حضارية هي من ناحية جديدة، ومن ناحية أخرى بعث القديم، إن نهضة الغرب المسيحي وحركة إحياء المعارف فيه قامت على عمليات التفكير والجدل فيها على الأعمال الكلاسيكية والوثنية).

وفي إيران: قام الصفويين والحكم البهلوي بتوهين العلاقة مع العالم الإسلامي. فأنشأ الحكم البهلوي أكاديمية للتخلص من المفردات العربية في الفارسية، واكتشفت الأكاديمية مجد إيران القديمة، وبزغ مذهب زرداشت من جديد، واحتل مكانا مرموقا في بلاد السبع والشمس، وبدأت العمارات الجديدة تبنى على لطراز الأخميني القديم، وأقام الشاه محمد رضا بهلوي احتفالا بمناسبة مرور (25) على كورش صانع الأمبرطورية الفارسية، وثارت في إيران قوميات أخرى مثل: البلوش، والأكراد والعرب.

وفي العراق: ثارت النعرات، فنادى بعضهم بالقومية العربية، ونادى الأكراد بقوميتهم والكردية والأتراك بالتركية، وثارت الدعوات الآشورية و الكلدانية.

وفي الهند: تأججت نار العصبية الهندية، وأصبح الهنود يفخرون بالهندية، ويرون الانقطاع عن ماء زمزم في مكة إلى نهر(جنجا)، ويتغنون بأبطال الهندوم (بهيم أرجن، رام ها).

وأصبحوا ينظرون إلى الفتح العربي على أنه استعمار واستبعاد واحتلال الغريب لأرض الوطن، وهذا الذي يفخر به المسلمون، مما جعل المسلمين ينادون بقيام دولة يعيشون فيها حياة إسلامية، وبفكر إسلامي. تكون فيها جنسية المسلم هي عقيدته ودينه وإسلامه.

وقد قال إقبال يخاطب المسلم – حيث كان –:

(لا تقس أمم الغرب على أمتك، فإن أمة الرسول الهاشمي صلى اللـه عليه وسلم فريدة في تركيبها، أولئك إنما يعتقدون باجتماعهم على الوطن والنسل، ولكن إنما يستحكم اجتماعك أيها المسلم بقوة الدين).

وفي الأردن وفلسطين: ارتفعت الأصوات بالتغني بالأمجاد القبلية القديمة وقامت النزاعات بين قبائل الشمال والجنوب في شرق الأردن وبين الفلسطين وبين أبناء شرق الأردن، وأصبحنا نسمع عن مدن: مؤاب، و فيلادلفيا، و عمون.

لقد صدق فينا قول رب العزة:

(إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللـه وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ) (المجادلة:20).

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (طه:124).

وصدق رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم: (بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد اللـه وحده، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الصغار و الذلة على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم).

لقد ذقنا مرارة بعدنا عن كتاب اللـه، وتجرعنا آلام تنكبنا لطريق اللـه، وحصدنا ما زرعنا من بذور القومية ثمار القطيعة والتمزق والضياع والخذلان والخسران:

﴿ أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (التوبة:126).

لقد آن لنا أن نرجع إلى اللـه، وننبذ من أيدينا كل أو صار الجاهلي، وندعو أنفسنا بالعودة إلى طريق السعادة ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى ﴾ (طه:123). إما اللـه أو الفناء، إما الإسلام أو الدمار.].

- الشيوعية في العالم العربي خلال القرن العشرين:

[لقد أشرف اليهود على تنظيم وتكون الأحزاب الشيوعية في العالم العربي فهم قادتها ومخططوها.

يقول الشيوعي اليهودي الفرنسي (روبنسون):

(لم تتأسس أحزاب شيوعية ومنظمات متعاطفة إلا في الحلقات الأجنبية في البلدان العربية في مصر وفلسطين، ولم تجد إلا القليل من الأتباع وكانت مقطوعة عن واقع تلك البلاد، وانتهت دون أن تثير اهتماما كبيرا).

وفيما يلي نورد الأسماء اليهودية المؤسسة للشيوعية في البلدان العربية:

1. الحزب الشيوعي في مصر:

بدأ التنظيم سنة (1921) في الإسكندرية على يد روسي يهودي اسمه (جوزيف روزنبرغ) تصحبه ابنته (شار لوت). وفي سنة (1927) أوفدت موسكو ثلاثة يهود لتشكيل التنظيم ومتابعته.

ثم انتدبت روسيا اليهودي المصري (هنري كوريل) وأمدته بأموال طائلة أسس بها (بنك كوريل) في مصر، وشكل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو).

ثم تشكلت (منظمة الأسكرا) أي الشرارة وهو نفس اسم الجريدة التي كان يصدرها لينين في سويسرا قبل نجاح الثورة، شكل هذه المنظمة اليهودي (ايلي شوارتز)، ثم غير اسمها فيما بعد إلى (نحشم): (نحو حزب الشيوعي مصري)، ثم انضمت إلى (حدتو).

(منظمة الفجر الجديد) أسسها اليهوديان يوسف درويش و ريمون دويك، ثم أصبح اسمها (د. ش) الديمقراطية الشعبية.

(المنظمة الشيوعية المصرية) (م.ش.م): أسسها اليهوديان أوديت وزوجها لمون سدني.

(منظمة تحرير الشعب): أسسها (مارسيل إسرائيل).

2. الحزب الشيوعي في العراق:

أسسه اليهود وكان معظم أفراده في بداية الأمر من اليهود، وعلى رأس قادته ساسون دلال، ناجي شميل، وصديق يهوذا، ويوسف حز قيل، وكلهم من اليهود.

ويروي قدري قلعي في كتابه (تجربة عربي في الحزب الشيوعي) ص (21-22) يروي الأستاذ بدر شاكر السياب – بالإضافة إلى ما رواه من فضائح أخلاقية لا نريد الوقوف عندها – كيف كان يعمل مع رفاقه الشيوعيين العراقيين لنشر الشيوعية فيقول: (رحنا نضرب على كل وتر تخرج نغمته موافقة لما نريد، بثثنا بين الطلاب الأكراد أن القوميين يكرهون الأكراد وقوميتهم بينما نعتبرهم نحن إخواننا، وأخذنا نسب القومية العربية أمامهم، بل رحنا ننتقص من العرب، ونزعم أن التاريخ العربي ما هو إلا مجموعة من المذابح والمجازر، وزعماؤهم العظام ما هم إلا إقطاعيون جلادون إلى غير ذلك، ومررنا على إخواننا اليهود دون حاجة إلى دعوة، و استغللنا بعض الرفيقات للتأثير على بعض الطلبة.

3. الحزب الشيوعي السوري اللبناني:

تأسس الحزب سنة (1924) بعد الحزب الشيوعي الفلسطيني والمصري، وكان يرأسه في لبنان (جاكوب تاير) اليهودي الروسي، وكان يساعده ثلاثة يهود هم: ميك، أوسكار، مولر.

ثم دخل بيروت يهود ثلاثة عن طريق حيفا وكلهم من الروس، وهم عيون موسكو الثلاثة جوزيف بيرجر، اليهوبيتر، نخبمان لتفينسكي.

وقد كان الحزب السوري اللبناني تابعا للحزب الشيوعي اليهودي في فلسطين، ثم تبع الحزب الشيوعي الفرنسي.

4. الحزب الشيوعي الفلسطيني والأردني:

لقد كان التفكير بفلسطين من القضايا الكبرى التي تشغل رؤوس قادة الثورة البلشفية، ومنذ الأيام الأولى من الثورة: أصدر لينين في روسيا قرار ذا شقين بحق اليهود.

أولا: اعتبار العداء لليهود (للسامية) جريمة قانونية.

ثانيا: تأييد إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

وقد صدر هذا القرار قبل صدور وعد بلفور – وزير خارجية بريطانيا – في (2) تشرين الثاني سنة (1917) بأقل من عشرين يوما.

ولذا اهتم شيوعيو روسيا بالتنظيم الشيوعي في فلسطين، فكان الذي تأسس سنة (1919) أول حزب في المنطقة، وقد شكله أولا اليهودي الروسي (روزشتاين)، وأوفدت موسكو قطبين يهوديين من أقطاب الحزب الشيوعي الروسي للتنظيم في فلسطين، وهما: جاك شابيليف، رادول كارن بورغ وكان جميع عناصر الحزب الشيوعي الفلسطيني في بداية الأمر يهودا روسيين.

ثم أرسلت موسكو (فلاديمير جابو تينسكي) فنشط نشاطا ملحوظا في فلسطين، ثم انتدب (س. افربوخ) اليهودي – الملقب بأبي زيام – لتنظيم الحزب الشيوعي في البلاد العربية، وكان الأخير صديقا للينين في سويسرا، وأبرز الشيوعيين في الفلسطين، وقد تولى رئاسة الحزب الشيوعي في فلسطين من (1924-1929).

وكانت عضوية الحزب الشيوعي الفلسطيني أولا، قاصرة على اليهود و دخله قلة من الفلسطينيين العرب، وقد كانوا غير موثوقين لدى الأكثرية الشيوعية وغير مؤتمنين على أسرارهم، وفي سنة (1937) تأسست أو حركة علنية للحزب الشيوعي الفلسطيني وراء ستار نقابة عمال في حيفا سكرتيرها إميل توما.

وفي الناصرة نقابة عمال سكرتيرها إميل حبيبي، وفي يافا سكرتيرها فؤاد نصار.

سنة (1939) أنشأ الشيوعيون عصبة التحرر الوطني، وكان سكرتيرها اليهودي (بن فكي)، ومساعده توفيق طوبي، وكانت مطالب هذه العصبة جلاء بريطانيا، ثم تشكيل حكومة مشتركة بين اليهود والعرب.

وفي حرب (1948) تحول أعضاء عصبة التحرر إلى قادة عصابات مسلحة، يذبحون الشعب الفلسطيني فانسحب بعض الشباب المغرر بهم، في حين وقف الشيوعيون المتحمسون يدفعون عن اليهود ويقفون بجانبهم، منهم المحامي إبراهيم بكر في الناصرة، وفؤاد نصار في يافا، وغيرهم من قادة الشيوعيون العرب في فلسطين.

وبعد نكبة (1948) صار الحزب الشيوعي الفلسطيني اليهودي يشرف على بقية فلسطين غير المحتلة، وكان في رئاسة الحزب إميل توما و توفيق طوبي و إميل حبيبي، وهذان الأخيرين عضوان في الكنيست اليوم، وكانت الصلة بين الشيوعيين في قسمي فلسطين عن طريق (ضابط إسرائيلي وسكرتير صحفي من الشيوعيين يعملان في لجنة الهدنة)، وكانت نشرات الحزب الشيوعي تذيل بعبارة في أسفلها بالعبرية: طبعت بمطابع الحزب الشيوعي الفلسطيني، أي (القسم المحتل).

وفي سنة (1950) ضمت الضفة الغربية إلى الأردن وقد اعتقل طلعت حرب الشيوعي في رام الله وهو يوزع المنشورات الشيوعية التي أحضرها من إسرائيل، سنة (1951)، عثرت قوات الأمن في عمان على مطبعة للشيوعيين وهي مسجلة بأرقام وعبارات عبرية.

سنة (1952) صدر الأمر من موسكو بفصل الحزب الشيوعي الأردني عن الحزب الشيوعي الفلسطيني، وكان فائق وراد لا زال في المنطقة المحتلة، فسمحت له القوات الإسرائيلية بالخروج ليصبح قائدا من قادة الحركة الشيوعية، ولتقدمه منطقة رام الله سنة (1956) نائبا عنها في مجلس النواب الأردني، ويومها قدمت القدس يعقوب زيادين – الشيوعي النصراني – نائبا عنها.

وفي سنة (1957) حل الحزب الشيوعي الأردني واعتقل قادته وأودعوا معتقل الجفر، وألقى فؤاد نصار سكرتير الحزب الشيوعي الأردني عدة محاضرات أولها (الشيوعية وإسرائيل) جاء فيها (إننا نعلم ويعلم الجميع بأن إسرائيل أمر واقع ودولة لها كيانها السياسي والإقتصادي والعسكري، وإن اليهود شعب كباقي الشعوب له حق الحياة، وأنا أعترف باليهود كدولة لأن الشمس لا تغطي بغربال).

وعندما مات فؤاد نصار في عمان سنة (1977): أقام الحزب الشيوعي الإسرائيلي (راكاح) له حفلا تأبينيا في الناصرة تلك فيه زعيم الحزب (ماير ملنر)، وكذلك توفيق طوبي وإميل توما، وتوفيق زياد صاحب فكرة (يوم الأرض) – 30 آذار –، وتوفيق هذه عضو في الكنيست الإسرائيلي وكان يجمع التبرعات سنة (1978) بالعلم الإسرائيلي من أمريكا.

ولا زالت البرقيات تتبادل بين الحزب الشيوعي الأردني الإسرائيلي، منها ما جاء بالنشرة الشيوعية الأردنية في نيسان سنة (1977) ما يلي: (كما قدر المجلس عاليا المواقف المبدئية والثابتة ي القوى التقدمية في إسرائيل نفسها وفي مقدمتها الحزب الشيوعي (راكاح).

وقد كان محمود درويش وسميح القاسم الشاعران الفلسطينيان الشيوعيان– الممثلان للأرض المحتلة – يحملان علم إسرائيل في مؤتمر صوفيا الدولي.

يقول الأستاذ سعد جمعة: (وقد ثبت بما يقطع كل شبهة قيام تنظيم موحد، وترابط عقائدي، وتخطيط، وتكامل في التخطيط والهدف بين كل من الحزب الشيوعي الإسرائيلي والأحزاب الشيوعية العربية، ومن عانى متاعب الحكم في الأردن، يعرف أن الكثير من المنشورات الشيوعية العربية كانت تأتينا عبر الحدود من إسرائيل، وإن كثيرا من قادة الحزب الشيوعي الأردني قذفوا علينا من إسرائيل بعد أن تتلمذوا وتدربوا على أيدي دهاقنة الحزب الصهيوني المضللين).].

- الشيوعيون العرب وقضية فلسطين:

رأينا فيما سبق أن التنظيمات الشيوعية في العالم العربي، كلها أشرف عليه اليهود وسهروا عليها، وأما قادة الشيوعيين الذين ينتسبون إلى العروبة فقد تربوا على أيدي دهاقين اليهود بعد أني غيروا عقولهم فأصبحت يهودية، وقد كان اليهود يعلقون آمالا كبيرة على هؤلاء التلاميذ وعلى التقدم الإشتراكية في المنطقة.

وفي سنة (1948) كان الشيوعيون العرب – من أبناء فلسطين – يكتبون إلى موسكو: (إن جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود هو الطريق الوحيد والوسيلة الناجحة لبلشفة العالم العربي).

وعندما كان قرار التقسيم. وبعد أن أعلنت روسيا عن تأييدها الصارخ للقرار، عاد الشيوعيون العرب يؤيدون التقسيم. فقد أعلن السكرتير العام للشيوعيون العرب – خالد بكداش – قائلا: (الحكومات الرجعية العربية هي المسؤولة، لقد عارضت الإتحاد السوفيتي الصديق حتى اللحظة الأخيرة ولم تخطب وده. صحح أن اليهود ليسوا أمة لكنهم شعب له حق الحياة).

ولقد كشف رفيق رضا (عضو قيادة الحزب الشيوعي اللبناني السوري) الذي انشق على خالد بكداش وكان مساعدا له، فيقول: (كانت قيادة الحزب الشيوعي بمثل حماس ابن غوريون على بعث الدولة ليهودية في فلسطين، فإسرائيل في نظرها واحة من واحات الديمقراطية في الشرق الأدنى، والشعب الإسرائيلي المشرد لا بد وأن يلتقي في أرض الميعاد، وإن واجب التضامن الأممي في عرف القيادة المذكورة هو من صلب المبادئ الماركسية ولذا فوجود إسرائيل له في عرفها مبرراته الإنسانية التي تتخطى المبررات و الوقائع القومية).

ولقد عرف الناس جميعا موقف الشيوعية المخزي تجاه إخوانهم من أبناء جلدتهم، فقد رموا العرب المشردين – الذين يدافعون عن كيانهم وعن حياتهم ودينهم وأعراضهم – عن قوس واحدة. وهاجموهم واعتبرهم معتدين، وكانوا

يصفون اليهود بأنهم مظلومين، وقد كـانوا يعتـبرون الـدفاع عـن فلسـطين رجعيـة دينيـة ومؤامرة ضد اليهود.

ففي العراق قال الشيوعيون: (إن الشعب العراقي يرفض بإبـاء أن يحـارب الشـعب الإسرائيلي الشقيق).

وقال سكرتير الحزب في العراق (يوسف سلمان الملقب بفهد): (مرحبا بإنشاء دولتين عربيـة ويهوديـة في فلسـطين واشـترط لهـما الإشـتراكية والتحـالف ضـد الرجعيـة الدينيـة العربية).

وكتبت المنظمة الشيوعية المصرية في (15) مايو سـنة (1948) تحـت عنـوان:(غـزت جيوش البلاد العربية فلسطين): (وهذه الحرب حرب رجعية تخدم البرجوازيـة العربيـة و تكبت البروليتاريا الصاعدة (اليهود) الثورية في فلسطين).

وبعد قيام إسرائيل أخذ الشـيوعيون ينـادون بالصـلح معهـا. فقـد كـان الشـيوعيون يوزعون باستمرار مقالات (صموئيل ميكونيس) سكرتير الحزب الشيوعي الإسرائـيلي التـي كان ينشرها في جريدة (الكومنفورم) تحت عنوان (في سبيل سلم دائم).

وألقى فؤاد نصار (سكرتير الحزب الشيوعي الأردني سنة (1957) محـاضرة في الجفـر قال فيها: (إننا نعلم ويعلم الجميـع بـأن إسرائيـل أمـر واقـع ودولـة لهـا كيانهـا السـياسي والإقتصادي والعسكري، وإن اليهود شعب كباقي الشـعوب لـه حـق الحيـاة، وأنـا أعـترف باليهود كدولة لأن الشمس لا تغطي بغربال)

وبعد قيام الثورة الفلسطينية واشتداد عودها اندس الشيوعيون في أوساطها وصـاروا ينادون بمقالتهم (التفريق بين اليهودي والصهيوني) وذلك لتمييع القضية الفلسطينية.

قالوا: نحن لا نقاتل اليهود الشرفاء إنما نقاتل الصهيونية.

ولا ندري كيف نفرق في الميـدان العـام بـين يهـودي شريـف؟! عـلى حـد زعمهم وبين صهيوني، بينما يـرى قـادة المـنظمات الصـهيونية أن كـل صـهيوني

يهودي. بل صهيون يطلق على الجزء الجنوبي من القدس (جبل اليبوسيين)، ثم أصبح اليهود يطلقونه على القدس ويسمونها (ابنة صهيون) وفي التوراة (ترنمي يا ابنة صهيون، إهتفي يا ابنة أورشليم).

يقول هرتزل: (الصهيونية هي العودة إلى حظيرة اليهودية قبل أن تصبح العودة إلى أرض الميعاد).

ويقول بن غوريون: (أنا يهودي أولا و إسرائيلي بعد ذلك، لاعتقادي بأن دولة إسرائيل أوجدت لأجل الشعب اليهودي بأسره ونيابة عنه).

وأخذ قادة الثورة الفلسطينية ومنظماتها يثقفون الشباب الثقافة الثورية !! ثقافية ماو وجيفارا. وثورية لينين وستالين، وآراء ماركس وحياة كاسترو. لقنوا الشباب عشرين اصطلاحا يلفون ويدورون حولها... إمبريالية، برجوازية. ديماغوجية، بروليتاريا...

وظن الشباب أنهم قد ملكوا شيئا جديدا استبدلوه بدين الله - عز وجل - واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وبالمقدسات.

وأعلنوا الحرب ضد الرجعية (دين الإسلام)، إلى صراع داخلي نقل إلى كل بيت بين الأخ وأخيه وبين الابن وأبيه، وبين الفتاة وأمها.

وصار مسؤلوا منظمة الأنصار (الشيوعية) - التي ماسمعنا بها إلا من خلال الأوراق - يحضرون في مجمع النقابات سنة (1969- 1970) ويقولون: أعداؤنا (الإمبريالية الصهيونية وليس اليهود الشرفاء!!).

واحتفلت الفئات الثورية في أمانة العاصمة في عمان في (10) نيسان (1970) أسبوعا كاملا بعيد ميلاد لينين المئوي، وما بقي مفرق طريق، ولا باب، ولا بقالة، ولا حانوت، إلا وألصقت عليه صور لينين العظيم !! - غارس دولة الإلحاد في الأرض -.

أما في قواعدهم فقد رأيناهم عن كثب، وأسماؤهم الحركية أبو جهل، أبو لهب، و ماو، و جيفارا، و هوشي منه.

أما سر الليل عندهم: فهو شتم الدين الرب، وأما طعامهم: فقد كانوا يصطادون الكلاب ببنادقهم ثم يأكلونها، لأنه لا فرق عندهم بين الكلب والخروف، إذ دعوى التفريق خرافة رجعية جاء بها أحد الأعراب في الصحراء اسمه (محمد صلى الله عليه وسلم).

ولقد رأيناهم عندما كان الشباب المسلم المجاهد الذي يحمل السلاح، يرفع الأذان في التجمعات الفدائية، كان أبناء لينين و ماوتسي تونغ يصفقون ويلعنون ويرفعون أصواتهم قائلين:

إن تسل عني فهذي قيمي

أنا ماركسي لينيني أممي !

وصدق الله العظيم:

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾ (المائدة:58).

ولا يزال الشباب المسلم المجاهد الذي يرزح تحت الأغلال في سجون إسرائيل – عندما يقوم الصلاة – يعاني من الضجة التي يفتعلها الذين يعملون لحساب جورج حبش و نايف حواتمة، وكم حصلت خلافات وصدامات بسبب تعرض أحد الشباب المسلم لماو أو لجيفارا أو للينين أو لماركس.

وبعد انتهاء العمل الثوري في الأردن، رأينا بعض قادة اليساريين مثل جورج حبش يظهر مرة أخرى في (اليمن الجنوبية الديمقراطية) – أرض عاد – ينظم جامعات ومعاهد و لماو وماركس ولينين.

وعجبت كيف يتعاون الإنجليز مع دعاة القومية العربية الشيوعيين، لولا أنها جبهة واحدة سخرت لمحاربة الإسلام وأهله.

(الصليب الإنجليزي يمكن للشيوعيين في اليمن ليرفع منجلهم و (شاكوشتهم) وتنظم طلائع القومية العربية ممثلة بشخص جورج – اسمه ليس

عربيا -) وذلك لترويع الشعب اليمني المسلم بفطرته، ولإرسال العبوات الناسفة إلى اليمن الشمالية لهدم المنشآت وقتل الأطفال والبنات.

وأدركت عندها أبعاد المؤامرة العالمية ضد الإسلام وأهله. أما القيم والأخلاق فليس لها أي اعتبار عند الثوريين الاشتراكيين، فكم من الرفيقات !! قد غرر بهن باسم فلسطين وكنت تدخل قواعدهم - خاصة - في مكاتب المدن كعمان، فتجد ذوات البنطال الضيق اللواتي ينمن على أنغام الموسيقى ويستيقظن على أوتار العود بين مجموعات الخنافس و الهيبيين!!.

وفي مظاهرة في الجامعة الأردنية سنة (1979) كانت أصوات هؤلاء ترتفع فتقول: (مطالبنا شرعية خبز وحرية والشاب بجنب الصبية).

الشباب اقترب منهم وقد بدأت بعض النعرات الإقليمية تظهر، فقال هذا الشاب الطيب لهم: أيها الإخوة أخاطبكم باسم الإسلام، فقام له أحد المغرر بهم من الرفقاء الاشتراكيين الثوريين: (مطالبنا على الكشوف رجعية ما بدنا يشوف) أي: لا نريد أن نرى الإسلام].

- هزائم العرب والمسلمين وتفككهم و مسيرهم نحو قعر الهاوية خلال النصف الثاني من القرن العشري:

وهكذا شهد النصف الثاني من القرن العشرين استقلال الدول العربية والإسلامية، وكان استقلالا شكليا مبرمجا لم يكن في حقيقته أكثر من عملية تحول في أسلوب المحتلين المستعمرين إلى ما عرف باسم الإستعمار الحديث. حيث فتت الإستعمار العالم العربي إلى نحو 22 دولة، وفتت العالم الإسلامي إلى ما بلغ بمجموعه أكثر من 55 دولة، وقد تسلط على حكم تلك البلاد بترتيب دقيق ومباشر من الإستعمار، نماذج متعددة من أنظمة الحكم، فكان منها الأسر الو راثية المالكة، ولاسيما في مناطق الثروات الطبيعية الكبيرة الهامة ولاسيما مناطق النفط. وكان منها الأنظمة الديكتاتورية العسكرية القمعية، ولاسيما في مناطق

الحركة والنشاط والوعي والثقافة، كما في بلاد العـراق والشـام ومصر. وكـان منهـا أنظمـة ديكتاتورية تسترت بالنظام الليبرالي الغربي..وغير ذلك.

ولكن كل تلك الأنظمة ساسـت شـعوبها بـالقمع والظلـم والقهـر، ومارسـت علـيهم سياسـات الإفقـار والتجهيـل، والسـير بهـم نحـو دروب الفسـوق ونشر الفـواحش، والتيـه والضلال..

كما حكمت كل تلك الأنظمة بلا استثناء – بـالقوانين الوضـعية المسـتوردة مـن بـلاد الغرب المستعمر كلا أو جزءا..

وخلال تلك الأعوام انحط العالم الإسلامي إلى أسفل قائمة الدول المتخلفة التي تعـاني من

كم هائل ومتنوع من الأزمات..وبسبب ذلك، وبسبب ما أوجد الغرب في تلك الـبلاد من التيارات الفكرية والسياسية المتعددة المشارب والأهواء بين فلسفات الشرق الشيوعي الاشـتراكي الملحـد..، و هرطقـات الغـرب الإبـاحي الليـبرالي المتهتـك..قـام صراع مريـر عـلى السلطة في كثير من تلك البلاد، وتمكنت كتل سياسية مناوئة للأنظمة الحاكمة من الوصول للحكم، وقدمت نماذج مغايرة عنها لم تكن أقل منها كفرا وظلما وتيهـا وانحـلالا، واسـتمر مسلسل الضياع والأزمات.

كما دخلت كثير من الأنظمة المصطنعة حروبا إقليمية فـيما بينهـا، ولم يحـل الـدين الواحد، ولا حتى روابط القومية بين الحكام وبين قيـام تلـك الحـروب. فحـرب بـين إيـران والعراق، وبين العراق والكويت، وبين اليمن والسعودية، وبين السـعودية ومصر. وحـروب بين ليبيا وتشاد وبين الجزائر والمغرب، وبين سوريا والأردن وبين سوريا وقـوى متعـددة في لبنان، ونزاعات حدودية بين إمارات الخليج، بـين السـعودية وقطـر،وبين قطـر والبحـرين، وقتـال ضـار بـين النظـام الأردني والفلسـطينيين، وبـين النظـام السـوري والفلسـطينيين، وبين القوى اللبنانية المختلفة والفلسطينيين، وتهديدات كادت تشعل الحـرب بـين سـوريا وتركيا، وبين سوريا والعراق، وبـين السـودان واريتريـا، وبينهـا وبـين تشـاد...إلى آخـر تلـك

الصراعات والحروب التي أهلكت مئات آلاف الأرواح وأفقرت البلاد والعباد ولم يكن منها صراع واحد يمكن اعتباره على حق وباطل، أو أن فيه رائحة من دواعي القتال الشرعي.. وإنما قتال على نزوات الملوك والحكام، لتكون العزة لفلان أو لعلان، من الجرابيع الحاكمة في بلاد المسلمين.

وفي ظل هذه الأوضاع طمع الأعداء فينا، فاحتل اليهود ثلثي فلسطين سنة 1948، بخيانة قيادات الجيوش العربية السبعة. ثم احتل سنة 1967 ما تبقى من فلسطين و القدس الشرقية والمسجد الأقصى المبارك، بالإضافة إلى أراض من سوريا ومصر ولبنان والأردن تزيد مساحتها على 5 أضعاف مساحة فلسطين، كل ذلك بسبب خيانة الأنظمة في كل من سوريا البعث و النصيرية، ومصر عبد الناصر والقومية العربية، ونظام الماسوني العريق الملك حسين في الأردن. وفي سنة 1973 حول النظام النصيري في سوريا، ونظام أنور السادات النصر العربي اليتيم الوحيد ضد اليهود إلى هزيمة عسكرية ثم سياسية، في حرب رمضان الشهيرة بعد عبور القوات المصرية التاريخي لقناة السويس تحت صيحات الله أكبر. والزحف الرائع للقوات السورية التي وصلت بحيرة طبريا وأنزلت قواتها في مرتفعات الجولان..

ومنذ الاتفاقات الخيانية للرئيس السادات سنة 1980 ثم اتفاقيات فصل القوات بين سوريا الأسد النصيري وإسرائيل، ثم ما تلا ذلا من الخيانات التي تولى كبرها ياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية ثم ما سمي بالسلطة الوطنية الفلسطينية، خسر العرب كل شيء بما فيها أرضهم ومقدساتهم بل وكرامتهم، أما م إسرائيل المدعومة من أمريكا وأوربا.. وأما في العالم الإسلامي فقد قضمت قوى الكفر المختلفة كثيرا من بقاعه واحتلتها..فاحتلت الهند كشمير، واحتفظت روسيا القفقاس والجمهوريات وسط آسيا، وفقد المسلمون استقلالهم وأكثر بلادهم في دول أوربا الشرقية، وكذلك في العديد من الدول الأفريقية وجنوب شرق آسيا..

وأما منذ 1990، ومنذ تسلمت أمريكا راية العدوان وتحكمت في العالم واتخذت من الشرق الأوسط (الكبير) وهم معظم العالم العربي والإسلامي مجالا

لغزواتها وطموحاتها الإمبراطورية ونهبها الاستعماري، فقد وصل العـالم العـربي والإسـلامي إلى قعر الانحلال والتفكك والهزائم وكان فاتحة ذلك، احتلال أفغانسـتان ودخـول القـوات الأمريكية اليهودية الصليبية المشتركة عاصمة الرشيد (بغداد) في ابريل 2003.

وبالاختصـار، فقـد سـجلت العقـود السـبعة الأخـيرة تاريخـا أسـودا محزنـا للعـرب والمسلمين امتلأت فيه الأرض بين جور الحكام وعـدوان المسـتعمرين جـورا وظلـما وبـلاءا وظلمات وهزائم وبلاءات لا يعلم مداها إلا اللـه.

- جذور البلاء و أسباب الهزيمة:

لقد لخص رب العزة جل جلاله- أسباب الهزيمة في سطر واحد.

فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللـه وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ ﴾ (المجادلة:20)

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (الشورى:30).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران:149).

وقال تعالى:﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللـه مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ ﴾ (هود:113).

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد:

(بعثت بالسيف حتى يعبد اللـه وحده، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الصغار و الذلة على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم).

إذن فخلاصة أسباب الهزيمة:

- عصينا اللـه فهزمنا.
- نسينا اللـه فنسينا.
- تحدينا اللـه فأذلنا.

وأنقلك إلى صفحة أخرى عن أعدائنا – ليهود –.

1- تقول ابنة دايان في كتابها (جندي من إسرائيل): لقد كانت فرائصنا ترتعد عندما سمعنا أن العدو على الجبهة الجنوبية ولكن عندما جاء الحاخام وصلى بنا تبدل الخوف أمنا.

(وتقول: إن مراسيم الطقوس في التوراة – أن يقدم للجنود يوم السبت معلبات، وعندما أحضروا لنا طعاما طازجا مطهيا قبل المعركة – يوم السبت –

(1967/6/3) رفض الجنود الأكل فأفتى لهم الحاخام الأكبر جواز هذا أثناء الإستنفار).

2- تقول جولدا مائير (إن أساس قوتنا الوحيد هو ارتباط كل يهودي في الدنيا بنا ارتباط العقيدة)

3- حضر ابن غوريون وزلمان شازار تشييع جنازة تشرشل وكان اليوم – السبت – فسارا على أقدامهما حوالي 6 كم لأن ركوب السيارة ممنوع عندهم يوم السبت، مع أنهما قد بلغا من العمر عتيا.

4- كتب ابن غوريون إلى ديجول – رئيس وزراء فرنسا – سنة (1967) يقول: (إن سر بقائنا بعد التدمير البابلي والروماني وحقد المسيحيين الذين أحاطوا بنا ألف عام يكمن في صلاتنا الروحية بالكتاب المقدس، وعندما جاءت اللجنة الملكية البريطانية في آخر سنة (1926) لتدرس مستقبل الانتداب قلت لها: الانتداب الخاص بنا هو التوراة، لقد استخرجنا منه قوتنا لنقاوم عالما عاديا ولنستمر في الإيمان بعودتنا إلى بلادنا).

5- وفي الصفحات الأخيرة من مذكرات وايزمن – وهو ما يعتبر توصية عامة لإسرائيل – هدفنا هو بناء حضارة تقوم على المثل الصارمة للآداب اليهودية عن تلك المثل يجب أن لا نحيد.... فإذا استهدف اليهود في نشاطهم قيما حقيقية... عندما يطل الله بعطف على أبنائه الذين عادوا بعد تيه طويل إلى بيتهم ليخدموه وعلى شفاههم مزمور، محيين بلادهم القديمة وجاعليها مركز حضارة إنسانية).

6- عندما دخل دايان القدس سنة (1967) قال: يا لثارات خيبر، وقال الجنود الإسرائيليون وأنا سمعت أصواتهم مسجلة من الإذاعة الإسرائيلية: محمد مات..محمد مات.. وخلف بنات.

7- لقد رفض الحاخام أن يكتب عقد قران (ابنة ابن غوريون) رئيس وزراء إسرائيل لأن أمها ليست يهودية، والتوراة تعتبر النسب للأم.

8- يقول بيغن أثناء لقاء مع السادات حول الضفة الغربية: (أنا رجل مؤمن بالتوراة، رباني الأب الروحي جابوتنسكي – كما ربى حسن البنا عندكم سيد قطب، وأنا أعتبر الانسحاب من الضفة الغربية مخالفة للتوراة ولمبادئي الروحية) حدثني هذا الإخوة عن إخواننا في المنطقة المحتلة سنة (1948) الذين قاموا بترجمتها من العبرية.

قال ابن غوريون عندما دخل القدس سنة (1967) (هذا أعز يوم علي منذ دخولي أرض الميعاد).

بعد احتلال القدس (1967) جاء ليفي اشكول يحمل ورقة صغيرة كتب فيها أمانيه ووضعها في شق من شقوق حائط المبكى (حائط البراق للمسلمين) كما تفعل العجائز عندنا.

11- في مقابلة إذاعية مع جندي إسرائيلي في جبهة السويس صيف سنة (1969) يقول المذيع له: أنت شاب في العشرين من عمرك وقد قدمت إلى إسرائيل بعد حرب الأيام الستة من كاليفورنيا فما الذي حفزك ؟ قال الشاب: لقد حفزني ديني ودفعني إيماني للمجيء إلى الأرض المقدسة لأحقق رسالة الأنبياء والسعادة التي أحسها في الدفاع عن معتقداتي الدينية لا تعدلها سعادة في الدنيا.

12- لقد أحيت إسرائيل اللغة العبرية – لغة التوراة – بعد أن درست منذ ثلاثة آلاف عام – فأسماء: الهستدروت، الكنيست، إيلات أصبحت هي أسماء مؤسسات ومدن.

13- هل عرفت بعد هذه المقارنة لماذا انتصر اليهود ؟ ولا يغر البعض قوله: أننا مسلمون أفضل من اليهود على أية حال، فقد كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم: (أما بعد، فإني أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو.... فإن ذنوب الجيش أخوف من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون

بمعصية عدوهم لله... فإن استوينا وإياهم في المعصية كان لهم فضل في قوة... وإن اللـه سلط المجوس الكفار على اليهود وهم أهل الكتاب).].

- النظام العالمي الجديد 1990وانطلاق الحملات الصليبية الثالثة بقيادة أمريكا:

استتب الأمر للغرب بالسيطرة على مقدرات العالم الإسلامي. ونجحت خطته في تولية أوليائه مسؤولية رعاية شؤونه دون أن يتكبد أي خسائر. وامتصت الاحتكارات الأمريكية والأوربية الكبرى زبدة خيرات بلادنا وثرواتها دونما رقيب ولا حسيب ودون أي بادرة مقاومة. وانهار الإتحاد السوفييتي بعد غلطته التاريخية في أفغانستان كما رأينا. وأعلن رؤساء حلف الناتو أنهم اختاروا الإسلام عدو استراتيجيا بديلا.. وآتت الحملات الدولية والإقليمية لمكافحة الإرهاب بعيد الجهاد الأفغاني ضد الروس أكلها. وتشتت كوادر التيار الجهادي وتنظيماته وتحقق للغرب ما يريده من تفكيكها وحوصرت الصحوة الإسلامية السياسية و دجنت أحزابها وادخلت في متاهات اللاجدوى ودروب الإنحراف... واستتب الوضع لإسرائيل وانخرط الثوريون الفلسطينيون في مسارات أوسلو! وأفتى علماء المسلمين الكبار بشرعية الوجود الأمريكي في الجزيرة العربية! كما أفتو بشرعية التطبيع مع الإحتلال اليهودي لفلسطين وبيت المقدس!!

فلم يكن هناك فيما يبدو أي سبب ظاهر يدعو الغرب للعودة إلى أسلوب الحملات العسكرية على المسلمين. ولكن المفاجأة كانت في أن الغرب بقيادة أمريكا وتبعية بريطانيا وأوربا الناتو وروسيا قد قرروا الزحف عسكريا على العالم الإسلامي عامة وعلى الشرق الأوسط خاصة، فيما يبدو وكأنه عملية إعادة احتلال مباشر جديد، وسيكس بيكو أمريكية بريطانية صليبية جديدة.

فلماذا أقدم الغرب على هذه الخطوة؟ علما أن غنائمه كانت تصل باردة بلا عناء ولا دماء يتكفل بإيصالها زعماء العرب والمسلمين!

في رأيي يعود ذلك إلى عدة أسباب. منها ما يتعلق بالصليبيين وقيادتهم الجديدة أمريكا وحلفائها. ومنها ما يتعلق باليهود ومشروعهم الصهيوني في

إسرائيل. ومنها ما يتعلق بما استجد من ظروف عالمنا الإسلامي وصحوته الجهادية. واختصر ذلك في النقاط التالية:

- أسباب الحملات الصليبية الثالثة على العالم الإسلامي منذ 1990:

أولا: الاسباب المتعلقة بالروم الجدد (أمريكا – أوربا – روسيا):

1. التدهور الاقتصادي والركود والتضخم وتراجع الواردات المالية في العالم الصناعي الغربي بشكل حاد، نتيجة أسباب كثيرة أهمها تقلص العائدات الاستعمارية من العالم الثالث نتيجة صحوة الشعوب وإدراكها لقيمة ثرواتها ونشوء بعض الأنظمة الوطنية التي تعمل على سد أوجه الفقر في بلادها ووقف نزيف النهب من مخزونها الوطني نحو الغرب الإستعمار. كما عانت الحضارة الغربية نتيجة الترف ورفاه العيش من تراجع القطاع المنتج في المجتمع في مجالات الزراعة والصناعات الأساسية على حساب توسع هائل في مجالات الشرائح المستهلكة غير المنتجة من الحرف الكمالية. (الفنون – الأمن – البحوث – التجار – الرياضيين........الخ) كما تراجع الميزان التجاري نتيجة عجز الدول الفقيرة عن استهلاك ما تنتجه الدول الغنية وانخفاض قدرات الشراء لديها وبالتالي انخفاض قدرة الغرب الصناعي على التصريف. كما أن هناك عاملين قاتلين نخرا في بنية الحضارة الغربية اقتصاديا واجتماعيا، أطنب كثير من البحاثة والكتاب الغربيين فيهما مؤخرا بجرأة وصراحة ودقوا لها ناقوس الخطر وهما (تفشي الربا في كل مفاصل الاقتصاد الغربي) وكذلك (عمل المرأة في مجالات عمل الرجال وإخلائها لموقعها في المنزل) فقد تحقق للاقتصاد الغربي بسبب (الربا) ما بشر الله من أعمل به من(المحق) كما قال تعالى: (يمحق الله الربا). فالاقتصاد الغربي ومعظم العالمي يصير إلى (المحق) عمليا. كما خلف عمل المرأة انتشار البطالة في أوساط الرجال. وكذلك أدى إلى دمار البنية الاجتماعية للأسرة وتراجع الاقتصاد. كل هذا وغيره جعل الدول الاستعمارية وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا بحاجة إلى رفع وارداتها الاستعمارية لسد عجزها الاقتصادي عن طريق السيطرة على منابع الثروة

ولاسيما منابع الطاقة (البترول والغاز) في الشرق الأوسط الخليج العربي الفارسي ومحيط بحر قزوين. وحتى تستطيع أمريكا أن تسيطر على عصب الاقتصاد العالمي وبالتالي تستنزفه لصالح اقتصادها.

2. سحر القوة الذي سيطر على الإدارة الأمريكية وجنون الحلم الإمبراطوري:

تضخمت القوة العسكرية الأمريكية بشكل هائل، حتى غدت بمفردها أكبر من مجموع قدرات الناتو وروسيا مجتمعة بحسب تقارير مراكز الدراسات الاستراتيجية العالمية. كما تقدمت قدراتها التكنولوجية بشكل مذهل جعل منها قوة أسطورية لا تنازع ولاسيما في مجال القدرات الجوية والصواريخ العابرة والسيطرة على أنحاء الأرض بالقدرات التجسسية الهائلة للأقمار الصناعية وقدرتها على توجيه الرمايات الصاروخية والجوية والبحرية. وبامتلاكها لأضخم ترسانة نووية في العالم..... كل ذلك ولد بشكل طبيعي لدى الإدارة الأمريكية الحلم بالانفراد بحكم العالم وقد طفحت كتابات منظريها بذلك حتى قبل القضاء على الاتحاد السوفييتي ربما بعقدين من الزمن حيث تبنوا ونظروا للإنفراد بحكم العالم والتخطيط لأن يكون القرن الحادي والعشرون قرنا أمريكيا وأن تقود أمريكا حضارة الروم وترث أمجادها وتغزو العالم. وكان من الطبيعي أن تفكر أمريكا من أجل تركيع حلفائها ودحر خصومها بالإمساك بشريان الحياة وعصب الحركة للعالم الصناعي وذلك باحتلال منابع النفط وامتلاكها مباشرة. والسيطرة على المعابر الاستراتيجية للعالم ونشر قواتها في كافة أرجائه ومنع نهوض أي قوة مناوئة لها وامتلاكها لأسلحة دمار شامل استراتيجية. هذه القناعات التي تبلورت أواخر القرن العشرين لدى مجموعة من المنظرين والساسة في الحزب الجمهوري ممن أسموا أنفسهم (المحافظون الجدد). والذين تبنوا لسوء الحظ عقائد الحلم الصهيوني وقيام إسرائيل واجتماع اليهود فيها كمقدمة لنزول المسيح بعد حرب كونية مع المسلمين.... إلى آخر ترهاتهم التي تختلط فيها أساطير الدين بأحلام الاستعمار.

3. سعي الدول الأوربية وروسيا لمعاونة أمريكا خوفا وطمعا بالإضافة للدافع العقدي الصليبي المتجذر لدى جميعهم: فالخوف من أن تمتلك أمريكا

وحدها فعليا منابع الطاقة ومصادر القوة وأن تتحكم بها. وطمعا في ما يمكن أن تجره لها المشاركة من مكاسب ترقع بها اقتصادها المنهار. جعلها تشارك جميعا في حرب الخليج الثانية بفاعلية. وبلغت نسبة المشاركة الأوربية ما لا يقل عن 25% في حين شاركت بريطانيا وحدها بـ15% وزادت نسبة الأمريكان في القوات التي بلغت مليون جندي على 55%.حيث أسفرت حرب (عاصفة الصحراء) أو (تحرير الكويت) كما أسموها عن تدمير العراق وجيشه وترسيخ أقدام بريطانيا وأمريكا في قلب المنطقة العربية والإسلامية سنة 1991. كما شاركت أوربا وفرنسا وبريطانيا والفاتيكان بصورة رئيسية بالحرب الصليبية على المسلمين في البوسنة (1994-1996) من أجل توحيد الدين في القارة الأوربية الساعية إلى الوحدة على الهوية الصليبية. أما روسيا فقد تولت فصلا صليبيا مستقلا في الشيشان القفقاس منذ (1994) وإلى اليوم حيث ما زال المسلسل الدموي يجري بمشاركة أوربية أمريكية بالدعم بالصمت أو بالمواقف السياسية و الإعلامية. إلى أن حملت أمريكا حملتها الكبرى على العراق في حرب الخليج الثالثة التي أسموها (حرية العراق !) والتي قامت بها أمريكا وبريطانيا بمشاركة لوجستية فاعلة من قبل كامل دول الناتو رغم الموقف الفرنسي الألماني والروسي المعارض الذي ما لبث أن لحق بالركب الاستعماري من أجل حصة في كعكة العراق حيث اعترفوا بالإجماع بحالة الاحتلال الأمريكي للعراق في مجلس الأمن ثم تابعوا التدحرج نحو المسار الأمريكي على استحياء خف مع الوقت ليصير إلى الوقاحة الصريحة. وهكذا حضرت الحملات الصليبية بسبب هذا الدافع الذاتي.

ثانيا: نضوج المشروع الصهيوني واقتراب اليهود من موعد هدم المسجد الأقصى و اعلان مملكة إسرائيل الكبرى بحسب الأحلام التلمودية:

لم يخف كبار زعماء الصهاينة في كتاباتهم ومقابلاتهم حلمهم الأكبر وهو إقامة إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل. ولم يستحوا من إعلان عزمهم على هدم الأقصى وإقامة هيكل سليمان المزعوم على أنقاضه. كما لم يخفو عزمهم

على إقامة دولة يهودية صرفة وما يقتضيه ذلك من طرد ما تبقى من المسلمين والعرب من أرض فلسطين.

وبعد أن دجنت إسرائيل بالتعاون مع أمريكا أنظمة الحكم في الجوار أو ما يسمى بدول الطوق وتمكنت بواسطة السادات من تفكيك الجيش المصري واختصاره لأقل من الثلث عدديا وتسليحا وبعد أن كفل لهم الملك الحسين الخائن حاكم الأردن وولده من بعده أطول حدود لهم مع الجوار. وتكفل النصيرية في سوريا أيضا بتفكيك الجيش السوري أكبر جيوش المنطقة وأشدها تسليحا تدريجيا، وضمن نصارى لبنان أمان حدودها الشمالية. انتقل اليهود لمرحلة فرض التطبيع السياسي والإقتصادي والثقافي على الدول العربية بل وطمحوا لأن يشمل ذلك العالم الإسلامي. ولم يبق في المنطقة من القوى العسكرية العربية إلا العراق ومن القوى الإسلامية إلا الباكستان فوضع اليهود نصب أعينهم هدف تدمير الجيش العراقي أولا. ثم الباكستاني ولما كانوا لا يستطيعون ذلك بأنفسهم كان لا بد من استقدام الجيوش الصليبية ولاسيما الجيش الأمريكي ليقوم بالمهمة كما أن اليهود بما فطروا عليه من ذل ومسكنة وخوف وجبن لا يطمئنون لجيشهم المتفوق عددا وتسليحا على مجموع ما تبقى من قوة عسكرية في دول الجوار حتى مع وجود أكثر من 250 رأس نووي جاهز لتدمير ما يريدونه من أهداف من حولهم. فهم يخشون أن تتمرد الشعوب العربية والإسلامية على صنائعهم الحاكمة في عواصم العرب والمسلمين ويجدون أنفسهم بملايينهم الستة محاطون بمئات ملايين الشعوب الغاضبة التي تناصبهم العداء وتحمل من الأحقاد المقدسة ما يكفي لسحقهم إن اتيحت الفرصة لتلك الشعوب. ولذلك عمل اليهود على استقدام جيوش النصارى لترابط في المنطقة وتبقى وتعمل على تفتيت دولها إلى كيانات أصغر وتفتعل حروبا داخلية مذهبية وعرقية تضمن الاستقرار والسيادة والتفوق العسكري بل تضمن أن تكون إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي تمتلك جيشا في المنطقة. ولم يكن هذا الهدف صعبا على الصهاينة بعد أن أدت دسائسهم ومكرهم وأعمال الاختراق والتجسس وشراء الذمم والتغلغل بالأسلوب اليهودي على مدى نصف قرن.

أدت إلى سيطرة اليهود على حكومة أمريكا وحكومات معظم دول الناتو. وتشير الإحصائيات إلى نسبة عالية مخيفة من الوزراء وأعضاء الحكومات وأعضاء البرلمانات والأجهزة النافذة والأحزاب السياسية الرئيسية وكافة وسائل الإعلام العالمية وأجهزة السينما والإنتاج التلفزيوني والصحف... كلهم يهود أو أولاد أو أزواج ليهوديات. وهذا يعني يهود يتهم بحسب عقيدة التي تعتبر أبن اليهودية يهودي.. هذا فضلا عن سيطرتهم التامة على النظام المصرفي والمؤسسات المالية الكبرى في العالم وتحكمهم في الأمم المتحدة وما ينبثق عنها من مؤسسات... لقد وصل اليهود إلى ما ذكره القرآن من العلو الكبير وها هم يفسدون في الأرض كيف يشاؤون.. واستطاع أحبار اليهود المتسللون إلى النصرانية ولاسيما للمذهب البروتستانتي السائد في أمريكا وبريطانيا.. أن يخترعوها ويؤسسوا في أمريكا مذاهب ومنظمات كنسية صليبية متطرفة تقوم على ازدواجية المصدر العقدي بحيث تكون العقيدة في الولايات المتحدة الصهيونية وآمال إسرائيل وأحلامها وأفضلية شعبها المختار. حتى بلغ أنصار هذه المنظمات والكنائس عشرات الملايين و صارت مواردها المالية بالمليارات وما أصبح تملكه من شبكات التلفزيون ووسائل الإعلام ما يجعلها إمبراطورية طاغية مكنت اللوبي الصهيوني من أن يتلاعب بالكونغرس والانتخابات الأمريكية كيفما أحب.. وهكذا ظهر المنظرون الجدد في السياسة الأمريكية في الحزبين الديمقراطي والجمهوري وخاصة في الثاني وتولوا دعم برامج إسرائيل التي اقتربت من تحقيق أهدافها.... وهكذا ساق اليهود الجيش الأمريكي وجيوش أوربا الصليبية ليحتلوا الشرق الأوسط و يفتتحوا ذلك بتدمير آخر الجيوش المتبقية وهو الجيش العراقي عبر حرب 1991 وحرب 2003. فيثأروا لليهود من العراق وأرض بابل بحسب معتقداتهم ويثأروا لمرحلة الأسر البابلي ويذيقوا أحفاد أولئك الأجداد أبشع ألوان الذل والهوان كما ضمنوا تفكيك العراق وسحق قدراته.. وتجدد الضغط باتجاه سوريا التي ألغي فيها نظام التجنيد الإلزامي لأول مرة في تاريخها منذ الاستقلال مما سيقلص عدد الجيش السوري الذي يناهز مليون جندي إلى أقل من 20% منه ليقوم على المتطوعين الذين

تتكون غالبيتهم الساحقة من النصيرية وأبناء الأقليات الدينية الأخرى ويبقى المسلمون السنة وهم الغالبية الساحقة من سكان سوريا أكثرية غير مسلحة يسلخ اليهود وعملاؤهم جلدهم متى شاؤوا. كما تتجه أنظار أمريكا علنا لتفكيك وتقسيم تركيا و الباكستان والسعودية ومصر.. وتنشر في الشرق الأوسط الادنى وهو ما يسمونه منطقة العمليات الوسطى أكثر من 1.5 مليون جندي أمريكي يرابط نحو مليون منهم في البلاد العربية من بغداد إلى طنجة منهم نحو الثلثين في منطقة الشرق الأوسط !!! وهكذا كانت الاسباب الصهيونية أساسية في حضور الصليبيين. وإعلام بوش هذه الأيام إطلاق مشروع ما أسماه (الشرق الأوسط الكبير)..

ثالثا: أسباب متعلقة بظروف العالم الإسلامي:

كما سيأتي التفصيل في الفصلين التاليين عن مسار الصحوة الإسلامية الجهادية. فقد أدى نشاطا لصحوة الإسلامية التي سارت في محاور ثلاثة دعوية/ سياسية / جهادية مسلحة. إلى أن تكون شبحا مرعبا يهدد مصالح الصليبيين والمشروع الصهيوني في المنطقة. فقد انتشرت الأحزاب التي تبني المشروع الإسلامي واستطاعت أن تكون كتلا نيابية كبيرة في عدد من برلمانات الدول العربية و الإسلامية. بل بعضهم أن يشكل الحكومات كما في تركيا أو كاد كما في الجزائر.. كما أدى النشاط الدعوي لمختلف مدارس الصحوة إلى أسلمة قطاعات كبيرة من المجتمع ولو عاطفيا. ولكن الأخطر من ذلك أن قمع السلطات لمختلف مجالات الصحوة السلمية والذي كان ترتيبا لحصار الصحوة أدى إلى امتداد الصحوة الجهادية وازدياد منجزاتها وخبراتها ولاسيما بعد نضوج كوادرها وتضخمها من خلال تجربة الأفغان العرب الأولى في أفغانستان (1984-1992). فقد شكلت الظاهرة الإسلامية تهديدا حقيقيا للأنظمة العربية والإسلامية وأصبح الصليبيون غير مطمئنين إلى حسن أداء تلك الأنظمة التي أقاموها في المنطقة ولا إلى مصيرها ورغم نجاح هذه الأنظمة في قمع كافة مدارس الصحوة وإيصالها إلى الفشل في تحقيق أهدافها وإدخالها في ضحضاح الأزمة عمليا، إلا أن الغرب بما درس من تكويننا الحضاري يعلم مدى خطورة

الجذوة الكامنة تحت الرماد الساكن حاليا، ورأى أن وجـوده العسـكري الفعـلي هـو خـير ضامن لمصالحه. وأن عليه أن يقوم بتنفيذ سيكس بيكو جديـدة تقسـم المقسـم و تجـزئ المجزأ من هذه الكيانات وتضمن بحسـب مـا يتخيـل مصـالحه بنفسـه وبحراسـة حـراب جنوده.

وهكذا تضافرت الأسباب الثلاثة لأن تزحف تلك الحملات الصليبية الثالثـة وتجتـاح الشرق الأوسط من جديد.

- محطات الحملات الصليبية الثالثة (1990-2003):

1- حرب العراق الأولى (عاصفة الصحراء – حرب تحرير الكويت):

افتتحت أمريكا حملاتها الصليبية بعـد انهيـار الاتحـاد السـوفييتي (1990) مبـاشرة بتنفيذ برنامجها الذي أعدت له من أواسط السبعينات وشـكلت مـن أجلـه آنـذاك قـوات التدخل السريع للسيطرة على منابع النفط وتحـدثت العديـد مـن الدراسـات والكتـب في حينها عن سيناريوهات افتعال تهديد لدول الخليج إما من العراق أو إيران لتبرير التدخل الأمريكي.

وفعلا وكما صار معروفا في وسائل الإعـلام فقـد تـم اسـتدراج صـدام حسـين عـن طريـق السفيرة الأمريكية في بغداد وإغرائه باحتلال الكويت. وكان الجـيش العراقـي قـد بلـغ مسـتوى رفيعا بعد حرب الخلـيج الأولى مـع إيـران (1979-1987). ومنـذ ذلـك الحـين ضربـت القـوات الأمريكية والبريطانية بجرانها في المنطقة. وكما ذكرت آنفا في مطلع البحث فقد قدمت حكومات الدول العربية وعلى رأسها السعودية ودول الخليج والمغرب و الباكسـتان وسـوريا والأردن ومصر وتركيا مشاركة فعالة. فقاتلت جيوشها الجيش العراقي تحـت القيـادة الأمريكيـة. ولكـن العامـل الأبرز في تحولات معادلة القوى في الحمـلات الصـليبية الثالثـة كـان في دخـول الأجهـزة الدينيـة الرسمية ومؤسسات علماء السلطان وقسم كبير من قيادات الصـحوة الإسـلامية إلى جانـب هـذا الحلف بقيادة أمريكا. حيث دفع بهم الحكام الخونة إلى إصـدار الفتـاوى التـي تضـفي الشرعيـة على حضور الصليبيين وتمركزهم في جزيرة العـرب وسـيطرتهم عـلى عقـر دار المسـلمين. ولكـن

أدهى ما في هذا الأمر هو انـزلاق المـدجنين والفاسـدين مـن بعـض قيـادات الصـحوة إلى التوقيع على فتاوي تشرع لذلك وذلك نتيجة دخولهم عـبر بوابـات الديمقراطيـة ليصـبحوا جزءا من السلطات الرسمية في حكومات الردة. فكانت هذه الفتنة جزءا من الثمن الـذي يدفعه المتخوضون في مستنقعات السياسة اللاشرعيـة أنهـم تجـاوزوا مـا روي عـن رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسلم:

(ومن أتى أبواب السلاطين افتتن) (ومـا أزداد عبـد مـن السـلطان قربـا إلا ازداد مـن اللـه بعدا).

وسحقت القوات الأمريكية الجيش العراقي وخلفت أكـثر مـن 300 ألـف قتيـل بـين المـدنين والعسـكريين ودمـرت البنيـة التحتيـة للعـراق التـي بنيـت عـبر نصـف قـرن مـن الإستقلال ثم ضربت الحصار القاتل على العراق لمدة ثلاثة عشر عامـا قتلـت خلالهـا أكـثر من مليون ونصف المليون طفل من أطفال العراق عدا ما قتلت من ذويهم نتيجة الـنقص الحاد في الغذاء والدواء.

وهكذا أهلت أمريكا العراق للحرب التالية التي أجهزت عليه فيها في مارس وابريـل 2003.

وبعيد الحرب العراقية الأولى مباشرة و كإجراء احتياطي ضد المقاومة المفترضة التـي ستنشأ كرد فعل على هذه الحملات الصليبية، والتـي مـن المفـترض أن تقـوم بهـا أوسـاط الحركات الجهادية وشباب الصحوة الإسلامية، أطلقت أمريكا حملتهـا لمطـاردة الجهـاديين ورموز الصحوة الجهادية تحت دعوى مكافحة الإرهاب. وتصاعدت وتيرة المؤتمرات الأمنية العالمية و الإقليمية خلال ولاية كلينتون الذي خلـف بـوش الأب لتتـابع أمريكـا هجماتهـا على العالم الإسلامي فتتابع حصار العـراق وتتـولى إجبـار الـدول العربيـة والإسـلامية عـلى مشاريع التطبيع مع اليهود وتتولى بنفسها مكافحة (الإرهاب الإسلامي) كما وصفوه.

2- المذابح الصليبية للمسلمين في البلقان و القفقاس (1994-1997):

في زحمة زخم الهجمة الأمريكية الصليبية على العالم الإسلامي ومزاعم مكافحة الإرهاب والأصولية الإسلامية. استغل الروس الظروف العالمية في مواجهة المسلمين وشنوا حربهم الدموية على الشيشان حيث ارتكبت أبشع المجازر وتعرض المسلمون الشيشان لحرب إبادة ما زالوا يقدمون قرابينها بالآلاف إلى اليوم...

كما شن الصرب والكروات بدعم من الفاتيكان ودعم وسكوت الدول الأوربية حرب إبادة على المسلمين في البوسنة ثم كوسوفو.. حيث ارتكبت أبشع المجازر التي راح ضحيتها مئات الألوف من المسلمين تحت سمع وبصر الأمم المتحدة بل في داخل محمياتها كما حصل في مذبحة (سيربينتسا) حيث انسحبت قوات الحماية الفرنسية الموكلة بحراسة محمية للأمم المتحدة لتفسح المجال لمليشيات الصرب أن تقتل أكثر من 8000 مدني بوسني مسلم أكثرهم من النساء والأطفال والعجائز في أكبر سلسلة مذابح إبادة جماعية في أوربا منذ الحرب العالمية الثانية.

1- حصار الإمارة الإسلامية في أفغانستان ثم تدميرها سنه (2001):

لم يرق للأمريكان وأوربا الناتو التي خططت ونفذت الحرب الأهلية بين فصائل المجاهدين في أفغانستان (1992-1996) من أجل تنفيذ برنامج الأمم المتحدة الذي يقضي بأن يحكم الصليب الأحمر الغربي بعد المطرقة والمنجل الأحمر الشرقي أفغانستان وبعد حرق ما تكدس في أفغانستان من سلاح وخبرات جهادية في تلك الحرب الأهلية، لم يرق لهم أن يفاجئهم القدر بظهور طالبان وتمكنها من تحكيم الشريعة وإقامة إمارة أفغانستان الإسلامية. كما لم يرق لهم أن تسفر حملات مكافحة الإرهاب العالمية لكوادر التيار الجهادي والأفغان العرب عن عودتهم إلى أفغانستان وتشكيلهم إلى جانب طالبان بؤرة قضت مضاجع أمريكا والغرب ونوابهم من الحكام المرتدين.

فبدأت أمريكا وأوربا عمليات الحصار الاقتصادي والسياسي على الإمارة الإسلامية منذ نشأتها وتتابع ذلك في عهد كلينتون الذي اختتمه بقصف 75 صاروخ كروز على بعض معسكرات المجاهدين العرب والطالبان واستمر الحصار في عهد بوش الابن الذي أطلق صيحته بأنه مكلف من قبل الرب برسالة إصلاح العالم وأنه متوجه لقيادة حملة صليبية ومكافحة الإرهاب الإسلامي حيث افتتح حملته تلك بعد أحداث سبتمبر بغزو أفغانستان وتدمير الإمارة الإسلامية إبادة ما استطاع إبادته من اللاجئين العرب والمسلمين إلى أفغانستان في ديسمبر2001.

2- حرب احتلال العراق (مارس 2003). والزحف الأمريكي على الشرق الأوسط:
وقد تكلمنا عنها فيما سبق بما يغني عن الإعادة.

- حالة المرجعيات في العالم الإسلامي ووقوف التيار الجهادي وحيدا في مواجهة الحملات الصليبية الثالثة:

أما المرجعية السياسية للمسلمين:

فكما مر معنا فقد دمرها الإستعمار الصليبي منذ إسقاط الخلافة ولم تقم لها بعد ذلك قائمة. بل إن الذي حصل أن حكام بلاد المسلمين صاروا جزءا من معادلة القوى إلى جانب الصليبيين وقد ازداد هذا فظاعة خلال الحملات الصليبية الثالثة.

وأما المرجعية الدينية:

فقد تولت الحكومات الخائنة العميلة تصفيتها في كافة بلدان العالم العربي وأكثر العالم الإسلامي كما مر معنا في الفقرات السابقة. وقد حاولت الصحوة الإسلامية أن تقدم بديلا وتتسلم زمام المرجعية. خصوصا أن علماء مرموقين وقادة بارزين مؤهلين وقيادات عديدة من مختلف مدارسها لمعت وتأهلت ولكن ولأسباب عديدة سنتناولها في الفقرات التالية بالتفصيل لم تستطع الصحوة أن تقدم بديلا عن المرجعية الكلاسيكية المتمثلة بأئمة المذاهب الأربعة والمراجع

الفقهية وأمْة الطرق الصوفية. ولم تستطع بالخلاصة أن تكون مرجعية شعبية وتمتلك طاعة الشارع المسلم وتبعيته...

وهكذا لم يكن هناك مرجعية دينية مؤهلة لمواجهة الحملات الصليبية الثالثة.

وأما المرجعية الاجتماعية:

فقد كنا قد تحدثنا عن تفككها منذ منتصف القرن العشرين نتيجة الإستعمار ونتيجة التطور الاجتماعي نحو التصنيع والهجرات نحو المدن الكبرى وتفكك الروابط القبلية. فتابع ذلك سيره بتسارع كبير.. وتراجع دور البوادي والأرياف في السياسة لصالح المدن الكبرى والحياة المدنية التي لا تقيم وزنا لهذه الروابط. وباستثناء بعض البلدان الإسلامية كأفغانستان واليمن.. وبعض البلدان الأخرى. كانت هذه المرجعية أضعف من أن تمارس دورا في المواجهة. وقد كان من سياسة الحكام جميعا قتل هذه المرجعية ونزع سلاح القبائل والعشائر وسياسات التفرقة بينها وأضعاف كل منها على حدة..وبطبيعة الحال كانت هذه المرجعيات دائما تبعا للمرجعية الدينية أو للدينية والسياسية معا. ولذلك كانت هذه المرجعية غائبة عن ساحة المواجهة أيضا شأنها شأن سابقاتها في هذه المواجهة الأخيرة

إذن من وقف للحملات الصليبية الثالثة منذ 1990 وإلى 2001 ؟؟:

في الحقيقة وباختصار..

لقد قدمت الحملات الصليبية الثالثة بعد أن صفت من أمامها كل إمكانيات المقاومة. فقد قضت على المرجعيات كلها تقريبا. وقضت إلى حد بعيد على مقومات نشوء المقاومة والمواجهة في الشعوب العربية والإسلامية. ولئن كانت الحملات الثانية قد قدمت على بصيرة وخبرة من تجارب قرنين من الزمن خلال الحملات الأولى وعلى دراسات وأبحاث لهذه الأمة على كافة الأصعدة عبر 500 سنة بعدها. فإن هذه الحملات الصليبية اليهودية الأمريكية الجديدة تأتي على خلفية كل ذلك بالإضافة إلى تجارب الحملات الثانية وما وفرته

خدمات طبقة المرتدين من الحكام وعملائها من المستغربين عبر نصف قرن أو أكثر من الزمن.

كما توفرت لها كل إمكانيات النجاح. ولئن كان هناك شيء من التوازن في معطيات المواجهة على الأرض بين قوات الحملات الصليبية الأولى وحتى الثانية وبين قوات المجاهدين التي واجهتها عددا وعدة، فإن تقهقر المسلمين إلى حضيض التخلف في معظم الميادين. ونهوض الحضارة الأمريكية تكنولوجيا عسكريا إلى قمة التطور، وما سبق من تدمير نوابهم الحكام لكل إمكانيات المقاومة جعل الساحة عمليا شبه خالية في هذا الصراع وصارت المواجهة اليوم غير متوازنة البتة.

وأما خلاصة نبضات المقاومة للحملات الصليبية الثالثة وأعوانها خلال (1990- سبتمبر2001) فيمكن ذكر أهمها بحسب التسلسل الزمني بحسب ما أتذكره الآن على الشكل التالي:

- حركة الجهاد المسلح في الجزائر (1991- 1995) والتي تم القضاء عليها خلال السنتين التاليتين من خلال عمل استخباراتي ناجح وبالغ التعقيد من التعاون بين المخابرات الجزائرية والفرنسية وبعض المخابرات العربية حيث أخرج الجهاد عن مساره ودمره بعد أن عزله عن جمهوره بسبب انحرافه.
- المواجهات الجهادية المسلحة التي قامت في ليبيا ضد نظام القذافي (1993-1995) والتي كان أبرزها محاولة الجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا والتي تمكن النظام من تحديد نشاطها العسكري في داخل ليبيا وتحولت إلى العمل التنظيمي الدعوي السري والنشاط في المهجر.
- حركة نفاذ الشريعة شمال غرب باكستان سنة (1996) والتي قضت عليها الحكومة الباكستانية أمام تخاذل الشارع الإسلامي وتخلف حركات الصحوة في باكستان عن نصرتها.

- حركة جيش عدن أبين في اليمن بقيادة أبو الحسن المحضار والتي قضي عليها في مهدها (1998).
- حركة الشباب الجهادي في جبال النبطية شمال لبنان بقيادة أبو عاشة اللبناني والتي قضي عليها في مهدها (1999).
- حركة طالبان التي انطلقت سنة 1994 وأقامت الإمارة سنة 1996 وسقطت أواخر 2001 وكانت بمن لحق بها من التجمعات الجهادية العربية والباكستانية والوسط آسيوية أهم الظواهر الجهادية خلال العقد المنصرم.
- الإنتفاضة الفلسطينية المسلحة التي انطلقت سنة 2000 وما زالت إلى الآن وهي من أهم فصول المواجهة والمقاومة الجهادية للحملات الصليبية اليهودية الثالثة.
- عدد من المحاولات الجهادية المحدودة والمبادرات الفردية التي قام بها المجاهدون ضد مختلف أشكال تواجد الصليبيين في العالم العربي والإسلامي والتي حصلت في بلدان مختلفة خلال العقد المنصرم ومن ذلك بعض عمليات المقاومة المتواضعة في السعودية ضد الأمريكان والتي كان أهمها تفجيرات الرياض و الخبر.
- عمليات المقاومة والدفاع عن النفس التي قام بها حطام التيار الجهادي في مواجهة حملة المطاردات بعد سبتمبر في مختلف دول العالم ولاسيما في مواجهة الكارثة التي نفذتها الحكومة الباكستانية خلال ملاحقة الناجين على أراضيها والتي أسفرت عن مقتل عشرات المجاهدين العرب وأسر ما يزيد على 600 منهم سلمتهم إلى أمريكا ليستقروا في معتقل غوانتانامو التاريخي. وغيره من السجون الأمريكية في أماكن عدة..
- حركات الجهاد التي نشرت في وسط آسيا ضد الحكومات الشيوعية المدعومة من الاتحاد السوفييتي ولاسيما في طاجيكستان (2001/1993) ثم ما تلاها في أوزبكستان (2001/1997).

- وكذلك جهاد المسلمين في تركستان الشرقية(2001/1996) ضد الحكومة الصينية
- هذا بالإضافة إلى حركات المقاومة والمواجهة التي تمت ضد القوى الصليبية في ساحات الجهاد المختلفة خلال هذه الفترة مثل الجهاد الذي حصل في البوسنة (1996/1994) وكذلك في الشيشان خلال نفس الفترة وما تلاها والذي ما زال مستمرا. وكذلك المواجهة البطولية التي قام بها المجاهدون في الصومال. وكذلك حركات الجهاد القديمة والمستمرة خلال هذه المرحلة في الفلبين وكشمير و ارتيريا وبورما واندونيسيا وغيرها من الجبهات التي اشتعلت أو كانت مشتعلة واستمرت ضد الصليبيين وغيرهم من الكفار المستعمرين.
- بالإضافة لبعض العمليات التي قام بها تنظيم القاعدة ضد التواجد الأمريكي في المنطقة والتي كان أهمها عمليات تفجير سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السلام ونسف البارجة الأمريكية كول في عدن. ثم كان آخرها العمليات الانتحارية في نيويورك وواشنطن (11- سبتمبر2001) والتي افتتحت فصلا جديد من المواجهة بين الصليبيين والمسلمين وغيرت وجه التاريخ ومعطيات الصراع.

وبالنظرة الدارسة لمعادلة الصراع بين المسلمين والحملات الصليبية الثالثة منذ 1990 وإلى احتلال العراق 2003 نجد أن معادلته قد أخذت الشكل التالي:

أمة اليهود(على رأسها إسرائيل) + أمة النصارى(على رأسها أمريكا وبريطانيا ودول الناتو وروسيا) + طوائف حكام الردة في العالم الإسلامي + قوى المنافقين وعلى رأسها المؤسسة الدينية الرسمية وعلماء السلطان ومن فسد من قيادات الصحوة في بلادنا × التيار الجهادي المسلح جماعات وأفراد ⟵

هزمت قوى المقاومة.. وحصر التيار الجهادي.. وشلت الصحوة الإسلامية.. وخرجت الأمة من المعركة.

● وقفه تأملية مع معادلات الصراع بين المسلمين والحملات الصليبية الثلاثة:

وجدنا أن معادلات الصراع كانت مع تلك الحملات على الشكل التالي:

الحملات الصليبية الاولى (1291/1050): وكانت معادلاتها:

أمة الصليب × أمة الإسلام ⟵ انتصرت أمة الإسلام (1)

الحملات الصليبية الثانية (مرحلة الإستعمار القديم) (1970/1800):

أمة الصليب + أمة اليهود × أمة الإسلام ⟵ انتصرت أمة الإسلام (2)

الحملات الصليبية الثانية (مرحلة الإستعمار الحديث) (مرحلة الإستقلال):

أمة الصليب + أمة اليهود + طوائف الحكومات المرتدة × الصحوة الإسلامية ⟵هزمت الصحوة الإسلامية وخرجت الأمة من المعركة (3)

الحملات الصليبية الثالثة (المرحلة الأمريكية) (1990-2003):

أمة اليهود(على رأسها إسرائيل) + أمة النصارى(على رأسها أمريكا وبريطانيا) + طوائف حكام الردة في العالم الإسلامي + قوى المنافقين وعلى رأسها المؤسسة الدينية الرسمية وعلماء السلطان ومن فسد من قيادات الصحوة في بلادنا × التيار الجهادي المسلح جماعات وأفراد ⟵ هزمت قوى المقاومة.. وحصر التيار الجهادي.. وشلت الصحوة.. وخرجت الأمة من المعركة (4)

وإذا أردنا أن نضع بعض الملاحظات التوضيحية لمزيد من الفهم لهذه المعادلات التاريخية الرهيبة وما نستخلصه منها من دروس عظيمة كي ندرك أسباب الهزيمة ونتلمس مقومات النصر حيث حصل كي يتكرر بإذن الله نجد من ذلك:

1. إن أول ما تطالعنا به هذه المعادلات من حقائق أن خلاصتها أننا انتصرنا في المعـادلتين (1) و(2) وانهزمنا في (3) وانسحقنا في (4) وواضح تماما أننا انتصرنا عنـدما واجهـت الأمة عدوها عسكريا رغم الفارق الهائل في العدد والعتاد، وفي واقعنا المعاصر الحالي أمثلة متكررة على هذا كما حصل في أفغانستان عندما واجهت الأمة عـدوها بكامـل طبقاتها وتكرر ذلك بشكل جزئي في الشيشان وفي البوسنة رغم أننـا في زمـن الهزيمـة والتراجع.

وكذلك توضح المعادلات أننا انهزمنا عندما واجهت شريحة محدودة العدو ووقفـت الامة تتفرج عليها وانسحقنا عندما خرجت معظم هذه الشريحة من المواجهة بل وانضـم قسط مـن الأمـة إلى العـدو ولم يبـق في المواجهـة إلا حفنـة قليلـة مـن الجهـاديين. وكـأن المعادلات يمكن اختصارها ببساطة بمعادلتين:

أمة الإسلام × أمم الكفر ⟵ انتصرنا

نخبة من الأمة × أمة الكفر + منافقي الأمة ⟵ انهزمنا

فأول الدروس المستفادة من هذه العبرة والمعادلات هو أن علينا أن نعيـد الأمـة إلى المواجهة بحيث (تعود المواجهة معركة أمة وليست صراعات نخبة) كما هـو حاصـل الآن. وأول ما يستلزم هذا أن تقنع النخبة الأمة بأن من وقف مع العـدو لـيس منهـا وإنمـا مـن العدو (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) وأن مواجهته من صميم الجهاد وليست فتنة.

2. أن الأمة قد تحركت لما توفرت لها المرجعية الشرعيـة القـدوة التـي تحركهـا في حـين لم تستطع الصحوة ولا نخبتها الجهادية أن تشكل مرجعية تقنـع الأمـة بـالتحرك معهـا وأن على أي نخبة ستتصـدى للمقاومـة أن تعمـل عـلى أن تشـكل مرجعيـة تشـمل قيادات الجهاد وعلمائه ومفكريه ورموزه وأن تلف الأمة من حولها.

3. أن العدو قد انهزم أمامنا في ساحات المواجهة العسكرية ولكنه انتصر علينا عندما مهد لغزوه بغزو فكري حضاري وفكك البنى التحتية التي تولد بـذور المقاومـة في الأمـة وأن علينا أن نبدأ بترميم هذه البنية بالإضافة لما يجب من إطلاق المقاومة كما اشرنا آنفا.
4. أن اليهود قد دخلوا الحملات الصليبية الثانيـة كعـنصر مسـاعد في الإسـتعمار القـديم. ولكنهم تحولوا إلى طليعة قائدة ومحركة للحملات الصليبية الثالثة. ويجب علينـا أن نواجههم بهـذه الصـفة ونعطـي تـدمير طليعـتهم إسرائيـل وأداتهـم أمريكـا أولويـة تناسب حجم دورهم وخطره في المرحلة القادمة.
5. تبين المعادلتين (3) (4) أن المرتدين قد حسموا المعركة لصالح العدو الصليبي اليهـودي عمليا، وذلك بخداع الأمة بانتمائهم المزيـف للمسـلمين وهـويتهم الوطنيـة المـزورة. فيجب على طلائع الجهاد والمقاومة وإعلامهم الموجـه وقيـاداتهم المفكـرة والمنظـرة لمسـتقبل العمـل أن تعيـد إبـراز دور المحـرك الأسـاسي للمرتـدين وهـم الصـليبيون وتحريك المقاومة تجاههم لأن ذلك سيعيد إدخال الأمـة في المعركـة ويقنعهـا بقتـال المرتدين تبعا للصليبيين على أنهم جزء من العدو الحقيقـي والأسـاسي وأنهـم ليسـوا أكثر من مجرد ستار له.
6. تـبرز المعادلـة الأخـيرة دور أمريكـا كقـوة قائـدة للحمـلات وككتلـة رئيسـية في الـوزن العسكري مما يعطي مواجهتهـا أولويـة كـبرى كـما يلفـت النظـر بفهـم التناقضـات الداخلية داخل الحلف الصليبي وما بين محاوره الثلاثة (أمريكـا – بريطانيـا / أوربـا الغربية /روسيا) إلى ضرورة العمل على فك هذا الحلف والإنفراد بـالمحور الصـهيوني الأمريكي ما أمكن ذلك وسيأتي تفصيل على هـذا في النظريـة السياسـية مـن الفصـل الثامن إنشاء الـلـه.
7. من خلال المتابعة نجد أن الشعوب الأوربية كلهـا قـد وقفـت وراء جيوشـها وملوكهـا داعمـة مؤيـدة في الحمـلات الصـليبية الأولى وكـذلك في الثانيـة. ولكن انتشـار مفـاهيم التواصـل الحضـاري وحركـات السـلام في كثـير مـن شرائح المجتمع الأوروبي وازدياد المعرفـة بالإسـلام في أوربـا جعـل جماهـير

غفيرة مليونيـة العـدد تقـف موقـف المعارضـة والشـجب لتلـك الحمـلات حتـى في بريطانيا. في حين وقفـت الغالبيـة السـاحقة مـن المجتمـع الأمـريكي المتصـهين وراء رئيسها الصليبي المتهود بوش وعساكره وهذا أمر يجب التفكـير فيـه ونحـن نصـيغ نظريات المقاومة القادمة.

8. إن نظرة في الصورة الأخيرة للمعادلة نجدها قد عادت إلى صـيغتها أيـام الاسـلام الاولى لتكون:

يهود + نصارى + مشركين + مرتدين + منافقين × المؤمنين المجاهدين

وهكذا نعود كما بدأنا، ويعود الإسلام وأهله المؤمنون المصـابرون غربـاء كـما بـدؤوا غرباء.. فطوبى للغرباء من الأولين والآخرين ونسأل اللـه أن يجعلنا منهم.

9. الملاحظة الأخيرة. وهي في غاية الأهمية وتشـكل ركنـا أساسـيا في فهـم طبيعـة صراعنـا الحالي ويجب أن تكون ركنا أساسيا من العقيدة الجهادية للمقاومـة في هـذا الـزمن وهي الفقرة الهامة التالية:

- دور المتخاذلين من علماء السلطان. والفاسدين من قيادات الصحوة الإسلامية في هزيمة الأمة المسلمة

وطليعتها المجاهدة أمام الأعداء:

أمام الحملات الصليبية المعـاصرة خـلال الإسـتقلال ولاسـيما بعـد الحملـة الصـليبية الأمريكية الجديدة.

فكما مر معنا في الفصل السابق عن كيفيـة نشـوء مدرسـة علـماء السـلطان في التـاريخ الإسلامي منذ تحول الخلافة الراشدة إلى الملك العضوض ثم الجبري ثم قيام حكم الطواغيـت. وكيف اتبع المسلمون سنن من كان قبلهم من اليهود و النصارى. وأصبحت السلطة فيهم كما كانت عبر التاريخ في كل الممالك الضالة تقوم على (الحاكم والكاهن والأعوان). فقـد اصـطف علماء السلطان على أبواب سلاطين بني أميه منذ النصف الثاني للقرن الأول الهجري ولم يمـض على وفاة رسول اللـه صلى اللـه عليـه وسـلم إلا خمسـين سـنة. وسـجلت لنـا أقـوال علـماء

الحق الذين اعتزلوا أبواب الأمراء بعض النصوص في نهي أولئك والتشنيع عليهم وتحذير العامة من فسادهم ؟.. فقد قام في مقابلة ذاك الفريق التعيس من علماء السلطان علماء للحق صدعوا به واحتسبوا على الأمراء وقاموا بحق اللـه في الحكام والمحكومين. وما زالت هذه الطائفة تقل في حين تتوسع فرقة علماء السلاطين مع الوقت و تفسد دورها مع ازدياد وتطور فساد الملك من العضوض إلى الجبرية إلى ملك الطواغيت إلى أن قامت اليوم فئة علماء الإستعمار وفقهاء البنتاغون وجهز آلات حرب الأفكار من علماء مكافحة الإرهاب تحت قيادة رامسفليد.. ! ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وقد كان دور هذه الفئة الخبيثة من علماء السلطان محدودا في تأييد الحملات الصليبية الأولى حيث وقفت الأمة ومرجعياتها الدينية في وجه ذلك الغزو الصليبي. واقتصر دور الفاسدين منهم على تأييد الملوك والأمراء الذين خانوا أمتهم وتعاونوا معهم من أمثال الصالح اسماعيل أيوب ملك دمشق الذي والى الصليبيين وأدخلهم أسواق دمشق وباعهم السلاح وملكهم بعض حصون المسلمين وكذلك بعض أمراء الأندلس الذين تعاونوا مع النصارى وملكوهم حصون المسلمين وتعاونوا معهم.وقد ذكرت وثائق التاريخ طرفا من ذلك من مثل ما قاله الإمام ابن حزم الذي عاش ذلك الحين في القرن الخامس الهجري أي الحادي عشر الميلادي. قال ابن حزم عن أمراء الأندلس في زمانه، في كتابه (التلخيص في وجوه التخليص):

[فهذا أمر امتحنا به نسأل اللـه السلامة. وهي فتنة سوء أهلكت الأديان إلا من وقى اللـه تعالى. لوجوه كثيرة يطول لها الخطاب. وعمدة ذلك ؛ أن كل مدبر مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه، أولها عن آخرها محارب لله ورسوله صلى اللـه عليه وسلم، ساع في الأرض بالفساد. للذي ترونه عيانا من شنهم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التي تكون في ملك من ضادهم. وإباحتهم لجندهم قطع الطريق. ضاربون للجزية والمكوس والضرائب على رقاب المسلمين. مسلطون لليهود و النصارى على قوارع طرق المسلمين.

معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الـلـه. غرضهم منها استدامة إنفاذ أمرهم ونهيهم.

فلا تغالطوا أنفسكم، ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع. المزينون لأهل الشر شرهم. الناصرون لهم على فسقهم.

فالمخلص لنا منها ؛ الإمساك بالألسنة جملة وتفصيلا إلا عن أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر وذم جميعهم. والـلـه لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية لأمورهم لبادروا إليها.فنحن نراهم يستمدون النصارى، ويمكنون لهم من حرم المسلمين، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعا، فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس.

لعن الـلـه جميعهم وسلط عليهم سيفا من سيوفه. فمن عجز عن ذلك رجوت أن تكون التقية تسعه. وأن ينكر بقلبه. هذا مع أنه لو اجتمع كل من ينكر بقلبه لما غلبوا على أمرهم) أهـ

وهكذا لم يغفل الاستعمار الصليبي الذي قاد الحملات الصليبية الثانية منذ القرن السابع عشر وإلى منتصف القرن العشرين دور هذه الشريحة الخبيثة في إسناد احتلاله وإجهاض المقاومة وتجفيف جذورها في الأمة. فكما لم يهمل ملوك وسلاطين المسلمين في تلك الحقبة دورهم في تركيع الشعوب واستعبادهم وانتزاع طاعة الناس لهم. لم يهمل المستعمر ذلك.. فقد استطاع الإنجليز في كل مكان احتلوه من العالم الإسلامي تجنيد بعض العلماء و. بعض الصوفية أئمة الطرق لهم في مصر والسودان وشبه القارة الهندية وغيرها. فقد كتب (كرومر) المندوب البريطاني المشرف على استعمار مصر كثيرا من الرسائل إلى محمد عبده (شيخ الأزهر) في حينها وأثنى عليه وعلى تعاونه. ولما مات محمد عبده كتب (كرومر) إلى حكومته ينعي فيه أخلص أصدقاء بريطانيا في مصر!! حيث كان لمحمد عبده وأستاذه الأفغاني من قبل دورا بارزا في حركة التغريب والغزو الفكري في أوساط المسلمين بل وصل الحد إلى أن يكونوا أعضاءا في أول محفل ماسوني في الشرق الأوسط !!

بل ذهب الإنجليز لأبعد من استخدام علـماء السـلطان، فلقـد اسـتحدثوا مـذاهب جديدة من العدم وأوجدوا لهـا ملايـين الأتبـاع مـع الوقـت في شـبه القـارة الهنديـة مثـل مذهب القاديانية. والبهائية وسواها.. الذي كان أهم أهداف استحداثه أنه يسقط الجهاد ضد الإنجليز.. كما استطاعت فرنسا تجنيد بعض علماء الشام وشمال إفريقيا وأئمـة بعـض الطرق الصوفية الذين أفتوا بأن(فرنسا قدر اللـه). ومن يحاربها فهـو كمـن يحـارب قـدر اللـه ويرفض ما قدر وكتب على المسلمين!

كما لعب بعض علماء المسلمين وشيوخ الطرق في وسط آسـيا والممالـك الإسـلامية في القفقاس وما حولها دورا بـارزا في النفـاق للقيـاصرة وللثـورة البلشـفية وللينـين ولسـتالين ذاته... والوثائق متوفرة لمن أراد جمعها وليس هنا محل الاستقصاء.

فلما رحل الإستعمار وقامت الحكومات الوطنية والأحزاب السياسية المحلية صار لكل حزب شيوخ وعلماء دين في حملاتهم الانتخابية وقوائمهم من المرشحين. وصار لكـل حكومـة منذ ذاك الوقت وزراء أوقافها ومراجع إفتـاء تنـافق لهـا.. ومـما يـذكر في سـوريا أن (أحمـد كفتارو) وزير الأوقاف وطيلة حكم النصيرية في سوريا منذ 1970 وإلى اليوم (أي طيلـة عهـد حافظ أسد وابنه بشار). كان سنة 1954 يقود الحملـة الانتخابيـة (لخالـد بكـداش) مؤسـس الحزب الشيوعي السوري واللبناني. الذي أدخل الإلحاد والشيوعية إلى بلاد الشـام. فقـد قـاد حملته الانتخابية في المساجد! في مواجهـة الحملـة الانتخابيـة للإخـوان المسـلمين ومرشـحها الدكتور مصطفى السباعي رحمه اللــه. فقـد كـان يخطـب اثـر صـلاة الجمعـة في المسـجد الأموي ليثني على خالد بكداش الذي يصلي سنة الجمعة البعدية ثمان ركعـات! فـيما ينتظـر الناس والشيخ فراغه من النوافـل حتـى يبـدؤوا الحملـة الانتخابيـة.. فتأمـل !! وهكـذا كـان لحزب البعث علماء سلطة في سوريا حتـى وقـف الشـيخ الـدكتور العلامـة (سـعيد رمضـان البوطي) في محاضرة في استانبول في تركيا يقول لما سألوه عن مذبحة حماة التي راح ضـحيتها زهاء 50 ألف مسلم من الشعب المسلم السني على أيـدي الجـيش النصـيري وقائـده حـافظ

أسد. قال البوطي: (لقد تترس بهم المجرمون (يقصد المجاهدين لما انتفضت المدينة مع المجاهدين) فحل لولي الأمر أن يقتلهم)! ومشاهد البوطي كثيرة يطول ذكرها هنا حتى كان آخرها أنه أم صلاة الجنازة عند موت حافظ أسد وخنقته الدموع وهو يدعو رافعا صوته لينقل التلفزيون الرسمي دعاءه (الجهري!) في صلاة الجنازة فقال: (اللـهم إنا – أي هو ومن يصلي خلفه من الإستخبارات وكبار النصيرية والبعثيين – أنه - أي حافظ اسد- قد لقيك يشهد أن لا إله إلا أنت وان محمدا عبدك ورسولك اللـهم اجمعنا (أي الحفل الكريم وإمامهم البوطي) معه في الفردوس الأعلى !!!!!!!!. وللبوطي هذا صولات وجولات في دعم الحكومات اللبنانية (النصرانية) والأردنية (الماسونية) وبعض حكام دول الخليج. وكان له مقام رفيع في الندوة الحسنية عند الملك الحسن الثاني في المغرب. وكتاب البوطي العجيب (الجهاد كيف نمارسه وكيف نفهمه) الذي توصل فيه إلى أن المجاهدين للحكام في هذا الزمان ليسوا شهداء حق ولا بغاة حتى!! وإنما مفسدون في الأرض حكمهم أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض !... وكان من آخر مآثره وقوفه بشراسة مع حكومة الجزائر ضد الانتفاضة الجهادية في الجزائر قبل أن تستولي الاستخبارات على قيادتها! ولم يعجبه ولا حتى الجبهة الإسلامية للإنقاذ فحمل عليها واعتبرها خارجة على الحكومة الشرعية!!.

وفي مصر كان لعبد الناصر في مصر بعض شيوخ الأزهر الذين أفتوه بقتل سيد قطب وإخوانه وبعدم جواز توبتهم بعد أن قدر عليهم. وكان للسادات من بعده في مصر فقهاء للتطبيع والسلام مع اليهود مثل الشيخ الشعراوي الذي كتب القصائد في مدح فاروق ثم كتب الشعر في الثناء على إنقلاب عبد الناصر ضد الملك فاروق ! وامتدح الأخير! ثم ألَّه السادات وكان هو الذي رد على من عارض السادات بعد زيارته الخيانية للقدس بقوله بأن الرئيس هو بمنزلة من لا يسأل عن ما يفعل وهم يسألون!! فأنزله منزلة الرب سبحانه وتعالى عما يجحد الجاحدون ! ثم نافق الشعراوي لمبارك حتى قبيل أن يلتئم عليه قبره بأيام في واقعة مشهودة.. وهو الذي قرأ البيان الذي وقع عليه ستة من العلماء منهم

شيخ الأزهر ومفتي الدولة ووزير الأوقاف والشيخ محمد الغزالي والشيخ القرضاوي وجاء فيه أن ما يجري من أعمال عنف ضد الحكومة ليس جهادا وإنما إرهابا محرما وقالوا بالحرف:(ذلك بأننا لا نعلم بأن حكام مصر قد ردوا لله حكما) ! وكان ذلك في عهد حسني مبارك الذي ورث العرش الفرعوني فورث معه من ضل من سحرة مصر وكهانها. فلم يرو أنه رد لله حكما في (مصر) ! البلد المسلم الذي تدفع فيه العاهرات ضريبة الدخل بموجب القانون لوزارة المالية باعتبارهن من مرافق السياحة!!.وأما سلسلة الطنطاويات من فتاوى شيخ الأزهر الأخير (سيد طنطاوي) فأشهر من أتذكر وأكثر من أن تحضر. وكان آخرها دعمه لفرنسا في منع المسلمات من لبس الحجاب..!

ولكن الأنكى من الدور البشع الذي لعبه علماء السلطان إلى جانب حكومات الطواغيت والحملات الصليبية الثانية والثالثة، هو الدور المفاجئ الذي لعبه بعض الفاسدين من قيادات الصحوة الإسلامية ذاتها. فإذا كان العلماء المنافقون قد لعبوا دور مفتي السوء إلى جانب السلطة، فقد دخل بعض قيادات الصحوة أولئك في السلطة ذاتها وصاروا من أركانها بدعوى المصلحة وفن الممكن. كما سنرى في الفصل القادم إنشاء الله. وهكذا وبصفتهم يمثلون الدين والعمل الإسلامي وينتمي بعضهم إلى قطاع العلماء. فتكامل البلاء بهم ليكوّنوا مع علماء السلطان والمؤسسة الدينية الرسمية عكاز الكهانة إلى جانب الحكام.

الفصل الخامس

مختصر مسار الجماعات

الاسلامية المسلحة

(1930-2003) م

الفصل الخامس

مختصر مسار الجماعات الاسلامية المسلحة

(1930-2003) م

سقطت الخلافة العثمانية عام 1924 رسميا بعد أن بدأت مرحلة الذبول منذ مطلع القرن التاسع عشر وماتت فعليا مع مطلع القرن العشرين. وكانت الدول الصليبية قد قصمتها من أطرافها ثم تقاسمت إرثها لما أعلن هذا السقوط.

كانت بوادر صحوة إسلامية قد بدأت تولد منذ أواسط القرن الثامن عشر. وقد حاول بعض روادها ترميم الدولة العثمانية وإصلاحها والتعاون مع صلحائها والتوجهات الحثيثة للسلطان عبد الحميد في الإصلاح ولكن لم يكن للعطار أن يصلح ما أفسد الدهر. فسقطت الدولة وبدأت مرحلة الإستعمار وغابت الخلافة منذ ذلك الحين أي قبل 79 سنة. فحصل ردة فعل في العالم الإسلامي على هذا الزلزال. تمخضت عن ميلاد صحوة إسلامية مختلفة المشارب والأهداف تسعى كلها في النهاية إلى إعادة الخلافة واستعادة الحكم الإسلامي والنهضة الإسلامية.

وكان أبرز مدارس الصحوة وبؤرها الناشئة ما يلي:

- مدرسة الإخوان المسلمين:

وقد أسسها حسن البنا رحمه الله عام 1928. ووضعت إعادة الخلافة شعارا وهدفا لها. وقد جعل حسن البنا برنامج حركته وأسلوبها مختصرا فيما صاغه بقوله وشعاره:

(الله غايتنا. الرسول قدوتنا. القرآن دستورنا. الجهاد في سبيلنا. الموت في سبيل الله أسمى أمانينا.) وقد انتشرت جماعة الإخوان المسلمين في مصر حتى دخلت معظم مدنها وقراها وأصبحت أكثر الجماعات التي عاصرتها في مصر وما حولها. وخلال مدة وجيزة انتشرت في بلاد الشام. وانضوى فيها عدد من

الجمعيات الإسلامية والحركات واستقطبت كثير من الكوادر والشخصيات ونمت حتى صار قواعدها بعشرات الآلاف. ومن ثم تمددت لتنتشر في مختلف بلاد العالم العربي والإسلامي حيث قامت جماعات إما بنفس الاسم وإما بأسماء محلية ولكنها تنطلق من نفس القواعد وتقوم على نفس الأسس. ويمكن تلخيص منهج دعوة الإخوان المسلمين لما قامت على أنها حركة مزيج من بعض الأفكار السلفية وبعض الأصول الصوفية والنزعة الجهادية والبنية الحركية التنظيمية مع توجهات سياسية واضحة بالإضافة لوجود ملامح للروح القومية والعاطفة الوطنية. وقد مارس الإخوان بحسب ظروف كل بلد النشاط السياسي وخاضوا الإنتخابات. وكان لهم مساهمات جهادية في فلسطين، وضد الإنجليز في مصر. وصار لهم مع الوقت مشايخهم ومؤلفاتهم ومكتبتهم الواسعة. كما اعتمدوا منهجا متميزا تطور مع الوقت وتبدلت ملامحه ومارسوا التربية والدعوة بموجبه.

وتعتبر حركة الإخوان المسلمين بحق كما يدعونها (الجماعة الأم) لمعظم الحركات الأصولية السياسية، وحتى كثير من الجهادية في العالم العربي والإسلامي. وقد ولدت حركة الإخوان المسلمين حركات بأسماء أخرى كما أن تجمعات شبابية حملة فكرها وأعطت لأنفسها أسماء محلية ولكنها كانت كلها جماعات خرجت من نفس العباءة.

فكان من تلك الجماعات التي نشأت مستقلة في بلادها على هذه الطريقة. - الجبهة القومية السودانية – حركة الإتجاه الإسلامي في تونس والتي تحول اسمها إلى حركة النهضة – حركة حماس في الجزائر التي أسسها محفوظ النحناح والتي تحولت إلى حركة مجتمع السلم – حركة النهضة الجزائرية – حركة الإصلاح والتجديد في المغرب – حركة الطلائع الإسلامية التي أسسها الشيخ عصام العطار في ألمانيا وانتشرت بين المهاجرين والطلاب في أوربا....إلخ.

● حركات قريبة فكريا من منهج الإخوان: في بعض بلدان العالم الإسلامي مثل حزب السلامة في تركيا الذي تحول اسمه إلى حزب الرفاه ثم حزب الفضيلة.

ومثل الجماعة الإسلامية في باكستان. ومثـل ذلـك بعـض الجماعـات في جنـوب شرق آسـيا الإسلامي.

- حزب التحرير الإسلامي:

أسسه الشيخ الفلسـطيني (محمـد النبهـان).وقـد نشـأ في الأردن وفلسـطين وانـتشر حزب التحرير في الأربعينات رفع أيضا ولكنه تميز بأنـه كـان أكـثر مـيلا للتربيـة والتوجيـه السياسي وطرح نظرية إقامة الدولة الإسلامية بعـد تـوفر الـنصرة والشـوكة للـدعوة التـي تهاجر إلى مكان حصول ذلك وجعل الجهـاد متوقفـا عـلى حصـول ذلـك ومـال إلى العمـل السري وتبنى مبدأ العمل الانقلابي في بعض البلدان.

- المدارس الإصلاحية التربوية:

التي تبنت نشر الـوعي الـديني والتأسـيس العلمـي لإعـادة بنـاء البنيـة التحتيـة في المجتمعات المسلحة كحركة جمعية العلماء المسلمين في الجزائر وقد فرجت هذه المدارس أرضا لرؤية السياسية بمفهـوم المقاومـة الحضـارية والمدنيـة الاسـتعمار وصـولا إلى تأهيـل الناس الجهاد.

- جماعات التبليغ والدعوة:

وما شابهها في الطريقة والمنهج. وقد ولدت هـذه الحركـات في شـبه القـارة الهنديـة وكانت فكرتها تقوم على إصلاح الفرد المسلم عـلى مسـتوى العبـادات والسـلوك وتأسـيس قاعدة من الأساسيات الشرعية والتفرغ لذلك بعيدا عـن معتركـات السياسـة ومصـادماتها حتى تتمكن الحركة من الانتشار دون أن تعرقل السلطات ذلك وقد امتدت الحركة وصار لها ملايين الأتباع والمريدين وتقوم فكرتها على أن يبذل المنتسب لها جزءا مـن وقتـه عـلى المستوى اليومي والأسبوعي والشهر والسنوي للخروج في سـبيل اللـــه في رحـلات دعويـة من مسجد إلى مسجد حيث يلتقون الناس ويدعونهم إلى الصلاح والدين والالتزام...

- الحركات السلفية ومدارس أهل الحديث:

وهي حركات وجدت أن كثيرا من البدع قد لحقت معتقدات المسلمين وأميتت في مقابلها الكثير من السنن وأن كمية الشركيات والضلالات قد ألغت أصل الاعتقاد والصحيح لدى أكثر المسلمين حتى كادت تخرج عن أصوله وأن طريق الفلاح هو في الدعوة أساسا إلى تجريد التوحيد وتصحيحه كأساس لإصلاح الفرد والمجتمع يصل تلقائيا إلى تأهل المجتمع لقيام الحكم الإسلامي. وقد كانت معظم الحركات السلفية في العالم العربي والإسلامي أشبه بطريقة علمية تربوية.أن الحلف الذي قام بين المؤسسة الدينية الحكومية والأهلية والحكومة ساهم في قيام حركة نشطة من التدريس في الجامعات وقيام الجمعيات والمؤسسات الرسمية والأهلية بنشر الدعوة وأفكار مؤسسها وأحفاده وعلماء الدعوة من بعدها وإحياء تراث الشيخ ابن تيمية وسواه من أئمة الدعوة السلفية كابن القيم والشاطبي وسواهم وأوى نشر تلك المؤلفات وما يبنى عليها إلى زيادة انتشار الدعوة السلفية ومدارس أهل الحديث في العالم العربي و الإسلامي.

ولقد ولدت حركات فيما بعد من خلال اندماج أفكار بعض الحركات ببعضها. فولدت الحركة المسماة (السرورية) نسبة إلى أحد دعاتها وهي نوع من فكر الإخوان الحركي والتوجه السلفي. كما ولد التيار المسمى (السلفية الجهادية) وهي فرع من الفكر القطبي والدعوة السلفية مدارس معاصرة وليدة مدارس قديمة، كذلك بعض الجماعات الصوفية الحركية التي مزجت بين التربية والتصوف والتوجهات السياسية كما في شمال أفريقيا وغير ذلك.

وخلال هذه الفترة (1930-2000) التي نغطيها بالتحليل الموجز. نشأت كذلك بعض الحركات الصوفية الجهادية كتلك التي نشأت في شبه القارة الهندية ووسط روسيا وكذلك شمال أفريقيا في هذه الفقرة.

وهكذا قام كثير من الدعاة والعلماء والخطباء والكتاب والمفكرون الإسلاميون بالتأثير في مسارات الصحوة بحسب نشاطاتهم وعطائهم. و انتشرت ظواهر التدين والعودة للالتزام من انتشار الحجاب واللحى ومظاهر الالتزام

وازدهار حركة الطباعة والنشر والتجارة في الكتب الإسلامية المختلفة وطباعة المجلات والجرائد الإسلامية ونشطت كثير من المساجد بالدعوة وحلقات العلم والذكر والإصلاح والمؤسسات والجمعيات الأهلية في مختلف صنوف البر والتقوى ودخل مختلف أنواع الإسلاميين جماعات وأفراد معترك الحياة السياسية والفكرية والأدبية كما قامت العديد من الصدامات العنيفة بين الإسلاميين وبعض الحكومات..وباختصار فرضت ظاهرة الصحوة الإسلامية نفسها على المجتمعات الإسلامية وصارت معلما بارزا من تاريخهم المعاصر.

- الأطوار الرئيسة التي مرت بها الصحوة الإسلامية:

يمكن أن نميز مسار الصحوة الإسلامية منذ انطلاقها وإلى اليوم أربعة أطوار رئيسية من حيث بنيتها الحركية والمنهجية وأدائها وسماتها العامة في كل مرحلة:

أولا:المرحلة الأولى (1930-1965) (مرحلة النشأة):

ويمكن أن تسميها مرحلة (ما قبل التبلور) وأهم ما يميز هذه المرحلة أن السمات العامة للصحوة كانت مختلطة من حيث التكوين المنهجي ولاسيما في تيارها العام مثل حركة الإخوان المسلمين. وما شابهها فقد اختلطت فيها المؤثرات الصوفية الآتية من البنية الكلاسيكية للمرجعية الدينية للأمة خلال المرحلة العثمانية، مع المؤثرات السلفية التي هبت مع رياح التجديد والإصلاح التي كان أبرزها ميلاد وانتشار الدعوة الوهابية في الجزيرة العربية. منذ القرن الثامن عشر وما واكبها من دعاة لهذه المدرسة في مناطق أخرى. ممتزجة بشيء من المشاعر القومية التي ظهرت أواخر الدولة العثمانية كرد فعل على سياسة (التتريك) التي طبعت آخرها، مما حفز الشعوب الاخرى لاسيما العرب وغيرهم على العصبية القومية والالتفاف حولها كما اتسمت مدارس الصحوة ومناحيها بالتهاب الشعور الوطني لأن المرحلة كانت مرحلة مواجهة استعمار. كما طبعها أسلوب التربوية والإصلاح السلوكي...

وكانت فترة غنية نسبة بالمؤلفات التأسيسية لتلك المدارس. كما مارس أكثر رموز وجماعات الصحوة الجهاد بشكل أو بآخر ضد المستعمرين عبر الجهاد المسلح، أو عبر المقاومة المدنية والعمل السياسي.

ثانيا:المرحلة الثانية (1965-1990) وهي مرحلة (التبلور و التمايز) المنهجي والهيكلي لحركات الصحوة:

وذلك خلال مرحلة الإستقلال تحت حكم الحكومات الوطنية التي طبعتها العلمانية والتبعية للاستعمار، بعد ذهابه كما مر معنا في الفصول السابقة. حيث هبت رياح التغريب وانطلاق سعار الغزو الفكري الذي نشر المذاهب العلمانية والتيارات القومية والوطنية والمدارس السياسية والفكرية ذات المنشأ الغربي كالديمقراطية والاشتراكية والرأسمالية والشيوعية وغيرها... ونظرا لقيام حكومات على مفاهيم تناقض الدين واصطدامها بشكل طبيعي مع مختلف مدارس الصحوة التي لعبت الدور الأساسي في مواجهة الاستعمار. وتمكن تلك التيارات العلمانية من قطف ثمرة جهود حركات تلك الصحوة والشعوب التي جاهدت الاستعمار تحت شعار الإسلام. طرحت على الصحوة إشكالات منهجية نتيجة الوضع الجديد ومسائل فقهية يجب أن تحدد منها موقفا سياسيا شرعيا وعمليا. فالحكام مسلمون ظاهرا، ويحكمون بغير ما أنزل الله واقعا. وهم وأعوانهم يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس. ويوالون الكفار ويعاونونهم على المسلمين!. وهناك أجزاء ما تزال محتلة ولاسيما فلسطين ومشكلتها المزمنة وموقف الحكومات الخياني منها... ومسألة الصدام مع السلطات أم مهادنتها، مفارقتها أم موادعتها.. أم مفاصلتها ومواجهتها؟ أم الدخول فيها من بوابة الممارسات (المشروعة) ! و(القانونية) و(الدستورية) !.. هذه الأحوال فرضت على الصحوة أن تتمايز صفوفها وتتبلور بناء على موقفها من هذه المسائل وطريقة تعاملها مع السلطات المرتدة الحاكمة الغاشمة. ومن المسائل الفكرية والعقدية المطروحة... وانقسمت بذلك الصحوة إلى أربع مدارس رئيسية، حيث استمرت الصحوة بالنمو والعطاء ولكن من خلال التمايز في بنيتها ومناهجها، هذه المدارس هي:

1. صحوة غير سياسية:

وهي المدارس والتيارات والجماعات التي رأت السلامة لمسار الدعوة ولأصحابها في اعتزال السياسية والعمل من خلال الدعوة والإصلاح كل بحسبه

ورغم اختلاف منظورات كل مدرسة من هذه عن غيرها وربما تناقضها كليا إلا أنها التقت إزاء المشاكل المطروحة على الأمة على نقطة اعتزال السياسة والبعد عن معتركها ومن هذه المدارس الغيرسياسية أكثر الحركات الصوفية ومساجدها وزعاماتها والذين عادوا لتبني مبدأ التربية السلوكية والعبادة وإصلاح علاقة الفرد بربه حتى بلغ بأحد أقطابها الكبار في بلاد الشام شيخ الطريقة القادرية في وقته في سوريا وما حولها أن يلقن أتباعه عند الانتساب للطريقة أن يصلوا ركعتين ابتدعهما لهم ينوي فيها المصلي قائلا (أصلي لله تعالى ركعتين سنة ترك السياسة.. الله أكبر ويستفتح الصلاة)...

ومن هذه المدارس اللاسياسية(جماعة التبليغ والدعوة) بفروعها ومساجدها ودعاتها وأتباعها الجوالين في سبيل الدعوة... حيث يتولى الموجهون و المسؤولون ضبط مسألة عدم تسرب السياسة ومسائلها إلى مساجدهم ومؤتمراتهم !!

واشترك في اعتزال السياسة المدارس التي اصطلح عليها بـ (السلفية العلمية) الذين تفرغوا لإصلاح العقائد والجهد في نشر العلم الشرعي، ولاسيما في الحديث وعلومه والعقائد وفروعها وباقي أبواب العلوم الشرعية بناء على ذلك. ونشأت منها مدرسة الشيخ الألباني تحت شعار(التصفية والتربية)..

ومن المدارس التي آلت للفكر والبحث والتربية ما سمي بـ (القطبية) وهي (القطبية العلمية السلفية) أيضا والتي أخذت بالمنهج الفكري للأستاذ محمد قطب وكثير من الجوانب الفكرية لأخيه الشهيد سيد قطب رحمه الله، طارحة منهجه السياسي الحركي جانبا. ومن هذه المدارس من اتسم بالصوفية التربوية

الشبه حركية، مثل جماعة العدل والإحسان في المغرب. ومن على شاكلتها.... والفت النظر هنا إلى ما ذكرته في المقدمة بـأني لسـت هنـا بصـدد تقـديم دراسـة نقديـة مـن النـواحي المنهجية والبنيوية وذكر الايجابيات والسلبيات، وإنما بصدد التصنيف العام.

وكما قلت فقد التقت هذه المدارس على ما فيها من خلافات و تناقضات على فكـرة خلاصتها:

أن تغيير الأوضاع والنهضة بالأمة يرجـع إلى إصـلاح الفـرد. فـإذا صـلح الفـرد صـلح المجتمع وصلح حاكموه فكما تكونوا يولى عليكم. وأما مشـاكل الأمـة المحليـة والخارجيـة فليس لهم بها علاقة، وليس لها من دون الـلـه كاشفة..!

وأما الفوارق بين مختلف هـذه المـدارس في طريقـة إصـلاح الفـرد..فهـذا يـرى ذلـك سلوكيا والآخر يراه عقديا أو تربويـا أو فكريـا... وهكـذا ولم تسـتطع هـذه التوجهـات أن تقدم تصورا منطقيـا لآليـة تولـد حـلا للمشـاكل القائمـة عـبر هـذه التربيـة ولا مـدتها ولا مراحلهـا و قصـارى مـا عـبر عنـه الأسـتاذ الجليـل محمـد قطـب في أحـد كتبـه في مطلـع التسعينيات والذي كان بعنوان (حول تطبيق الشريعة) يقول بعدما عرض طريقة التربيـة للقاعدة الصلبة قال مما أذكر نصه (وعندما تمتد القاعدة الصلبة وتصبح بندقـة تسـتعصي على الكسر.. ذات يوم... يأتيها فرج الـلـه وتقـوم دولتهـا وعنـدها يـدخل النـاس في ديـن الـلـه أفواجا...!!).

وأما الشيخ الألباني [وما زلت بصدد التعريف والمثال وليس التقييم والتعليـق] فقـد كانت آخر فتاويه وهو يندد بالجهاد والمجاهدين في مواجهة الحكومات بفتواة الشهيرة:

(الخروج على الحكام في هذا الزمان هو في حقيقته خروج على الإسلام)!!!!!

كما تـدور طروحـات الصـوفية والإصـلاحية أيضـا في أفـاق المغيبـات عـن التغيير وآليته. ويبدوا لي أن بطش الحكومات وطريقة تعاملهم مـع الصـحوة في كافة البلدان أواخر الخمسينيات ومطلع عقد الستينيات ساهم إلى حد كبـير في

صياغة مدارس الصحوة اللاسياسية رغم أنه لا يمكن نفي الإخلاص ولا الحرص على سلامة الدعوة وأبنائها من وراء هذا المنهج في كثير من الأحيان من كونها السبب وراء هذا المنهج..والله تعالى أعلم.

2. صحوة سياسية:

وقد كانت هذه المدارس من الصحوة في منطلقها على النقيض تماما من سابقتها. فقد وصّف هؤلاء الحال توصيفا أقرب للصحة. فقالوا أن مشاكل الأمة ذات الأسباب الداخلية أو الخارجية هي مشاكل سياسية ولا بد أن يبحث لها عن حل من خلال ممارسة السياسة كما أن من الحيف والغلط العقدي حتى، شطب السياسة من الدين تحت أي دعوى. وأن الحل ليس في اعتزال السياسة من أجل تفادي الصدام مع السلطات وتلافي بطشها وإنما يكون ذلك من خلال اقتحام ميدان السياسة من خلال القنوات المشروعة والقانونية التي تتيحها السلطات كلا بحسبها وذلك عن طريق تشكيل الأحزاب الإسلامية والجمعيات السياسية وشبه السياسية والنشاط الفكري والأدبي والسياسي ودخول معترك الإنتخابات والديمقراطية إن وجد أو التسلل إلى أجهزة السلطات والمعارضات بحسب الإمكان وحسب أوضاع كل بلد. وقد حمل رايات هذه الصحوة السياسية أحزاب الإخوان المسلمين ومن شابههم وما انبثق عنهم من حركات مشابهة سواء تحت نفس المسمى أو تحت المسميات المحلية. وشهدت هذه المرحلة (1965-1990) وربما قبل ذلك بقليل في البلدان سريعة الاستقلال كما كان حال مصر وسوريا و الباكستان وتركيا. فقامت تجارب كثيرة في مجال الديمقراطيات (الإسلامية)! ثم تتابعت التجارب إلى مطلع التسعينيات ومازالت ولكنها دخلت بعد قيام النظام العالمي الجديد في طور جديد سنتحدث عنه لاحقا إنشاء الله ومن تلك التجارب السياسية هذه:

- تجربة الإخوان المسلمين والإسلاميين في الإنتخابات البرلمانية في سوريا بعيد الإستقلال 1946 إلى مطلع الخمسينيات إلى بدء عهد الانقلابات العسكرية منتصف الخمسينيات ومطلع الستينيات.

- تجربة الإنتخابات والحياة البرلمانية أواخر أيام الملكية في مصر قبيل إنقلاب عبد الناصر 1952.

ثم شهدت الحياة السياسية في معظم العالم العربي والإسلامي مرحلة الديكتاتوريات العسكرية والحزبية خلال الستينيات والسبعينيات. حيث كانت هذه المرحلة مرحلة تصادم بين الصحوة والسلطات.قضى معظم الدعاة و حتى السياسيون منهم قسطا من حياتهم في السجون ليخرجوا بأفكار ديمقراطية أكثر تطورا....

فشهد عهد أنور السادات في مصر انفتاحا بعد أن خلف عبد الناصر مطلع السبعينيات وفتح أبواب السجون للإسلاميين لمواجهة المد اليساري المتنامي فدخل الإخوان وبعض شخصيات الصحوة الاخرى الحياة السياسية الحزبية في مصر...

- ثم رخص الملك حسين في الأردن للإخوان وعدد من الجماعات الإسلامية مجال العمل وتطور هذا أواخر الثمانينيات ليكون مشاركة في الحياة النيابية. بل ودخل بعضهم الحكومة والوزارات.
- وفي ملكيات الخليج والجزيرة العربية والمغرب حيث شكل الإسلاميون وبعض مدارس الصحوة جزءا من حاشية السلطة الملكية ولاسيما في السعودية.
- ثم ابتدأت الكويت تجربتها البرلمانية كأول دولة في الخليج يدخل الإسلاميون فيها الحياة السياسية كأحزاب...
- ثم خاض الإتجاه الإسلامي في تونس أيضا تجربة مأساوية بزعامة الغنوشي...
- وتحالفت الجبهة الإسلامية القومية السودانية بزعامة الترابي مع جعفر النميري وصارت شطر السلطة ثم قادت انقلابا وحكمت السودان ثم عادت للمعارضة.
- وكذلك كان للإخوان المسلمين ونظرائهم من تيار الصحوة تجربتهم البرلمانية الحزبية في اليمن.

- ولكن أبرز التجارب الديمقراطية العربية، كان ما حصل في الجزائر بعد الانفتاح الذي أحدثه الرئيس الشاذلي وصعود نجم الجبهة الإسلامية للإنقاذ وتجربتها التي تشكل درسا بالغ الدلالة.
- أما على الصعيد الإسلامي فأبرز التجارب وأقربها للعالم العربي، كانت تجربة الجماعة الإسلامية في باكستان، وقد دخلت التجربة الديمقراطية الحزبية منذ وقت مبكر وما زالت إلى اليوم.
- وكذلك تجربة حزب السلامة في تركيا منذ الستينيات والتي أوصلت زعيمها أربكان مرتين إلى سدة الحكم الأولى كنائب لرئيس الوزراء أواسط الستينات، والثانية وهي الأهم سنة 1996 حيث أحرزت الأغلبية البرلمانية وتولى أربكان رآسة الوزراء سنة1995 وفي الحالتين أطاح العسكريون بالتجربة...

وبالإجمال بقيت معظم مساهمات الإسلاميين في الحياة السياسية في المعارضة وشكلت جزءا يسيرا من قوتها في البرلمانات التشريعية، ووصلت في حالات نادرة إلى السلطة التنفيذية كما في (الأردن- الجزائر- تركيا-) ولكن تم في كل الحالات تقليم أظافرها وإبعادها عن مركز النفوذ والقرار.

- ومع بداية التسعينيات لحق كثير من المدارس الغير سياسية من الصوفية والسلفية والتبليغ والدعوة وغيرهم من سبقهم من الإخوان ونظرائهم في الممارسة البرلمانية. وتسللت الديمقراطية لمعظم مكونات الصحوة الإسلامية تقريبا كما سنرى وسنأتي على شيء من التعليق حول هذه التجربة في الفقرة التالية إنشاء الله.

3. صحوة جهادية:

بعيد قيام حكومات الإستقلال على قاعدة الحكم بغير ما أنزل الله، والولاء لمن ولّاهم من القوى الاستعمارية الشرقية والغربية،اصطدمت مختلف شرائح الصحوة بهم. ومارست معظم الحكومات سياسة البطش والقتل والسجن والتنكيل. وبدأت تتفاعل تلك الأحوال وتعزز نتائجها على كافة

صعد الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعيـة وبـدأت تتكـون بـذور الثـورة عـلى ذلـك الواقع وتتكون دواعي الجهاد في فكر الصحوة الإسلامية.

لقد توصل نفر من المفكرين والدعاة الأوائل مطلع الستينيات إلى أن مشـاكل الأمـة قائمة تطول: أولها حكم الكفر وولاء الأعـداء... ولـيس أقلهـا العـدوان والظلـم و الإحـتلال وسرقة الثروات و. و. و.... وهذه مشاكل يحرس العدو بقائها عـبر نوابـه بقـوة السـلاح والحديد والنار وسلاسل السجون وسياط الجلادين وتوصلوا إلى أن مقـتضى ديـن اللــه في مثل هذه الأحوال هو أن يكون الجهاد فرض عين لإقامة حكم اللـه في الـبلاد أولا وكـذلك دفاعا عن دين الدين و الأنفس والأموال والأعراض.... فبدأت تتكون بوادر الفكر الجهادي حيث طرح فكر الحاكمية والولاء و البراء والتمايز والمفاصلة...

وكان رائد هذه الصحوة بلا منازع الأستاذ سيد قطب رحمه اللـه. وكان للأستاذ أبي الأعلى المودودي – رحمه اللـه - في باكستان مساهمة فـذة كـذلك، وتتالـت المسـاهمات وتكونت القاعدة الأولى للفكر الجهادي الحركي الـذي مـا لبـث أن انـتشر وبـدأت تتكـون نوياته في مصر ثم الشام ثم شمال أفريقيا وغيرها... وتتابعت التجارب كما سيأتي شيء من التفصيل في الفصلين التاليين إنشاء اللـه.

4. صحوة شاذة منحرفة:

نتيجة صدامات مختلف مدارس الصحوة السابقة مع طواغيت العرب والعجـم مـن حكام بلاد المسلمين ولد في تلك الظروف المأسوية تيار منحرف شاذ تمثل فيما عـرف بتيـار التكفير. أو التكفير والهجرة كـما أسـمته وسـائل الإعـلام. وقـد ولـد ابتـداء في مصر ولكـن وجدت له بذور في كل بيئة شابهت معطياتها الفترة التي ولد بها هناك.

فقـد جـاهر معظـم الحكـام بمختلـف ألـوان الكفـر والـردة مـن الحكـم والتشريع بغير ما أنزل اللـه إلى ولاء الكـافرين إلى غـير ذلـك مـن تبعـات ذلـك. واتخذ هؤلاء الحكام لهم شرطة وأعوانا وأجهزة استخبارات وأمن وبطـش.. وأقامـت

الحكومات السجون وقاعات التعذيب بلا حسيب ولا رقيب. كما أقام كل حاكم إلى جانبه عكازا من الكهان والسحرة يشهد عليه بمراتب الإسلام والإيمان والإحسان وعلى نظامه بالشرعية، ويسبغ عليه ما لولي الأمر الشرعي من الحقوق... فيما جنحت كثير من رموز الصحوة السياسية وغير السياسية إلى المداهنة والتلعثم في قول الحق. بل وتجرأت على دخول هياكل السلطة وأجهزتها واتسمت الصحوة بالعجز عن مواجهة ذلك الواقع وفي ذات الوقت انغمس معظم شعوب الأمة في حياة استهلاكية لاهية عابثة... وبطبيعة الحال، كان في شباب الصحوة من يتمتع بالحماس المتقد والغيرة الشديدة على دين الله بقدر ما توفر له من نصيب من الجهل في علوم الدين وقواعده وضوابطه. ومثل ذلك من قلة الخبرة في فقه الواقع ومعطياته...

فنظر واحدهم إلى حاكم كافر، وسجان ينتهك الأعراض ويسفك الدماء ويسب الله ورسوله ودينه بلا حياء ولا وجل فرأى الشباب المعذب أن لا شك في أن هؤلاء كفرة.. ولا شك أنه استنتاج صحيح. ثم نظر الشباب إلى علماء منافقين يعلمون كل هذا ويشهدون عليه بالشرعية ويسوغونه، فقالوا لا شك في كفر هؤلاء الذين كتموا ما أنزل الله واشتروا به ثمنا قليلا.. ثم نظروا إلى قيادات صحوة عاجزة مداهنة منكفئة..، فسألوهم عن هذا الكفر وأحكامه.. و حكم أصحابه فشهد الدعاة وقادة الصحوة على هذا الضلال بالفسوق والظلم، ولكنهم لم يتجرؤوا، أو لم يتوصلوا إلى الحكم عليه بالكفر... فحكموا على هذه الأنظمة وأجهزتها بالإسلام وبمجرد الظلم والفسق. فهنا حصلت الصدمة الفكرية في رؤوس بعض الشباب فأعملوا القاعدة المعروفة (من لم يكفر كافرا فقد كفر) على كل المستويات، جاهلين أن هذه القاعدة هي في كفر المجمع على كفره بلا تأويل واستنتاج كاليهود والنصارى والمجوس..، فأسقطوها على من لم يكفر أولئك الحكام وتتابعت السلسلة المنكودة. فكل من لم يكفر من كفروه فقد كفر..

ولقلة العلم وبسبب الحماس والتشنج وظروف السجون.. ولد فكر التكفير. وبسبب الجهل ولنفس الأسباب السالفة اختلفوا على حدود التكفير

فكفروا بعضهم بعضا.. وانبثق من هنا مدارس وجماعات مختلفة في أصول التكفير وتوسعهم فيه...

وعلى هامش هذه الأفكار نظر هؤلاء إلى المجتمعات وما يتمرغ فيه أكثر الناس من الرذائل والفساد. فولدت فكرة جاهلية هذه المجتمعات.. ثم كفر بعضهم هذه المجتمعات لأنها تمالئ حكامها أو لم تعبأ بتعلم دينها، وتقع بجهالتها وعدم سعيها لفهم دينها في نواقض الإيمان، وطرحت فكرة الابتعاد عنها للعيش في مجمعات معزولة يقوم أصحابها على تربية أنفسهم وأولادهم على الدين والفضيلة فولدت فكرة الهجرة... وامتزجت في كثير من الأحيان نتيجة العزلة والجهل والحيف الذي وقع عليهم من السلطات وعلمائها، ثم من الصحوة وقيادتها.. ثم من الناس والمجتمع...فتفاقمت الظاهرة.. واختلفت زوايا الانحراف فيها.. واعتبر بعض هذه الجماعات أنفسهم (جماعة المسلمين) وكفروا من ورائهم... وتردد البعض نتيجة بعض العلم عندهم أو بعض الخوف من إطلاق حكم التكفير تورعا فبدؤوا في البحث في أعذار الجهل لتخفيف هذه الأحكام عن البعض. واختلفت الآراء في تفسير نصوص العلماء الأوائل بالعذر بالجهل وحدوده وشروطه فأطلقوا الأحكام حينا، وتوقفوا للتبين حينا فولدت ما يسمى جماعات (التوقف و التبيُّن).. وشهدت فترة السبعينيات والثمانينيات توفر أسباب النمو لهذه التيارات الشاذة التي آذت الإسلام والمسلمين والصحوة، وآذت نفسها. ووفرت فرصة ذهبية للعدو لنسف شعبية التيار الجهادي والصحوة الإسلامية كلها، حيث نسبت الحكومة إلى كل من يريدون تدميره تهمة الإنتماء إلى هذا التيار الممقوت والمعزول من قبل عوام المسلمين صالحهم و فاسدهم.

وهذه خلاصة قصة التكفير في أوساط الصحوة حيث يمكن ايجاز معادلة توليده بما يلي..

حاكم كافر ظالم + جلاد سفاح مجرم + عالم منافق للسلطان + صحوة عاجزة + عامة يغلب عليهم الفساد + شباب متحمس جاهل مظلوم = ميلاد تيار التكفير.

وكدأب الشيطان دائما.. طلب بعض أقطاب هذا التيار بعض العلم وعادوا يبحثون في كتب الأقدمين عما يدعم أصولهم وأفكارهم فصار لهذا التيار أمراؤه و فقهاؤه المنحرفون ونشراته الضالة.. وغلب على أتباعه العنف في كل الأحوال. واستدرجت أجهزة الاستخبارات بعضهم حيث وجدوا للولوغ في دماء الأبرياء، ثم دماء بعضهم، ودماء من أرادت الاستخبارات استجرارهم إليه لتدميرهم وتدمير الجهاد والصحوة ومستقبل الإسلام حيث أرادت، كما سيأتي شيء من التفصيل في الفصلين القادمين إنشاء الله.

وهكذا تبلورت مدارس الصحوة الأربعة هذه. ومع التواصل الذي ازداد في هذه الفترة عبر كل وسائل الاتصال انتشرت هذه المدارس في بلاد العرب بحسب أسبقية استقلالها وانتشار الصحوة فيها كما انتشرت في بض بلاد المحيط العربي مثل تركيا وباكستان وأطراف أفريقيا... ونتيجة حركة الهجرة الكثيفة التي دفعت بملايين الشباب المسلم من الطلاب والعمال إلى المهجر في أوربا وأمريكا وأستراليا وكندا وسواها... هاجر نتيجة القمع والمطاردات كثير من كوادر وقيادات ودعاة الصحوة الإسلامية من مختلف مدارسها إلى بلاد الغرب وسواها. وأقاموا المراكز الإسلامية والمساجد. كما قامت كثير من الجماعات والمؤسسات الأهلية بالخروج إلى هناك بلا إكراه وإنما بقصد نشر الدعوة والإسلام فانتشرت مدارس الصحوة الأربعة هذه في أوساط المهجر ونتيجة الحرية المتوفرة وتوفر إمكانيات الاتصال والنشر.. ساهمت مراكز الصحوة في الغرب في إعادة تصدير ما تطور من فكرها وتجاربها. وصار لها صحفها ومجلاتها ووسائل اتصالاتها وصارت الصحوة الإسلامية في المهجر جزءا مهما ساهم في دفع مسارها وأثراه وزاده عطاء على كافة الأصعدة. كما صار الغرب وأوساط الجاليات مسرحا لتواجد كافة مدارس الصحوة المتواجدة في العالم الإسلامي.

ثالثا:المرحلة الثالثة: (1990-2000): مرحلة الأزمات:

كان العقد الأخير من القرن العشرين بعد انطلاق النظام العالمي الجديد، عقدا مفصليا بالغ الأهمية في تاريخ الصحوة الإسلامية بكافة مدارسها الأربعة وما ينضوي في كل مدرسة من مناحي. ومواجهتنا مع طواغيت بلاد العرب والمسلمين وكما أشرنا في الفصل السابق فقد شهد مطلع هذا العقد انطلاق النظام العالمي الجديد واختياره للإسلام والصحوة الإسلامية خاصة خصما استراتيجيا وحضاريا وعقديا بل وعسكريا في مواجهة الحضارة الغربية بعد أن آل قيادها لأمريكا وأتباعها من دول أوربا الناتو.

ويمكن اختصار سياسة الغرب في مواجهة الصحوة بنيابة الحكام وأجهزتهم المختلفة خلال هذا العقد بالنقاط المختصرة التالية ؛ حيث سنذكرها ثم نتبع ذلك بخلاصة مسار كل مدرسة من المدارس الأربعة سالفة الذكر وهي المدارس: اللاسياسية. والسياسية. و الجهادية. والتكفيرية. فقد اتسمت مواجهة الحكام والغرب للصحوة بما يلي:

1. ضرب الإتجاه الجهادي من الصحوة الإتجاه المعتدل منها بحسب موازينهم.
2. توسيع قاعدة الأصولية (المعتدلة) بحسب مفهومهم بتوسيع باب المشاركة الديمقراطية للإسلاميين لتدخل مؤسسات السلطة من أجل تحقيق الهدف آنف الذكر في البند السابق.
3. مساعدة تيار التكفير على البروز واستنساخ بذور تكفيرية برعاية الإستخبارات. و اتباع سياسة إعلامية لخلط التكفير بالجهاد من أجل عزل الجهاديين عن الأمة والإيقاع بينهما. وهذا ما طبق في الجزائر(1993-1997) ونجح..
4. إطلاق حملة (الإسلاميين على الطريقة الأمريكية) عبر وسائل الإعلام في هجمة للتغريب والانحلال، من أجل تفكيك الجذور الأصولية للإسلام التي تضمن توليد بذور المقاومة.
5. إنطلاق حملة مكافحة الإرهاب الأمنية ضد التيار الجهادي.

6. إنطلاق حملة مكافحة الإرهـاب الإعلاميـة السياسـية ضـد التيـار الجهـادي باسـتخدام المؤسسة الدينية الرسمية كجبهة أولية تدعمها قطاعات الإسلام المعتدل.

ولنقف مع أثـر هـذ السياسـات في المواجهـة عـلى مسـار كـل مدرسـة مـن مـدارس الصحوة الأربعة خلال العقد الأخير من القرن العشرين.

أولا: الصحوة اللاسياسية: (1990-2000):

لعل أبرز ما يميز ما حل بمدارس هذه الصحوة مـن أمثـال بعـض مـدارس الصـوفية والسلفية والدعوة وأصحاب المذهب الإصلاحي خلال هذا العقد هو أمران اثنان:

أولهما: تسيس كثير من رموزها وجماعاتها مع الوقت ودخولها ميدان العمل الحزبي والبرلماني عبر أبواب الديمقراطية التي فتحتها الحكومات عـلى مصراعيهـا لتحقيـق الهـدف المبيت بتمزيق الصحوة وجعل مدارسها الثلاثة تقف في حصار ومواجهـة التيـار الجهـادي فقد دخل كثير من الشخصيات من الصوفية والتبليغ والسلفية مجال الديمقراطية والعمل الانتخابي إن بصورة مستقلين أو بصورة تجمعات وكتل برلمانية في مختلف الـدول العربيـة والإسلامية التي فتحت المجال.

ثانيهما: إحياء عقيدة الإرجاء ببعد وهوية سياسة معاصرة بين مختلف مدارس هذه الصحوة على تناقضاتها العقدية من أقصى الصوفية إلى أقصى السلفية. بحيث أعيد التركيز على إسلام الحاكم وإيمانه، والفصل بين هويته هذه وطريقة حكمه وسياساته وممارسـاته العامة والخاصة.

وكان الهدف فيما يبدو هو رفع الحرج الشرعي عن المشاركة في مؤسسات الحكومـة التشريعية والتنفيذية والقضائية الذي يسببه إطلاق حكم الكفر عليها.

وبهـذا بـدأت قاعـدة هـذه المـدارس بصـفتها اللاسياسـية تضـمر. وبـدأت تتداخل عمليا في طروحاتها السياسية وبالتالي الشرعية مع المدرسة الأخرى التـي سبقتها بهذه الممارسات بعدة عقود. وقد شكلت هـذه الكتـل منافسـا حقيقيـا

ضمن صف الصحوة الإسلامية للمدرسة السياسية للإخوان المسـلمين وأشـباههم في بعـض البلدان، خصوصا عندما دخل بعضهم في تحالفات انتخابية مع تيـارات علمانيـة !!!!. وقـد حصلت في حالات أخرى تحالفات عديدة بين المدرستين الإسلاميتين لتشكيل كتـل إسـلامية كبيرة وجبهات عمل مواجهة للتيار السياسي الحاكم أو العلماني المعارض.

1. الصحوة السياسية (1990-2000):

شهدت فـترة (1970-1990) ازديـاد حـدة المواجهـات الصـدامية بـين مختلـف مـدارس الصحوة والحكومـات العربيـة والإسـلامية وأجهزتهـا الأمنيـة. سـواء في صـدام الجهـاديين مـع الحكومات عسكريا كما حصل في سوريا ولبنان ومصر وليبيا والجزائر وسواها. أو في مصادمات السياسـيين مـن الـدعاة وبعـض رمـوز العلـماء والخطبـاء مـع الحكومـات... وأسـفرت هـذه المواجهات عن امتداد شعبية الصحوة الإسـلامية عمومـا وانتشـار الفكـر الجهـادي وقاعدتـه الشعبية خاصة. وكما قلت فقد رأت الحكومات ومستشاروها الغربيون ومن يـديرون حـاضر ومستقبل تلك الأنظمة، أن الأمور تتجه نحو الخطورة فكان المكر الذي تفتقت عنـه عقـولهم بعد مرحلة ملئ السجون والمقابر الجماعية بالإسلاميين هو الانفتاح السياسي معهـم. فأفسـح الحكام المجال للإسلاميين لدخول لعبة الديمقراطية والمشـاركة فيهـا، إمـا بصـفة إسـلاميين، أو تحت لافتات أحزاب علمانية مرخصة... أو بصفة مستقلين. وشهد هذا العقـد (1990-2000) تحولا مهما في ممارسات ومناهج الإخوان المسلمين والمدارس المتفرعة عنها من أجل تبرير تلك الممارسات السياسية. فألفت كتب وأبحاث كثيرة. وكتبت مقـالات و ألقيـت خطـب حماسـية تشجع على هذا الإتجاه والاستفادة مـن القنـوات المشروعـة والفرصـة المتاحـة إلى آخـر تلـك المبررات... وشارك الإخوان المسلمون وفروعهم وبعض الكتل الإسلامية الأخرى في الإنتخابـات البلدية في معظم البلاد العربية والإسـلامية. كـما شـاركوا في الإنتخابـات البرلمانيـة كـما حصـل في الأردن ومصر ولبنـان والكويـت... ودخلـوا بصـفات متعـددة مؤسسـات شـبه حكوميـة في السـعودية ودول الخلـيج. وانطلقــت التجربــة البرلمانيــة في تــونس والمغــرب وكــذلك

موريتانيا والجزائر في آخر ذلك العقد المنصرم. وحصل مثل ذلك في معظم بلاد العالم الإسلامي ولاسيما أشهر تلك التجارب في باكستان وتركيا...

وكان أهم تلك التجارب من حيث حجمها ودلالتها السياسية ما جرى في تونس و الباكستان وأخيرا الجزائر ثم تركيا... حيث اقتنعت السلطات في نهاية هذا العقد ونهاية القرن العشرين بضرورة إقفال هذا الباب، والعودة للمواجهة مع كافة مدارس الصحوة على الطريقة الإستئصالية كما سنرى إنشاء اللـه في الفقرة (رابعا) من مراحل الصحوة. ولكن الجدير بالذكر هنا أن نقول أن مناهج الإخوان المسلمين وفروعهم من الحركات الإسلامية قد شهدت انقلابا على كثير من أساسيات المنهج الذي بنى على أفكار مؤسسة الأوائل كحسن البنا وعبد القادر عودة وخاصة سيد قطب رحمهم اللـه تعالى وازدادت زاوية الإنحراف المنهجي انفراجا بسبب التسكع على أبواب السلاطين وتسلم المناصب في مؤسساتهم العلمانية القائمة على أصول الردة والتشريع من دون اللـه والولاء للكفرة وأعداء هذه الأمة..

وسنأتي على وقفة أثر تفصيلا مع مسألة الديمقراطية في الفصل الثامن إنشاء اللـه.

2. الصحوة الجهادية (1990- 2000):

كانت الصحوة الجهادية – كما سنرى في الفصل القادم بشيء من التفصيل إنشاء اللـه - قد خاضت مواجهات حقيقية وواسعة مع بعض الحكومات خلال السبعينيات والثمانينيات حيث تكبدت فيها ضحايا كثيرة، واتسعت فيها قاعدتها الشعبية،ودخلت في مطاردات أمنية ذات طابع استخباراتي... وكانت البوابة الأفغانية التي فتحت للجهاد منذ سنة (1984) أمام الصحوة الإسلامية عموما و الجهادية خصوصا، قد أغرت معظم قياداتها للذهاب إلى أفغانستان حيث خاضت تجربة فريدة خلال (1984-1992) وقد أسفرت العاصفة الأمنية التي نظمتها أمريكا ونفذتها باكستان وتابعتها الدول العربية والأوربية بعيد سقوط الإتحاد السوفييتي وانتهاء حاجة أمريكا للظهير الإسلامي في مواجهة الروس عن انتشار معظم كوادر الجهاديين و المطلوبين أمنيا في بلادهم نتيجة

مصادماتهم مع حكوماتهم في مجالات اللجوء السياسي التي فتحت في أوربـا الغربيـة ومـا شـابهها مثـل كنـدا واسـتراليا وغيرهـا..أو في بلـدان عربيـة أخـرى لا تطـالهم فيهـا أيـدي حكوماتهم لعدم قيـام علاقـات تعـاون أمنـي آنـذاك بـين تلـك البلـدان... ولكـن الإدارات الأمريكية المتوالية بعد حرب الخليج الثانيـة (عاصـفة الصـحراء) وضـعت خطـة متكاملـة لمواجهة التيار الجهادي اصطلح عليها بالمواجهة الدولية لمكافحة الإرهـاب والتـي أوصـلها بوش الابن لتكون حربا عالمية حقيقية فيما بعد سبتمبر2001 كما سنرى إنشاء اللـه...

ويمكن اختصار برنامج مكافحة الإرهاب العالمي خلال هذا العقد بالنقاط التالية:

- الخطوط العريضة للبرامج العالمية لمكافحة الارهاب 1990-2000:

1. تجفيف المنابع المالية.
2. استهداف القيادات والكوادر الجهادية بالقتل والأسر.
3. اتفاقيات التسليم وتبادل المجرمين الإرهابيين (الجهاديين) بين الدول المختلفة.
4. إلغاء الملاذات والملاجئ الآمنة أمام الجهاديين.
5. نقل مجالات التعاون الأمني من الإقليمي إلى الدولي.
6. التوسع في تشريعات مكافحة الإرهاب.
7. الحرب الإعلامية من أجل تشويه المجاهدين عزلهم.

وهكذا أسفرت هذه الحملة العالمية لمكافحة الإرهـاب بقيـادة أمريكـا عـن تحويـل قيـادات وكـوادر وعنـاصر الحركـات الجهاديـة إلى عنـاصر تعـيش هـاجس المطـاردات و الاغتيالات والخطف والأسر وإغـلاق المـلاذات... وتكفلـت خطـط تجفيـف المنـابع بقطـع أرزاقهم وقـوت أسرهـم وأطفـالهم التـي جابـت معهـم مشـارق الأرض ومغاربهـا مشـتته تكتوي بنيران هذا الأخدود المعاصر للمؤمنين الغرباء الفرارين بدينهم.

وهناك ملاحظة مهمة وهي ظهور مدرسة جهادية جديدة في هذه الأثناء يمكن تسميتها:

- ظاهرة الجهاد الفردي:

فبسبب الأجواء الضاغطة على ضمير أصحاب الضمائر من شباب هذه الأمة.فقد بدر من بعضهم بين الحين والحين ممارسات جهادية هنا وهناك من قبل أفراد لا ينتمون لأي تنظيم، وهذه الظاهرة قديمة، بدأت منذ قدوم الحملات الصليبية الثانية مطلع القرن الثامن عشر، من قبيل ما أقدم عليه الشهيد (سليمان الحلبي) الذي هاجر من حلب في شمال الشام إلى القاهرة مرورا ببيت المقدس حيث التقى بعض العلماء وتحصل على فتوى بقتل الجنرال (كليبر) قائد الحملة الفرنسية على مصر، والذي استخلفه نابليون عندما عاد إلى فرنسا، فقتله سليمان رحمه الله وكانت الحادثة مطلع أسباب جلاء الحملة الفرنسية عن مصر ثم أعدم رحمه الله وأعدم معه العالم الذي أفتاه. وتكررت هذه الظاهرة بحسب الظروف.

ولكن خلال العقد (1990-2000) وبعد انطلاق الحملات الصليبية الثالثة وقيام النظام العالمي الجديد، بدأت هذه الممارسات تتكاثر وتشكل ظاهرة ومدرسة جهادية تستأهل الوقوف معها ودراستها وتنميتها كما سيأتي معنا إنشاء الله. فقد تعرض بعض العسكريين والمدنيين ومختلف أشكال وجود الصليبيين لعمليات جهادية فردية رائعة ومجدية شكلت إرباكا للعدو وبشرت بنمو بذور مقاومة لو قدر لها أن تنضج فإني أعتقد أنها تشكل أهم مرتكزات المواجهة القادمة بإذن الله.

3. الصحوة الشاذة وتيار التكفير(1990-2000):

من المهم جدا لفهم ظاهرة التكفير أن نفهم المعادلة المكونة له والتي اختصرناها بأنها:

حاكم كافر ظالم + جلاد سفاح مجرم + عـالم منـافق للسـلطان + صـحوة عـاجزة + عامة يغلب عليهم الفساد + شاب متحمس جاهل = ميلاد تيار التكفير.

وخلاصة ما حصل لهذه الظاهرة منـذ ميلادهـا مطلـع السـبعينيات وإلى اليـوم أنهـا كانت محدودة معزولة لم تلق شعبية ولا انتشار، لا في أوساط الصـحوة الإسـلامية، ولا في أوسـاط عامـة المسـلمين. ففـي حـين لم يقـف التواصـل والعلاقـات بـين مختلـف أعضـاء وجماعات الصحوة في المناحي الثلاثة السياسية والغير سياسية و الجهادية رغـم اختلافهـا وخلافاتها، حيـث قـام التواصـل الفكـري والعلاقـات الشخصـية بـل والتعـاون في مختلـف مستويات ما اتفق عليه، أجمعت الصحوة الإسلامية بكاملها على نبذ ظاهرة التكفير وفكر أصحابه مما ساعد على ضموره وانكماشه..

وللطبيعة بالغة السـوء التـي طبعـت فكـره وسـلوك أفـراده ;مـن الجهـل والتشـنج والعنف واللامعقولية، بالإضافة للانحراف عن الأسس الشرعيـة، لم يسـتطع هـذا التيـار أن يكسب أرضية داخل الصحوة ولا خارجها، إلا عـلى شـكل جيـوب منكمشـة معزولـة هنـا وهناك تجتر أحقادها وجهالتها وتتولى تصفية بعضـها الـبعض. ولكـن يجـدر لفـت النظـر تحت عنوان هذه الظاهرة إلى ملاحظات مهمة:

● الملاحظـة الأولى: هـي أنـه رغـم أن جماعـات تيـار التكفـير قـد كفـرت جماهـير المسلمين وعلماءهم وقـادة صـحوتهم ودعـاتهم لأنهـم لم يكفـروا الحكـام وزبـانيتهم، ولم يكفروا من لم يكفـر الحكـام ولم يكفـروا مـن لم يكفـر هـؤلاء.... وهكـذا وهـي سلسـلتهم النكدة وأساس انطلاق فكرتهم. إلا أن الغريب في الأمر أنهم لم يتبنوا فكـرة جهـاد الحـاكم الكافر الذي فاصلوا الناس على كفره! ولم يعرف لجماعات التكفير أنهـم قـاتلوا الحكـام إلا في القليل من التجارب. ناهيك عن أنهم لم يـدعوا إلى جهـاد الكفـار الأصـليين مـن اليهـود والنصارى الذين حلوا في عقر دار المسلمين. في حين أنهم تلوثت أيديهم بقتل الأبرياء مـن المسلمين. وهذا ما لفت الأثر الشريـف النظـر إليـه مـن أن مـن خصـائص هـذه الشراذم أنهم: (يدعون أهل الأوثان ويقتلون أهل القرآن).

- الملاحظة الثانية: هي أن الحكومات ومن وراءها من أعداء الإسلام أدركوا أهمية هذا التيار الشاذ في محاربة الجهاد ووقف صحوته.

- رابعا: الصحوة الإسلامية في عالم ما بعد سبتمبر(2001):

كان الغرب قد رفع شعارا عبر عنه الرئيس الفرنسي الراحل (ميتران) بقوله: (سنضرب الإسلام المتشدد بالإسلام المعتـدل). وقـد أدى هـذا إلى افتتـاح العهـد الـديمقراطي الزاهـر لتصبح المدارس الإسلامية السياسية عمليا جـزءا مـن (المـلأ)- مـلأ الفرعـون -، إلى جانـب (الحاكم والكاهن والأعوان). فحققت الصحوة بعض المكاسب ولكن الثمن كـان أن تقـف في وجه المد الجهادي.

ولكن وعلى مدى العقد المنصرم حصل أمـر منطقـي لم يكـن في حسـاب الغـرب ولا عملائه المرتدين، الذين لم يستطيعوا نتيجة الأحقاد أن يستوعبوا زخـم الـروح الدافقـة في الإسلام وطبيعته. وانظر إلى بعض آيات اللـه:

- فالإسلاميون (المعتدلون) كما يسمونهم ليس لديهم في النهاية بضاعة إلا الإسلام.

فإذا مـا اتـيح لهـم المجـال (مسـاجد... مـدارس.. نـدوات.. محـاضرات.. مؤلفـات... صحف.. قاعات برلمان.. تماس مع الجمهور) فليس لديهم من بضـاعة إلا مشـاريع الإسـلام والحديث عـن:(تحكـيم الشريعـة.. الجهـاد مـن أجـل فلسـطين.. قضـايا العـدل والظلـم.. مكافحة الفساد..الإصلاح الاجتماعي.. الالتزام والأخلاق الإسلامية..إلـخ) وحتـى مـع وجـود أغراض شخصية، ومصالح حزبية، فإن هذه الرسائل سـواءا أخلـص أصـحابها أم زاودوا بهـا من أجل التجارة بالشـعارات، فإنهـا سـاهمت إلى حـد كبـير في توسـيع القاعـدة الشـعبية للإسلام والتصورات الدينية. وكان هذا كسبا أفقيـا هـائلا عـلى طريـق أسـلمة المجتمعـات التي تدرك بفطرتها بعد أن دبت فيها الـروح الدينيـة الحاجـة إلى مواجهـة تلـك الأوضـاع والصدام معها عندما لا يمكن إصلاحها سلميا.

▪ كـما أن الجهـاديين أو (المتشـددين) كـما يسـمونهم، يجـدون في مثـل هـذه الاستراحات وأجواء الاسترخاء السياسي والأمني، مجالا للتمدد سريا وإعادة تنظيم الصفوف واكتساب قواعد أوسع داخـل الهـامش العـام للصحوة. وقـل مثـل ذلـك عـن الإسـلاميين الدعويين غير السياسيين.

فدبيب أسلمة المجتمعات العربية والإسلامية، وهو مـا يسـمية الغـرب (العـودة إلى الأصولية) يقض مضاجعهم. وإن كان الشطر الكبير والسواد الأعظم من المجتمعـات يسـير نحو الفسوق والعصيان والانسلاخ من الدين وفق برنامج العلمنـة ومـن يقـوم عليهـا. إلا أنهم يريدون ليطفئوا نور اللـه بأفواههم، بكل آثاره ولا يريدون أن يكـون للحـق وجـود ولا لمن يحمله حق في الحركة والحياة. وعلى مر عقد من الزمن اكتشف الغـرب الصـليبي وحكماء صهيون أزلامهم من حكامنا خطأ الإنفتاح الديمقراطي فرفعوا شعارا جديـدا هـو: نريد (ديمقراطية بلا إسلاميين في بلاد المسلمين) !!

ومع أن هذا كلام يناقض نفسه. لأن الديمقراطية تعني حكم الشعب بنفسه وتعنـي مبدأ سيادة الأمة. فالطبيعي والمنطقي احترام خيارها احتراما لأصـل المبـدأ. ولكـن الغـرب المنافق وأتباعه الأوقح نفاقا من الحكام والعلمانيين في بلادنا، كـانوا مسـتعدين إلى لحـس المبدأ ذاته فقالوا ما قالوا: (ديمقراطية.. ولكن.. بلا إسلاميين!!).

وسرعـان مـا تحـول الشـعار إلى التطبيـق العمـلي فأغلقـت معظـم الـدول الهـامش الديمقراطي. واختارت دول أخرى تنفيسه من الداخل، عن طريق تفصيل قوانين انتخابيـة أو تعـديلات دسـتورية تـترك للإسـلاميين القشـور، بحيـث لا يسـتمر مـنهم في اللعبـة إلا الانتهـازيون مـن الإسـلاميين أو المسـتعدون لتفصـيل الإسـلام وإعـادة خياطتـه عـلى ذوق الحاكم المحكوم بسيده عدو الإسلام والمسلمين.

وهكـذا قمعـت الديمقراطيـة الإسـلامية في الجزائـر بكـل قسـوة (1991) بالإنقلاب العسكري وكان ثمن ذلك حربا أهلية أتت حتـى الآن عـلى نحـو مئـة وخمسين ألف نفس. كما حُمل الديمقراطيون الإسلاميون وزعيمهم أربكـان عـبر إنقلاب سياسي أبيض في تركيا من رآسة الحكومة وأغلبية البرلمان ليلقـى بهـم في

السجون أو ليوضعوا تحت الحجر عن مزاولة العمل السياسي. وانقض مشرف في إنقلاب عسكري على ديمقراطية الباكستان ليفصل لهم بعدها نظاما (ديمقراطيا دكتاتوريا عسكريا مدنيا استخباراتنا بإشراف أمريكي !). وفصل الأردن واليمن والمغرب وسواها قوانين انتخابية ألقت بالإسلاميين أقلية في دهاليز البرلمان. أو ليعطوا في أحسن الأحوال وزارات الماء والكهرباء..أو وزارة المطاحن والثروة السمكية.. في بلاد لا تطل على البحار ! وهكذا...

واكتشف الغرب أنه أمام معادلة قدرية محكمة تحركها الروح النابضة لهذا الدين الرباني. ومفاد تلك المعادلة:

أن أعداء الإسلام إن ضربوا الإسلاميين وواجهوا الصحوة بالانقلابات والسجون والبطش... أعطوا مبررات حمل السلاح وتمدد الجهاديون ونمو عموديا ونوعيا.! وهم إن فتحوا مجال الإعتدال السياسي كي يواجهوا الجهاديين بالمعتدلين، تمدد الإسلام أفقيا وقاعديا وانتشر !! فعادوا للبطش، فعاد الجهاد للنمو! فعادوا للانفتاح، فعاد الإسلام للتمدد والتوسع !! في حلقة متكررة من مكر اللـه بهم..

وهكذا وجدوا أن الوعي والتطور وثورة الاتصالات وعالم الفضائيات والإنترنت قد فتحت عقول الشعوب. وأن عروش ولاة الإستعمار ونوابهم من حكامنا مهددة. وأن إسرائيل محاصرة بالأصولية. وأن منابع النفط وأكداس سلاح جيوش الحكومات معرضة لأن تسقط بيد ثورات شعبية يقودها متشددون. فقرر الغرب الغزو والاحتلال المباشر لمركز الصراع (الشرق الأوسط) الشام ومصر والعراق وجزيرة العرب. وبسط سيطرة أكبر على ما بقي عبر دعم الولاة المرتدين لمزيد من البطش، كما زادت أمريكا من قدرات القواعد العسكرية. ليصل الوجود الأمريكي فقط، في منطقة العمليات الوسطى (وسط آسيا والعالم العربي والقرن الإفريقي) إلى نحو 1.5 مليون جندي أمريكي يتبع قيادة مركزية واحدة، وتتوزع قواها من كابل و طشقند و مرو... في وسط آسيا من أقصى مشرق بلاد المسلمين، إلى بغداد وعمان وجزيرة العرب.. إلى مصر والصحراء الغربية والصومال في الشرق الأوسط.. إلى طنجة وسواحل

الأطـلسي في أقصى غـرب بـلاد الإسـلام. وهـو مـا يسـمونه اليـوم (الشرق الأوسـط الكبـير) ويضعون الخطط لاحتلاله حضاريا في كل المناحي. وكان فاتحة ذلك كما رأينا تدميرا لإمارة الإسـلامية في أفغانسـتان،واحتلال العـراق وإعـلان الحـرب عـلى الصـحوة بكامـل أطيافهـا وصحح بوش مقولة ميتران عنـدما قسـم الإسـلاميين إلى معتـدلين ومتشـددين مـتشردين.. ليصبح الشعار بالأسلوب الأمريكي:

(ليس هناك إسلام معتـدل ! كـل الإسـلاميون متشـددون ويجـب القضـاء علـيهم). لتشمل الحرب الأمريكية الكل، بدءا من الجهـاديين، ووصـولا إلى المعتـدلين مـرورا بأصـغر مؤسسة إنسانية خيرية تعمل في توزيع المصاحف أو رعاية الأيتام.

وكان هذا من فضل اللـه. إذ أسفرت هذه السياسة ليس فقط عـن حشر الصـحوة بكاملها وتأهيلها للمقاومة وحمل السلاح. وإنما عن فتح الباب لرجـل الشـارع العـادي أن يحمل السلاح تحت شعار الإسلام.

وهذا ما حذر منه بعض دهاة الفراعنة أمريكا كـما صـاح رئـيس مصر أمـام البرلمـان عند بداية غزو أمريكا للعراق بأن سياسة أمريكا ستخلق لنا بدل بن لادن واحـد مئـة بـن لادن... ولكن بوش الأحمق المتعصب أسير مستشاريه من الصهاينة لم يستوعب مكر اللـه هذا به. فسار في سياسة الاستئصال ليتبعه حكام بلاد المسلمين.

وأما أثر هذه السياسة الخرقاء على مدارس الصحوة الأربعة خلال السـنوات القليلـة بعد سبتمبر 2001 فهي باختصار كما يلي:

أولا: الصحوة الإسلامية غير السياسية بعد سبتمبر 2001:

في عمان عاصمة الأردن.. صرخ أحد أمراء (جماعة التبليغ والـدعوة) في المعتقـل، في وجه المحقق مندهشا محتجا بقوله:

(نحن لم نمارس جهاد ولا سياسة ولا واجهناكم! نحـن نـدعوا إلى اللــه في مساجدنا ونصلح الناس وننقذهم مـن الفسـاد وعـالم الخـمارات والجـرائم...) !

فقال له المحقق الخبير ضابط الإستخبارات الذي وعى درسه: (هذه هي المشكلة: أنتم الأوتوبيس ! تحملون الناس من الشارع إلى المسجد. فيأتي الإخوان فيحملونهم من المسجد إلى السياسة ! فيأتي المتطرفون فيأخذون غايتهم من الشباب للجهاد والتطرف ! نريد قطع كل هذا الطريق من أساسه نريد وقف الأوتوبيس!..)

وهذا يشرح كل حقيقة المواجهة اليوم. إنها قصة حوار حقيقي واقعي في غاية التعبير والدلالة...

وهكذا تواجه الحكومات اليوم الصحوة الدينية اللاسياسية وتقمعها. فتغلق المساجد وتضيق على المدارس وتحظر الخطب.. بل تحيل السعودية الآن أكثر من 1800 خطيب وداعية لدورات تأهيل نفسي ! لإبعادهم عن التطرف وإفهامهم مقومات عالم الهيمنة الأمريكية ما بعد سبتمبر والعراق! وقد أعلنت مصر أنها فضلت من جهاز التدريس آلاف المعلمين المتهمين بالأصولية! في إطار حرب الأفكار و المناهج..وأعلنت الكويت أنه لاخيار لديها عن مواجهة المتشددين، وأعلنت معظم الدول الإسلامية عن تعديل برامج التدريس الديني والعام. وبلغ بوزيرة الثقافة في باكستان (زبيدة جلال) أن تطالب، وعلى شاشات التلفاز وأمام وسائل الإعلام بحذف سور: (آل عمران والأنفال والتوبة).لأنها تدعو للإرهاب !!

ثانيا:الصحوة السياسية في عالم ما بعد سبتمبر(2001):

فكما أسلفت. تغلق اليوم عليهم منافذ الممارسة السياسية الفاعلة. ويتعرضون للقمع. وإن كان من إضافة فهو ولادة دعاة وإسلاميين سياسيين منبطحين قابلين للانضغاط بلا حدود، وللتميع بلا ضوابط. لقد تجاوزا المنهاج، منهاجهم. بل تجاوزوا ما سبق من زوايا الإنحراف..سمعت منذ أيام أحد المرشحين من الإخوان المسلمين لانتخابات نقابة الصحافة في مصر، ردا على سؤال الصحيفة له بقولها: أنت إسلامي فكيف تمثل 400 صحفي فيهم من كل الطيف. فقال: (أنا لي توجهي! ولكن لما أمثل الصحفيين فأنا أمثل

الإسلامي والنصراني والشيوعي ومن له دين ومن لا دين له !) فتأمل إن كـان هـذا الكـلام يترك قدره على التأمل !.

ويجلس ممثل الحركة الإسلامية في العراق في المجلس الحكـم المحـلي رآسـة (بريمـر) ليمرر ويـبرر الإحـتلال ! ويكـافح الإخـوان المسـلمون والسروريـون في السـعودية الجهـاد والجهاديين ويسلمون عناصره للمخابرات، ويدعونهم للإستسلام للدولة عبر بيوتهم ! وقـل مثل ذلك عن الإسلاميين في البرلمان في المغرب..

لقد أصبح من تبقى في لعبة السياسة من الإسلاميين الديمقراطيين جـزءا أساسـيا مـن كتائب النظام العالمي الجديد في مواجهة حملة رايات الجهاد والمقاومة في الأمة...

ولابد من الإشارة إلى أن هامش العطاء الايجـابي لهـم يضـيق يومـا بعـد يـوم حيـث يحاول الإسلاميون السياسيون مكافحة الإستعمار تحت قبـة البرلمـان! والحـد مـن طغيـان الفراعنة عبر المسيرات ! ومازال فيهم من يظن إمكانية ذلك !

ثالثا: الصحوة الجهادية بعد سبتمبر(2001):

اتخذت أمريكا من الجهاديين، جماعـات وأفـراد، وحتـى مـن أنصـارهم ومؤيـديهم هدفا لحربها. بعد أن أدركت أنهم عمليا قلب الأمة الحي، وسلاحها المتبقي في الدفاع عن نفسها، ولتفاصيل هذه المواجهة وقائع كثـيرة مشـهودة، أتـرك التفصـيل فيهـا إلى الفصـل القادم إنشاء الـلـه.

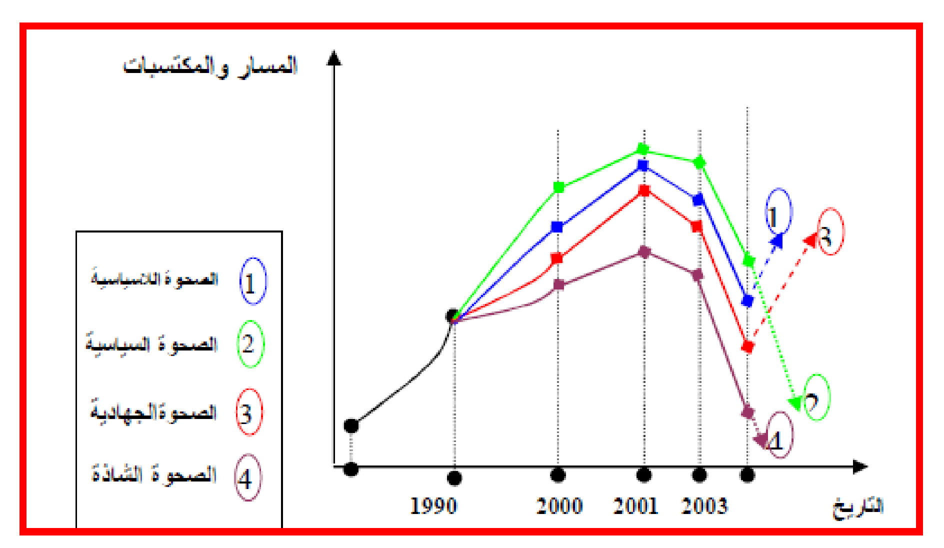
رابعا:الصحوة الشاذة للتكفيريين بعد سبتمبر(2001):

لقد زادت هذه الظاهرة انكماشا. ولولا ما يحاول الإعلام العربي والإسـلامي في بعـض المناطق كالسعودية إظهارها والحديث عن حياتها لما سمع بها أحد. والحمد لله.

وبعد هذا الاستعراض الموجز لمسار الصحوة الإسـلامية وخلاصـة حصـادها عبر أكثر من سبعين عاما مضت على ميلادهـا، بقـي لنـا أن نخـتم هـذا الفصـل بخلاصة وأن نلفت النظر إلى ظاهرتين مهمتين مـن مظـاهر الصـحوة الإسـلامية

غير الجهادية لأننا سنترك تغطية الملاحظات الجهادية للفصل السادس. الخلاصة في مسار الصحوة الإسلامية ومآلها خلال (1930-2003):

يمكن التعبير بإيجاز شديد عن هذه الخلاصة بأن الصحوة الإسلامية بعموم مدارسها الأربعة قد وصلت إلى الإفلاس وفشلت في تحقيق أهدافها ودخلت قعر الأزمة وليس من أمل في استمرار الصالح منها إلا بأن تعيد النظر في مناهجها وأهدافها وأساليب عملها وفقا لثوابت الشريعة الإسلامية بانضباط المسلم الملتزم. ووفقا لمعطيات فقه الواقع الجديد في ظل الحملات الصليبية الأمريكية المعاصرة في عالم ما بعد سبتمبر واحتلال العراق. ويمكن التعبير عن مسار الصحوة خلال تلك العقود السبعة بالرسم البياني التالي:



ويبين هذا الرسم البياني بوضوح:

1. أن الصحوة ولدت بمعظم اتجاهاتها المتقاربة بعيد الخلافة 1930 تقريبا.
2. سارت مدارس الصحوة ونمت متقاربة متداخلة في طبيعتها بشكل مختلط من حيث المنهج والأهداف والأساليب إلى نحو 1960 تقريبا.

3. تابعت كل مدرسة من مدارسها الأربعة العطاء والمسار إلى 1990 بشكل متمايز.
4. ما بين (1990-2000). تقارب مسار الصحوتين السياسية والغير سياسية باقتراب الثانية من الأولى.
5. تراجع مسار الصحوة الجهادية منذ 1990 لتصل إلى عام 2000 وقد أنهكت.
6. مع اقتراب سنة 2000 بدأت جميع مدارس الصحوة تنهار في عطائها ومسارها.
7. مع عام 2001 وابتدأ عالم ما بعد سبتمبر... برزت مظاهر الانهيار والتفكك في جميع مدارس الصحوة. مع ما يشير إلى متابعة انهيار المدرستين السياسية والشاذة. ومع بوادر نهضة للصحوة الجهادية بسبب ظروف الاستعمار المباشر. بالإضافة إلى ما يتوقع من ازدهار الصحوة اللاسياسية نتيجة ظروف القهر والاستعمار والعجز العام. كما ويشير إلى وصول الجميع إلى قعر الأزمة.

وأما إصلاح مسار الصحوة السياسية والغير سياسية فهو عمل أصحابها وكتابهم ومنظريهم. وإن كان لهم من نصيحة لله ورسوله وكتابه وأئمة المسلمين وعامتهم، فهي أن يبتعد الإسلاميون عن أبواب السلاطين ومؤسسات الردة الثلاثة التنفيذية والتشريعية والقضائية. لأن دخولها حرام لا تقره الشريعة، ومعصية لله لا تبرره التمحكات السياسية - كما سنرى بالأدلة الشرعية لاحقا إن شاء الله - وإن كنا نلتمس لهم العذر لما يقع من بعضهم من أفعال وأقوال تناقض مقتضيات الإيمان والتوحيد على أنهم متأولين للمصالح المرسلة، واستصحابا لحالة الاستضعاف.

وحقيقة فإن المتابع لحال أكثرهم يجد فيه مصداق ما جاء في الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وما ازداد عبد من السلطان قربا إلا ازداد من

الـلـه بعدا). وفي تجربتهم وما مر من نتائج الحصاد المر، اكبر برهان على هذا الأثر.

وأما إصلاح الصحوة الشاذة وما أفرزته من التكفير. فإن كان من نصيحة لعلها تنفع أصحابها فهي أن يتوبوا إلى الـلـه وينخرطوا في جهاد الكفار الأصليين وعملائهم المرتدين ويتركوا العدوان على المسلمين بمختلف طبقاتهم من العوام إلى العالمين للإسلام. وأسأل الـلـه أن يصحلهم ويتولى أمر من أبى.

وأما النصيحة الخاصة بأصحاب الصحوة الغير سياسية فهي أن يركزوا على دورهم الهام جدا اليوم في ظل هجمة الاستعمار الثقافية والمنهجية. التركيز على حفظ دين الأمة بالدعوة والتعليم والاهتمام بالحفاظ على الدين وهم أدرى منا وأكثر خبرة بسبل ذلك.

وأما النصيحة الإضافية الخاصة بأصحاب الصحوة السياسية فهو أن يعملوا في مجالات المقاومة المدنية والعمل السياسي و الإعلامي وفق ضابطي مقاومة الاستعمار وعدم الدخول في هياكل السلطان ومثلث السلطة الخبيث المكون من (الحاكم والملأ والأعوان والكهان).

لأنهم بهذا سيقفون من حيث شعروا أم لم يشعروا في مواجهة الأمة.

وأنبه إلى حقيقة هامة بقدر ما هي صريحة وربما قاسية. بأن عالم سبتمبر قد صرح أقطابه واستعلنوا بأن لا مكان للحياد في المواجهة.

فإما مع الحملات الصليبية من استعمار ونواب استعمار وعملاء استعمار وبالتالي مصير بعدل الـلـه إلى النار إنشاء الـلـه و بئس القرار.

وإما في مواجهتهم وبالتالي جهاد ومقاومة مسلحة أو مدنية باليد فإن لم يكن فباللسان فإن لم يكن فبالقلب وذلك اضعف الإيمان وليس بعد ذلك من الإيمان حبة خردل وليطلب كل لنفسه من المعالي ما وسعه...

وكما قال تعالى:﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ الـلـه لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (العنكبوت:6).

وكما قال صلى الـلـه عليه وسلم:(فمن برئ فقد سلم ولكن من رضي وتابع)..

ويوم القيامة يدرك مدرك، ويندم نـادم، حيـث لا ينفـع النـدم، أنهـما طريقـان ولا حياد، ففريق في الجنة وفريق في السعير. ولا سواء.

ونسأل الـلـه منـازل الـذين أنعـم الـلــه علـيهم مـن النبيـين والصـديقين والشـهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وأما الوقفتين الهامتين مع مسار الصحوة السياسية والغيرسياسية فهما:

وقفـة مـع ظـاهرة الإرجـاء السـياسي في الصـحوة.. ووقفـة مـع ظـاهرة الممارسـات الديمقراطية عند الإسلاميين. وسنتناول الأولى هنا ونترك نقاش الثانية لفقرة الفكر والمـنهج في الباب الأول من الفصل الثامن في الجزء الثاني إن شاء الـلـه.

الفصل السادس

مسار التيار الجهادي وتجاربه

(1960-2001) م

الفصل السادس

مسار التيار الجهادي وتجاربه

(1960-2001)م

أولا: تعريف التيار الجهادي وتصنيفه

ابتدءا أقول: إن الأصل المتفق عليه كتعريف عام، ينص على أن الجهاد في سبيل اللـه هو: الجهد المبذول لتكون كلمة اللـه هي العليا. وهو يعني بإطلاقه القتال في سبيل اللـه وبذل النفس والمال في سبيل نصرة دين اللـه والدفاع عن المسلمين،دينهم ودمهم وعرضهم ومالهم وأرضهم.. وعليه فالقائم بهذا العمل ابتغاء وجه اللـه ولتكون كلمة اللـه هي العليا هو المجاهد في سبيل اللـه. وإذا اجتمع الرهط أو الجماعة من المسلمين على ذلك فهم (مجاهدون في سبيل اللـه).

ولكن هذا الفصل يختص بنوع خاص من هؤلاء(المجاهدين)، يحتاج أصحابه مصطلحا وتعريفا محددا يجمعهم وينسحب على مدارسهم وتجمعاتهم المتعددة، أو حتى على علمائهم وكوادرهم وأفرادهم.. وهو ما اصطلح عليه بمسمى (التيار الجهادي). وقد كنت في محاضرات وتسجيلات سابقة قد وسعت ما يشمله المصطلح عندما وصلت إلى هذا الفصل، ولاسيما في مجموعة المحاضرات المعنونة باسم (الجهاد هو الحل لماذا وكيف) وكذلك في محاضرات أشرطة الفيديو وهي من آخر إنتاجي وكانت بعنوان هذا الكتاب. فقلت فيها: أن التيار الجهادي

(هو مصطلح شامل لكل من حمل السلاح فردا أو جماعة أو تنظيما يجاهد أعداء الإسلام تحت شعار لا إله إلا اللـه محمد رسول اللـه) وقلت في حينها أن هذا التعريف يترك جانبا مسألة المناهج والأساليب والأهداف المحدودة ويتجاوز تقيمها. وقلت أن التيار الجهادي مرحلة و ظاهرة انبثقت عن الصحوة الإسلامية خلال القرن المنصرم.

ولما عدت لما كتبته أو قلته في دروسي و أبحاثي تحت هذا التعريف المتوسع، وجدت أن التيار الجهادي الذي تناولت مساره في تلك المحاضرات- وأتناوله هنا- لا ينسحب على كل من يندرج تحت ذلك التعريف العريض (الذي يشمل كل مجاهد في سبيل الله) والذي يشكل مجموع جماعاتهم وأفرادهم وهو. ما يمكن أن يسمى بـ (الظاهرة الجهادية المسلحة). ولذلك أعيد صياغة التعريف بشكل أدق هنا فأقول:

- التيار الجهادي:

ويشمل كل التنظيمات والجماعات والتجمعات والعلماء والمفكرين والرموز والأفراد الذين تبنوا فكرة الجهاد المسلح ضد الحكومات القائمة في بلاد العالم العربي و الإسلامي. باعتبارها تمثل أنظمة حكم مرتدة. بسبب حكمها بغير ما أنزل الله، وتشريعها من دون الله، وولائها لأعداء الأمة من قوى الكفر المختلفة، كما تبنوا منهاج الجهاد المسلح ضد القوى الاستعمارية الهاجمة على بلاد المسلمين معتبرين تلك الأنظمة التي أسقطوا شرعيتها وخرجوا عليها حلفاء محاربين للإسلام والمسلمين.

ورغم أن جماعات وأفراد التيار الجهادي يشتركون مع غيرهم من مكونات(الظاهرة الجهادية) في مبدأ الجهاد المسلح ضد الأعداء الخارجيين المعتدين على أهل الإسلام وبلادهم ومقدساتهم مع الجماعات والأفراد الذين تصدوا لجهاد هؤلاء الأعداء كما في فلسطين و الشيشان و البوسنة وكشمير والفلبين و إرتريا وغيرها.. إلا أنهم تميزوا بالفكر المنطلق من مبادئ الحاكمية والمفاصلة مع أنظمة الجاهلية، وبمبادئ الولاء و البراء و موقف المؤمنين من الطاغوت وأوليائه.. إلى غير ذلك مما سنعرض له من تفاصيل منهجية.

ولذلك سأصطلح على الفريق الثاني من الممارسين للجهاد ضد الكفار الأصليين من اليهود والنصارى والوثنين وغيرهم من أعداء المسلمين باسم (الجماعات المجاهدة). وهذه مصطلحات تصنيف وتقسيم دراسي، وليس تقسيم عقدي أو منهج تقييم.

فالأصل العقدي كما قدمت، هو أن المجاهد في سبيل الـلـه ؛ من قاتل لتكون كلمـة الـلـه هي العليا. كما قرر ذلك رسول الـلـه صلى الـلـه عليه وسلم فيما صح واشـتهر مـن أحاديث السنة: روى أبو موسى الأشعري أن رجلا أعرابيا أتى النبي صلى الـلـه عليه وسـلم فقال: يا رسول الـلـه، الرجل يقاتل للمغـنم، والرجـل يقاتـل ليـذكر، والرجـل يقاتـل لـيرى مكانه، فمن في سبيل الـلـه؟ فقال رسول الـلـه صلى الـلـه عليه وسلم:

(من قاتل لتكون كلمة الـلـه أعلى فهو في سبيل الـلـه) (رواه مسلم).

وقد أذكر المصطلح باختصار في ثنايا البحث بقـولي (الجهـاديين) إشـارة إلى المنتمـين للتيار الجهادي - وقد اشتهر هذا المصطلح - وبقولي (المجاهدين) إلى أفراد الصنف الآخـر. ولا يغيب عن الذهن أيضا أن هذا التصنيف هو بحكم الغالب في المجموع، فقـد يحتـوي التيار الجهادي من لا يحمل تفاصيل فكره ومنهجه وهـذا قليـل. وقـد يحمـل فكـر التيـار الجهادي أفراد من جماعات مجاهدة للكفار الأصليين من المستعمرين والأعداء الخارجيين وهذا كثير، ولاسيما في الجماعات المجاهـدة التـي انبثقـت عـن أصـول جماعـات الإخـوان المسلمين أو جماعات التيار السلفي.. ولكن توجه تلك الجماعات كـان للأعـداء الخـارجيين ولم تتبن منهجا معلنا في ذلك لأسـباب حركيـه وسياسـية.. في الغالـب، أو لأسـباب منهجيـه أحيانا.

إذن أعود بعد هذا التفصيل لاختصار التعريف فأقول:

(الجهاديون) أو(التيار الجهادي) هم الجماعات أو الأفراد الذين حملوا فكرة الجهـاد المسلح ضد الحكومات القائمة في بلاد العالم الإسلامي، أو ضد الأعـداء الخـارجيين، وحملـوا فكرا محددا يقوم على مبادئ الحاكمية وقواعد الولاء و البراء وأساسيات الفكـر الجهـادي السياسي الشرعي المعاصر كما هو مفصل ومعروف في أدبياتهم.

وإذا أردنا أن نقوم بعمليـة تصـنيف للجماعـات والأفـراد الـذين مارسـوا الجهاد المسلح خلال النصف الثـاني مـن القـرن العشريـن وإلى اليـوم والـذين

يشكلون بمعظمهم ما أصطلح عليه باسم(الظاهرة الجهادية المسلحة) تصنيفا عموميا لأخذ فكرة أكثر تحديدا عن فحوى التعريف السابق نجد أن بالإمكان إجراء نوعين من التصنيف:

الأول: وفق مجالات جهادها والعدو الذي استهدفته.

والثاني: وفق مناهجها في التفكير و الاعتقاد والمنهج السياسي الشرعي.

ولكن قبل ذلك يجب أن نلفت النظر إلى التفريق الهام بين الجماعات المجاهدة أو الجهادية، وبين تلك التنظيمات التي تحمل السلاح تجاه مختلف أشكال أعداء الأمة، ولكن ليس جهادا في سبيل الله وليس لإعلاء كلمة الله، أو أداء لفريضة الجهاد بقصد الواجب الديني كعبادة.. وإنما لدوافع مختلفة قد تكون (وطنية تحررية)، أو لدوافع (سياسية) ضد حكومات دكتاتورية، من أجل تبديل النظام اللاديني القائم، وإقامة نظام لا ديني آخر يقوم على مبادئ القومية أو الوطنية أو الديمقراطية أو الاشتراكية أو الشيوعية.. أو سوى ذلك من المذاهب السياسية والفكرية العلمانية المعاصرة..

فهذه الأخيرة منظمات نضالية أو كفاحية وليست مجاهدة ولا جهادية. و قد يكون حمل السلاح لأسباب من الرجولة والحمية أو شجاعة أو رياء ومفاخرة.... إلى أخره. ولا يعتبر عملها الذي قد يكون محمودا من وجهة النظر الوطنية أو التحريرية أو النضالية.. ولكنه ليس عبادة يثاب فاعلها عليها، ولا أجر له في الآخرة، وليس قتله شهادة في سبيل الله، وإنما هجرته وقتله إلى ما هاجر إليه بحسب نيته. بل قد يكون آثما أو مرتدا بحسب الأهداف التي قاتل من أجلها.. فالجهاد ؛ هو ما كان في سبيل الله ولإعلاء كلمة الله، والشهيد كما عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله.

وأما المجاهدون الذين يشكلون أفراد الظاهرة الجهادية. فهم الذين يقومون بالقتال في سبيل الله تعبدا لله، وأداء لفريضة افترضها الله على المسلمين في أحوال محددة. فيقومون بالجهاد كفعل ديني عبادي. وهذا أمر يجب أن يكون

واضحا. وأما تصنيف أنوع المجاهدين اليوم فعلى الشكل التالي بناء على ما أسلفت، مما يساعد على تعريف التيار الجهادي وتميزه عن غيره من مكونات (الظاهرة الجهادية المسلحة المعاصرة) عموما.

ثانيا: تصنيف مكونات الظاهرة الجهادية:

تصنيف مكونات الظاهرة الجهادية بحسب مجالات جهادها والأعداء الذين جاهدهم:

1. التيار الجهادي: أو(الجماعات أو التنظيمات الجهادية): أو(الجهاديين):

وهي الجماعات الأفراد الذين تبنوا فكرة جهاد الحكومات القائمة في بلاد العالم العربي والإسلامي، من أجل إسقاطها وإقامة حكم شريعة الله على أنقاضها. أو دفعا لظلمها الواقع على المسلمين، بناء على فكر جهادي سياسي شرعي محدد سيأتي بيانه إن شاء الله.

وقد يشارك أفراد هذه المنظمات والجماعات بشكل جماعي أو فردي، في أنواع أخرى من الجهاد كدفع الصائل وجهاد الأعداء الخارجيين كما في أفغانستان والبوسنة و الشيشان وسواها. ولكن أساس نشأتها وأهدافها جعلها بشكل عام منظمات؛ (سرية الحركة) (قطرية الأهداف) (هرمية البناء التنظيمي). يرتبط أفرادها بقيادة وأمير عبر بيعة على الجهاد والعمل لتحقيق تلك الأهداف.

2. الجماعات أو التنظيمات المجاهدة:

وهي المنظمات والجماعات التي تخصصت في جهاد الأعداء الصائلين على بلاد المسلمين وخاصة اليهود(كما في فلسطين)، أو الصليبيين المحتلين كالأمريكان (كما في جزيرة العرب والعراق وغيرها حاليا) أو الغربيين عموما، أو الملحدين كما الروس أو الصين، أو الوثنيين كما في الشيشان والبوسنة والهند وكشمير وجنوب شرق آسيا... أو أي نوع من الأعداء الخارجيين.

وكثيرا ما تأخذ هذه المنظمات شكل حركات تحرير وطنية، ولكن على أساس إسلامي وجهادي كما أسلفنا، وبهدف تحرير تلك البلاد، ثم إخضاعها

للحكم الإسلامي، أو دفاعا عن الدين والأرض والعرض والـنفس والمـال.. كعبـادة وفريضـة شرعية.

3. الجماعات والأفراد المجاهدين من أجل تغير المنكر بالسلاح أو لدفع المظالم:

وغالب هذه الظاهرة يقوم على الجهاد الفردي والمبـادرات الشخصـية، وغالبـا مـا لا يكون لها جماعات محددة أو أمـير، وإنمـا أفـراد أو شراذم صـغيرة تقـوم بـأعمال جهاديـة مسلحة بنية الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر أداء لفريضـة عبـا ديـة وبنـاء على تصورات ودوافع دينية، لإزالة منكر هنـا أوهنـاك، كتـدمير مواقـع الخمـر أو الزنـا أو المجون والفساد، أو اغتيالا لرأس من رؤوس الكفر أو الظلم أو العدوان على المسـلمين، أو على دينهم وشعائرهم ومقدساتهم، أو لإزالة أي مظهر من المظاهر التي يعتبرونها منكـرة دينيا يجب إزالتها باليد بعد أن استحال ذلك باللسان والقلب..

ولست هنا بصدد تقـيم الصـواب أو الخطـأ أو الجـدوى مـن هـذه الأعـمال، وهـل حققت الهدف من إزالة المنكر، أم أدت إلى مناكير أكبر.. ولكنـي أذكـر هـذا الصـنف هنـا نوع من أنواع المجاهدين الـذين قـاموا بـذلك كعبـادة وأداء لواجـب دينـي، وهـذا أصـل نيتهم.

- تصـنيف مكونـات الظـاهرة الجهاديـة بحسـب مناهجهـا في التفكـير والسياسـة الشرعية:

وتنقسم بصورة رئيسية إلى نوعين رئيسيين:

1. جماعات منهجية:

وهي التي لها منهج فكري سياسي شرعي محدد ومفصل، وموقف شرعي من عموم المسائل السياسية الشرعية أو العقدية والفكرية عموما.

2. جماعات غير منهجية:

وهي الجماعات التي اجتمع أفرادها على أداء فريضة الجهـاد لهـدف مـن الأهداف المشروعة شرعا، كدفع الصائل أو إزالة المنكـر أو دفـع المظـالم أو قتـال

حكومة أو سوى ذلك، و على حمل السلاح مـن دون أن يكـون لهـا مـنهج سـياسي شرعـي مفصل يحدد الموقف من المسائل السياسية وغيرها.

وتنقسم الجماعات الجهادية المنهجية إلى ثلاث أقسام رئيسية:

1. الجماعات الجهادية الحركية:

ومعظمها انبثقت عن الصحوة الإسلامية مطلع الستينيات، وحملـت مـؤثرات فكـر الإخوان المسلمين بالإضافة للفكر الذي قام على أسس الـولاء و الـبراء و الحاكميـة، والـذي كان من أوائل وأعظـم منظريـه سـيد قطـب في مصر، و الأسـتاذ أبـو الأعـلى المـودودي في باكستان.

2. الجماعات الجهادية السلفية:

وهي الجماعـات الجهاديـة التـي ضـمت إلى الفكـر السـابق، الاعـتماد عـلى عقائـد السلف وفق فتاوى الإمام ابن تيمية وأمثاله من أقطاب المدرسة السلفية، واعتمدت فقـه الدعوة النجدية وأفكار الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الـلـه، وأفكار من سار عـلى هذا المنهج ممن جاء بعدهم.

3. الجماعـات المجاهـدة الإصـلاحية والتربويـة (الصـوفية الجهاديـة – جماعـات العلـماء الجهادية...):

وهي الجماعات التـي قامـت عـلى أسـس تربويـة ومنهجيـة علميـة أو مذهبيـة أو طرقية وتكون لها كيان تنظيمي وارتبط أعضائها ببيعة إلى رئيسهم أو شيخهم أو قائدهم.. ثم حملت السلاح للجهاد ضد الأعداء الخارجيين غالبا، أو في مسائل داخلية أحيانا.

كما تنقسم الجماعات الجهادية غير المنهجية إلى قسمين:

1. جماعات مجاهدة منظمة:

وهي الجماعـات التـي يـرتبط أفرادهـا ببيعـة وأمـير وقيـادة. وتقـوم لهـا هياكل إدارية تنظيمية. و يربط أفرادها القضية الجهادية التي اجتمعـوا عليهـا، كدفع الصائل أو إزالة أي منكر من المنكرات، أو التصدي لأي شكل مـن أشـكال

أعداء الإسلام والمسلمين. ولكن من دون أن يكون لهم منهج فكري محدد للاعتقاد والتربية..

2. كتل وأفراد وتجمعات مجاهدة غير منظمة:

وهي محاولات الأفراد أو الكتل الصغيرة والشراذم المجاهدة التي قام أعضاؤها هنا وهناك بأعمال جهادية مشروعة، ولكن دون أن يكون لواحدهم أو مجموعهم فكر محدد ولا منهج اعتقاد وتربية، أو رابط يربط بين أعضائهم.

وهذا الفصل الذي نحن بصدده يركز على دراسة بعض ملامح وتجارب التيار الجهادي المسلح بشكل محدد. وهو أبرز وأهم مكونات الظاهرة الجهادية المسلحة. وأكثرها أثرا بل يشكل أساس الظاهرة، والجانب الأهم فيها من حيث الحجم والأثر.

- ثالثا: نشأة التيار الجهادي المعاصر ومراحل تطوره فكريا وحركيا (1960-2001):

يعتبر ميلاد جماعات وتنظيمات التيار الجهادي نتاجا طبيعيا للتطورات السياسية لمرحلة ما بعد الإستقلال(الشكلي) عن الإحتلال في بلاد العالم العربي والإسلامي. كما يعتبر تطورا مرحليا طبيعيا وإفرازا تلقائيا للصحوة الإسلامية المعاصرة، التي كانت قد انطلقت منذ سقوط الخلافة تقريبا أي مطلع الثلاثينيات. أي قبل ميلاد التيار الجهادي بنحو ثلاثة عقود على الأقل. بحسب حداثة أو قدم ميلاد الصحوة الإسلامية وأحوال كل بلد وظروف احتلاله وأوضاعه السياسية عموما...

فكما مر معنا في الفصلين السابقين. فقد تولى الإستعمار الحديث للبلاد العربية والإسلامية تحطيم مقومات المقاومة والنهضة في الأمة بعد إسقاط الخلافة، وتمكن من تحطيم مقومات المرجعيات السياسية والدينية والاجتماعية في غالب بلاد العالم العربي والإسلامي. وأدت النقلة النوعية في أسلوب الإستعمار، من الإستعمار القديم أو(العسكري المباشر) لبلاد المسلمين إلى أسلوب الإستعمار الحديث (الاقتصادي والسياسي والثقافي)، وتنصيبه

لحكومات الردة من أجيال العلمانية أومن التجمعات الخائنة العميلة) نائبة عنه في تحقيق أهدافه...

و أدى ذالك إلى خروج الأمة من ميدان الصدام لخفاء دور المستعمر الخارجي وتولي الحكومات (الوطنية) المحلية للحكم...وبحكم طبائع الأشياء كان لا بد لتلك الحكومات من أن تصطدم مع مختلف مكونات الصحوة الإسلامية التي قامت أساسا من أجل العودة بالمسلمين بشكل أو بآخر- بحسب كل مدرسة واتجاهاتها ومناهجها- إلى الحياة بناء على تعاليم دينهم والحكم بشريعتهم.

فقد قامت حكومات الإستقلال كلها بلا استثناء في بلاد العالم العربي والإسلامي، على أسس علمانية تفصل الدين عن الدولة. وحكمت جميعها بغير ما أنزل الله، وتولى المارقون من أبنائها مهمة التشريع من دون الله، كما تولوا مهمة العمالة والولاء لأعداء الأمة وخدمة أهدافهم جهارا. هذا بالإضافة إلى ما تحلت به كل تلك الحكومات بلا استثناء من مواصفات الظلم والقهر والاستبداد ومختلف أشكال الفساد الإداري والسلوكي وغير ذلك..

وزرع الإستعمار الكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي في فلسطين، وقامت دولة إسرائيل عام 1947 رسميا على معظم أرض فلسطين، ثم أتمت إسرائيل احتلالها بالإضافة إلى أجزاء من مصر وسوريا والأردن ولبنان سنة 1967.

وشكلت قضية فلسطين عبئا ضخما في وجدان العالم العربي والإسلامي.. ورسخ الإستعمار الغربي احتلاله الاقتصادي للعالم العربي والإسلامي واستنزف خيراته... ودعم وحفظ الحكومات الديكتاتورية التي أنشأها فيه.

وهكذا وجدت قواعد الصحوة الإسلامية وقياداتها نفسها أمام هذا الواقع المؤلم الغريب الذي عقب مرحلة الإستعمار... وتعددت المذاهب والآراء داخل أوساط الصحوة ذاتها لمعالجة هذا الواقع مما أدى لتمايز مدارسها واتجاهاتها كما رأينا في الفصل الخامس.

ففي حين رأى بعضهم بأن الحل يكمن في التربية والإصلاح واعتـزال السياسـة... رأى آخرون الحل والإصلاح في اقتحام ميادينها مـن البوابـة المشروعـة (قانونـا)، مـن خـلال مـا تتيحه تلك الحكومـات.. رأى الفريـق الثالـث (والـذي نحـن بصـدده في هـذا الفصـل) أن الخرق قد اتسع على الراقع، وأنه لا بد مـن حمـل السـلاح لعـلاج هـذه الأوضـاع..لاسـيما بعدما أثبتت تلك الحكومات وأجهزتها القمعية، أنها جاهزة لتقليم أظـافر الصـحوة دائمـا عبر تصفية قياداتهـا باغتيـال زعمائهـا أو زجهـم في السـجون لـعشرات السـنين، ومطـاردة أتباعهم وتضييق كل سبل الدعوة إلى اللـــه حتـى السـلمية منهـا.. وهنـا.. بـدأت تتبلـور الأفكار الأولى لميلاد التيار الجهادي المعاصر.. نهاية الخمسـينيات ومطلـع السـتينيات مـن القرن المنصرم..

كانت حركة الإخوان المسلمين (بصـورة رئيسـية) المحضـن الطبيعـي الـذي يمكـن أن تولد فيه مثل هذه الأفكار وتنتشر. فقـد كونـت دعـوة حسـن البنـا رحمـه اللــه مناخـا مناسبا لهذه التطورات. ولا أدل على ذلك من شعارها الذي اختصر منهجها (اللـه غايتنـا. الرسول قدوتنا. القرآن دستورنا. الجهاد سبيلنا. الموت في سبيل اللـه أسمى أمانينـا)، رغـم أن فكرها وممارساتها قد حمل كثيرا من الاختلاط الفكري والمنهجي، من مـؤثرات صـوفية وسلفية ووطنية وديمقراطية وسوى ذلك. كما شكلت ممارسـاتها الجهاديـة المبدئيـة دلـيلا آخر على صلاحية أن تكون محضنا لميلاد التيار والفكر الجهادي في رحمها.

فقد شارك قيادات وشباب الإخوان المسلمون في مصر وسوريا في حرب فلسطين سنة 1947- 1948. وشكل حسن البنا جهازه السري الخاص، وهـو الجهـاز العسـكري للجماعـة لأهداف جهادية، وقد قام أعضاء هذا الجهاز بعد اغتيـال حسـن البنـا رحمـه اللــه سـنة 1949 بقيادة وإدارة المقاومة السرية في قنـاة السـويس ومـا حولهـا مطلـع الخمسـينيات. وشارك الجهاز في دعم حركة عبد الناصر والضباط الأحرار بالإطاحة بالملـك فـاروق. ولكـن هذا الهالك كان قد رتـب مـع أعـداء هـذه الأمـة برنامجـه الـذي تضـمن تصـفية الحركـة الإسلامية في مصر وطليعتها حركة الإخوان المسلمين.

فقام بسجن قيادتهم و الآلاف من قواعدهم سنة 1954 ووسع حملته عليهم وأعدم بعضهم سنة 1965 وكان من بينهم خيرة مفكريها وعناصرها القيادية، هذا في مصر، أما في سوريا وهي المحضن الهام الآخر لحركة الإخوان المسلمين.. فقد عصفت الانقلابات العسكرية بحكومات الإستقلال الوطنية الديمقراطية التي توالت منذ 1946. ومنذ 1954 توالت الانقلابات التي رعتها المخابرات الأمريكية وتجاربها في سوريا، إلى أن تم تجهيز الأجواء لحزب البعث العربي الاشتراكي ليقوم بانقلابه سنة 1963. وكان على أولى أولوياته تصفية الصحوة الإسلامية من الإخوان وغيرهم، ومحاربة الإسلام بكل مكوناته.. وشكلت مصر وسوريا المحضن المبكر لميلاد وتبلور فكر الجهاد ونظريات عمله، وتكررت هذه الصورة في مختلف بلدان العالم العربي والإسلامي.وعملت تلك التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية وحملات التغريب والعلمنة التي قامت بها الحكومات المختلفة على طرح مسائل هامة على فكر الصحوة الإسلامية ومنهجها..

ففي باكستان وخلال الخمسينيات شكلت كتابات الأستاذ أبو الأعلى المودودي رحمه الله مادة أساسية لتبلور فكر الجهاد.. فقد انتقد رحمه الله الحالة البليدة التي تعيشها الأوساط الدينية التقليدية في باكستان.. وطرح عبر كتبه ومقالاته وجريدة حركته التي أسسها باسم(الجماعة الإسلامية في باكستان) كثيرا من أهم المسائل السياسية الشرعية، وعرض واقع المسلمين المعاصر من خلالها.. وكتب عن مقتضيات شهادة التوحيد..وعن أسس الولاء والبراء.. وعرف الجهاد وأغراضه وأهدافه..وكتب حول ميلاد الدولة الإسلامية ومميزاتها وعن دستورها ومواصفاتها والطريق لإقامتها. وأشتمل أحد أهم كتبه وهو (المصطلحات الأربعة) على كثير من أساسيات الفكر الجهادي المعاصر..

ولكن رائد الفكر الجهادي في العصر الحديث بلا منازع والذي يعود لأفكاره ميلاد منهج التفكير ونظريات الحركة في (التيار الجهادي المعاصر) كان بلا شك الأستاذ (سيد قطب) رحمه الله. الذي ابتدأ حياته أديبا شاعرا و باحثا ناقدا لا معا. وعاش نضوج الفكر خلال الحقبة الصاخبة الحرجة من تاريخ

مصر المعاصر خلال الأربعينات والخمسينات والستينات، وهي زوال الملكية وثورة الضباط الأحرار. واحتلال فلسطين والعدوان على مصر..واحتك عن قرب بالإخوان المسلمين وتأثر بحركتهم. وكان لرحلته الدراسية إلى أمريكا أثر بالغ في اكتشافه لطبيعة الحملة الصليبية المعاصرة على العالم العربي والإسلامي، قد شكلت أجواء السجن الذي زجه فيه عبد الناصر مع أكثر قيادات الإخوان المسلمين منذ مطلع الخمسينيات وإلى أواسط الستينيات.. المحيط العام الذي خط فيه كتاباته التي تعد بحق الأساس الفكري والمنهجي للتيار الجهادي المعاصر في العالم العربي والإسلامي.. فقد ضم كتابه (في ظلال القرآن) وهو تفسير حركي لآيات القرآن الكريم في ضوء ما نقله المفسرون من الآثار، خلاصة النظريات الحركية للفكر الجهادي المعاصر، وخلاصة ما أراد سيد طرحه من مفاهيم. وكان كتابه (معالم في الطريق) هو الأهم على صغر حجمه، وحوى خلاصة ذلك الفكر و طروحاته الجهادية الانقلابية الثورية. وكونت مكتبته الواسعة من الكتب الاخرى من مثل كتاب(خصائص التصور الإسلامي) و(هذا الدين) و(جاهلية القرن العشرين) وغيره.. منهجا منحرفا لفكر جهادي حركي معاصر يناسب تلك المرحلة.

كان فكر سيد رحمه الله نقلة نوعية في المسار الفكري للصحوة الإسلامية عموما وللإخوان المسلمين خصوصا. وكان على الحركة (الأم) كما أسموها أن تحدد موقفها من هذه الطروحات..

ووقفت القيادة التقليدية للإخوان في مصر من سيد وأفكاره موقفا رافضا مناوئا.. فقد كانت نظرياته في الحاكمية والولاء والبراء، والمفاصلة مع الجاهلية والتمايز في الهوية والمنهج.. مفرقا هاما كان على الإخوان أن يقرروا السير معه نحو التطور، أو الافتراق عنه في ردة فعل تحيد بهم حتى عن ثوابت أساسية كان عليها المنهج عندهم.

واختار الإخوان الطريق الثاني تجنبا للصدام مع السلطة وبدت آثار السجن والقمع والسياط جلية في ملامحهم الفكرية الجديدة. فقد كتب المرشد العام حسن الهضيبي رحمه الله كتابه الشهير (دعاة لا قضاة) ردا على كتاب (معالم في

الطريق) وما حمله (في ظلال القرآن)، من أفكار المواجهة والصدام مع الجاهلية التي يجسدها النظام السياسي القائم، وما يفرض على المجتمعات من تحول.. وهنا افترقت حركة الإخوان المسلمين والصحوة السياسية المعاصرة إلى مدرستين متمايزتين متناقضتين.. فجسد كتاب (المعالم) وفكر سيد عموما، فكر الحاكمية والتمايز والمفاصلة، وبالتالي الحكم بالكفر والردة على أنظمة الحكم القائمة والدعوة الصريحة لجهادها ورسم معالم طريق هذا الجهاد..

وشكل كتاب (دعاة لا قضاة) كما يدل عنوانه المعبر، منهج الإخوان الجديد وبداية مسار التراجع الذي ابتدؤوه من حينها، وكانت خلاصة نظريته أن رواد الصحوة الإسلامية عبارة عن دعاة إلى الإسلام والإصلاح، وليسوا قضاة على الحكام والناس وما هم فيه من أحوال، حتى يحكموا بانتمائهم للإسلام أو خروجهم عنه. وشكل هذا الكتاب أحد أهم مرتكزات الإرجاء السياسي المعاصر في الحركة الإسلامية الناهضة،حيث شملت شهادته بالإسلام السلطات المرتدة الكافرة وأركانها في مصر وغيرها.

وكان هذين الكتابين و هذين الفكرين بداية لتشكيل المدرستين الرئيسيتين في الصحوة الإسلامية، وهما المدرسة السياسية، والمدرسة الجهادية. وأدى هذا الجو الفكري - كما بينا آنفا-إلى ولادة المدرسة الشاذة للتكفير في سجون مصر أيضا على هامش تلك الصراعات الفكرية وقد سبق بيانه.

ولست هنا بصدد استعراض المسار الفكري للصحوة السياسية. وأعود للسير مع التيار الجهادي وبداية ميلاد مناهجه وتنظيماته..

فرغم أهمية كتابات سيد وأولويتها في توليد الهوية الفكرية للتيار الجهادي، إلا أن كتابات هامة أخرى قد برزت في تلك المرحلة في مصر أيضا، يأتي في طليعتها كتابات الأستاذ القانوني عبد القادر عوده رحمه الله، الذي أعدمه عبد الناصر، وكذلك كتابات الشيخ المحدث أحمد شاكر رحمه الله وغيرهم...، وقد حاول سيد قطب رحمه الله وضع أفكاره موضع التنفيذ، وحاول تشكيل أول تنظيم جهادي سري يحمل تلك الأفكار، من لفيف من الشباب المجاهد الذين كان معظمهم أعضاء في الإخوان المسلمين، إلا أن تجربته تلك سرعان ما

أجهضت وأعدم بتهمتها رحمه اللـه. ليتحقق له قول رائع ورؤيا صالحة بالغة الدلالة كان قد رآها في سجنه. فقد روى بعض معاصريه في السجن أنه رأى في منامه قبيل إعدامه، دُرج طاولته التي يكتب عليها والذي يحوي الأوراق التي خط عليها أفكاره... ينفتح وتأتي العصافير فتحمل الأوراق وتطير بها في كل اتجاه... فأولها، انتشار فكره في أنحاء الدنيا.. وأما القول الذي تحقق لكتاباته أيضا فهو:

قال سيد قطب رحمه اللـه تعالى:

(إنه ليست كل كلمة تبلغ إلى قلوب الآخرين فتحركها وتجمعها وتدفعها، إنها الكلمات التي تقطر دماء لأنها تقتات قلب إنسان حي. كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان، أما الكلمات التي ولدت في الأفواه، وقذفت بها الألسنة ولم تتصل بذلك النبع الإلهي الحي، فقد ولدت ميتة، ولم تدفع بالبشرية شبرا واحدا إلى الأمام، إن أحدا لن يتبناها لأنها ولدت ميتة. والناس لا يتبنون الأموات)..

وهكذا انتشر فكر سيد في كل الدنيا.. ولقد رأيت كتابه معالم في الطريق في باكستان مترجما للغة البشتو والفارسية.. بل لقد بلغني أن أحد المجاهدين القدماء أيام جهاد الروس دخل إحدى المدارس في (نورستان) وهي مناطق جبلية نائية جدا بالغة الوعورة وسط جبال الهندوكوش على الحدود الشمالية لكشمير والصين قريبا من بدخشان وممر واخان، تقع على ارتفاع أكثر من 5000 متر عن سطح البحر.. في منطقة لم يدخلها من مقومات الحضارة شيء،لا ماء ولا كهرباء ولا سواها. وقال أنه دخل إحدى المدارس فوجد فيها كتاب (معالم في الطريق) لسيد قطب مترجما للغة النورستانية !!.

وأما في سوريا. المحضن المهم الثاني لمنشأ الصحوة الإسلامية و(التيار الجهادي المعاصر) فقد ظهر في نفس الفترة(1960-1965) الشيخ مروان حديد رحمه اللـه. وكان قد ذهب للدراسة في مصر وحمل فكر الإخوان المسلمين، وعاد منتسبا إليه، وكانت الدعوة قوية في سوريا أواخر الخمسينيات، واقتنع الشيخ مروان حديد رحمه اللـه بأن بلاءا كحزب البعث الذي بدأت تغلب على قيادته

العناصر النصيرية وتعد للاستيلاء على الحكم، لا يمكن مواجهته إلا بالجهاد، فحمل أفكارا شبيهه بأفكار سيد وتأثر به، ولم يكن الشيخ مروان كاتبا وإنما خطيبا وشاعرا حركيا. فأسس (تنظيم الطليعة المقاتلة لحزب اللـه) كما أسماه أولا، والذي تحول فيما بعد لاسم (الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين). وقام بمحاولة جهادية قمعتها دبابات السلطة البعثية سنة 1965... ثم عاود الكرة سنة 1970 ثم ما لبث أن اعتقل ثم أعدم سنة 1975 رحمه اللـه.

وحمل تلامذته من بعده مهمة إشعال أطول ثورة جهادية معاصرة ضد حكومة في العام العربي (1975-1982). وظهر في الإخوان المسلمين في سوريا الشيخ (سعيد حوى) رحمه اللـه وتتالت كتبه التي حملت الفكر الجهادي وحققت فيه إضافات مهمة خلال السبعينات والثمانيات.. وحملت معظمها اسم سلسلة (في البناء). وكان منها كتب ؛ (اللـه) (الرسول) (الإسلام) (مدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين) وكان من أهم كتبه التي نظرت للفكر الجهادي؛ كتاب(خطوة للأمام على طريق الجهاد المبارك)، وكتاب (جند اللـه ثقافة وأخلاقا)، وكتاب (جند اللـه تنظيما وتخطيطا). وهي قمة عطائه الفكري الجهادي... حيث عانى بعد ذلك تراجعا فكريا نتيجة المسار الفاشل للعمل الجهادي في سوريا. انتهى به إلى لوثات ديمقراطية وصوفية ظهرت في آخر مؤلفاته رحمه اللـه وغفر له.

وأعتقد أن من هناك.. من مصر والشام كانت البداية..أما في معظم باقي بلاد العالم العربي.. فقد كانت الظروف السياسية المحلية متشابهة والحالة الاستعمارية كذلك أيضا وانشر هذا الفكر من مصر وسوريا إلى السودان والعراق ولبنان والأردن بحكم الجوار.

وبحكم الاستقلال المبكر لسوريا ومصر..وبحكم تقدم نظام التعليم فيهما عن باقي بلاد العالم العربي كله تقريبا، استقدمت كافة دول الجزية العربية المدرسين من مصر وسوريا لمراحل التعليم الأولى (الابتدائية.. والمتوسطة والثانوية) بل وللجامعية أيضا، ولاسيما في كليات الشريعة والآداب والقانون والعلوم الإنسانية وسواها.. وكذالك استقدمت أكثر دول شمال إفريقيا،

ولاسيما الجزائر خلال ثورة (التعريب) التي قام بها الرئيس الجزائري (هواري بومدين) بعد الاستقلال لمواجهة سياسة الفرنسة التي فرضتها فرنسا على مدى 130 سنة من الإستعمار.. استقدمت تلك الدول المدرسين أيضا من مصر وسوريا..

ونظرا إلى أن دعوة الإخوان المسلمين كانت قد انتشرت بشكل واسع في أوساط المعلمين والقطاع التربوي في مصر وسوريا.. كان كثير من أولئك المدرسين من دعاة الإخوان أو المتأثرين بدعوتهم.. فكان هذا من أهم أسباب حمل الدعوة الأم، وهي الركن الأساسي في الصحوة السياسية و الجهادية من بعد إلى تلك البلاد، بالإضافة لانتشار ظاهرة الصحوة الإسلامية المحلية عموما في كل تلك البلاد وانتشار ظاهرة الكتاب الإسلامي والاتجار به، وكثرة المطابع والصحف، ونشاط الحركة الثقافية في العالم العربي والإسلامي إبان مرحلة الإستقلال.

وهكذا هبت رياح الصحوة الإسلامية ومدارسها على بلاد العالم العربي والإسلامي، وتبادلت مدارسه وتنظيماته وجماعاته الأثر و التأثير..

ولكن الفكر الحركي للتيار الجهادي. و محضنه الفكري الأول، وأعني فكر الإخوان المسلمين، هب على العالم العربي والإسلامي من مصر وسوريا الشام بشكل رئيسي.

وكان هذا الفكر الحركي الذي تكون داخل حركة الإخوان المسلمين، ثم تطور واستقل وتميز في الفكر(القطبي)- نسبة إلى سيد رحمه اللـه- وكذلك ساهمت كتابات أخيه الأستاذ محمد قطب من بعده،وما أضيف إلى هذه المدرسة من كتابات كتاب الإخوان المسلمين في السبعينات من مختلف البلاد..أحد شطري مكونات فكر التيار الجهادي المعاصر، الذي انضم إلى تكوينه مركب مهم آخر قدم من الجزيرة العربية، من بلاد نجد والحجاز.

- مدرسة (السلفية الجهادية):

والتي يتكون منهجها من مزيج من الفكر الحركي الجهادي القطبي، مع تبني العقيدة السلفية ومنهج الدعوة الوهابية. وهي الهوية الفكرية المنهجية الرئيسية التي طبعت التيار الجهادي خلال (الثمانينات والتسعينات) وهو التيار الذي نحن بصدده في هذا الفصل.

فباختصار أشير إلى أمر بالغ الأهمية في فهم الهوية الفكرة للتيار الجهادي المعاصر..

فقد شكل المنهج الإخواني ذي الطابع السياسي التربوي، والحركية القطبية ذات الطابع المفاصل المتمايز بناء على مبادئ الحاكمية..البعد السياسي الشرعي والحركي في منهج التفكير في التيار الجهادي المعاصر.

كما شكل المنهج السلفي وكثير من مؤثرات الدعوة الوهابية وإنتاجها الفقهي، الأرضية الفقهية والعقدية التي أجابت على أكثر المسائل السياسية الشرعية العالقة التي طرحها وأثارها المنهج الجهادي الحركي.ودعوته للمواجهة مع الأنظمة الجاهلية الحاكمة في العالم الإسلامي.من قبيل إقامة البرهان الشرعي على كفر الحكام الحاكمين بغير ما أنزل الله الموالين لأعداء المسلمين..ثم تسلسل الأحكام الشرعية تبعا لذلك، من أحكام الخروج عليهم وإسقاط شرعيتهم وقتال أعوانهم...إلى غير ذلك من عشرات المسائل الشرعية المتفرعة عن ذلك.

ولما نهجت أكثر مدارس الصحوة الإسلامية المنهج الديمقراطي..وطرحت تصورات شتى للإجابة على مسألة المشكلة والحل في واقع المسلمين المعاصر..ودخلت مدارس الصحوة الإسلامية المختلفة في مساجلات فكرية وفقهية كثيرة..شكل فقه الإمام ابن تيمية والمنهج السلفي وتراث المدرسة الوهابية المستند الأساسي للتيار الجهادي في خوض تلك المعتركات.

وهكذا يمكن أن نوجزالقول ونلخص البنية الفكرية للتيار الجهادي المعاصر بالمعادلة التالية:

أساسيات من فكر الإخوان المسلمين + المنهج الحركي للشهيد سيد قطب+ الفقه السياسي الشرعي للإمام ابن تيمية والمدرسة السلفية + التراث الفقهي العقدي للدعوة الوهابية ⟵ المنهج السياسي الشرعي الحركي للتيار الجهادي.

ولقد كان الميدان الأساسي لنضوج هذه المكونات الفكرية المنهجية خلال السبعينيات والثمانينيات في مصر والشام والجزيرة العربية وخاصة في بلاد الحرمين.ومن هناك انتشر إلى باقي البلاد كما سأبين لاحقا،مع الإشارة إلى أنه كان لكل ساحة من تلك الساحات من بلاد العرب والمسلمين وطبيعة مكونات الصحوة فيها ومرحلة نضوجها أثر في طيعة الفكر الجهادي الذي ولد فيها وطبيعة التجربة تبعا لذلك.

فقد كان التأثير مباشرا وسريعا في الأردن ولبنان واليمن، وكان بطيئا في بلاد مثل العراق نتيجة النظام الأمني الصارم فيها، كما كان التأثير محدودا في دول الخليج العربي والسعودية بسبب طبيعة المجتمعات النفطية فيها، وبسبب قلة السكان وركود الحياة الفكرية والثقافية فيها آنذاك..أما ليبيا وبلاد المغرب العربي فقد تأخر ذلك تبعا لتأخر ميلاد الصحوة الإسلامية فيها إلى مطلع السبعينيات، بحكم ظروف استقلالها وطبيعة أنظمتها و عمق التأثير الغربي للاستعمار الفرنسي فيها..على أنه سجلت محاولات جهادية مبكرة في المغرب (1963)، وفي الجزائر (1973)..من غير أن يكون للمد الفكري للتيار الجهادي المشرقي المولد والذي نحن بصدده أثر أو علاقة بذلك. وكذلك كان التأثير محدودا في القرن الإفريقي والصومال نتيجة ظروفها..حيث انتقلت معظم مؤثرات الصحوة إليها متأخرة عن طريق الطلاب الذين خرجوا للدراسة في الغرب أو في بعض الدول العربية المجاورة مثل السعودية ومصر والسودان وتأثروا بأفكار الصحوة وعادوا بها إلى بلادهم لتمتزج مع معطيات الصحوة المحلية وظروفها..

كذلك كان الحال تقريبا في بلاد أطراف العالم الإسلامي مثل اندونيسيا والفلبين ودول شرق آسيا ووسط أفريقيا..وكذلك دول الجمهوريات السوفيتية في وسط آسيا و القفقاس..

أما أكثر دول العالم الإسلامي تأثرا وتـأثيرا في الصحوة الإسـلامية وعمـوم مدارسـها في العالم العربي فكانت الباكستان وتركيا بحكم القرب والتداخل في أكثر من مجال..

أما التيـار الجهـادي مـن حيـث مـيلاد الفكـر وانتقـال أصـحابه إلى ميـدان التطبيـق والمواجهة مع الحكومات فقد ارتبط قيامه في الأماكن المختلفة بعوامل عدة مثل الظروف السياسية والاجتماعيـة والثقافيـة والاقتصـادية...في كـل بلـد..بالإضـافة إلى مسـتوى ونـوع الصحوة الإسلامية ووصول المؤثرات الفكرية للتيار الجهادي لذلك المكان..

ثم جاءت تجربة الجهاد الأفغاني (1984-1992) لتتكون المدرسة الجهادية التي دعي أصحابها بـ (الأفغان العرب)،ليدخل التيار الجهادي مرحلـة العولمـة كـما سـنرى في الفقـرة التالية إن شاء اللـه.

وقد قامت محاولات جهاديـة للعديـد مـن جماعـات ا للتيـار الجهـادي ضـد بعـض أنظمة الحكم القائمة في العالم العربي والإسـلامي، بمسـتوى و حجـوم مختلفـة منـذ مطلـع الستينات وإلى نهاية القرن العشرين، يمكن ذكر أهمها بحسب تسلسلها الزمني وبحسـب ما يحضرني كما يلي:

- أهم المحاولات والتجارب المسلحة للتيار الجهادي (1960-2000):

(1)- حركة الشبيبة المغربيـة في المغـرب الأقصى (مـراكش). بقيـادة الشـيخ عبـد الكـريم مطيع. ضد حكومة الملك الهالك الحسن الثاني سنة (1963).

(2)- محاولة سيد قطب رحمه اللـه وتنظيم الجهاد ضد حكم عبـد النـاصر في مصر سـنة (1965).

(3)- حركة الشيخ مروان حديد رحمه اللـه ضد حكم البعث في سوريا سنة (1965).

(4)- حركات الجهاد ضد الأنظمة الشيوعية في أفغانستان قبل الإحتلال السـوفيتي(1965-1975).

(5)- تجربة تنظيم الطليعة (EkiNGiLAR) في تركيا خلال الحرب الأهلية 1972.

(6)- حركة الدولة الإسلامية بقيادة الشيخ مصطفى بويعلي رحمه اللـه في الجزائر(1973-1976).

(7)- الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا بقيادة الطليعة المقاتلة من تلاميذ الشيخ مروان حديد (1975-1982).

(8)- حركة تنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية في مصر ضد أنور سادات ثم ضد خلفه حسني مبارك(1981-1997) .

(9)- المحاولة الجهادية ضد حكم القذافي في ليبيا(1986).

(10)- بعض المحاولات الجهادية المحدودة و المحاولة الانقلابية للجهاز العسكري لحركة الإتجاه الإسلامي في تونس.(1986).

(11)- التجارب الجهادية للجماعات المتعددة في الجزائر إبتداءا من سنة (1991).

(12)- المواجهات الجهادية ضد نظام الحكم الشيوعي في طاجيكستان منذ (1992).

(13)- المحاولات الجهادية المحدودة في بلاد الحرمين (السعودية) منذ(1994).

(14)- المواجهات الجهادية في ليبيا (1994-1996) وتجربة الجماعة الإسلامية المقاتلة.

(15)- الإنتفاضة المسلحة لـ (حركة نفاذ شريعة) شمال غرب الباكستان (1996).

(16)- محاولات تكوين جماعات جهادية في المغرب الأقصى منذ (1996).

(17)- المحاولة الجهادية ضد نظام (كريموف) الشيوعي الأمريكي في أوزبكستان. وتشكل الحركة الإسلامية في أوزبكستان (1998).

(18)- التجربة الجهادية لجيش عدن أبين في اليمن منذ (1999).

(19)- المحاولة الجهادية في جبال النبطية في لبنان (2000).

كما قامت في نفس الفترة العديد من الحركات والمواجهات الجهادية ضد مختلف أشكال الإحتلال والعدوان الخارجي على بلدان المسلمين، مما صنفته تحت مسمى الحركات والتنظيمات المجاهدة تمييزا له- من حيث التصنيف الدراسي- عن التيار الجهادي الذي نحن بصدده، والذي يكون معها ما أسميته الظاهرة الجهادية المعاصرة خلال النصف الثاني من القرن العشرين.ومن أهم تلك التجارب والحركات مايلي:

- بعض تجارب المواجهات والحركات المجاهدة للاحتلال والعدوان الخارجي:

(1)- حركات الجهاد والمقاومة ضد الإحتلال الهندي في(كشمير) و (ولاية آسام الهندية).

(2)- حركات الجهاد ضد الهندوس في بورما والأركان.

(3)- حركات التحرير المجاهدة في الفلبين،مثل(جبهة تحرير مورو) و(جماعة أبو سياف).

(4)- الجماعات التي جاهدت في إرتريا ضد الإحتلال الإثيوبي.

(5)- الجماعات المجاهدة الإحتلال الإثيوبي في القرن الإفريقي (الأوغادين والعفر...).

(6)- الحزب الإسلامي في تركستان الشرقية الذي يجاهد الإحتلال الصيني لتركستان.

(7)- (جماعة التوحيد) التي تشكلت من مجاهدي أهل السنة، خلال الحرب الأهلية في لبنان في مواجهة التحالف المسيحي والقوى(الطائفية النصيرية) المدعومة من النظام السوري(1975-1982).

(8)- الجهاد ضد الإحتلال السوفيتي في أفغانستان (1979- 1992).

(9)- حركة المقاومة الإسلامية (حماس) لمواجهة الإحتلال الإسرائيلي في فلسطين منذ (1987).

(10)- حركة الجهاد الإسلامي، لمواجهة الإحتلال الإسرائيلي في فلسطين منذ 1989.

(11)- مواجهات الجماعات الإسلامية الكردية لنظام صدام حسين في العراق، ثم لعدوان الأحزاب الكردية العلمانية في كردستان العراق. منذ (1990)

(12)- التجربة الجهادية في البوسنة ضد العدوان الصربي (1994-1996).

(13)- التجربة الجهادية ضد الإحتلال الروسي في الشيشان و القفقاس منذ (1995).

(14)- المواجهات الجهادية ضد عدوان النصارى في إندونيسيا منذ(1998).

- رابعا: المحطة الرئيسية الكبرى في تاريخ التيار الجهادي:

(الجهاد الأفغاني ضد الروس) وتجمع المجاهدين (الأفغان العرب) (1984-1992)

احتلت جيوش الإتحاد السوفيتي الروسي البائد أفغانستان علنيا سنة (1979) بعد أن فعلت ذلك بطريق غير مباشرة عبر عدد من الانقلابات العسكرية الشيوعية منذ (1965). وأدى دخول الغزاة إلى إنحراط عموم الشعب الأفغاني بقبائله وعلمائه ومختلف طبقاته في الجهاد والمقاومة.

كما أشرت سابقا في ثنايا البحث لم يتوقع أحد أن يصمد هذا الشعب الفقير المعدم المتخلف لهذا الغزو الجبار. وبدا وكان أمريكا قد سلمت بضم هذه الرقعة إلى المخزون الاستعماري للروس كما ضموا وسط آسيا و القفقاس وغيرها... ولكن المقاومة الباسلة للشعب الأفغاني ما بين (1979-1982) لفتت نظر الإدارة الامركية ومنظريها الاستراتيجيين الكبار من أمثال الرئيس الأسبق(نيكسون) الذي قام بنفسه بزيارة ميدانية آنذاك لمعسكرات المهاجرين الأفغان على الحدود الباكستانية. فقرر الكونغرس تبني مسألة الجهاد الأفغاني

كساحة ترد فيها أمريكا الصاع الفيتنامي للروس بأضعافه، بل ولتجعل منها آخر ساحات الحرب الباردة التي سيحسم فيها ذلك الصراع بالضربة القاضية كما حصل خلال عشر سنوات..

أشرفت أمريكا على صناعة حلف عالمي لمواجهة الروس وحلف وارسو في أفغانستان فجرت وراءها حلف الناتو ودوله كاملة، دول أوروبا الغربية وكذلك حلفاءها الاقتصاديين الكبار مثل كندا وأستراليا واليابان، لتكوين حلف سياسي إعلامي اقتصادي داعم لها في هذه الحرب، ووضعت سياسة مالية تقضي بحصة من المساعدات المالية المقررة بملايين الدولارات على كل دولة من تلك الدول، وساهم الجميع بذلك.

ولكن الجانب الأهم من الحلف الذي كونته أمريكا لدعم الجهاد الأفغاني كان من دول العالم العربي والإسلامي، و التي كان في طليعتها وأهمها دورا (السعودية) و(باكستان) و(مصر) ودول (مجلس التعاون الخليجي).. فقد ساهمت السعودية ودول الخليج بالقسط الأكبر من الدعم المالي لتلك الحرب سواء بشكل رسمي حكومي أو من خلال التشجيع والسماح لسيل التبرعات الأهلية للجهاد في أفغانستان أن تصل إلى المجاهدين الأفغان كما لعبت السعودية بمرجعيتها الدينية بحكم سيطرتها على الحرمين، وبمؤسساتها الدينية العلمية دورا إعلاميا بارزا. و أشرف على برنامجها وأداره رئيس استخباراتها آنذاك الأمير تركي بن عبد العزيز..

كما لعبت الباكستان الدور الرئيسي ميدانيا، فقد امتدت حدودها مع أفغانستان لأكثر من (2200) كيلومتر، وحوت عشرات المعابر الرئيسية لوصول الإمدادات ومختلف أشكال الدعم للجهاد الأفغاني ولعبت استخباراتها العسكرية (ISI) والترئسها آنذاك الجنرال (حميد كل)، دورا رئيسيا في ترتيب الأحزاب الجهادية والإشراف على تشكيل وتوزيع المساعدات المالية والسلاح بينها، وبتقديم الخدمات (اللوجستية) ومختلف أنواع الدعم الميداني، الذي كان يصل أحيانا لحد مشاركة الجيش الباكستاني عمليا في القتال والإسناد بالأسلحة الثقيلة في المعارك الحدودية، وقد رأيت ذلك ميدانيا في معارك جلال أباد

(1989)..أما مصر فقد كان من أبرز مشاركتها،الإتفاق مع الأمريكان على سـداد جـزء مـن ديونها لهم على شكل صفقات سلاح أرسلتها إلى أفغانستان عن طريق باكسـتان. وكـذلك شهدت هذا، فقد كان مألوفا لدينا فـتح بعـض صـناديق الـذخيرة والسـلاح وعليهـا شـارة الجيش المصري، وذلك أن أنور السادات كـان قـد أتخـذ قـرارا بـاعتماد التسـليح الأمـريكي للجيش المصري وبدأ بتصفية الوجود الروسي في مصر فيما عرف بسياسة الإنفتـاح.. فكـان مفيدا له أن يتخفف من مخزون سلاح وذخائر لم يعد لازما له آنذاك أواخر السبعينات.

ولقد لعبت تلك الدول بالإضـافة لأكـثر دول العـالم العـربي والإسـلامي، بـل والغـربي وتابعيه، دورا إعلاميا بالغ الأهمية في دعم الجهاد الأفغاني، والترويج له وحض كل من شاء وحتى بعض من لا يشاء على المساهمة..

وأما الحليف الثالث الذي أدخلته أمريكا - أو بالأحرى - سـمحت بدخولـه عـلى خـط تأييد الجهاد الأفغاني. فقد كان (الصـحوة الإسـلامية) بكامـل طيفهـا وحركتهـا. فقـد جاشـت العواطف في صفوف الصحوة قيادات وقواعد بشكل تلقـائي، وبفعـل التعـاطف الـدين مـع أخوة الدين والعقيدة الذين يتعرضون لحرب إبادة واحتلال غاشم، من قوة تمثل قمة الكفر والإلحاد من منظور الإسلام والمسـلمين.. وهكـذا انتقـل الضـوء الأخضر مـن أمريكـا لأذيالهـا حكاما وحكومات العالم العربي والإسلامي، لتشعله بدورها أمام الحركات الإسـلامية، لتشـارك في هذا الحلف العريض غير المباشر الذي التقت فيه الأغراض والمصالح.. وكان للدول العربية والإسلامية مصالح في هذا الضوء الأخضر اسـتجابة للسـيد الأمـريكي.. وهـي تلميـع سـمعتها بمساعدة المسلمين. وفتح باب الهجرة للصحوة وكوادرها، ولاسيما السياسية و الجهادية فيهـا لتنفس عن رغباتها ومشاعرها الأصولية بعيدا، هنـاك عـلى بعـد آلاف الكيلـومترات.. ولعلهـا تلقى بغيتها في الشهادة في سبيل اللـه، ويستريح الحكام من ضوضائها في بلادهم..

وهكذا وباشتعال الضوء الأخضر أمام الصحوة.. اشتعلت خطـب الجمعـة والمحاضرات والمؤتمرات، والمهرجانـات والمنشـورات والمؤلفـات والصـحف، وكـل

وسائل التعبير والدعاية في أوساط الصحوة، تروج للجهاد الأفغاني وتنادي (يا خيل اللـه اركبي).. فركبت عشرات الألوف ممن كتب لهم السعادة بالمشاركة.

وهكذا وجدت آنذاك مختلف شرائح وجماعات و تنظيمات الصحوة الإسلامية ومدارسها المختلفة فرصة للتأييد والاستفادة من تلك السوق الرائجة، التي كان لكل فيها هدفه وبغيته من تلك المشاركة وليس هنا محل استعراض أهداف كل فريق منهم وما استفاده وما حققه، وإنما ذكرته لأهمية هذه المحطة المباركة على التيار الجهاد المعاصر خلال تلك المرحلة وما تلاها إلى اليوم بل وعلى المستقبل فيما أعتقد..

وهكذا قام حلف غير مباشر بين مختلف من جمعهم العداء للشيوعية والإتحاد السوفيتي، أو كان لهم غرض في مواجهته والقضاء عليه، بدا من أمريكا وحلفائها في المعسكر الغربي، وانتهاء بأعدائهم في التيار الجهادي، ومرورا بحلفائهم حكام بلاد العالم العربي والإسلامي وكذلك مختلف أوساط الصحوة الإسلامية، على اختلاف منظور مدارسها لأمريكا والغرب والحكومات.

وهنا أحب أن أشير إلى إشكاليتين، وقل إن شئت كذبتين ضخمتين فرضهما الإعلام الغربي والأمريكي خاصة، والإعلام التابع لهم في بلاد العالم العربي والإسلامي.. حيث يجب توضيح حقيقتهما للناس عامة وللإسلاميين و الجهاديين وجمهورهم خاصة. وهما:

1. دور أمريكا في انتصار الجهاد الأفغاني.

2. شبهة عمالة المجاهدين العرب ومن شارك في الجهاد الأفغاني من الإسلاميين لأمريكا وارتباطهم بـ (CIA) خلال تلك القضية، كما يزعم اليوم الإعلام الغربي وأتباعه:

1. دور أمريكا في انتصار الجهاد الأفغاني:

لقد سعى الإعلام الأمريكي بمختلف وسائله التي يسطر عليها اليهود و الصليبيون المتصهينون إلى التصوير بأن انتصار الجهاد الأفغاني كان مجرد نجاح للسياسة الأمريكية وبرامج (CIA) في أفغانستان. وقد تحقق لأمريكا انتشار

هذه الدعاية الكاذبة إلى حد كبير. فقد عملوا على ذلك عبر مختلف وسائل الدعاية، بـدءا من أفلام (رامبو) وغزواته الميمونة إلى أفغانستان، حيث أسقط الطائرات، ودمر الحصـون، وحرر الرهائن من الأفغان والأمريكان (المجاهدين!) معهم.. وركب الخيل، وقاد المدرعات وحلق في السماء بـالهليكوبتر الروسـية!!، وجـرح مـرارا ولم يمـت، وانصـهر داخـل مدرعـة مدمرة ولم تـذب عضـلاته المفتولـة!!. واسـتطاع أن يمطـر المشـاهدين المعجبـين بعضـلاته الأمريكية بسيل من الحكـم والـدعايات السـخيفة مـن شـفته المتدليـة نصـف المشـلولة.. وأوصل في النهاية الرسالة عن رحمة أمريكا بالمستضـعفين ونصرتهـا للمظلـومين، وحرصـها على مساعدة المسلمين..ودورها الـرئيسي في انتصـار الأفغـان الـذين تـولى الفـيلم الخيـالي إظهار إعجابهم وحبهم لأمريكا !. وهكذا عادت عضلاته إلى قواعدها سالمة، إلى (هوليـود) ليتابع حفلات والرقص المجون مع غانياتها الحسان، كرمز معبر فعلا عن أمريكا وعضـلاتها المفتولة وعقلها الصغير وشفتها نصف المشلولة لتي تفتعل الحكمة..!!

كما ركز الإعلام الأمريكي مستخفا بعقول من صدّقه، على دور صـواريخ (سـتنغر) في انتصار الجهاد الأفغاني، وكيف أنه قلب موازين المعركة،عنـدما بـدأت تتسـاقط الطـائرات الروسية به، مما أدى لتحول مجرى المعارك مـن هزيمـة المجاهـدين إلى انتصـارهم!! وقـد نشرت هذه الكذبة عبر مختلف وسائل الإعلام والدعاية، من الأفـلام الوثائقيـة إلى الكتـب إلى الصحف، إلى مذكرات ضباط الإستخبارات..إلى غير ذلك..

علما أن الأعداد المحدودة من صواريخ (ستنغر) الأمريكية، قد دخلت أفغانستان بعـد عشر سنوات من دخول الروس، وقبيل انسحابهم بقليل، ولم يسـتخدم في المعـارك الحاسـمة الأخيرة إلا نادرا، ولم يسقط به إلا عدد محدود من الطـائرات..ولم يـره إلا النـادر مـن مئـات آلاف المجاهدين، وقد سرقت الإستخبارات الباكستانية حصتها منه، كعادتها في سرقة حصـتها من كل المساعدات المالية والعينية التي جاءت للمجاهـدين الأفغـان مـن السـيارات ومـواد

الإغاثة المختلفة والعتاد والسلاح والذخائر، التي كانت تمر إجباريا في باكستان في طريقها إليهم..

فما أدري حقيقة كيف استساغت العقول هذه الكذبة الكبرى، في دور هذا الـ (ستنغر) في انتصار الجهاد الأفغاني الذي شارك فيه ملايين الأفغان وانتظم في صفوف أحزاب المجاهدين خلاله أكثر من مليون مجاهد مسلح. وقدم الشعب الأفغاني خلاله أكثر من مليونيين من الشهداء، وخمسة ملايين مهاجر، من شعب كان تعداد سكانه لا يجاوز 16 مليون نسمة.. وما أدري ما دور (ستنغر) في تدمير أكثر من خمسين ألف آلية روسية عسكرية، وقتل أكثر من /30/ ألف جندي روسي على الأرض، وأكثر من /150/ ألف من المليشيات الشيوعية الأفغانية، عدا مئات آلاف العمليات خلال جهاد استمر لأكثر من خمسة عشر سنة، وابتدأ قبل الغزو الروسي بخمس سنين، واستمر بعدها ثلاث سنين، إلى أن سقطت كابل بيد المجاهدين.أي من (1973-1992).. ورغم سخافة هذا الكذبة (الاستنغرية) وتهافتها أمام أبسط المعلومات عن سير الجهاد الأفغاني، ولكنها وجدت طريقا إلى عقول ملايين السذج من رواد الشاشات الصغيرة والكبيرة.. وهذا هو سحر الإعلام الأمريكي، وميدان انتصار هؤلاء الجبناء المخادعين، الذين استخفوا بعقول أكثر البشر فأطاعوهم وللأسف !!

2. شبهة عمالة المجاهدين العرب لأمريكا و ارتباطهم بـ (CIA) خلال الجهاد الأفغاني:

من العجيب اليوم. أن البرامج الإعلامية العالمية والعربية من أفلام ومقابلات وتحليلات وصحف وكتب وسواها. تمر بهذه (الكذبة) بسرعة مرور الكرام، وتنتقل لمواضيع أخرى على أنها شيء مسلم به معروف بديهي !!

فيقدمون للناس كذبة كبرى على أنها حقيقة مفادها:

أن المخابرات الأمريكية (CIA) هي التي صنعت (الأفغان العرب) وزعماءهم من أمثال الشيخ أسامة بن لادن، والشيخ عبد الله عزام، من أجل تدمير الاتحاد السوفيتي. وان هذه الصنائع انقلبت عليها اليوم، ودمر بعضهم

أبراجها في نيويورك وواشنطن، في حين عاد أكثرهم إلى بلادهم لضرب مصالحها وقتل رعاياها، ومحاربة أوليائها من حكام بلاد العرب والمسلمين.. وأن ظاهرة الجهاد المسلح في بلاد العرب هي إفراز للجهاد الأفغاني، وبالتالي صنيعة الإستخبارات الأمريكية، وقد خرجت عن الطوق. ويقولون أن أمريكا قد وقعت في حال المثل السائر عندهم: (من يصنع الأشباح تخرج له).

فما حقيقة هذه الفرية البالغة الخطورة على سمعة الجهاد و الجهاديين في هذا العصر.

أوضح ذلك من خلال النقاط الموجزة التالية بعون اللـه:

● أما أن ظاهرة الجهاد المسلح في بلاد العرب والمسلمين هي إفراز لتجمع الأفغان العرب في الجهاد الأفغاني فالحقيقة هي العكس تماما..

والحقيقة هي أن الجهاد العربي في أفغانستان هو نتيجة للجهاد العربي قبله،وهو أحد إنجازات التيار الجهادي العربي في بلاد العرب وأحد إفرازاته ومراحل تطوره فكما مر سابقا.

فإن التيار الجهادي المعاصر هو وليد الصحوة الإسلامية التي نشأت مطلع لثلاثينات، وقد أنفصل عنها مطلع الستينات. وقد قامت كثير من التجارب الجهادية ما بين مطلع الستينات ومطلع الثمانينات. أي قبل من الجهاد الأفغاني بعشرين سنة. بل إن القيادات والكوادر والرموز وأركان الجهاد العربي في أفغانستان، هم من بقايا وكوادر ورموز وشيوخ التيار الجهادي العربي. فالشيخ عبد اللـه عزام من رموز و قدماء المجاهدين في فلسطين، وقد نفاه النظام الأردني من عمان لطروحاته الجهادية ومعارضته للنظام. والشيخ أسامة بن لادن تربي في الصحوة الإسلامية، ودعم أكثر من حركة للجهاد في بلاد العرب قبل أن يتوجه إلى أفغانستان. وكذلك فإن كثيرا من الكوادر الذين يصعب حصرهم هنا، من المدربين والقادة الميدانين الأوائل الذين حملوا مهمة إنشاء المعسكرات وإقامة البنية الأساسية للجهاد العربي في أفغانستان، كانوا من كوادر تنظيمات الجهاد العربية ولاسيما من مصر وفلسطين وسوريا ولبنان

واليمن..وغيرها..وهم الذين كانوا نواة التجمع العربي الذين تولوا العمل في مجالات التدريب والإعلام، والعمل العسكري، والعمل الإغاثي الميداني وسوى ذلك من الأعمال.. إلى أن تقاطر المجاهدون من البلاد العربية والإسلامية وتزايد الجمع الذي ابتدأ بكوكبة صغيرة سنة 1984،فتصاعد منذ (1987) وإلى (1991) ليبلغ زهاء أربعين ألفا من المجاهدين العرب مع مطلع التسعينات.

● أما عن العلاقة المزعومة للجهاد العربي في أفغانستان بالأمريكان ومنظمتهم البائسة(CIA)، فإن كان لهؤلاء من دور فهو في الإجازة والضوء الأخضر الذي أعطوه لأزلامهم من حكام بلاد العرب والمسلمين بأن يسمحوا للشباب المجاهدين بممارستهم حقهم الطبيعي وأوامر دينهم بأن يتوجهوا إلى أفغانستان. وأن تتركهم مخابرات تلك البلاد المجرمة في حال سبيلهم، ولا تعترضهم وهم يذهبون إلى أداء الفريضة الشرعية. وكذلك في الدور المحدود لأجهزة إعلام تلك البلاد العربية والإسلامية في الترويج للجهاد الأفغاني. وفي دور أمريكا بالإيعاز للسعودية في أن تفتي مؤسستها الدينية المأجورة، بأن الجهاد فرض عين في أفغانستان- وهي حقيقة - وفي أن تترك المجال للدعاة الصالحين من أئمة الدعوة والإصلاح في السعودية أن يجهروا بهذه الحقيقة الشرعية.. وأن تتيح للشعب في بلاد الحرمين أن يؤدي فريضة الجهاد بماله لنصرة أخوة العقيدة والدين.. وأن تشجع من أراد من الشباب الذهاب إلى هناك، حتى بلغ ذلك أن تخفض شركة الطيران السعودية ثمن تذكرة الطائرة من السعودية إلى باكستان بنسبة (75%) لمن يريد الذهاب للجهاد في أفغانستان ليصبح أقل من تكلفة رحلة داخلية. ولاشك أنه كان لآل سعود مصالحهم الدعائية وغير ذلك من هذه التسهيلات. كما ساهمت أمريكا بإيعازها لباكستان بأن تفتح سفاراتها لإعطاء إجازات الدخول (الفيزا) للشباب العربي والمسلم من كل مكان للذهاب عبر أراضيها إلى أفغانستان. وأن تسمح للعرب بحرية الحركة، التي بلغت حد فتح المعسكرات على الأراضي الباكستانية قرب أفغانستان للتدريب، وتقديم الخدمات اللوجستية للجهاد الأفغاني. ولاشك أنه كان لباكستان مصالحها الإقليمية و الوطنية في هذا، ولا محل لاستقصاء هذه الجزئيات هنا. بل

كان هناك أيضا مصالح شخصية لمليونيرات الحروب من الضباط في الجيش والإستخبارات والشرطة الباكستانية من تحرك هذا الكم من البشر والأموال بين الخارج وأفغانستان عبر أراضيهم. فإذا كانت الإجازات الأمريكية لعملائهم الصغار، تعتبر مساهم في صناعة الجهاد العربي في أفغانستان فهو ذلك لا أكثر.. وكان لعملائهم الصغار من الحكام في السعودية و الباكستان ومصر وغيرها مصالحهم في ذلك..

● أما ما يزعم من تدريب الأمريكان للعرب، أو ترتيب برامجهم، أو معاونتهم على العمل العسكري، أو أي علاقة عملية على الأرض، فهذا محض كذب وافتراء.

أؤكد أن هذه الدعوى لا أساس لها من الصحة. ولست هنا في مجال التأريخ للجهاد العربي في أفغانستان، حتى أسرد وقائع التدريب وآلية العمل. ولقد كان بالمختصر مجموع جهود فردية مخلصة، ابتدأت بالكوادر الجهادية القديمة وبعض الكوادر العسكرية المحترفة من المتقاعدين أو المبعدين عن الخدمة في جيوش عدد من الدول العربية والإسلامية، والذين كان لمساهماتهم دور مفيد جدا، ثم بدأت تتراكم وتتجمع خبرات الكوادر الناشئة في الساحة.

والمطلع على الوضع الفكري والنفسي والمنهجي، وعلى المشاعر تجاه الأمريكان والغرب والكفار عموما، بل وحتى تجاه حكامنا بل و صغار أعوانهم، لدى القيادة الجهادية العربية وقواعدها من الشباب في أفغانستان وسواها، يعلم أن هذه الدعوى غير واردة وغير ممكنة..

أما حقيقة أن مصالح وأهداف كافة أطراف الحلف غير المباشر الذي ذكرته، من أجل حرب الإتحاد السوفيتي، كلا على حدة عمليا، ومجتمعين على هدف واحد، فحقيقة واقعة وكثيرا ما تكررت في دنيا السياسة وتقاطع المصالح عبر التاريخ. وما تزال تتكرر هنا وهناك وهذا من طبائع الأشياء..

فقد أرادت أمريكا هزيمة الإتحاد السوفيتي والانتصار في الحرب الباردة.، بعد أن كال لها الإتحاد السوفيتي وحلف وارسو ضربات موجعة في أكثر من

مجال.. وكانت قضية أفغانستان فرصة ذهبية للأمريكان، وقد استغلوها بصورة صحيحة و حصلوا على ما أسماه نيكسون في كتابه الشهير (نصر بلا حرب)، فحققوه بكل جدارة يحسدون عليها...

وأرادت أوربا الغربية ودول حلف الأطلسي تحقيق مكاسب ووضع موطئ قدم لها هناك فشاركت في ذلك المولد لمصالحها الخاصة كدول أوربية، وكلا لمصالحها منفردة.. وحصل لكل دولة ما أرادت بشكل نسبي.. واليوم تنتشر المؤسسات الأوروبية المختلفة تحت شعار الخدمات الإنسانية لتقتطع المكاسب المغرية من الملعب الأفغاني كلا بحسب حضورها السابق واللاحق..

وأرادت باكستان تحقيق مصالح قومية وإقليمية يضيق المكان عن حصرها هنا بل إن ذكر ما حققته الباكستان يحتاج كتابا مستقلا. وقد قدمت لأمريكا في الملعب الأفغاني ما أرادت من خدمات ؛ لدعم الجهاد الأفغاني أولا، ثم لتمزيق مكتسباته ثانيا، ثم لتدمير أفغانستان في حرب أهلية ثالثا، ثم لمواجهة طالبان وإسقاط دولتهم رابعا، ثم لقتل المجاهدين العرب وتسليمهم لأعدائهم خامسا.. ثم تشرع الآن لبيع قضية كشمير سادسا.. ولتدمير البنية التحتية للإسلاميين داخل باكستان ذاتها سابعا... والحبل على الجرار..وهكذا نفذت الحكومات الباكستانية ما أرادت أمريكا دائما... ولعنة الله على الظالمين والمنافقين..

وقل مثل ذلك عن باقي الأدوار في أفغانستان للسعودية.. ومصر.. وسواها.. وعن الهند، ودول وسط آسيا، وإيران، والصين من دول الجوار..التي لعبت لعبتها أيضا..وصولا إلى حركات الصحوة الإسلامية و الجهادية وكل من دخل اللعبة الأفغانية فكسب أو خسر....و يصح هذا على مختلف التنظيمات العربية والإسلامية التي حضرت أفغانستان..

باختصار لقد صارت قضية الجهاد الأفغاني منطقة تقاطع مصالح عالمية وإقليمية ندر أن يتكرر مثلها.فاجتمع الجميع على الإتحاد السوفيتي،وكان لكل نيته وأهدافه.

أما عن مصالح الحركات الإسلامية غير الجهادية.. فكانت شتى، تتراوح بين النية الحسنة في خدمة أخوة العقيدة والدين، وبين المصالح الذاتية لكل حركة من الحركات، من المكاسب الدعوية والتنظيمية والمادية، وصولا إلى المصالح الذاتية والشخصية لبعض الأفراد.

فماذا كان هدف الجهاديين من الحضور إلى أفغانستان؟!

لقد كان هدفهم منحصرا بعد نية الجهاد وأداء الفريضة، والبحث عن الشهادة في سبيل الله، من قبل غالب قياداتهم وأفرادهم، كان هدفهم أمرين استراتجيين أثنين. أذكرهما بحسب أهميتهما:

1. أما الهدف الأول لمعظم الكيانات والتنظيمات والكوادر الجهادية، فكان الإعداد والتدريب..

وترتيب الصفوف، وجمع الكوادر، وتجنيد العناصر، وإقامة العلاقات العامة، واستقطاب أموال التبرعات، وتدريب أفراد التنظيم، من أجل قضيتهم الذاتية في بلادهم، وهو الهدف الذي سيطر على تفكير معظم إن لم يكن كل التنظيمات الجهادية العربية، وسواها من الأعجمية. وهو: (إسقاط حكومات الردة القائمة في بلادها كلا بحسبه وإقامة حكومات إسلامية تحكم بشرع الله).

2. العمل على تحرير أفغانستان..

وإقامة حكومات إسلامية شرعية فيها، تكون منطلقا لإقامة شرع الله في الأرض، وملاذا آمنا، وقاعدة خلفية للجهاد ضد مختلف أعداء الله وفي كل قضايا المسلمين، بدءا من فلسطين و انتهاء في كل قضية للإسلام فيها نصيب وهوية..ولقد تراوح الجميع في نيتهم بين هذين الهدفين بنسبة تقل أو تكثر، بحسب اختلافهم في توجهاتهم..

فهل حقق التجمع الجهادي العربي أهدافه هناك، وسط تضارب زحمة أولئك المجتمعين على هزيمة الدب الروسي العنيد؟؟

أعتقد أن قسطا كبيرا من تلك الأهداف قد تحقق، وليس هنا محل سرد التفاصيل التي لعلي أسجلها إن يسر الله لي الكتابة في تاريخ ودروس الشوطين الجهاديين للأفغان العرب في أفغانستان (1984-1992/1996-2001)..

وأكتفي هنا بالقوال بأن المكسب الأكبر للتيار الجهادي من تلك التجربة، هو عولمة التيار الجهادي فكريا وحركيا..وتبادل الفكر والخبرات، والتعارف بين كوادره من البلاد المختلفة، ثم انتشار ذلك في مختلف أقطار الدنيا..لقد كان هذا أكبر المكاسب.

بالإضافة لتحقيق أكبر نصر عسكري للمسلمين في تاريخهم الحديث، وإثبات قدرة الإسلام والمسلمين على هزيمة القوى العظمى، رغم تفاوت الإمكانيات، وزرع هذه القناعة في أمة أوشكت تقتنع بقدر الهزيمة.

والمكاسب كثيرة..بالإضافة للمكاسب الشخصية التي حققها من تقبل الله منه بعد أن شرفه بالحضور والمشاركة ممن قضى نحبه وممن ينتظر..

وأما الخسارة الأساسية في نظري، فهي في أن الظروف من جهة، والجمع غير المتجانس من جهة أخرى، وكذلك عدم تحلي القيادات التي أدارت ذلك الجمع الجهادي بالقدرة على توليد تجمع أو تيار جهادي عالمي منظم، يفرض حضوره ومساهمته في قضايا الأمة وساحة الصحوة الإسلامية. وقد توفرت بحسب ما أظن ظروف دولية، وكم من الشباب والكوادر والرموز والدعاة وقدماء المجاهدين من بلاد متعددة، ومن توفر الأموال وغير ذلك من المعطيات.. ما كان يمكّن من ذلك، في فرصة نادرة الحدوث..ولكن قدر الله وما شاء فعل ولست هنا بصدد تناول أسباب ذلك.

وأما على صعيد من ينسب الإعلام إليهم تهمة علاقتهم بـ (CIA) وأنها أنشأتهم من أجل تدمير الإتحاد السوفيتي.. فكلام باطل أيضا. وعلى سبيل المثال فمن أشهر من تناولهم هذه التهمة..

- الشيخ عبد اللـه عزام رحمه اللـه:

فكان هدف الشيخ عبد اللـه موجزا، وكثيرا ما تحدث عنه بنفسه وسجله في أشرطته ومحاضراته وهو:

1. إقامة الدولة الإسلامية في أفغانستان.

والانطلاق جغرافيا منها في عملية تحرير إلى ما شاء اللـه من البلاد وإلى فلسطين والقدس بشكل أساسي.. وكان يحدث عن فتح موسكو وبكين وبيت المقدس من أفغانستان.. وكانت هذه آماله ولسان حاله رحمه اللـه.. كما قال الشاعر..

على قدر أهل عزم تأتي العزائمُ

وتعظم في عين الصغير صغارها

ذو العقل يشقي في النعيم بعقله

وتأتي على قدر الكرام المكارمُ

وتصغر في عين العظيم العظائمُ

وأخو الجهالة بالشقاوة ينعمُ

ولمن ينكر مثل هذه الآمال من الأقزام اليوم، ولاسيما ممن ينسبون أنفسهم للصحوة الإسلامية. لم ينس المتبني- لله دره- قائل هذه الأبيات، أن يضيف....

ومن البلية نصح من لا يرعوي

عن غيه وخطاب من لا يفهمُ

2. (عسكرة شباب المسلمين):

وكان هذا الهدف الثاني لعبد اللـه رحمه اللـه و هو باختصار، نشر التدريب العملي تدريبا ومساهمة في القتال. فقد كان يقول: (أريد أن يأتي من كل بلد عربي ولو أربعين مجاهدا فيستشهد نصفهم ويعود نصفهم إلى بلاده ليحمل دعوة الجهاد..) ولقد حصل له- رحمه اللـه - أكثر مما أشتهى.

فقد حضر إلى أفغانستان أكثر من (40) ألف شاب عربي ومسلم غير أفغاني، وتدرب عسكريا أكثر من نصفهم. وشارك في القتال أكثر من نصف الذي تدربوا.. ولم يتجاوز عدد الشهداء ما يزيد عن نسبة زكاة المال 5،2%. فقد كانوا (خلال ثماني سنوات) زهاء ألف شهيد رحمهم اللـه تعالى.

وكان لهذا الجمع دور تاريخي سآتي على ذكر بعض جوانبه بعد الانتهاء من الرد على هذه الفرية العجيبة. وهي: دعوى صناعة (CIA) وأمريكا للتجمع الجهادي العربي في أفغانستان ثم إنقلاب الجمع عليها.

والناظر في أشرطة وكتب وخطب وتراث عبد اللـه عزام- أبو محمد- رحمه اللـه. يرى المساحة الهائلة التي زرعها في قلوب أتباعه وقرائه من الكراهية والحقد المقدس على أمريكا وأعوانها.. وعلى المرتدين و أزلامهم. كيف لا؛ وهو من ضحاياهم في فلسطين والأردن ثم باكستان حيث قتلوه بأوامر أمريكية في عهد(بنزير بوتو) ووزير داخليتها (بابر).

وأما أنه أفتى في كتابه (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان) بجواز أخذ المساعدات من الأمريكان لجهاد الروس المعتدين أو العكس..فهو صحيح. وهي حال الضرورة التي تلجئ إليها المسلمين، إذا دهمهم صائل و أشفوا على الهلكة... وهذا أمر معروف، يقدره الفقهاء بشروطه. وقد أفتى الشيخ للأفغان أن يأخذوا المساعدات من أمريكا ومن المرتدين من حكام العرب و من سواهم. وأما الجمع الجهادي العربي فقد كان جمعا معطيا لا آخذا، فقد انهالت عليه التبرعات بمئات الملايين من الدولارات من زكاة أموال المسلمين وتبرعاتهم. فأخذ الجمع حاجته من مصاريف الجهاد والإعداد و كفالات أسر المجاهدين والشهداء العرب وأنفق أكثر المال على الجهاد الأفغاني ذاته. كما أوصل المجاهدون العرب بأمانه ما جاء وقفا على الجهاد الأفغاني ذاته لأصحابه من المجاهدين والمهاجرين من أيتام وأرامل و محتاجين..هذا عن دور عبد اللـه عزام.

- أما أسامة بن لادن:

فقد أخذ حظا أكبر من هذه التهمة وذهب الإعلام مذاهب شتى في تهمته. فقد تناولته كتب وأبحاث كثيرة لكتاب صليبين عرب وأجانب بهذه الفرية وذهبوا بعيدا. إلى الحديث عن علاقة وثيقة لأسرة بن لادن. وعن تجارة بترولية بين الرئيس بوش الأب وأحد أخوة أسامة، وعن عمل بن لادن مع المخابرات السعودية في بيشاور في ترتيب الجهاد العربي في أفغانستان، والحقيقة أن المخابرات السعودية كانت تشرف على مساهمات السعوديين، وتداخلت عناصرها من خلال الإسلاميين السعوديين، نتيجة حجم المساعدات الواردة من السعودية.. وكان التعاون مع الجهات الرسمية السعودية قائما فعلا.. وتتحدث التهم والخيالات الإعلامية عن ربط المخابرات السعودية لابن لادن بالمخابرات الأمريكية... بل ذهب البعض إلى أبعد من ذلك، ليجعلوه عميلا موظفا رسميا في (CIA) ! وأنه أنقلب عليهم بعد ذلك عندما غزوا السعودية واستقروا فيها بعد ما سمي (حرب تحرير الكويت) وأنه فعل ذلك استجابة للشعور الديني والوطني! وذهب البعض أبعد من هذا، ليعتبروه مازال عاملا معهم، وأنه ضرب نيويورك لصالحهم! سواء شعر أم لم يشعر، وأن الإستخبارات الأمريكية أغفلت المعلومات المتوفرة لديها عن ذلك، ولم تمنع العمل كي تبرر أمريكا غزوها لبلاد العرب والمسلمين وتدمر أفغانستان وتحتل العراق..!!! واستشهدوا على ذلك بأنهم تمكنوا من القضاء عليه و لم يقف العالم على جثته كما فعلت روسيا بالبطل الشهيد خطاب الشيشاني.!!. إلى آخر ما يصل به الخيال والخرافات و اللامعقولية المتعمدة وغير المتعمدة.

وحقيقة الأمر أبسط من ذلك و لا تحتاج كل هذه التعقيدات.

وأما على سبيل الإختصار فأقول:

كان أسامة بن لادن قد بدأ مشواره إلى أفغانستان بعيد احتلال الروس لها مقدما للتبرعات المالية.. وقررالاستقرار والتفرغ للجهاد ميدانيا إلى جانب الأفغان مطلع سنة(1986). بعد تأسيس عبد الله عزام لمكتب الخدمات سنة (1984)، فعمل معه مدة، ثم بدا له أن يستقل فأنشأ تنظيم القاعدة مطلع

سنة (1988) بعد ازدياد وفود المجاهدين العرب ولاسيما من السعودية واليمن - وهي ميدان صلاته ومعرفته- إلى أفغانستان..

وكانت حركته من السعودية علنية مشروعة، لم تتصادم مع توجهات الحكومة بل اتفقت مع توجهاتها الأمريكية الأصل في دعم الجهاد الأفغاني. وبقي الحال كذلك إلى سنة (1990) حيث شكلت حرب الكويت إشكالا شرعيا وعقديا لعموم تشكيلات المجاهدين الأفغان العرب، ومن ضمنهم عناصر القاعدة التي تولى التدريب والتوجيه والتربية الفكرية فيها عناصر من التيار الجهادي من مصر وسوريا وغيرها وأثروا في هويتها الفكرية.. وقد شكل أسامة القاعدة لأهداف جهادية في أفغانستان و في خارجها، وذلك لدعم قضايا الجهاد وتنظيماتها في أماكن عديدة. وكان له مشروعه الجهادي الخاص في اليمن الجنوبي ضد الحكومة الشيوعية السابقة. وتحولت آمال مشروعه لتصبح على مستوى اليمن الموحد فيما بعد.. فكان مثله مثل عموم التنظيمات الجهادية ذات المشروع الخاص. ومن هنا اتخذ من المشاركة في الجهاد الأفغاني ميدانا للإعداد والتدريب لعناصر مشروعه، مثله مثل باقي الأفغان العرب. كما عمل كغيره للهدف العام، وهو العمل على إقامة دولة إسلامية في أفغانستان بعد تحريرها.

كانت ساحة الجهاد العربي في أفغانستان أيام جهاد السوفييت متداخلة جدا. وكان دور السعودية ومؤسساتها الإغاثية وأجهزتها الاستخباراتية و العسكرية كبيرا. وكان كثير من مسؤوليهم على علاقة عمل مباشرة مع إدارت العمل العربي،الذي كان عبد الله عزام و أسامة في رأس إدارته.. وكانا والآخرون من القيادات يرون ذلك مفيدا لدعم الجهاد الأفغاني، الذي لا يخفي في ثناياه سرا يخشى عليه من وجود أشخاص يقدمون الدعم له من الإستخبارات السعودية أو الباكستانية. و أما من كان لهم مشاريع جهادية خاصة فكانوا على النقيض في قناعتهم. فلم يكونوا على تماس بهؤلاء ولا نظروا إليهم بعين الارتياح.

وأما أن هناك أمريكان قد دربوا المجاهدين العرب من جماعة القاعدة أو غيرها أو قدموا لهم أي دعم فمجرد كذبة تافهة. إذ لم يكن هذا ليكون مقبولا

ولا على سبيل المزاح.. فالوسط الجهادي العـربي الـذي تسـيطر عليـه أفكـار الـولاء والـبراء والمدرسة السلفية الجهادية كان متوترا تجاه بعض الشخصيات الحكومية السعودية التي تأتي لتقديم الدعم وربما دخلت بعـض المضـافات أو المعسـكرات العامـة المفتوحـة (مثـل الملحق العسكري في السفارة السعودية- أبو مازن-) فكيف بمثل هذه الأفكار عن أجانـب أو أمريكان..

- أثر الجهاد الأفغاني (1984-1992) على التيار الجهادي المعاصر منهجيا وحركيا:

● تحولت (بيشـاور).. المدينـة الحدوديـة الدافئـة شـتاء الملتهبـة صـيفا. التـي كـان السلطان محمود الغزنوي رحمه اللـه، قد اتخذها عاصمته الشـتوية، في غزواتـه المجيـدة في فتوح الهند في القرن الرابع الهجري. تحولت إلى جامعة حقيقية لكافة مدارس وتيـارات وتنظيمات وجماعات الصحوة العربية والإسـلامية تقريبـا.. وخـلال سـنوات ازدهـار ذلـك الجمع مابين (1986) و(1992).. أصبحت ميدانا لتلاقي كل الأفكار والمناهج و الطروحات التي كنت تسود الصحوة الإسلامية من دعوية، وإصلاحية، وسياسـية، و جهاديـة، وحتـى من الكتل الشاذة فكريـا..وازدحمـت فيهـا مئـات المؤسسـات الخيريـة الإنسـانية العربيـة والإسلامية و الأجنبية التي قدمت لأغراض شتى. تحت ستار تقـديم الخـدمات لأكـثر مـن (3) مليون لاجئ أفغاني تدفقوا إلى باكستان. التي ربما قطـن أكـثر مـن مليـونيين مـنهم في بيشاور وما حولها.. وقد زار بيشاور خلال تلك الفـترة، مئـات الشخصـيات الإسـلامية. مـن علماء، وشيوخ، وكتاب، وشعراء، ورموز، وقادة حركات.. لتقـديم جهـد مـا، أو للإطـلاع، أو للدعاية، أو للرياء والسمعة، أو للتكسب، أو لأي نية أخرى صالحة أو طالحة..

● ومن بيشاور كانت تتدفق المساعدات المالية والعينة والعسكرية وسوى ذلك على الحدود الأفغانية لتجد طريقها الصالح أو الطالح إلى حيث قصدت أو لم تقصد... والجهـاد الأفغاني ودور العرب فيه مسألة جديرة بالتأريخ والتحليل والاسـتفادة.وهـو أمـر يحتـاج كتبا مستقلة. ولكني هنا بصدد أثر ذلك الجمع على التيار الجهادي العربي المعاصر..

كـان آحـاد ربمـا لا يصـل عـددهم إلى عشرة قـد توجهـوا إلى باكسـتان بغيـة دعـم المجاهدين الأفغان بعيد الغزو الروسي المعلن خلال عـام (1979-1982). ودخـل ثلاثـة أو أربعة منهم أفغانستان فعليا للمشاركة في الجهاد. كما وصلها بعـض آحـاد المحسـنين مـن المسلمين لتقديم بعض العون المادي للمجاهدين الأفغان خلال تلك الفترة..

- ولكن التأريخ للجهاد العربي في أفغانسـتان يبـدأ عمليـا، منـذ (1984) عنـدما تفـرغ الشيخ عبد الـلـه عزام كليا للجهاد الأفغاني ميدانيا، بعد أن عمل مدة مدرسا في كلية الشريعة في الجامعة الإسلامية في أسلام أباد وكان- فيما بلغنـي – عـن بعـض شـهود تلك المرحلة، قد رحل عن الأردن نتيجة مضايقات السلطات في عمان.. عمل الشـيخ عبد الـلـه عزام على عدة محاور لنصرة الجهاد الأفغاني كان من أهمها..

1. تأسيس (مكتب الخدمات) الذي تولى تقديم ونقـل المعونـات والتبرعـات للمجاهـدين والمهاجرين الأفغان
2. تأسيس مجلة الجهاد التي كانت منبره الرئيسي للدعاية للجهاد الأفغاني.
3. تأسيس معسكر صدى قرب الحـدود الأفغانيـة، داخـل الأراضي الباكسـتانية في منطقـة القبائل من أجل تدريب الشباب العربي الذي بدأت طلائعه تصل بأعداد قليلة منـذ (1984).
4. القيام بأسفار ورحلات دعائية ألقى خلالها عشرات الخطـب في دول عديـدة مـن أجـل الحشد للجهـاد الأفغـاني، وحـث الشـباب عـلى الرحيـل إليـه والاسـتفادة منـه وأداء فريضة الجهاد.. وكان باكورة كتبه (آيات الرحمن في جهاد الأفغان) الذي لاقى شهرة واسعة، وجدلا واسعا كذلك. ثـم كتـاب (الـدفاع عـن أراضي المسـلمين أهـم فـروض الأعيان). وقد أفتى فيه بالفرض العين على جميـع المسـلمين مـن غـير ذوي الأعـذار للذهاب للجهاد في أفغانستان.واستطاع الحصول على أكثر من (80) توقيعا من كبـار العلماء والدعاة في العالم الإسلامي وعلى رأسـهم كبـار العلـماء في السـعودية الشـيخ

ابن باز. وكذلك من بعض مشايخ الأزهر. وبعض الكبار مـن علـماء ودعـاة الإخـوان المسلمين من أقطار عديدة. وكذلك من بعض علماء الباكستان وسواهم.. وقد لعـب هذا الكتاب وتلك الفتوى دورا مهما، بالإضافة لمجلة الجهاد التي سرعان مـا تحسـن مستواها، وصارت مجلة مصورة تنقل الصور الحية للجهـاد والمعانـاة في أفغانسـتان، فصار لها مكاتب توزيع في أوربا وأمريكا وبعض بلدان العالم العربي.. لعب كل ذلـك دورا بارزا في عملية التحريض..

وقد سمعت في بعض تسجيلات عبد اللـه عزام، أن عدد الشباب الذن ثبتوا معه في (معسكر صدى)، سنة (84) وصل إلى (12) مجاهدا وتضاعف فقط خلال (1985) فوصـل إلى (25) مجاهدا ثم بلغ مع منتصف (1986) أقل من (200) مجاهد بقليل، من مختلف الجنسيات ربما كان معظمهم من السعودية ومصر وفلسطين.

- وفي نهاية(1985) أو مطلع (1986) حضر أسامة بن لادن ليشارك ميـدانيا بنفسـه في الجهاد بعد أن كانت زياراته السابقة لتقديم الدعم المادي.

وبالتعـاون مـع بعـض الكـوادر مـن تنظـيم الجهـاد المصري مـن أوائـل مـن قـدم لأفغانستان، افتتح أسامة مركزا عسكريا متقدما على أحد المعابر الهامة لإمداد المجاهدين في منطقة (جاجي) الجبلية الوعرة التي تنتشر فيها الغابات. وقدر اللـه أن يقوم الـروس بهجوم كبير لإغلاق ذلك المعبر في رمضان (1986). وشارك مجموع الشـباب الـذين كـانوا مع أسامة وعبد اللـه عزام في تلك المعركة الشرسة التـي اسـتغرقت زهـاء شـهر. وحقـق المجاهدون الأفغان نصرا كاسحا على القوات الروسية، بما فيها طلائـع الكومانـدوس التـي أنزلت في المنطقة. ولعب أولئك الرهط القليل من المجاهدين العـرب، دورا بـارزا في تلـك المعركة وأدت عمليـة الدعايـة الواسـعة التـي غطـى بهـا عبـد اللــه عـزام عـبر وسـائله الإعلامية، وكذلك الجولة الدعائية الهامة التي قام بها أسامة في السعودية،أدت إلى تقاطر المجاهدين العرب بأعداد كبير ليصل عددهم مطلع (1987) إلى عـدة آلاف كـان أكـثرهم مـن السـعودية والـيمن. ومـن هنـاك كانـت البدايـة عمليـا. حيـث تزايـد العـدد ليصـل

ذروته أواخر(1989-1990) ويتجاوز(40) ألفا من المجاهدين العرب والمسلمين مـن كافـة بلاد العالم الإسلامي..

- كانت الحركية الجهادية في مصر، وشطراها الرئيسيان (الجماعة الإسلامية) و(جماعـة الجهاد)، قد دخلت في صراع إثر مقتل السادات (1981) مع حكومـة خلفـه حسـني مبارك، وأضطر العديد من أبـرز قياداتهـا والكثـير مـن عناصرهـا للخـروج مـن مصر تحت ضغط الحملات الأمنية لدول الجوار. ومع ازدهار أخبار الجهـاد الأفغـاني، بـدأ العديد منهم يتوجه إلى بيشاور. كما كانت الثورة الجهادية التي نشبت في سوريا مـا بين (1975-1982)، قد دمـرت عمليـا. وانسـاح مـن تبقـى مـن عناصرهـا في أقطـار الأرض. و يمم عدد محدود جدا منهم وجهـه أيضـا شـطر أفغانسـتان، و اسـتقروا في بيشاور. كما كان لبعض الكوادر الجهادية من الفلسطينيين، من تلاميذ وأصدقاء عبد اللـه عزام قد لحقوا به أيضا.. وبدأ آحاد من الكوادر الجهادية والعسكرية من هنـا وهناك يتوجهون إلى تلك الساحة الجذابة التي سلطت عليها كل الأضواء والدعايـة.. وفي (1986) اثر محولة جهادية انتهت بقمعها مـن قبـل الحكومـات الليبيـة، خـرج أيضا بعض كوادر الجهاديين إلى هناك.. وكانت الحرب الأهلية في لبنـان قـد وضـعت أوزارها، وتلقت الحركات الإسلامية السنية ضربـات أمنيـة في شـمال لبنـان عـلى يـد الإسـتخبارات السـورية، فهـاجر بعضـهم أيضـا إلى تلـك السـاحة..كـما حضر بعـض الإسلاميين من أكراد العراق.. وكانت هذه باكورة تجمع كـوادر مـن التيـار الجهـادي العـربي ليكـون النـواة الأولى للجهـاديين داخـل وسـط التجمـع العـربي المجاهـد في أفغانستان، والذي كان يتضخم بتسارع كبير..

- كان الحضور الفكري والمنهجي لتنظيم الجهـاد المصري، بـارزا ونوعيـا في السـاحة العربيـة وكذلك كان حضور الجماعة الإسلامية بمصر، وبصرف النظر عن الفوارق المعروفة في مـنهج الجماعتين.. إلا أنهما لعبتا - ولاسيما في القاسم المشترك من أفكارهما الجهادية- دورا مؤثرا. كما كان لحضور بعض طلاب العلـم وبعـض الـدعاة السـلفيين، وبعـض (السروريـين) مـن

السعودية وغيرها دورا في ترويج فكر الحاكمية والـولاء و الـبراء وعموميـات الفكـر الجهادي في الأوساط العربية.. وحتى الأعجمية التي أمت الجهاد الأفغـاني. كـما أدى حضور بعض تراث التجربة الجهادية في سوريا في الساحة- ومنهـا كتـابي عـن تـاريخ تجربتنـا ودروسـها – ولله الحمـد، دورا فكريـا سـاهم في المواجهـة الفكريـة للتيـار الجهادي، التي بدأت تترك بصـماتها عـلى الجمـع العـربي. ولمـا كـان حضـور مـدارس الصحوة الإسلامية الأخرى قويا أيضا في الساحة،عبر سيطرتها على المؤسسـات الطبيـة و التعليمية وعملها في المجالات الإغاثية الأخرى، ولاسيما مـن السـلفيين التقليـديين، والإخوان المسلمين والمـنظمات الشـبيهة بهـم.. وكـذلك التبليـغ وغـيرهم.. بالإضـافة للحضور الكبير للمؤسسات الإسـلامية السـعودية الحكوميـة وشـبه الحكوميـة، ومـا حملته معها من بصمات المؤسسة الدينية الرسمية.. وقـد أحضر كـل هـؤلاء كتـبهم ومنشوراتهم، ومجلاتهم ومحاضراتهم، وتراثهم الفكري و الدعوي.. ونظـرا لأن نهايـة السـبعينات ومطلـع الثمانينـات كانـت فـترة تـألق وتفاعـل بيـت مـدارس الصـحوة الإسـلامية..فقـد صـارت بيشـاور و مضـافاتها ومعسـكرات التـدريب في باكسـتان وأفغانستان وتجمعاتها مراكز للتواصل والحوار والـتماس الفكـري والصـدام في كثـير من الأحيان بين مختلف تلك الطروحات. وهكذا وجد التيار الجهادي، ومن يمثلـه في ساحة الجهاد العـربي في بيشـاور ومعسـكرات أفغانسـتان أنفسـهم يصـطدمون مـع جبهتين رئيسيتين:

- جبهة الإخوان المسلمين والفكر الديمقراطي السياسي الذي كان أصحابه يروجون له عبر أبحاث ودراسات ومحاضرات كانوا يدعون إليها وحتـى في بعـض المعسـكرات التـي يستطيعون الحركة فيها.
- جبهة مدرسة الفقه السعودي الرسمي، الذي كان يدعو لنبذ فكر الحاكمية، وإلى اعتبار الحكـام أوليـاء أمـور شرعيـين. ويـدعوا إلى احـترام العلـماء الرسـميين ولاسـيما في السعودية ودول الجزيرة وهو ما يسمى بالمدرسة (الجامية) ثم (المدخلية)...

وشيئا فشيئا، وباعتبار جهادية الأجواء من جهة، وما يحويه الفكر الجهادي من تألق واتساع، ولنصاعة الحق وشيوع منهج إتباع الدليل..بدأ الفكر الجهادي يسيطر على ساحة التجمع العربي. وبدأ يكتسب أكثرية الساحة، حيث اقتنع آلاف الشباب القادمين من معظم بلاد العالم الإسلامي بالفكر الجهادي. وبدأت تتبلور وتتكامل مدرسة جهادية جديدة في التيار الجهادي، أطلق على مجموع مكوناتها فيما بعد ما عرف بظاهرة (الأفغان العرب).

- كان تمازج الفقه والعقيدة السلفية مع الفكر الحركي الإخواني القطبي - الذي أشرت إليه آنفا- قد بدأ يختمر في مصر خلال السبعينيات ومطلع الثمانينيات..ولعب كتاب (الفريضة الغائبة) الذي كتبه الشهيد (عبد السلام فرج)، من الجماعة الإسلامية، والذي شارك في اغتيال السادات، وأعدم بعد ذلك - رحمه الله وجزاه وإخوانه عن المسلمين خيرا- لعب ذلك الكتيب دورا هاما في إعطاء رغم بساطة محتواه وأسلوبه وصغر حجمه. إلا أن المهم الجديد الذي أضافه للفكر الجهادي، كان طرح فتاوى ابن تيمية في حكام التتار الذين حكموا بلاد الإسلام ومنها الشام لما غزوها وزعموا أنهم مسلمين، رغم أنهم بدلوا الشرائع وحكموا بغير ما أنزل الله، كما طرح مسألة المقارنة بين حكام المسلمين وأعوانهم وجنودهم اليوم ؛ وبين أولئك التتار وفتاوى العلماء في كفرهم ووجوب قتالهم مع من قاتل معهم على من فيهم من الجاهلين والمكرهين.. وإسقاط تلك الأحكام على واقع الحكومات العربية وفي بلاد المسلمين، وعلى جنود شرطتهم واستخباراتهم ورجال أمنهم.. وقد صلت هذه المقارنات إشكالات كبيرة وإجابات على أسئلة ملحه طرحها جهاد الحكومة وأعوانهم..

وكان لجماعة الجهاد مؤلفات أخرى تحمل نفس أسس ذلك الفكر، وطبعت تلك الكتب ووزعت في بيشاور. وكان الصدام الفكري بين، الفكر الإسلامي الديمقراطي الذي تبناه الإخوان وأشباههم، وبين الفكر السلفي على أشده أيضا في ساحة الصحوة عامة، وانتقل كذلك إلى أهم ساحاتها آنذاك،في ذلك التجمع.

وأصدرت جماعة الجهاد المصرية عددا من الأبحاث الهامة، وتوجت ذلك بكتاب (العمدة في إعداد العدة) لشيخها عبد القادر بن عبد العزيز. وربما كان هذا الكتاب من أهم كتب (الأفغان العرب). وقد سد ثغرة تربوية كبيرة في المعسكرات العربية في حينها، وبقي واحدا من أهم كتب التيار الجهادي. وفي سياق نشاط الجهاديين في التأليف والنشر.

وافتتح أبو حذيفة المصري، أحد كوادر جماعة الجهاد - فرج الله كربته- مركز النور للإعلام مي بيشاور، حيث تولى عدد من الخطباء والمحاضرين من الجهاديين تنظيم سلسلة من الدروس والمحاضرات و خطب الجمعة.

وبدأت بعض التجمعات الجهادية الناشئة تدخل على خط العطاء، وعقدت الكثير من الدورات الفكرية والمنهجية والتربوية، واستقطبت قدماء كوادر التيار الجهادي للتدريس والمحاضرة، وعقدت الكثير من الدورات الفكرية والمنهجية والتربوية واستقطبت قدماء كوادر التيار الجهادي للتدريس والمحاضرة..ثم استقلت بكوادرها وبدأت تتبلور وتنتج..

وبدا جليا مع هذا المخاض الفكري، والتصادم والإحتكاك بين مختلف التيارات الفكرية المكونة لطيف الصحوة الإسلامية.. أن الفكر الجهادي الحركي ممزوجا بالمؤثرات السلفية الجديدة التي أسلفت الحديث عنها آنفا.. قد بدأت تطغى على الساحة وتكتسح قواعد آلاف الشباب العربي من الذين قدموا لساحة الجهاد الأفغاني رغم أن غالبيتهم لم ينضموا في عضوية عشرات التنظيمات الجهادية القديمة والجديدة، والتي صار لها في باكستان والمناطق الحدودية من أفغانستان مضافاتها ومعسكراتها.. وتكونت لها هياكل و إدارات، وكوادر وأمراء حيث كان الكثيرون منهمكون على هامش الجهاد الأفغاني، في مرحلة إعداد ونشاط دؤوب لحمل مشعل الجهاد والثورة للبلاد التي قدموا منها..

- ولم تخل تلك المخاضات الفكرية من ميلاد بعض الظواهر الشاذة. من بعض النتوءات التكفيرية والغالية، والتي نتجت عن التفاعلات الثورية للفكر الجهادي وأجواء الحماس إلى جانب. تواجد المدارس السياسية و

طروحاتها الديمقراطية المفرطة في التميع خلال تلك الساحة، في أجـواء فرضـت فيهـا ظروف النظام العالمي الجديد على ساحة العالم العربي والإسلامي مسائل كـبرى مثـل التواجـد الأمـريكي العلنـي بعـد السري في الخلـيج.. ووبـاء التطبيـع مـع اليهـود و معاهدات السلام، والغـزو الفكـري والثقـافي والسـياسي والاجتماعـي لملامـح النظـام العالمي الجديد.. وما أوجدته هذه الطامات الكبرى من مواقع للدفاع عنها في أوسط علماء السلاطين، وبعض قيادات الصحوة ذاتها..وما سـبب ذلـك مـن ردود أفعـال في أوساط البعض القليل من الشباب الذين لم يكن ينقصهم الحماس ولا الجهل. ولكـن بقي ذلك في أطر محدودة.

ولكن المهم أنه قد نضجت في ذلك الجو، تجربة القدماء من الجهاديين، كما تشكلت نويات من التنظـيمات الجهاديـة الجديـدة، مـن بـلاد لم يكـن قـد تبلـور فيهـا مثـل تلـك التنظيمات. مثل ليبيا والجزائر وتونس والمغرب والأردن العراق ولبنان... وكذلك من بعض البلاد الإسلامية مثل الفلبين و إندونيسيا وتركيا وغيرها.

- خامسا: التيار الجهادي ومرحلة الملاذات والشتات (1991 - 1996):

فيما كان المجاهدون الأفغان يدقون أبواب كابل، وبدأت تتساقط المدن الرئيسـية في أيديهم.. توجـه المخطـط الأمـريكي الغـربي نحـو أفغانسـتان في منحيـين اثنـين تجـاه تلـك الساحة. الأول أفغاني والثاني عربي.

ففي الإتجاه الأفغاني كان برنامج الأمريكان وأعوانهم، وعلى رأسهم حكومة باكستان، الحيلولة دون قيام حكومة للمجاهدين تعلـن دولـة إسـلامية وتحكـم بالشريعـة وتـنهض بإعمار أفغانستان. و كـان البرنـامج المقـرر افتعـال مرحلـة مـن الحـرب الأهليـة تسـتهلك المخزون الإسـتراتيجي مـن السـلاح و مئـات آلاف الكـوادر المقاتلـة مـن قيـادات وأعضـاء المنظمات الجهادية في أفغانستان. وهذا ما نفذوه خلال (1992- 1996).

وأما فيما يعيننا في هذه الموسوعة. فقد كان جهدهم منصب على تفكيك الجمع الجهادي العربي وتشتيته ومطاردة عناصره وكوادره، في بلادهم وفي أنحاء الأرض. وهكذا انتقل التيار الجهادي إلى مرحلة جديدة استمرت من (1992- 1996)، يمكن أن نسميها بـ (مرحلة الشتات و الملاذات الآمنة المؤقتة).

فقد عاد أولئك الآلاف من المجاهدين إلى بلادهم في الغالب، وبدل أن يرحب بهم كأبطال ومجاهدين عملوا تجاه الهدف المشترك لأولئك الحلفاء، بدءا بأمريكا وانتهاء بأذيالها من الحكومات التي سهلت ودعمت جهادهم.. وجد أولئك الشباب أنفسهم غرباء في أوطانهم التي تفتح لهم أبواب المعتقلات وجلسات التحقيق والسجون لمدد غير محدوة وتوجه لهم التهم.. ولم يسلم من ذلك إلا بعض البلدان ممن لم يقابل أولئك المجاهدين بهذه الطريقة الشنيعة.. وقد ولد هذا ردود أفعال شتى، ونقل بعض شرائح الجهاديين إلى ممارسات معاكسة.. كذلك فقد أدت عودة تلك الشرائح الجهادية إلى بلادها من أجواء العزة والكرامة والجهاد وحمل السلاح، لتصطدم في بلادها بعد أن رقت إلى تلك المعاني السامية، بواقع أقل ما يمكن يوصف به أن هو البعد عن شريعة الله، والمتاهة في أجواء من الخنوع والخيانة والمذلة.. فقامت محاولات عديدة من أجل تكوين تنظيمات سرية دخلت في مراحل من الإعداد للمواجهة مع حكومات بلادها على أمل إسقاطها وإقامة حكومات شرعية إسلامية.. ولكن كافة تلك المحاولات اصطدمت بواقع غاية في الصعوبة وعدم التناسب مع ما تصبوا إليه من أهداف. ودخلت مع أجهزة الأمن في بلادها في عمليات مواجهة، أدت في نهاية المطاف إلى تدميرها وتشتيت عناصرها. وإلى تصعيد المواجهة الأمنية بين الحركات الجهادية والإسلامية في تلك البلاد وبين حكوماتها.

وكان من أهم تلك المحاولات التي تلت الجهاد الأفغاني ما حصل من قيام الجماعة الإسلامية المسلحة وتأسيسها على أيدي بعض الأفغان العرب من الجزائر بالتعاون مع تيارات جهادية محلية إثر الإطاحة بالإنجاز التاريخي لجبهة الإنقاذ عبر الإنقلاب العسكري (1991). وكذلك ما حصل في ليبيا من محاولة الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا (1994).. وهما أوسع المحاولات في تلك

المرحلة. بالإضافة لبعض المحاولات المحدودة كما حصل في اليمن ولبنان وسواها، كما سنأتي على شيء من التفصيل لأهم المحاولات الجهادية في هذا العصر، في فقرة تالية ضمن هذا الفصل إن شاء الله..

- هناك قسم آخر من الأفغان العرب وهم قدماء الجهاديين الذين غادروا بلادهم أصلا إثر مشاكل أمنية، وهم مطاردون من حكوماتهم إما قبل أو أثناء الجهاد الأفغاني، ومعظم هؤلاء من تنظيمات جهادية سابقة، كبعض أعضاء تنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية من مصر وبعض الجهاديين من سوريا وليبيا وتونس، وبعض الأعداد المحدودة من جنسيات أخرى..

وهؤلاء لم يتمكنوا من العودة إلى بلادهم كما فعل الآلاف من الأفغان العرب من بلاد مثل السعودية ودول الخليج واليمن وموريتانيا والأردن وغيرها.. وقد توزع هؤلاء المطاردون أمنيا في ملاذات أمنية مختلفة على بعض ما تبقى من الهوامش السياسية والفجوات الأمنية قبل استحكام السياسة العالمية لمكافحة الإرهاب بعد قيام النظام العالمي الجديد.. وكان من أهم تلك الملاذات..

1. أوربا والدول الغربية: وذلك عبر فرص اللجوء السياسي. وكان من أهم تلك البلاد، بريطانيا التي أمها كتلة كبيرة تضم كوادر رئيسية من الأفغان العرب والتيار الجهادي، من مختلف الجنسيات ثم الدول الإسكندنافية. ثم باقي دول أوربا الغربية وبعض الشرقية و أستراليا وكندا..
2. السودان: التي كانت حكومة البشير وحليفه الترابي قد استولت على الحكم موصلة الحركة الإسلامية الرئيسية فيها للسلطة. والتي كان من سياستها خلال مرحلة (1991-1995)، فتح الباب للتنظيمات الجهادية للانتقال إلى السودان، حيث انتقل كم مهم من الجهاديين إلى هناك و كان في طليعتهم قيادة تنظيمات الجهاد والجماعة الإسلامية في مصر. وأسامة بن لادن وقياديو تنظيم القاعدة، بالإضافة للكتلة الرئيسية من قيادة الجماعة المقاتلة بليبيا.. و جهاديين من جنسيات أخرى.

3. بلاد أخرى لا تشكل خطورة أمنية على رعايا بلدان عربيـة أخـرى مـن الجهـاديين ولـو كانوا مطاردين في بلادهم في حينها، قبل استحكام التنسيق الأمني العربي والإقليمـي و الدولي فيما بعد. وأهم تلك البلاد..اليمن،التـي أمهـا جمـع متنـوع مـن جنسـيات شتي من الجهاديين والأفغان العرب.ثم تركيا وكذلك سوريا التي آوى إليها قسم من الشباب المجاهد من دول شمال أفريقيا وليبيا.. هذا بصورة رئيسـية، في حـين انـتشر آحاد من الجهاديين بأسرهم و أطفـالهم، في بقـاع أخـرى حتـى وصـل بعـض هـؤلاء المهاجرين إلى أقصى أنحـاء المعمـورة.. مـن الفلبـين.. إلى إندونيسـيا..إلى تايلنـدا..إلى أمريكا الجنوبية.. حتى إلى بعض مجاهيل إفريقيا..
4. البوسنة و الشيشان: فقد وافق إقفال بوابات الجهاد في أفغانستان، اشتعال الجهـاد في البوسـنة مـا بـين (1993-1995)، فـيما كـان المسـلمون يتعرضـون لمـذابح الصرب والكروات.. مما أوجد ساحة جهادية جديدة أمها آلاف الشباب المجاهـد مـن الـبلاد العربية وبعض الإسلامية.. وقد كان في طليعتهم بعض الجهاديين. الذين خرجوا مـن ساحة أفغانستان لكي يلتحقوا بساحة البوسنة. وكذلك توجه بعـض الأفغـان العـرب وعلى رأسهم القائد الشهيد خطاب وبعض رفاقه مـن الأفغـان العـرب إلى الشيشـان ليؤسسوا بؤرة جهادية حملت مشعل الجهاد وأضافت لصفحات الجهاديين في الربـع الأخير من القرن العشرين صفحات مشرقة إلى تلك الصفحات المجيدة التي شهدتها مناطق مختلفة قبل ذلك..

- كانت الأعوام(1992-1995)أعوام مريحة نسبيا لهؤلاء الغرباء المشردين.. وقـد مكنـت هذه السنوات الأربعة الجهاديين المنتشرين في أقطـار الـدنيا، مـن العمـل عـلى نشر الفكر والدعوة الجهادية، ورغم أن مآخذ عديدة قد تذكر على تجارب هذه المرحلـة سآتي على ذكر بعضها في آخر هذا الفصل إن شاء اللـه.. إلا أن هذه السنوات كانت سنوات دعوة وانتشار..

ورغـم أن حمـلات مكافحـة الإرهـاب قـد أشـعلتها أمريكـا عمليـا منـذ (1990)، وتصاعدت مـع الوقـت لتبلـغ ذروتهـا منـذ (ديسـمبر-2001)، إلا أن

تلك الحملات لم تدخل مرحلة الشدة إلا منذ أواخر (1995) عمليا.. حيث وضعت أمريكا ضمن برنامجها لمكافحة الإرهاب كما مر معنا في الفصل الخامس، برنامجا تضمن إلغاء الملاذات الآمنة. بالإضافة للممارسات الأمنية الأخرى..كان من أهم الشرائح التي عملت إيجابيا في نشر فكر الجهاد ودعوته.. تلك التي تركزت في الغرب ولاسيما أوربا، و في طليعتها الدول (الإسكندنافية)،وفي (بريطانيا).. فقد عمل الجهاديون مستغلين الظروف المريحة نسبيا، والإمكانيات المادية وهامش الحرية- قبل إقفاله- والذي كان يتوفر في تلك الدول. عملوا على إصدار النشرات والأبحاث وإعادة بث ما كان قد أنتج في مرحلة الجهاد الأفغاني أو على مر التجارب الجهادية، السابقة الندوات والمحاضرات وارتياد المساجد والإحتكاك بالجاليات الإسلامية التي كانت تشهد صحوة إسلامية لا تقل وربما تزيد ازدهارا عن تلك التي تجري في العالم العربي والإسلامي. حتى أن بعض الحكومات العربية ضجت واشتكت من الحرية التي يعيشها الإسلاميون و الجهاديون هناك، وعقدت عشرات المؤتمرات لمكافحة ظاهرة الأصولية الإسلامية في مختلف ميادينها ومن ذلك الهامش في الدول الغربية. حتي تمكنوا من إقفال كل ذلك عمليا ما بين (1995-2000).

سادسا: الشوط الثاني للأفغان العرب في ظل طالبان في أفغانستان (1996-2001):

في هذه العجالة ؛ سأتعرض لأبرز آثار هذه المرحلة على التيار الجهادي المعاصر الذي نحن بصدد استعراض مراحله في هذا الفصل، معرضا عن كثير من التفاصيل بالغة الأهمية خشية الإطالة، وخشية إثارة الحساسيات التي يلزم لإزالتها إسهاب وشرح لا يحتمله موضوع الموسوعة.

وخلاصة ذلك في نقاط رئيسة موجزة على الشكل التالي:

- انطلق طالبان من ولاية قندهار، جنوب شرق أفغانستان أواخر عام (1993)، واستطاعت التقدم والسيطرة على وسط و جنوب وشرق أفغانستان بسرعة، ومن ثم دخول كابل عام (1996) وإعلان الإمارة

الإسلامية في أفغانستان، وإعلان زعيم طالبان الملا محمد عمر- حفظه اللـــه- أمـيرا للمؤمنين فيها سرعان ما وجدت الفئات المطاردة المشردة من كـوادر وأعضـاء التيـار الجهادي في أفغانستان ملاذا آمنا، وربما إجباريا مع استعار حمـلات المطـاردة أو مـا سمي بـ (الحرب الدولية لمكافحة الإرهاب) بقيادة أمريكا التي انطلقت منـذ أوائـل التسعينات واشتدت ما بعد (1995).

فبدأ هؤلاء يتسللون فرادى ومجموعـات إلى أفغانسـتان، ليبتـدئ العـرب شـوطهم الثاني في أفغانستان مع النصف الثاني سنة (1996).

- مع الترحيب وحسن الجوار الذي أبداه الطالبان لتلك الطلائـع القادمـة، وفي مقـدمتهم الشيخ أسامة ومجموعة من عناصر تنظيم القاعدة.. وبعض الرموز و الجهاديين مـن قدماء الأفغان العرب.. بدأت الساحة تستهوي عموم الجهـاديين وأصـحاب الطمـوح باستئناف المسار إلى هناك...

- ومع إعلان تطبيق الشريعة الإسلامية وسيطرة الطالبـان عـلى نحـو(94%) مـن الأرضي الأفغانيـة. بـدأت دار الإسـلام الوليـدة والوحيـدة في الأرض، مـن منظـور الجهـاديين وعموم الإسلاميين تستهوي كثيرا من غير المطاردين والمضطرين للبحث عن مـلاذات. بغية الهجرة الشرعية إلى دار الإسلام الوليدة هذه.

- وخـلال عـام (2000) كانـت المعسـكرات والمضـافات العربيـة قـد انـتشرت في مـدن أفغانستان الرئيسية ولاسيما العاصمة كابل، والعاصمة الروحية لطالبان (قنـدهار)، و المدن الشرقية مثـل خوسـت وجـلال أبـاد. وبـدأ المهـاجرون الجـدد والمحـاربون القدماء من الأفغان العرب حملة إعلام واتصالات لاستقبال المزيد من المهـاجرين.. ونشطت حركـة القـدوم رغـم الحصـار السـياسي والاقتصـادي والحملـة الإعلاميـة والدولية التي أحاطت بالإمارة الإسلامية الوليدة من كـل جانـب. وأعتقـد أن عـدد الذين قدموا وغـادروا أفغانسـتان خـلال هـذه المرحلـة (1996-2001)، بلـغ عـدة آلاف من الرجال. ولكن الذين استقروا منهم في أفغانستان كـانوا قريبـا مـن (350

أسرة) ونحوا (1400) مجاهد ومهاجر عربي من مختلف الجنسيات. بالإضافة لعدة مئات من أرباب الأسر والمجاهدين والمهاجرين من وسط آسيا، ولاسيما من أوزبكستان و طاجيكستان التي تتعرض فيها الحركات الإسلامية إلى طغيان آخر حصون الشيوعية في العالم. وكذلك من تركستان الشرقية التي تحتلها الصين وتذيق المسلمين فيها ألوان العذاب والهوان..

- وخلال هذه الأجواء.. تواجدت التنظيمات الجهادية العربية الرئيسية.. وانتعشت لدى قياداتها القديمة الآمال باستئناف مسارها في الإعداد والبناء، ومتابعة أهدافها القديمة في إحياء الجهاد في بلادها من أجل إقامة حكومات إسلامية على أنقاضها بحسب تصوراتهم..
- ولست هنا إلا بصدد تسجيل خلاصة تاريخ ذلك المسار، وليس التعرض لتقييم تلك الجموع والكتل وأهدافها وطرق عملها في هذا الحيز الموجز. كما قدمت جموع وكتل جديدة من جديد من بلاد عربيه متعددة، تسعى إلى تكوين نفسها.. وولدت كتل وشبه تنظيمات جهادية جديدة حاول أصحابها شق طريقهم من خلال تلك الأجواء..
- ويمكن القول أن كافة من تواجد خلال هذه الفترة يمكن اعتبارهم من الجهاديين، رغم أن أكثريتهم لم تكن تنضوي داخل التنظيمات الرئيسية، ولم يؤم أفغانستان في هذه المرحلة كما في الأولى، أنواع أخرى من طيف الصحوة الإسلامية، فقد اختلفت الظروف الدولية تجاه هذه الظاهرة وصارت على النقيض. ففي حين كان الجمع الأول ينمو وسط مباركة ودعم وإجازة عالمية ـ كما أشرت آنفا - كان هذا الجمع وأرضه ومن يحكمها ومن يهاجر إليها، محل حرب ومطاردة عالمية.
- ورغم أن سوادهم الأعظم إن لم يكن كلهم، من الجهاديين فكرا واتجاها، إلا أنه يمكن تصنيفهم ضمن التشكيلات الرئيسية التالية، بغض النظر هنا عن رصد الأعداد والتعرض للتقييم. فقد ضم هذا الجمع الطيف التالي – بحسب الحجم -:

1. المتدربون: وهم الذين قدموا من أجل تلقي التدريب ثم الرحيل، ولم يستقر هؤلاء الا مدد التدريب التي تترواح ما بين الأشهر القليلة إلى السنة.
2. المهاجرون: وهم الذين قدموا بأسرهم أو بأنفسهم بغية الهجرة والاستقرار في دار الإسلام الوليدة، و إعمارها والجهاد معها، دون أن يكون لهم أهداف جهادية خارج أفغانستان ولا ضد حكومات بلادهم، ولا ضد أعداء آخرين داخليين أو خارجين..
3. التنظيمات الجهادية: التي قدمت لتتابع أهدافها و برنامجها القديم المتعلق بالجهاد في بلادها.. ولمتابعة بناء تنظيماتها من جديد على الطريقة التقليدية القديمة للتنظيمات (القطرية- السرية – الهرمية) سواء من البلاد العربية أو بعض الإسلامية..
4. أسامة بن لادن وإدارة تنظيم القاعدة: ومن لحق بدعوتهم،والذين كان هدفهم هو الدعوة والعمل على مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية. من خلال هذا الحصن المنيع (أفغانستان). والاحتماء بحكومتها الجديدة (الطالبان) وأميرها المصابر(الملا محمد عمر).
5. تنظيمات وجماعات أعاجم وسط آسيا: الذين تنوعت أهدافهم بين الهجرة و نصرة دار الإسلام والجهاد معها.. وبين الإعداد للجهاد في بلادهم. وكان أهم وأكبر هذه الجماعات (المجاهدون من أوزبكستان) و(المجاهدون من تركستان الشرقية) التي احتلتها الصين. بالإضافة لبعض الجماعات الأخرى..
6. المجاهدون من باكستان: وكانوا خليطا من تلاميذ العلماء والمدارس الدينية في باكستان وهي امتداد لطالبان فكرا و منهاجا، بالإضافة لأعضاء التنظيمات الجهادية المختلفة العاملة على جبهة كشمير، والتي رأت في أفغانستان خط إعداد خلفي جيد لمتابعة نشاطها. بالإضافة للمجاهدين فرديا دون الجماعات والتنظيمات.. وقد شكل التواجد الباكستاني نتيجة

القرب والتداخل في القضية مع القضية الأفغانية، حجما يوازي أو يزيد على مجموع حجم الأنواع المذكورة آنفا.

- شكلت هذه الفترة مرحلة متقدمة من نمو التيار الجهادي وتطوره في بعد جديد..

فقد أدت الحملات الإعلامية التي شنها أسامة بن لادن ضد أمريكا وعدوانها على المسلمين ونداآته لتخليص الحرمين من الإحتلال الأمريكي والغربي.. ثم إدخاله بعدا جديدا إلى دعوته، وهو تبني القضية الفلسطينية. وربط العدوان الأمريكي على المسلمين في العالم، بالعدوان الإسرائيلي الصهيوني على المسلمين في فلسطين، وإدخال قضية الحرم الثالث في القدس، ومسجدها الأقصى إلى قضية الحرمين..أدت هذه الحملات المركزة والمنظمة، وردود الفعل الهائلة من قبل وسائل الإعلام الأمريكية على هذه الحملة. ودخول تلك الموجهات إلى الفضائيات الأمريكية والعالمية و العربية ولاسيما قناة (الجزيرة) القطرية، التي لعبت دورا محوريا في إيصال هذه الصراع الإعلامي إلى مئات الملايين من المشاهدين المسلمين في العالم.. أدت إلى أن يأخذ التيار الجهادي بعدا جديدا نحو عالمية المرحلة.. رغم أن معظم التنظيمات العربية أو كلها لم تغير شيئا من أهدافها ولا برامجها (القطرية- السرية- الهرمية)، ولا تحولت باتجاه دعوة أسامة حتى اللحظات الأخيرة من العام (2001) حيث أقحمتها أمريكا قسرا في هذا الإتجاه..

- وافق هذه المرحلة أحداث عالمية بالغة الأهمية و الأثر على العالم الإسلامي..وكان في طليعة ذلك اشتعال الإنتفاضة الفلسطينية وانتقالها من مرحلة ثورة الحجارة التي انطلقت منذ سنوات، إلى مرحلة العمل المسلح والعمليات الانتحارية منذ سنة (2000). وتفاقمت الأوضاع في المنطقة العربية كلها نتيجة هذا التصعيد بالإضافة إلى ازدياد آثار الحصار الأمريكي القاتل المدمر على العراق، منذ (1991)، وآثار ذلك أيضا.. بالإضافة لإشعال حملات المطاردات الأمنية والحرب العالمية على الإرهاب بقيادة

أمريكا، حيث سارت في ركابها كافة دول العالم، ولاسيما حكومات الدول العربية والإسلامية..

وسرعان ما صار الجمع العربي في أفغانستان و كذلك رمزه أسامة بن لادن، النجم الحاضر بلا انقطاع في وسائل الإعلام العربية والعالمية مصدر الهام و تثوير للصحوة الإسلامية و امتدادا أفقي كبيرا للتيار الجهادي وأنصاره في العالم..

- أخذت التنظيمات والبؤر والتجمعات الجهادية العربية تكون نفسها في أفغانستان.. ولم يأت عام (2000) إلا وقد بلغ عدد الجماعات أو المعسكرات أو التجمعات والمشاريع الجهادية (أربعة عشر) تجمعا أو تنظيما أو معسكرا، معترفا به رسميا من قبل طالبان و تربطهم بوزارات الدفاع والداخلية والإستخبارات برامج ضبط وتنسيق وتعاون.. سواء في تنسيق دعمهم وجهادهم إلى جانب طالبان، أو في برامجهم الذاتية. عدا المجموعات الباكستانية التي كان لها أيضا ترتيبها الخاص وكانت متعددة.

- وهذه التجمعات التي كانت مستقلة عن بعضها تماما هي:

المجموعات غير العربية:

1- المجاهدون الأوزبك: وكانت مجموعة كبيرة العدد نسبة للمجموعات الأخرى، وكان برنامجهم يهدف إلى نقل الجهاد إلى أوزبكستان، والإطاحة بنظام (كريموف) الشيوعي – الأمريكي !، وذلك لما يكون الوضع في أفغانستان قد استتب للطالبان. ومن خلال البرمجة التامة معهم. وكان برنامجها في ذلك الحين هو التجنيد والإعداد والتدريب. وكانت مجموعة مرتبطة بالطالبان. وقد بايع أميرهم(محمد طاهر جان) الملا محمد عمر، بيعة إمام عام. وكذلك بايع نائبه القائد العسكري الشهير (جمعة باي) رحمه الله. وكان لهم برنامجا طموحا جدا للتجنيد والدعوة في أوساط الأفغان الأوزبك، وهم جالية تعد أكثر من خمسة ملايين نسمة، كثير منهم من المهاجرين من أوزبكستان منذ أيام احتلال القياصرة، وما تلاه من مجازر

ستالين ولينين..، وكانت مجموعة منظمة عالية الكفاءات والإمكانيات المادية، حيث تدعمها جاليات أوزبكية مهاجرة منتشرة في بلاد كثيرة.

2- المجاهدون من تركستان الشرقية المحتلة من قبل الصين:

وكانت مجموعة محدودة، هاجر أكثرهم فرارا من الحكم الصيني خفية، وكان برنامجهم تربويا شاملا بعيد المدى نظرا للظروف الصعبة التي يعيشها المسلمون في تركستان الشرقية بعد أن طبقت الحكومات الصينية المتعاقبة سياسة الهجرة الصينية إلى بلادهم، ونجحت في تغيير خارطتها السكانية، لينخفض عدد المسلمين التركستان من أغلبية ساحقة إلى نحو نصف السكان، حيث أسموها (سيانغ يانغ) يعني (الأرض الجديدة)، ناهيك عن الإجراءات الشرسة منذ الحكم الشيوعي لماو تسيتونغ، وكان من برنامج هذه المجموعة إرسال بعضهم لداخل بلادهم من أجل إخراج المزيد من المهاجرين وإعدادهم، تمهيدا للعمل العسكري الذي ينونه ضد الصين.، وكان أميرهم الشيخ (أبو محمد التركستاني) رجلا فذا ونشيطا من أروع نماذج المجاهدين الفارين بدينهم ولا نزكيه على الله، وقد قتله الجيش الباكستاني في (وزيرستان) في نوفمبر 2003. قاتلهم الله، ورحمه رحمة واسعة.. وقد بايعت المجموعة الملا محمد عمر بيعة عامة أيضا، فطلب إليهم وقف برنامجهم العملي ضد الصين والاكتفاء بتربية من يلحق بهم، نظرا لحاجة الطالبان لعلاقات جيدة مع الصين توازن الضغوط الأمريكية، فالتزموا ذلك.

3- المجاهدون الأتراك: وكانوا مجموعة صغيرة من الأكراد والأتراك، وقد عملوا بشكل سري جدا، وكان برنامجهم التدريب، ولا أدري إن كان لهم برنامج عملي في بلادهم في حينها.

المجموعات العربية:

4- تنظيم (القاعدة) بزعامة أسامة بن لادن. وبرنامجهم معروف.

5- الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا. وكان أميرهم (أبو عبد الله الصادق) وكان برنامجهم الرئيسي الإعداد لجهاد نظام القذافي في ليبيا، والمشاركة في دعم

القضايا الجهادية عامة، والمساهمة في دعم طالبان. وكان لهم مساهمة في ذلك.

6- الجماعة الإسلامية المجاهدة في المغرب (مراكش). وكان برنامجهم الإعداد وتدريب عناصرهم الذين يفدون ويغادر أكثرهم، وكان هدفهم جهاد النظام الحاكم في المغرب الأقصى.وكان أميرهم يدعى أبو عبد الله الشريف.

7- جماعة الجهاد المصرية. وكانت قد تقلصت إلى حد كبير وكان هدفهم إعادة بناء الجماعة ولم شتاتها، وهدفهم معروف وكان جهاد النظام الحاكم في مصر.وكان أميرهم الدكتور أيمن الظواهري.

8- الجماعة الإسلامية المصرية: وكانت مجموعة صغيرة جدا، انحصر وجودهم بصفة الهجرة، ولم يكن لهم نشاط مهم بعد تبني مبادرة وقف جهاد النظام المصري التي عرفت باسم (مبادرة وقف العنف). وكان أكثر رموزهم الهامة يقيم في إيران كما هو معروف، وانتقل بعضهم آخر أيام طالبان إلى أفغانستان.

9- تجمع المجاهدين الجزائريين. وكان هدفهم لم شعث من استطاعوا من إخوانهم لإعادة ترتيب الجهاد في الجزائر بعد النكبات التي مني بها.

10- تجمع المجاهدين من تونس. وكان هدفهم الإعداد والتدريب وجمع الشباب التونسي، بغية الجهاد في تونس، وكان لمعسكرهم مساهمات تدريبية، وكان فيهم كوادر سبق لها الجهاد في البوسنة.

11- تجمع المجاهدين من الأردن وفلسطين، وكان برنامجهم الإعداد والتدريب، للجهاد في الأردن وفلسطين. وكان أميرهم (أبو مصعب الزرقاوي).

12- معسكر خلدن (معسكر تدريبي عام). وهو من أقدم المعسكرات العربية، ويعود تأسيسه لأيام مكتب الخدمات و عبد الله عزام. وكان أميره (ابن الشيخ – صالح الليبي -)، يعاونه أبو زبيدة. وكانت أهداف المعسكر

تدريبية محضة لدعم الجهاد في كل مكان. وكان له إنتاج عبر السنين ربما تجاوز عدد من تدربوا فيه منذ تأسيسه سنة 1989العشرين ألفا.

13- معسكر أبو خباب المصري (معسكر تدريبي عام). وكان معسكرا تدريبيا متخصصا في التدريب على تصنيع المتفجرات والكيمياويات واستخدامها.

مجموعة معسكر الغرباء وكانت مرتبطة بالطالبان وكان لها أيضا (معسكر تدريبي عام، ومركز دراسات وأبحاث ومحاضرات...):

- ثم تصاعدت الحرب الأمريكية والغربية بمشاركة من الدول الإسلامية على طالبان وأفغانستان. ولاسيما على أسامة والقاعدة الذين قاموا بتنفيذ هجومين على سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السلام.. ثم الهجوم الانتحاري الآخر على المدمرة الأمريكية (كول) في ميناء عدن في اليمن، خلال هذه الفترة (1997-2000) بالإضافة للتصعيد الإعلامي الذي أطلقه أسامة من أفغانستان منذ حضر إليها عن طريق سلسلة المقابلات الصحفية والتلفزيونية التي كان يحرض المسلمين فيها على حرب أمريكا وجهادها.
- و تصاعدت الضغوط الأمريكية والعالمية والتهديدات الجدية، والحصار الاقتصادي والإعلامي على أفغانستان.. وبدأت أمريكا تنذر بالحرب على الإرهابيين فيها وخاصة خصمها العنيد، أسامة. ثم وقعت الواقعة الحاسمة في الحادي عشر من سبتمبر/2001..
- فقد قامت مجموعة من أعضاء القاعدة بالهجوم الانتحاري التاريخي الشهير على أبراج نيويورك و البنتاغون صبيحة إلحادي عشر من سبتمبر من عام 2001.

ورغم عدم إعلان القاعدة عن مسؤوليتها عن العمليات، إلا أن أصابع الاتهام و القرائن لدى الأمريكان كانت واضحة..وقررت أمريكا غزو أفغانستان وإسقاط طالبان وتنصيب حكومة تابعة لها فيها.. و إبادة من

تستطيع إبادته من طالبان ومن التجمعات الجهادية والعربية المتواجدة تحت عباءة الملا عمر..

ذلك الأثر الذي أدى بحسب ما أعتقده إلى وضع نهاية مأسوية للتيار الجهادي وإنهاء مرحلته التي امتدت منذ مطلع الستينات من القرن الماضي وإلى سبتمبر2001.. حيث دخل التيار الجهادي محنة الأخدود المعاصر الذي ابتلع معظم كوادره خلال السنوات الثلاثة التالية(2001-2004).

لتبدأ بعد ذلك وبعد احتلال العراق الذي جرى بعد ذلك بسنتين .. مرحلة تاريخية جديدة من تاريخ التيار الجهادي بل الصحوة الإسلامية والعالم العربي والإسلامي بل العالم أجمع..

- بعض مترتبات الحدث وتوابعه:

لقد كانت خسائر الولايات المتحدة الأمريكية في هجوم سبتمبر كبيرة بكل المقاييس، و تكون قد وضعت بداية السقوط الحقيقي لهذه الدولة البربرية الهمجية،التي جسدت قمة وحشية الحضارة الغربية المعاصرة، التي باشرتها دول أوروبا الاستعمارية وساهمت فيها روسيا ثم ورثت كل صفاتها الشيطانية أمريكا وأقامت على أساسها نظام الاستكبار اليهودي الصليبي المعاصر.

لقد كانت القاعدة جزءا رئيسيا من كتلة المجاهدين الأفغان العرب في أفغانستان، والذين كانوا بدورهم جزءا هاما من التيار الجهادي العام، الذي يتكون من مجموع التنظيمات والجماعات والتجمعات التي تنتشر في معظم بلدان المسلمين بل وفي كثير من بلدان المهجر، كما يضم كثيرا من الأفراد والكوادر الجهادية من العلماء والمفكرين والدعاة والكتاب الذين حملوا جميعا الفكر الجهادي الذي يتبنى منهجا محددا كما يتبنى العمل المسلح وسيلة لإقامة شريعة الله ودفع الظلم عن الإسلام والمسلمين كحل لا بديل عنه لحل ما تراكم من مشاكل هذه الأمة..

ولقد دمجت الآلة الأمريكية كل ذلك التيار ومكوناته بل ومناصريه، بل وكل من أرادت أن تصفيه من كامل طيف الصحوة الإسلامية على اختلاف

مدارسها تحت مسمى (القاعدة) وجعلتهم جميعا هدفا لحربها تحت شعار مكافحة الإرهاب. وهذا موضوع يستأهل البحث وليس محله هذه الموسوعة، لأن أمريكا حققت من وراء هذا التعميم غير الواقعي أهدافا في غاية الخبث والخطورة.

ولقد تبع انهيار البرجين في نيويورك، وتهدم جدار البنتاغون على رؤوس جنرالات أمريكا،انهيارات كثيرة في الصف الإسلامي، ولحق بأطراف عديدة خسائر فادحة،وكان ممن لحقهم كثير من الخسائر كافة أطراف ومدارس الصحوة الإسلامية،وكان أكثرهم تضررا التيار الجهادي وتنظيماته وكياناته المختلفة كافة،على صعيد الأفراد والقيادات والجماعات في كل مكان.. بل لقد طالت التوابع وردود الأفعال من قبل الحملة الصهيوصليبية كل مسلم في كل مكان. وقد كان هذا سببا في أن كثيرا من أوساط الصحوة الإسلامية، بل وحتى بعض الجهادية لم تنظر لهذا العمل بعين الارتياح.

وقد انتقده كثير من المسلمين المخلصين قناعة منهم بأنه:

- قد جلب البلاء على المسلمين ووضعهم في معركة غير متكافئة سيكونون فيها الخاسر الأكيد..
- وأنه برر الهجمة الأمريكية وأعطاها المسوغ لإعادة احتلال العالم الإسلامي وإنزال أفدح الخسائر بالمسلمين.
- وانه ألغى عمليا معظم البرامج الذاتية لكثير من مشاريع الجهاد القطرية والإقليمية بالتبعية تلقائيا.
- بل إنه سبب إزالة الإمارة الإسلامية الوليدة في أفغانستان ملغيا القاعدة الوحيدة التي فاءت إليها معظم مشاريع الجهاد وجماعاته وقياداته... إلى أخره.

ولكثير من هذه الانتقادات دليل مما نلمسه ونعيشه. ومن هذا المنظور فربما أن لوجهات النظر هذه مايبررها.

ولكن من جهة أخرى و حتى نأخذ الصورة بكل معطياتها..، فإن المتابع للسياسات الأمريكية فيما يتعلق بالعالم الإسلامي، بل بكافة العالم الثالث وخاصة منطقة الشرق الأوسط، وذلك من خلال ممارساتهم ومن خلال الكتابات المعلنة لكبار مفكريهم ومنظريهم وواضعي إستراتيجياتهم السياسية،عبر الكتب المنشورة، والتقارير والدراسات التي تعدها كبريات مراكز الدراسات عندهم وينظر لها كبار المفكرون من أمثال كتابات كيسنجر ونيكسون و هينتينغتون... يجد أنها قد أعربت وصرحت بأهداف السياسة الأمريكية في القرن الواحد والعشرين،وعن الرغبة الجامحة بالإنفراد بالسيطرة على العالم. وهو برنامج وضع للتنفيذ بصرف النظر عن أحداث سبتمبر كانت أو لم تكن.

لقد صرح نيكسون في كتابه (نصر بلا حرب) بأن على أمريكا أن تعمل على أن يكون القرن 21 قرنا أمريكيا ويجب أن تعمل على تفكيك الإتحاد السوفيتي،ومنع نهضة الصين وتفتيتها إلى قوميات متصارعة،وعرقلة قيام الوحدة الأوروبية، وكبح التقدم الصناعي لجنوب شرق آسيا والسيطرة عليها والتخطيط للسيطرة على المارد المسلم الذي يتململ استعدادا للنهوض على حد تعبيره. كما شكلت أمريكا قوات التدخل السريع (المارينز) من أجل احتلال منابع النفط منذ أيام كارتر مطلع السبعينات.هذا بالإضافة للسياسة المبنية على معتقدات المتطرفين الصليبين الذين بنوا تصوراتهم الإنجيلية التوراتية بحسب التفسيرات الصهيونية كأساس لمذهب المسيحية الأمريكية المتعصبة، التي تعتمد فكرة دعم إسرائيل واليهود بانتظار المعركة الطاحنة في (هرمجدون) في شمال فلسطين كمقدمة لنزول المسيح لتخليص النصارى. هذا بالإضافة لفلسفات شريرة وضعوها بناء على نظريات صراع الحضارات وسيطرة العرق الأبيض. وهذه المعلومات أصبحت مما تتحدث به وسائل الإعلام العالمية بصراحة، عن ظاهرة (المحافظين الجدد)، وهي الفئة النصرانية المتصهينة التي ينتمي إليها بوش وأعوانه..

والدلائل كثيرة جدا على أن أمريكا قد تحركت نحو الأمة الاسلامية منذ أن انهيار الإتحاد السوفيتي وافتتحت ذلك بحرب الخليج، ثم بسلسلة المؤتمرات

الأمنية ضد ما أسموه الأصولية الإسلامية وذلك عقب الإجتماع الهام الذي جمع (ريغان – تاتشر- غورباتشوف) والذي وضعوا فيه علنا الإسلام خصما حضاريا للحضارة الغربية بعد انتهاء الحرب الباردة وقرروا ضم مكونات حلف وارسو لتدخل في حلف الناتو الذي سيقود الحرب الصليبية على المسلمين...

وهناك كثير من الوثائق التي تثبت ذلك لا ننقلها هنا خشية الإطالة. وهذه المعلومات مشتهرة بين المثقفين العرب والمسلمين وفي وسائل الإعلام.

وكلها مؤداها أن أمريكا وإسرائيل وأوروبا الغربية كانت ماضية باتجاهنا من قبل ما حدث في سبتمبر وأن أمريكا كانت غير عاجزة عن إيجاد أي ذريعة فيما لو لم توجد القاعدة ولم تحدث انفجارات 11- سبتمبر، تماما كما اتخذت من العراق ذريعة لاحتلال الخليج في حرب الكويت،وكما اتخذوا اليوم ذرائع لإحتلال العراق والتمدد نحو الشام والجزيرة.فكل أدلة المنطق والواقع تثبت بأن أحداث سبتمبر ليست السبب في هذه الهجمة وإن كانت قد عجلت بمواجهة محتومة وجعلتها أكثر (دراماتيكية).

وحتى هجوم أمريكا على أفغانستان فمن المسلم به في جميع وسائل الإعلام العالمية وعلى لسان كثير من السياسيين أنه هجوم سببه المصالح الأمريكية في نفط وسط آسيا واحتياجها لنظام يحفظ نقله إلى الخليج من أفغانستان ويكمل إغلاق الحلقة الأمريكية حول الصين ويحاصر إيران من الشرق ويزيل أي إمكانية لحكم المسلمين بالشريعة في أفغانستان حتى لا تكون سابقة تحتذى، فلم يكن أسامة ولا الأفغان العرب ولا مجاهدو وسط آسيا المقيمين في حماية طالبان سبب الهجوم على أفغانستان. بل كان السبب هو قيام طالبان بالحكم بالشريعة وتمرد نظامهم على شريعة أمريكا في السياسة الدولية. بالإضافة للأطماع الإمبراطورية الأمريكية في المنطقة. والله تعالى أعلم.

● وبعيدا عن اختلاف وجهات النظر من الحدث وتداعياته، فقد فرض واقعا على المسلمين وأقطاب الصحوة الإسلامية والقيادات الجهادية أن يواجهوه الآن، وأن يعلموا أن أمريكا قد قررت وفرضت عدوانها على المسلمين، وبهذا الزخم ورتبته مع اليهود وحلفائها الأوروبيين وروسيا منذ

انهيار الإتحاد السوفيتي وإزاحة سور برلين بين حلف وارسو وحلف الناتو، ووزعت الأدوار، التي خصت قسطا كبيرا منها وأوكلته لحكومات في العالم العربي والإسلامي. فهذه الحرب القائمة الآن، فرضها العدو ونفذها، من قبل سبتمبر/2001 ولم توجدها أحداثها. حرب فرضتها المصالح الإقتصادية والجغرافية السياسية. وهي نتيجة الجذور التاريخية والتصورات الدينية لمعتقدات اليهود والأمريكان عن الصراع مع المسلمين.

- وتفاصيل أحداث سبتمبر معروفة.. وأشهر من أرددها هنا حيث لا مجال للإطالة.. ولذلك سأقفز عن تفاصيلها، إلى تداعيات الحدث على التيار الجهادي في أفغانستان، حيث كانت قد تواجدت نخبته على صعيد القيادات والرموز و الكوادر و قيادات التنظيمات والجماعات والكتل الجهادية الرئيسية في العالم العربي ووسط آسيا و باكستان في ذلك الوقت..
- تداعيات أحداث سبتمبر2001 على التيار الجهادي في أفغانستان:
- ابتدأ الأمريكان الحرب بموجات من القصف الجوي المركز منذ مطلع شهر 10 وإلى أواسط 11، وزحفت طلائع تحالف الشمال لتقوم بالحرب على الأرض نيابة عن الأمريكان من ثلاث محاور.
- من الشمال نحو كابل.. ومن الحدود الباكستانية من الجنوب الشرقي نحو قندهار، ومن الشمال الشرقي نحو جلال أباد، وسقطت مزار شريف، ثم كابل بيد تحالف الشمال في شهر ديسمبر 2001..
- واستولت الشراذم وقطاع الطرق و الحرامية والقبائل التي عملت في البرنامج الأمريكي على المدن تباعا.. وتهاوت مقاومة طالبان واستسلمت حامياتهم وقياداتهم بصورة مفاجئة للجميع..
- وخلال أقل من أسبوع بعد سقوط كابل.. أعلن عن سقوط طالبان.. وتسليم (كرزاي) مقاليد الأمور..ثم تابع عملاء أمريكا على الأرض تنفيذ المهام..التي لعبت ملايين الدولارات دورا هاما في أدائها على الوجه الأكمل قذارة وبشاعة..

- ثم أطلقت أمريكا بزعامة (بوش) ما أسمته (الحرب العالمية على الإرهاب) والتي لعبت فيها الباكستان الدور الرئيسي..حيث تولت تصفية واعتقال الذين توجهوا نحو الملاذ الوحيد على أراضيها.. ثم تلتها مختلف الدول العربية والإسلامية بالمشاركة..بالإضافة لما قام به حلفاء أمريكا الكبار..مما أدى إلى تدمير ما تبقى من التيار الجهادي تدميرا كبيرا.

- وأما ما يهمنا من أمر الجمع العربي من الجهاديين والمهاجرين في أفغانستان.. فخلاصة ما حصل؛ مجزرة تاريخية للتيار الجهادي هي الأسوأ في تاريخه كله.

وكانت خلاصة الخسائر والمصائب منذ انطلاق أحداث الكارثة وإلى الساعة ودون الدخول في التفاصيل كالتالي..

- قتل زهاء (400) مجاهد عربي خلال معارك الدفاع عن أفغانستان. حيث استبسلوا في الدفاع عن مختلف خطوط القتال.. أو سقطوا بفعل القصف المكثف أثناء عمليات انسحاب أرتال السيارات من المدن الرئيسية باتجاه الحدود الباكستانية.
- أسرت باكستان بفعل خيانة بعض رجال القبائل الحدودية الباكستانيين، نحو (150) مجاهد خرجوا من معارك (طوره بوره) بعيد الحرب مباشرة خلال الشهر الأول من عام (2002). وجرى تسليمهم للأمريكان الذين نقلوهم إلى معسكر الاعتقال سيء السمعة في غوانتانامو، في جزيرة كوبا.
- وفاة نحو (100) مجاهد تقريبا في اشتباكات متفرقة مع الجيش الباكستاني في مناطق الحدود أو على طرق السفر،أو داخل بعض المدن في باكستان خلال السنتين التاليتين من مطلع (2002) وإلى سبتمبر (2004)..
- أسرت القوات الباكستانية خلال تلك الفترة ما يزيد على (600) مجاهد عربي من الفارين بأنفسهم وأسرهم والمختفين على أراضيها.. وقامت بتسليمهم إلى أمريكا مباشرة ليزج أيضا بهم في معتقل غوانتانامو. أو معتقلاتها الوحشية في أفغانستان.

- إعتقلت إيران على أراضيها أكثر من (400) مجاهد عربي. سلمت معظمهم لبلادهم كما اعترفت بذلك حكومتها رسميا. وما يزال ما يقرب من مئة منهم أسرى في إيران.. - بحسب ما ذكرت مصادر الحكومة الإيرانية - قيد السجون والمساومات السياسية مع أمريكا.

فإذا ما اعتبرنا أن العدد الإجمالي للمجاهدين العرب الذين تواجدوا في أفغانستان وقت هذا الحدث زهاء (1900) مجاهد بمن فيهم أرباب الأسر من المقيمين والمهاجرين. تكون الخسائر قد جاوزت ما بيت شهيد وأسير(1600) مجاهد من أصل الـ(1900) أي نحو(75%) من القاعدة البشرية للأفغان العرب الذين تواجدوا في أفغانستان تلك الفترة. كما أدت حملات المطاردة والاعتقال التي شنتها أمريكا وأجهزة الأمن المتعاونة معها في أوربا وبلدان العالم العربي والإسلامي بل في كل العالم إلى اعتقال وأسر مئات الجهاديين من أعضاء الجماعات أو المتعاطفين مع التيار الجهادي أو من المظلومين القريبين منهم من الذين أسروا دون أن يكون لهم ناقة ولا جمل في هذا الصراع..

- هذا بالإضافة إلى الخسائر الفادحة في صفوف الجهاديين من وسط آسيا وخاصة من المجاهدين الأوزبك ومن معهم من بلاد وسط آسيا، الذين استشهد معظم كادرهم العسكري وربما جاوز هذا الرقم زهاء 500 شهيد عدى الأسرى..استشهد أكثرهم في أفغانستان، وبعضهم في معارك مع الجيش الباكستاني المدعوم بالقوات الأمريكية في منطقة وزيرستان.

كما وقعت خسائر فادحة في صفوف المجاهدين من تركستان الشرقية بنفس الطريقة..وكان آخر هذه الخسائر وفاة أميرهم (حسن أبو محمد التركستاني) مع بعض إخوانه رحمهم الله تعالى. وأكرم نزلهم في المهاجرين الغرباء الفارين بدينهم، وقد قتله الجيش الباكستاني في شهر 11/ 2003.أثناء عمليات المطاردة في إقليم سرحد.حتى صرح (رامسفيلد) وزير الدفاع الأمريكي السابق أواسط عام (2003) أن حملتهم الأمنية والعسكرية على الإرهاب قد مكنتهم من قتل وأسر ما يزيد على (3000) إرهابي بحسب وصفه.. وأعتقد أنه رقم قريب من الواقع.. فقد وصلت الخسائر في أفغانستان وباكستان وإيران إلى أكثر من نصف

هذه الرقم، فيما وصل عدد الأسرى من الجهاديين والمتعاطفين معهم في بريطانيا وحدها إلى نحو(300) أسير،كما أشارت لذلك إحصائيات رسمية، ناهيك عن العشرات الذين أعلن عن اعتقالهم في باقي الدول الأوروبية.. أما في الدول العربية فقد شنت اليمن حملة على الجهاديين والعائدين من أفغانستان وعلى المتعاطفين معهم، قتل فيها العشرات وأسر المئات.. كما أعلنت السعودية عن توقيف أكثر من (220) فرد نسبت لهم تهمة القاعدة رسميا. ناهيك عن أن عدد الأسرى والموقفين والذين حقق معهم في السعودية، هو رقم من فئة الآلاف، أسر منهم دون تهمة أو محاكة المئات وأودعوا السجون، وذلك أن السعودية واليمن كانتا من البلاد التي قدم إلى أفغانستان منها أكبر نسبة من الشباب العرب وكانتا من أكثر الدول مطاردة لهم أيضا.. كما طالت الحملات المئات هنا وهناك في كل مكان.. ليكون آخرها ما جرى في المغرب.منذ شهر11/ 2003 . حيث اعتقل المئات أيضا، وصدرت عشرات أحكام الإعدام والسجن المؤبد والمدد الطويلة في حقهم وطال البلاء مئات الأبرياء من حملة الفكر الجهادي والمتعاطفين معهم ممن لا علاقة لهم بأي أعمال.. وتوسعت دوائر التهمة والبلاء لتشمل معظم الجهاديين ومعظم المتعاطفين معهم في كافة أنحاء العالم..من القرن الإفريقي إلى الفلبين..إلى إندونيسيا وجنوب شرق آسيا..إلى تركيا..إلى كل أقطار الدنيا..

- لقد كانت المصيبة كارثية و عظيمة بكل معنى العظمة والكارثة لثلاثة أسباب:

1. أن هذا الرقم الذي طال ما بين (3000- 4000) عنصر من الجهاديين وأنصارهم ومؤيديهم بحسب المعلن، والواقع أكبر من ذلك بكثير، يمثل في الحقيقة معظم الشريحة العاملة من الجهاديين في هذا الزمان، بل يضم كثيرا من الدائرة الأساسية للمتعاطفين معهم في العالم العربي والإسلامي وفي الجاليات الإسلامية في الغرب.. فقد مثلت هذه الملحمة عملية استئصال للقاعدة البشرية الأساسية للتيار الجهادي في هذا العصر.
2. أن الضربة القاصمة التي حلت بالمجاهدين العرب ومن وسط آسيا في أفغانستان وباكستان. قد أطاحت بالنخبة الأساسية من كوادر وقدماء التيار

الجهادي. و بخلاصة قياداتهم ورموزهم ممن تبقى من العـاملين مـن جيـل الأفغـان العرب الأوائل وهـم زهـاء (150) كـادر مجاهـد هـو زبـدة مـن تبقـى مـن الرمـوز والعاملين في التيار الجهادي خلال ربع القرن الأخير من القرن العشرين. وقـد سـحق القتل والأسر معظم هذه الزهرة.. وربما لا أبالغ إن ذكـرت للتـاريخ معلومـة تعرفهـا ادارة واشنطن.. ولم يتفرغ أحد بعد من هول الصدمة لإحصائها.. و لا أبالغ إن قلت أنه لم يعد بين هؤلاء من الأحياء، وغير المأسورين، ربما إلا رقم يسير جداً جداً.

وبعودة للتركيز في هذه الفقرة من هذا الفصل بعد هذا الاستطراد المأساوي، أقول:

أن التيار الجهادي الذي ابتدأ مساره مطلع السـتينات. وازدهـر أواخـر السـبعينات ومطلع الثمانينات. وتألقت آماله في أفغانستان بقيام الإمارة الإسلامية في أفغانسـتان.. قـد شهد أخدودا عظيما رسم نهاية حقبته السالفة بعد أحداث سبتمبر (2001)..

سابعا: أهم التجارب الجهادية المسلحة في النصف الثاني من القرن العشرين.

للأسف الشديد.. فإن القاعدة الأساسية في دائرة العمـل الإسـلامي عامـة و الجهـادي خاصة هي:

(قلة العاملين في قطاع الكتاب. وقلة الكتاب في قطاع العاملين).

ولذلك فقد اندثرت معظم التجارب الجهادية الهامـة للتيـار الجهـادي، بـل ولعمـوم تجارب الظاهرة الجهادية دون أن يكتب عنها أصحابها. وأقصد من قاموا بهـا أو شـهدوها بأنفسهم، أو كانوا على احتكاك حقيقي وعضوي بهم ومعهم.. وفي حدود علمي فـإن مـن بين عشرات التجارب الطويلة الأمد أو المحدودة..لم يكتب أحد من أصحاب تلك التجـارب شيئا يذكر.. أو لم يصل على الأقل للانتشار، و قد فات على الأمة وأجيالهـا القادمـة بـذلك، دروسا بالغة الأهمية، وقصصا وتفاصيل أحداث بالغة الروعة والدلالة.. مـن تلـك الملاحـم

التي قام بها الجيل الأول والثاني، من هذا التيار الجهادي، منذ انطلـق وإلى نهايـات القـرن العشرين ومطلع الحادي والعشرين..

ولذلك ولـكي تـتم الفائـدة مـن هـذا الفصـل، سـأورد هنـا خلاصـة بـأهم التجـارب الجهادية التي وقعت خلال النصف الثاني من القرن المـاضي. وسـأذكرها بحسـب تسلسـل ابتدائها التاريخي إن شاء اللـه.. وأهم تلك التجارب:

1. تجربة حركة الشبيبة المغربية (1963):

والتي أسسها الشيخ عبد الكريم مطيـع. وقـد حـاول إنشـاء تنظـيم جهـادي مسـلح للثورة على نظام الملك الحسن الثاني في المغرب. وقد اعتقلت خلايا التنظيم و سـجن كثـير من عناصرها..وهاجر من نجى ممن فيهم الشـيخ عبـد الكـريم إلى خـارج المغـرب وانـدثر نشاط الحركة..

وقد عثرت على كتابات عبد الكريم مطيع وفيها فكر جهادي ناضج ومتميـز بشـكل عام.. كما عثرت على كتاب يؤرخ لتلك المحاولة. ولم يمكن في ذلك الكتاب مادة تاريخية أو منهجية مهمة.

2. تجربة تنظيم الجهاد المصري(1965-2000):

كان لسيد قطب رحمه اللـه محاولة لكي يضع دعوته وأفكاره موضع التنفيذ.. وقد تأسـس ذلك التنظيم على نخبة من الشباب في مصر ممن عـاصروه، وكـان أكـثرهم مـن كـوادر الإخـوان المسلمين في حينها.. وقد نشرت وثيقة تاريخية بعنوان (لماذا أعـدموني) نسـبت ل (سـيد قطـب) يدل سياقها وشهادة بعض من عناصر على صحة نسبتها إليه..وبحسب تلـك الوثيقـة فقـد ذكـر سيد قطب رحمه اللـه ؛ أن نخبة من الشباب كان قد شكل بعض الخلايا السرية بغيـة مواجهـة نظام عبد الناصر إثر الهجمة الوحشية التي قامت بها أجهزة الأمن والقضاء المصري في عهـد عبـد الناصر على الإخوان المسلمين سنة (1965). ومن قبلها سنة (1954) حيث إعدام بعض كـوادرهم وسـجن عشرات الآلاف مـنهم في السـجون التاريخيـة الرهيبـة.. وقـد ذكـر في تلـك الوثيقـة؛ أن أولئك الفتية قد قصدوه ليكون أميرا لذلك التنظيم وأنه قد قبل أن يكون موجها وأبا روحيا لهـم،

وأنه وضع معهم بعض المخططات العسكرية.. و ذكر أنه اعتقل مع أولئك الشباب إثر تلك المحاولة..

وقد حكم على (سيد قطب) رحمه الله بالإعدام وقتل مع نفر من أولئك الشباب..حيث وئدت تلك المحاولة في مهدها.

ويبدو أن محاولات جهادية عديدة قد حصلت في مصر بعد ذلك، وكان من أبرزها المحاولة التي دعيت بأحداث (الفنية العسكرية).. وهي محاولة انقلابية محدودة وفاشلة. قادها (صالح سريه) رحمه الله وحوكم فيها عدد من كوادر الجهاديين وأعدموا..

ولكن تنظيم الجهاد عاد إلى النشاط وتبلور بشكل جيد في عهد الإنفتاح زمن السادات في النصف الثاني من السبعينات ثم تلا ذلك رحيل عدد من قياداته وكوادره وعلى رأسهم الدكتور (أيمن الظواهري) إلى أفغانستان سنة (1986). وقد عاصرت هذه التجربة عن قرب من خلال علاقتي الوطيدة مع أقطابها خلال تجربة الأفغان العرب بشوطيها في أفغانستان. ورغم أني أعتقد أن التجارب الجهادية في مصر هي من أنضج التجارب الجهادية في العالم العربي والإسلامي على الصعيد الفكري والمنهجي وأكثرها عطاء ورسوخا، وكذلك فإنها من بين التجارب الأهم على الصعيد التنظيمي والحركي.... إلا أني علمت من الدكتور أيمن أن أحدا لم يتفرغ لكتابة تاريخها الذي تملك وثائقه أقبية التعذيب والتحقيقات في أجهزة مباحث وأمن الحكومة المصرية.. وقد اطلعت على مسودات كتاب في هذا الصدد أرسله إلي الدكتور أيمن للإطلاع عليه مطلع سنة (2001) في كابل، وكان طيبا. ولكنه كان محدودا جدا قياسا لطول وحجم تلك التجارب.. وقد ناقشت الدكتور في ذلك وحرضته على التوسع فيه لأنه خير شاهد حي ومطلع وميداني، يتوجب في حقه كتابة ذلك التاريخ، وكنه اعتذر لأن المشاغل الحركية كانت تشغله عمليا على مدار الليل والنهار في أفغانستان تلك الأيام.

وقد حاول الدكتور (أيمن الظواهري) وعدد من كوادر تنظيم الجهاد بعد وصولهم إلى أفغانستان العمل على تأسيس تجربة جهادية مهمة ضمن تجارب

التيار الجهادي المعاصر.. وذلك من خلال تجربتي الأفغان العرب (1996-1991) و(1996-2001). وأختصر أهم ما يحضرني من تلك التجربة بالنقاط التالية:

- وصل الدكتور أيمن مع كوكبة من كوادر تنظيم الجهاد من مصر إلى بيشاور سنة (1986) وما تلاها، وذلك بعد أن كان قد سجن لثلاث سنوات على ذمة قضية تنظيم الجهاد ودوره في قتل السادات، وكان لهم حضور ونشاط بارز وسط الأفغان العرب خلال مرحلة (1986-1991).
- حصل تعاون على أكثر من صعيد بينهم وبين (أسامة بن لادن) الذي كان يعتزم إنشاء تنظيمه الخاص الذي عرف باسم القاعدة آنذاك والذي تأسس رسميا مطلع (1988) وقام على جهد عدد من الكوادر والمدربين كان من أبرزهم كوادر تنظيم الجهاد.وكان من أبرز أولئك (أبو عبيدة البنجشيري). وكذلك (أبو حفص المصري- محمد عاطف) الذي توفي في معارك سقوط الإمارة نوفمبر(2001) في قصف أمريكي لمقر إدارته في قندهار وكان المسؤول العسكري للقاعدة. وقد استفاد تنظيم الجهاد من هذا التعاون الذي وفر له إمدادا ماديا مهما مكنه من إنشاء معسكراته المستقلة في أفغانستان وإدارة الحركة ومتابعة نشاطه في مصر...
- كان خلاصة البرنامج الاستراتيجي لتنظيم الجهاد المصري هو الاعتماد على إحداث انقلاب عسكري يقوم به ضباط أعضاء في التنظيم كان قد زرعهم في الجيش المصري منذ أيام أنور السادات. واستمرت خلاياه إلى أن قضي عليها مع حملات الاعتقالات الكثيفة التي تعرض لها التنظيم فيما بعد.. وكانت فكرتهم العامة كما فهمتها مشافهة من الدكتور أيمن في أكثر من جلسة خاصة ؛ هي إحداث إنقلاب تدعمه خلايا عصابات كان يجري إعدادها خلال تلك الفترة...
- بعد مقتل السادات وبسبب تداخل العلاقات بين أعضاء تنظيم الجماعة الإسلامية الذين نفذوا العملية و أعضاء من تنظيم جماعة الجهاد الذي كان لهم مشاركة فيها.. اعتقل عدد من كوادر تنظيم الجهاد العسكريين من

أبرزهم الشهيد الرائد (عصام القمري) رحمه اللـه.. ولكـن تلـك الضربـة الأمنيـة لم تأثر على سير عملهم السري.. في خلايا الجيش ولا خلايا العمل السري المدني..

- بعد سياسة التصفية التـي اتبعتهـا وزارة الداخليـة المصريـة.. ولاسـيما في عهـد وزيرهـا المجرم (زكي بدر)، ضد تنظيم الجماعة الإسلامية شبه العلني الـذي كـان قـد اعتمـد إستراتجية الدعوة المفتوحة و الثورة الشعبية متـأثرا بأسـلوب الثـورة الإيرانيـة، قـرر تنظيم الجماعة الإسلامية الرد على اسـتفزازات الدولـة وسياسـة (الضرب في سـويداء القلب) كما عبر عنها (زكي بدر).. عن طريق اغتيالات رؤوس النظام مقابل اغتيـالات الدولة لرؤوس الجماعة.. وقرر تنظيم الجهاد الذي تشترك قيادته مع قيادة الجماعـة الإسلامية بالتواجد في بيشاور(باكستان) والولايـات الحدوديـة في أفغانسـتان في تلـك الفترة من الجهاد الأفغاني.. قرر المساهمة في المواجهة نصرة لهـم متجـاوزا البرنـامج السري في الإعداد والتخطيط لانقلاب عسكري، ظنـا مـنهم أن مـن الممكـن أن يسـير هذا البرنامج التكتيكي إلى جانب ذلك البرنامج استراتيجي..
- أدى اعتقال أحد العناصر المدنية من تنظيم الجهاد السري إلى اعتقال أحد الضباط مـن أعضاء التنظيم العسكري، وجر هذا الاعتقال تدريجيا إلى معظم الكوادر العسـكرية للتنظـيم. وبـدأ الانهيـار في تنظـيم الـداخل (في مصر).. وذلـك في أواخـر (1989) أو أوائل (1990)..
- تتابعت الكارثة وتلقي التنظيم ضربتين أمنيتين بعد ذلك و أودت إحداهما بنحـو(900 معتقل) من التنظيم السري المدني والتالية بنحو(600 معتقل)..كانوا يشكلون معظم القاعـدة الشـبابية للتنظـيم داخـل مصر والتـي كـان قـد تـم إعـدادها عـلى أعـلى المستويات خلال مرحلة الجهاد الأفغاني..
- غادرت قيادة تنظيم الجهاد إلى السودان برفقة الشيخ أسامة بـن لادن ونخبـة قيادته وكوادره. عـلى أثـر نجـاح الإسـلاميين بـالإنقلاب الـذي أوصـل الـترابي والبشير إلى السلطة.. وابتـدأ تنظـيم الجهـاد العمـل مـن جديـد في ظـروف

مواتية جدا نتيجة وجودهم على الحدود الجنوبية الطويلة لمصر مع السودان.. وكان ذلك بدعم وترتيب مع الحكومة الجديدة في السودان وأجهزة استخباراتها.. وكذلك فعلت الجماعة الإسلامية.. وافتتح التنظيم معسكرا وعددا من القواعد له في الخرطوم وبدأ بإعادة ترتيب أوراقة بدعم وتمويل من الشيخ أسامة كما عرف ذلك و اشتهر فيما بعد.. وكان الهدف إسقاط نظام حسني مبارك وإقامة حكومة إسلامية في مصر، حكومة تقلب التوازن الإستراتيجي مع كل أنواع الأعداء في منطقة الشرق الأوسط..

- عصفت أعاصير السياسة بهذا البرنامج.. وقلبت القيادة السودانية ظهر المجن للجهاديين فيها، وابتدأت بالأخوة الليبيين ثم المصريين ثم الباقين بمن فيهم الشيخ أسامة الذي وقف معهم منذ انطلاقتهم موقفا بطوليا وجريئا، وساعدهم في إعادة تسليح الجيش.وبناء الاقتصاد..ولكنهم خانوا الوفاء ونكثوا العهود..
- أدت هذه الضربة إلى تدمير ما كان قد بني من جديد من برنامجهم في مصر..وأجبرت الحكومة السودانية الشيخ أسامة على وقف تمويل برنامج العمل في مصر..ثم ضغطت على الجميع وانتهت بطردهم.
- لحق الدكتور أيمن ومن تبقى من كوادره.. بالشيخ أسامة بأفغانستان في ظل طالبان بعد عدة رحلات من التشريد في عدد من البلدان خلال (1996-1998)..وآثر عدد آخر ممن تبقى من الكوادر والخلايا الانتظار في دول الشتات المختلفة..
- عاود تنظيم الجهاد وتنظيم القاعدة تجربة التعاون والبناء في مجالات التمويل والتدريب. ولكن الشيخ أسامة كان قد توصل إلى قناعة راسخة بتوحيد الإتجاه في مجال مواجهة أمريكا، فيما بقي تنظيم الجهاد كغيره من التنظيمات على (تطلعاته القطرية وأسلوب السري ومنهجه الفكري الجهادي)..

- وقع الدكتور أيمن على بيان أسامة بإعلان (الجبهة العالمية لتحرير المقدسات)، أواخر سنة(1997) فيما نأت الجماعة الإسلامية بنفسها بعيدا عن ذلك. وسرعان ما بدأ تنظيم الجهاد يدفع ثمن ذلك التوقيع في مواجهات الحملات الأمنية الأمريكية العالمية على الإرهاب.. وبدأت تتساقط كوادره وعناصره المتناثرة في مختلف دول العالم.. واختطف العديد منهم من دول مختلفة وسلموا إلى مصر..من تايلاند.. إلى ألبانيا..إلى أذربيجان..إلى الإمارات العربية.. غيرها. فيما أعتقل بعض أعضائهم في دول أخرى لم تسلمهم وأودعوا السجون فيها كما في بريطانيا..
- استمر الدكتور أيمن بعزيمته الفريدة، وصبره الدؤوب مع من تبقى من كوادر بمتابعة المحاولة ولم يستلم للأمر الواقع الذي فرضه النظام العالمي الجديد، والذي جعل المحاولات الجهادية القطرية السرية الهرمية.. خارج التاريخ عمليا..
- افتتح التنظيم معسكرا خاصا به.. واستقطب من تبقى من كوادره وحاول الاستئناف.. ولكن الظروف والمعطيات عامة ولاسيما الأمنية منها، حيث عصفت الاعتقالات بالتنظيم في الخارج.. جعلت الشيخ الدكتور أيمن الظواهري يقتنع بالاتجاه المتاح للجهاد والعمل في أفغانستان مع الشيخ أسامة بن لادن في حربه مع أمريكا لأسباب واقعية لقناعات سياسية و ميدانية بدأت تتشكل عنده.. وقد تابعت هذا التحول معه بنفسي وتحدثت معه عن ملابساته طويلا قبيل أحداث سبتمبر بقليل.. وربما أعرض لشيء من تفاصيل ذلك في الكتاب الذي سأفرده لتاريخ الأفغان العرب في مرحلة طالبان إن شاء الله وليس هنا مكان هذه التفاصيل..
- أعلن الدكتور أيمن بيعته لأسامة بن لادن وضم تنظيم الجهاد لتنظيم القاعدة أواسط سنة(2001) رسميا..مما أدى لانشقاق الحفنة من الرجال الذين تبقوا معه من الكوادر في أفغانستان إلى فريقين.. فريق وافقه على هذا التوجه.. وفريق أصر على متابعة الجهد في برامج العمل لإقامة حكومة إسلامية في مصر على أنقاض حكومة حسني مبارك عن طريق الجهاد

بالأسلوب القديم..واعتبروا حلَّه للتنظيم غير مشروع وأن مهمة الأمير إدارة التنظيم وليس حله وإلحاقه بتنظيم آخر.. وقاد هذا الفريق الأخ أبو السمح (ثروت صلاح شحاتة). وهو محامي من الكوادر القديمة في التنظيم ومن قدماء الأفغان العرب أيضا..

- لم تمهل أحداث سبتمبر كلا الجناحين كي يمضي بعيدا في برامجه وطموحاته. وسرعان ما اجتمع كل من تبقى من الأفغان العرب في معركة المصير والدفاع عن النفس وعن الإمارة التي كان القدر قد رسم ظروف سقوطها.. واستشهد معظم من تبقى من الكوادر في تلك المعارك وتحرك الدكتور أيمن الظواهري بعد أن بذل وسعه وتوفيت زوجته وابنه الوحيد محمد وطفلته الرضيعة رحمهم الله.. خلال هجمات القصف الوحشي التي قام بها الطيران الأمريكي..واستقر مع أسامة في مخبئهم المتنقل ليتابعوا مسار الجهاد والتحريض كما هو مشهود.. وسارت كوكبة أخرى مع الأستاذ (ثروت شحاته) على دروب الهجرة والتشريد مرة أخرى لتستقر في سجون إيران كما أعلنت ذلك وسائل الإعلام.
- وكانت هذه خلاصة المسار الحركي لتنظيم الجهاد الذي تابعه الدكتور أيمن في خارج مصر.
- أما عن الهوية الفكرية لتنظيم الجهاد المصري. فمن خلال العرض السابق، ربما يمكن القول بأن التنظيم قد انتهى حركيا. ولد أواسط الستينات وانتهى في أخدود سبتمبر (2001).

ولكن من الأهمية بمكان، أن نذكر أن المدرسة الفكرية لتنظيم الجهاد تبقى الأبرز والأهم والأرسخ في هذا القرن الأخير.. فقد بدأت بمكتبة سيد قطب رحمه الله.. والتي تضم أساسيات الفكر الجهادي المعاصر.. ثم كان لتنظيم الجهاد في مرحلة الجهاد الأفغاني أثناء نشاطه في بيشاور إنتاج أدبي ثر و مهم، كان من أهمه.. كتاب (العمدة في إعداد العدة).. للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز.. وكتابه الآخر (الجامع في طلب العلم الشريف). والذي أخرج التنظيم نسخة معدلة منه باسم (الهادي إلى سبيل الرشاد)،

وكذلك سلسلة مـن الـنشرات الهامـة التـي أصـدرها تباعـا في بيشـاور خـلال الفـترة (1988- 1992). بالإضـافة لعـدد مـن التسـجيلات الصـوتية والمرئيـة للـدكتور أيمـن الظواهري. ولا تأتي أهمية الدور الفكري والمنهجي لتنظيم الجهاد المصري من أهمية مكتبته فقط وإنمـا مـن كونهـا صـارت أساسـا فكريـا ومنهجيـا لأغلبيـة التنظـيمات والتجمعات ومعظم الأفراد في التيـار الجهـادي منـذ مطلـع التسـعينات وإلى اليـوم. وصار عليها مدار كافة ما كتب فيما بعد مـن الإنتـاج الفكـري و الإعلامـي لمختلـف شرائح التيار الجهادي والأفغان العرب.. وكذلك لما عرف باسم (السلفية الجهادية) أو غيرها من المدارس الجهادية في العصر الحديث. كما كـان للكـوادر العسـكرية الأولى لتنظـيم الجهـاد المصري في سـاحة الجهـاد الأفغـاني ومجموعـة الكـوادر العسـكرية والمـدربين الأفـذاذ الـذي عملـوا في سـاحة الجهـاد العـربي في أفغانسـتان في شـوطه الأول(1986-1992)والثاني(1996-2001). دور ترك بصـماته الهامـة ضـمن مجمـوع الجهود العسكرية والميدانية لكوادر الجهاد العربي في أفغانستان. سواء من خلال مـا تركوه من تراث مكتوب في مجلات الإعداد العسكري والحركي. أو من خلال الجهـود العملية في تـدريب الجهـاديين مـن الجنسـيات الأخـرى والكثـير مـن الكـوادر التـي تخرجت على أيديهم وأيدي أقرانهم.

3. التجربة الجهادية في سوريا: (1965-1983):

- يعود تأسيس التجربة الجهادية في سوريا إلى الشيخ مروان حديد رحمه اللـه. والذي كان قد تربى في الإخوان المسلمين. وأثناء دراسته للهندسة الزراعية في مصر، تأثر بأفكار سـيد قطب رحمه اللـه. وعاد إلى سـوريا ممتلئـا حماسـا فـيما كـان حـزب البعـث العلـماني القومي الاشتراكي قـد اسـتولى عـلى السـلطة.. فنشـط عـبر المسـاجد في مدينـة (حـماة) بالخطابـة والأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر، والـدعوة لتحكـيم الشريعـة واعتقـل مرارا..وفي سنة (1965) داهمت قوات الحكومة عليهم أحد المساجد و اشتبك مع عـدد من تلامذته في صدام مسلح مع السلطة، فاستشهد عدد منهم، وأعتقل الشيخ وآخـرون

وحكم عليهم بالإعدام. ثم اضطر رئـيس الدولـة آنـذاك الـرئيس (أمـين الحـافظ) إلى الإفراج عنهم تحت ضـغط العلـماء في سـوريا وعـلى رأسـهم الشـيخ محمـد الحامـد رحمه اللـه.

- كان الشيخ مروان قد تنبه إلى أن مواجهة كبرى مع النظـام البعثـي لا بـد آتيـة..وأنـذر مبكرا مـن مشروع طـائفي نصـيري قـادم. ولمـا لم يسـتطع إقنـاع الإخـوان المسـلمين بالإعداد للمواجهة،توجه بنفسـه وتلاميـذه للإعـداد مـن خـلال العمـل المسـلح مـع منظمة التحرير الفلسطينية مـن خـلال الفصـيل الإسـلامي فيهـا.وتمكـن مـن إعـداد النخبة الجهادية الأولى لتنظيمه الجهادي.
- سنة (1970) قام حافظ الأسد والمجموعة النصيرية العلوية في الجـيش وحـزب البعـث بانقلاب أبيض دعي بـ (الحركة التصحيحية).. وهكذا قفـزت الطائفـة النصـيرية مـن غلاة الشيعة الباطنية للمواجهـة لتتـولى السـلطة جهـارا نهـارا وتحكـم المسـلمين في سوريا،تماما كما كان قد حذر منه الشيخ مروان رحمه اللـه..
- وعاد الشيخ مروان حديد رحمه اللـه للتحـرك للمواجهـة مـن جديـد، وسـعى مـع قيـادة شطري تنظيم الإخوان المسلمين في سوريا الذين كانوا قد انقسموا خلال تلك المدة، مـن أجل السعي في توحيدهم عـلى مشروع مواجهـة النظـام. ولكـن كـلا الجنـاحين، التـابع للتنظيم الدولي برئاسة (الشيخ عبد الفتاح أبو غدة) رحمه اللـه، ونائبه (عدنان سـعيد الدين)، وكذلك لجناح الآخر بزعامة (عصام العطار)، اتفقا - رغم إختلافهما الكبير -على رفض مشروع الإعداد للمواجهة وآثرا الاستمرار في منهجهما الدعوي السلمي.
- ولما اقتنع الشيخ مروان حديد رحمـه اللــه، بعـدم إمكانيـة إقنـاع الإخـوان المسـلمين بالمواجهة، شكل تنظيمه الخاص الذي أسماه (الطليعة المقاتلة لحزب اللــه). وكـون له ثلاث نويات رئيسيه في مدينته (حماة) مسقط رأسـه، وميـدان حركتـه الـرئيسي. وفي (حلب) ثاني أهم مدن سوريا. وفي العاصمة (دمشق). حيث إنتقل إليها مختفيـا من أجل الإعداد للمواجهة مع النصيرية..

- طرد الإخوان المسلمون مروان من تنظيمهم مع مجموعة ممن تأثروا بأفكـاره الثوريـة الجهادية. وحاولوا كبح جماحه. ولكنه تابع تجنيد أنصـار لـه معظمهـم مـن شـباب الإخوان وقال قولته الشهيرة: (لإن أخرجني الإخوان من الباب، لأدخلـن علـيهم مـن الشباك، ولأجرنهم للجهاد..)، وهذا ما حصل فعلا..
- اعتقل الشيخ مروان حديد سنة (1970) بعد اشتباك مسلح مع المخابرات في مخبئـه في دمشق.ومكث في السجن إلى سنة (1975) حيث فقد نصف وزنه تحت التعذيب.ثم أعدم بحقنة سامة في السجن كما روي آنذاك. ودفن رحمـه اللـه، وغيـب قـبره ولم يسمح لأهله أن يعلنوا له جنازة.
- آلت قيادة تنظيم الطليعة المقاتلة إلى تلامذته. وتسلم الإمارة من بعـده عبـد السـتار الزعيم رحمه اللـه. واتخذت الطليعة خطة سرية للمواجهة عبر الاغتيالات النوعيـة لرؤوس الدولة من كبـار النصـيرية. ونفـذوا ذلـك خـلال الأعـوام (1975-1979)، ولم تستطع الدولة أن تتعرف على هويتهم إلا في آخر تلك المدة بالتعاون مع المخـابرات الأردنية.
- أعلنت الطليعة الجهاد على النظام في سـوريا صـيف (1979) في شـهر شـعبان (1399) وأعلنت عن نفسها باسمها الجديد (الطليعة المقاتلـة للإخـوان المسـلمين)، وابتـدأت حرب عصابات مدن على مستوى القطر السوري بكامله.
- أعلن الإخوان المسلمون (الجناح الرئيسي المرتبط بالتنظيم الدولي) ابتـداء بـراء تـة مـن تلك المواجهة. وطالب بلجان تحقيق تثبت عدم علاقـتهم بالأحـداث. في حـين تبنـى عصام العطار المواجهة ونسبها إليه. ونشر أرقام حساباته البنكيـة لجمـع التبرعـات.. للجهاد طبعا.. من ألمانيا!!
- اضطرب نظام حافظ أسد تحت وقع الضربات العسـكرية للمجاهـدين مـن الطليعة، وقرر مواجهة وتصفية كافة فصائل الإخوان المسـلمين، ومـن ثـم طور المواجهة لتشمل كافة طيف الصحوة الإسـلامية. بـل وكافـة الشريحـة

المتدينة في البلد.. واتخذت المواجهة شكل حرب بين أهل السنة وهم جمهور المسلمين في سوريا وبين الأقلية (النصيرية) التي تدعى بالطائفة (العلوية) كما سماهم الفرنسيون أيام الإحتلال، ليلبسوا أمرهم على الناس.

- نتيجة انتصارات المجاهدين من جهة نتيجة، والطمع في قطف الثمرة حملة حافظ أسد عليهم من جهة أخرى.أعلن الإخوان المسلمون دخولهم الحرب ضد النظام أواخر (1979) بعد عدة أشهر من اندلاعها. وتبنوا المواجهة وراحوا يعملون على الاستيلاء على قيادتها والاستحواذ عليها من الطليعة. ولعبت سياستهم تلك الدور الرئيسي - وإن لم يكن الوحيد - في إجهاض الجهاد المسلح ضد النظام في سوريا...
- نتيجة أسباب داخلية ونتيجة سياسة الإخوان. ونتيجة الضربات الأمنية للحكومة التي نجحت باستعادة زمام المبادرة.. تقهقرت الطليعة المقاتلة. وصفي معظم كوادرها قتلا وسجنا... واضطر من تبقى منها للخروج إلى دول الجوار. حيث فتحت حكومتا العراق والأردن، المناوئتين للنظام السوري آنذاك الأبواب للمعارضين السوريين من كل مكونات الطيف السياسي.
- إستطاع الإخوان المسلمون بقيادة عدنان سعيد الدين الاستحواذ على قيادة الثورة الجهادية في سوريا وجر من تبقى من الطليعة وكذلك تنظيم عصام العطار، بالإضافة إلى شريحة كبيرة من جماعات العلماء في سوريا على الانضواء تحت قيادتهم منذ(1980)..
- قاد الإخوان المسلمون مسيرة الفشل السياسي والعسكري الشامل للثورة الجهادية في سوريا، إلى أن تم إجهاضها في مواجهات حماة (1982) الدامية.. حيث قضي على الأجهزة العسكرية لكافة الفرقاء، وتكبد المسلمون خسائر تجاوزت (50.000) قتيل في أشهر عمليات إبادة جماعية ارتكبتها حكومة عربية في القرن العشرين..

- وهكذا انتهت التجربة الجهادية السورية التي تمثل أهم وأطوال تجربة مواجهة للتيـار الجهادي المسلح ضد الحكومات في العالم العربي والإسلامي.

4. حركة الدولة الإسلامية في الجزائر (1973-1976):

وهي حركة جهاد مسلحة أسسها وقادها في الجزائر (مصـطفى بـويعلي). وقـد كـان رحمه الـلـه من المجاهدين الذين شاركوا في ثورة التحريـر الجزائريـة سـنة (1954)، فلـما أفضت إلى الإستقلال عام (1963) وجد أن العلمانيين والشـيوعيين والاشـتراكيين قـد غلبـوا عليها وحصدوا ثمرة جهاد شعب الجزائر الذي استمر لأكثر من قرن من الزمن. فأسس تلك الحركة لاستئناف الثورة والجهاد من أجل تحكيم شريعة الـلـه في الجزائر.

وقد قام بحركته في عهد الرئيس (الشاذلي بن جديد) سنة (1973). وقد سمعت لـه بيانا مسجلا موجهـا لـرئيس الدولـة يـأمره فيهـا وينهـاه. ويتوعـده بالجهـاد إن لم يحكـم الشريعة في الجزائر. كما سمعت له بعض الأشرطة يتحدث فيهـا عـن مبادئـه الجهاديـة و ينذر علماء السلطان. ولم تطل بحركته المدة.. إذ وقع في كمين للاستخبارات الجزائرية أثناء موعد له مع بعض تجار السلاح وقتل رحمه الـلـه سنة (1976) وتوفي بعض أعوانه وقبض على آخرين و حوكموا وسجنوا..

وقد حاول بعض تلامذته إحياء الحركة إثر انطلاق العمل المسلح ضد الحكومة بعد الانقلاب العسكري على المسار الديمقراطي سنة (1991).. ودخلوا طرفا في محاولة الوحدة الجامعة للجماعة الإسلامية المسـلحة سـنة (1993). قبـل انشـطارها واسـتيلاء التكفيريـين عليها كما ستأتي الإشارة لذلك إن شاء الـلـه.

5. تجربة الجماعة الإسلامية مصر (1975-2001):

و أوجزت خلاصة تجربتها بحسب ما حصلته من المعلومات عنها من خلال الإطلاع على تراثها الأدبي.

فقد تأسست الجماعة ونشطت في عدد من الجامعات المصرية بدءا من عام (1975)..إثر سياسة (السادات) بالانفتاح وإطلاق المجال للجماعات الإسلامية، بغية الحد من نشاط التيارات السياسية اليسارية التي شهدت نموا في تلك الفترة.. وقد نشأت الجماعة الإسلامية على منهج فرج بين الفكر الإخواني والمنطلقات السلفية. وجعلت من تطبيق الشريعة في مصر هدف مشروعها. وقد نحت الجماعة منحا شعبيا من خلال تبني قيادتها للدعوة العلنية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتطبيق بعض الحسبة في بعض المجلات. وانتشرت خلايا ها عبر المساجد في مصر. وكان منشؤها أصلا في الصعيد، وإليه ينتمي معظم قياداتها.. ولكنها امتدت إلى جامعات الوجه البحري في شمال مصر.. وقد اتخذت قياداتها من الشيخ الدكتور (عمر عبد الرحمن) أميرا عاما لها، لما عرف عنه- فرج الله كربه - من مواقف العزيمة منذ هلاك (عبد الناصر)، حيث أفتى بعدم جواز الصلاة عليه عنه هلاكه، ثم عدد من المواقف الأخرى في عهد السادات.

- وإثر زيارة السادات لإسرائيل وإعلانه لاتفاقيات (كامب ديفيد) وبرنامج الصلح والتطبع مع اليهود..نحت الجماعة الإسلامية منحا فكريا جهاديا، وصدرت عن أحد أقطابها وهو(الشهيد عبد السلام فرج)، أحد أهم الأبحاث الجهادية في العصر الحديث، وهو رسالة (الفريضة الغائبة) وكانت أهميته نابعة من احتوائه على أهم فتاوى الجهاد المعاصر ضد الحكومات القائمة في البلاد العربية والإسلامية ومنها مصر. والحكم عليها بالردة والإفتاء بجهادها وقتال جنودها ورجال أمنها وقياس أحوالها على فتاوى ابن تيمية في قتال التتار ومن كان من أعوانهم من المسلمين المكرهين أو الجاهلين.. وكانت هذه الرسالة من أهم بواكير انطلاق مدرسة السلفية الجهادية المعاصرة.

- ثم ما لبثت الجماعة الإسلامية أن وفقت في تنفيذ العملية الاجرامية وأعـدمت الـرئيس (أنور السادات) في حادث المنصة الشهير، أثناء الاسـتعراض العسـكري السـنوي سـنة (1981)،عندما خرج السادات على قومه في زينته فخسف التكفيريـون بـه وبمنصـته وأردوه قتيلا..وقد قاد العملية خالد الإسلامبولي. وكان ذلك ضمن برنامج انقلابي ضد الحكومة في مصر.
- وإثر تولي حسن مبـارك زمـام السـلطة خلفـا لسـلفه الهالـك أنـور السـادات.. دخلـت الجماعة الإسلامية في حرب استنزاف مع الحكومـة المصريـة التـي وضـعت مخططـا لتصفيتها باعتقال كوادرها واغتيال رؤوسها.. وافتتحت ذلك باغتيال أحد أبرز دعاتها وهو (علاء محيي الدين). وتابعت سياسـتها هـذه ولاسـيما في عهـد وزيـر الداخليـة (زكي بدر). وهكذا قررت قيادة الجماعة الإسلامية دخول حرب اسـتنزاف وتصـفيات واغتيال مع الحكومة التي بدأت حملات الاعتقال في صفوفها.
- وجـدت قيـادة الجماعـة الإسـلامية في مصر في الجهـاد الأفغـاني ضـد الـروس سـاحة ممتازة، وفرصة ساحة لتدريب كوادرها والامتداد و التنظيم.. فكان لها حضورا بـارزا في مدينة بيشـاور في باكسـتان، وفي المعسـكرات والجبهـات العربيـة في أفغانسـتان. وكان من أبرز الحاضرين مـن قياداتهـا في أفغانسـتان الشـيخ (عمـر عبـد الـرحمن) و(رفاعي طه) و طلعت (فـؤاد قاسـم)، و(محمـد الإسـلامبولي) و مصـطفى حمـزة.. وغيرهم. وقد قـدمت الجماعـة الإسـلامية بمصر كوكبـة مـن خـيرة أبنائهـا وكوادرهـا شهداء في معركة الإسلام من خلال الجهاد العربي في أفغانستان.
- إثر العواصف الأمنية التي هبت على أفغانستان وباكستان بإيعاز من أمريكـا بعيـد سـقوط النظام الشيوعي في كابل. شاركت المخابرات المصرية بشكل كبير في الحملـة الأمنيـة عـلى الأفغان العرب بالتعاون مع المخابرات الباكستانية. وخرج معظم قيادات وقواعد الجماعة الإسلامية المصرية إلى السودان بناء على دعوة وتسهيلات من حكومة الإنقاذ برئاسة عمر البشير وجماعة الـدكتور حسـن الـترابي التـي فتحـت المجـال وسـعت لاسـتيعاب العـرب

في السودان. وكان على رأسهم أسامة بن لادن والجماعتين المصريتين المسلحتين. جماعة الجهاد، والجماعة الإسلامية. حيث وعدتهم بفتح المجال لهم للعمل من خلال حدودها الشمالية مع مصر.. وفعلا بدأت الجماعة العمل الميداني من هناك، ثم حصل لها ما حصل لجماعة الجهاد والآخرين وطلب منهم الرحيل تحت تهديد السلاح من قبل الأمن السوداني لما قرر(الأزوال الأشاوس) تغيير سياستهم والركوع للسياسة الأمريكية وتابعتها المصرية.. وتفرق قيادات الجماعة الإسلامية في عدد من البلدان وتوجه أكثرهم لليمن..وتحت المطاردات وحملات إلغاء الملاذات الآمنة، توجه البارزون منهم إلى إيران، ويمم بعضهم شطر الملاذات الآمنة تحت ستائر اللجوء السياسي في أوربا.. فكان من أبرز من توجه إلى إيران (رفاعي طه).. و مصطفى حمزة،ومحمد شوقي الإسلامبولي وآخرين.. في حين كان من أبرز من توجه إلى أوربا، أبو طلال - طلعت فؤاد قاسم- الذي استقر في الدانمرك. وأسامة رشدي عضو مجلس شورى الجماعة.. وذلك أواخر (1995)..

- وكانت الجماعة الإسلامية بمصر على علاقة طيبة مع التيار الخميني في الحكومة الإيرانية بحكم عن موقفها الخاص المختلف عن موقف كافة طيف التيار الجهادي من الحكومة الإيرانية. فأثنت على تجربتها الثورية (الإسلامية) وإطرائها في بعض أدبياتها، كما دأب بعض مسؤولوها ومنهم الدكتور عمر عبد الرحمن فرج الله عنه،على حضور بعض المؤتمرات التي تنظمها حكومة إيران هنا وهناك.. فوفر لهم هذا جسرا لملاذ آمن هناك في فترة العواصف العاتية تلك.

- ورغم أن معظم إن لم يكن كافة البارزين من قيادات ورموز التيار الجهادي وكوادره، وكثير من قواعده البشرية بدأت هجرة شبه جماعية إلى أفغانستان.عبر ما اصطلحت عليه باسم (الشوط الثاني للأفغان العرب) خلال الفترة (1996-2001)، إلا أن القيادات البارزة للجماعة الإسلامية التي استوطنت إيران آثرت البقاء هناك. والتميز بموقف واضح

يختلف عن الإتجاه العام للتيار الجهادي من أفغانستان و كان من أبرز ملامح ذلـك الموقف:

1. عدم تأييد طالبان صراحة.. وعدم الانخراط في دعمهم ضد تحالف الشمال المكون مـن قدماء زعماء الجهاد الأفغاني. بل والحذر من الاستدراج نحو أفغانستان.
2. نأت الجماعة الإسلامية بنفسها بكل وضوح عبر وسائل إعلامها ولاسيما موقعها الناشط على الإنترنت عن توجهات بن لادن في حربه المشرعة مع الأمريكـان عـلى عكـس مـا فعلته جماعة الجهاد بقيادة الدكتور أيمن الظواهري. ولما نوهـت القاعـدة بتعـاون الجماعة معها، نفت الجماعة ذلك في بيان صريح مفندة ذلك الادعاء.
3. تبنت الجماعة مبدأ وقف الدعوة للمواجهة المسلحة مع الحكومات، وأعلنت (مبـادرة لوقف العنف في مصر ضـد الحكومـة المصريـة مـن طـرف واحـد)..وهـذا الموضـوع يستأهل الوقوف معه لأنه نحى بالجماعة في اتجاه آخر خرج بهـا عـن مسـار التيـار الجهادي كله، وترك عليه آثارا تتعدى خصوصيات الجماعة.

الجماعة الإسلامية بمصر و مبادرتها لوقـف العنـف مـن طـرف واحـد مـع الحكومـة المصرية:

- تميـزت الجماعـة الإسـلامية بمصر عـن عمـوم التيـار الجهـادي بفـوارق فكريـة هامـة انعكست فيما بعد على مسارها.وكان من أهم تلك الفوارق:

- تبنيها فكرا يمكن اعتباره وسطا بين فكر (الصحوة عامة) وفكـر (التيـار الجهـادي) مـن حيث مسائل الحاكمية. فقـد أعلنـوا عـن قنـاعتهم بـردة الحـاكم الأعـلى في بلـدان المسلمين التي تحكم بغير ما أنزل اللـه، ومنها مصر واقـتصروا في حكـم الـردة عـلى شخصه ولم يجاوزه إلى نظامه. وبالتالي لم يستبيحوا القتال ضد أعوانه شرعا إلا دفاعـا عن النفس..

- تبنى الجماعة مبدأ الشورى الملزمة وطريقة القيادة الجماعية، واتخذوا من شخص الدكتور عمر عبد الرحمن أميرا اعتباريا ورمزا للجماعة.
- كما تجاوزوا إشكالية شرعية في شروط (الإمارة الشرعية) مما فتح بابا للجدل الطويل العريض بينهم وبين جماعة الجهاد في مصر وشرائح أخرى من التيار الجهادي منذ مطلع التسعينات في أفغانستان. وهي تبنيهم لمبدأ (صحة ولاية الأسير)، كما كان حال الدكتور عمر عبد الرحمن في أمريكا كما اعتبروا قاداتهم التاريخيين الأسرى في سجون مصر قيادات فاعلة تشارك في القرار الذي تبنى مبدأ الشورى الملزمة. و لست هنا بصدد المناقشة الشرعية للمبدأ وإنما التاريخ بدد تسجيل، لذكر دور هذه المرتكزات الفكرية والمنهجية في مسار الجماعة فيما بعد منذ أواسط التسعينات..

باستثناء هذه الإشكاليتين أكاد لا أجد فوارق منهجية رئيسية أخرى (من الناحية النظرية) لمنهج الجماعة الإسلامية بمصر عن باقي مدارس التيار الجهادي. من حيث فكرهم السلفي الجهادي ورفضهم بل تكفيرهم (لمنهج الديمقراطية) في العمل الإسلامي. مع عذر من مارسها من الإسلاميين بالتأويل أو سوى ذلك.. إلى آخر مكونات الفكر الجهادي المعاصر..

ولكن هذه الإشكاليات المنهجية أوقعت الجماعة التي كانت قد دخلت الصراع فعليا مع الحكومة المصرية في إشكاليات عملية، لما وجد أعضاء جهازها العسكري أنفسهم أمام المتطلبات الفقهية لمعركة استنزاف هجومية دفاعية في ساحة الصدام مع النظام المصري ورجال أمنه واستخباراته.. هذا من جهة، ومن جهة مهمة أخرى. وجدوا قياداتهم تتكون عمليا من ثلاث أجنحة رئيسية هي:

1. القيادات الأسيرة في مصر والتي اصطلحوا على تسميتها (بالقيادات التاريخية).
2. القيادات السياسية المطاردة في الخارج في المهاجر و الملاذات الآمنة.

3. قيادات الجهاز العسكري للجماعة سواء داخل أو خـارج مصر والتـي تخـوض مواجهـة عسكرية دامية مع نظام حسني مبارك، وسرعان ما أثرت هذه التناقضـات المنهجيـة ذات الأبعاد العملية بسرعة مسار الجماعة في النصف الثاني من التسعينات وإلى مـا بعد أحداث سبتمبر كما سنرى. فقد زاد الطين بلة أن الجناح العسكري بقيـادة أبـو حازم - مصطفى حمزة - قد خطط لعملية كادت تـودي بـالرئيس حسـن مبـارك في (أديس أبابا) اغتيالا أثناء مؤتمر أفريقية.. حيث فشلت العمليـة وقـبض عـلى بعـض أعضاء المجموعة وسجلوا اعترافاتهم قبل أن يعدموا. وشكلت هذه العمليـة إحراجـا هائلا للحكومـة السـودانية التـي دبـرت الخطـط ودعمـت العمليـة لوجيسـتيا مـن أراضيها. وكذلك أمام قيادة الجماعة الإسلامية. كما زادة الطين بلـة اعتقـال الـدكتور عمر عبد الرحمن في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كان قد أتخذ قرارا خاطئـا في التوجه للإقامة في أمريكا بهدف الـدعوة والنشـاط وتـوفير الإعـلام و الـدعم المـادي للجماعة. ثم لفقت له هناك تهم باطلة إثر الهجـوم الأول عـلى بـرج مبنـى التجـارة العـالمي في نيويـورك وحكـم عليـه بالسـجن مـائتي سـنة ! ولم تفلـح كـل محـاولات التخفيـف والـدفاع عنـه.. ومـع الإعـلان شـبه الرسـمي مـن قبـل قيـادات الجماعـة الإسلامية على أن أميرهم العملي هو (أبو طـلال طلعـت فـؤاد قاسـم) الـذي اسـتقر لاجئا سياسيا في (الدانمرك) وتبنى مبدأ المواجهة إلى جانب آخرين من جناح الصقور في الجماعة من الداعمين للجهاز العسكري بقيادة مصـطفي حمـزة مـن السياسـيين من هذا التيار وعلى رأسهم (رفاعي طه) و(محمد الإسلامبولي) وكذلك بعـض الـذين توجهوا لحمل راية العمل الميداني في الجهاد في البوسنة (1994-1995). ولعبـوا دورا خطيرا للجماعة الإسلامية بمصر يعتبر من إنجازات التيار الجهادي المعاصر.

دخل هذا الجناح المتمسك بالمواجهـة مـع جنـاح منـاقض لـه بـدأ يـدعو للمهادنة ووضع المواجهة مع الحكومة المصريـة، و تمثـل في قيـادات السـجون الأسـيرة (التاريخيـة) وبعـض قيـاداتهم في أوربـا كـان مـن أبـرزهم (أسـامة

رشدي).حيث ظهر ذلك التناقض للعلن عندما رفض هذا الجناح الاعتراف بشرعية حادثة (الأقصر). عندما هاجمت إحدى خلايا الجماعة الإسلامية الناشطة في مصر مجموعة من السياح الأجانب وقتلت وجرحت منهم عشرات الأشخاص.. حيث سارعت (القيادات التاريخية الأسيرة) وبعض قيادات أوربا وأبرزهم (أسامة رشدي) إلى إدانة هذا العمل وفاعليه وتخطئته، بل ذهب (أسامة رشدي) إلى الهجوم الصارخ على العمل ومن يقف معه من القيادات السياسية والعسكرية للجماعة! ودخل في مواجهة أدبية حتى مع الكبار منهم من أساتذته من أمثال (رفاعي طه).

وفيما يجله التاريخ فاجأت القيادات التاريخية في السجون المصرية العالم أجمع بمشروعها الذي عرف (بمبادرة وقف العنف من طرف واحد) في مصر، ودعت الحكومة المصرية إلى أن تبادلها المبادرة بإجراءات تنهي المواجهة. ويمكنني أن ألحض مرا حل تلك المبادرة في نقاط رئيسية هي:

1. طرح بعض قيادات الجماعة الإسلامية المسجونين في مصر منذ أحداث اغتيال السادات، عن طريق محاميهم الشهير(الأستاذ منتصر الزيات) مذكرة مبادرة يعلنون فيها وقف العمل المسلح في مصر ومبادرة من جانب واحد. داعين الحكومة إلى التجاوب الايجابي معها..وسارع إلى تأييدهم الجناح الميال لهذا الإتجاه من قيادات الجماعة في أوربا وعلى رأسهم (أسامة رشدي)..
2. أربكت القيادات السياسية والعسكرية للجماعة الإسلامية بمصر في الخارج ولاسيما الشخصيات الرئيسية التي تتواجد في إيران وبعضها في أفغانستان. وحصل لغط وإبهام حول موقف القيادة الميدانية العسكرية المطاردة داخل مصر والمباشرة للعمل العسكري، وكذلك حول موقف الدكتور عمر عبد الرحمن في سجنه في أمريكا. ولكن قيادات الجماعة في مختلف الأطراف ولاسيما المعارضة للمبادرة في الخارج اعتبروا وحدة الجماعة وعدم تمزق موقفها فوق كافة الاعتبارات الأخرى بما فيها المنهجية والمبدئية. ولكن بدت ملامح الرفض للمبادرة لدى عدد من رموز الجماعة كان من أبرزهم

رفاعي طه، ومحمد الإسلامبولي ومصطفى حمزة..إلا أن الجميع أبدوا وحدة الصف والتزام رأي الأغلبية كقرار موحد بعد إجراء المشاورات على كافة الأصعدة. ولكن البعض أعلن تجميد عضويته في مجلس شورى الجماعة لعدم قناعته بهذا الأمر كما فعل محمد شوقي الإسلامبولي.

3. كافأت الحكومة المصرية تلك المبادرة بالرفض والتصميم على متابعة المواجهة الأمنية. فاختطف القيادي البارز أبو طلال (طلعت فؤاد قاسم) من كرواتيا وهو في طريقه لزيارة قيادات الجماعة العاملة في البوسنة. واغتيل بعض المطاردين المختفين داخل القاهرة في شقتهم في ملابسات غامضة.. وأعلنت أجهزة الأمن والإعلام المصرية ووزارة الداخلية متابعة مطاردة الجماعة وعدم تجاوبها مع المبادرة وبقي هذا موقفها المعلن إلى أواخر سنة (2003) حيث تجاوبت جزئيا معها كما سيأتي.
4. تبلور القرار الجماعي للجماعة الإسلامية على مستوى قيادات الداخل والخارج على تبني المبادرة. و لم يزد عنت الحكومة قيادات الجماعة التي انتقلت إمارتها إلى أبو حازم (مصطفى حمزة) بحسب ما بدا، إلا إصرارا على المبادرة ! وطورت القيادات التاريخية(السجينة) ومن ذهب مذهبها من قيادات الخارج المؤيدة للمبادرة موقفها إلى مستوى منهجي خطير حيث بدؤوا بإصدار بحوث شرعية ودراسات فكرية تأطر وتنظر لما أسموه (نبذ العنف)! وبدؤوا ينتقدون ويخطئون المبادئ التي قامت عليها أسس المواجهة الجهادية مع الحكومات القائمة على أسس الردة، والتي كانوا قد ملؤوا ساحة العمل الإسلامي بأدبيات جهادية قيمة لإثباتها، تلك الأدبيات التي شغلت حيزا أساسيا من فكر التيار الجهادي مثل رسالة (الفريضة الغائبة) ودستور الجماعة ومنهاجها (ميثاق العمل الإسلامي) و(الإعتصام) و(حتمية المواجهة).. ومئات المقالات التي ملأت نشراتهم الشهيرة مثل (المرابطون) وغيرها.

فصدرت عن الجماعة الإسلامية كتب تحت شعار (المراجعات الفكرية)، تدرجت في التراجعات الفكرية والمنهجية لتدخل في حيز الانهيار العقدي في

أساسيات الأصول السياسية الشرعية للفكر الجهادي بل والإسلامي الذي قامت عليه الصحوة. فبدؤوا بالحديث عن حصانة دماء وأموال الكفار في ديارهم، إلى أمانهم في ديارنا وصولا إلى الدعوة للتعاون مع الحكام في المعركة مع (إسرائيل) وفي معركة التنمية الإقتصادية.. ثم بدأ الغزل والحديث عن العودة إلى ميدان الدعوة السلمية وربما المشاركة السياسية المشروعة.. إلى أن وصل الحد إلى التصريح باعتبار السادات الذي اغتالته الجماعة الإسلامية واعتباره شهيدا قتل ظلما، بل أسماه أحدهم (شهيد الفتنة !!). وقد اطلعت على بعض ما كتب في تلك الكتب من خلال المقتطفات التي روجت لها وسائل الإعلام، وذكر بعضها المحامي (منتصر) الزيات نفسه..عن طريق تلك المنابر الإعلامية الحكومية..

وبصرف النظر عن التعليق على الأسباب والمسببات والأعذار التي يمكن التماسها للقيادة الأسيرة (فاقدة الشرعية والأهلية أصلا في سجونها)..أو لتلك القيادة المطاردة المحاصرة في دائرة العجز عمليا بصرف النظر الآن عن كل ذلك يمكن القول بأن الجماعة الإسلامية بمصر قد تحولت نهائيا عن هويتها الفكرية ومنهجها كجماعة من جماعات التيار الجهادي..

5. رفضت جماعة الجهاد المصرية كما أسلفت سابقا وكافة طيف التيار الجهادي المبادرة صراحة وعبروا عن ذلك ضمن ما أتيح من وسائل الإعلام المحدودة إبان مرحلة الإقامة عند طالبان، والتي تميزت بالانعزال عن العالم عمليا بسبب الحصار على طالبان وبسبب سياسة طالبان الإعلامية المتخلفة.
6. أحرجت قيادات الجماعة الإسلامية في الخارج من تتابع الانهيارات الناشئة عن المبادرة، ولكن ما كان بوسع أحدهم إلا أن يعبر عن عدم موافقته الشخصية وعن التزامه بوحدة الصف والتزام رأي قياداتهم التاريخية ! التي تشكل الثقل الأساسي في مجلس الشورى..الذي يقرر بالأغلبية في جماعة لا أمير لها عمليا ويتناثر عناصرها في أنحاء الأرض ويسيطر على قرارها

الأسرى في مصر والسجناء نصف الأحرار في ملاذات اللجوء السياسي في أوربا.!

7. وحصلت أحداث سبتمبر! ورحل من تبقى ونجى من أفغانستان من كوادر الجماعة إلى حيث تيسر لهم. وربما أن موقف الجماعة المعلن بعيدا عن طالبان وعن بن لادن جعلها من أقل المتضررين بالعواصف العاتية التي دمرت القاعدة والأفغان العرب ومعظم الكتلة المتبقية من التيار الجهادي كما أسلفنا.

8. ثم وفي أواسط (2003) فاجأت الحكومة المصرية العالم بتجاوبها الجزئي مع المبادرة بعد(6 سنين) من إطلاقها. وبدأت بإطلاق دفعات من معتقلي الجماعة الإسلامية.فأخرجت عن عدة مئات بينهم (كرم زهدي) أحد قياداتها التاريخية ثم أفرجت عن قياديين آخرين. وزاد من خرج من السجن مبادرتهم بمزيد من الكتب والتأصيلات المنهجية لنقض الغزل السابق من بعد قوة أنكاثا.. وسمعت من بعض وسائل الإعلام عن كتاب يقيمون فيه تجاربهم السابقة، بعنوان (نهر الذكريات)، لم يتسنى لي أن أراه ولكني اطلعت في الصحافة على بعض المصائب التي يتلبسون بها. فقد انضمت هذه الفئة إلى برنامج رامسفيلد في حرب الأفكار عمليا، وصاروا جزءا من حملة أمريكا لمكافحة الإرهاب !.و صارت مبادرة الجماعة الإسلامية محل ثناء من برامج مكافحة الإرهاب الفكرية التي تعج بها وسائل الإعلام العربية ومحل استشهاد ومضرب مثل.

ويجري الحديث من وقت لآخر عن تمهيد قياداتها لطرح فكرة استئناف مسار الدعوة العلنية سواء كمؤسسات اجتماعية أو كأحزاب سياسية قد تحصل على تراخيص حكومية في المستقبل وهو ما تسنى لها في اطار رياح الثورات العربية.

9. مطلع عام 2004 التقى الرئيس المصري بالرئيس الإيراني على هامش أحد المؤتمرات الدولية في أوربا..واعتبر المراقبون ذلك مفتاح مرحلة جديدة بين البلدين..وصرح الرئيسان بعزمهما على تطبيع العلاقات التي تدهورت منذ

أيام الثورة الخمينية حيث كان الشاه قد لجأ إلى مصر..ثم ما كان من استقبال إيران لقيادات الجماعة الإسلامية وإطلاقها لاسم خالد الإسلامبولي على أحد أكبر الشوارع الرئيسية في طهران. وبعد عودة خاتمي إلى بلده استجابت الحكومة الإيرانية لطلب مصر المتكرر بإلغاء تسمية ذلك الشارع باسم الإسلامبولي..ثم تناقلت وسائل الإعلام خبر اعتزام إيران تسليم المعتقلين لديها من المصريين من الأفغان العرب وأعضاء القاعدة إلى الحكومة المصرية..ومن ثم ذكر أن بعض المعارضين المصريين المقيمين في إيران قد سلموا لمصر فعليا، وأن آخرين قد فروا لأفغانستان..ولا أدري صحة الخبر ولا إن كان هذا قد طال من تبقى من قيادات الجماعة هناك ولم أستطع التحقق من ذلك.

كان هذا خلاصة وأحوال تلك التجربة الغنية للجماعة الإسلامية، إلى تاريخ كتاب هذه السطور.

أما للانصاف:

- فأقول أن الجماعة الإسلامية بمصرالتي قرأت عنها، قد آلت إلى الزوال مع نهايات القرن العشرين، مثلها مثل معظم تجمعات وتنظيمات التيار الجهادي التي تنتمي لحقبة (1960-2001). التي عملت في تلك الفترة، ثم تلاشت أو انحلت أو دمرت أو تفككت من الناحية العملية.ثم قضت تداعيات أحداث سبتمبر على ما كان قد تبقى منها، فالجماعة الإسلامية بمصر التي ولدت أواسط السبعينات قد انحلت عمليا وانتهت مع انصرام القرن العشرين وبداية عالم ما بعد سبتمبر.. بل لقد سبقت باقي التجمعات بالانحلال مع إطلاقها للمبادرة والإمعان فيها بذلك الشكل.. هذا من الناحية العملية. فأما من الناحية الفكرية فالناطقون اليوم باسمها يعلنون فكرا لا أقول أنه مختلف فقط، وإنما معاكس ومحارب للفكر الذي سطروه في كتبهم التي أثرت تجربتهم في مصر،بل وأثر التيار الجهادي كله.

وللأمانة والتاريخ يجب القول صراحة، أنهم يدينون اليوم مسارهم، ويعتـذرون عـن أمجادهم ويعتبرونها خطأ، ويخطون لأنفسهم بذلك مسارا ومنهجا جديدا..

وأما من الناحية التنظيمية.. فالتنظيم قد تلاشى و تشظى، فمعظم قياداته قد قتلوا،أو أسروا وانقطعت أخبارهم..وأما قواعدهم البشرية فقد انحلت وانتهت.

الشيء الوحيد المتبقي هو بعض الكوادر و القيادات التاريخية التي تخرج من السجون الصغيرة إلى السجن الكبير المسيَّج بحدود مصر التي رسمتها سيكس بيكو. حيث يطرحون فكرا و مشاريع جديدة، لا يربطها بالجماعة الإسلامية التي نعرفها إلا بالاسم.. هذا إن حافظوا عليه وما أظنهم بفاعلين..

أما النقطة الثانية، تجربتهم الدعوية و التنظيمية والعسكرية في مصر، وكذلك تراثهم وإنتاجهم الإعلامي، فكذلك كانت من أروع وأطول وأغنى تجارب التيار الجهادي المعاصرة سواء في داخل مصر أو في خارجها. وكذلك دورهم و مساهماتهم القيمة النوعية في أفغانستان ضد الشيوعية، وفي البوسنة في دفع الصائل عن المسلمين..

6. المحاولات الجهادية في تونس إعتبارا من النصف الثاني من الثمانينات:

يعود ميلاد الصحوة الإسلامية بشكلها المعاصر في تونس إلى أواسط السبعينات، حيث أسس (راشد الغنوشي) وعدد من الإسلاميين الآخرين من رفاقه حركة عرفت باسم (الإتجاه الإسلامي في تونس) وبدأت كغيرها من ظواهر الصحوة الإسلامية في تلك الفترة على أسس قريبة جدا من فكر الأخوان المسلمين، بالإضافة لمسحة تونسية خاصة بحكم جذور الصحوة الإسلامية في تونس..

وقد اشتمل الإتجاه الإسلامي في تونس على محاور فكرية متعددة كان بعضها دعوي و بعضها سياسي و بعضها تربوي، وبعضها جهادي مثله الدكتور(صالح كرر).. دخلت حركة الإتجاه الإسلامي معتركات سياسية كثيرة

مع نظام رئيسـها السـابق (الحبيـب بورقيبـة)، وسـجن قائـدها وأوقفـت صـحفها وخطـر نشاطها أكثر مـن مـرة.. وأخـذت في آخـر أيامهـا باتجـاه الخيـار الـديمقراطي والصراع مـع السلطة عبر الإنتخابات.. في حين كان لجهازها السري العسكري الخاص المتكون مـن عـدد من الضباط في مختلـف صـنوف الأسـلحة في الجـيش التـونسي برنامجـا للإعـداد لانقـلاب عسكري يحمل الإسلاميين وإلى السلطة بحسب ما كانوا يتصـورون..و يمثـل هـذا البرنـامج التجربة الأهم لمحاولة جهادية جادة في تونس للإطاحة بنظام الحكم القائم هناك. (وهذه التجربة وإن كان لا يمكن اعتبارها إحدى تجارب التيار الجهـادي بسـبب الهويـة الفكريـة لجماعة الغنوشي.. إلا أني سأعرض لنبذة عن تلك المحاولة في هـذه الفقـرة عـلى إعتبـار أن القائمين عليها من الضباط كانوا يحملون فكرا جهاديا أقرب إلى فكـر التيـار الجهـادي مـن قربه إلى فكر الحركة العام ذي الطـابع السـياسي المخـتلط..وهـذا مـا تبـين لي بعـد تعـرفي أدبياتهم).

- إلى جانب الإتجاه الإسلامي كان هناك بعض الخلايا الصغيرة لم تجاوز الآحـاد في حـدود علمي من الشـباب الـذي حمـل الفكـر الجهـادي السـلفي.. وقـد قـاموا بعـدد مـن العمليات البدائية البسيطة الغضة التجربـة، مـما أدى إلى اغتيـال بعضـهم واعتقـال الآخرين وفرار بعض الآحاد إلى خارج تونس، وكان من بينهم (علي الأزرق) - رحمه اللـه – الذي أفتاهم بالجهاد ومشروعية استهداف الدولـة وهيـا كلهـا، وقـد فرإثـر فشل تلك المحاولة إلى السعودية - التي أعادت تسليمه إلى تونس أواسط الثمانينات حيث أعدم وقد جاوز السبعين من عمره.

أما عن محاولة الإنقلاب لجماعة الإتجـاه الإسـلامي أو مـا عـرف فـيما بعـد باسـم (حـزب النهضة) بزعامة راشد الغنوشي، فخلاصتها كما يلي:

- بصرف النظر عن الخلط والخبط المنهجي الذي طبع حركة الإتجـاه الإسـلامي والطبقـة الأولى من قياداتهـا منـذ نشـأتها. إلا أن بـداياتها انطبعـت بـالفكر الثـوري الانقـلابي والجرأة وسعة الأفـق السـياسي، وهـي صـورة للتركيبـة الفكريـة والنفسـية ل(راشـد الغنوشي)..

- كان للحركة تصورا مؤسساتيا طموحا، عني بتأسيس الكوادر والهياكل التنظيمية لتنظيم يطمح إلى إسقاط نظام حكم ووراثته على كافة الصعد. ولذلك كان للحركة برنامجها في شتى المجالات السياسية والتربوية و الإقتصادية والإعلامية.. الخ وكان من بين تلك الأجهزة التي أنشأتها، الجهاز العسكري للحركة.

- قام مخطط الجهاز العسكري أساسا على زرع عدد من الضباط المتطوعين في الجيش التونسي في أقسام الأسلحة الثلاثة البرية والجوية والبحرية.. وعلى تجنيد من استطاعوا من الضباط ذوي الميول الإسلامية في الجيش.. وبصرف النظر عن التفاصيل الفرعية فقد كان التنظيم محكما وشديد التخفي في جيش علماني يحظر على عناصره الالتزام بالدين ويراقب حتى همسات المصلين و تسبيحات المؤمنين، ويعتبرها شبهة تؤدي على الأقل بصاحبها إلى الطرد من الجيش.

- التزم الضباط الشباب من أعضاء هذا الجهاز بالغ السرية بناء على فتاوى تحصل عليها من فقهاء التنظيم ومن استفتاهم بسلوك يخفي أي إشارة إلى التزامهم الديني.. فكانوا يصلون سرا.. بل إذا حضرتهم الصلاة في أوقات الدروس والتدريبات، صلوا إيماءا..و كانوا لا يصومون إلا إذا تمكنوا سرا، بل وصل الأمر في التخفي إلى اكتفائهم بلباس الحشمة لنسائهم مع الترخص في كشف غطاء الرأس للضرورة التي كانوا فيها !!
ثم مضى التنظيم على مدى نحو عشر سنوات وفق مخططه الذي كان يقوم على

فكرة الإنقلاب العسكري أساسا للإطاحة بالسلطة..

- فقد كان البرنامج محكما وطموحا، واستطاع أن يقيم صلات بدول مجاورة وينسق برنامجه على مستوى عال.. وكان وقت التنفيذ في عام (1986).. بعد أن كانت حكومة بورقيبة قد أطاحت بفوز الإتجاه الإسلامي..عبر تزوير الإنتخابات بعد فوزهم في مراحلها الأولى بصورة أدهشت المراقبين لما يعرف عن المجتمع التونسي من التحلل من الالتزام.. وانتشار مذاهب العلمانيين وأتباع خطوات الفرنسة والتغريب فيه. ولكن بدا في تونس أيضا

أن روح الأصالة والتعاطف مع الدين الإسلامي والثقة في مشروعه السياسي طبعت و ما تزال تطبع جميع المجتمعات العربية والإسلامية بلا استثناء.

- وبحسب الرواة ذوي العلاقة.. فقد أدى الضعف والتردد لدى أستاذ جامعي من القسم المدني في التنظيم والذي كان على صلة مع قيادة الضباط الانقلابيين إلى كشف المحاولة قبيل تنفيذه بمقت وجيز. فسارع وزير الداخلية في حينها وهو الرئيس المخلوع (زين العابدين بن علي).. إلى إنقلاب سريع أبيض بالتعاون مع المخابرات الأمريكية وإدارة أجهزة الأمن وبعض أركان النظام من السياسيين.. ثم عزل بورقيبة بحجة هرمه وعجزه الصحي، وتم نقله إلى قصر معزول ليكمل بقية هذيانه وخرفه هناك حتى هلك. وكان قد اعتقل معظم الانقلابيين وفر من تمكن من الفرار.
- ولأن زين العابدين بن علي كان قد رتب انقلابه البديل على عجل.. كان يتخوف من عمق جذور المحاولة الانقلابية الإسلامية، وأضطر إلى عقد صفقة مع راشد الغنوشي وقياداته السياسية إتفق بموجبها على الإفراج عن الضباط الموقوفين، مقابل اعتراف الجماعة بالنظام الجديد وكفها عن السعي للإطاحة بالسلطة.
- وهكذا أفرج عن زهاء مائتي ضابط من الانقلابيين الإسلاميين الذين خرج جلهم إلى المنافي الاختيارية في عدد من الدول الأوربية باللجوء السياسي، كما خرجت معظم قيادة التنظيم المدني وعلى رأسهم راشد الغنوشي. إلى الدول الغربية..
- اتجهت جماعة النهضة وراشد ذاته بعد ذلك الفشل إلى أقصى التطرف المعاكس، في المنهج السياسي و تبني الطروحات الديمقراطية، أو ما يسمونه نبذ العنف،واتخذ راشد من لندن منطلقا لتحركاته عبر أوروبا، متبنيا فكرا و مسلكا يتوافق مع المقاييس الغربية للاعتدال الإسلامي ليس محل تناوله هنا. واستهل ذلك بإصدار كتابه (الحريات السياسية في الإسلام)، الذي انتهك فيه كثيرا من مسلمات الدين الإسلامي بدعوى منهج الإنفتاح و

الإعتدال الذي ابتدعه وبلغ حد إنكار وإلغاء معلومات من الدين بالضرورة !..

- وهكذا تلاشت المحاولة الجادة الوحيدة المعاصرة لإقامة الحكم الإسلامي في تونس.
- وقبض على (صالح كرر) في فرنسا وألزم الإقامة الجبرية منذ زهاء خمسة عشر سنة ومازال فيها، خشية أن يتابع تحركاته وتطلعاته الجهادية حيث أنه كان يمثل تيارا جهاديا الجاد في جماعة الإتجاه الإسلامي في تونس.
- أما على صعيد التيار الجهادي وخلاياه في تونس.. فقد أدى وصول بعض الشباب الجهادي التونسي إلى ساحة أفغانستان في آخر الثمانينات ومطلع التسعينات إلى محاولة بعضهم تشكيل نواة لتجمعات جهادية، فقامت محاولات فاشلة متكررة لضم تلك المجموعات الصغيرة في تنظيم موحد على غرار ما فعل الليبيون والجزائريون من الأفغان العرب. وقد فشلت كل تلك المحاولات لعدم وجود كوادر مؤهلة بين أولئك الشباب يمكن أن يقوموا بتلك المهمة..
- وعندما انفض جمع الأفغان العرب سنة 1992.. رحل بعض المجاهدين التونسيين إلى السودان محاولين ذلك مرة أخرى دون جدوى.. وارتحل آخرون منهم إلى ملاذات اللجوء السياسي في أوروبا.. لتبقى صفة التشرذم، طابعا ملازما للجهاديين من الشباب التونسي رغم ما توفر بينهم من العناصر المخلصة الطيبة..

أما الضباط الإسلاميون في أوربا فقد أرهقتهم متطلبات الحياة في ظل الحصار و المطاردة من النظام التونسي، ومحاولات الاستيعاب التي مارسها عليهم (حزب النهضة في الخارج بزعامة الغنوشي)، التي وصلت إلى حد الحصار المادي والمعنوي.. حتى اضطر بعضهم للرضوخ واللحاق بتنظيم الغنوشي لأسباب مادية ونفسية.. وبقى البعض من المصابرين منهم منطوون على أنفسهم

لا يستطيعون حيلة و لا يهتدون سبيلا مثل كثير من المشردين من الجهاديين والإسـلاميين في أوروبا أواخر القرن العشرين.

- وعند ابتداء الشوط الثاني للأفغان العرب في أفغانستان في عهد الطالبان كـان مـن بـين المجاهدين العرب الذين يمموا وجههم شطر الإمارة الإسلامية، رهط من المجاهـدين التونسيين كان بعضهم قد نال شرف المشـاركة في الجهـاد في البوسـنة ضـد هجـمات الصرب وحرب الإبادة أواسط التسعينات..و ابتدؤوا محاولة جديـدة لإنشـاء تجمـع جهادي خاص بهم، وبـدت بعـض بـوادر النجـاح عـلى تلـك المحاولـة رغـم التعـثر و الـتشرذم، وفـيروس التطـرف والتكفـير الـذي أصـاب بعـض الأخـوة مـن المجاهـدين التونسيين وأعـاق تلـك المحـاولات الواعـدة.. واسـتطاع بعـض الناضـجين مـنهم أن يؤسسوا لأنفسهم معسكرا مستقلا، وإدارة لا بـأس بمسـتواها متعـاونين مـع كـوادر الجماعات الأخرى..وقدموا خدمات تدريبية جليلة للتجمع العربي في عهد طالبان.
- ولكن فيما كانوا منشغلين في مسعاهم ذلك..كـان للأقـدار مشـيئة أخـرى..فقـد دوت انفجـارات الحـادي عشر مـن سـبتمبر في نيويـورك و واشـنطن لتصـل شـظاياها إلى أفغانستان كما مر معنا.. وجاءت الحملة الصـليبية الأمريكيـة في ديسـمبر (2001).. ليأخذ الجهاديون التوانسة مواقعهم على خط متميز في قمم (طورة بورة) في جبـال سليمان غربي جلال أباد إلى جانـب إخـوانهم حيـث كـان كافـة التواجـد العـربي في أفغانستان مستهدفا بـالهجوم، وجـاءت الأخبـار عـن صـمودهم صـمود الأبطـال في مواقعهم إلى جانب إخوانهم في معركة الدفاع عن النفس وعن الإمارة الإسلامية.
- ورغم أن الجهاديون التوانسة كان هـدفهم العـودة بالجهـاد إلى تـونس.. وإنشـاء تنظـيم جهـادي يجمع شـملهم.. وانصـب اهـتمامهم عـلى إحيـاء اتصـالاتهم برفقـائهم في المهجـر وعـلى تـأمين متطلبات النهوض بذلك الجمع.. ورغـم أنهـم لم يعـيروا كبـير إهـتمام لمعركـة الطالبـان والإمـارة الإسلامية.. وكانوا من المترددين في التفاعل معها كإمامة شرعية في أفغانستان نتيجة بعض المآخـذ

لـديهم و لاهـتمامهم بمشروعهـم، ورغـم أنهـم لم يقتنعـوا بمحـاولات (بـن لادن) والقاعدة وتوجهاتها العسكرية أحادية الإتجاه.. كما كـان حـال معظـم التنظـيمات والتجمعات العربية في أفغانستان. إلا أن الهجمة الأمريكية قد فرضـت نفسـها عـلى الجميع..

- وهكذا.. أدى جهاديي تونس واجبهم، وثبتوا ثبات الأبطال وسقط منهم العشرات من الأموات والأسرى كغيرهم.. ونظرا لعددهم القليل أصـلا، وقلـة مـن أعتقـد أنـه قـد سلم منهم من أخدود سبتمبر.. أعتقد أن تلك المحاولات التونسية قد تلاشت.

7. تجربة الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا:(1990-2001)

بحسب معلوماتي فقد كانت هناك محاولة جهادية من النويات الأولى لخلايا التيـار الجهادي في ليبيا ضد نظام معمر القذافي الراحـل خـلال النصـف الثـاني مـن الثمانينـات. ولقد أدي اكتشاف تلك الخلايا ومطاردتهـا إلى خـروج كوادرهـا الرئيسـية إلى أفغانسـتان، حيث كان التجمع الجهادي العربي خلال الجهاد الأفغاني قد بدأ يبلـغ ذروتـه. وهنـاك وفي معسكرات التدريب المنتشرة في أفغانستان وعلى الحدود الباكستانية، كانت تلك الكوكبة من الشباب الليبيين لا تألوا جهدا في تأهيل كوادرهـا الأولى في مختلـف مجـلات التـدريب وتعيد صلاتها بليبيا وبعض بلاد المهجر حيث استنفروا من استطاعوا من إخوانهم للمجيء للإعداد والتدريب لمتابعة مسار الجهاد في ليبيا وقد عرف عـن أولئـك الشـباب أنهـم مـن أكثر المجاهدين العرب الذين تواجدوا في تلك السـاحة اسـتفادة مـن الوقـت وصـبرا عـلى دورات التأهيل العسكرية والتربوية الطويلة المدى التي أخضعوا لهـا أنفسـهم وإخـوانهم، وخلال السنوات الثلاثة الأخيرة(1989-1992)، استطاع أولئك الشـباب أن يرتبـوا أنفسـهم ويؤسسوا التنظيم الذي عرف باسم (الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيـا).. ويضـعوا برنامجـا للإعداد واستئناف المسيرة الجهادية في بلدهم، على الأفكار والأسس والطريقة التـي كانـت سائدة آنذاك في أواسط التيار الجهادي والأفغان العـرب واسـتطاعوا أن يسـتوعبوا معظـم المجاهدين الليبيين الذين تواجدوا في ساحة الأفغان العرب.

- ساهم المجاهدون الليبيون في فعاليات الجهاد العربي في أفغانستان إلى جانب إخوانهم من البلاد الأخرى بكفاءة. وسرعان ما برز منهم كوادر في مجالات التدريب وفي الجبهات. ثم استقل شباب الجماعة الإسلامية المقاتلة لأنفسهم بمضافات ومعسكر خاص بهم شأنهم في ذلك شأن معظم الجماعات الجهادية العربية القديمة أو الناشئة، ثم بايعوا عليهم أميرا للتنظيم وبدأت تتكون بنيتهم الإدارية كتنظيم جهادي بدأ يأخذ مكانه بين التنظيمات الجهادية العربية المرموقة.
- كان المنهج الفكري للجماعة الإسلامية المقاتلة يقوم على أسس الفكر الجهادي السائد، وقد تأثروا بمناهج الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد المصرية، ويمكن اعتبارهم نموذجا من نماذج جماعات السلفية الجهادية، وقد بدا هذا جليا عندما نشروا منهجهم الفكري في كتاب بعنوان (الخطوط العريضة للجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا).. كما تجلى ذلك عبر نشرتهم الشهرية (الفجر) فيما بعد.. وكذلك في عدد من الأبحاث الفكرية السياسية الشرعية التي أصدروها..
- مع هبوب العاصفة الأمنية على العرب في باكستان بموجب البرنامج الأمريكي.. ومع عودة معظم المجاهدين العرب إلى بلادهم كان أعضاء الجماعة الإسلامية المقاتلة من الصنف الذي لا يستطيع العودة إلى بلاده.. شأنهم في ذلك شأن المطاردين من الجهاديين من سوريا ومصر وتونس والعراق وبعض البلاد الأخرى.. فانتقل معظم شباب الجماعة الإسلامية المقاتلة إلى السودان بعد أن فتح نظام البشير وحليفه الترابي أبواب السودان للإسلاميين و الجهاديين بعد تسلمهم السلطة سنة (1990) كما مر آنفا، في حين يمم القليل منهم وجهة شطر ملاذات اللجوء السياسي في بعض البلدان الأوربية والغربية...
- تعتبر مرحلة الإقامة في السودان (1991-1995) مرحلة تأسيس هامة بالنسبة للجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا، فقد مكنتها من إعادة توثيق صلاتها بليبيا، كما وضعت الجماعة برنامجا طموحا لتأهيل الكوادر في

المجالات المختلفة ولاسيما في مجال طلب العلم الشرعي.. واتجه العديد منهم إلى طلب العلم في بلاد الحرمين، في حين يمم آخرون وجههم شطر موريتانيا.. وفعلا، لم يأت الشوط الثاني للأفغان العرب في أفغانستان (196-2000) إلا وقد كونت الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا عددا من خيرة الكوادر العلمية الشرعية التي تأهلت في التيار الجهادي والأفغان العرب..

- كان عدد من كوادر الأفغان العرب الليبيين ممن لم يلتحقوا بالجماعة المقاتلة يعمل في معسكرات تنظيم القاعدة، وقد غادروا إلى السودان متابعين عملهم مع الشيخ أسامة بن لادن في المجالات الزراعية والاقتصادية التي ابتدأها في السودان. ولكن نشاط المقاتلة وغيرها من الإسلاميين و الجهاديين داخل ليبيا ضد نظام القذافي، ولاسيما تحركهم في السودان على مقربة من ليبيا.. أزعج نظام العقيد القذافي ودفعه إلى إبرام معاهدة لتبادل المجرمين ! ووضع برنامج لمكافحة العناصر الإسلامية مع نظام البشير (الإسلامي).. وسرعان ما قلب نظام البشير ظهر المجن لكافة الأفغان العرب. ولكن بداية ذلك كانت بالليبيين.. إذ طلبت الحكومة السودانية من تنظيم (المقاتلة) الرحيل عن السودان.! كما طلبت من أسامة بن لادن إخراج من لديه من الليبيين من مجالات عمله نتيجة ضغوط ليبيا عليها واتفاقاتها الجديدة معها.. ولم يكن من ذلك بد.. وأدى ذلك إلى بدء رحيل الليبيين عن السودان. ليعيدوا انتشارهم في المنطقة من جديد.. وأدى ترحيل من كان منهم مع تنظيم القاعدة إلى انضمامهم إلى تنظيم (المقاتلة) مضيفا إليها كوادر هامة. حيث كانت المقاتلة حريصة على أن تكون التنظيم الجهادي الوحيد في ليبيا.. و بذلت في ذلك مساع حثيثة داخل ليبيا وخارجها.
- كما قلت، فقد توزعت كوادر المقاتلة وعناصرها في العديد من دول المنطقة.. فعاد البعض إلى باكستان وانتشر آخرون في اليمن والسعودية وتركيا وسوريا والأردن والخليج و بعض دول شمال أفريقيا.. فيما أتجه آخرون

إلى مـلاذات اللجـوء السـياسي في بعـض الـدول الغربيـة حيـث سـاعدتهم الأجـواء و إمكانية المعلومات والاتصالات على الإفادة في مجال الدعاية والإعلام..

- مع إنطلاق شرارة العمل الجهادي المسـلح في الجزائـر منـذ (1993) سـارعت الجماعـة المقاتلة كي تكون حاضرة في هذه الساحة الهامة بـذاتها ولجوارهـا لليبيـا.. وأوفـدت بضـع عشرات مـن مجاهـديها ليتواجـدوا هنـاك وليشـاركوا إخـوانهم في الجماعـة الإسلامية المسلحة في القتال ضد النظام الجزائري.. ولكنها كانت تجربة بالغة المرارة. إذا أدت الاختراقات الاستخباراتية، وسيطرة العنـاصر الجاهلـة والتكفيريـة و توجيـه المخابرات لها، إلى المنحرفين سيطرة على إدارة الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر، ودفعها في متاهات الإنحراف و التشرذم.. كما سنعرض في النبذة التالية عند التعرض للتجربة الجزائريـة.. إن شـاء اللـه. ولكـن مـا يعنينـا هنـا هـو أن (إدارة الجماعـة الإسلامية المسلحة بقيادة أبـو عبـد الـرحمن أمـين) منـذ 1995، أضـافت إلى قائمـة أعمالها، اغتيال معظم هؤلاء المتطـوعين الغربـاء مـن الجماعـة الإسـلامية المقاتلـة. بدعوى حملهم لفكر المبتدعة، وأنهم ليسوا على العقيدة السـلفية الصـحيحة !! ولم ينج من هؤلاء إلا القليل جدا ممن استطاعوا الفرار إلى منـاطق التنظـيمات الأخـرى ليخرجوا شهودا على ذلك الإنحراف الخطير الذي حصل في الجزائر.
- في عام (1994) بدأت الجماعة المقاتلة نشاطها العسكري في ليبيا. عبر ثلاثة محاور:

1. حرب عصابات مدن داخل ليبيا، ضد أركان الحكومة الليبية.
2. تمركـز بعـض العنـاصر المطلوبـة في منـاطق الجبـل الأخضر شرق ليبيـا لـتمارس حـرب عصابات جبال وأرياف في محيطه.
3. محاولة اغتيال العقيد معمر القذافي..

لكن المعطيات الإستراتيجية لبلد مثل ليبيا لم تكن لتساعد على مثل هذه الحركة..

فعدد السكان قليل، وليبيا بلد صحراوي مترامي الأطراف، تتناثر فيه المدن الرئيسية على مسافات شاسعة، وتتركز في شريط ساحلي ضيق.. بالإضافة للتوقيت غير المواتي الذي انطلقت فيه شرارة تلك المحاولة، حيث كان التنسيق العربي والإقليمي والدولي لمكافحة الجماعات الجهادية قد بدأ.. مما جعل عملية التنسيق بين إدارة العمل في الداخل والخارج غير ممكنة، وكذلك أصبحت حركة العناصر من وإلى ليبيا محفوفة بالمخاطر وشبه مستحيلة.. وسرعان ما أوقع النظام الليبي خسائر كبيرة في صفوف الجهاديين، رغم العمليات النوعية التي قام بها أفرادهم خلال تلك الفترة، ضد أجهزة الأمن وعناصر الجيش والمليشيات الحكومية.

وهكذا صفيت خلاياها في الجبل الأخضر، وقتل عبد الرحمن حطاب.. وسقط عدد من القتلى في مدن متعددة واعتقل آخرون.. واضطرت الجماعة المقاتلة للإعلان عن تغيير برنامجها العسكري.معلنة ذلك في بياناتها بما عبرت عنه ببرنامج (الهجوم الإستراتيجي والتراجع التكتيكي)..ليقتصر نشاطها عمليا بعد ذلك على المحور الأخير فقط وهو المحاولات التي كررتها لاغتيال العقيد القذافي.. فباءت محاولات عديدة بالفشل ونجى القذافي المرة تلو الأخرى بأعجوبة.. واضطرت الجماعة لإنهاء نشاطها عمليا في ليبيا...

- منذ (1995) كانت عواصف الحرب العالمية على الإرهاب كما أسموها تتصاعد بسرعة لمطارد كافة الجهاديين في كل مكان.. وقد أوقع التعاون والتنسيق الأمني الإقليمي والعربي والدولي، كثيرا من كوادر التيار الجهادي ضحايا لتلك الحملات الأمنية الظالمة التي وضعت نصب أعنيها إغلاق الملاذات الآمنة، وتجفيف المنابع المالية، ومطاردة العناصر الرئيسية لاغتيالها أو أسرها أو تسليمها إلى بلدانها.. وكان نصيب الجماعة المقاتلة من البلاء في تلك المرحلة أيضا غير قليل.،. إذ طاردت السلطات في تركيا وسوريا والأردن واليمن والسودان عددا من الخلايا التابعة لهذا التنظيم..

فقبض على بعضهم وسلموا إلى ليبيا كما حصل في السودان والأردن وسوريا وتركيا.. واعتقل آخرون في تلك البلاد أو رحلوا أو اختفوا في أشد حالات الضيق في أماكنهم أو أماكن أخرى.. كما تعرض اللاجئون إلى الدول الغربية منهم كغيرهم من الإسلاميين عموما و الجهاديين خصوصا للحصار والتضييق..

- مع تمكن حركة طالبان من السيطرة على أفغانستان وإعلانها للإمارة الإسلامية ربيع (1996)، بدأت كوادر من الأفغان العرب شد الرحال إلى الملاذ الجديد.. ورغم وصول العديد من طلائع التنظيمات والكوادر الجهادية والعربية إلى أفغانستان ولاسيما من قدماء الأفغان العرب.. إلا أن قيادة الجماعة المقاتلة بدت مترددة في اللحاق بهذا الملاذ الجديد وحذرت من فكرة إعادة تجميع كامل بيض التيار الجهادي في سلة واحدة في أفغانستان مرة ثانية.
- ترددت المقاتلة بادئ ذي بدء في الزج بكوادرها في معارك طالبان الطويلة مع تحالف الشمال خشية الدخول في استنزاف لم يكن ضمن برنامجها من جهة، ولعدم تبلور قناعتها ربما بعد في تلك المرحلة بالانخراط في معركة الطالبان.. وعدم تبينها لمسألة مشروعية أمير المؤمنين كإمام شرعي ممكن يحب الدخول في كنفه.. ولكنهم وبعد تدارس الموقف مطلع (1999) بدؤوا ينخرطون في الوقوف إلى جانب حكومة الطالبان شيئا فشيئا.. وما لبثوا أن لعبوا دورا مهما في مساندتهم في مختلف المجالات ولاسيما في المجال العسكري والإعلام..
- و خلال الشوط الثاني للأفغان العرب في أفغانستان.. كانت الجماعة المقاتلة من أفضل المجموعات العربية تنظيما وأداء على مستوى الأفغان العرب وتجمعاتهم وجماعاتهم التي بلغ المنظم منها نحو(14) تنظيما وتجمعا ومعسكرا مستقلا.. وكان لهم معسكرا مستقلا وأكثر من مضافة ومركز نشاط..

- وخلال تلك الفترة بدا أن ظلال عالم العولمة الذي بدأ يتسرب إلى تفكير الجهاديين أيضا قد وجد طريقه إلى الجماعة المقاتلة في اتجاه العناصر غير الليبية والاهتمام بأكثر من قضية وساحة. رغم أن توجههم القطري الليبي ظل واضحا وملازما لكافة نشاطاتهم وبنيتهم الإدارية وإنتاجهم الإعلامي.
- لم تنجح محاولات أسامة بن لادن والقاعدة في استمالة الجماعة الإسلامية المقاتلة إلى توجهاته توحيد محور المواجهة تجاه أمريكا. كما لم يستطع استيعابهم في حلفه الذي أطلق عليه مسمى (الجبهة العالمية لجهاد الصليبيين).. والذي لم يستمل في آخر المطاف عبر السنوات الخمسة إلا تنظيم الجهاد المصري بقيادة الدكتور أيمن الظواهري.. ويبدو أن الأسباب الرئيسية لذلك تعود إلى قضايا منهجية وأخرى إدارية وأسباب متعلقة بطبيعة التوجه والهدف الإستراتيجي ومنحى الجهد العملي لكل جماعة.. وهكذا بقى تنظيم المقاتلة مستقلا في برامجه ونشاطه في ساحة الأفغان العرب إلى أيامهم الأخيرة..
- وجاء الحادي عشر من سبتمبر.. و(المقاتلة) كغيرها من التجمعات الجهادية العربية منهمكة في نشاطها وحركتها الدؤوبة، بل ربما أنها كانت الأبرز نشاطا وأداء.. واضطرت الهجمة الأمريكية العاتية جوا والزاحفة برا بالتعاون مع الخونة من الشماليين و شذاذ الأحزاب المختلفة وقطاع الطرق.. اضطرت جميع الأفغان العرب للدخول في معركة الدفاع عن النفس والدفاع عن الإمارة الإسلامية. وعن الملا عمر وحكومته التي بدأت تتهاوى على أكثر من جبهة.
- أخذ الجهاديون من الجماعة المقاتلة بليبيا مواقعهم في تلك المعركة، وأبلوا بلاء حسنا في معركة الدفاع عن خطوط شمال كابل..وكان فصيل آخر منهم يرابط في جهة الجنوب في قندهار و هلمند .. وسقط منهم العديد من القتلى، وكانت قياداتهم و كبار كوادرهم في طليعة المقاتلين .. كما لعب بعض قياداتهم وكوادرهم دورا بارزا فيما بعد في المعارك المتتالية في أكثر

من مكان.إلى أن اضطر من سلم من القصف ومن تلك المعارك إلى الانسحاب تجاه باكستان وتولى أحد قادتهم وهو أبو الليث قيادة مجموعات مقاومة للأمريكان على الحدود الباكستاني مع أفغانستان منذ ذلك الوقت.. وثم كان نصيب المقاتلة من البلاء كغيرها من مجاهدين الأفغان العرب لا بأس به أيضا.. فوقع العديد من عناصرها وكوادرها أسرى خيانات حكومة وجيش وقوى الأمن الباكستانية.. ليقتل البعض ويسلم آخرون إلى الأسر لدى زعيمة الحملات الصليبية أمريكا..

كانت خسائر المقاتلة كغيرها من مكونات التيار الجهادي العربي والأفغان العرب فادحة.. قتلا وأسرا وتشريدا.

8. التجارب الجهادية المعاصرة في الجزائر اعتبارا من (1991):

- سبق أن بينت أن تجربة جهادية مبكرة كان قد قام بها (مصطفى بويعلي) في النصف الأول من السبعينات، فقد كان بويعلي من المجاهدين الذين حاربوا ضد الإستعمار الفرنسي في الجزائر. وكان مثله مثل مئات آلاف المجاهدين في حينها يطمحون إلى التحرر من الإستعمار تحت شعار الجهاد، ليقام في الجزائر حكم الإسلام على إثر ذلك.. ولكن الفرنسيين الذين أتقنوا لعبة الإستقلال كما أتقنوا لعبة الإستعمار، جعلوا الأمر يؤول من بعدهم للعلمانيين والاشتراكيين من أبناء الجزائر الذين تربوا على أفكار أعداء الإسلام ! وكان هذا سببا لتراكم الكفر والظلم الذي حسب مصطفى بويعلي واجب الثورة عليه..

ولكن تلك التجربة سرعان ما قمعت واغتيل قائدها وسجن من تبقى من عشرات المنتسبين إليها لعدة سنين.

- وفي نهاية الثمانينات وبعد أن تفاقمت المشاكل الإقتصادية في الجزائر نتيجة الفساد العارم الذي استشرى في كافة مفاصل النظام وإدارته.. انفجرت (مظاهرات الخبز) كما عرفت في حينها، وأوشك الحال على الانفجار.. فلجأ الرئيس الجزائري آنذاك (الشاذلي بن جديد) إلى علاج الأوضاع

بطرح سياسة الإنفتاح وإعلان ترخيص تشكيل الأحزاب السياسية والدعوة إلى انتخابات ديمقراطية حرة سنة (1989).

إستغل البادرة بعض الدعاة من الصحوة الإسلامية التي كانت مقموعة بشدة منذ عهد الإستقلال (1963) في عهد الرئيس (هواري بومدين)، وأعلن عباسي ومدني ونفر من الذين استجابوا للدعوة، تشكيل (الجهة الإسلامية للإنقاذ) لتشكل تجمعا عريضا يضم كافة الساعين إلى المشروع السياسي الإسلامي.. واستطاعت الجبهة أن تشتمل على معظم أوساط الصحوة الإسلامية.. وانخرط في عضويتها المفتوحة الأبواب ملايين الناس بصرف النظر عن أحوالهم ومشاربهم فقد التقوا على دعم مشروع الإسلام السياسي.

- ومع انصرام الإنتخابات البلدية..تبين أن الجهة الإسلامية للإنقاذ، قد سحقت أقوى الأحزاب السياسية العلمانية في الجزائر، وهو حزب السلطة! حزب جبهة التحرير الوطني وتولت بذلك معظم بلديات الجزائر.. واستفاد جبهة الإنقاذ بذلك للتحضير للفوز بالانتخابات التشريعية (البرلمانية) التي جرت سنة (1990) وتمخض الدور الأول فيها عن فوز الجبهة بأغلبية ساحقة كانت ستمكنها خلال الشوط الثاني من الدورة الإكمالية من الأغلبية الساحقة التي تأهلها لتشكيل الحكومة ولترشح لرئاسة الدولة..

- وضربت نواقيس الخطر في مشارق الأرض ومغاربها.. وأعلنت الدول الصليبية الكبرى عن استعدادها للتدخل لقطع الطريق على الإسلاميين من الوصول للسلطة. بل صرح (فرانسوا ميتران)، الرئيس الفرنسي في حينها، أن فرنسا على استعداد للتدخل العسكري للحيلولة دون وصول الإسلاميين للسلطة. وكان الحل الوحيد أمامهم هو إحداث إنقلاب عسكري مدعوم من قبل الغرب ولاسيما فرنسا.

- وحصل الإنقلاب.واعتقلت قيادات الجبهة، وقمعت المظاهرات بالعنف، وفتح النظام السجون الصحراوية لعشرات آلاف المعتقلين من الإسلاميين.. وكان هذا سبب بداية الإنتفاضة الجهادية المعاصرة في

الجزائر، والتي تعتبر من أهم التجارب الجهادية الجديرة بالدراسة، وآخر تجارب الجهاديين في المواجهة مع الأنظمة،وآخرها في القرن العشرين.

تجربة الجماعة الإسلامية المسلحة والجماعات الأخرى في الجزائر (1991-2000):

- كان عدة مئات من الشباب الجزائري. ربما ناهز عددهم الألفين، قد نفر للجهاد في أفغانستان.. وسرعان ما أثبتوا كما هو معروف عنهم أنهم من أشد المجاهدين بأسا وشجاعة.. ومع بداية التسعينات أخذ المجاهدون من كل بلد يجمعون أنفسهم ويستقلون بكياناتهم من حيث الخدمات والمضافات ومعسكرات التدريب.. رغم بقاء جبهات القتال مشتركة بين الجميع تحت إدارة التنسيق العربية العامة.. وهكذا سعى الجزائريون من الأفغان العرب لتنظيم أنفسهم.
- برز (القاري سعيد) كما كان يدعى، كواحد من أبرز قيادات الأخوة الجزائريين وبدأ تنظيم ما عرف فيما بعد باسم (الأفغان الجزائريين). وجاءت أحداث الإنتخابات، وما جرى لجبهة الإنقاذ، والانقلاب العسكري سنة (1990)، لتعجل بالجهاديين الجزائريين للعودة إلى بلادهم لمواجهة الحكومة الانقلابية العسكرية.
- وذهب القاري سعيد للاستطلاع في الجزائر، ليعود بقرار ترحيل من معه إلى هناك على مراحل، ثم عاد إلى الجزائر بعد أن استناب بعض الجهاديين في (بيشاور) ليتابع التدريب المكثف وتنظيم عملية الترحيل إلى الجزائر.
- كانت ردة الفعل الطبيعية لأكثر من 3،5 مليون ناخب اختاروا المشروع الإسلامي في الإنتخابات و فازوا فيها، ثم انتزع منهم انتصارهم، ليساق عشرات الآلاف منهم إلى السجون، كان طبيعيا أن يرحب أكثرهم بنداءات مقاتلة السلطات العسكرية التي قطعت عليهم الطريق إلى حصاد نتيجة فوزهم بدعم وتوجيه من الغرب ولاسيما فرنسا..

● كانت ساحة الصحوة الإسلامية في الجزائر آنذاك تموج بكافة مكونات الصحوة الإسلامية العربية التي من المهم معرفتها لفهم تلك التجربة المتشابكة، وكان من أهم تلك الكتل بحسب حجمها وتأثيرها ما يلي:

أولا: الجهة الإسلامية للإنقاذ

وتكونت من خليط من مدارس الصحوة و قياداتها والتنظيمات الإسلامية الدعاة المستقلين .. بالإضافة لقواعد عريضة من عوام المسلمين الذين آمنوا بعموميات مشروع الإسلام السياسي دونما منهج محدد اللهم إلا الشعار العام. وكان من أهم مكوناتها الرئيسية:

1. جماعة الطلبة: التي كان يرأسها الشيخ محمد السعيد - رحمه الله- ويعود تأسيسها إلى مجموعة من الطلبة الإسلاميين في جامعة الجزائر من الذين تتلمذوا، على المفكر الإسلامي الشهير مالك ابن نبي، وكانت تقوم في عموميات فكرها مزيج من أفكار الأخوان المسلمين مع مورثات الصحوة الإسلامية في الجزائر من تراث جمعية العلماء المسلمين، بالإضافة إلى أفكار مالك ابن نبي- رحمه الله -...
2. حركة الدولة الإسلامية: وهم بقايا حركة مصطفى بو يعلي، وقد تزعمهم ومثلهم في جبهة الإنقاذ سعيد مخلوفي وكانت مجموعة جهادية المعتقد..
3. شريحة عريضة من أتباع أدعياء السلفية: وقد تزعمهم ومثلهم في الجبهة رجلها الثاني وخطيبها المشهور الشيخ (علي بلحاج)...
4. عدد من رموز الدعوة الإسلامية من المستقلين..
5. قاعدة عريضة من عوام المسلمين المتعاطفين مع المشروع الإسلامي..

ثانيا: الأخوان المسلمون -فرع التنظيم الدولي في الجزائر

وكان يرأسهم (محفوظ نحناح)، الذي أطلق على حزبه اسم (حركة مجتمع السلم)، وقد أبى نحناح الدخول تحت مظلة جبهة الإنقاذ، وبقي مناوئا لها طوال بقية حياته رغم محنتها.. وشن على الجهاديين هجوما ضاريا.

ثالثا: الأخوان المسلمون المحليون-وهم حزب النهضة الإسلامية

الذي رئسه (عبد الله جاب الله).. وكان فكرهم مزيجا من فكر الإخوان وفكر الصحوة الإسلامية الجزائرية المحلية..

رابعا: السلفيون:

والذين كان شريحة كبيرة منهم على قواعد (الفكر الجامي المدخلي) الذي يستمد أصوله من علماء السعودية الرسميين، وكان كثير منهم يؤيدون السلطة الجزائرية.

خامسا: الشباب السلفيون المتشددون:

وقد شكل بعضهم - كما بلغني - حركة سميت باسم سلفية العاصمة (الجزائر).. وكانوا يسمون أنفسهم (جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)..

سادسا: جناح من حركة الدولة الإسلامية:

من الدين كانوا مع مصطفى بويعلي ولم يرو الدخول في جبهة الإنقاذ لمنهجها الديمقراطي. وكانوا على فكر جهادي سلفي..

سابعا: (الأفغان العرب الجزائريون):

كما سموا فيما بعد، وهم الجهاديون المتحركون بين الجزائر وساحة أفغانستان..

كانت هذه أهم مكونات الساحة الإسلامية في الجزائر آنذاك، بالإضافة لحركات هامشية قليلة التأثير بما حولها كجماعات التبليغ والحركات الصوفية المختلفة..

- بعيد الإنقلاب العسكري بقليل لاذ عشرات من الشباب للجبال، وبدؤوا يبحثون عن السلاح ويعدون لمواجهة الحكومة العسكرية.. ثم مالبثوا وبسرعة كبيرة، أن بدؤوا الصدام المسلح مع الحكومة.
- أدت حركة الإعتصام الكبير في الجزائر العاصمة، والذي دعت له جبهة الإنقاذ، إلى مفاجئة الجميع باعتقال زعيمي الجبهة (عباسي مدني وعلى

بلحاج) بشكل مفاجئ، دونما أي مقاومة ! فيما كانا يقودان اعتصاما جمع مئات آلاف المتظاهرين !!.. وتبين فيما بعد أن بعض أعضاء مجلس شورى جبهة الإنقاذ، قد خانوهما ولم ينفذوا الأوامر بالمواجهة.. وبقيت جبهة الإنقاذ بلا رأس، وعادت مكوناتها الأساسية للعمل بصورة غير مركزية.. وبرز (عبد القادر شبوطي وعبد الرزاق رجام ومحمد سعيد مخلوفي و محمد السعيد) كرؤوس لكتل مقاومة مسلحة للحكومة في العاصمة والجبال من حولها.. وعمت الفوضى السياسية المسلحة البلاد، وبدت نذر حرب أهلية طاحنة ما لبثت أن اشتعلت بضراوة.وقتل الجهاديون الرئيس الجديد (بوضياف) الذي جاء به النظام لتصل الصدامات المسلحة إلى ذروتها...

- نزل (قاري سعيد) كما ذكرت إلى الجزائر لمدة شهرمع بقايا فرع جماعة مصطفى بويعلي،ليلتقي ببعض الخلايا ذات الفكر السلفي الجهادي هناك في جماعة جهادية واحدة. ثم عاد قاري سعيد.. وهاتف نائبه في بيشاور ليخبر بقيام ذلك الجمع وأنهم أسموه (الجماعة الإسلامية المسلحة)، وكان ذلك في أواخر (1990) أو أوائل (1991)..
- إنشق جزء كبير من مجلس شورى جبهة الإنقاذ، وشكل قيادة تفاوضت وتعاونت مع الحكومة.. ورفض آخرون على رأسهم(محمد السعيد و عبد القادر شبوطي وعبد الرزاق رجام و سعيد مخلوفي) المهادنة وبدؤوا المواجهة باسم جبهة الإنقاذ.. وسرعان ما أسفر اجتماعهم عن تشكيل ما عرف باسم (جيش الإنقاذ) الذي برز على رأسه (مدني مزراق) أحد كوادر الجبهة من الذين صعدوا الجبال و اشتمل البيان التأسيسي لجيش الإنقاذ على معظم مكونات الفكر الجهادي السلفي وركز على مبدأ رفض العودة للديمقراطية...
- وسرعان ما قمعت الحكومة العسكرية حركات العصيان المدني وحظرت الأحزاب السياسية، وكان في طليعتها جبهة الإنقاذ - وحركة النهضة – و حركة الإخوان (نحناح) - والتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية - وحزب جبهة التحرير الوطني الذي مثله آخر رئيس وزراء مدني هو (عبد

الحميد مهري)..وأحزاب علمانية واشتراكية وشيوعية صغيرة أخرى..حيث إستمرت بالمعارضة وخرج كثير من رؤوسها إلى خارج الجزائر..ووصل عدد المعتقلين من الإسلاميين إلى أكثر من (50 ألف) معتقل ملئت بهم السجون الصحراوية.. وأدى ذلك إلى إرتفاع عدد المسلحين الاسلاميين في الجبال إلى ما قيل أنه بلغ عشرات الآلاف.. وأصبحت عملياتهم بالعشرات يوميا..

- سيطرت أخبار الجهاديين في الجزائر على عناوين الأخبار ووسائل الإعلام خلال تلك الفترة وبرز اسم (الجماعة الإسلامية المسلحة) كأهم وأبرز التجمعات العاملة عسكريا في مواجهة الحكومة العسكرية.. وبرز اسم أميرها الأول (عبد الحق العيايدة).. الذي ما لبث أن اعتقلته السلطات المغربية أثناء سعيه لشراء السلاح وسلمته للجزائر. وخلفه جهادي آخر(لا يحضرني اسمه الآن بدقة ولعله جعفر الأفغاني) ثم قتل، ثم خلفه مع مطلع (1993) أميرها أبو عبد الله أحمد الذي تحققت في عهده عمليات اجرامية خطيرة...
- تصاعدت حدة العمليات العسكرية. واعتقل (القاري سعيد) في إحدى الهجمات الكبرى على قيادة القوات البحرية في الجزائر العاصمة. ثم فر مع أكثر من (700) سجين من سجن الجزائر العاصمة بعد عدة أشهر.. ثم بذل وسعه في توحيد الفصائل المقاتلة من جميع الفرقاء.. ثم قتل في ظروف غامضة أواخر(1994)..
- مطلع (1993) كانت كافة الأصوات المؤيدة للعنف المسلح في الجزائر تنادي الاسلاميين بتوحيد الصفوف. وفعلا أدت جهود كبيرة قام بها العديد من القيادات الجهادية في (الجماعة الإسلامية المسلحة) من القيادات الجهادية لجيش الإنقاذ، ولكثير من الخلايا الجهادية المحلية، إلى حصول تلك الوحدة التي عمل لها الأمير الثاني للجماعة الإسلامية المسلحة ولم يرها لأنه قتل قبلها بقليل. وتولى (أبو عبد الله أحمد) قيادة الجماعة من بعده..

- رفض أمير جيش الإنقاذ (مدني مزراق) الوحدة وعارضها، ونال ممن أقدم عليها ورفض الاعتراف إلا بقرارات الأسيرين عباسي مدني وعلي بلحاج لما يخرجون من السجن ! وأصر على البقاء خارج الوحدة.. ولكن عشرات الفصائل والجماعات الثانوية من مشرق الجزائر وغربه وولايات الوسط دخلت الوحدة و صارت الجماعة الإسلامية المسلحة تمثل أكثر من (95%) من المجاهدين المسلحين الذي صار عددهم عشرات الآلاف مع حلول (1994).
- قتل أبو عبد الله أحمد هو الآخر في ظروف غامضة.. وصدر بيان عن بعض أعضاء مجلس شورى الجماعة الإسلامية المسلحة بتولي (أبو عبد الرحمن أمين) قيادات الجماعة وتوالي البيعات له من قبل قيادات الفصائل.. ولم يكن بوسع المؤيدين للجهاد في الجزائر في الخارج إلا أن يؤيدوهم ويدعوا لهم وكان ذلك أواخر(1994) أو أوائل (1995)...
- ومع تولي أبو عبد الرحمن أمين قيادة الجماعة. بدأت بوادر تغير في منحى السياسات والبيانات والعمليات في الجماعة الإسلامية المسلحة ومن ذلك.. - فقد كثرت البيانات الصادرة عن الجماعة، و تصعدت المواجهة مع الشرائح المدنية و الاجتماعية ذات العلاقة البعيدة مع هيكل الدولة أو السلطة.. وتوعدها بالقتل، مثل أجهزة الإعلام..بدءا من الوزير ووصولا إلى باعة الجرائد في الشارع. ومثل قطاع التعليم كذلك.. وصولا للأساتذة والمدارس والطلاب.. وكذلك وزارة الطاقة وصولا للعمال الذين يملؤون السيارات بالوقود !!.. وهكذا..

- التجرؤ على إصدار الفتاوى باستحلال قتل النساء والأطفال من أسر العاملين في أجهزة الدولة..

- تصعيد المواجهة مع المليشيات المدنية المرتبطة بالحكومة و اتخاذها هدفا أساسيا..

- إرتفاع لهجة التكفير في الخطاب العام.. وغير ذلك من هذه التوجهات الخرقاء.

- خلال سنة (1995)، تداعت قيادات الجبهة الإسلامية للإنقاذ اللاجئة في الخارج، وقيادات الأحزاب السياسية الإسلامية والعلمانية وحتى الشيوعية إلى مؤتمر برعاية الفاتيكان في روما لتشكيل تحالف سياسي، يعرض حل أزمة الجزائر سياسيا، ولكن فطنة الحكومة أجهض تلك المبادرة الغربية المشبوهة بتركيبتها ومكان انعقادها..

- أواخر سنة (1995).. تجرأ أبو عبد الرحمن أمين وقياداته المنحرفة المجرمة على اغتيال الشيخ محمد السعيد و عبد الوهاب العمارة وغيرهما من الأفراد المنتمين لجماعة الطلبة والذين كانوا قد دخلوا بموجب الوحدة في الجماعة، وكانوا يطلقون عليهم اسم (جماعة الجزأرة) وهو اسم كان قد أطلقه عليهم محفوظ النحناح انتقادا لمنهجهم.. فقتلوهم بدعوى تحضيرهم للانقلاب على قيادته وبدعوى الحفاظ على الهوية السلفية للجماعة بزعمهم.. ومن هناك بدأت حقيقة الإنحرافات عن مسار الجماعة تتكشف.

- ثم أتبعت تلك القيادة تلك الجريمة بإصدار كتاب بعنوان (هداية رب العالمين) بتوقيع أبو عبد الحمن أمين على أنه منهج الجماعة الإسلامية المسلحة..وقد حمل الكتاب من فنون الجهل وألوان التطرف والتكفير والانحراف ما جزم بالهوية المنحرفة الجديدة للجماعة في عهد أميرها هذا، و وضحت أبعاد الكارثة التي حلت بقيادة الجماعة المسلحة. ثم أتبع عبد الرحمن أمين ذلك بتوجيه مقاتليه إلى المجازر الجماعية في المدنيين في القرى المجاورة لهم بدعوى أنهم انخرطوا في المليشيات الحكومية، فكفرهم واستباح قتلهم وسبي نسائهم..على أنهم مرتدين..!!!

- ومع تكشف الحقيقة والتوجه الإجرامي والمنحرف للقيادة الجديدة للجماعة الإسلامية المسلحة..انفض عنها المؤيدون في الداخل والخارج. وأصدرت الشخصيات والجماعات الجهادية البارزة التي أيدت الجماعة المسلحة خلال مسارها وصدرت بيانات عديدة بذلك من مختلف

الجماعات والشخصيات الجهادية. كما بدأت الكتائب والفصائل الجهادية في الداخل تنفض عنها في لتنغمس أكثر فأكثر في حمامات الدم المروعة المخزية.. ثم اشتعل القتال بين الجماعة وبعض تلك الفصائل المنفصلة عنها..

- قتل الجهاديون من (جماعة جبل الأربعاء) كما كانوا يسمون، وهم من جماعة الشيخ محمد السعيد رحمه الله، قتلوا (أبا عبد الرحمن أمين).. و ليتولى بعده سفاح أكثر إجراما منه قيادة الجماعة الإسلامية المسلحة، وهو المدعو (عنتر الزوابري)، الذي تابع مسلسل الإجرام، ولكن بعد أن ضعفت الجماعة وقلت إمكانياتها.. واستمرت في منهجها بعد أن عزلت في مناطق محدودة إلى أن قتل هذا الأخير سنة (2003) فيما بعد في الجزائر...
- مع تشرذم الجهاديين وتقسمهم، وبعد انفضاض الناس عنهم وزهدهم بالمشروع الجهادي بل والإسلامي.. وصلت مخططات النظام الى أن أطلقت برنامجا للإستسلام بدعوى العفو عن المسلحين الذين يلقون سلاحهم.. وكان جيش الإنقاذ بقيادة (مدني مزراق) أول المستجيبين لما عرف بنداء (الوئام الوطني).. وتبرع عدد من علماء المسلمين في الخارج من أمثال ابن باز وابن عثمين والألباني،ليدعموا نداء الدولة للإستسلام، و خرج الألباني بآخر فتاويه قبل أن يتوفى سنة (2000)، ليعلن أن أحداث الجزائر أكبر شاهد على ما ذهب إليه من قول: (أن الخروج على الحكام في هذا الزمان، هو في حقيقته خروج على الإسلام ذاته !!!). واختلط الحابل بالنابل في ساحة الصحوة الإسلامية كلها بسبب التجربة الجهادية الجزائرية.. لتصبح شاهدا لكل من يريد أن يدلل على رأيه في فشل خيار العمل المسلح وليصبح النموذج عبرة لمن يعتبر.

و لقد بدا أن الغالبية الساحقة من المسلحين والجهاديين قد نزلوا من الجبال بفعل ما سمي بمشروع الوئام الوطني، وبقيت مجموعات هنا وهناك في الجزائر تريد متابعة المواجهة مع النظام الذي خرج بانتصار باهر على الإسلاميين و الجهاديين.

ثم ظهرت إلى العلن جماعة أطلقت على نفسها اسم (الجماعة السلفية للدعوة والقتال) بزعامة أميرها (حسن حطاب)..بدا من خلال بياناتها أنها وعت بعض عبر ذلك الدرس القاسي، فركزت في بياناتها على نفي أفكار التكفير والغلو، وعلى تركيز المواجهة مع أجهزة السلطة العسكرية والأمنية وإبراز الأهداف العامة من أجل إقامة الدولة الشرعية..إلا أن معظم الأوساط الجهادية بدت حذرة من ذلك، فقد كانت الصدمة بما حصل هائلة. وقد نقلت وسائل الإعلام ومازالت بعض أخبار عمليات تلك الجماعة ومن أبرزها بعض عمليات اختطاف للأجانب و مفاداتهم بمبالغ ضخمة..

كما أن الجهاديين الجزائريين الذين أموا أفغانستان، حاولوا بدورهم تجميع أنفسهم وترتيب أوراقهم لإعادة العمل في قضيتهم، وشكلوا شبه تجمع كان يصارع ظروفا صعبة من أجل إحياء مثل تلك القضية. و بدت بعض علامات التوفيق والتسديد على بعض الناضجين منهم..ولكن أحداث سبتمبر عاجلتهم كما عاجلت الجميع بما هو معلوم..

9. التجارب الجهادية في اليمن (1990- 1998):

أ. تجربة أسامة بن لادن (1990- 2001).

ب. تجربة أبو الحسن المحضار الجهادية - جيش عدن أبين (منذ 1998).

لطالما اعتقدت أن اليمن من أكثر مناطق العالم العربي جاهزية لأن تقوم فيها حركة جهادية تتوفر لها معظم عناصر النجاح السببية.. ولاسيما بعد قيام الوحدة.. وقد كتبت في ذلك بحثا خاصا من نحو (40 صفحة)، وهو بعنوان (مسؤولية أهل اليمن عن مقدسات المسلمين وثرواتهم)، حيث أثبت فيه ذلك وحرضت عليه.

فمساحتها الشاسعة التي تقارب (400 ألف كم مربع) وسواحلها الطويلة التي تزيد على (2500 كم) وتحكمها بمضيق باب المندب، وانفتاحها على السعودية ودول الخليج من جهة وعلى القرن الإفريقي وما يوفره من الذخيرة والسلاح في شرق إفريقيا.. وكثافتها السكانية التي تشكل نحو (70%) من عدد

سكان جزيرة العرب، أي زهاء 25مليون من أصل نحو 40 مليون تقريبا، و طبيعتها الجغرافية المتنوعة والوعرة التي تنتشر فيها الجبال وتعتبر من أصلح المناطق لحروب العصابات الجهادية. وكذلك طبيعة السكان المحافظة المتدينة وبنيتها القبلية السليمة من تحطيم الحضارة الحديثة وسلبيات الطابع المدني الصناعي. وانتشار السلاح وارتباطه بتقاليد الحياة الاجتماعية. حيث تفيد الإحصائيات الرسمية بوجود أكثر من (70مليون) قطعة سلاح بيد رجال القبائل والسكان. غير ما لدى الحكومة، أي بمعدل أكثر من (3قطع) سلاح لكل مواطن بما فيهم النساء والعجائز والرضع! كما أن الصحوة الإسلامية فيها قديمة و متجذرة وتعود إلى مطلع الخمسينات كما أنها متنوعة تشتمل على معظم مدارس الصحوة المعروفة من الإخوان إلى السلفية إلى السرورية إلى التبليغ والدعوة إلى الصوفية إلى آخر ذلك. هذا بالإضافة لطبيعة السكان الذين ميزتهم الشكيمة والقدرات القتالية حيث استعصت اليمن على مختلف أشكال الإستعمار زمنا طويلا ولم تتمكن الدول الاستعمارية من الاستقرار فيها، كما حصل للبرتغاليين ثم الإنكليز ثم العثمانيين ثم الجيش المصري في عهد عبد الناصر..

وفي التجربة الجهادية العريقة في أفغانستان (1984-1992) كان الشباب المجاهد اليمني يشكل ثاني أعلى إحصائية من بين الشباب العرب الذين قدموا للجهاد الأفغاني، وكذلك في شوطهم الثاني (1996-2001).. وقد كانوا مثالا للإقدام والشجاعة وخصال الفروسية و أصالة العروبة.

أما من الناحية الإقتصادية فأكثر من (70%) من السكان يعيشون تحت خط الفقر وسقف القهر، فيما يرتع أكثر باقي سكان جزيرة العرب إلى جوارهم في نعيم مما وهب الله تلك الجزيرة من الثروات التي هي ملك المسلمين عامة وأهل الجزيرة خاصة، وهم سوادها الأعظم.

فكما ترى فإن الأسباب الشرعية والاقتصادية والسكانية والسياسية والجغرافية، وكل ما يعين عادة على تفجرا الثورات الناجحة متوفر فيها، وهنا يكمن العجب من أن لا تقوم فيها مثل تلك الحركة الجهادية، رغم تولي حكومة

مهلهلة يقودها الرئيس المخلوع عبد اللـه الصالح منذ سنين طويلة، بل ويحاول أن يولي ابنه من بعده ملكا على الجمهورية الإشتراكية سابقا، الديمقراطية الأمريكية لاحقا !! ولست هنا في محل بحث ذلك.. والسبب الأساسي في ذلك أن أكثر قيادات الصحوة الإسلامية هم من القاعدين عن الجهاد من ذوي المصالح، وأن أكثر مشايخ الدعوة هم من النفعيين وعلماء السلاطين الذين ألفوا كراسي البرلمانات والاسترخاء في كنف الباطل.. بالإضافة إلى هيمنة سلطة زعماء العشائر والقبائل الذين تعودوا منذ عقود وربما قرون أن يبيع أكثرهم دينهم بدنياهم ودنيا غيرهم.. وقد أثبت هذا بكل جلاء.. تولي قيادات الصحوة الإسلامية وزعماء القبائل الذين يشكلون الثقل الأساسي الذي اجتمع فيما سمى (حزب الإصلاح) إفشال إنتفاضة الشارع الإسلامي فيما عرف بأحداث الدستور سنة (1993) ومكافحة كل ما تلا ذلك من محاولات جهادية..

مما جعل القيادات الشبابية المجاهدة الناشئة عاجزة عن إفراز قيادات ميدانية قادرة على سحب قواعد الصحوة الإسلامية والقطاع الكبير ذي الحجم المليوني في اليمن وراءها..

ومشكلة اليمن كما هي مشكلة العالم العربي والإسلامي باختصار في كلمتين.. خور العلماء وعجزهم وجهل العوام وضياعهم واستحواذ حب الدنيا وكراهية المواجهة على الجميع.. إلى أن يأذن اللـه بالفرج.. ونعود للموضوع:

بعد عودة الشباب المجاهد اليمني من أفغانستان مطلع التسعينات.. وعلى مدى العقد الأخير من القرن العشرين.. قامت محاولات جهادية عديدة في اليمن فشلت كلها لما أوجزت من الأسباب. وكان ابرز تلك المحاولات وأكثرها جدية، محاولة أسامة بن لادن منذ (1990) لتكون أرضية جهادية في اليمن..

وحركة ما عرف بجيش عدن أبين التي تزعمها أبو الحسن المحضار رحمه اللـه أواسط سنة (1998)..

أ. نبذة مختصرة عن المحاولات الجهادية أسامة بن لادن في اليمن:

- ينحدر أسامة بن لادن من أصل يمني جنوبي من حضرموت.. فهو أحد أبناء محمد بن لادن الذي هاجر من اليمن إلى السعودية مع بداية حكم الملك عبد العزيز.. واستوطنها مكونا أسرة قريبة من آل سعود، و تمتعت بنفوذ مالي وسياسي واسع فيها منذ ذلك الوقت وإلى اليوم..
- وخلال الجهاد الأفغاني ضد الروس حرص أسامة على تكوين مجموعة منظمة حوله ركز فيها على العناصر الجهادية من جزيرة العرب ولاسيما من السعودية واليمن.. وفي التسعينات كانت معطيات التحرك الجهادي ضد الحكم الشيوعي في اليمن الجنوبي قبل الوحدة جاهزة.. فكثير من اليمنيين الشماليين من الإسلاميين والقبائل يؤيدون ذلك، كما أن ذلك يلقى دعما كبير من كبار التجار(الحضارمة) ذوي القدرات الإقتصادية الكبيرة في السعودية، ومن الصحوة الإسلامية عموما، والتي تكن العداء للشيوعية عامة وفي جوارهم في اليمن خاصة.. ومع توافد عدد من المجاهدين اليمنيين من أصل جنوبي أثناء الجهاد العربي في أفغانستان..
- كان المشروع الجهادي الخاص والرئيسي لأسامة، هو إحداث حركة جهادية في اليمن الجنوبي.. وقد باشر ذلك في سنة (1989-1990) واستمر في محاولته إلى قيام الوحدة.. ورغم أن عددا من الجهاديين المقربين من أسامة أيامها قد حرضوه على الشروع في ذلك الجهاد مباشرة.. إلا أنه تردد بانتظار إقناع قيادات الصحوة في اليمن ولاسيما الإخوان المسلمين من أمثال الشيخ عبد المجيد الزنداني بالانخراط فيها.. وما كان لأولئك أن يفعلوا.. وضاعت فرصة ذهبية فيما يعتقدون.
- ومنذ قيام الوحدة كان مشروع أسامة بن لادن قد تحول إلى المحاولة على مستوى اليمن الموحد. وشكلت مشكلة الصراع على دستور اليمن الموحد، وتناقض الإسلاميين و العلمانيين فرصة لإعلان الجهاد على علي عبد الله صالح وحكومة اليمن الموحد حديثة النشأة.. وقد تحرك أسامة لاستغلال تلك الفرصة.. وقدم إليه عدد من مشايخ اليمن كان في طليعتهم الشيخ

المعروف (عمر سيف) والذي وضع اسمه على كتاب يثبت كفر الدستور، كان قد كتبه بعض المقربين من أسامة، وأثبتوا فيه أيضا كفر الحكومة القائمة عليه وشرعية جهادها.

- وسعى أسامة إلى مشايخ اليمن وكبار دعاتها من السلفية وعلى رأسهم الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي).. وإلى الإخوان وزعمائهم.. وبذل أموالا طائلة في تأليفهم وتأليف بعض القبائل على المشروع. ولكن جميع أولئك وقفوا ضده.
- فأما الشيخ الزنداني، فقد أجهض مظاهرة المليون مسلح التي توجهت إلى بوابة القصر الجمهوري، وكان على رأسهم مع زعماء الإخوان وغيرهم.. فقد دخل القصر مع البعض مفاوضا للرئيس.. وخرج إلى المتظاهرين المسلحين المطالبين بسقوط الدستور والحكومة وبتحكيم الشريعة، ليقول لهم (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليعد إلى بيته..) وانفرط الجمع ليصبحوا في اليوم التالي وقد صار الشيخ عبد المجيد الزنداني أحد نواب الرئيس وأحد حكام اليمن الخمسة الذين شكلوا مجلس الرئاسة برئاسة علي عبد الله صالح!!. وعضوية الاشتراكيين الملحدين بحسب مذهب الشيخ القديم!! وتوزع كبارزملائه في الإصلاح ما بين وزير ونائب برلمان.. تحت الدستور الطاغوتي المشرع من دون الله والذي كتب في أعلاه دين الدولة هو الإسلام والشريعة مصدر الدستور والقوانين)!!

وأما الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي) فكان موقفه أنكى وأشد ضراوة على خوارج اليمن.. فقد كتاب كتابا وصف فيه أسامة بن لادن على أنه رأس الفتنة في اليمن. وكانت أشرطته بالغة العداء في الهجوم عليه، وفض الناس عن مشروعه تباع على الأرصفة إثر خطب الجمعة، حيث كان يقول أن بن لادن أرسل له أموالا بدعوى الجهاد ابتغاء الفتنه.. فزوج بها الشباب واشترى كتبا للمساجد!!

كما روى شباب مجاهدون من اليمن أن الوادعي شيخ السلفية!! لم يترك أحدا من رموز البدعة من تجريحه في حينها.. فهاجم قيادات الإخوان و

السروريين والصوفيين و الجهاديين.. في حين كان يثني على (علي عبد اللـه صالح) ويصـفه دائما بالأخ الرئيس.. ويؤكد على طاعته لولي أمر مسلم!! وقد روي من أسامة أمام بعـض أتباعه ذات مرة قوله، بأنه لو سامح كل من آذاه في حياته، فلن يسامح الوادعي.

وأما أكثر قيادات الشباب الجهاديين الذين جندهم أسـامة ودربهـم في أفغانسـتان.. فقد استمالهم علي عبد اللـه صالح بأن أعطاهم رتبا في الجيش اليمنـي وأدخـل مـن أراد السلك العسكري.. والوظائف المدنية، فركبوا السـيارات وتولـوا المناصـب.. وبلـغ بـأبرزهم أمثال(الفضلي) و(النهـدي) أن يعمـلا في سـلك الإسـتخبارات والحـرس الجمهـوري كـأقرب المقربين من علي عبد اللـه صالح !! وتلخص هذه الأمثلـة الثلاثـة الإخوانيـة والسـلفية و الجهادية في اليمن، نموذجا للمشكلة الأساسية في اليمن.. التي كان هذا حال أبرز علمائهـا وقادة صحوتها ومجاهـديها. الـذين افتقـروا إلى التربيـة المنهجيـة الجهاديـة خـلال فـترات إعدادهم التي اهتمت بالتكوين العسكري وافتقرت لأي فكر أو منهج يحصنهم من مثـل تلك الإستدراجات..

- وقامت الوحدة.. وشكلت الحكومة(ومجلسها الرئاسي الخماسي) والبرلمان من أنصار عـلي عبد اللـه صالح وحزبه (المؤتمر الشعبي)، ومن الإسلاميين وعلى رأسهم زعماء الإخوان وبعض رؤساء القبائل الذين كونوا (التجمع اليمني للإصلاح) برئاسة حسـين الأحمـر و الزنداني، ومن (الحزب الاشتراكي) من الجنـوبيين.. وقـد حـاول عـلي عبـد اللــه صـالح ونجح في ضرب الطرفين ببعضهما وتقويه نفوذه ثم تقوى بالإسلاميين عـلى الاشـتراكيين الجنوبيين.. وقام بعـض الجهـاديين في تلـك الفـترة باغتيـال لـبعض رؤوس الاشـتراكيين، الذين خططوا للانقلاب على الوحدة.. ولكن علي عبد اللـه صالح والإسلاميين.. زحفـوا على عدن فيما عرف بحرب الوحدة... وقضوا على محاولاتهم وفرضوا الوحـدة بـالقوة. وكـان أسـامة قـد أمـر أنصـاره وأتباعـه في الـيمن مـن الجهـاديين الـذين عـادوا مـن أفغانسـتان بالـدخول في المعركـة إلى جانـب جـيش الـيمن الشـمالي كـما فعـل كافـة

الإسلاميين في الشمال، على إعتبار أن ذلك سيؤدي إلى كسب مرحلة بالإطاحة بالشيوعية. وفعلا لعب الجهاديين والإسلاميين دورا حاسما وسرعان ما انهارت مقاومة الجنوبيين في عجلة لم تسمح بالتدخل الدولي ولم تستطع السعودية ودول مجلس التعاون الخليجي إنقاذ الشيوعيين في اليمن !! رغم فتاوى ابن باز وهيئة كبار العلماء بوقف الفتنة والصلح بيين المسلمين الشماليين برآسة (صالح) والمسلمين (الشيوعيين) في الجنوب!!

وبحسب اعتقادي ورأي كثير من الجهاديين اليمنيين، فقد كان بإمكان الإسلاميين أن يعودوا إلى الشمال ليفرضوا حكم الشريعة أو يعزلوا صالح ويقيموا الدولة الإسلامية، ولكن الذي حصل هو عودتهم إلى البرلمان وكراسي الوزارات في حكومة علي عبد الله صالح ودستورها العلماني.. وبقى الجهاديون معزولون.. فقد تبع أكثرهم قيادات (الصحوة !!) من السلفية و الإخوانية ! و السرورية !! في حين آثر كثير منهم الرتب العسكرية والمناصب الحكومية والمنافع الشخصية حيث نجح (الشاويش علي صالح....) باستمالتهم إلى النظام.

- وكان أسامة قد إنتقل إلى السودان.. وانهمكت القاعدة في أعمالها الاستثمارية والاقتصادية فيما اعتقدوا أنها دولة إسلامية تجب نصرتها بزعامة الرئيس البشير و(الإمام) حسن الترابي!! بحسب اعتقاد بعض أعضاء اللجنة الشرعية للقاعدة آنذاك!! كما شارك بعض عناصرها في الجهاد في الصومال إلى جانب الفصائل الإسلامية وشاركوا بفاعلية في إقناع الأمريكان بالانسحاب من أوحال رماله الصحراوية..

كما كان لأتباع أسامة وبعض الجهاديين عمليات محدودة، على بدايات أمريكية لإقامة قاعدة عسكرية في عدن حيث أقنعت عدد من صواريخ الكاتيوشا التي أطلقوها على أعمال الإنشاء الأولية للقاعدة، أقنعت الأمريكان بالعدول عن المشروع..

ولم تقم بعد ذلك للجهاديين من أتباع بن لادن أي محاولة تذكر للتحرك الجهادي في اليمن منذ(1994).. حيث تحول فيما بعد لجهاد أمريكا.

- ولما عاد بن لادن إلى أفغانستان أواسط (1996).. بدأ الشباب المجاهد من اليمن ينضمون إلى الشوط الثاني للأفغان العرب في أفغانستان.. بمن فيهم أنصار أسامة الذي صرح لجريدة القدس العربي سنة 1997.بأن محطته القادمة جبال اليمن. وعاد مشروعه للانتعاش في اليمن ولكن من خلال إستراتجيته الجديدة ؛ محاربة رأس الأفعى أمريكا، والإعراض عن الدخول في مواجهات مع أذيالها ومن بينهم الذيل الصغير القزم عبد الله صالح في المنطقة الهامة اليمن.
- وفي سنة(1999) فيما أذكر.. قامت خلية من القاعدة بالهجوم الانتحاري على المدمرة الأمريكية (كول) التي كانت تتزود بالوقود في الموانئ اليمنية.. وصعد هذه المواجهة مع الإستخبارات اليمنية التي دخلت في حرب مكافحة الإرهاب إلى جانب أمريكا.. واعتقل الكثير من الجهاديين ومن بينهم بعض أنصار بن لادن. واشتدت الحرب ضراوة. واضطرت حكومة علي عبد الله صالح إلى الإفراج عن بعض أتباع بن لادن فيما قيل أنه جاء بعد رسالة تهديد منه إلى صالح وتذكيره بأن معركة القاعدة ليست مع الحكومة اليمنية و بإمكانها أن تجعلها كذلك..
- وفي أواخر سنة (2001) قبيل سبتمبر بقليل جمع بن لادن كبار أنصاره في قندهار ليبلغهم أن يحزموا حقائبهم.. وأنه قد آن الأوان للرحيل إلى اليمن.. وفيما كانت الإشاعات والدهشة والأمل تتداول في ساحة الأفغان العرب حول هذه النقلة.. دوت انفجارات سبتمبر 2001.. ليتبع ذلك..

وتبع ذلك مطاردة الجهاديين في اليمن بدعوى انتماء كل أمة محمد صلى الله عليه وسلم.. وكافة أعداء أمريكا من المخلوقات إلى القاعدة بحسب الإعلام الأمريكي وبرامج مكافحة الإرهاب..

ونال الجهاديين في اليمن قسط كبير من هذه المطاردة، وسقط العديد من المقاتلين من القاعدة وغيرهم بين صريع وأسير في معارك مكافحة الإرهاب في اليمن بقيادة أمريكا وتنفيذ عناصر من الجيش والإستخبارات اليمنية.. وتمكنت طائرة أمريكية من تدمير سيارة بصاروخ جو أرض وبموافقة ومعاونة من

الإستخبارات اليمنية وجواسيسها.. فقتلت أبو علي الحارثي وخمسة من رفاقه في إحدى قرى اليمن.. ثم تتابعت أخبار المطاردات التي كان تصل لحد المعارك الطاحنة بين حين وآخر..

ب. تجربة جيش عدن أبين بقيادة أبي الحسن المحضار منذ(1998):

- كان أبو الحسن المحضار زين العابدين- وهو من أشراف اليمن- يتحلى بنفس جهادي متقد أبت عليه أن يتحمل تلك الأوضاع في اليمن خلال العقد الأخير من القرن الماضي.. وقد سمعت بعض الروايات من أخوة يمنيين أنه كان قد التقى أسامة من أجل إقناعه بإشعال شرارة الجهاد في اليمن ولكنه لم يتوصل معه إلى اتفاق حول كيفية وتوقيت ذلك.

ثم طاف أواسط التسعينات على بعض البارزين من علماء الصحوة في (السعودية) لتحريضهم على دعمه في مشروع للجهاد في اليمن ولكن أحدا لم يجبه إلى ذلك.. بل ذهب كبار المشرفين على تدريس العقيدة ورئاسة أقسامها في الجامعات السعودية، والذين ملؤوا صفحات الكتب وأشرطة الدروس العلمية بخصائص العقيدة الصافية ومنهج دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. ذهبوا في محاضراتهم ومواقفهم إلى التصريح بأن أفضل سبل الدعوة في اليمن هو الخيار السلمي!! كما أيدوا المسار الديمقراطي في تركيا وشمال أفريقيا وسواها..

- وفي أواخر (1997) بدأ يشكل مجموعة مسلحة وتنظيما مستقلا باسم (جيش عدن أبين)، تيمنا بالحديث الشريف الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يقول فيه (يخرج من عدن أبين اثنا عشر ألفا هم خير من بيني وبينهم).

ولما تجمع معه عدد من الرجال قيل أنهم بلغوا نحوا من مائتي رجل.. حمل السلاح ومضى برجاله إلى منطقة جبلية وعرة وأنشأ معسكرا له ولجماعته لبدء الحشد لجهاد الحكومة اليمنية... ولكن كبار الدعاة ومشايخ ما يسمى بالصحوة ركزوا جهودا كبيرة على إقناعه بالعدول عن خروجه ذلك وأنه ليس على المنهج السوي المصطفى.. ولكنه أبى. فلعب الدعاة من مختلف مدارس الصحوة

دورا مهما في تقويضه وإنزال من استطاعوا من أنصاره وإقناعهم بعدم جدوى المحاولة. وبدأ الشباب ينفضون عنه.. وكان أكبر الخذلان الذي أثر في إنزال كم منهم، ما جاء من طرف بعض الجهاديين وبعض قدماء الأفغان العرب من اليمنيين بدعوى أنها حركة متعجلة وغير ناضجة، ولا برنامج لها. وبدل أن يضم الناصحون له من الإسلاميين و الجهاديين جهودهم إليه لترشيد حركته، كان موقفهم سلبيا، كما بلغني من عدد من الرواة.

وفي صيف (1998) إعتقلت الحكومة اليمنية عددا من الجهاديين من شباب اليمن بالإضافة لعدد من الجهاديين من العرب اللاجئين إليها فقام أبو الحسن المحضار باختطاف عدد من السياح الأجانب للضغط على الحكومة للإفراج عنهم ولكن الحكومة على عكس عادتها في التراضي مع رجال القبائل الذين كثيرا ما اختطفوا سياجا بهدف الحصول على مطالبهم.. اتخذتها فرصة للقضاء على تلك الحركة الوليدة، فحاصرت المنطقة وصعدت الموقف حتى وصل للاشتباك، وقد دفعت إليه في طليعة وحداتها من استطاعت من الدعاة والعلماء لإنزال من يستطيعون من الجبل وإقناعهم بالاستسلام. ولما بدأت الهجوم عليهم لم يكن قد تبقى معه إلا بضعة عشرات من الرجال.. فقتل بعضهم وقتل بعض الرهائن.. حيث وصلت بعض الأخبار أن من معه رفضوا إعدام الرهائن لما بدأت الحكومة الهجوم فلم يقتل إلا واحد أو اثنين منهم، وقبض على أبي الحسن المحضار.. وتولت بريطانيا وبعض الدول الغربية الضغط الشديد على حكومة اليمن من أجل إعدام أبي الحسن المحضار.. الذي أعلن عن إعدامه في صيف عام (2000) فيما بعد..

10. محاولات بناء تجمعات جهادية في المغرب منذ(1995) وتجربة (الجماعة الإسلامية المجاهدة في المغرب):

- كما ذكرت آنفا فقد كانت التجربة الجهادية المسلحة في المغرب ضد الحسن الثاني التي قامت بها منظمة (الشبيبة المغربية)، بزعامة الشيخ عبد الكريم مطيع .. إحدى المحاولات المبكرة جدا في العالم العربي. بل لقد سبقت بواكير ميلاد الإرهاصات الفكرية للتيار الجهادي المعاصر. وكما ذكرت

سابقا، فإن المغرب تأتي ضمن القليل من بلـدان العـالم العـربي والإسـلامي مثـل بـلاد وسط آسيا واليمن والجزائر وتركيا. حيث تتـوفر فيهـا معطيـات ثـورة جهاديـة مـن حيث الأسباب والمعطيات.

- فالمغرب الأقصى بلد مترامي الأطـراف، وعـر المسـالك، يتـوفر عـلى عـدد مـن الأريـاف والسلاسل الجبلية الوعرة، وتمتد سـواحله لأكـثر مـن (3000) كـم، ويـتحكم بمضـيق جبل طارق. ويرزح شعبه تحت حالة من أشد حـالات الفقـر والعـوز. كـما أن لهـم تاريخا مجيدا في الجهاد والقتال والتاريخ الزاهـر في البـأس والشـجاعة. وهـو شـعب متدين بصرف النظر عن تسرب الفساد إلى بعض مدنه الكبرى عبر سياسة الحكومة في الإنفتاح ونشر الدعارة باسم السياحة. فـمازال للإسـلام حضـوره وقداسـته. وفيـه صحوة إسلامية تعود إلى مطلع الستينيات وتتركب أيضا من معظم مكونات الصحوة الإسلامية المعاصرة ومدارسها، من السـلفية إلى الإخـوان، إلى الصـوفية الحركيـة، إلى الجهاديين. وقد شهد عدد لا بأس به من شباب المغرب الجهاد في أفغانستان، وعادوا إلى بلـدهم دون كبـير مشـاكل، حيـث كانـت سياسـة الداهيـة الحسـن الثـاني، أن يستوعب الصحوة ولا يستفزها. وقد أثبتت سياسته تلـك نجاحـات كبـيرة في تفريـغ الصحوة من داخلها ودفعها أيضا في مجالات الديمقراطية المزيفة الناشئة في المغـرب، وجعل كبـار الـدعاة هنـاك يتراوحـون بـين السـجون التأديبيـة و الإقامـات الجبريـة وكراسي البرلمان. وبعيد انفجـار الثـورة الجهاديـة المعـاصرة في الجزائـر، إثـر إجهـاض نجاحات الإنقاذ، كان المغرب المعبر الأساسي الذي نـزل منـه معظـم الأفغـان العـرب الجزائريين إلى بلدهم.

وقد غض المغرب بداية الطـرف عـن ذلـك كـرد فعـل عـلى تأييـد الحكومـة الجزائرية لجبهة البوليساريو الانفصـالية الداعيـة إلى اسـتقلال الصـحراء الغربيـة عن المغرب. ولذلك فقد تكونت عدد من الخلايا شرق المغرب وفي منطقة الريف وقدمت الكثير من معونات العبور ونقـل السـلاح مـن أوربـا وتقـديم الخـدمات

اللوجيستية للمجاهدين غرب الجزائر. وذلك قبل أن تستحوذ القيادة المنحرفة في الجماعة المسلحة على تلك القضية كما روينا.

- وهكذا وبفعل تجربة المجاهدين الأفغان العرب المغاربة من جهة ورياح التأثير من الجزائر من جهة أخرى، بدأت بوادر تشكيل النواة الجهادية في المغرب، الذي توقعت له مراكز الدراسات الإستراتيجية المتابعة لشؤون الإسلام في شمال أفريقيا في أوربا ولاسيما في فرنسا.. توقعت أن تنطلق الثورة الإسلامية في شمال أفريقيا من المغرب أولا. وقد قرأت بعض التقارير الصادرة في فرنسا التي تعبر عن دهشتها لانطلاقها من الجزائر قبل المغرب.

- وقد جرت بعض المحاولات الجهادية غير الناضجة من قبل البعض بضرب بعض السياح الغربيين والقيام ببعض العمليات النادرة على بعض أعضاء الجالية اليهودية في المغرب والتي تستولي على مراكز النفوذ السياسي والإقتصادي والإعلامي فيه، وتدفع به في خطوات محمومة نحو التطبيع مع إسرائيل.

- ومنذ منتصف التسعينات بدأت محاولات جادة لتشكل خلايا جهادية و نويات تنظيمات داخل المغرب وخارجها.. فقد وصلت رياح التيار الجهادي بقوة إلى المغرب على هامش الجهاد في الجزائر.. كما أن خطوات التطبيع اليهودي والتغريب الصليبي أخذت شكلا جديا ومكشوفا مع وصول الملك محمد السادس ولي عهد أبيه إلى الحكم بعد وفاة والده.

- أواسط التسعينات.. تمكن عدد من شباب التيار الجهادي المغربي من تكوين نواة لتنظيم جهادي للعمل في المغرب.. ويبدو أن بوادره الأولى قد تشكلت في أوساط المهاجرين المغاربة في بعض الدول الأوربية، وقد كان فيهم بعض الأفغان العرب المغاربة، وانتقلت لعدة دول أخرى حيث تشكل الجالية المغربية المهاجرة في أوربا شريحة ضخمة ربما ناهزت خمسة ملايين مهاجر، يتخذ أكثرهم من فرنسا وبلجيكا وهولندا ودول وسط أوربا مهجرا أساسيا، فيما تتواجد جاليات ليست بالقلية في باقي الدول الأوربية، وقد أصدرت الجماعة منهجا وعدد من الأدبيات بصورة أقرب

إلى السرية، ونشرتها في أوساط الجاليات المغربية في أوربا، ووزعت على نطاق محدود داخل المغرب. وقد اطلعت على بعض تلك الأدبيات، وهي في مجملها تسير وفق نفس منهج التيار الجهادي الذي ساد تلك الفترة.

- ولما قامت الإمارة الإسلامية في أفغانستان أيام طالبان، ورحل كثير من الجهاديين من ملاذات أوربا إليها، قامت هذه المجموعة بافتتاح معسكر وعدد من المضافات لها في أفغانستان، وبدأت مشوار الإعداد العسكري والتربوي الشامل، وكذلك إعداد وتدريب الكوادر من القادمين من أوربا أو من المغرب ذاتها. وقد شارك هؤلاء المجاهدون المغاربة كغيرهم في دعم الإمارة الإسلامية ومساندتها.. ولما جاء سبتمبر ضمهم الجمع الذي انخرط في معركة الدفاع عن النفس وعن الإمارة الإسلامية، حيث أخذوا حظهم من البلاء، فقتل البعض وأسر آخرون وتفرق الباقون مع القليل الذي نجا من ذلك الأخدود.

- وفي أواخر (2003) تناقلت وسائل الإعلام أنباء انفجارات هائلة استهدفت بعض الأهداف الغربية في الدار البيضاء، وقد نفذها إنتحاريون، وقد ذكرت وكالات الأنباء نقلا عن المصادر الحكومية المغربية الرواية الوحيدة للحدث. ونسبته إلى ما أسمته (السلفية الجهادية).. كما ورد أن المسؤول عنها بعض من وصفتهم بالتكفيريين، على حد زعم تلك الوسائل ولم يمكنني معرفة المزيد عن ذلك..

- ولكن المهم الجدير بالذكر أن أجهزة الأمن المغربية قامت على هامش تلك الأحداث التي لم يتوفر لي عنها روايات يمكن الوثوق بها.. قامت باعتقال مئات الشباب فيما عرف باسم (تيار السلفية الجهادية) وقد أصدرت المحاكم المغربية أحكاما كثيرة من أحكام الإعدام وفترات السجن الطويلة.. كما اعتقل في تلك الهجمة عدد من أبرز الدعاة السلفيين و الجهاديين في المغرب ممن لا علاقة لهم بتلك الأحداث.. فيما بدا أنه عمليات إجهاض مبكر لأي إمكانية مفترضة لتكوّن ظاهرة جهادية تتوفر لها كافة المعطيات في ذلك البلد المنكوب..

11. تجربـة الأفغـان العـرب اللبنـانيين في جبـال النبطيـة بقيـادة أبـو عائشـة اللبنـاني (1999):

كان المجاهدون اللبنانيون من الأفغان العـرب مـن ضـمن الجنسـيات التـي حضرت منها أعداد قليلة إلى أفغانسـتان. وقـد تميـزوا بالإضـافة إلى مشـاركتهم الميدانيـة بالدماثـة والأخلاق.. وكانوا من بين الجنسيات التي استطاع أصحابها العودة إلى بلادهـم دونمـا كبـير مشاكل.. وقد تعرض البعض منهم إلى الاعتقال والتحقيـق والسـجن إثـر إقـدام مجموعـة صغيرة منهم على اغتيـال أحـد قيـادات الحركـة الدينيـة الشـاذة في لبنـان والتـي تنسـب لمؤسسها (حركة الأحباش). وكان القتيل نائب في البرلمان اللبناني.. وبحسب روايات الإخـوة اللبنانيين فإن تلك الحركـة كانـت تقـدم خـدمات كبـيرة للاسـتخبارات السـورية في لبنـان وتؤذي الشباب المسلم، كما تميزت بالعدوانية، وطاردت شباب أهل السنة و الجهـاديين في مساجدهم وآذتهم. ثم ألقي القبض على تلك المجموعة ونفذ فيها حكم الإعـدام، بعـد أن أبدى عناصرها بطولة وثباتا نادرا في تصريحاتهم في المحكمة وأمام الصحافة وأثنـاء عمليـة الإعدام.. حيث شيعة طائفة السنة أجسـادهم الطـاهرة في موكـب مهيـب جسـد مشـهدا لوحدة صف حركاتها المتعددة في لبنان..

- ثم تابع بعض أفراد تلـك المجموعـة عمليـات الـدعوة لأفكارهـا الجهاديـة السـلفية في مختلف المناطق اللبنانية ولاسيما في منطقة شمال لبنان قرب مدينة طرابلس وجبال النبطية، وكان هدفهم بحسب تصوراتهم التي رسمها أمـيرهم (أبـو عائشـة اللبنـاني) هي القيام بتأسيس حركة جهادية لشباب أهل السنة تعمل على إقامة ثورة إسلامية تهدف إلى تحكيم الشريعة في لبنان.. وتسعى على الأقل إلى إيجاد شوكة لأهل السنة في لبنان..
- كان أبو عائشة اللبناني رحمه اللـه أحد الأفغان العرب القدماء أيـام الجهـاد الأفغـاني.. وكان مهاجرا في الولايات المتحدة وقدم منها إلى أفغانستان.. وعاد بعد انتهاء الجهاد الأفغاني إلى أمريكا ومنها إلى لبنان يحمل في صدره أفكارا وآمالا عـن تأسـيس حركـة جهادية محلية لأهل السنة في لبنان..

- غيرأن فكرته تمشي بعكس الجغرافية والسياسة والتاريخ ومعطيات الواقع، وكان من الأفضل لأنصاره أن يحاولوا العودة للاستفادة من أجواء أفغانستان في أيام طالبان لمتابعة التأسيس والإعداد على مهل. فمعطيات لبنان السياسية والسكانية والإقليمية لا تسمح بأفكاره التي بدت غير موضوعية،نظرا لعدم محاولته تطوير مشروعه الجهادي إلى فكرة إقليمية أوسع تأخذ بعين الاعتبار ما وصلت إليه المواجهة العالمية بين المسلمين والنظام العالمي الجديد، ولكنه – رحمه الله - بدا مصرا ومقتنعا ببرنامجه، وكان يردد باختصار لرفقائه من الأفغان العرب السوريين قوله: لقد جربتم في سوريا.. وجرب إخواننا في مصر وليبيا والجزائر.. دعونا نجرب في لبنان..
- وبعد مدة قصيرة بدا أن كثافة حركة أنصاره الذين ازدادوا من أحاد إلى عشرات، رفع ثقتهم بأنفسهم ودفعهم للتحرك بشيء من العلنية، حيث روى بعض أهالي المنطقة بأنهم كانوا يعرفون بتواجدهم في الجبال، وأن بعضهم كان يتحرك بشكل شبه مكشوف.. فما لبث الجيش اللبناني أن طوق المنطقة وحصلت معارك إستمرت لعدة أيام.. قيل أن بعض وحدات الجيش السوري قد شارك فيها. وأسفرت عن قتل نحو خمسين من الجهاديين.. بينهم أبو عائشة رحمه الله وبعض البارزين من إخوانه من قدماء الأفغان العرب واعتقل بعض من كان له علاقة معهم من مختلف المناطق اللبنانية.

أبرز التجارب الجهادية المعاصرة في وسط آسيا:

12. التجربة الجهادية في طاجيكستان (1992-2000):

- مع انتصارات الجهاد ضد السوفيت في أفغانستان، انتعشت آمال المسلمين في وسط آسيا للتخلص من نير الإحتلال الر وسي الذي بغى عليهم ومنعهم حتى من دينهم. وقد لعبت الأقلية الفرسوانية أو الطاجيكية كما يسمونها في شمال أفغانستان خلال مواجهتها للسوفيت دورا في إيصال بذور الثورة

و شعلة الجهاد إلى ما راء نهر جيحون كما سعت عدد من الأحزاب الجهادية الأفغانية وعلى رأسها حزب الجمعية الإسلامية، والحزب الإسلامي الذي تزعمه حكمتيار إلى العمل على ذلك بإرسال نسخ من القرآن الكريم، والكتب الدينية المترجمة، إلى الخلايا السرية من بذور الحركة الإسلامية في طاجيكستان ليحرضوهم على الجهاد.

- ومع انهيار الإتحاد السوفيتي، كان الحلم الكبير لدى المخلصين من المجاهدين الأفغان والأفغان العرب هو عبور نهر جيجون لك يواصلوا الجهاد ضد موسكو، وهذا ما فعله البعض إثر انسحاب الجيش الأحمر الذي لعب بعض قادة الأحزاب الأفغانية ولاسيما رباني ومسعود دورا مخزيا في حفظ سلامته أثناء الانسحاب، بعد ما أذاق الأفغان ويلات القتل والدمار الكامل لبلادهم. ولكن عددا من المجاهدين العرب والأفغان و الطاجيك.. عبروا النهر ليكونوا طلائع تجربة جهادية زاخرة إستمرت منذ مطلع التسعينات وإلى نهاية القرن العشرين. ولا أمتلك عن تلك التجربة كبير تفاصيل إلا ما اطلعت عليه من بعض المهتمين بها..
- وخلاصة ذلك أن المجاهدين استطاعوا أن يحرروا مناطق شاسعة من طاجيكستان امتدت من حدودها مع أفغانستان إلى حدودها مع أوزبكستان.. وتمكنوا أواخر التسعينات من تهديد العاصمة دوشنبيه ذاتها، حيث تهدد النظام الشيوعي المدعوم من روسيا فعليا بالسقوط، وبحسب شهادة أولئك المجاهدين من العاملين في تلك القضية، فقد تدخلت الإستخبارات الروسية (KGB) في اللحظات الأخيرة وأقنعت القائد الأفغاني الشهير مسعود ورئيسه رباني الغدر بالقواعد الخلفية لأولئك المجاهدين في شمال أفغانستان وأجبرتهم على الانسحاب عن العاصمة حيث استرد النظام أنفاسه.. وجاءت الطعنة التالية من الحركة الإسلامية الطاجيكية ذاتها وزعيمها الأستاذ (نوري) الذي التقى(يلتسن) في موسكو وصورته عدسات التلفزيون وهو يصافحه بحرارة. وجري الإتفاق بإشراف موسكو بين الحكومة الطاجيكية وحركة النهضة الإسلامية بزعامة نوري

على تسوية يستلم بموجبها حزب النهضة بعض الـوزارات ومقاعـد البرلمـان.. وهكـذا جمد حزب النهضة جناحه العسكري الذي كان يشارك في حصـار العاصـمة. وأوجـد هذا شرخا في صف الحركة الجهادية المكونة من الطاجيك و الأوزبك بالإضافة لبعض المجاهدين من وسط آسيا. الذي كان يتزعمهم المجاهد الكبير جمعة باي الأوزبـكي.. الذي انسب إلى الجبال بمـن معـه وواصـل القتـال.. إلى أن اضـطر إلى توقـع تسـوية تضمن له الانسحاب إلى أفغانستان واللجوء إلى نظام طالبان بأسلحته ومن بقي من جنوده.. وهذا ما تم سنة (2000) حيث حضر إلى أفغانسـتان وانضـم إلى مجاهـدي الأوزبـك وحـركتهم التـي أسسـوها سـنة (1998) وأسـموها (الحـزب الإسـلامي لأوزبكستان)، بزعامة محمد طاهر جان. ليسدل الستار على حركـة جهاديـة نوعيـة تبقى كتابة تفاصيلها أمانة في عنق من عايشوها عن قرب تلك الفترة..

13. التجربة الجهادية في أوزبكستان (1998-2001):

تعتبر أوزبكستان القلب النابض للإسلام في آسيا الوسـطى.. وقـد اسـتطاع المسـلمون فيها أن يحافظوا على دينهم ودين آبائهم عن طريق نظام الحجـرات السريـة التـي كانـت تدرس الإسلام خفية، حيث تخرج منه آلاف الحفاظ وطلاب العلـم مـن أوزبكسـتان ومـا جاورها من دول الجمهوريات السوفيتية. و يجاوز عـدد سـكان أوزبكسـتان (25) مليـون نسمة. وفيها أكبر الحاضرات الإسلامية التاريخية مثل بخارى و طشقند و سمرقند و ترمذ.

- بقيت الصحوة الإسـلامية فيهـا حركـة سريـة إلى أن انهـار الإتحـاد السـوفيتي، وحصـل ماسمى بعهد الانفتاح، ولبس الشيوعيون فيها لباس الديمقراطيـة كـما زعـم رئيسـها كريموف عضو الحزب الشيوعي السابق الذي صار رئيسـا للـبلاد ولحـزب ديمقراطـي فيها، مستبدلا الولاء للأمريكان بالولاء للروس..
- وقد قمع كريمـوف الصـحوة الإسـلامية التـي شـبت منـذ (1990) ودخـل في صراع معها، مـما أدى لهجـرة الآلاف إلى دول الجـوار. وبعـد سـنة (1995)

يمم عدد من الشباب المهاجر المجاهد وجهه شطر الشيشان حيث كان المجاهد ابـن الخطاب يعد لمشروع طويـل الأمـد لإزكـاء شـعلة الجهـاد في القفقـاس وسـط آسـيا والجمهوريات السوفيتية. في حين نزلت مجموعة كبيرة منهم إلى أفغانستان في عهـد طالبان، و التحق آخرون بالمجاهدين الطاجيك وقائدهم الأوزبكي جمعة باي رحمه اللــه.. في حـين استخفت مجموعـات أخـرى داخـل أوزبكسـتان تجهـز لانتفاضـة جهادية..

- تزعم المجموعة التي نزلت إلى جوار طالبان أحد الدعاة الشباب مـن جماعـة التبليـغ وكان متحمسا لمشروع جهادي واسع للانتفاضة عـلى نظـام كريمـوف وكـان قـد لمـع نجمـه نتيجـة تصـديه للـرئيس كريمـوف أثنـاء احتفـال خطـابي حاشـد. ثـم فـر إلى أفغانستان، وبايع أمير المؤمنين ملا محمد عمر الذي تبنى مشروعهم واعتـبره ظهـيرا هاما في الشمال أفغاني حيث تقطن جالية أوزبكية وتركمانيـة كبـيرة يبلـغ تعـدادها نحو (5) ملايين نسمة..
- وبالتعاون مـع بعـض الأفغـان العـرب الـذين تحمسـوا للـمشروع الجهـادي الأوزبـكي، وبدعم سخي من طالبان.. نمى مشروع الأوزبك بزعامة محمد طـاهر جـان بسرعـة، حيث تجمع تحت قيادته مئات المقاتلين الأشداء الشباب الذين تخرجوا بدايـة عـلى يـد بعـض المـدربين مـن الأفغـان العـرب ثـم طـوروا إمكانيـاتهم وصـاروا مـن أكـثر المجموعات الداعمة لطالبان تدريبا وتسليحا.
- انضم جمعة باي بعد خروجه من طاجيكسـتان إلى محمـد طـاهر جـان وبايعـه عـلى الجهاد في أوزبكستان وصار نائبه و مسـؤوله العسـكري وذراعـه الأيمـن، وعـاد بعـد ذلك لتنظيم تواجد المجاهدين الأوزبك على حدود أوزبكستان ودخـل طاجيكسـتان ثانيـة، ولكـن محاولتـه كشـفت، كـاد يقتـل مـع جميـع مـن معـه عـلى يـد جـيش قيرغيزستان ولكنهم استطاعوا أن يخطفوا مجموعة من الخـبراء اليابـانيين والأجانـب وأدت المفاوضـات إلى أن يتحصـلوا عـلى فديـة بنحـو (5) ملايـين دولار ويعـودوا أدراجهم إلى أفغانستان!! مما رفع أسهم الحركة عند طالبان.

- وفي أواخر (1999) نزل عـدد مـن المجاهـدين الأوزبـك مـن الشيشـان وبالتعـاون مـع مجموعات سرية هناك قاموا بعدة عمليات تفجير اسـتهدفت منشـآت حكوميـة في أوزبكستان. وردت الحكومة على ذلك بحملة من الاعتقالات فر على أثرها مزيد من الجهاديين والأسر المهاجرة إلى أفغانستان. وقبض على عدد من الجهاديين الأوزبك في عـدد مـن دول وسـط آسـيا وتركيـا.. وسـلموا إلى أوزبكسـتان وحكـم عـلى بعضـهم بالسجن وعلى بعضهم بالإعدام. وتوافد من نجا منهم إلى أفغانستان، وتجمع أولئـك الكوادر حول طاهر جان حيث شكلوا محكـما ومـنظما وحسـن التجهيـز. وأطلقـوا على حركتهم اسم (الحزب الإسلامي لأوزبكستان).
- ونظرا لضخامة الجالية الأوزبكية المهاجرة منذ أيـام الإحـتلال السـوفيتي في عـدد مـن الدول كتركيـا ودول وسـط آسـيا وأوربـا وباكسـتان وبعـض الـبلاد العربيـة ولاسـيما السعودية. حيث استطاع العديد منهم أن يحترفوا التجارة ويتولوا المناصب بعـد أن حصل أجدادهم على الجنسـية السـعودية منـذ أيـام الملـك فيصـل. وقـد أدت تلـك الجاليات دعما ماديا وبشريا وقدرة على الاتصالات والعلاقات العامـة لتـك الجماعـة الناشئة التي جهزت عدة مئات من المقاتلين المدربين.
- أواسط سنة(2001) قرار أمير المؤمنين ملا محمد عمر بناء على مشروع دراسـة كنـت قد قدمته له من أجل تشكيل لواء من جميع المجاهدين العرب والمسلمين مـن غـير الأفغان (من الباكستان والعرب ومجاهدي وسط آسيا).. ووقع اختياره على (جمعـه باي) المسؤول العسكري للأوزبـك لرئاسـة وإدارة ذلـك المشروع الـذي أطلقـوا عليـه أسم اللواء (21) وربطوه بالقيادة العسكرية لجيش الطالبان (قول أوردو). وبطبيعة الحال استعان جمعه باي بإدارته العسكرية الأوزبكية لإدارة ذلـك اللـواء مـع نخبـة من القيادات من العرب و الباكستان و التركستان.
- وقويت مكانة الأوزبك جدا لدى طالبان، ووضع محمد طاهر جـان مشروعـا طموحا لتكوين جيل من الـدعاة وطـلاب العلـم الأوزبـك لتتحـرك ضـمن

الجالية الأوزبكية والتركمانية الأفغانية الضخمة العدد في شمال غرب أفغانستان. وكان البرامج يهدف لإعداد مئات الدعاة خلال سنتين كي يتولوا الدعوة ثم يشكلوا ميلشيات أوزبكية مجاهدة هدفها القتال إلى جانب طالبان ومن ثم الإعداد للجهاد في بلاد ما وراء النهر. وهو حلم الأفغان الكبير منذ رحيل الجيش الأحمر عن أفغانستان عبر نهر جيحون إلى داخل الإتحاد السوفيتي.

- وقد علق أمير المؤمنين على ذلك المشروع آمالا كبيرة ودعمه بكل ما أوتي من إمكانيات. وهكذا، ومع بداية موسم القتال صيف (2001). كلف أمير المؤمنين اللواء (21) بقيادة (جمعة باي) بمهام قتالية في شمال أفغانستان في ولاية قندوز و تخار. وفيما كان اللواء المشترك الذي زاد عدد مقاتليه على ثلاثة آلاف من المجاهدين الباكستان و الأوزبك والعرب و التركستان يستعد لأخذ مواقعه والتحرك لميدان المعركة، جاءت أحداث سبتمبر وابتدأ الهجوم الأمريكي على أفغانستان. وقدر الله أن تسقط قذيفة طيران في منطقة قرب مزار شريف على نقطة تجمع للمجاهدين من ذلك اللواء ليستشهد جمعة باي مع (12) من قادة اللواء من أبرز قياداته من العرب و الأوزبك قبل سقوط مزار شريف.

- وتتابعت الكوارث. فبعد سقوط مزار شريف وعملية الخيانة في قندز والغدر بمجموعة من المجاهدين العرب الأوزبك في قلعة مزار شريف في الحادثة المشهورة.. قتل مئات من المجاهدين الأوزبك في الشمال وسقط آخرون في معارك الدفاع عن الإمارة في خط كابل ثم في معركة شاهي كوت الشهيرة قرب مدينة (زرمت) في بكتيا حيث قتل مئات الأمريكان في العملية التي أطلق عليها اسم (أنا كوندا). ثم تشرد الباقون إلى باكستان حيث قتل العديد منهم في الحملات المشتركة للجيش الباكستاني و القوات الأمريكية وأسر آخرون. وتوزع آخرون في مرحلة جديدة من الشتات في مرحلة أخدود ما بعد سبتمبر الذي ما زال يتقلب فيه من تبقى من التيار الجهادي.

14. التجربة الجهادية لمجاهدي الحزب الإسلامي لتركستان الشرقية:

بعد قيام حركة طالبان بإعلان لإمارة الإسلامية بقليل، حضر أفغانستان عدد من الشباب التركستاني المسلم الذين كانوا قد فروا من الحكم الصيني الذي يحتل بلاد تركستان الشرقية ويطارد الشباب الملتزم مستمرا في محاولات الصين هوية ذلك الشعب اليوغوري المسلم..

ومثلهم مثل غيرهم من التجمعات المهاجرة والمجاهدة التي نزلت في جوار طالبان بدأوا يتجمعون حيث برز على رأسهم أميرهم أبو محمد التركستاني (حسن معصوم) رحمه الله - الذي كان قد خرج مطاردا من الصين بعد أن سجن هناك خمس أعوام.

وبعد أن بايع الشيخ أبو محمد التركستاني أمير المؤمنين ملا محمد عمر. لاقت هذه المجموعة دعما و احتراما منه.. ولكنه أمرهم بالتؤدة في حركتهم، والاستخفاء قدر الإمكان لأن الصين كانت على أبواب بداية علاقات توازن مع طالبان تدرس تنفيذ عدد من المشاريع فيها وذلك يحدث توازنا في الصراع على المصالح في أفغانستان ووسط آسيا بين الصين والولايات المتحدة وقد أوشكت الصين على إعادة فتح سفارتها في كابل في عهد طالبان ونمت تلك المجموعة بسرعة لكون عدد من المهاجرين التركستان الشرقيين المتناثرين في دول وسط آسيا الأخرى وتركيا والسعودية وباكستان ليس بالقليل أيضا

وسرعان ما أعدت المجموعة بالتعاون مع بعض المدربين من الأفغان العرب عدد من الكوادر والمدربين الذين مالبثوا أن أنشأوا لأنفسهم معسكرا مستقلا وشاركوا في القتال بفعالية إلى جانب طالبان..

كان أميرهم أبو محمد رحمه الله شعله من النشاط والإخلاص وحسن الخلق وقد انعكس هذا على النمو السريع لتجمعهم كما كان الشباب التركستاني الشرقي من ألين المجاهدين عريكة وأكثرهم إخلاصا وفدائية وحبا لطلب مختلف أنواع العلوم الشرعية والعسكرية

نزل بعض المجهادين التركستان الذين تخرجـوا مـن معسـكرات هـذه الحركـة التـي حملت نفس اسم المجموعة التي قامت بآخر المحاولات وانقرض معظم أعضائها (الحـزب الإسلامي لتركستان الشرقية) نزلـوا إلى الصـين للقيـام عمليـات الحشـد والدعايـة الـذين لا يستطيعون الخروج نتيجة خطر السـفر الـذي تفرضـه الحكومـة الصـينية عـلى المسـلمين التركستان.

كان مشروع التركستانيين الشرقيـين واعـدا خاصـة في ظـل النظـام العـالمي الجديـد.. حيث كـان الكـونغرس الأمـريكي قـد تبنـى مشروعـا لتفكيـك الصـين سـنة(1995) وذلـك باستخدام النزعات العرقية الدينية فيها وعـلى رأس ذلـك التيبـت و اليوغـور المسـلمين في شمال غرب الصين في تركستان التـي احتلتهـا الصـين وأطلقـت عليهـا أسـم (سـيانغ يـانغ) وتعني الأرض الجديد.. فكان مشروع الجهاد في الصين هو المشروع الوحيد الـذي كـان لـه أمل بأن لا يجد مقاومة من هجمة مكافحـة الإرهـاب. كـما أن مجموعـات مـن اليوغـور المسلمين التيارات القوميـة والليبراليـة قـد اسـتوطن أمريكـا وأوربـا وتركيـا وبعـض الـبلاد العربية وراح بعضها يخطب ود هذه المجموعة المسلحة الناشئة في أفغانستان ولكن قرب المجاهدين التركستان من الأفغان العـرب وبيعـتهم لأمـير المـؤمنين وشـهودهم القتـال إلى جانب طالبان ووقوع بعضهم في الأسر لدى قوات التحالف كاد يطبعهم بطابع المطاردين من أمريكا. وأنضم قسم من المجاهدين التركستان إلى اللواء (21) للمجاهدين غير الأفغان وأخذوا مواقعهم إلى جانب المجاهدين من الجنسيات الأخرى في الجهاد إلى جانب طالبان وفيما كان مشروع المجاهدين التركستان أيضا يشق طريقه دوت انفجارات سـبتمبر وأخـذ المجاهدون التركستان مواقعهم إلى جانب رفاقهم من الأفغان وغير الأفغان.

وهكذا أخذ المجاهدون التركستانيون حظهم أيضا مـن الأسرى والمشرديـن وخرجـت بقاياهم لتتابع سيرها في قافلة الفرارين بدينهم من الغرباء على الأرض الباكستانية.

ورغم أن فرصة المغادرة كانت متاحة أمام الشيخ أميرهم أبي محمد التركستاني إلا أنه بقى وفيا لأمير المؤمنين وأفغانستان، وفيا لتركستان مصرا على القرب منها. وبقى في منطقة القبائل في سرحد شمال غرب باكستان.

15. تجربة أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة في مواجهة أمريكا منذ (1996):

كما لا يخفي فإن هذا العنوان يستأهل كتابا مستقلا. لكثرة جزئياته وأهميته التاريخية وليس في هذا الفصل العام حول تجارب التيار الجهادي خلال النصف الثاني من القرن العشرين محل ذلك.. ولكني ولكي يتم الفصل ويشمل أهم تلك التجارب،لا بد وأن أعرض ولو موجزا إلى هذه التجربة التي اِخُتتِم بها ملف تلك التجارب في القرن العشرين وافتتح ملف الصراع في القرن الحادي والعشرين بشكل غير وجه التاريخ والعالم وغير أبعاد المعركة ومعطياتها وأساليبها. وسأعرض لهذه التجربة من خلال فقرات رئيسية مختصرة والله المستعان وهو يهدي السبيل.

وقبل أن أبدأ ذلك أشير إلى أني تفكرت كثيرا في مسألة تصنيف تجربة القاعدة ضمن تجارب التيار الجهادي. أو تصنيفها أم ضمن تجارب الظاهرة الجهادية ضد العدوان الخارجي. حتى كدت أميل إلى أنها صنف ثالث من أصناف الظاهرة الجهادية لاختلافها من حيث التكوين والمنهج والأسلوب. وبعد طول التأمل.. رأيت أن أدرجها ضمن تجارب التيار الجهادي لاعتبارات عديدة من أهمها:

- المنهج الذي آل إلى تبنيه وإعلانه أسامة بن لادن ومعظم أتباعه في آخر المطاف. وهو منهج يمكن اعتباره مستندا إلى أصول ومبادئ منهج التيار الجهادي.
- والأمر الآخر هو أن أكثر كوادر القاعدة ومؤسسيها ومدربيها ورجالها الأساسيين هم من كوادر التيار الجهادي الذي التحقوا بالقاعدة عضويا، أو أنها استندت إليهم في تكون عناصرها.

- والأمر الثالث هو أن أسامة جعل من مواجهة حكومة آل سعود أحد شطري اتجاهه وأهدافه بالإضافة لمواجهة أمريكا وهذا من توجهات تنظيمات التيار الجهادي في مواجهة حكام بلاد العالم العربي الإسلامي. حيث اعتبرهم مرتدين عن ملة الإسلام، مستندا في ذلك إلى أصول عقيدة الحاكمية و عقائد السلفية الجهادية.
- والأمر الرابع أن بن لادن قد استطاع جر التيار الجهادي بكامله إلى الساحة التي اختارها والفكرة التي يراها للمواجهة وهي التحول من مواجهة الأنظمة والحكومات إلى مواجهة من يسندها ضمن النظام العالمي الجديد وهي أمريكا وكبار حلفائها..
- والأمر الأخير هو أن أمريكا قد فرضت على كافة التيار الجهادي وكثير من مكونات الظاهرة الجهادية الحاليين مسمى القاعدة وعممته عليهم راضين أم كارهين وجعلته اسما شاملا لكافة مكونات التيار الجهادي وجرتهم لحربها كذلك طوعا أو كرها.

بعد طول تفكر وتشاور و استخارة..

رأيت أن أحذف هذه الفقرة من الموسوعة لثلاثة أسباب، وهي :

أولا: أن تنظيم القاعدة ما يزال يخوض حربا مفتوحة مع فسطاط النظام العالمي الجديد، بقيادة أمريكا، كما كل الأفغان العرب والتيار الجهادي.

وربما يظن البعض أن في تناول تجربتها وخصائصها الآن ما يفيد هذا الفسطاط. ورغم أني لا أعتقد ذلك لأن الفقرة دراسية نقدية عامة للإفادة من الدروس والتجارب التي مضت. ولا تحتوي أي معلومات تعتبر أسرارا، خاصة أن كما كبيرا من أسرى القاعدة هو في قبضة الجيش الأمريكي. وأظن في عرضها فائدة للباحثين و رجال المباحث. إلا أن هذا كان أحد الأسباب في حذف الفقرة، دفعا للخلاف حول هذه النقطة.

ثانيا: أن التجربة ما تزال مفتوحة، وتختلف بهذا عما سبق مـن التجـارب التنظيميـة التي تناولتها، والتي انتهت عمليا. وفي تأخير الكتابة عن تجربـة مـا تـزال مسـتمرة فائـدة دراستها فيما بعد أن الدراسة ستكون أشمل وأعمق.

ثالثا: أن التجربة واسـعة وتحتـاج كي أوفيهـا حقهـا كتابـا مفـردا، ربمـا يسر اللــه لي إخراجه فيما بعد. خاصـة أني أفضـل إطـلاع بعـض كبـار الإخـوان والشـيوخ عليـه، وأخـذ توصياتهم بعين الاعتبار قبل نشره. الذي أرجو أن يكون قريبا.

ثامنا: خلاصة الأساسيات العقدية و الفكرية للتيار الجهادي (1960-2001):

شكل التيار الجهادي مدرسة مستقلة قائمة بذاتها ضمن مـدارس الصـحوة الإسـلامية المعاصرة، وقد حملـت معظـم تنظيماتـه ورجالـه قواسـم مشـتركة مـن الفكـر والعقيـدة الجهادية والمنهج السياسي الشرعي. سأورد أهم ملامحها بشـكل مـوجز بصرف النظـر عـن رأيي الشخصي في بعض التفاصيل والأفكار فهي فقـرة للعـرض وليسـت للنقـاش، و بصرف النظر كذلك عن بعض الأفكار الثانوية التي حملها بعض الجهاديين ولم تكن سمة مشـتركة للتيار وتنظيماته ورجاله الأساسيين. ومن أهم الملامح الفكرية عند الجهاديين:

- حكم الأنظمة:

إعتبر الجهاديون جميع الأنظمة القائمة في بلاد العالم العـربي والإسـلامي أنظمـة ردة لكونها تشرع من دون اللـه وتحكم بغير ما أنزل اللـه، وتوالي الكافرين من أعداء الإسلام والمسلمين.واعتبروا جميع الحكام في العالم العربي والإسلامي بناءً على ذلـك كفـاراً مرتـدين خارجين عن ملة الإسلام.

كما اعتـبروا المؤسسـات والسـلطات الـثلاث - إن وجـدت - أو مـا يقـوم مقامهـا في الأنظمـة الديكتاتوريـة، مؤسسـات كـافرة. وهـذه السـلطات هـي: السـلطة التشريعيـة و السلطة التنفيذية و السلطة القضائية. واعتبروا كبار القائمين عليها كفاراً مرتدين.

وتقف حدود التكفير العيني عند الجهاديين عند هـذا المسـتوى حيـث يعتـبرون مـا سوى ذلك من الأعوان و نواب هـؤلاء و مسـاعديهم ومـوظفيهم أعوانـا لا يحكـم علـيهم بالكفر العيني لعملهم بتلك المؤسسات ويجعلونهم من أهل الأعذار.

وهم في ذلك يلتقون مـع فكـر الصـحوة الإسـلامية عامـة خـلال مرحلـة السـتينات والسبعينات والثمانينات قبل أن تنحو التنظيمات الإسـلامية المنحـى الـديمقراطي وتضـطر للحكم بالإسلام على تلك المؤسسات. ومن الجدير بالذكر أن هذه الحقائق التـي جهـر بـه الجهاديون وتحملوا في سبيل ذلك المآسي، كانت هي نفس المعتقدات التي يحملها معظـم رجال الصحوة الإسلامية من الإخوان والسلفيين و السروريـين ودعـاة الصـحوة مـن علـماء الجزيرة وغيرهم.

- حكم الأعوان:

اعتبر الجهاديون من قاتل دفاعاً عن تلك الأنظمـة، وحـارب الإسـلاميين والجهـاديين كأفراد الجيش والشرطة وقوى الأمن.. طائفة ردة عامة تقاتل على أساس راية الردة العامة لإمامهم وقائدهم الذي يأتمرون بأمره و يدافعون عنه. بحيث لا يحكم الجهاديون بـالكفر العيني لآحاد هؤلاء إلا حال صدر ناقض عن نواقض الإيمان.

- مسألة التكفير:

عقيدة أهل السنة والجماعة يعتبرون كل من شهد أن لا إله إلا الـلـه محمـد رسـول الـلـه مسلماً ما لم يأت بناقض صريح من نواقض الإسلام. ويأخذون بشروط تكفير المتعـين من تحقق الشروط وانتفاء الموانع. من الجهـل والإكـراه والتأويـل وانتفـاء القصـد. وبهـذا يفترقون عن جماعات التكفير والشواذ من بعض من الحق بالجهاديين.

- علماء السلطان:

يعتبر الجهاديون كل مـن وقـف مـن علـماء المسـلمين إلى جانـب تلـك الحكومات مدافعاً عنها مسبغاً عليا صفة الإسلام معتبراً من خـرج علـيهم مـن

رجال وحركات الصحوة ولاسيما الجهاديين من الخوارج.. يعتبرونه من المنافقين. وقد دخل الجهاديون معهم في مساجلات طويلة، و الجهاديون قسمان في تحديد مستوى نفاق علماء السلطان فمنهم وهم الجمهور يذهب إلى إثبات الإسلام لهم واعتبار نفاقهم في حدود نفاق العمل. ويذهب البعض منهم إلى اعتبار بعض أولئك العلماء كفار مرتدين مثل حكامهم،لأنهم يعتبرون أولئك العلماء لا عذر لهم بالجهل ولا التأويل ولا بالإكراه لأنهم يسعون برضاهم إلى ذلك النفاق، الذي وصل إلى حد تأييد غزو بلاد المسلمين، وإجازة الصلح مع اليهود و بيع أقدس المقدسات المسلمين. و إلى حد الإفتاء ويقتل من خرج بالسلاح على أولئك الحكام ومن ولاءهم من الغزاة الصليبيين..

- مسألة الديمقراطية:

يعتبر الجهاديون الديمقراطية،فلسفة و نظاماً كفرياً يتناقض مع دين الإسلام جملة وتفصيلاً. ويذهب بعضهم إلى اعتبارها ديناً عصرياً مثله مثل كل أديان الكفر القديمة والحديثة. ويعتبر جمهور الجهاديين الديمقراطيين من الإسلاميين بدخولهم البرلمان والمشاركة في السلطة التشريعية أو الوزرات والحكومات وهي السلطات التنفيذية. يعتبرونهم متلبسين بعمل من أعمال الكفر. ولكنهم لا يحكمون عليهم بالكفر العيني، ويعتبرونهم معذورين بالتأويل أو حتى بالجهل أحياناً بطبيعة كفر تلك المؤسسات، بسبب حالة استضعاف الصحوة والمسلمين، ونيتهم في تحقيق ما يمكن من العدل والتعاون على البر والإحسان. ويذهب القليل من الجهاديين إلى تكفير هؤلاء البرلمانيين والوزراء من الإسلاميين بحكم واقع انتمائهم لتلك المؤسسات. ولا يعتبرون جهلهم وارداً وهم علماء أو دعاة ولا تأويلهم مستساغا بعد قيام الحجة وكثرة الحوار.

- مسألة الشيعة والفرق من غير أهل السنة:

يعتبر الجهاديون كافة تلك الفرق من ضمن الأمة الإسلامية أو ما يسمي بأهل القبلة. ويعتبرونها من الفرق التي جاء ذكرها في الحديث الشريف بافتراق الأمة على 73 فرقة واحدة ناجية هم أهل السنة والجماعة و الباقون في النار.

فيعتبرونهم من فرق الضلال و الزيغ والهوى والانحراف. وكما هو الموقف العام عند أهـل السنة يصنفونهم ثلاثة أقسام:

الشيعة الغلاة: مثل الإسماعيلية و النصيرية وأشباهها ويعتبرونهم كفاراً.

الشيعة الزيدية: مثل أكثرية شيعة اليمن. ويعتبرونهم قريبين من أهـل السـنة عـلى خلاف معهم. الشيعة الجعفرية (الإمامية): وهم من مثل غالب شيعة إيران، والأقليات في لبنان وباكستان وأفغانستان ومنطقة الشرق الأوسط..

وغالب الجهاديين على اعتبارهم ضلالاً من أهـل البـدع. في حـين ذهبـت أقليـة مـن الجهاديين إلى عدم إعطاء هـذه المسـألة أهميـة لأسـباب سياسـية. في حـين ذهـب بعـض الجهـاديين إلى الـتصريح بكفـر الشـيعة. إلا أن الجمهـور مـن الجهـاديين عـلى اعتبـارهم مسلمين من أهل القبلة ضلالاً مبتدعة..

وقد تداخلت المسائل السياسية بالعقدية في هذه المسألة لـدى الصـحوة الإسـلامية السنية عموماً ومنها الجهادية وليس هنا محل بسط ذلك.

- الموقف من مدارس الصحوة الإسلامية غير الجهادية:

جمهور القدماء من الجهاديين على احترام مدارس الصحوة وقياداتها والالتزام بأدب الخلاف معهم رغم سعة الهوة في الفكر والتطبيق. و جمهور المتأخرين من الجهاديين على حالة عداء وخصومة وتناحر معهم، نتيجة حالات القهر والخذلان كما سبق لإشارة لذلك.

- مسألة العلمانية:

كافة الجهاديين على تكفير المذاهب العلمانية واعتبارها مـن مـذاهب الإلحـاد كـما هو حال معظم قيادات وعلـماء و جماعـات الصـحوة الإسـلامية، قبـل الموجـة الأمريكيـة الأخيرة وموضـة الاعتـدال المصـطنع. ولكـن جمهـور الجهـاديين عـلى اعتبـار أتبـاع الفكـر العلماني من عامة المسلمين معذورين بجهلهم في حين يكفرون قيادات التيارات العلمانيـة في العالم العربي الإسلامي ويعتبرونهم من أئمة الكفر الطاعنين في دين الـلـه..

● مسألة القومية العربية:

كافة الجهاديين على اعتبار دعوى القومية والتعصب لها، من دعاوى الجاهلية، و الجهاديون أمميون، يدعون إلى وحدة المسلمين ونظامهم الشامل. وبالتالي يذهب الكثير منهم إلى رفض مناهج الأحزاب القومية، لاسيما وأن كلها أو جلها يضم فكرة العلمانية إلى القومية. ويعتبر الجهاديون الدعوات القومية من أسباب تمزيق الأمة.

● مسألة الوطنية:

كما في مسألة القومية ينبذ الجهاديون فكرة القطرية والوطنية والعمل في إطار التعصب للوطن ولاسيما أنها مزجت بالقومية والعلمانية، ولذلك فهم يعادون دعاتها ويعتبرونها من مذاهب الكفر والضلال.

وفي النقطتين السابقين شيء من التناقض في واقع الجهاديين إذ أن غالب تنظيماتهم عملت على أساس قطري محلي و أتسمت في بعض الأحيان بالغلو في ذلك. رغم أن الفكر لديهم يقوم على أممية الإسلام ودعوة الجهاد.

● القضية الفلسطينية:

يؤمن كافة الجهاديين، بل وعموم الصحوة الإسلامية بأن فلسطين جزء من العالم الإسلامي من النهر إلى البحر ومن الشمال للجنوب.. وأنها حق واجب في عنق أجيال الأمة. وأن الجهاد فرض لاسترجاعها. وبهذا فهم يرفضون كافة مبادئ الصلح والتطبيع والسلام مع اليهود، ويعتبرون أن جمهور الإسرائيليين باستثناء عدة آلاف من اليهود الأصليين وأحفادهم. غرباء غزاة يجب أن يرحلوا.. و يعتبرون السلطة الفلسطينية برئاسة محمود عباس مثلها مثل باقي الحكومات المرتدة في العالم العربي والإسلامي. ولنفس الأسباب بالإضافة للخيانة.

● مسألة الأقليات الدينية في العالم العربي والإسلامي:

يعتبر الجهاديون أن هذه الأقليات وغالبها من النصارى يجب أن تعامل في حال قيام الدولة الإسلامية على أسس أحكام أهل الذمة وما جاء منها في كتب

الفقه لدى أهل السنة. ولا يعتبرون منهج المواطنة أساساً للتعامل معهم ولا مع من في حكمهم.

- مسالة المواجهة مع أمريكا والصراع مع الغرب:

لم تكن جميع التنظيمات الجهادية،منذ نشأتها في الستينيات وإلى تاريخ بدء حملتها العسكرية على أفغانستان في نوفمبر 2001 قد طرحت أو تبنت مسألة المواجهة العسكرية مع الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت كلها بلا استثناء تقريبا منصرفة لأهدافها الخاصة في مواجهة حكومات بلادها.

ورغم أن معظم أدبيات الجهاديين قد أولت مسألة المواجهة معها حيزا في كتاباتها، ولاسيما بعد حرب الخليج (عاصفة الصحراء وإطلاق النظام العالمي الجديد، وبدء الحملة الدولية الأمريكية على الإرهاب. وكذلك بسبب دعم أمريكا للأنظمة التي تقمع الإسلاميين و الجهاديين، إلا أن ذلك لم يعدوا الأدبيات إلى حيز التوجه الحركي.

ولقد حاول أسامة بن لادن كثيرا، خلال الشوط الثاني للأفغان العرب، إقناع الجهاديين بالتحول في العمل تجاه أمريكا (رأس الأفعى) كما كان يصفها، ولكن دون جدوى. فقد سيطر عليهم منهجيا فكرة الصراع مع المرتدين الذين يمثلون العدو الأقرب والأخطر والذي يقف حائلا دون أي جهاد مع الأعداء الخارجيين.كما سيطرت عليهم فكرة الجهاد لإقامة الحكم الإسلامي كمفتاح لحل كل الأزمات.

ولكن أحداث سبتمبر وتداعياتها على الأرض ووصم الأمريكان للتيار الجهادي برمته ووضعه تحت مسمى القاعدة. ومطاردة الجهاديين من كل الأجناس في سياق ما أسمته الحرب على الإرهاب، وتدمير معظم البنية التحتية للتيار الجهادي، وما كان من احتلال العراق بعد ذلك..منذ2001 وإلى اليوم، وتتالي تداعيات الإنتفاضة، وإعلان بوش للحملات الصليبية...إلخ. جعل التوجه العملي الأوحد للجهاديين هو مواجهة أمريكا وحلفاءها الغربيين.

وهكذا نجحت أمريكا في حمل الجهاديين على الإتجاه الصحيح خلال وقت وجيز لينحصر اتجاه جميع أجنحته وبقاياه وبراعمه الناشئة في هذا الإتج.

تاسعا: التيار الجهادي وقعر الأزمة في نهايات القرن العشرين 1995- 2000م:

كانت الصحوة الجهادية قد خاضت مواجهات حقيقية وواسعة مع بعض الحكومات خلال السبعينيات والثمانينيات حيث تكبدت فيها ضحايا كثيرة واتسعت فيها قاعدتها الشعبية ودخلت في مطاردات أمنية ذات طابع استخباراتي... وكانت البوابة الأفغانية التي فتحت للجهاد منذ سنة (1984) أمام الصحوة الإسلامية عموما و الجهادية خصوصا قد أغرت معظم قياداتها للذهاب إلى أفغانستان حيث خاضت تجربة فريدة خلال (1984-1992) وقد أسفرت العاصفة الأمنية التي نظمتها أمريكا ونفذتها باكستان وتابعتها الدول العربية والأوربية بعيد سقوط الإتحاد السوفييتي وانتهاء حاجة أمريكا للظهير الإسلامي في مواجهة الروس... فانتشر معظم كوادر الجهاديين و المطلوبين أمنيا في بلادهم نتيجة مصادماتهم مع حكوماتهم في مجالات اللجوء السياسي التي فتحت في أوربا الغربية وما شابهها مثل كندا واستراليا وغير..أو في بلدان عربية أخرى لا تطالهم فيها أيدي حكوماتهم لعدم قيام علاقات تعاون أمني آنذاك بين تلك البلدان... ولكن الإدارات الأمريكية المتوالية بعد حرب الخليج الثانية (عاصفة الصحراء) وضعت خطة متكاملة لمواجهة التيار الجهادي اصطلح عليها بالمواجهة الدولية لمكافحة الإرهاب والتي أوصلها بوش الابن لتكون حربا عالمية حقيقية فيما بعد سبتمبر كما سنرى إن شاء الله...

وهكذا تتابعت المؤتمرات الأمنية الإقليمية والدولية خلال ذلك العقد بمعدل لا يقل عن مؤتمر أو أكثر كل ستة أشهر فقد تطرق مؤتمر مدريد للسلام بين العرب واليهود من أجل التطبيع 1991 لمسألة الإرهاب وتفرغ مؤتمر شرم الشيخ 1994 لذلك.. وتتابعت من بعد ذلك عشرات المؤتمرات العالمية إلى الآن وقد حضرت الولايات المتحدة الأمريكية كل هذه المؤتمرات بما فيها الخاصة بدول المتوسط (!) وكذلك إسرائيل ومعظم الدول العربية.. وتتابعت مؤتمرات وزراء الداخلية العرب في تونس ولعبت السعودية ووزيرها نايف بن عبد العزيز

المتحمس بشراسة لمكافحة الإرهاب دورا بارزا... ويمكن اختصار برنامج مكافحة الإرهاب العالمي خلال هذا العقد بالنقاط التالية:

- الخطوط العريضة للبرامج العالمية لمكافحة الارهاب 1990-2000:

1- تجفيف المنابع المالية:

وقد تضمنت هذه الخطة فرض رقابة صارمة على الموارد المالية للحركات الجهادية والأصولية التي تصفها أمريكا وشركائها من حكام المسلمين بأنها (إرهابية). واتخذت قرارات و إجراآت لمراجعة الأرصدة في البنوك ومراقبة الحوالات البنكية ومصارف الزكاة وأعمال اللجان الخيرية والمؤسسات الإنسانية الإسلامية واتخذت قرارات في مصادرة أموال ومراقبة حسابات وتجميد أرصدة... أدخلت معظم الحركات الجهادية في حالة من الضائقة الشديدة وقلصت مواردها لحد كبير...

2- استهداف القيادات والكوادر الجهادية بالقتل والأسر:

فقد افتتحت أمريكا هذه السياسة باغتيال عبد الله عزام رحمه الله باستخدام استخبارات (بنزير/ بوتو) ووزير داخليتها (بابر). وكان قد سبقه قبل قليل حادثة وفاة (تميم العدناني) في أمريكا في ظروف غامضة.. ثم اغتيل واختطف عدد من قيادات الجهاد المصري والجماعة الإسلامية من بعض الدول. ثم اغتيل أنور شعبان أمير المجاهدين العرب في البوسنة واختطف أمير الجماعة الإسلامية (طلعت فؤاد قاسم) من كرواتيا وكان لاجئا في الدانمارك ونقلته مروحية أمريكية إلى سفينة في المتوسط حيث اختطف إلى مصر ثم اعتقل الدكتور عمر عبد الرحمن في أمريكا ولفقت له تهم مضحكة ليحكم بالسجن أكثر من 200 سنة وطالت الحملة كوادر جهادية في فرنسا وإيطاليا وبريطانيا وسواها وطال السجن رموز كانت دعوتهم إلى إحياء الجهاد بصورة غير مباشرة في الدول العربية فاعتقل علي بلحاج في الجزائر واعتقل الشيخ (سفر الحوالي) والشيخ (سلمان العودة) واختُطف جهاديون من دول متعددة من اذربيجان و تايلندا

والفلبين وبعض الدول العربية وباكستان و أُودعوا السجون أو لفهم المصير الغـامض.وبـدا أن الأمر يسير نحو عاصفة أمنية حقيقية.

3- اتفاقيات التسليم وتبادل الإرهابيين (الجهاديين) بين الدول المختلفة:

فعلى اعتبار أن الدول العربية ومعظم الإسلامية لا تكـن اعتبـارا لحقـوق إنسـان ولا شرعية لقانون. فقد كانت خطة تسليم كل مطلوب أمني إلى بلاده أنجع السبل في تفكيك الجماعـات الجهاديـة واسـتهلاك كوادرهـا وعناصرهـا. وهكـذا تبادلـت الـدول العربيـة والإسلامية فيما بينها كثيرا من المعتقلـين الجهـاديين الـذين سـلموا إلى المصـير المجهـول في بلادهم. بل ارتكبت بعض الدول الغربية التي تزعم احترام تلـك القـوانين والحقـوق مثـل هذه الأعمال وسلم مواطنين أبرياء وأسرهم في بعض الأحيان إلى بلادهم.

4- إلغاء الملاذات الآمنة:

كان أول من أعلن هـذا الإجـراء بهـذه الصـيغة الـرئيس كلينتـون سـنة 1995... حيـث ابتدأت حملة مطاردات أمنية للجهاديين في أوربا ومختلف دول العـالم. وكـان معظـم كـوادر الأفغان العرب والتيار الجهادي قـد توزعـوا في بعـض الـبلاد الأوربيـة كلاجئـين أو اسـتقروا في السودان أو اليمن أو إيران أو تركيا. واسـتقر بعـض الجهـاديين مـن شـمال أفريقيـا في سـوريا والأردن فيما بقي البعض في باكستان والقليل منهم في أفغانستان... فابتـدأت حملـة الضـغط الأمريكية منذ عهد كلينتون تحت هذا العنوان.. فطرد أسامة بن لادن و الجهـاديين المصريـين والليبيين ومعظم الباقين من السودان وسلمت الحكومة السودانية (الإسلامية)! بزعامة البشير والترابي جهاديين ليبيين إلى بلدهم ليعدموا ! وطردت اليمن الجهـاديين تحـت تهديـد اعتقـال نسائهم وتوسطت قيادات إسلامية وقبلية واتفقوا مع الحكومة اليمنية على طردهم بنسائهم وأطفالهم. وقبضت سوريا والأردن وتركيا على جهاديين وسلمتهم لبلادهم وفر الباقون وتـولى الأمريكان إخراج المجاهدين العرب من البوسنة ونزع سـلاح مـن بقـي مـنهم بعـد أن أراقـوا دماءهم في سبيل إخوة العقيدة والدين. وتولت حكومـة البوسـنة بنفسـها اغتيـال قيـاداتهم!

وهكذا ضاقت على الجهاديين الأرض بما رحبت. منذ عام (1995) وخلال ما تلاها من أعوام..

5- نقل مجالات التعاون الأمني من الإقليمي إلى الدولي:

فقد عقدت الاتفاقيات الأمنية الدولية ذات التفاصيل العملية المعقدة ووضع برامج لمتابعة الاتصالات الروتينية وربط أجهزة الإستخبارات على مستوى المعلومات والاتصالات بخطط تعاون عالية الكفاءة.

6-التوسع في تشريعات مكافحة الإرهاب:

فقد قامت الدول الغربية وأمريكا بتعديل الكثير من تشريعاتها وسن قوانين أسوأ من القوانين العرفية المعمول بها في العالم الثالث لتصفية مجالات اللجوء السياسي وحقوق الأجانب وتوسيع قوانين مكافحة الإرهاب حتى شملت في بريطانيا وفرنسا والدول الإسكندنافية حيث أعرق الديمقراطيات الغربية مجالا للكتابة والنقد وخطب الجمعة التحريضية ضد الحكام الديكتاتوريين!في هوامش ونصوص قانونية غير محددة قابلة للتفسيرات و التأويلات بحسب أهواء أجهزة الاستخبارات والقيادات الصليبية.

7- الحرب الإعلامية من أجل عزل الجهاديين:

منذ انطلقت الحملة الأمنية والعسكرية لمكافحة ما يسمى (الإرهاب). انطلقت معها جنبا إلى جنب حملة إعلامية ودعائية لعزل الجهاديين ومبادئهم وممارساتهم بإظهارهم على أنهم مجرد قتلة متعطشون للدماء. ومتشددون دينيون لا يحملون رسالة التسامح والحوار... إلى آخر النعوت... وقد خرجت الحملة الإعلامية بين الجهاديين والتكفير لعزلهم عن جماهيرهم. وقد لعبت المؤسسات الدينية الرسمية المتحالفة مع الحكومات في بلاد العرب والمسلمين أدوارا فاعلة وزودت هذه الحملة العالمية بأدق أسلحتها. كما لعب الطفيليون من أوساط الصحوة الإسلامية (الديمقراطية) الذين صاروا خلال ذلك العقد جزءا من الملأ وحاشية التحالف الصهيوصليبي وبالتالي جزءا من مكونات النظام العالمي

الجديد دورا بالغ الأهمية... كما سنأتي على شيء من التفصيل في الفصل الخاص بالصحوة الجهادية إن شاء الله.

وهكذا أسفرت هذه الحملة العالمية لمكافحة الإرهاب بقيادة أمريكا عن تحويل قيادات وكوادر وعناصر الحركات الجهادية إلى عناصر تعيش هاجس (الخوف والجوع)... فالمطاردات و الاغتيالات والخطف والأسر وإغلاق الملاذات... أدخلت أفراد الصحوة الجهادية في هواجس الخوف والمطاردة. وتكلفت خطط تجفيف المنابع بقطع أرزاقهم وقوت أسرهم وأطفالهم التي جابت معهم مشارق الأرض ومغاربها مشتته تكتوي بنيران هذا الأخدود المعاصر.

ثم تيسرت أمور الجهاديين حين قيام الإمارة الإسلامية في أفغانستان فغدت مهجرا تجمع فيها خلاصة التيار الجهادي قيادة وقاعدة خلال الفترة 1996-2001. ولذلك تركز برنامج مكافحة الإرهاب على ضربها وتدميرها وتدمير الأرضية التي آوتها ممثلة بحركة طالبان وأمير المؤمنين (ملا محمد عمر). وهذا ما نفذوه في سبتمبر 2001 لتبدأ المرحلة التالية من مسار الصحوة في عالم ما بعد سبتمبر كما سنرى إن شاء الله.

وقد فاقمت هذه الأوضاع والأزمات الخارجية المحيطة بالتيار الجهادي بالإضافة لأزماته الداخلية على مستوى التيار عامة والخاصة بكل تجربة بحسبها في قطرها. وبدأت تلك الأزمات تتضح شياً فشيئاً للجميع بعد أن كان نذرها قد بدت للبعض منذ مطلع التسعينات ومنذ انطلاق النظام العالمي الجديد. ويمكن إيجاز تلك الأزمات بما يلي:

1- الأزمات الأمنية:

فقد أدى انتقال مستوى مكافحة الجماعات الجهادية من المستوى القطري إلى الإقليمي إلى العربي إلى الدولي. أدى إلى حصار تلك التنظيمات وإنزال خسائر فادحة بها وإجهاض معظم أساليب عملها واتصالاتها وتمويلها، فقد كانت معظم قيادات التنظيمات الجهادية العاملة في بلدها إذا ضاق بها الحال أمنياً في بلدها نتيجة عمليات الاعتقال والتعذيب وفشل التنظيمات الهرمية في

الصمود أمام وسائل أجهزة الأمن الوحشية في الاعتقال والتحقيق وإجهاض العصابات محلياً. كانت تخرج إلى دول الجوار مستفيدة من هوامش أجواء الخلاف بين أنظمة الحكم في تلك الدول.. وقد استطاعت كثير منها أن تحصل لنفسها وقياداتها على هامش ملاذ آمن بل قواعد حركة ودعم أحياناً لقضيتها من قبل الدول المجاورة.. وقد ميز هذه مرحلة (1975-1995) فقد لجأت الطليعة الجهادية في سوريا وكذلك تنظيم الإخوان المسلمين خلال مواجهتهم لنظام حافظ أسد النصيري إلى العراق منذ وقت مبكر ثم الأردن، ولاقت هناك دعماً كبيراً من حكومتي البلدين، وصل إلى حد التدريب والتسليح والدعم المادي وتسهيل العبور على الحدود، كما غضت تركيا الطرف عنهم كذلك واتخذوا من أراضيها مجالا للحركة والاتصالات.. واستطاع البعض ولو بحدود أقل بكثير الحصول على موطئ قدم لهم في لبنان وإن كان بشكل محدود نتيجة سيطرة سوريا عليها. بل وصل دعم الجهاديين في سوريا إلى أن تدعمهم مصر في آخر عهد أنور السادات وتقدم خدمات في مجال التدريب كانت ستتطور لو لا مقتل السادات على أيدي الجهاديين سنة 1981.

كما حصلت بالمقابل تنظيمات عراقية معارضة معظمها من الشيعة على مثل ذلك في سوريا..

و استطاع الجهاديون من مصر أن يتحركوا في معظم دول المنطقة بحرية وأن يتخذوها قاعدة اتصالات وتحصيل دعم بدءاً من دول الخليج ومروراً بسوريا والأردن واليمن وغيرها. ولم يجدوا أي مطاردة.

ومثل ذلك تحرك المطاردون من ليبيا في دول الجوار. وتلقى الجهاديون في المغرب دعماً في ليبيا وتحركوا في المنطقة بحرية..، وعبر الجهاديون في الجزائر من المغرب واتخذوها معبراً للسلاح والمقاتلين واستراحات الجرحى والمقاتلين. كما تحرك تنظيم الجهاد المصري من السودان 1990- 1997واتخذ له مواطئ قدم في اليمن مع تنظيمات جهادية أخرى..، وتلقى بعض عناصره التدريب في لبنان في معسكرات حزب الله، واستطاعت قيادات من الجماعة الإسلامية أن تتخذ من إيران ملجأ وملاذاً.. إلى آخر ما هنالك من الأمثلة.

ولم تقـتصر تلـك الهـوامش عـلى الجهـاديين والإسـلاميين..فقـد اسـتفادت معظـم المعارضات السياسية في تلك الحقبة من هذه الهـوامش، وكـذلك التنظـيمات الفلسـطينية القومية والوطنية والإسلامية.. ولكن بعد سقوط النظام العـالمي القـديم وسـقوط الإتحـاد السوفيتي وحلف وارسوا.. لم يعد هناك محـاور صراع وصـار السـيد الآمـر لتلـك الأنظمـة واحداً وهو أمريكا، ولم يعد هناك هامش بين سيدين شرقي وغربي، وتوجهت الأوامـر مـن السيد الجديد والقطب الأوحد لتلك الأنظمة بـإغلاق تلـك المـلاذات. فبـدأت تغلـق شـيئاً فشيئاً، وتولى كبر التنسـيق الأمنـي العـربي الأمـير نـايف بـن عبـد العزيـز وزيـر الداخليـة السعودية وأنشأ مؤتمر وزراء الداخلية العرب. وجعل مقره تونس، وصار لوزراء الداخليـة لقاء كل ستة أشهر، وصار لمعـاونيهم لقـاءات دائمـة وصـار لرؤسـاء اسـتخباراتهم خطـوط هواتف حمراء مفتوحة، وارتفع مسـتوى التنسـيق ليصـل إلى مسـتوى ربـط (أرشـيفات) المعلومات عبر الكومبيوتر، وصارت مطاردة الجهاديين على المسـتوى الإقليمـي بـين بعـض الدول. ثم ما لبثت أن تحولت إلى المستوى العربي. فابتعدت القيادات الجهادية والكـوادر المطاردة بمراكز عملهاً إلى المستوى العالمي بعد انهيار الجهاد في أفغانستان.. واتخذت تلك التنظيمات المختلفة أسلوبا مطوراً للعمل عبر الملاذات الآمنة البعيدة ولاسيما من منـاطق اللجوء السياسي في الغرب وبعض الدول الأوروبية، حيث كانت قوانين الحريات الشخصية تشكل سياج حماية للناشطين الإسلاميين و الجهاديين.

ولكن الضغوط الأمريكية و مطالبات الحكومات العربية والإسـلامية ودخـول عمـوم الـدول الأوروبيـة وغيرهـا في ركـاب الحملـة الأمريكيـة التـي تصرفـت مثـل مـا يـتصرف (مايسترو) فرقة موسيقية (سيمفونية) كـبرى في كفـاح الجهـاديون المتطرفـون جعـل تلـك الهوامش تلغى واحدة تلو الأخرى وتدخل أجهزة أمـن تلـك الـدول في هجمـة المطـاردات أيضاً، مما جعل كثـيراً مـن الرمـوز يسـقطون أسرى ومعتقلـين، وسـلم بعضـهم لـبلادهم وغادر من نجى إلى أفغانستان مع نهايات 1996.

ولم تنته الأزمة الأمنية لأن أفغانستان التي شكلت ملاذاً صارت مشكلة جديدة أيضاً، ومنطقة حجر على الحركة والنشاط بسبب سياسة طالبان من نشاطهم كي لا تزداد الضغوط عليهم وأصبحت مكاناً للإقامة الجبرية. حيث يتخطف الناس من حولها عند كل محاولة للحركة، وقل من نجى من تلك المصائد من المطاردين. ولم تقتصر مسألة إلغاء الهوامش في عالم النظام العالمي الجديد على الجهاديين وتنظيماتهم. فقد تعدى ذلك إلى كافة التنظيمات التي تمارس حروب عصابات سرية في مختلف أنحاء العالم. وهكذا سلم (عبد اللـه أوجلان) زعيم حزب العمال الكردستاني إلى حكومة أنقرة.و أسدل الستار على حرب عصابات استمرت أكثر من عشرين سنة ضد تركيا، لأن النظام العالمي أغلق أمامهم ملاذات سوريا والعراق ولبنان.. واضطر زعيمهم للترحل ثم اعتقل بجهود دولية شاركت فيها حتى (اليونان) عدوة تركيا.

كما وجد (الجيش الجمهوري الأيرلندي) نفسه مضطراً لتسوية سياسية وإلى القاء السلاح.

وتقهقرت عصابات (الباسك) ومنظمة (إيتا)، بعد أن أغلقت فرنسا الملاذات الضيقة عنها. فطورد قادتها في أوروبا وأمريكا اللاتينية وغيرها.

وهكذا بدأ ذو الخبرة من الجهاديين يكتشفون أن عالم النظام العالمي الجديد الذي بدأ بعد سقوط الإتحاد السوفيتي قد ألغى إمكانية الثورات القطرية والعمل من خلال الهوامش. فقد صار العالم الجديد أحادي القطب سيداً واحداً يفرض على الدول إغلاق الهوامش، وخاصة في وجه الأصوليين من المتطرفين الإسلاميين أو الإرهابيين كما صار اسمهم في وسائل الإعلام. وأدرك الفاهمون منهم أن نظرية الحركة التي أقاموا عليها أعمالهم قد تحطمت مع معطيات هذا العالم.. فضلاً عما كانت السنوات العشر هذه التي أثبتت فشل الثورات القطرية التي أديرت من قبل قيادات غير ميدانية تديرها من المهجر، لعدم إمكانية إدارتها ميدانياً نتيجة عمليات البطش والاعتقال والتعذيب التي فعلتها الحكومات بلا حسيب ولا رقيب.

2-الأزمات المالية:

فقدت أدت سياسة تجفيف المنابع التي فرضتها أمريكا ونفذتها كافة دول العالم وعلى رأسها الأنظمة القائمة في العالم العربي والإسلامي إلى وقف معظم طرق الإمداد المالي من التبرعات التي كانت شريان الحياة الوحيد لاستمرار عمل تلك التنظيمات. ولاسيما عندما فرضت دول الخليج بناءاً على أوامر أدارة واشنطن سياسات الرقابة على طرق الزكاة وأموال الصدقات والتبرعات، وأعمال الجمعيات الخيرية. وفرضت على البنوك وأنظمة تحويل الأموال رقابة صارمة كما فعلت مع البنوك العالمية. وطبقت أمريكا والدول الغربية سياسات صارمة لمنع وصول أي أموال إلى التنظيمات الجهادية أو الجمعيات المتهمة بدعم التطرف كما أسموه، وهكذا حصرت معظم قيادات الجهاديين في أفغانستان. وتركوا وراءهم مئات أو آلاف الأسر من الذين اعتقل معيلوهم ولم يتركوا لهم من يقوم بأمرهم..

كما وجدت الخلايا المتبقية في تلك البلاد نفسها في ضائقة مالية مقطوعة عن قياداتها المشردة ليس فقط تنظيمياً وإداريا وإنما مالياً كذلك، فشلت عن إمكانية الحركة والنماء..

3- الأزمات التنظيمية الداخلية:

نتيجة للأزمات الأمنية والمالية تحولت معظم القيادات الجهادية إلى قيادات مهاجرة مشردة مقطوعة عن ساحة عملها. وولد هذا أزمات تنظيمية كثيرة.. فقد سبب ذلك شلل في الإدارة وعدم ديناميكية في الحركة. وأدت هذه المشكلة مع المشكلة الأمنية في الداخل والخارج بالإضافة للمشكلة المالية جراء تجفيف المنابع إلى توقف معظم التنظيمات الجهادية عن النمو البشري في داخل ساحات عملها. فأصبح عددها محدوداً وصارت تنفق خسائرها البشرية في الداخل والخارج من مخزون محدود، فسارت نحو الانقراض. كما أدت الظروف الأمنية وحالات الاختفاء لمن تبقى بالداخل وفرار معظم الكوادر والقيادات القادرة على التوجيه، إلى توقف برامج التربية والتكوين للعناصر المتبقية أو القليلة

الملتحقة بتلك التنظيمات. فلا تجنيد عملياً، ولا بـرامج تربيـة ولا إعـداء للمجنـدين. ولأن الأزمات والهزائم تولد عادة أحوال:

(فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ) (القلم:30). ولأنه وكـما قـال عمـر رضي اللـه عنه: [إن هذه الأيدي خلقت لتعمل وإنها إلا تجد لها في الخير عملا وجدت لهـا في الشر أعمالا]. بدأت تتفشى ظاهرة الانشقاقات.

إذ حسب بعض قيادات الدرجة الأولى أو الثانية في التنظـيم، أن السـبب في حـالات الجمود والعجز هو من عجز القيادات القائمة في التنظيم. ولم يدركوا أن مشـكلة قـوادهم هو حظهم العاثر في قيـادة تنظـيمات (قطريـة سريـة هرميـة) في زمـن النظـام العـالمي الجديد، خارج سياق التاريخ، وخارج جغرافية الأمة. فقد فرض النظـام العـالمي الجديـد معطياته، وصارت الأزمات أكبر من أن تحل. لقد انهار نظام العمل نفسه، ولم يعد صالحاً. ولكن أولئك المنشقين ظنـوا أن بإمكـان عطـارهم أن يصـلح مـا أفسـد الـدهر. فحصـلت انشقاقات عديدة وظهر ما يسمى بظـاهرة (التنظـيمات الأميبيـة)، مـن كـثرة الانقسـام و التشظي. حتى لحق ذلك تنظيمات وجماعات وليدة كانت تنقسـم وتنشـق عـلى نفسـها من مراحلها الأولى!! وحصلت هذه الانشقاقات في الداخل في سـاحات المواجهـة الأصـلية للتنظيمات وكذلك في ساحات الخارج. وهكذا لم يعد لأشهر تلك التنظيمات من إمكانيات، منذ مطلع التسعينات وخاصة منذ 1995إلا أن تصدر بعض النشرات المنخفضـة المسـتوى في كل منحى، والمحدودة الانتشار في كل اتجاه. وتحولت إلى تنظيمات إعلامية سيئة الأداء إعلامياً في غالب الأحيان. ولم يكن يسير عملياً في ساحة الجهاد، إلا أحداث الجزائر المروعة التي ألحقت بمفهوم الجهاد أذى لا يقدر حجمه.

4. الأزمات الفكرية:

يعود وضع الأسس الفكريـة للتيـار الجهـادي كـما أسـلفنا إلى منتصـف الستينات حيث وضع أسسها سيد قطب. ولم تضف مختلف الإضـافات التـي كتبت في إطار مكتبة الإخوان المسلمين أي جديد عمليا، وكانـت مجـرد تكـرار

وتفاسير وإعادة صياغة. ولم تكن في معظمها ذات نفس حركي جهادي. ويمكن تسجيل ما كتب من التفصيلات الفقهية السلفية، عند ما طرح فقه الإمام ابن تيميه كأساس للفقه الجهادي على يد تنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية في مصر، كحلقة فكرية ثانية في أواخر السبعينات. وكانت الإضافة الثالثة ما طرحته مكتبة الأفغان العرب أواخر الثمانينات. وكانت عملياً تكراراً للفكر القطبي الحركي، والفقه السلفي من تراث المدرسة الوهابية ولم تحتو تلك المكتبة رغم شموليتها مفاهيما هامة يمكن أن تكون تطويراً يتناسب مع ما استجد من أحوال وما طرح من إشكاليات فكرية وثقافية واجتماعية وسياسية في العالمين العربي والإسلامي بعد قيام النظام العالمي الجديد. وبدأت ملامح أزمة فكرية في التيار الجهادي.

كان على رأس تلك الأزمات الفكرية ؛ أن أيا من التنظيمات الجهادية لم تقدم في أدبياتها مشروعاً متكاملاً على مختلف الصعد السياسية والاجتماعية والثقافية لبرنامجها التغييري، وبدت للجماهير ولاسيما للقطاع المثقف من الأمة وكأنها تسبح في الماضي في معزل عن مشاكل الأمة المعاصرة. وكان ثاني أكبر الأزمات هو التداعيات غير المنضبطة لطريقة الفقه السلفي لدى طلاب العلم الشباب من الجهاديين. فقد سيطر في الصنف الثاني من التسعينات فقه التشدد والتزمت وبسبب جهل بعض المتسلقين على التيار الجهادي لغياب الكتاب الأصلاء فيه في تلك المرحلة، وبسبب تفشي المنشورات التكفيرية على هامش التيار الجهادي، واستغلال أجهزة الاستخبارات ذلك وتضخيمها لتلك النتوءات. حيث بدأ الهامش الواضح والجدار الفاصل بين الفكر الجهادي والفكر التكفيري يتضاءل أمام جمهور المسلمين في تلك المرحلة.

ولم تتح الظروف الأمنية الحرجة لكبار الجهاديين ورموزهم أن يتحركوا في ظروف مريحة تمكنهم من الكتابة والردود على تلك الظاهرة الخطيرة، كما سبب التحاق الكثير من العناصر الجديدة في بؤر تواجد الجهاديين، ومعظمهم من شباب الواقع العربي المثقل بالإشكاليات والضغوطات النفسية، مع عدم توفر ظروف مواتية للتربية الفكرية كإشكالية كبيرة، حيث سادت أجواء التطرف

والجهل في أوساط الكثيرين من أتباع الجهاديين خلال تلك الفترة، ولاسيما في مختلف الملاذات في أوروبا وبعض البلدان كاليمن وباكستان وغيرها..

أما الإشكاليات الفكرية الأخرى فكانت في عدم تمكن الجهاديين من تحديد مفاهيم محددة وتفاصيل واضحة، لمصطلحات ومسائل هامة طرحت بسبب مشروع المواجهة الجهادية مع الأنظمة ومن ذلك:

المفهوم الشرعي للجماعة الجهادية في قطرها، وهل هي بمثابة جماعة المسلمين ؟! ومسألة مشروعية تعدد الجماعات الجهادية في قطر واحد ! وإن كان ذلك غير مشروع كما اعتقدت كثير من تلك الجماعات ! فما مشروعية تعددها إذن في بلدان متجاورة أقيمت الحدود بينها من قبل الأعداء أصلاً ؟! وقد تطرف البعض من الجهاديين إلى الزعم بالحق في تصفية أي محاولة جديدة لإيجاد جماعة جهادية في بلد توجد فيه جماعة جهادية، حفاظاً على وحدة صف الجهاديين !!

كذلك مسألة البيعة في التنظيمات ؛ وتفاصيل قيامها وحلها وتبعاتها من الحقوق والواجبات. فقد ذهب البعض إلى أنها مجرد عهد أو أقرب للقسم يتحلل معطيها من تبعاتها متى أراد ذلك. ويكفيه على أبعد حد صوم ثلاثة أيام كمن تعذر عليه وفاء النذر. في حين ذهب البعض إلى أن بيعة التنظيم مثل بين الإمام الأعظم لا يمكن للعنصر أن يخرج منها إلا أن يرى كفراً بواحا عنده فيه من الله برهان!!

وكذلك مسألة الشورى و الإمارة في التنظيم: وحقوق الأمير وطريقة تعينه، ومدة ولايته، وطرق تغيره، وحقوقه و واجباته. وكذلك موضوع الشورى، وطريقة اتخاذ القرار في التنظيم، وعلاقتها بصلاحيات الأمير، و الهيكليات المؤسساتية في الجماعة الجهادية وطرق إدارتها لاسيما في ظروف المطاردات الأمنية.

كذلك إشكالية المناهج السياسية الشرعية والفكرية التي يختارها التنظيم: مـع عـدم وجود الكوادر القادرة على وضعها في معظم الأقطار. واستيراد ذلك مـن أفكـار تنظـيمات مجاورة.

بالإضافة لإشكالية متفرعة عن المناهج، وهي إشكالية مناهج التربية وآليات تطبيقها على العناصر الجدد. وما توجده الحالة الأمنية و السرية من إشـكاليات لتنفيـذ أي بـرامج تكوين وتربية. إلى آخـر ذلـك... حيـث لم تسـتطع التنظـيمات الجهاديـة نتيجـة الظـروف الأمنية و المطاردات، وقلة الكوادر القادرة على التنظير، و انعـدام وجـود فيهـا لعلـماء أو حتى لطلاب علم شرعيين أكفاء.. لم تستطع أن تحسم تلك الإشـكالات والأزمـات الفكريـة. وانعكست بالتالي هذه الأزمات الفكرية في كثير من الأحيان على شـكل أزمـات تنظيميـة أضافت مزيداً من الاختناق لسلسلة أزمات الجهاديين في العقد الأخير من القرن العشرين.

5- أزمات سياسية وإشكاليات في العلاقات العامة:

وسط الصحوة الإسلامية وكذلك مع أوساط المعارضـات السياسـية العلمانيـة، حيـث وقفت معظم أوساط الصحوة الإسلامية من صراع الجهاديين مع السلطات القائمة، موقفاً يتراوح بين الحيـاد والوقـوف موقـف المتفـرج، وبـين السـلبية والعـداء للجهـاديين وتأييـد مواقف الحكام، بدافع الحفاظ على مصالحهم الحزبية أو الشخصية !!

ونتيجـة العقليـة الثوريـة لمعظـم الجهـاديين وطبيعـة الانفعـال وردود الأفعـال عـلى الحصار اتسمت ردود أفعال الجهاديين على أوساط الصحوة وقياداتها وكبار علماء المسلمين في كثير من الأحوال بالتشنج والعنف. ولكن واقع الحال وبصرف النظر عـن تبريـره أو عـدم ذلك، فقد كان واقع الحال هـو عزلـة الجهـاديين في أوسـاط الصـحوة. ولم يسـتطع قيـادات الجهاديين إلا بعضهم وفي حالات نادرة الحفاظ على علاقات سياسية وطبيعيـة مـع أوسـاط الصحوة. ودخلت الأدبيات الجهاديـة في ذلـك العقـد القـاتم مـن الأزمـات (1990-2000)،

دخلت في معارك إعلامية ومهاترات مع مختلف أوساط الصحوة وأحزابها ورجالاتها..

وقل مثل ذلك وأشد منه عن أزمة العلاقات بين الجهاديين وبين أوساط المعارضات العلمانية الوطنية والقومية واليسارية في العالم العربي الإسلامي، فقد قامت علاقة الجهاديين بأولئك على أساس قاعدة التكفير والعداء، كما هو حال معظم أوساط الصحوة الإسلامية مع الوسط العلماني ولاسيما في العالم العربي. ورغم أن معظم تلك القطاعات العلمانية وأحزابها ورجالها قد عانت وما زالت تعاني من قمع الحكومات، وتقع مع الإسلاميين و الجهاديين في خندق الاضطهاد، وكان بالإمكان أن يكسب الجهاديون منهم بعض الشخصيات المعتدلة تجاه الظاهرة الدينية، أو حتى جرهم لميدان الحياد، إلا أن التشنج من جهة، والتوجس من جهة، وعدم الثقة والعداء التاريخي من جهة أخرى، بالإضافة إلى عدم وجود الكوادر السياسية المؤهلة في قيادات التيار الجهادي لإقامة مثل ذلك الحوار، وقيام قاعدة التواصل لدى الجهاديين على المفاصلة مطلقا دون اعتبار لهوامش فن الممكن.. وإنما على قاعدة (حمل السلم بالعرض) في سوق ازدحمت فيه الجماعات والشخصيات والبرامج والمناهج..

كل هذا أسفر عن حشد أكبر كمية من الأعداء في مواجهة الظاهرة الجهادية. وقد فاقم هذا من الأزمات والحصار.. ليسفر مع كل ما سبق من الأزمات عن الأزمة الشاملة، وعنوان ونتيجة كل تلك الأزمات هو الأزمة التالية:

أزمة الفشل في تحقيق الهدف وثبوت عقم الوسيلة:

كان هدف جميع التنظيمات الجهادية التي تحركت منذ الستينات وإلى انصرام القرن العشرين هو باختصار: (إسقاط الحكومات القائمة في بلادها. وإقامة النظام الإسلامي وتحكيم الشريعة على أنقاضه على حد زعمهم).

وأما وسيلتها في ذلك فكان العمل المسلح ضد تلك الحكومات عبر تنظيمات ؛ (قطرية المجال – سرية الأسلوب – هرمية البناء).

وباختصار أوصلت التجارب الجهاديين عبر نصف قرن مـن المحـاولات، ولاسـيما بعـد تفاقم أزمـات العقـد المـنصرم إلى الفشـل في تحقيـق تلـك الأهـداف، وثبـوت عقـم تلـك الوسيلة لأسباب كثيرة. أسباب أغلبها خارجية، نتيجة تكالب القوى العالمية عليها. ونتيجـة وقوف أكثر علماء الأمة إما في مواجهتها مثل ما فعلت جبهة علماء الأنظمة، وأمـا موقـف المتفرج الذي لا علاقة له في ذلـك الصراع. بالإضـافة للإشـكالات والأزمـات الداخليـة التـي ابتليت بها التجارب الجهادية..

وهكذا فشـلت كافـة التجـارب كـما مـر معنـا في الاسـتعراض التـاريخي لأهـم تلـك المحاولات. فشلت جميعها في تحقيق ذلك الهدف. وكان آخرها فشـلا التجربـة الجزائريـة التي ختمـت وبشـكل مأسـاوي تلـك التجـارب.. كـما أثبتـت الوسـيلة وهـي (التنظـيمات القطرية السرية الهرمية) عقمها، وعدم إمكانيتها في تحقيق ذلك الهدف. ولاسيما بعد ما قام النظام العـالمي الجديـد، الـذي أوصـل أسـاليب تلـك الوسـائل للانهيـار وجعلهـا مـن مخلفات الماضي، في عـالم العولمـة، الـذي عـولم عمليـة المواجهـة وجعـل تلـك الأسـاليب و المحاولات والأهداف وتكتيكاتها من أرشيف التاريخ.

- المتنفس في رحاب طالبان والإمارة الإسلامية(1996-2001) والفرصة الضائعة:

اجتمع في أفغانستان في ظل طالبان منذ مطلع 1997 عدد لا باس به من أبرز كوادر التيار الجهادي من قيادات التنظيمات والشخصـيات التاريخيـة وطـلاب العلـم وأصـحاب الخبرة والرأي والدراية فيه مـن مختلـف الأقطـار العربيـة. وكـان جـو الأمـن و البحبوحـة والاسترخاء وكل معطيـات الأجـواء المناسـبة فرصـة تاريخيـة وذهبيـة لـكي يتفكـر أولئـك الرجال في حلحلة تلـك الأزمـات والخـروج بتصـورات تشـكل بدايـة مرحلـة جديـدة مـن الانطلاق. فقد اعترف الجميع بوجود الأزمات وضرورة التطلع إلى حلها. وتعتبر المدة التـي قضوها إذاك وهي زهاء 5 سنوات كانت كافية نسبياً لتحقيق عملية إعادة البناء.

ولكن المفاجأة كانت في أن (الفكرة القطرية) و(الحزبية التنظيمية) بـرزت لتسـيطر على المرحلة الجديدة أيضا عبر معسكرات و مضافات وجماعات بنت تصوراتها على أساس (قطري - سري -هرمي) مرة ثانية، حيـث جعلـت معظـم التنظـيمات هـدفها هـو نفـس الهدف الذي أثبتت الأيام منذ 1990 وعلى الأبعد منذ 1995 وما جرى في الجزائـر وغيرهـا استحالة تحقيقه في ظل النظام العالم العالمي الجديد.

ولسـت هنـا بصـدد التفصـيل عـن المرحلـة، ولكـن أشـير هنـا إلى أن تلـك العقليـة (القطرية - الحزبية التنظيمية) أضاعت فرصة ذهبيـة عـلى التيـار الجهـادي. ولم يسـتطع دعاة الفكرة الأممية في المواجهة، لا أسامة بن لادن والقاعدة ولا غيره إقناع تلك الشرائح والكوادر باقتناص الفرصة وضم الجمع في حالة موحدة أو تنسيقية عـلى الأقـل. ورغـم أن أسامة بن لادن كان المرشـح الأسـاسي لإقنـاع الآخـرين بـذلك إلا أنـه فشـل بـذلك، وذلـك لأسباب تعود عديدة كان من أهمها تصوراتهم القطريـة والتنظيميـة مـن جهـة، وافتقـار القاعـدة للمنهجيـة الواضـحة بحسـب مقـاييس الجهـاديين وكـذلك عـم وضـوح البنيـة المؤسساتية فيها. فكان هذين العاملين أهم العوامل في ضياع تلك الفرصة. فقـد كـان مـن الممكن أن تقوم جهود لمراجعة المناهج والأساليب والأهداف والوسائل في ظل فهم الواقع الجديد، مستغلين الظروف المواتية، والالتفاف جميعا حول مشروعية أمـير المـؤمنين (المـلا محمد عمر). ورمزية أسامة بن لادن العالمية.ولكن ذلك لم يحصل وفشلت جميع الجهـود الساعية في ذلك والتي قام بها البعض من المستقلين.

وجاء سبتمبر ليضع حداً لتلك الفرصة الذهبيـة ويطـوى في كنـف الغيـب سر مـا إذا كانت ستتاح فرصة جديدة للجهاديين يكون الجيـل القـادم مـنهم قـادراً عـلى تحقيـق مـا عجزوا عنه.

عاشراً: الأفكار التي طرحت لدى الجهاديين للخروج من الأزمة منذ 1996-2001:

مع انتصاف العقد الأخير من القرن العشرين، كان التيار الجهادي بمختلف تنظيماته ومكوناته قد بلغ عمليا قعر الأزمة. وأيقن معظم قياداته وقدمائه أن المسارات الجهادية قد وصلت إلى طريق مسدود. وأن الأزمات المتنوعة قد وصلت قمتها. وأن السير والاستمرار بذلك الأسلوب ومعطياته يبدو مستحيلاً..

فقد تتابع فشل المحاولات الجهادية، وانطفأت معظم شعلاتها الواحدة تلو الأخرى. وتفككت معظم التنظيمات. وساح من بقى على قيد الحياة من قياداتها وكوادرها في مختلف الملاذات والمخابئ العلنية والسرية، مخلفين في بلادهم كميات كبيرة من الأسرى من العناصر الجهادية، أو الأنصار والموالين الذين ساعدوهم في حركاتهم. كما تزايدت الأزمات التي أشرنا إليها سابقاً في كافة المجالات الفكرية والسياسية والمالية والتنظيمية.. إلى آخر قائمة الأزمات الخانقة.

وهكذا.. بدأ كبار الجهاديين ومن تبقى من تنظيماتهم يبحثون عن الحلول والمخارج.. وقد شهدت مثل هذه المراجعات والمناقشات في الملاذ الآمن للجهاديين في أفغانستان،بعدما هاجر معظم من تبقى من الجماعات والرموز الهامة في التيار الجهادي إلى الإمارة الإسلامية التي أنشأها طالبان.

ويمكن تقسيم المطروحات والأفكار ومحاولات الخروج من قعر الأزمة لدى الجهاديين إلى ثلاثة مدارس تجلت كل واحدة منها في محاولات عملية. ووجهة حركة جديدة. وكانت على ثلاثة أقسام محركة سميتها كما يلي:

1. مدرسة الاستسلام وإلقاء السلاح والمبدأ.
2. مدرسة الثبات على المبدأ و الاستمرار في الأسلوب.
3. مدرسة الاتجاه الأممي نحو جهاد الصائل الخارجي أمريكا و حلفاؤها.

ولنتناول كل واحدة من تلك المدارس بشيء من التفصيل:

1 -مدرسة الاستسلام للخروج من الأزمة:

وخلاصة فكرة أصحاب هذه المدرسة: أن أزماتهم كجهاديين جاءت نتيجة لحمل السلاح، ولا تزول إلا بزوال ذلك السبب. فالحل هو في إلقاء السلاح والبحث عن طرق عمل أخرى..

والحقيقة أن بوادر هذه المدرسة التي صرح أصحابها بفحوى دعوتهم صراحة مع منتصف التسعينات تعود إلى أواسط الثمانينات منذ بدأت الحركات الجهادية تتراجع وتواجه الأزمات والهزائم. وكانت غالباً ما تطرح في كل قطر إثر كل هزيمة عملية لمحاولة من محاولات الجهاديين.. فقد كان أول من طرحها قيادة الإخوان المسلمين في سوريا إثر (واقعة حماة) سنة 1982. وأسموها في وقتها؛ دعوة (الصلح مع النظام). وقد وسط الإخوان السوريون العديد من الوسطاء من الوسطاء لمتابعة طرق أبواب (حافظ أسد) التي بقيت موصدة أمام تلك الدعوات عملياً. وتابع ابنه بشار من بعده إغلاق الباب.

وكان من تبقى من حطام تنظيم الطليعة المقاتلة في سوريا قد خطى خطوات فعلية نحو الاستسلام تحت مسمى الصلح. ونزل العديد من عناصرها تحت عروض الدولة باسم (قانون العفو) ولم يكن لتلك العملية أي تفاصيل سياسية، فقد كانت عمليات استسلام وتوبة فردية تقريباً، نزل فيها بعض العناصر من الطليعة، ثم من الإخوان بشكل فردي، ووقعوا بيانات (توبة) كتب في أعلاها:

﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ (القصص:17) !

ولكن الإخوان المسلمين في سوريا أرادوا الاستسلام بصيغة (نصف مشرفة)، فعرضوا عروضاً (للصلح) بشكل سياسي، بين جماعتهم كحزب معارضة سياسية والدولة والنظام. ولكن حكومة حافظ أسد، ووفق مشورة من بعض علماء النظام فيها، وعلى رأسهم الشيخ (سعيد رمضان البوطي) وغيره، اشترطوا على الإخوان جملة من الشروط التعجيزية من ضمنها الاعتراف العلني بخطئهم في حمل السلاح! وجرائمهم في مواجهة الدولة ! وكتابة أبحاث سياسية

شرعية يدللون فيها بالآيات والأحاديث على خطأ مسلكهم !! ثم النزول تحت قانون العفو بشكل فردي و ليس بشكل يحفظ نصف الكرامة! ولم يكن الوضع ضاغطاً عليهم في ملاذاتهم في العراق والأردن والسعودية والخليج والخارج كي يقبلوا.. واستمرت عروضهم بالصلح وشروطهم بالتقلص إلى أن خرج المراقب العام للإخوان المسلمين في سوريا (علي صدر الدين البيانوني)على وسائل الإعلام وشاشات الفضائيات يعرض الصلح ويعرض طلباته التي تقلصت إلى مطلب واحد وهو (حق المواطنة فقط في ظل الديمقراطية والتعددية السياسية)!! والعودة إلى الوطن بلا شروط ولا برامج. ومع ذلك ما زال النظام يرفض ويقول أنه بصدد عرض عفو عام يطال الأبرياء. مع ضرورة إجراء محاكمات لمن يثبت تورطهم بجرائم في حق الدولة والشعب والوطن. وأما أكثر الأفراد من المطاردين ومعظمهم ممن لم يقم بأي عمل و فعل في الثورة التي راح ضحيتها أو أسر معظم من شارك فيها فقد عاد أكثرهم بوساطة الاستسلام للسفارات السورية في أنحاء العالم. تحت قانون العفو وكتب كل واحد منهم تقريراً بتفاصيل حياته منذ خرج من سوريا والجهاد إلى أن عاد. وجاءت الأخبار باعتقال بعضهم مرة أخرى، وباستجواب آخرين. ومنعهم من السفر وإلزامهم بمراجعة دوائر الأمن لتقديم ما يطلب إليهم من معلومات عنهم وعن أقربائهم وجيرانهم، وتحويل الضعفاء منهم إلى مخبرين لأجهزة الأمن!!

وقد حصل شيء قريب من هذا تحت ما يسمى (مشروع التوبة) للملاحقين في تونس أواسط التسعينات، رغم أن معظمهم من المعارضات السياسية الإسلامية. وقد وضعت حكومة زين العابدين شروطاً مهينة قبلها البعض وتمرد عليها آخرون، ورفضها راشد الغنوشي وكتب في ذلك كتابات جيدة تؤكد على استراتيجية الثبات في مواجهة النظام التونسي وأشباهه من الحكومات ولو سياسيا على الأقل !..

وفي الجزائر عرض النظام أواسط 1996 بعد أن فكك المجموعات المسلحة فقام بعرض العفو العام عبر ما سمي مبادرة (الوئام الوطني). حيث تبرع العديد

من الفقهاء في السعودية وغيرها لدعم المبادرة والإفتاء للجهاديين بالاستسلام والنزول من الجبال. حيث نزلت فصائل كثيرة وألقت السلاح لمبادرات فردية.

ولكن أكبر وأخطر تلك الممارسات و الطروحات الاستسلامية من ضمن التيار الجهادي كانت عبر ما عرف (بالمبادرة) التي قامت بها الجماعة الإسلامية في مصر، وما عرف بمبادرة إلقاء السلاح ونبذ العنف من طرف واحد، دون طلب مقابل من الدولة إلا دعوتها للإفراج عن الإسلاميين وإنهاء الأزمة واستمرت المبادرة بين مد وجزر من سنة 1996 وإلى أواسط 2003 حيث بدت بوادر تجاوب الحكومة المصرية معها. وقد سبق أثناء استعراض تجربة الجماعة الإسلامية في مصر الإشارة لتلك المبادرة التي كان أخطر ما فيها قيام الرموز الكبار من القيادات التاريخية للجماعة بالتأصيل للاستسلام وكتابة العديد من الكتب والأبحاث يدينون فيها منهج الجهاد المسلح واصفينه بالعنف، ومعلنين سلسلة من الانتهاكات الفقهية والفكرية للفكر الجهادي والسياسي الشرعي لأصول التيار الجهادي يطول شرحها والتعليق عليها. ويعبر عما فيها من تردي أنها وصلت لاعتبار اغتيال أنور السادات خطأ تاريخياً ووصفه بأنه كان شهيد الفتنة.

ثم تتابعت طروحات هذه المدرسة و استعلن أصحابها بعد سبتمبر 2001 والهجمة العالمية لمكافحة الإرهاب بقيادة أمريكا. متخذين من مبادرة الجماعة الإسلامية وكتاباتها نموذجاً يحتذى في نقض الغزل و الإرتداد على الأعقاب عن ثوابت الفكر الجهادي والأسس العقدية للسياسة الشرعية.تحت ضغط الآلة الإعلامية الرهيبة لأمريكا وحلفائها.

وقد حصل مثل هذه التراجعات عندما قبضت الحكومة السعودية على مجموعة من فقهاء الجهاديين وسفهاء الأحلام في السعودية، و أقنعتهم بالتراجع وبدعوة المجاهدين لها و للقوات الأمريكية على أرض الحرمين بإلقاء السلاح. حيث جندت وسائل الإعلام السعودي عشرات العلماء وكبار الدعاة للترويج لهذه الطروحات ولهذه المدرسة.

وهكذا تظهر هذه الطروحات دائماً كما أسلفت إثر الهزائم و الانتكاسات حيث يبحث أصحابها عن الحل في إزالة سبب الأزمة بحسب تصورهم، وهو (حمل السلاح). ومن الطبيعي كما هو دأب الإنسان دائماً في ترقيع أفعاله وإيجاد المعاذير لعلله وتراجعاته، فإن أصحاب هذا المنهج لا يسمونه باسمه الصريح، وهو(الاستسلام) أو (الهزيمة) وإنما يبحثون له عن أسماء وصيغ ألطف ويطلقون سيل التبريرات والفقه الذي تتابع بعد ذلك لتبرير ذلك فيسمونه تارة (قانون العفو) وتارة (الصلح) وتارة (الوئام الوطني) وتارة (الهدنة) وتارة (المصالحة الوطنية) وتارة (مبادرة نبذ العنف).. وهكذا تعددت العناوين تحت دعاوى الحكمة والتعقل والواقعية. تعددت الأسماء و الاستسلام واحد.

2-مدرسة الثبات على المبدأ و الاستمرار في الأسلوب:

وقد تبنى هذه الطريقة معظم الجهاديين، من التنظيمات والجماعات الجهادية وكوادر ورموز التيار الجهادي وقياداته وقواعده رغم مسار الغباء والعذاب.. وقد كان هذا موقف معظم تلك الكتل والرجال الذين فاؤوا إلى أفغانستان في عهد طالبان. حيث عادت همم الحركيين الجهاديين التواقة للعمل والعطاء عبر مسار الأعداد والحركة الدؤوبة. وقد رأى هؤلاء في الثبات فريضة شرعية لا يسع المسلم التخلي عنها، ورأوا في الاستسلام عاراً وفراراً لا يجوز لهم السعي إليه.

ومنة الملاحظ من أولئك الثابتين أن ثباتهم كان ذا شقين:

1- ثبات إيجابي.

2- ثبات سلبي.

فأما الثبات الإيجابي: فهو الثبات على المبادئ والقيم والراية والأمانة. من أجل كل الدواعي الحركية الداعية لذلك.ولأجل ما تفرض دواعي الحمية لتنظيماتهم.

وأما الثبات السلبي: فهو ما لوحظ من ثبات أولئك الجهاديين على طرق عملهم السالفة، وأطر عملهم التنظيمية بكل مقوماتها وطرقها. فقد استمرت

التنظيمات بالعمل وفق مفهوم (القطرية والسرية والهرمية)، وعملت من أجل نفس الهدف السابق،وهو الإطاحة بالأنظمة لإقامة أئمة تحكم شرع الله في بلادها حسب زعمهم، وفق معظم الأساليب التقليدية في الإعداد المنهجي وغير ذلك من مجالات عمل التنظيمات..

وبدا وكأن كل التغييرات الهائلة التي أحدثها انطلاق النظام العالمي الجديد وأنظمة مكافحة الإرهاب وانهيار الهوامش الأمنية و الملاذات بين الدول وكل ما أسلفنا من الدروس والعبر لم تترك كبير أثر على أساليب عمل معظم الجهاديين!! رغم أن كثيراً من تلك الأساليب والأفكار إما أنها لم تعد تناسب المرحلة أو أنها أثبتت عدم جدواها.

3- مدرسة الاتجاه الأممي نحو جهاد الصائل الخارجي أمريكا و حلفاؤها:

وكان خلاصة طرح هذه المدرسة كما بينت بشي من التفصيل.. أن المعارك مع الأنظمة لا طائل من ورائها، وأن أمريكا وحلفاءها من قوى الصليبية واليهود هم المستفيدون من معارك الاستنزاف تلك رغم الحق الذي فيها. وأن الحل في جهاد رأس الأفعى أمريكا التي سيؤدي زوالها إلى انهيار كل هذه الأنظمة، وبداية لاستواء الأوضاع وسيرها نحو الصواب، حيث يسهل بعد ذلك العمل على إقامة الحكم الإسلامي بعد تنظيف المنطقة العربية والإسلامية من جبروتها وجبروت أتباعها..

وقد مثل أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة أبرز من رأي التحرك في هذا الاتجاه من الجهاديين منذ 1996. وافتتح ذلك بإصدار بيان إعلان الجهاد ضد أمريكا كما حصل في تجربتهم التي لخصتها في الفصل السابق. وأعتقد أن هذا الطرح بشكل عام بصرف النظر عن تفاصيل أداء من عمل له هو طرح صحيح وصائب ويتناسب جداً مع حجم المتغيرات التي شهدها العالم باستيلاء أمريكا على قيادة النظام العالمي الجديد وانفرادها بحكم العالم كقطب أوحد و قوة عظمى متجبرة..

نظـرة في محـاولات الجهـاديين تجـاوز أزمـة التيـار الجهـادى خـلال نهايـات القـرن العشرين:

من خلال تقييم الأفكار المطروحة ومقارنتهـا بخلاصـة مـا تكـون عنـدي مـن أفكـار، خلصت إلى النتيجة التالية في المدارس الثلاثة آنفة الذكر وهي على الشكل التالي:

أولا: أن طروحات مدرسة (الاستسـلام) وإلقـاء السـلاح و تنكـب طريـق المواجهـة الجهادية، تمثل مدرسة ايجابية الأفكار شرعاً خصيبة النتيجة واقعاً. بما تدل عليـه نصـوص الشريعة، وهو ما استفادت منه بلادنا و تجارب الأمم كلها.

ثانيا: أن مدرسة الثبات على طريقـة الجهـاديين، وبحسـب طـريقتهم القديمـة، لـن تقود إلا إلى ما قادت إليه في الماضي من الفشل المتكرر، فقد فشلت آنفـا رغـم أن ظـروف عملهم ومعطيات واقعهم قبل قيام النظام العالمي الجديد كانت أفضل وأكثر ملائمة. ومع ذلك لم تكن تلك الطرق ومناهج التفكير ووسائل العمل من تحقيـق الأهـداف، فـما بالـك وقد تغير الواقع المحيط ونشبت ظروف عالمية لا يمكن العمـل مـن خلالهـا بتلـك الطـرق بحـال. وقـد أثبتـت السـنوات الخمـس (1996- 2001) عقـم تلـك الطـرق وعـدم تمكـن التنظيمات الجهادية القديمة أو المحاولات الجديدة من البعض من تحقيـق أي نتيجـة أو تقدم، ولم تسفر إلا عن مزيد من الإنشطارات والانقسامات والخسائر والضحايا، من خلال المحـاولات المحـدودة التـي قـاموا بهـا، بالإضـافة لتفـاقم آثـار حمـلات تجفيـف المنـابع والتحسيس الإعلامي والمطاردات الأمنية في عزل تلك الشراذم وما تبقـى منهـا عـن بلادهـا ومجتمعاتها، وتحول من تبقى منهم إلى مجموعات صغيرة تعـيش عـلى الـذكريات وآمـال الماضي، وأحلام بالمستقبل تزداد خيالية يوماً بعد يوم.

ثالثا: أن الدعوة التي طرحها أسامة بن لادن وعملت عـلى أساسـها القاعـدة باتخـاذ المعركة مع أمريكا تمثل بالنسبة اليهم بوابة إلى تصحيح مسار الدرب المسلح وحشد الأمـة و التحرك من خلال ذلك إلى ما يـلي مـن أولويـات في حلحلـة إشـكاليات واقـع المسـلمين. وهي أسلم الطرق وأقربها للواقعية بالنسبة اليهم، ومناسبة لما استجد من ظروف النظـام العالمي الجديد.

ومن خلال ذلك الواقع اقتنعت هذه المدرسة بضرورة إطلاق نظريات عمل جديد ة لتسد جزءاً من الفراغ الكبير الذي يقتضيه ذلك التحول في المواجهة.

وهوما اعتبرته بداية مدرسة جديدة حاولت إصلاح مسار التيار الجهادي والعمل على إخراجه من الأزمة وهو ما أسميته:

(دعوة الجماعات الاسلامية المسلحة العالمية أو الأممية) التي تقوم نظرياتها على أسس ثلاثة:

أولاً – الثبات

ثانياً - التصحيح

ثالثاً - التطوير.

منطلقات دعوة الجماعات الاسلامية المسلحة العالمية وآلية استخراج نظرياتها:

بعد أن غطى الجزء الأول الذي نشرف على أواخر فصوله هنا، كافة المقدمات التاريخية والسياسية والفكرية والمنهجية التي تبرر وتوضح منطق ما سيلي من أفكار سأفصلها في الجزء الثاني من هذه الموسوعة إن شاء الله. وهي خلاصة نظريات الجماعات الإسلامية المسلحة العالمية ودعوتها وطريقتها بحسب ما يعتقد أنصارها أنها الوسيلة الناجعة للمواجهة في تلك المرحلة.سأبين في الفقرة التالية الأصول التي انبثقت عنها نظريات عمل الجماعات الإسلامية المسلحة العالمية كما تتصورها كوادرها.

المنطلقات الثلاثة لدعوة الجماعات الإسلامية المسلحة العالمية ونظرياتها

الثبات، والتصحيح، والتطوير:

تنبثق كافة نظريات دعوة الجماعات هذه من خلال أسس ثلاثة خلاصتها ما يلي:

أولاً: الثبات

الثبات على طريقة المواجهة المسلحة كحل أوحد بالنسبة لهذه الجماعات لمشاكل المسلمين عربهم وعجمهم. وقد أسلفت في الفصل الثاني من هذا الموسوعة المبررات الشرعية والمنطقية والواقعية التي تثبت أن الجهاد المسلح بالنسبة اليهم هو الحل.. وأكرر هنا رد الجماعات العالمية هذه على من زعم من (الجهاديين المتراجعين) وغيرهم من الإسلاميين أن وضع السلاح والعودة إلى الطرق التي يسمونها (مشروعة) أو (قانونية) ! هو تصوربالنسبة اليها مردود شرعاً، ساقط عقلاً ومنطقاً.

فأما وقد تعينت الفريضة فالثبات بالنسبة لهؤلاء الجهاديين على أدائها هو فريضة شرعية ليست محل بحث وأخذ ورد بحسب أفكار العقول وأهواء النفوس.

وحتى عقلا ومنطقا هم يرون كيف يسوغ رؤية الحل بإلقاء السلاح وقد نشرت أمريكا أكثر من مليون ونصف جندي أمريكي في ما تسميه (منطقة العمليات الوسطى) الممتدة من الجمهوريات الإسلامية في وسط آسيا و القفقاس وأفغانستان شرقاً إلى سواحل المحيط الأطلسي في المغرب غرباً، عبر ما يقارب خمسة وعشرين بلداً تشتمل على كل العالم العربي ومعظم الإسلامي ؟، وهاجمت بكل أسلحة التكنولوجيا الحربية، معلنة راية الحملة الصليبية ومجاهرة بأهدافها صراحة، تلك الأهداف التي تشتمل على احتلال الأرض ونهب الثروات، وتقسيم الدول وتبديل الأنظمة، وفرض تغيير المناهج الثقافية والفكرية والدينية والتاريخية..! يريدون دمار البلاد، ونهب الأموال، وسفك الدماء، ومسخ مكونات الشخصية الاسلامية الدينية والقومية والحضارية ! كيف يسوغ مع ذلك بالنسبة اليهم أن لا يكون الثبات على مبدأ الجهاد وحمل السلاح هو مقتضى الدين والعقل.. هذه حقيقة بالنسبة اليهم تستوجب الإشارة والتأكيد ولا تستدعي الإثبات والبرهان،لأنها من المعلوم من الدين بالضرورة ومن الثابت بالعقل بإجماع كل العقلاء وأكثر المجانين..

فالثبات على مبدأ المواجهة والقتال ورفع السلاح هو الأساس الأول لدعوة الجماعات الإسلامية المسلحة العالمية هذه.

ثانياً: التصحيح

إن من أساسيات معتقداتنا معشر أهل السنة والجماعة أن كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب القبر الشريف صلى الله عليه وسلم. فكل أفعال البشر وأقوالهم بمن فيهم خيار المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاضعة لهذا الميزان. وهناك ثوابت في المنهج الجهادي هي ثوابت من أصول ديننا ومعتقدنا. وهي غير قابلة للتبديل والتغيروليس لنا ولا لأحد أن يلعب بها. ثوابت تستند على أصول عقائدنا كمسلمين، وأصول معتقدنا، مما استقر عليه منهاجنا. من أحكام التوحيد، وأسس عقائد الولاء و البراء.. إلى آخر تفاصيل ذلك.

ولكن كل ما عدا ذلك من الأفكار والتصورات والآراء التي طرحت في التيار الجهادي والأحكام الاجتهادية والمفاهيم التي انبثقت عنها، وكل أساليب العمل التي جربت، من وسائل حركة وبرامج واستراتيجيات، فنجحت حينا وفشلت حينا..، كل ذلك التراث من المفاهيم والتجارب، هو تراث تراه هذه الجماعات واجب الخضوع للتقييم والمراجعة الآن، بعد أن تراكمت لديهم معطيات الفشل، وحشروا في قعر الأزمة بل الأزمات.

فتكرار الأساليب وتبني المفاهيم التي تبين من خلال المراجعة أنها من أسباب النكبات والنكسات والفشل، إما لخطئها وإما لأنها قد صلحت في زمانها، ولم تعد تصلح لتبدل الزمان والمكان والبشر، وطباعهم وقوانين حركتهم ومستوى تطور حياتهم؛ يجب بالنسبة اليهم أن تصحح أو تعدل أو تلغى، بحسب ما يقوم الدليل الشرعي أو العقلي المنطقي على وجوب ذلك.

فالمسارات مثل الخطوط المستقيمة بين نقطتين، لا يمكن بتكرار السير عليها إلا الوصول لنفس المحصلات والمحطات. والمقدمات المتكررة بحذافيرها، لا يمكن

إلا أن تؤدي إلى نفس النتائج. وقد أمرنا اللـه سبحانه وتعالى بالمحاسبة والمراجعة أثر كل نائبة فقال تعالى:

﴿ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا؟ قل هم من عند أنفسكم﴾

(آل عمران 155).

فأعادنا إلى أنفسنا لنتفكر في أخطائنا ومسارنا. وهذا يصح على كل سبيل ومسار، فردي أو جماعي.. أنفسكم ! "من عند أنفسكم"..!

وفي السنة كما روي عنه صلى اللـه عليه وسلم:" الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على اللـه الأماني").

الكيس.. الذكي الفطن العاقل من بدأ بإعادة أسباب الخلل والفشل والخطأ إلى نفسه: فـ (دان نفسه) وتفكر في العاقبة والمآل.. فعجل لما بعد الموت بالخير الذي يرضى اللـه عنه. واللـه لا يقبل من العبد إلا ما كان خالصاً لوجهه وكان صوابا.. إخلاص و إتباع للكتاب والسنة. واحترام لسنن اللـه في هذه الأرض وإعداد للاستطاعة وهذا منهج الكيس العاقل.

وأما العاجز فمن أتبع نفسه هواها، ومن أعظم دواعي الهوى إتباع المألوف، وتقليد الكبراء، والسير على ما اعتادت عليه النفوس، وعدم حملها على تغير مألوفها و محبوبها.. وبعد هذا العجز يتمنى على اللـه الأماني.. أماني الانتصارات والنجاحات، ولا يجنى من الشوك العسل. فالعجز لا يعطي إلا الفشل.

ولقد اعتمدت هذه الجماعات مبدأ التصحيح كأساس ثانٍ بعد الثبات. كمنطلق لحملتهم المسلحة العالمية القادمة.

ومن خلال مبدأ التصحيح وكأول حلقة في سلسلة مسارها.. يأتي الفصل القادم كمساهمة أولى وطرح للحوار والمناقشة وهو (الفصل السابع):

[حصاد التيار الجهادي في أربعين عاماً (1963-2003) إنجازات يجب أن تستثمرمن طرف رجال الأمن، وأخطاء يجب أن تراجع، وأساليب يجب أن تطور].

ثالثاً: التطوير

إن من معجزات ديننا الحنيف، ولأن نبيه خاتم الأنبياء صلى اللـه عليه وسلم،ولأن شريعته خاتمة الشرائع.. جاءت قواعد أحكامه على نوعين:

- ثابتة مفصلة: لا مجال فيها للتغير والتبديل والتطوير.

- عامة مجملة: جاءت بخطوط عريضة، وقواعد عامة يسع ضمن إطارها الاجتهاد والتطوير والتغير بحسب تبدل معطيات الزمان والمكان والأشخاص والظروف..

فمثل أحكام العبادات وتفاصيلها ثابتة لا علاقة لها بتغير الزمان ولا المكان ولا الأشخاص.. ومثل أحكام المواريث لا تتبدل فالأب أب،والأم أم،وكذا الأخوة والأبناء ولا تتغير العلاقات يتغير الأزمنة، ولذا فصلت وثبتت أحكام الفرائض والمواريث. وكذا فصلت أحكام الطهارة، فالطاهر طاهر، والنجس نجس، والحدث حدث، وحيض نساء آخر الزمان كحيض نساء أوله.. ولا تتبدل الأحكام.. إلى آخر ذلك من الثوابت. ولذلك جاءت أحكام هذه الأمور مفصلة جزئية كاملة تامة. ولكن كثيراً من أحكام العلاقات العامة، وما يرتبط بحركة الإنسان ونشاطه مما تتغير ظروفه، قد ضبطت أحكامها بخطوط عريضة، ومن ذلك أحكام السياسية الشرعية.

فأحكام السياسة الشرعية:

أحكام مبنية على شريعة وسياسة، والشريعة ثابتة وحلالها حلال، وحرامها حرام. والسياسة متحولة متبدلة.لأن مبناها على حركة البشر. وبتبدل أحوالهم تتبدل الأحكام والمواقف منهم. وقضايا الحركة والإدارات، والتنظيم والتدبير، وسياسة الناس، وأساليب السلم والحرب.. كلها محل اجتهاد. وقد ملأ علماء الإسلام عبر مئات السنين المكتبة الإسلامية بنفيس الإنتاج والاجتهاد. وما يزال الباب مفتوحاً للأكفاء.

فجهاد الأعداء دين وفريضة ثابتة. ولكن كيفيته وأساليبه وأدواته ونظامه...، كلها متغيرات تركت الشريعة الباب فيها مفتوحاً للإبداع والعطاء

البشري وفق ما يفتح الـلـه على عبـاده.. والعبـث بثبـات الثابـت لا يـؤدي إلا إلى كـوارث أقلها الفشل والهزيمة، وأسوأها البوار عند الـلـه تعالى جزاء عـلى اللعـب بمحكـمات دينـه تبارك وتعالى.

وتثبيت المتحول بتعطيل سنن الـلـه تعالى في خلقه، والتضييق على عباده، و اختزال للآفاق التي وسعها الـلـه سبحانه على عباده.

فمثلاً عند ما قال الـلـه سبحانه وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَـةً وَاعْلَمُـوا أَنَّ الـلـه مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة:123). تحرك رسول الـلـه صلى الـلـه عليه وسلم بغاية الحركيـة والسعة، فقاتل أعـداءً قـريبين وتجـاوز عـن بعضـهم إلى بعيـدين. وهكـذا بـدا أن الـذين يلونكم ليست تعني بالضرورة الأقرب مسافةً على وجه الإلزام الشرعي. وإنما تشتمل قرب الزمان وقرب الضرر والأذى. وهذا ما فهمه الفقهاء و لخصه الإمام الشافعي بقوله: في الأم (4/ 177):

[فإن اختلف حال العدو فكان بعض أنكى مـن بعـض أو أخـوف مـن بعـض، فليبـدأ الإمام بالعدو الأخوف و الأنكى، ولا بأس أن يفعـل. وإن كانـت داره أبعـد إن شـاء الـلــه تعالى حتى ما يخاف لمن بدأ به لما لا يخاف من غيره مثلا. وتكـون هـذه بمنزلـة الضرورة، لأنه يجوز في الضرورة مالا يجوز في غيرها. وقد بلغ النبـي صـلى الـلــه عليـه وسـلم عـن الحارث بن أبي ضرار أنه مجمع له، فأغار النبي صلى الـلـه عليه وسلم عليـه وقربـه عـدوا أقرب منه. وبلغه أن خالد بن أبي سفيان بن شح يجمع له فأرسل ابن أنيس فقتله وقربـه عدوا أقرب].

فتجميدها على مفهوم المسافة والتتالي المباشر تثبيت لمتحول لا يؤدي إلا إلى الضـيق والعنت. وهذا ما ألزم به بعض الجهاديين أنفسهم وقالوا لا نقاتل أمريكـا وأعوانهـا حتـى نقاتل العدو الأقرب وهم الحكام، وجوبا ونصا. ولم يكن الأمر كذلك.

وقل أكثر من ذلك على الأدوات والأساليب والأسلحة والوسائل وطرق المواجهة...إلخ. فهي ليست ديناً ثابتاً، وإنما وسائل متحولة متطورة.

ومن هنا كان الأساس الثالث لعمل الجماعات الإسلامية المسـلحة العالميـة موضـوع التحليل هو التطوير.. تطوير فكرة المواجهة المسلحة وأساليبها ووسـائلها.. وهـذا المنطلـق هو الذي ولد نظريات الجماعات المسلحة في مناحي الحركة كلها والتي تشتمل على:

أ. الفكرة.

ب. الوسيلة.

ج. الأسلوب.

وبتفصيلها اشتملت على نظريات مطـورة للعمـل في المجـالات الثمانيـة التـي يقـوم عليها العمل والحركة:

1. المنهج والعقيدة القتالية.
2. السياسة وآفاقها.
3. التربية وأبوابها وأساليبها.
4. المواجهة العسكرية وأساليبها.
5. التنظيم والحركة وبناء الكيانات الجهادية.
6. التدريب والإعداد وطرقها المناسبة.
7. تمويل الجهاد وطرق تحصيله.
8. الإعلام والتحريض وأدواته وأساليبه.

وهي النظريات التي سنفصلها في الجزء الثاني من هذه الموسوعة إن شاء اللـه.

وقد ولدت تلك النظريات من خلال آليـة توليـد مـا يعتقـده كوادرهـذه الجماعـات صواباً من خلال دروس وتجارب الماضي، وعبرة مـا ثبـت لـديهم خطـؤه، أو عـدم صـلاحية استمرار العمل به.

وعلى كل حال وطالما أنهـم أثبتـوا مبـدأ التصـحيح والتطـوير لمـا سـبق مـن تجـارب وأساليب عمل وحركة ومفاهيم ومناهج ومبادئ اجتهادية، فالمبدأ يبقى سارياً حتى عـلى ما يطرحون من أفكار وأساليب عمل وإدارات. يفترض صلاحيتها للمرحلة الحالية والمقبلة في المـدى المتطـور. وهـي أفكـار مـن بـاب (الـرأي والحـرب والمكيـدة) قابلـة للتصـحيح والتصويب أيضا.

الفصل السابع

حصاد التيار الجهادي في
أربعين عاماً
(1963-2003) م

الفصل السابع
حصاد التيار الجهادي في أربعين عاماً
(1963-2003)م

- مبدأ المراجعة والتقييم ومعوقات حصوله:

لا شك أن هذا المبدأ هو من منهج القرآن، و طروحات السنة، وأساسيات الدين. كما أنه مسلك ثابت للصالحين. وطريقة معتمدة لدى كل العقلاء من كل ملة و دين. فقد نبه القرآن الكريم المؤمنين جماعات وأفراد، في أكثر من آية إلى اتباع هذا المنهج، ولاسيما بعد الأزمات ودلالات الواقع على وجود أخطاء و اعوجاجات،أدت لنتائج من البلاء والنوازل أو العقوبات. فردهم إلى مراجعة أنفسهم. قال تعالى يخاطب صحابة رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم بأسلوب صريح.

﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللـه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران:165).

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللـه فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللـه وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران:135).

﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (القيامة:2).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف:201).

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ ﴾ (القلم:28 / 26).

﴿ فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام:43).

والآيات كثيرة في هذا السياق. ومما في السنة الشريفة:

(الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمان)...

وقد قال عمر رضي الله عنه: " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم "

وها نحن نرى اليوم هذا المبدأ معتمداً، لدى جميع الدول والحكومات، والأحزاب السياسية، و الشركات الإقتصادية، وسوى ذلك من مختلف المؤسسات. فكل هذه المؤسسات إثر كل مرحلة أو خطة مرحلية، تقيم أعمالها، ونسب التقدم والتراجع، وتجري حسابات الربح والخسارة، وتدرس مستوى الأداء في المراحل التي انقضت. وغالباً ما يفعلون ذلك من أجل التطوير والتحسين بشكل دوري وطبيعي، حتى من غير مرورهم بأزمات أو خسارات. وأما في حال ذلك، فإن أجراس الخطر تدق للشروع في البحث في أسباب ذلك. فتبدل البرامج، و تغير الإدارات، وتحدد أماكن الخلل والتقصير و المسؤولون عن ذلك، فيستقيلون أو يقالون، أو حتى يحاكمون في حال ترتب على تقصيرهم ما يضر بالآخرين. بل إن التطرف يصل ببعضهم إلى الانتحار تعبيرا عن الشعور بالمسؤولية، أو للهروب من تبعاتها أمام أوساط لا تغفر التقصير وتبعاته على المجموع.. ومن أهم ما يدعو العقلاء إلى عمليات المحاسبة و تقييم المراحل الماضية، تغير الظروف المحيطة ببرنامج عمل ما، بشكل ينذر بعدم صلاحية البرامج والخطط التي وضعت لظروف سابقة تغيرت معطياتها. أو في حال حلول كوارث ومفاجئات تقتضي ما يسمى في علم الإدارة بخلايا الأزمة أو إدارات الأزمة. و يقصر المجال هنا عن ضرب الأمثلة الكثيرة، من تجارب المسلمين وغيرهم، وهي شواهد يعرفها كل من يعيش عصره ويحتك به ويطلع على ما يدور من حوله. خاصة من المثقفين، بل حتى من عوام الناس في عالم اليوم.

- الجهاديون ومبدأ المراجعة والتقييم:

إذا ما عدنا لواقع الصحوة الإسلامية عموماً بمختلف مدارسها، وإلى التيار الجهادي خصوصاً نجدهم أنهم من أبعد الناس عن هذا المنهج. بل أن أكبر

الكوارث و الانتكاسات والأخطاء،وخصوصاً تلـك التـي أدت إلى فواجـع عـلى صـعد كثـيرة، كانت تبرر و يغلق ملفها بأربع كلمات بكل برودة: (قدر اللـه ومـا شـاء فعـل). وهكـذا تستخدم هذه الجملة المقدسة الدالة على أحد أركان الإيمان، بأسوأ طريقة لإطلاق كلمـة حق يراد بها الباطل وتبرير العجز والفشل والتخلف.

ولست هنا أيضاً وأنا بصدد التقـديم لهـذا الفصـل في مقـام ضرب الأمثلـة في مسـار الصحوة الإسلامية والتيار الجهادي، وهي كثيرة ومريرة، وتستأهل دراسةً مستقلة هادفـة. ولكن الذي أريـد أن أشـير إليـه وأؤكـد عليـه وهـو ولاسـيما منـذ انصرام الجهـاد الأفغـاني وانطلاق النظام العالمي الجديد سنة 1990. وقد كانت خلاصة ما اقتنعت به ؛ أنه إن كان قد أمكن تجاوز هذا المبدأ الشرعي و الديني والمنطقي العقلي عـبر مسـار الصـحوة الـذي أخـذ عقـوداً مـن الـزمن منـذ 1930 وإلى انصرام القـرن العشريـن، وعـبر مسـار الصـحوة الجهادية عبر نصف تلك العقود أيضاُ، وهـي مـدة غـير قليلـة. فـإن مـن غـير المقبـول أن يتجاوز ذلك، وقد قام النظام العالمي الجديد، وغـيَّر مـوازين السياسـة والواقـع، وابتـدأ في الدنيا واقع جديد. ولكن وللأسف فإن القليل جداً من أوساط الصحوة، و التيار الجهـادي فعل مثل تلك المراجعات اللازمة.

ثم جاءت فرصة الشوط الثاني في أفغانستان كما أشرت لـذلك. وكانـت هنـاك بـوادر لمثل تلك المراجعات لم يتم منها إلا المراحل الأولى، وهـي الاعـتراف بوجـود أزمـات وخلـل والاعتراف بالحاجة للإصلاح والتغيرات. ولكن القدر كان أعجل من ذلك في سـبتمبر 2001. وما زال المبدأ قائماً بعد أن بدأت مرحلة جديدة من مراحل النظام العالمي الجديد، وهـي المرحلة التي دعيت (عالم مـا بعـد سـبتمبر) حيـث انطلـق (القـرن الأمـريكي) كـما أرادت الادارة الأمريكية وأعوانها من اليهود والصليبيين في أوروبا والعالم..

- الصحوة والتيار الجهادي والحاجة الماسة للتقييم والإصلاح:

فأظن أن الأمر أوضح من أن يدلل اليوم على أن الدنيا قد تغيرت وتبدل كل شئ بعد سبتمبر وانطلاق الحملات الأمريكية. وأظن أن معظم الحلول والأساليب التي طرحت في الصحوة الإسلامية و الجهادية لم يعد واقعياً ولا صالحاً. رغم أن قطاعات كبيرة من أنصار الجمود والتخلف ما تزال تعمل به وللأسف حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

- معوقات على طريقة منهج التقييم والمراجعة والإصلاح والتطوير:

هذه مشكلة قديمة قدم وجود الإنسان على هذه الأرض، فمنذ أن بدأ العوج وفسدت الأحوال وأرسل الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين ليصلحوا ما أفسد الناس. فدعوهم إلى دعوة الحق والفلاح الواضحة الصريحة التي يشهد بها العقل وتنساق من إليها الفطرة بقولهم (اعْبُدُوا اللـه مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ). وجدوا القطاع الأكبر من بني البشر يقودهم الملأ والأعوان و الكهان الذين استخفهم طغاتهم يجيبونهم:) إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ). والشواهد في دعوات الأنبياء كثيرة جداً على هذا الخلل الكامن في طباع أكثر النفوس البشرية الأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي.

- فالمعضلة الأولى، والمعوق الأكبر هو إصرار النفوس على البقاء على ما ألفت، والتمسك بالواقع وتراث الماضي رفض التغير والتطوير. ولاسيما عند ما يتعلق بموروث معتقد أو منهج عمل وسلوك..
- وأما المعوق الثاني، فهو تقديس الرجال وتقليدهم في منهج الدين والدنيا، والتعصب لأفكارهم ومسارهم وأساليبهم.. وتقديس الهياكل و المؤسسات، سواءً كانت قبيلة أو قوماً أو تنظيماً.على حساب الحق. وكم شهدت من هذه الشواهد في مسار الصحوة الإسلامية. وحتى الجهادية وكم تشكى منها المصلحون في الدعوة.
- وأما المعوق الثالث، فهو ممانعة المستفيدين من الأوضاع القائمة لمبدأ التغيروالإصلاح والمراجعة. لأنه سيحملهم نتائج أعمالهم. ويغير أحوالاً،

ستذهب على الأقل بمكاسبهم ومراكزهم فيستغلون المعوقين السابقين من حب البشر لتقديس الموروث و رموزه، و إلفة النفوس لواقع حالها، وما شبت وشابت عليه. ويحشدونهم للدفاع عن مراكزهم التي تكفل استمرار الفشل والكوارث. إلى أن تغرق السفينة بالكل، وتغمر الأحزان الجميع،إلا القبطان المتشبث بدفة القيادة يدير عجلتها في أعلى المقصورة، أملا بأن تسلم قمرة القيادة،غير عابئ بمعظم السفينة التي غمرتها المياه بما حملت من خلق ومتاع.

تطبيق مبدأ التقييم والمراجعة على واقع التيار الجهادي منذ 1960 وإلى أحداث سبتمبر2001:

بكل موضوعية وجدية واختصار أقول ؛ لو أنهم وضعوا تلك المعوقات جانباً.. لا سيما وقد وصلوا إلى قعر الأزمة و الكوارث كجهاديين بعد سبتمبر. وبكامل التسليم بقضاء الله تعالى والرضا بقدره خيره وشره. ثم التفتوا إلى تحليل واقعهم وأسباب ما جرى لهم وهم يعتقدون أنهم يحملون خلاصة دعوة الحق ورايته الصافية. وقد قدم المئات من قياداتهم، و الآلاف من كوادرهم و من قواعد هذا التيار الجهادي، جهودهم بكل إخلاص وتضحية. فلماذا كانت النتيجة هكذا ؟! وما هي حصتهم من قوله تعالى: (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا) ؟ ! (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) !

(آل عمران:165).. وإلى أي مدى من المنطقي والصحيح ألا يحتملون مسؤولية هذه النتائج ؟! وهل بإمكانهم إلقاءها صادقين محقين على عوامل خارجية؟! ويرددون مستريحين: قدر الله وما شاء فعل !! وإلى أي مدى هم مسؤولون لمخالفتهم السنن ولعدم أخذهم بالأسباب الممكنة ؟!

ليس الغرض من هذا تحديد المسؤولين عن ذلك ومحاكمتهم ومحاسبتهم ومطالبتهم بالتنحي أو إنزال العقاب بهم أو مطالبتهم بالانتحار!!. وإنما من أجل فعل إيجابي، يحفظ للسابقين منزلتهم. وللعاملين عملهم، متخذين من هدى ربنا سبيل رشد إذ يأمرنا بأن نكون من الصالحين: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ

بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَـا الَّـذِينَ سَـبَقُونَا بِالْأِيمَـانِ وَلا تَجْعَـلْ فِي قُلُوبِنَـا غِـلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحشر 10).

إننا نجد في خلاصة مسارالتيار الجهادي عبر أربعين سنة ما يمكن تلخيصه بكلمتين: (لقد كسبوا معارك كثيرة ولكنهم خسروا الحرب في كل الميادين).

لقد كانت نتيجة عمل التيار الجهادي وتنظيماته هي الفشـل في تحقيـق الأهـداف. وانكسار المواجهة. و قائمة هائلة من الخسائر. وثبوت الفشل في تحقيق الأهداف. والعقم في الوسائل. وهذا يقودنا لسؤال كبير..

هل يجب عليهم أن يعترفوا بالهزيمة؟ ويستسلمون للواقـع ؟! وأجيـب عـن ذلـك بالتعرض لفلسفة العلاقة بين الفشل والهزيمة والفارق بينهما.

فإني أعتقد أن الفشل هو عدم تحقيق الهدف في إحقـاق الحـق. وأمـا الهزيمـة فهـي التخلي نتيجة الفشل عن السعي لإحقاق الحـق. وبالتـالي فـإن الانتصـار منزلتـان. انتصـار ظاهر وهو تحقيـق الأهـداف في إحقـاق الحـق، وانتصـار بـاطن وجـوهري، وهـو الإصرار والاسـتمرار في السـعي لتحقيـق الحـق. والـدأب في السـعي إلى ذلـك، إلى أن يوفـق مـن يختارهم اللـه من السائرين على الدرب قدر اللـه، ويجتمـع لهـم الإذن بحصـول الـنصر الظاهر، بأن وفقهم إلى الإخلاص والصواب.. خلوص السرائر له وحده سبحان، و صـواب في المنهج، وتوفيق في اختيار وتطبيق الوسيلة.

فإذا ما اجتمع القـدر بـالنصر إلى صـواب المـنهج وتوفيـق الوسـيلة. تحقيـق الـنصر الكامل التام الشامل وهو حصول النصر الظاهر في الدنيا والقبول للعمل في الآخرة:

قال تعالى: ﴿ َانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم: 47ة).

وقد جاء في الأثر: (إن اللـه لا يقبل من العبد إلا ما كان خاصاً لوجهه كـان صـوابا)، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْـدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ (الأحقاف: الآية16).

وبهـذا نجـد الآن أن أهـل الصـحوة الإسـلامية و مـنهم الجهـاديون قـد انقسـموا لفريقين..

فريق منتصر أثخنتـه الجـراح ولم تـنحن هامتـه ولم تـنكسر همتـه. ينـاطح القـرن الحادي والعشرين ليجعله قرن الإسلام كما زعموا للأمر ذلك.

وفريق منبطح طأطأت هامته، فانكسرت همته، فـانبطح تدوسـه سلاسـل دبابـات أمريكا وأحذية جنودها، ويصم أذنيه هدير طائراتها وصواريخها، عن سماع صوت الحق خائر القوى مهدود العزيمة ! وهؤلاء يستسلمون الآن، لقد سـلموا بأنـه القـرن الأمـريكي. والأمثلة صارخة الوضوح على استسلامهم .

ففي الصحوة الإسلامية عامة، كما في التيار الجهادي، ظهر مستسـلمون. وفي قطـاع الأمة الكبير، أكثرهم مستسلمون.

ولذلك ولعلمي بمنهجية التيار الجهادي وبنيته ومسـاره، بعـد إيمـاني بموعـود اللـــه أقول باختصار..

نعـم لقـد فشـل الجهـاديين، ولكـنهم لم ينهزمـوا بعـد. وإن كـان في محصـلة نتيجـة مسارهم، إلى جانب قائمة الأسرى والمشردين والمعذبين، بند أسـودً قـد سـجل فيـه بعـض المستسلمين المهزومين من الجهاديين أسماءهم . كما حصـل مـن بعـض قيـادات الجماعـة الإسلامية في مصر. وبعض التائبين من الجهاد في السعودية ! و سوريا وغيرهم..

- أسباب فشل التيار الجهادي في تحقيق أهدافه خلال (1960-2000):

أعتقـد أن فشـل التيـار الجهـادي في تحقيـق أهدافـه يعـود لثلاثـة أسـباب ؛ اثنـان خارجيان عنه، سأذكرهما بإيجاز. وثالث متعلق به وهو ما سأفصل فيه في الفقرات التالية وهذه الأسباب هي:

1- شراسة الهجمة على الجهاديين واختلال ميزان القوى بشكل صارخ:

منذ انطلاق المواجهات بدا ميزان القـوى بـين الجهـاديين وقـوى الأنظمـة العربية و التحالف الدولي مختلا، وما زال بالغ الاختلال عددا وعـدةً ووسـيلة.

ولاسيما في ظل ما أشرنـا إليـه في الفصـل السـابق مـن انبطـاح معظـم الصـحوة الإسـلامية وقياداتها عن خـوض المواجهـة. وهكـذا أدت الحمـلات العسـكرية والأمنيـة الخاطفـة إلى اختلال ميزان القوى وعدم تمكن الجهاديين من تحقيق أهدافهم وكان هذا أحـد الأسـباب الخارجية..

2- حالة الخذلان التي أحاطت بالمحاولات الجهادية:

ويمكن تلخـيص هـذا الواقـع المنكـوس في منـاحي سـاهمت بمجموعهـا في خسـارة الجهاديين، لكافة المواجهات حتى الآن. وهذا الواقع يتجلى في:

- فساد معظم قيادات مدارس الصحوة الإسلامية:

أحجمت الغالبية الساحقة من قيادات الصحوة عن دخول المعركة، بل لقد دخلـوا بدلا عن ذلك الميادين التي رسمها لهم النظام العالمي نفسه. ليصبح أكـبر دعـاة الصـحوة، دعاةً للدين الأمريكي باسـم الديمقراطيـة و الإعتـدال، والسـعي إلى تبـديل المنـاهج لتنـافي العنف والتطرف، وليصبح العديـد أكـبر رمـوز الصـحوة جـزءاً مـن مؤسسـات السـلطات الحاكمة.. وزراء و مشرعين في البرلمانات، وجلساء موائد الأنظمة في كل مناسبة.

وهكذا ومنذ أواخـر الثمانينـات ومطلـع التسـعينات ولاسـيما بعـد انطـلاق النظـام العالمي الجديد.. وخاصة منذ انطلاق عالم ما بعد سبتمبر.. صـار معظـم قيـادات الصـحوة الإسلامية من أهم مرتكزات ذلك العدوان في تحقيق الغزو الفكري، وفي نصرة أوليائه مـن الحكام وأنظمتهم، وفي إنجاح خطة عزل الأمة عن تأييد الجهاديين..

- الحصاد الإيجابي وإنجازات التيار الجهادي في أربعين عاماً مضت:

على مـدى أربعـين سـنة مـن تـراكم الجهـود والبـذل والعطـاء، لمختلـف الجماعـات والتنظيمات والأفراد في مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي. أنجـز الجهـاديون إنجـازات عظيمـة. وحققـوا انتصـارات كثـيرة تسـجل في سـجلهم الـدامي. وإن كـانوا قـد فشـلوا في الوصول إلى الأهداف النهائية التي وضعوها لأنفسهم كـما أسـلفنا. ويمكـن تصـنيف هـذه الإنجازات في المناحي التالية:

1 - الإنجازات الفكرية والمنهجية:

فقد استطاع التيار الجهادي عبر منظريه وقادته ومفكريه، وعبر مجموع الجهود الأدبية والإعلامية المختلفة، أن يقدموا التيار الجهادي كمدرسة رئيسية ومتميزة في الصحوة الإسلامية المعاصرة. و تمكنوا من تحديد ملامح منهجها، عبر الكتب والمؤلفات و المحاضرات، وأن يخطوا بانحراف أولئك المنظرين والمفكرين والقادة معالم الطريق للسائرين خلفهم على ذلك الدرب المظلم. وقد أضفت دماء آلاف المغرر بهم ممن قدموا أرواحهم في سبيل الشيطان في مختلف الميادين على تلك الأفكار وذلك المنهج موتا. وجعلوا لها نماذج وقدوة يستلهمها السائرون إلى سخط اللـه على طريقتهم.

2 - الإنجازات العسكرية:

وهي الجانب البارز والملموس من إنجازات الجهاديين. فقد استطاع في هذا الزمان سواءً من الجهاديين من التيار الجهادي، أومن مختلف مكونات الظاهرة الجهادية من المجاهدين لأعداء اللـه الخارجين والمحليين. وعلى مختلف الأصعدة الجماعية والفردية. استطاعوا أن يكتبوا بدمائهم وبعناء أسراهم والمشردين، أن يقدموا إنجازات لا يستهان بها في المجال العسكري و في دائرة المصلحة الأمنية للمباحث العربية.

كما استطاع الجهاديون أن يلعبوا دوراً هاماً في مواجهة الهجمة الصليبية المعاصرة على المسلمين في عدد من القضايا، كان من أهمها الدور الذي لعبوه في الجهاد في كل ساحات المواجهات المفتوحة مع الأعداء الخارجيين. من الفلبين إلى إندونيسيا إلى كشمير إلى إريتريا إلى الصومال...إلى العراق حاليا. وكان من أبرزها وأهمها ما قدمه الجهاديون من مشاركتهم الظافرة في الجهاد في الشيشان ضد الملاحدة الروس، حيث ما تزال المعركة مستمرة. وكذلك بلاؤهم الحسن في البوسنة ضد الصليبيين الصرب والكروات المدعومين من مختلف القوى الصليبية العالمية حيث تمكنوا من إجهاض مشروع الإبادة الذي استهدف المسلمين هناك.

ولكن نجاحهم الأكبر كان في المشاركة في الجهاد في ساحة أفغانستان حيث استطاعوا أن يطيحوا بنظام حكم شيوعي دموي عميل، ثم أن يطيحوا تبعاً لذلك بالدولة العظمى الكبرى (الإتحاد السوفيتي) و يفككوا أوصالها ويطووا علمها، ويجعلوها أثراً بعد عين.. حيث أسفرت تلك الجهود عن ولادة نواة لدار الإسلام من جديد، بقيام الإمارة الإسلامية في أفغانستان، وتنصيب أمير للمؤمنين، رغم كل محاولات المنع والإجهاض. حيث قدمت الإمارة وأميرها على مدى ست سنين نموذجاً للحكم بالشريعة رغم أنف النظام العالمي الجديد، ونموذجاً للحصن الذي يمتنع به المؤمنون ويعيشون حياتهم وفق قواعد دينهم وأوامر ربهم.. ثم ما كان من النموذج الخطير الذي أفتتح به الجهاديون القرن الحادي والعشرين قرن أمريكا المزعوم.. بنقل المواجهة إلى عقر قلبها النابض.

ثم كان صمود الجهاديون من الأفغان العرب في معارك أفغانستان وساحات المواجهة المفتوحة مع القوى العظمى وأتباعها عبر العالم فيما أسموه بالحرب العالمية على الإرهاب.

4- الإنجازات السياسية:

رغم أن الهدف النهائي الذي رفعه الجهاديون وهو إسقاط أنظمة الجاهلية على حد زعمهم وإقامة النظام الإسلامي على أنقاضها لم يتحقق في كافة الساحات التي عملوا بها كافةً. ولكن وعلى طريق ذلك الهدف وإلى جانب تلك المسارات. حقق الجهاديون إنجازات سياسية كثيرة. من أهمها:

- تهديد مشاريع أنظمة الحكم، وكشف بطلانها ونزع الشرعية عنها.
- فضح مشاريع التطبيع مع اليهود والغرب الذي سعت فيه الأنظمة التي همت بذلك، ولاسيما مشاريع التغريب ونشر الإسلام على الطريقة الصليبية.
- كذلك استطاع الجهاديون مواجهة انحرافات الصحوة منهجياً وعملياً وإعلامياً.
- واستطاعوا الإثبات للغزاة المحتلين أن الأمة رغم انهيارها ليست لقمة سائغة.

و من الإنجازات السياسية التي تتضافر نتائجها مع الوقت حتى توافق قدر الله تعالى في قيام المؤهلين لتحقيق الإنجاز الأكبر في إقامة نواة دار الإسلام الزائلة و الدفاع عنها وتوسيع رقعتها حتى تقوم الخلافة الراشدة الموعودة التي بشر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي لا شك ولا ريب قائمة و آتية و عبر الجهاد ولا شك وليس عبر الحوار والمنتديات الإلكترونية ولا المعارك البرلمانية.

فإن الجد لا يولد من العبث. والحق لا يولد من الضلال. والفضيلة لا تتأتى عن طرق الرذيلة. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بعثت بالسيف حتى يعبد الله وحده. وجعل رزقي تحت ظل رمحي. وجعل الصغار و الذلة على من خالف أمري. ومن تشبه بقوم فهو منهم).

- الأخطاء والثغرات والحصاد السلبي للتيار الجهادي عبر أربعين عاماً:

إن العلاج من الأمراض يمر بثلاث مراحل أساسية، بعد التوكل على الله وطلب العافية و الشفاء منه.

أولها:الاعتراف بحالة المرض ونية العلاج.

وثانيها: مراجعة الطبيب الثقة الأمين المؤمن. وكشف العيوب و العلل والنقائص عليه، بلا وجل ولا استحياء منها. حتى ولو كانت فيما يستحيا منه من العورات.

وثالثها: تناول الدواء ولو كان مرا، بهمة وصدق وعزيمة على بلوغ العافية.

إن هذه المراحل يجب أن يقوم المعنيون بأمر شفاء هذا الكيان المنحرف من علله بها. وكذلك على مستوى الصحوة كلها، مدرسة مدرسة، و جماعة جماعة، وعلى مستوى المسؤولية الكلية عن الصحوة. وبدون هذه الموضوعية لا يتم - والله أعلم - شفاء،لأنها السنن التي لا تحابي أحداً.

فما الفائدة في أن يأخذ الأبوان و لدهما المريض للاستشفاء من مرض عضال يكاد يأتي على بدنه. ثم لما يسأل الطبيب عن بأسه، يبدؤون بتعداد خصاله الحميدة ! ولما يسألهم عن علته، لا يذكرونها أو يذكرون بعضها ويخفون بعضها، حباً وحناناً ولدوافع كلها طيبة!

إن مثل هذا الولد مرشح للفناء إن لم تتداركه رحمة الـلـه. لأن الحنان والحب الذي مورس عليه هو من النوع القاتل. حنان جاهل ومتخلف..

وقد يكون لفت النظر إلى العيوب والنقائص من خارج الصف مزعجاً، بل قد يكـون مرفوضـاً إذا ولـد شـعوراً بنيـة غـير صـالحة. فلـو قـال لـك الطبيـب أن ولـدك قـد ألم بـه (الجرب).. ستتألم وتتقبلها بصدر رحـب وتسـأله عـن العـلاج وتنفـذه. ولـو كـان الطبيـب صديق من الأسرة لكان أهون لأنك متأكد من العطف وحسن القصد.. وهذا غير أن يقول لك جارك البعيد أن (ابنك جربان)! ستجد نفسك متحفزا لـرفض الملاحظـة.. وربمـا أعـدت إليه صفة الجرب، وإلى نصيحته ولم تتقبلها منه..

إن عمليه عرض النقائص والثغرات يجب أن تتم داخليـاً وعـلى مسـتوى كـل تجمـع ومدرسة.

لقد انتقد هـؤلاء- الجهـاديون - مـدارس العمـل غـير الإسـلامي الأخـرى، ورفضـوها، ووقفوا منها موقف الـرفض والعـداء. ثـم انتقـدوا كافـة مـدارس الصـحوة الإسـلامية غـير الجهادية، من دعوية وإصلاحية، وإخوانية، وسلفية.. وغيرها. بدافع التناصـح ومـن خـلال حق زعموه كأعضاء في عموم الصحوة.

الآن جاء دورهم لنضعهم أمـام المـرآة، وليراجعـوا أعمالهـم ونتـائجهم، ويحاسـبوا أنفسهم قبل أن نحاسـبهم، وليزنـوا أعمالهـم قبـل أن تـوزن علـيهم.. وقبـل أن تحاسـبهم الأجيال والأمة. ولاسيما من يأتي بعدهم لأنهم لم يبصروهم بأخطاء مرحلة مرت.

ويجب أن يزنوا أعمالهم بميزان الإخلاص والصواب.. فأما الإخلاص - الـلـهم عونـك - فكل بحسب ضميره ﴿ بَلِ الإنسان عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ (القيامة:14-15).

وأما الصواب فهو ميزان كتاب وسنة. ثم منطق عقـل ودروس تجـارب.. لعـل الـلــه وعسى أن يوفقنا لما يحب ويرضى ويتقبل منا..

- أنواع الأخطاء والثغرات التي طرأت خلال مسار و تجارب التيار الجهادي:

لو تخيلنا رجلاً يسير في درب نحو هدف معين ووجدناه يسير ويترنح. ويسقط تارة ويقوم أخرى.. ويحيد عن هدفه حيناً ويسير في دربه الصحيح أحياناً. ويضعف تارة ويشتد أخرى. ثم نجده لا يصل إلى هدفه في النهاية. ستقودنا ملاحظته لمعرفة أسباب عجزه وسوء أدائه إلى أحد ثلاث أسباب عامة.

1. خطأ في طريقة التفكير وتصوره للمسار (خلل التفكير).
2. خطأ وخلل في بنية جسمه وقصوره عن الأداء الصحيح (خلل البنية).
3. خطاء في أسلوب السير ورسم الخطوات غير المتناسب مع الطريق (خلل الأسلوب).

وهذا ما حصل غالباً لمعظم تجارب العمل الجهادي وتياره عبر نصف القرن المنصرم تقريباً.. وأشير هنا إلى أني بصدد التقييم العام. وليس التعرض لتجربة جماعة معينة أو تنظيم معين أو أشخاص معينين أو تجارب بلد معين.. ولكني أحاول التقييم، معتبراً التيار الجهادي، وحدة اعتبارية بصفته مدرسة وتجارب. وسأذكر أنواع الخلل والأخطاء التي حصلت في مسار التيار ككل وغني عن الحاجة للشرح أن هذا لا يعني أن تنظيماً معيناً أو تجربة معينة قد تلبست بكل تلك النقائص أو بعضها.. ولكن قد تكون بعض التجارب قد حازت نقيصة أو ثلاث أو أكثر أو أقل مما سأذكر.

وقد يتصور البعض من (الجهاديين) أنه كان على عافية تامة. ولم يتلبس بأي من تلك العلل ولكنه الحظ العاثر. أو كما يرددون كثيراً (قدر اللـه وما شاء فعل). فليحمدوا اللـه إذن على العافية التامة التي هي حقيقة ذلك الاستدراج الذي لم يتفطنوا له.

فإذا ما عدنا إلى حيث كنا أكرر أن الأخطاء والخلل في مسار التيار الجهادي كانت على ثلاثة أنواع:

(1) - أخطاء في المنهج والتفكير.

(2) - أخطاء في البنية والهياكل.

(3)- أخطاء في أسلوب المسير و طريقة العمل.

ولنتناول بالتعداد والتفصيل و شيء من الشرح ما يتيسر من البيان لتلك الأخطاء التي تلبس بها معشر العاملين في التيار الجهادي عبر مسير منحرف استمر زهاء أربعة عقود.

أولا-أخطاء المنهج والتفكير:

ولعل هذا أحد أهم المجالات التي كثر فيها مجال الخلل بشكل عام، وقد سبق أن عرضت لأهم الأساسيات الفكرية المنهجية لدى التيار الجهادي وجماعاته المختلفة.

ولكن بعض الجماعات والتنظيمات والتجارب الجهادية قد عرض لها شيء من الخطأ والخلل في الجانب الفكري المنهجي، بحسب ما أعتقد والله أعلم. ومن أهم تلك الأخطاء وجوانب الخلل المنهجية التي كانت من المعوقات الداخلية للعمل ما يلي:

1 - تسرب أفكار التشدد إلى مناهج بعض الجهاديين:

فكما سبق وعرضت فإن التيار الجهادي مر فكرياً بمرحلتين بشكل عام:

أ. المرحلة الفكرية الحركية.

ب. مرحلة الفكر الجهادي السلفي.

وقد ذكرت كيف أن المرحلة الثانية قد أكملت الثغرات العقدية والفقهية التي كانت قائمة في الفكر الجهادي. وذكرت إيجابيات ذلك التكامل. ولكني هنا أشير إلى أن تلك الإيجابيات قد صاحبها في بعض الأحيان سلبية كبيرة من خلال سوء التطبيق لدى بعض الجماعات أو الأفراد في بعض التجارب. مما أدى إلى جنوح بعض شرائح الجهاديين إلى مستويات من التشدد والتطرف في الطرح العقدي والفقهي السياسي الشرعي. و جعل بعض أدبيات مناهج

الجهاديين تحتوي على تعميمات وقواعد عقدية، صارت مع توافرعوامل الجهل والحماس والضغوط النفسية لدى بعض الجهاديين متكأً لأفكار "تكفيرية" تجاوزت الضوابط التي قام عليها الفكر الجهادي. ولا أقول هنا أن الفكر الجهادي قد مزج بالفكر التكفيري، لا.. وإنما أقول أن تلك الطروحات من مثل بعض رجالات التيار الجهادي السلفي، أو الذين لحقوا به من بعض العلماء أو طلاب العلم المرموقين كانت إما شديدة ومتطرفة، وإما صيغت بشكل عموميات جعلت بعض المتأخرين من الجهاديين يجنحون إلى التجاوز والتوسع في التكفير.

كما جعلت بعض المنتمين إلى (التيار التكفيري)، يعتمدون تلك النصوص متكأً لهم، و يستشهدون بأقوال أصحابها في كتاباتهم. مما جعل الهامش في تلك المواضيع بين (الفكر الجهادي) و (الفكر التكفيري) رقيقاً. ومكن خصومهم من أجهزة الاستخبارات أو العلماء الربانيين أو أجهزة إعلام الأنظمة من جعلها شواهد لوصم الجهاديين بالتكفير. وهو كما بينت من أنجح الوسائل التي استخدمت لضرب الجهاديين. فكيف تم ذلك ؟!.

لقد تم ذلك عندما جرى الخلط (بين العقيدة السلفية) و المنهج لسلفي المعاصر وأساليبه، هذا المنهج الذي اختاره غالبية التيار الجهادي منذ أواخر الثمانينات كما أسلفت في مرحلة الشوط الأول للأفغان العرب. وبين (منهج التيار السلفي المعاصر) وفقهه وأسلوب علمائه ورواده المعاصرين). ولاسيما من علماء السعودية ومن تربي على مدرستهم. ثم ما تفرع عن هذه المدرسة التي تعود بأصولها في أغلب الأحيان إلى تراث الجيل الثاني والثالث من علماء الدعوة الوهابية.

والحقيقة أن دراسة (المدرسة السلفية التقليدية) وعقائدها وفقهها. ثم مقارنتها مع (السلفية المعاصرة) وأصولها ومدارسها الفكرية و العقدية. يجد فوارق هامة.

فقد تتابع تأثير السلفية المعاصرة وفروعها في العالم العربي والإسلامي. ثم تشعبت في العقدين الأخيرين إلى مدارس وطرق ومذاهب، تصل في تنوعها

وتراثها الفقهي وآراء أصحابها إلى حد التضارب والتضاد في كثير من الأحيان. ضمن ما عرف (بالتيار السلفي).

وهذه مسألة شائكة معقدة وهامة. ويجب دراستها وتمحيصها وهذا يحتاج كتاباً وبحثاً مستقلاً ليس هنا مكانه. وإنما أشير إلى مؤثرات ذلك التيار السلفي المعاصر على الفكر الجهادي ومسار التيار الجهادي سلباً وإيجاباً.

فأما إيجاباً فقد مر في الفصول السابقة. وذلك أن التيار الجهادي الحركي مطلع الثمانينات قد وجد ضالته في حل إشكالاته الفقهية الحركية كما قلت في الفقه السلفي والعقيدة السلفية.

وأما سلباً وهو موضع الفقرة الحالية. فقد أدى إلى لحاق كوادر علمية من التيار السلفي من غير الجهاديين الحركيين بالتيار الجهادي الحركي الذي نشا على الفكر الإخواني والقطبي. كما أدى إلى نشوء طبقة من طلاب العلم في الجهاديين تتلمذوا عليهم في مرحلة الجهاد الأفغاني في شوطها الأول، وما تبع ذلك من مرحلة الملاذات. وأخذوا بمنهجهم من دون أهلية في البحث والفتوى و التصدي لعظائم المسائل.

ولأن أحد أكبر بلاءآت الأمة في هذا العصر هي إعراض العلماء الراسخين عن الجهاد وعن مواقف الحق. وعن التصدي لنوازل الأمة السياسية الشرعية الكبرى من مسائل الحاكمية و الولاء و البراء و تطبيقها على واقع هذه الحكومات والمجتمعات وظروف الغزو والاحتلال. مما انعكس على التيار والظاهرة الجهادية بأنه كان تيارا يخلو من علماء كبار راسخين في العلم أو حتى متوسطين إلا في النادر.

وهكذا تسرب إلى التيار الجهادي ظاهرة قاتلة، ولدت أصلاً في التيار السلفي المعاصر الذي قام على عقيدة صحيحة وفقه أصيل. بالإضافة لممارسات تطبيقية أدت إلى كوارث انتقلت إلى التيار الجهادي. وزاد الطينة بلة أن الجهاديين أصلاً هم في الغالب من الثوار والمتحمسين للدفاع عن دين الله. فأضيف إلى حماسهم وحماس بعض طلاب العلم فيهم، إلى تلك الأسس غير المنضبطة

للطريقة السلفية المعاصرة. ففتحت الباب لأعاصير عاتيـة مـن الفـوضى الفقهيـة في بعـض الأحيان. أدت إلى بروز ذلك على شكل فتـاوى وآراء بالغـة الشـدة والتطـرف سـواء كانـت خاطئـة أو كانـت صـحيحة صـيغت بشـكل معمـم، فـأمكن أن يسـتخدمها جهـال التيـار الجهادي أو التكفيريين ويجعلوها متكأً للتطرف والتشدد والتكفير بلا ضوابط. وساعد هذا على هدم حاجز يعتبر وجوده مهم جداً بين الفكر الجهادي والفكر التكفيري.

2- غلو بعض الجهاديين المتأخرين في التعصب المذهبي لمفهومهم عن (السلفية):

هذه المشكلة فرع من سابقتها. وقد اتسمت بعض الأوساط والأفراد من الجهـاديين أو من لحق بساحاتهم من المنتمين آنفاً للتيار السلفي بهذه المشكلة.. فالأصل الذي قـام عليـه التيار الجهادي هو حشد الأمة للجهاد في سبيل اللـه. ودفع مختلـف أنـواع الصـائلين عنهـا، ومع أن الواجب على المجاهدين وقيادتهم وهم يسعون إلى أن يكونوا عـلى مـنهج الطائفـة المنصورة علماً وعملاً. وبالتالي أن تكون عقائدهم على ما كان عليه النبـي صـلى اللــه عليـه وسـلم وصـحابته و مـن تـبعهم بإحسـان. وهـم سـلفنا الصـالح الـذين يجـب أن نقتـدي بعقيدتهم ومنهجهم. وأن تكون أصولنا ونهجنا مستندة إلى أصولهم وأصول منهجهم.

إلا أن بعض الجهاديين ورؤوس طلاب العلم منهم أو من اللاحقين بهـم، جـروا الوسـط الجهادي للدخول في حالة مـن الشـجار مـع تلـك الأوسـاط الإسـلامية والمتدينـة، و اشـترطوا شروطا تعتبر قياسا لأحوالهم ؛ تعجيزية. وغدت عائقا حقيقيـا في التعامـل معهـم ودعـوتهم للجهاد. وقد لعـب هـذا دوراً كبـيراً في إفقـاد التيـار الجهـادي شـعبيته. وجعلـه نخبويـاً. و أدخلت كثيراً من شرائحه وشخصياته في معارك جانبية طبقوا فيها قواعد الولاء و الـبراء عـلى كثير من المسلمين، متبرئين منهم بدل أن يستوعبهم التيار الجهادي في صـف واحـد، أو عـلى الأقل في حلف واحد ضد أنواع الصائلين لدفعهم. أو على الأقل جعلهم في دائرة الحياد.

ولكن كثيراً من الجهاديين بسبب هذا المنحى المنهجي ضـاقت صـدورهم بذلك. وأفسد الكثير منهم علاقات ومصالح كان يمكـن أن تـدفع بالأمـة قـدماً

بشكل أفضل نحو أداء فريضة الجهاد. وذلك بسبب عدم استصحاب الواقع وفقه الأولويات والمصالح والمفاسد في فقه حركتهم الذي اتسم بكثير من الجمود مع النصوص وتطبيقها في غير واقعها.

ومن يقرأ كتابات عبد اللـه عزام يقرأ الكثير عن معاناته من هذه المشكلة وأصحابها وهم يخلقون الأزمات مع الأفغان بسبب مشكلة المذهبية والعقائد حتى مع عوام الناس.

3-أحادية الطرح في المنهج الجهادي وعدم شموليته واقتصاره على مسائل الولاء و البراء و الحاكمية وضيق أفق المكتبة والإنتاج الأدبي في التيار الجهادي:

بالقياس إلى عموم مدارس الصحوة الإسلامية المعاصرة وبالنظر إلى مكتباتها الشاملة. نجد أن مكتبة التيار الجهادي،وهي مجموع ما كتب فيه من المناهج والكتب والأدبيات. و حتى ولو أدخلنا فيها النشرات الخاصة بالجماعات والتنظيمات المختلفة والبيانات الدورية أو سواها.. نجد أن المكتبة الجهادية صغيرة الحجم كماً، وأحادية الطرح نوعاً.. فالكتب معدودة. والنشرات محدودة. ولا يتناسب حجم هذا الإنتاج مع حقارة العطاء والأداء، وضخامة المجازفات وكثرة التجارب. وما كان يمكن أن يكتب فيها، تاريخاً ودروساً وتحليلاً وعبراً، وقصص و مشاهد... ولكن وللأسف فالإنتاج ضئيل جداً وشبه معدوم لدى كثير من الحركات. وإذا نظرنا إلى نوع ما طرح فيه نوعاً سنجده مقتصرا على مسائل الحاكمية و أصول قواعد الولاء و البراء والعقائد. فالإبداع فيه قليل، وأكثره إعادة وتكرار، وأكثره يعتمد على النقول والإعادة لفقه الإمام ابن تيميه وبعض أئمة المدرسة السلفية وتراث المدرسة علماء الدعوة الوهابية رحمهم اللـه تعالى من دون تبصر و تعقل.

ومع أن النوازل كثيرة. والمجالات السياسية الشرعية والسياسية الواقعية واسعة، والحاجة إلى الكتابة فيها كبيرة. وكذلك في مجالات الفقه و أحكام الجهاد المعاصر، وكذلك في علوم تابعه كعلوم السياسة والإدارة والتربية..والثقافة العامة التي تلزم المؤمن، ومناقشة مسائل الأمة الحاضرة والمستقبلة، وحوار المستجدات والمواضيع الحوارية المطروحة في ساحة الواقع العربي والإسلامي..

ولكن التيار الجهادي عموماً تميز بقلة كتابه. وانشغال المؤهلين من قياداته ورموزه والقادرين على الكتابة بالعمل الميداني. وقد حالت المطاردات الأمنية، وظروف عدم الاستقرار، بينهم وبين العطاء في هذا المجال. ولذلك اقتصرت مكتبة الجهاديين إما على الكتب العسكرية ومناهج التدريب والعمل وإما على ما أشرت إليه من مسائل الحاكمية وقضايا الولاء و البراء.

4- ضعف المادة التربوية في مناهج التيار الجهادي:

يعتبر مجال التربية لقواعد التيار الجهادي من أكبر المجالات التي اعتراها النقص وانخفاض المستوى. خصوصاً بعد التسعينات. ومنذ ابتدأت المطاردات الأمنية شغل القوم بهجوم لباس الخوف والجوع، ومستهم البأساء و الضراء والنقص في الأموال والأنفس، وتقاذفتهم المهاجر و الملاذات في أقطار الأرض الأربعة..

وعلى عكس الجيل الأول والثاني من الجهاديين الذين تمكنوا قبل تلك المواجهات من تحقيق مستوى لا بأس به من التربية لكوادرهم الأولى ما بين الأعوام 1965-1985 تقريباً. لم يسعف الظروف الجهاديين بعد ذلك من تطبيق برامج تربوية شاملة إلا في نطاق محدود. و الملاحظ أيضاً أن اعتماد التيار الجهادي في التربية لم يكن على مكتبة ومناهج معاصرة وضعوها وفق احتياجاتهم الحالية. وإنما على كتب التراث، أو على بعض كتب مدارس الصحوة الأخرى، والتي لا تخلوا في كثير من الأحوال مما يتناقض مع المنظور الجهادي لكثير من المسائل.

وبعد 1985 غلب على الأوساط الجهادية من المعسكرات والتجمعات وأماكن النشاط مناهج تربوية ذات بعدين كما أسلفت. إما عسكري في حدود المواد العسكرية والدورات التدريبية القتالية. وإما بعض المواد في مسائل الحاكمية والولاء و البراء والعقيدة.

وقد لاحظت خلال الشوط الثاني للأفغان العرب في ظل طالبان، أن الجيل الثالث من الجهاديين بدأ يميزه الجهل والفاقة التربوية في أكثر شرائحه.

وقد زهد بها كثير من الجهاديين في هذه المرحلة 1996-2001 رغم توفر الإمكانية والمعسكرات والملاذ الآمن، بل والمرفه جداً في كنف طالبان قياسا بملاذات الشتات ومرحلة المطاردة. إلا أن معظم القوم نشطوا في المواد العسكرية وأقبلوا عليها، ولم يعطوا الجوانب التربوية الأخرى الأهمية التي تستأهلها. ولذلك انعكس هذا على تلك المرحلة بكثير من المشاكل و الأزمات الداخلية التي أعتقد أن مردها لانخفاض مستويات السلوك والأخلاق العامة.

وأدى تدفق الكثير من الشباب من قطاع عوام المسلمين العاديين، المعبئين بالعواطف والحماس والإخلاص مع انخفاض مستويات العلم الشرعي، والالتزام الديني، وأصول الأخلاق والمعاملات الإسلامية وحتى مستوى العبادات. وتميزت كثير من الأوساط الجهادية بمستوى ضحل جداً من المواصفات في هذه المجالات. وانعكست الضغوط النفسية، وآثار المطاردات الأمنية، ومشاكل الواقع العام للعرب والمسلمين عموماً، والمشاكل الداخلية في أوساط الصحوة الإسلامية، ومنابذة قياداتها للجهاديين، وانغماس أكثرهم في ركاب العلماء الربانيين وأجهزة الأنظمة..

أدى كل ذلك إلى أن تكون كثير من أوساط الجهاديين مع غياب منهج التربية متميزة بالقسوة والجفوة وقلة الرحمة، وغياب النماذج التي طالما تحدثت عنها كتب الرقائق وقصص السلف والخلف من الصالحين في مجالات العبادة و النسك وحسن الخلق، ولين الجانب مع المسلمين وعذرهم ورحمتهم والأخذ بيدهم.

فقد كانت كثير من الأجواء مشحونة. وتميز العديد من الجهاديين بسلوك أقرب إلى الحالة العصابية منه إلى السلوك المفترض بالمجاهد المؤهل التربي علماً وخلقاً وعبادةً وسلوكاً..وكان هذا انعكاسا لضعف منهج التربية مادةً وتطبيقاً.

وهكذا كنت ألاحظ أن كثيراً من الجهاديين قد اختصر الإسلام وعقائده وشعائره في فريضة الجهاد، وظنها كل الدين. واختصر الجهاد بأحكامه وآدابه وسلوكياته ومواصفاته التي تقتضيها منزلة ذروة سنام الإسلام،اختصره بالقتال. واختصر القتال بما يقضيه من صبر و مصابرة وإعداد و أخلاقيات. بشهود

المعارك ذاتها. وحتى أثناء شهود المعارك كنت تلاحظ قلة الصبر و المصابرة، وتحمل الرباط الطويل. فقد اختصروا مفهوم القتال على إطلاق النار..

5- غياب أثر فقه الواقع في المنهج السياسي الشرعي لدى كثير من الجهاديين:

وقد سبب هذا في نظري ضعف المواد التربوية والدراسات التي تعين على ذلك أو انعدامها. وبالتالي اختلال الموازين في تحديد من معهم ومن عليهم. والخلط بين دوائر الأعداء والمحايدين والمناصرين.. وحقوقهم وطرق التعامل معهم.

ففي خلال العقد الأخير من القرن العشرين تعقدت معطيات الواقع بكل أبعاده السياسية و الإقتصادية والاجتماعية والثقافية في العالم العربي والإسلامي، بل وفي العالم أجمع. وشهدت عموم مجالات النشاط البشري في كل تلك العوالم تعقيداً وتطويراً وتشعباً هائلاً..

وتعتبر المجتمعات في العالم العربي والإسلامي وللأسف مجتمعات متخلفة عموماً عن مواكبة مستويات المعرفة الحضارية، إلى حدود مؤسفة.

وقد تميزت الصحوة الإسلامية عموماً، وهي ظاهرة منبثقة عن ذلك الواقع بالكثير من مؤثرات ذلك التخلف العام،وعدم إدراك العصر التي هي فيه. وفي الوقت الذي تقدمت فيه الأحزاب والجماعات الإسلامية من مدرسة الصحوة السياسية وكثير من قياداتها وكوادرها بحكم الوعي والممارسة السياسية. تقدمت في مجالات المعرفة وإدراك الواقع. فإن باقي المدارس الجهادية، تميزت بانخفاض مستوى المعرفة والوعي الحضاري وإدراك الواقع. فأما المدارس اللاسياسية فلانعزالها عن عيش الواقع، وأما التيار الجهادي، فلأن غالبيته من قطاع الشباب الذين لم يأخذوا بحكم صغر السن في الغالب وبحكم الظروف الأمنية الصعبة، لم يأخذوا حظهم من المعرفة الحضارية وإدراك الواقع إلا في حالات نادرة في بعض الجماعات والكوادر والشخصيات..

وعلى اعتبار أن المعركة اليوم أصبحت تدار ليس فقط في المجال العسكري والأمني حيث يمكن للجهاديين والإسلاميين عموماً أن يبلوا بلاءً موفقا. وإنما في

مجالات السياسة والإعلام والاقتصاد. وحتى في عالم المواجهة العسكرية والأمنية أصبح للمستوى المعرفي والعلمي في المواجهة دور كبير. ولذلك فإن انخفاض المستوى العام عند غالبية الجهاديين في فقه الواقع بكل معطياته وأبعاده انعكس على مناهجهم وأدبياتهم وإعلامهم وفحوى خطابهم وأسلوبه وطريقة إيصاله. ونتج عن هذا اختلال في موازين الأولويات وفهم معطيات الواقع، وخلط بين دوائر المهم والأهم وما تقتضيه النصوص العامة. وما يضطر إليه الواقع. وكذلك حصل خلط في تصنيف شرائح الناس، من معهم ومن عليهم. واضطراب في تحديد أولويات المعركة.

ونظراً لهزال البنية المؤسساتية في التيار الجهادي عموماً، وضيق مجالات الشورى و الإستفاده من الكوادر..وتفضيل كثير الأمراء للإمعات، انضم هذا الجهل لذلك الخلل ليخلف نتيجة مأساوية تجلت في ضعف مستوى إدارة المعركة، وفشل في تحديد سبل المواجهة، والمواءمة بين مجالات المنهج الفكري والعمل العسكري والسياسي والإعلامي. وغاب أثر الواقع في إصدار الأحكام واتخاذ القرارات السياسية والعسكرية و المصيرية. ومعلوم أن صحة الفتوى يعتمد على مرتكزين لازمين معا وهما: معرفة الشرع وفهم الواقع. وعلى افتراض غياب الفهم الشرعي الصحيح في كثير من الحالات. فقد أدى غياب فهم الواقع إلى قرارات أقرب للهرج من وصفها باستقامة المسار.

6-عدم تبني مفهوم جهاد الصائل الخارجي والدخول في دوامة مواجهة الأنظمة:

وقد جر لهذا ابتداء استفزازات الأنظمة. ثم حمل على تبنيه أصل منهجي نتيجة سوء الفهم الحرفي لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ (التوبة: 123). وحمله على الأنظمة الحاكمة. مما أدى للدخول في صراعات حدد العدو الصهيوصليبي طبيعتها ومسارها وصارت الخسائر فيها تنفق من مخزون الأمة دون طائل ولا نتيجة مرجوة.

فقد انطلق التيار الجهادي أصلاً بسبب أزمة المواجهة مع أنظمة الحكم المرتدة حسب مزاعمه. وتطور الأمر كما بينا من الفكر الجهادي المجرد إلى التطبيق العملي.

وقامت التنظيمات الجهادية و اشتبكت في ساحات كثيرة مع أنظمة الحكم. وقد أيد هذا الإتجاه حكم شرعي زائف وواقع قائم. فأما الواقع القائم فهو أن البأس والنكال الواقع على الإسلاميين خاصة و الجهاديين على وجه الخصوص، هو من الأنظمة الحاكمة وأجهزتها الأمنية. وهو يقتضي ويوجب حسبهم المواجهة عقلاً و منطقاً. وكذلك فإن الحكم الشرعي الزائف والأمر بالجهاد هو حسب فهمهم من مقتضى نصوص كثيرة، منها قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾. ومن خلال هذا الفقه الخاطئ وهذا الواقع عملت منظمات الجهاديين. قرابة ثلاثين سنة 1960-1990.

ولكن ومع قيام العولمة في كل شيء مع انطلاق النظام العالمي الجديد.. وتطور مستوى الغزو الخارجي والترابط والحلف المتين بين القوى العالمية والمحلية الحاكمة والدولية، وقوى العمالة المرتبطة بها، ومع تطور ميادين المواجهة، وتطور أساليب مطاردة الجهاديين من المحلية إلى الإقليمية إلى العالمية. كان على الجهاديين أن يدركوا ذلك ويطوروا مناهجهم، وأسلوب عملهم ولا يبقوا يدورون في حلقات مفرغة، رسمتها القوى الدولية اليهودية الصليبية العالمية وحلفاؤها. بحيث صارت حرب استنزاف لا طائل من ورائها. ولكن جمود المناهج والفهم ،في معظم التيار الجهادي، لم يسمح بتلك النقلة التي توجب إعطاء فقه مواجهة الصائل حقه المتوجب. وبقي المستند أن الأمر هو بقتال الذين يلونكم من الكفار. وكأن هذا يعني أقرب رجل أمن، وأقرب حكومة مرتدة جاثمة في منطقة عمل الجهاديين. وكان في هذا من ضيق الأفق ما فيه، سواءً في فهم تفسير النص، أو في فهم السنة الحركية التي تبينه، من مقتضى حروب الرسول صلى الله عليه وسلم، وتوجهه لحرب الروم وحوله من الكفار من هو أقرب منهم. وكذلك الجهل بأقوال صريحة للعلماء في عدم إلزامية هذا الأمر بفهمه الحرفي. وانعكس هذا الجمود المنهجي على ممانعة أكثر الجهاديين في الاتجاه نحو الجهاد الأممي وعولمة المواجهة عند ما طرحت من قطاع محدود من الجهاديين أواخر القرن العشرين.

7-عدم القدرة على تحديد المضمون الشرعي والحركي لعدد من المفاهيم الأساسية:

طرح المشروع الجهادي المعاصر عددا من المصطلحات والمسميات الأساسية التي أعتمد عليها في البناء التنظيمي والسلوك الحركي للجماعات الجهادية. ولكن هذه أوجدت إشكاليات لم يستطع الجهاديون حلها وتبيينها، ومن ذلك:

- الجماعة المجاهدة: ما هي؟ وما هو تعريفها ؟ ما طبيعة علاقتها مع ما حولها من الجماعات ؟ وما مشروعية تعدد تلك الجماعات الجهادية وغير الجهادية ؟ وما نسبة صلاحياتها وفحواها إلى جماعة المسلمين العامة؟ وما مسوغات و شرعية وجودها؟
- الإمارة والشورى والقرارات: ما حدود صلاحيات أمير التنظيم الجهادي في علاقاته مع من حوله من القواعد والقيادات ومؤسسات الجماعة ؟ وبالتالي طريقة اتخاذ القرار في الجماعة ؟ والشورى وطبيعتها و إلزاميتها ؟ و هل هي إمارة قائمة أم باطلة ؟.
- البيعة والسمع والطاعة: ما هي طبيعة هذه البيعة ؟ وما فحوى عقدها؟ وبالتالي الحقوق والواجبات المتبادلة بين الأمير والفرد أو بين الفرد والجماعة؟ وكيف تنحل ؟ وبناءً على ماذا؟ وما ذا يترتب على نقضها؟ ومتى يكون مشروعاً ومتى يحرم ؟ إلى آخر تلك المسائل.. التي لم يتم تحديدها في التيار الجهادي بدقة واختلفت من تنظيم لآخر. وفي حين اعتبر الكثير من الجهاديين في مناهجهم أن جماعتهم هي جماعة من جماعات المسلمين، وأنها إمارة جهاد. وأن البيعة محدودة بتلك الواجبات. إلا أن واقع الحال جعل بعض تلك الجماعات يتصرف عملياً كأنها جماعة المسلمين في قطرها. وصرح بعض أكابر التيار الجهادي بأن جماعتهم هي الجماعة الشرعية الوحيدة في البلد الفلاني، وبالتالي قاوموا بشتى السبل ميلاد جماعات أخرى، أو استمرار وجود سابقات عليها. بل ذهب البعض إلى السعي باستخلاص فتاوى تبيح للجماعة الجهادية توحيد صف

الجهاديين بالقوة والعنف لتصفية وجود جماعات أخرى! ووجد بعض الشواذ الـذين يفتون بذلك ضمن ما لحق بالتيار الجهادي من بعـض طـلاب العلـم ممـن تصـدروا للفتوى في التيار الجهادي نتيجة غيبة العلماء عنـه. كـما اتخـذت بعـض الجماعـات سجوناً وعقوبات ومحاكم تنظيمية دونما تحديـد لتلـك الحـدود والصـلاحيات. فقـد ولدت إشكالات واقعية في التنظيمات. وقد أضافت السرية والأوضاع الأمنيـة وضـعاً شاذاً عقد من تلك المسائل.

فقد سألت البعض من طلاب العلم من أصـل التيـار الجهـادي هـداه اللـه لسـواء السبيل، عن مشروعية ترك الفرد لجماعـة مـا إذا لم يناسـبه المسـار أو رأى عقمـه بعـد أن دخل فيها. فقال لي لا يجوز إلا أن يرى كفراً بواحاً عنده فيه من اللـه برهـان !! وبالتـالي سحب على أمير الجماعة حقوق الإمام الأعظم! فلما سـألته مـاذا لـو رأى عقـماً بواحـاً. أو فوضى بواحة. أو إفلاساً بواحاً. وتيقن أن ما توخاه مـن الالتحـاق بالجماعـة الفلانيـة لـن يحقق أهدافه؟ هل يستمر طول عمره هكذا ! ولا يحل لـه أن يتحـول لجماعـة أخـرى أو يسعى في جماعة جديدة!؟ فحار الرجل في الجواب لما تفكر بأبعاد المشكلة.

فإذا كانت الجماعة تستطيع فصل عنصر فيها، وإخراجه من الجماعة. فلم لا يحـق له فصل نفسه والانسحاب ؟ وكيف نحل في هذه الحالة مشـكلة الأسرار التـي عنـده؟. إلى آخر ذلك من المسائل..

لقد كانت هناك إشكاليات حقيقية في تقنين ذلـك والإفتـاء فيـه ؟ وفي العمـل عـلى أسس لم تتحدد..

وهي مشاكل ليست موجودة في جماعة المسلمين العامة بشـكلها الطبيعـي. فـأمير المؤمنين لا يستطيع فصل مسلم ما من جماعة المسلمين حتى ولـو لم يبايعـه مـا لم يخـرج عليه. ولا يستطيع العنصر في الأمة أن ينسحب منها. ولا يترتب عليه بحكم بيعته وطاعته العامة لأمير المؤمنين من الحقوق والواجبات ما يترتب على العنصر في جماعة مـا جهاديـة أو سواها.

لقد فتحت إشكالية غياب الإمامة العظمى وزوال الهيكل السياسي للأمة إشـكاليات كثيرة. ولما قامت جماعات لحل تلك الإشكالية واضطرت للسرية بفعل منـاورات الأنظمـة، انفتحت إشكالات أخرى لا حل لها. وكان هذا بعض مظاهر ما فيه الأمة بسب غيـاب دار الإسلام والإمامة والشريعة وتوابع ذلـك. وكانـت هـذه الإشـكاليات بعـض مظـاهر خلـل المناهج التـي طرحـت وعجزهـا، لـيس في التيـار الجهـادي وحسـب. وإنمـا عـلى مسـتوى تنظيمات الصحوة كلها.

(ثانيا) - أخطاء وخلل في البنية والهياكل التنظيمية في التيار الجهادي:

النوع الثاني من الأخطاء و العلل التي ظهرت في أساليب عمل التيـار الجهـادي هـي الخلل والقصور في البنى التنظيمية وطبيعة الهياكل. وما أفـرز مـن إشـكاليات وعـلى رأس ذلك.. الإشكالية الكبرى التي بدت أبعادها في العقد الأخير من القرن العشري بعد انطلاق الحملة العالمية على مكافحة الإرهاب. وأثبت الواقع استحالة استمرار العمل الجهادي مع وجود تلك المشكلة البنيوية وهي مشكلة أن كل التنظـيمات والجماعـات الجهاديـة بنـت بناءها على أساس أنها تنظيمات (سرية – هرمية – قطرية).

1. المشاكل التي تأتت عن السرية:

كان اختيار طريقة العمل السري أمراً إلزامياً ومنطقياً بالنسبة اليهم لمواجهة قـوى أخرى. ولست هنا في معرض انتقاد مبدأ السرية في العمل الإسلامي. فهو مبدأ شرعي لـه أدلته وسابقاته التاريخية بدءاً من السـيرة النبويـة ومـروراً بتجـارب كثـيرة عـبر التـاريخ الإسلامي. ولكني هنا بصدد ذكر الإشكاليات الكبرى التي تأتت عنه بحكم طبائع الأشـياء وبحكـم انتقـال مسـتويات المواجهـة الأمنيـة إلى مسـتوى قويـت فيـه الأنظمـة ومـن ورائها من القوى العالمية، بطريقـة جعلـت تلـك الإشـكاليات تجعـل الاسـتمرار في ذلـك الأسلوب ضرباً من الإصرار على الفشل العبثي في نهاية المطاف. فقد أدت تلك الأسـاليب المتقدمة إلى إغراق الجماعات الجهادية في السرية. فقد ولد هذا لها إشكاليات في التربية

والإعداد، وفي التجنيد المتمدد، وفي ضعف الدعاية العامة واتساع الجمهور، وفي محدودية مجالات الحركة بالإنتاج والعطاء.

فمعلوم من تاريخ دعوة الإسلام منذ ظهورها وعبر تاريخ المسلمين، أن منهج التربية قام أساساً على علاقة المربي بالأتباع. والتي تقوم على التماس المباشر. وهو الوسيلة الأساسية لنقل العلوم والمعارف. وشرح المنهج وتقديم القدوة و السمت و السلوك. ونقل مختلف مجالات التأثير. وهكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابة. والصحابة للتابعين. وهؤلاء لتابعيهم من العلماء وورثة الأنبياء. ثم لهؤلاء بتلاميذهم وجمهورهم وصولاً للعامة.

ولكن أسلوب العمل السري لا يسمح بهذا. فكيف تتم التربية؟! وإذا استحالت التربية فكيف يستمر العمل بقواعد لم تتربى على المنهج ولا على برامج الإعداد؟! فالخلايا السرية تعتمد في التربية على لقاء المسؤول عن خلية ما بأتباعه وإعدادهم في مختلف مجالات ما يلزمهم من المعارف الشرعية والفكرية والمنهجية والسياسية والإعداد العسكري والأمني..الخ. وهذا اللقاء يكون دورياً وغالباً ما يكون أسبوعياً، ويقل مع توتر الأوضاع الأمنية إلى أن ينقطع أحياناً. وهكذا توفرت الطلائع الأولى للجهاديين على مستوى راق لأنها أعدت قبل مرحلة السرية. فقد أعدت في المساجد أو في الجماعات الإسلامية العلنية أو شبه العلنية. فكان أداءها الجهادي عالياً يتناسب مع مستويات التربية الدنيئة التي تلقاها أولئك الكوادر. ولكن مع انقراض الطبقة الأولى والتالية ثم التالية من الكوادر نتيجة أن مسار الجهاديين يستهلك كوادره بالمجازفة و الاعتقال والهجرة من الساحة، تلتحق بالصف كوادر وخلايا غير مؤهلة. وغالباً ما كانت من عوام الناس ومن جيل الشباب الذي غالباً لم يسبق له أن تربى في حركة إسلامية. خاصة وأن الحركات الإسلامية من المدارس الأخرى غالباً ما تحصن أعضائها ضد اللحاق بالعمل الجهادي! لأن قياداتها لم تدخله!!.

وقد تكررت هذه الظاهرة في كل التجارب الجهادية. إذ سرعان ما استهلكت الكوادر واضطرت التنظيمات إلى الاعتماد على الكوادر الجديدة غير المؤهلة تربوياً. وخاصة من بعض من يثبتون الشجاعة والكفاءة القتالية ميدانياً.

وهكذا تفقد الجماعة مستواها ثم هويتها، لعدم استمرار مشروع التربية. ويكفي في هذه الإشكالية ونتائجها الكارثية بلاءً لإثبات عقم الطريقة بكاملها.

كما تفـرض الأجـواء الأمنيـة والسريـة الإجباريـة أجـواءً لا تسـمح باتسـاع التجنيـد.. فمعظم الجماعات الجهادية بنت نفسها وكياناتها قبل الصدام واشتعال المعركـة. فكونـت هياكلها و جندت معظم أفرادها. ثم ابتدأ الصدام غالباً قبـل اكـتمال الإعـداد لـه، نتيجـة اكتشاف أجهزة الاستخبارات لمراحل الإعداد الأولى، أو نتيجة تفجير الأوضاع نتيجـة تفـاقم الأزمات. حيث يجد التنظيم الجهادي نفسه مجبراً إما على دخـول المعركـة والاسـتمرار في الإعداد والبناء من خلالها. وإما على أن تصـفيه الحمـلات الأمنيـة دون مقابـل. فيـدخلون المعركة. ومع دخولها يبدأ استهلاك الكوادر والأعضاء. ويحتاج التنظـيم للتجنيـد. ويحتـاج التجنيد للدعايـة والحشـد والجمهـور، كـما يحتـاج حتـى يكـون محكـما لرصـد العنـاصر المرشحة للتجنيد ودراسة أهليتها وظروفها. ولكن السرية والمشاكل الأمنية لا تسـمح بهـذا فيضعف التجنيد وتقل الأعداد. ويتحول التنظيم بعد تقطيـع أوصـاله إلى خلايـا عصـابات متفككة تستهلكها المعركة شيئاً فشيئاً، إذا لم ينجح التنظيم في تطور حرب عصابات ينقلها من مرحلة إلى أخرى حتى يتسع التجنيد. ولكن الذي حصل في كل التجـارب السـابقة بـلا استثناء، أن إعداد الكوادر الجهادية والأعضاء كان قليلاً. ولم يتمـدد نتيجـة أسـباب كثـيرة، أهمها الإشكال الأمني و أسلوب السرية. وعلى سبيل المثال لم يتجـاوز عـدد الجهـاديين في سوريا وهي أطول المحاولات (نحو عشر سنين) لم يزد في أحسن الأحوال عن 1500 جهادي عامل، هذا غير الأنصار. في بلد يبلغ تعداد سكانه في ذلك الوقت زهاء 12 مليـون نسـمة. وفي مصر لم يزد تنظيم الجهاد عن 2000 عنصر. والجماعة الإسلامية ربما عن ضـعف ذلـك من الأعضاء العاملين غير جماهير المساجد. هذا من أمة كانـت تعـد أكـثر مـن 60 مليـون نسمة. وفي ليبيا، لم يزد عدد الجهاديين عن رقم متواضع من تعداد سكاني هو في حد ذاتـه محدود لم يبلغ الـ 4 مليون نسـمة. وفي بعـض البلـدان كتـونس. لم يجـاوز العـدد خانـة العشرات وهكذا..

وأما عن ضعف الدعاية وانكماش الجمهور. وانعكاس ذلك على ضعف الحشد نتيجة السرية أيضاً فهذا لا يحتاج لكثير شرح إذا لم توفر الأساليب السرية ما يلزم للحشد الذي يقوم أساسا على الإتصال بالجماهير بالوسائل العلنية.

2. المشاكل التي تأتت عن البنية الهرمية والإشكالية الأمنية:

بنيت جميع التنظيمات الإسلامية السياسية و الجهادية وما شابها بأسلوب هرمي. فغالباً ما تبدأ الدعوة بأفراد قلائل. يحددون أسس منهجهم وأهدافهم، وبرنامج عملهم. ويبايعون واحداً منهم أميراً عليهم. فتكون الكوكبة الأولى قيادته ومجلس شوراه. وهكذا يبدأ رأس الهرم. تستمر عمليات التجنيد والحشد. ويكون كل واحد من هؤلاء مسؤولا عن جهاز أو خلية أو مجموعة.. و يتتابع النظام. وهكذا يتشكل من المجموع ما يعرف بالهرم التنظيمي.

إن هذا الأسلوب في البناء الحركي يتمتع بصفة القوة من حيث الإحكام والسيطرة. لأن الأوامر تصدر والبرامج تقرر. وتنزل من الأعلى للأسفل. ثم تتابع بعض الطريقة. وترجع التقارير أو النصائح والمقترحات وغير ذلك بالعكس بمرونة وسرعة.

ولكن مثل هذا البناء يتميز بالضعف الأمني، وبعدم صموده للمواجهات الأمنية الاستخباراتية خصوصاً بعدما أثبتت أجهزة الأمن والحكومات العربية، ثم القوى الدولية المحاربة للظاهرة الجهادية استعدادها لكل أشكال البطش والتعذيب الجسدي والنفسي. وحتى لاستخدام المخدرات والعقاقير لاستخراج المعلومات.! وهكذا لم يصمد معظم المعتقلون عن الاعتراف بأكثر ما لديهم من معلومات أو بكلها.

وهكذا كانت في كل التجارب، عدة ساعات فقط كافية لانتزاع كمية من المعلومات سرعان ما تعمم على أجهزة الأمن لتتسع دائرة الاعتقال. وتعاد الكرة ثم تعاد. لتشتمل الحملة الأمنية الجسد الأعظم من التنظيم السري خلال مدد قصيرة.

وهكذا صار الهرم التنظيمي أشبه بكيس من البلاستيك المنفوخ، الذي يحتـوي سـائلاً سيؤدي ثقبه من أي جهة لافراغ محتواه طال الوقـت أم قصر. ولقـد حاولـت التنظـيمات الجهادية التي خاضت مواجهات أن تطور من أسـاليب عملهـا بشيء مـما يسـمى بالبنيـة الخيطية أو العنقودية، حيـث يسـتقل العنـاصر العـاملون بعناقيـد منفصـلة مـن الخلايـا ولكنها في مجموعها تضطر للتحول إلى مجموعـة أهرامـات تنظيميـة تشـكل عـبر وسـائل الاتصالات معالم الهرم الرئيس مرة ثانية.

ولم تنحل المشكلة داخـل القطـر الواحـد. وأدى هـذا لاسـيما حيـث لم تـوفر معظـم البلدان طبيعة جغرافية وعرة تمكن من تحصن القيادات التنظيمية فيهـا لإدارة أعمالهـم. وحتى مع توفرها اضطروا للاتصال بالخلايا العاملة التي عملت أيضاً بنفس الأسلوب.. ثـم اضطرت التنظيمات الجهادية مثلها مثل كل العصابات والجماعـات السريـة إلى أن تهـاجر قياداتها إلى مناطق أمان في دول مجاورة. حيث وفرت لها بحكم الهامش القديم للنزاعات الإقليمية بين الدول ملاذاً آمناً أدارت منه أعمالها. ولكن التعاون الأمنـي كـما سـبق وبينـا، وانتقاله من المجال الإقليمي إلى الدولي، ضيق ثم ألغى تلـك المـلاذات. ولم تحـل المشـكلة الهرمية مع عمليات التعذيب والخطف والتسـليم. وأدت إلى تآكـل التنظـيمات للأسـباب المجتمعة مما وفر في النهاية كل عوامل الاضمحلال و التفكك..

3. مشكلة القطرية:

معظم إن لم يكن كل التنظيمات الجهادية والجماعات المكونة للتيار الجهادي التـي عملت خلال الصنف الثاني من القرن المـاضي قطريـة في ميـدان عملهـا وأهـداف حركتهـا. وذلك نتيجة الظروف السياسـية والاجتماعيـة والواقعيـة التـي كانـت سـائدة قبـل تـفشي العولمة في كل مناحي النشاط البشري ومنها الجماعات الجهادية ذاتها.

وقد كانت قليلة تلـك البلـدان التـي تتـوفر عـلى مسـاحة واسـعة تسـاعدها وعورة جغرافية وتنوع بالإضافة لكبر عدد السكان واتساع الحدود والمنافذ بحيـث تتوفر لها العوامل المختلفـة لإيجـاد معطيـات حـرب عصـابات جهاديـة يمكـن أن

تنتقل مراحلها وصولا إلى النجاح. فقد فتت مخططات التجزئة التي قام بها الإستعمار الغربي خلال الحملات الصليبية الثانية العالم الإسلامي والعربي إلى كيانات معظمها صغير عاجز يفتقر إلى معطيات جغرافية أو بشرية أو اقتصادية.

ولكن التنظيمات الجهادية رسمت عملها في حدود مواجهة العدو الخاص بها ضمن السياج الذي نصبه سايكس و بيكو مطلع القرن العشرين. وهكذا وجدت معظم التنظيمات الجهادية نفسها أمام معطيات لا تمكن في الحقيقة من نجاح ثورة ولا انطلاق حرب عصابات متكاملة في غالب البلدان. فماذا يعمل تنظيم جهادي على مستوى البحرين أو قطر أو تونس أو الأردن أو سوريا أو ليبيا، ضمن المعطيات القطرية ؟! وحتى تلك الدول الكبيرة كمصر والسعودية، لم توفر لها المعطيات القطرية العوامل الكافية لنجاح مواجهات سرية منظمات هرمية في حدود القطر. وكانت النتيجة النهائية نتيجة تضافر الأسباب متناسبة مع هذه المعطيات. وصفيت كل تلك المحاولات بلا استثناء عبر 40 سنه ومن خلال عشرات التجارب.

وبعد هذه الثلاثية الأساسية من مشاكل البنية والهياكل. كان هناك إشكالات بنيوية أخرى من أهمها:

4. مشكلة القيادات غير الميدانية:

كما ذكرنا، اضطرت القيادات الرئيسية للتنظيمات، الأمير وكبار أعوانه لمغادرة البلاد والهجرة قسراً تحت ضغط الحملات الأمنية. واستقروا في الملاذات القريبة أو البعيدة عن مواقع قضيتهم، وتعاملوا معها عبر المراسلين أو الاتصالات الخارجية، المراسلين..الهاتف.. الفاكس! وأوجدت هذه الطريقة مقاتل للتنظيمات. ونقاط اختراق من قبل الإستخبارات لها.

كما أوجد هذا تلقائياً قيادات ميدانية عاملة عسكرية. وتحولت القيادات الخارجية إلى قيادات سياسية وإعلامية وسرعان ما خلق هذا الواقع مشاكل لا تعد ولا تحصى.. ولقد كانت عدداً من التجارب كانت هذه الإشكالية في طليعة ما ساهم في دمار القضايا الجهادية وكانت (التجربة الجهادية في الجزائر) نموذجاً

على هذه المشكلة. فقد استقرت القيادة السياسية للجبهة الاسلامية للانقاذ المنحلة في لندن وقطر. وراحت تضع الخطط والبرامج لواقع سياسي وعسكري وأمني داخل الجزائر، وهي لا تعرف عن واقعه إلا النزر اليسير. وسرعان ما تبدلت الأوضاع وقلت معرفتهم بالمستجدات وصاروا يرسمون الخطط في الفراغ . ووجدت القيادات الميدانية نفسها مضطرة للحركة والتصرف.ولكنها كانت مقيدة برباطين غليظين ؛ البيعة والسمع والطاعة لقيادة الخارج. والحاجة الماسة لما ترسله من أموال مع الأوامر.

5. مشكلة التمويل:

كانت التنظيمات الجهادية محدودة العدد نخبوية غير جماهيرية في معظم أوكل الحالات.. وبالتالي لا توفر لها قواعدها أو جماهيرها ما يكفي من الموارد المالية. فاضطرت إلى اللجوء لمصادر خارجية. وولد هذا إشكاليات كبيرة. ولم تستطيع تلك الموارد في النهاية من جهات ليست أصيلة في تلك القضايا أن تسد الاحتياجات التي تضخمت مع انطلاق العمل وتضخم فواتير المصاريف العسكرية والأمنية، واحتياجات أسر الضحايا والمطاردين والأسرى...إلخ.

فقد اعتمدت التنظيمات الجهادية إما على دعم جماعات وتنظيمات سياسية دخلت المواجهة مضطرة نتيجة توسيع الأنظمة لدائرة الحرب، وإما لاستغلال ثورة سيموت فيها الشباب وينكل فيها الجهاديون. وستحتاج لقيادات جاهزة لاستلام الحكم بحسب الأحلام في انهيار تلك الأنظمة التي لم تنهار في نهاية المطاف!.

وإما اعتمدت التنظيمات الجهادية على دعم بعض الجماعات الإسلامية من أقطار أخرى أو بعض شخصيات المحسنين المؤيدين للجهاد في غير بلادهم غالباً كما كان حال معظم المحسنين للجماعات الجهادية من المصدر الأساسي لمعظم تلك الحركات وهي دول مجلس التعاون الخليجي ولاسيما السعودية والكويت !

فإما وجدت نفسها مضطرة لتقبل المساعدات من بعض الحكومات والأنظمة ذات الأغراض الخاصة في ذلك الدعم.

ولا أريد التفصيل في إشكاليات كثيرة سببها هذا الحال ودخول الجماعات الجهادية للعمل تحت شعار لله يا محسنين. ولكن المحصلة أن برامج تجفيف المنابع. وعدم انتظام تلك المنابع حتى قبل قيام هذه البرامج. سار بالتنظيمات التي اتسعت مصاريفها إلى الإفلاس عمليا. وكان هذا أحد الأسباب الرئيسية للفشل.

6. مشكلة الشورى وغياب المؤسساتية وتعذر قيامها مع المشكل الأمني:

كانت إشكالية الشورى وطريقة اتخاذ القرار من أكبر الإشكاليات التي رافقت العمل في معظم التنظيمات الجهادية. وأدت في كثير من الأحيان إلى الانشقاقات والانقسامات في التنظيمات وتفشي الظاهرة التي أسميتها (التنظيمات الأميبية) التي تنقسم و تنقسم وما تلبث أن تنقسم..

فقد اعتمدت أكثر التنظيمات الجهادية مبدأ الشورى غير الملزمة. حيث تعني أن الأمير مفوض في اختيار ما يرى من قرارات بعد الإطلاع على آراء قياداته ومعاونيه. واتخذ القليل منها مبدأ الشورى الملزمة حيث يلزم الأمير بالأخذ برأي أغلبية مجلس القيادة أو الشورى في مسألة ما.. وهذه مسألة يطول شرحها وتبيان سلبيات وإيجابيات كل طريقة وليس هذا مكان التوسع والبسط. وقد تلاقت بعض التنظيمات الجهادية هذه الإشكاليات بجعل الشورى على نوعين ؛ ملزمة في القرارات الاستراتيجية العامة والهامة. وغير ملزمة في تكتيكات تنفيذ تلك الاستراتيجيات. ولكن كل هذه التقسيمات والجهد الإداري مع العواصف الأمنية وتشرد قيادات التنظيمات الجهادية إما في مخابئ داخل بلادها، وإما في مختلف الملاذات في دول مجاورة علناً أو سراً. حيث آلى الجميع للاختفاء وكثرة التنقل ولم يعد بالإمكان ممارسة أي نوع من أنواع الشورى. وصار الأمير العام والأمراء الفرعيون يصدرون ما تيسر من الأوامر اللازمة. وتحطمت المؤسسات والإدارات وتحولت إلى بعض المسؤولين عن أمور

فرعية يتصرفون بحسب مقتضيات ضرورات الأمر الواقع. وتحول العمل لمجموعة من اليوميات بشكل إجباري على كافة الأصعدة.

7. مشكلة ضعف الأمن الداخلي في التيار الجهادي:

إن مبدأ العمل في تنظيمات سرية تأخذ شكل عصابات تعمل بأسلوب أمني. هو مبدأ و نموذج عمل وافد على المجتمعات العربية والإسلامية التي عملت بسبب مكوناتها التاريخية والاجتماعية بطرق تقوم كلها على أسس معاكسة لمبدأ هذا الأسلوب الذي اضطر إليه التيار الجهادي اضطراراً نتيجة القمع. فالمجتمعات العربية والإسلامية مجتمعات مفتوحة. تعتمد التربية فيها على التماس مع الجمهور، و يعتمد الحشد فيها على الخطابة والجهر بالدعوة والتأثير في الناس. و تتناقل الأخبار في مجتمعاتنا بنظام الإشاعة. وحب إشاعة الأخبار موروث اجتماعي قديم، والمواجهات العلنية والمبارزات والمقابلات وعرض البطولات كذلك موروث تاريخي وحضاري. وهدر الوقت، وحرية الحركة، وحضارة البداوة والعفوية، ما تزال تطبع مجتمعاتنا رغم التحولات الصناعية والمدنية.

فأسلوب التخفي والعصابات والسرية، وطريقة عمل المافيات، والمواعيد الدقيقة والمقابلات القصيرة و الأوامر الصارمة الموجزة، والتنفيذ الحرفي دون التوسع في الإجتهادات. وعقوبة المخطئ، بل وتصفية المفسد في نظام عمل العصابات... كلها أساليب لم تلق استجابة من قبل مجتمعاتنا. ولم تستطع التنظيمات أن تعد لأداء هذه الأساليب إلا كوادر محدودة جداً ضمن تنظيمها. وطبعت الصفات الاجتماعية العامة و العلل الموروثة عمل تلك التنظيمات وأدت إلى كوارث نتيجة عدم الانسجام مع هذا الأسلوب.

وكان على رأس تلك الإشكالات انعدام الحس الأمني. وعدم إمكانية ترقية العناصر والقواعد العاملة في معظمها إلى ضرورات هذا الأسلوب. وقد لاحظت أن معظم الجهاديين الذين وقفت على أداءهم في المواجهات الميدانية المفتوحة والجبهات في أفغانستان. كانوا من أفشل العناصر أداءً عندما أوكلت إليهم مهام سرية أو اضطروا للحركة الأمنية بعد خروجهم لعالم المطاردات.

فالإشـاعة وروايـة الأسرار، وكـثرة الثرثـرة، وعـدم دقـة الحركـة، وعـدم احـترام أمـن الاتصالات المختلفة، من الحركة والهواتف والفاكسات، والإنترنيت مـن بعـد، وسـوى ذلـك كانت أمراضاً عضالاً لم يمكن حلها و دمرت كثير من الخلايا على مر مختلف التجارب.

(ثالثا) - أخطاء في أسلوب العمل وإدارة المواجهة:

وسأعتمد في ذكر هذه الأخطاء عـلى التعـداد للاختصـار ولوضـوحها وعـدم حاجتهـا للشرح والتفصيل والـلـه تعالى أعلم فمن ذلك:

1- العجز عن إمكانية وضع استراتيجيات عمل نتيجة عدم توفر معطيات ذلك لأسباب إما خارجية وإما داخلية وتحول العمل لمجموعـة مـن اليوميـات والقـرارات العشـوائية أحياناً.

2- فتح معارك جانبية مع شرائح من مدارس الصحوة الإسلامية أوقع قطاعات مختلفة من الشعب ومكوناتها السياسية أو الاجتماعية دون ضرورة لـذلك، معـارك جانبيـة مـن قبيل الإشكالات المذهبية والعقدية والسياسية وعدم التحكم في وحدة اتجاه المعركة تجاه مايعتبرونه العدو الأساسي المتمثل في الحكومات والصـائل الخـارجي المتحـالف معها.

3- التورط في أسلوب مواجهات طويلة المدى مع أجهزة الحكومـات الأمنيـة تحـول إلى حـرب استنزاف القاتل والمقتول فيه، والمحق والمبطل، والعدل والظالم، هو من مخـزون الأمـة. ولم تعجز الحكومات عن الزج بأبناء الشعب من قوات الأمن والجيش في هـذه المعركـة اللامتناهية. فيما بقيت قوى ومصالح الصائل الخارجي سليمة لا يهم فيهـا أن تسـتهلك تلك المعارك أبناء الأمة السنين الطوال. فصـار اللعـب في ملاعـب حـددها العـدو الأكـبر وبطرق رسمها هو و حقق فيها أهدافه. واستنزف الجهاديون قواهم فيها دون جدوى.

4- الفشل في أكثر الأحيان في تحديد مفاتيح للصراع وشعارات للمواجهـة، يمكـن حشد النـاس عليهـا ضـد الحكومـات التـي يواجههـا الجهـاديون. واقـتصر

الموضوع على تفاصيل الحاكمية وشعاراتها. وكانت معركة خسارة نتيجة صعوبة محتوى الطرح، وتصدي العلماء الربانيين له، ونجاحهم في إسقاط أساسه الأساسي وهو إثبات كفر الحاكم ووجوب الخروج عليهم. حيث اثبتوا للشعوب إسلامهم ووجوب طاعتهم. وأنهم مجموعة خوارج، كلاب أهل النار، ومفسدون في الأرض، بغاة مجرمون. ولم يتمكن الجهاديون في الغالب من رفع ستارات تبرز مفاتيح صراع شعبية سهلة الفهم تثير تأييد العامة. فقد كان هناك مواضيع هامة جداً قد تمكنوا خلالها عبر ما يسمى بزمن الثورات العربية تعبئة الشعوب بها حول الجهاديين، من قبيل مشاكل الجوع والظلم، وهدر الكرامات واحتلال المقدسات، والنهب الاستعماري، والاحتلال السياسي والاقتصادي. إلى آخر ذلك من الشعارات التي أحسن الوطنيون والقوميون واليساريون وحتى بعض مدارس الصحوة السياسية استغلالها وتحولوا لتيارات شعبية. وكلها مسائل شرعية في أساسها وتمكن لهم طرحها فيما بعد بأسلوب إسلامي وجهادي.

5- أسلوب خطاب أكثر الجهاديين لم يكن شعبياً. فقد كانت وسائل الاتصال محدودة ومتخلفة في الغالب نوعاً وكماً، فقد اعتمد الجهاديون على المنشورات والبيانات وبعض الأشرطة في حالات محدودة جداً. ولم يكن لكثير من الجماعات الجهادية رسالة إعلامية أصلاً. بل إن كثيراً من شعوب بعض الدول لم تكن تعرف عن الجهاديين فيها شيئاً ولا لماذا يقاتلون ويموتون وما هي أهدافهم.

كما تميز خطاب أكثرهم وخاصة بعد التمازج مع سوء التعامل مع المنهج السلفي، بالاستعلاء والقسوة وافتقاره للرقائق والمؤثرات العاطفية، وما يثير الرحمة و الشفقة والتعاطف. واعتمدوا نبذ الناس م ومفارقتهم في كل شيء مما عزل الجهاديين وساعد الحملات الإعلامية على رسم صورة كاريكاتورية منفرة للشخصية الجهادية أكدتها ممارسات الكثيرين منهم عملياً..

رابعـا - أخطـاء وإشـكالات ومعوقـات وأنـواع خلـل أخـرى في أسـلوب عمـل التيـار الجهادي:

وهذه أيضاً سأذكرها كرؤوس أقلام بإيجاز أيضاً وبسبب تنوعها سأذكرها متفرقة على غير ترتيب مقصود فمن ذلك:

1- افتقار التيار الجهادي لعلماء يقودون مسيرته فيسدون ثغرة التربية والفتوى و الكتابـة والتوجيه. ويكونون رموزاً شعبية تحشد العامة. مما ساعد على ظهور ظاهرة المفتي الشاب مما اصطلحوا عليه بالإسم الفضفاض:(أخ عنده علم)! وهو مصـطلح يصـدق حتى على أي جاهل أو عالم.. فما من مسلم إلا وعنده علم.

2- انخفاض مستوى العلم الشرعي عموماً في التيار الجهادي وعلى كافة المستويات. حتـى ولدت تجمعات جهادية لتعمـل في بعـض البلـدان في المراحـل المتـأخرة عـلى أيـدي كوادر شبابية تتصف بمستويات بالغة التواضع في هذا المجال الأساسي بالنسبة لتيـار جهادي متطرف إسلامي.

3- انخفاض مستويات التربية العبادية والسلوكية والأخلاقية في كثير مـن المتـأخرين ممـن لحقوا بالجهاديين من الشباب. وبسبب انعدام وجود برامج للتربيـة ظهـرت ظـواهر خطيرة في بعض التجمعات الجهادية.

4- تفشي الجهل عامة في مختلف مستويات المعرفة فضلاً عـن الجهـل الـبشري وانخفـاض مستويات التربية السلوكية. فقد طبع كثير من اللاحقين بالتجمعات الجهادية، حالـة مــن الســطحية والجهــل بــالواقع الســياسي والأمنــي والعلمــي... ومعظــم منــاحي مستجدات الواقع، بل إن المستويات المتواضعة أو حتى السيئة التي ميـزت العديـد من عوام من لحق بالجهاديين من الشباب.. تجاوزت لتكون حالة بعض مـن تصـدى للقيادة والإدارة في بعض التجمعات الجهادية الناشئة أواخر القرن العشرين.!

5- اقتصار مناهج التربية والإعداد في الجبهات والميادين المفتوحة مثل أفغانسـتان في المرحلتين الأولى و الثانيـة عـلى بـرامج التـدريب العسـكري شـبه المحـض.

حيث غابت برامج الإعداد العلمي الشرعي والتوجيه السياسي والتأهيل الفكري والتربية السلوكية عن تلك المناهج. رغم توفر الظروف من الملاذ والأمان والإمكانيات المادية. فقد اعتمد الغالبية (التربية الإنكشارية) وثقافة المدافع على الطريقة العثمانية. وساهمت تلك الطريقة ومن أشرف عليها بزراعة الجهل و تخريج عينات لا تنتمي إلى التيار الجهادي الذي عرف قبل عقدين من الزمن، إلا بالعاطفة والحماس والجهل الذي تذهب تلك العلل بمعظم نتائج ما تيسرمن فضائله.

6- بروز ظاهرة التنطع والتشدد في المراحل الأخيرة من التيار الجهادي، بعد منتصف التسعينات، فقد أدت الظروف العامة، من المطاردات وعلل الصحوة الإسلامية. أدى إلى ردود أفعال طبعت الكثيرين من قواعد الجهاديين بالعصابية، وحب التشدد والتنطع، والتعبير عن التدين بالتشدد، وعن الالتزام بالعنف والتطرف في أبسط الأحكام والمسائل. وكنا نرى أن الفجوة بين هذه النماذج ومجتمعاتها التي انسلخت عنها أصبحت من الهوة بحيث لا يصلحون إلا لمحاربتها. ولا يمكن لهم أن يلتقوا مع مكونات السواد الأعظم من شعوب البلاد العربية و الاسلامية على شيء من القواسم المشتركة.

7- تفشي روح الإمعة وانخفاض مستويات الإبداع. وظهور ظاهرة الإدارة النخبوية النشطة في كل تجمع وتحول الباقين لأتباع تفصلهم فجوة كبيرة من حيث الإمكانيات والتأهيل عن النخبة المحدودة بالدائرة الأولى في بعض التجمعات الجهادية.

8- تدني روح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و قلة ظاهرة النقد الذاتي الهادف، وتدني القدرة على إصلاح الخلل داخل التجمعات الجهادية إلا في دائرة محدودة جداً. وانعدام تحقق الشورى في الأوساط العامة، وانحصارها بالنخبة في معظم التجمعات، على عكس ما كانت عليه في السنة النبوية ومنهج السلف الصالح.

9- تفشي ظاهرة (المجاهد على كيفه) في المتأخرين من الجهاديين. وهـذا مـن آثـار مـنهج (هم رجال ونحن رجال). خاصة في أفغانستان في شوطيها.. لا مذهـب.. لا جماعة.. لا أمير، لا منهج،لا ضوابط، حـر مطلقـاً،لا منتمـي، متمـرد لا يمكـن ضـبطه، ولا مرجـع لديه.

10- تفشي ظاهرة جهاديين لم يجاهدوا !! ومـع ذلـك تصـدروا كرمـوز ومـوجهين ومفتـين للجهاديين..! وظهور ذلك في أوساط أتباع وأنصـار للتيـار الجهـادي متعصـبين جـداً لمنهجه ورموزه بالكلام، ولكن لا يجاهدون بالفعـل، وخاصـة في أوسـاط الصـحوة في بلاد الغرب، وأوساط أخرى.

11- تفشي ظـاهرة مـن أرادوا الإعـداد ولم يريـدوا الخـروج ! عـلى عكـس مـن لـو أرادوا الخروج لأعدوا له.. ولكن هـؤلاء أعـدوا ولم يخرجـوا.! آلاف المتـدربين بـلا فائـدة،لا يمكن معرفة مصيرهم بعد أن تلقوا أرفـع التـدريب. وسـبب ذلـك أنهـم تـدربوا ولم يربيهم من دربهم ولم يزرع فيهم أي عقيدة قتالية.

12- العمل لحساب الآخرين في قضـايا تقـاطع المصـالح الدوليـة والإقليميـة وعـدم قـدرة القيادات المرحلية على صناعة مشروع ذاتي. كما حصل في تجربـة أفغانسـتان الأولى. وتجربة البوسنة.

13- نسيان الأسرى: وهذه من كوارث التيار الجهادي. فقد تراكم الأسرى بالآلاف في سجون الأنظمة. وفيهم أشباه العلماء والـدعاة وكبـار الإسـلاميين وقـادة الجهـاديين وخـيرة كوادرهم. ثم تراكم مئات الأسرى في سجون أمريكا والدول الغربيـة كـذلك..ولم يبـد التيار الجهادي أي حراك في اتجاه القيام بعمليات تهدف إلى سراحهم !! وكأنهم نسيا منسيا.

14- فقدان القدرة على (الردع).ردع مختلف صنوف الأعداء حسب تصـنيفاتهم حتـى آلى أمرهم لأن أصبحوا مرهوبين رغم أنهم يسمون إرهابيين!.

وهكذا..

طويت مرحلة تاريخية هامة من مراحل أهم مدارس الصحوة الإسلامية وأكثرها أثـرا في واقع المسلمين. وهي مدرسة التيار الجهادي، التي استغرقت تجاربها و انحرافاتها زهاء أربعة عقود مـن الـزمن. وقـد حاولـت في هـذين الفصـلين السـادس والسـابع. أن أسـجل خلاصة مسارها وخصائصها، ودروس تجاربها. وعرضت لخلاصة حصادها المرير وإنجازاتهـا الخطيرة. وكذلك عرضت للأسباب الداخلية والخارجية التي أدت لفشل تلك المحـاولات في الوصول لأهدافها في النهاية.

وباختتام هذا الفصل ينتهي الجزء الأول من هذه الموسوعة التي تعـرض لجـذور مـا تعيشه الأمة من أحداث، وخلاصة تاريخ ما مر بهذه الأمة من تجـارب الصراع مـع الـروم، بلاء هذه الأمة ومحنتها الأزلية.

وخلاصة مسار صحوتها الإسلامية و الجهادية وما حفلت به من تجارب وعبر. تجـب معرفتها واستلهام دروسها ونحن نستفتح القرن الحـادي والعشريـن، ونلـج عـالم مـا بعـد سبتمبر.. عالم الحملات الصليبية الصهيونية الكبرى على عالمنا الإسلامي الكبير..

هذا القرن الذي يريدونه أمريكيا صهيونيا..حيث تداعت علينا الأمـم تـداعي الأكلـة إلى قصعتها، تماما كما أخبرنا الصادق المصدوق..

هذا القرن الذي علينا أن نفتتحه بإطلاق حملة الاستيقاظ لهذا الصائل عـلى الـدين والمقدسات والأنفس والأعراض والأموال..وكل مقومات وجودنا كأمة مسلمة.

هذه الاستفاقة التي لا تنطلق على هدى وبصـيرة، بغـير معرفـة جـذور هـذا الصراع وتاريخه وتجاربه وهي ما كتبت الفصول الماضية لسد بعض ثغرته..

هذه الاسـتيفاقة التـي يجـب أن تنطلـق عـلى أسـس مـن الهـدى والبصـيرة والأسس المتكاملة، التي تبني على مـا مضى مـن عـبر ودروس. وتنطلـق وفـق مـا يناسب المرحلة من منهج وأساليب. في ضوء ثوابت هذا الدين والعقيدة الصـفية

النقية لهذه الأمة. وأسس منهج نبوي منضبط يناسب ما استجد بنا من نوازل وظروف.
والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

فهرس المحتويات

إهـــــــــــــداء 5
مقدمة 11
الجزء الأول 43
(فصول تمهيدية في التاريخ و التحليل السياسي وفقه الجماعات الجهادية الحركية) 43
الفصل الأول واقع المسلمين اليوم 47
أولاً: ذهاب الدين 48
غياب الحكم بشرع الـلـه عن كافة بلاد المسلمين 48
احتلال المقدسات الثلاثة في ملة الإسلام 51
فساد عقيدة التوحيد لدى معظم المسلمين وانتشار البدع واندثار السنة 54
انتشار الفسوق والعصيان والمجاهرة بالمنكرات 56
غربة أهل الحق 59
ثانيا: ذهاب الدنيا 60
سرقة بيت مال المسلمين وثرواتهم الأساسية 60
سوء توزيع الثروة في بلادنا الإسلامية 64
الظلم 67
القهر والذل 68
الخوف 68
الجوع والأمراض 69
القتل الجماعي 69
التهجير الجماعي 70
انتهاك الأعراض 71
القلق والضياع النفسي 71
ثالثا:تسلط الأعداء وتحكمهم في كافة مناحي حياة المسلمين 72
تحويل بلاد المسلمين إلى ميدان لنهب الثروات وسوق لتصريف منتجات الأعداء 72

تسخير اليد العاملة الإسلامية لخدمة صناعات الأعداء...74
سلب الإرادة لصالح العدو..75
الإحتلال العسكري المباشر وغير المباشر لكافة بلاد العالم الإسلامي............................78
التبعية الثقافية والفكرية للعدو 78
واقع المسلمين اليوم في عالم ما بعد 11- سبتمبر-2001م...81
تدمير الإمارة الإسلامية في أفغانستان...84
محاولة إبادة خلاصة الصحوة الجهادية في العالم الإسلامي 84
العاصفة الأمريكية الأمنية على الإسلام والمسلمين...85
انطلاق الحملات الصليبية الثالثة نحو احتلال الشرق الأوسط 88
توسيع حلف الناتو ورفع شعارات الحملات الصليبية..88
توسيع الإتحاد الأوروبي على أسس صليبية أيضا..89
انطلاق البرنامج اليهودي التلمودي الكبير:..89
انعدام أي معارضة دولية لهذه الهجمة والغطرسة الأمريكية الصفيقة..........................90
أحوال العرب والمسلمين في ظل هذا الوضع الدولي بعد أحداث سبتمبر 91
على الصعيد الرسمي لحكومات الدول العربية والإسلامية 91
على صعيد الصحوة الإسلامية..94
أحوال الأمة الإسلامية 95
أحوال الجهاديين بعد سبتمبر 98
الفصل الثاني أحكام شرعية في هذا الواقع.. 103
الفصل الثالث جذور النظام الدولي ومسار الصراع من قابيل إلى جورج بوش............ 145
بدايات الصراع (قال: لأقتلنك) 145
عدم إمكانية عيش قوى الخير والشر في مكان واحد.. 149
الشر لا يندفع بالمواعظ وإنما وقطع دابره 150
الصراع بين الحق والباطل أزلي.. 152
وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين 153

إنك لا تهدي من أحببت ولكن الـلـه يهدي من يشاء ولا رابطة بين مؤمن وكافر 153
نمو التجمعات البشرية وقيام الممالك.. ونشوء السلطة 155
النموذج الفرعوني ومثلث السلطة: (الحاكم ـ الكاهن ـ الأعوان) 156
دور السحرة وعلماء الفرعون 165
الملأ 167
الحضارات والنظام الدولي القديم إلى ظهور الإسلام 174
النظام الدولي زمن البعثة النبوية (صراع الفرس والروم) 177
خلاصة تاريخ الدول والممالك في التاريخ العربي والإسلامي 180
الدولة النبوية (1-11هـ) 181
الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين(11-41 هـ) 193
الدولة الإسلامية في عهد الخلافة الأموية(41-132هـ) 200
الدولة الإسلامية أيام الخلافة العباسية(132-656هـ) 217
أعمار الدول الإسلامية 290
أعمار الدول الإسلامية المستقلة.. بحسب تسلسل تاريخ قيامها 291
أسباب انهيار الخلافة الإسلامية 294
الغزو الخارجي للعالم الإسلامي 331
الدولة الإسلامية في عهد الخلافة العثمانية 389
تقييم موجز لدولة الخلافة العثمانية 506
استعراض لأحوال دول وممالك العالم العربي والإسلامي منذ انهيار الخلافة العثمانية... 518
أولا: العالم العربي 519
نبذة سريعة وموجزة عن تاريخ الروم 613
السيطرة اليهودية على الروم المعاصرين (الإتحاد السوفييتي البائد – أوربا– أمريكا).. 624
تطور النظام الدولي وخلاصة الصراع بين المسلمين والروم. 632
النظام العالمي الحديث وقيام الإمبراطوريتان السوفييتية والأمريكية و صراعهما على النفوذ 641
أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، واحتلال للعراق 2003 646

خلاصة النظام الدولي، و صراع المسلمين مع الروم عبر التاريخ الإسلامي 651
الفصل الرابع الصراع مع الروم ومعادلات القوى فيه عبر التاريخ 657
المرجعيات عند المسلمين 660
الحملات الصليبية الأولى (1050-1291).. 661
الحملات الصليبية الثانية (1798-1970).. 668
الغزو الفكري للمسلمين ونتائجه العملية في الميدان السياسي 669
بداية الحملات الصليبية الثانية 672
حالة المرجعيات الإسلامية خلال الحملات الصليبية الثانية:.................................. 678
مرحلة الاستقلال السياسي (الشكلي) وقيام الاستعمار الحديث:............................ 680
الخط الثالث: خط التمزيق للأمة المسلمة.. 697
خط التحول التاريخي... 697
أوربا وحرب الكلمة بدل حرب السيف 698
محمد علي باشا (وريث نابليون) (1904-1949) 699
صالون الأميرة نازلي فاضل.. 702
كرومر حاكم مصر البريطاني والقس دنلوب 705
مؤتمر بال في سويسرا /1897 / 707
السلطان عبد الحميد يعرقل على اليهود الطريق إلى فلسطين................................ 709
مصطفى كمال يحطم تركيا ويلغي الخلافة... 713
حالة العالم الإسلامي بعد منتصف القرن التاسع عشر.. 713
أحوال العالم الإسلام العربي.. 714
أحوال بقية المسلمين في العالم الإسلامي... 715
مدرسة مد الجسور نحو الغرب 717
مدرسة محمد عبده في مصر 717
مدرسة أحمد خان بهادور في الهند... 719
المستشرق الإنكليزي (جب) يكتب عن العالم الإسلامي سنة 1932 721
الدعوة القومية والأسباب الحقيقية التي كانت وراءها.. 724

محمد علي باشا والفرنسيون 725
قدوم البعثات البروتستنتية (الأمريكية) 726
القومية بعد الحرب الأولى (1914 - 1918).. 742
حزب البعث العربي... 744
الانقلابات العسكرية والقومية 751
القومية التركية الطورانية 754
مقارنة بين القومية الطورانية والقومية العربية 755
الشيوعية في العالم العربي خلال القرن العشرين.. 764
الحزب الشيوعي في مصر 764
الحزب الشيوعي في العراق 765
الحزب الشيوعي السوري اللبناني... 765
الحزب الشيوعي الفلسطيني والأردني 766
الشيوعيون العرب وقضية فلسطين... 769
هزائم العرب والمسلمين وانهيارهم منذ منتصف القرن العشرين 773
النظام العالمي الجديد 1990والحملات الصليبية الثالثة 780
أسباب الحملات الصليبية الثالثة على العالم الإسلامي منذ 1990 781
محطات الحملات الصليبية الثالثة (1990-2003)... 787
الفصل الخامس مختصر مسار الجماعات الاسلامية المسلحة(1930-2003) م.......... 807
الأطوار الرئيسة التي مرت بها الصحوة الإسلامية... 811
أولا:المرحلة الأولى (1930-1965) (مرحلة النشأة)... 811
ثانيا:المرحلة الثانية (1965-1990) وهي مرحلة (التبلور و التمايز)........................... 812
ثالثا:المرحلة الثالثة: (1990-2000): مرحلة الأزمات... 822
الصحوة الإسلامية في عالم ما بعد سبتمبر(2001) 829
الفصل السادس مسار التيار الجهادي وتجاربه(1960-2001)م 841
أولا: تعريف التيار الجهادي وتصنيفه 841
لتيار الجهادي 842

أهم المحاولات والتجارب المسلحة للتيار الجهادي (1960-2000) 859
رابعا: المحطة الرئيسية الكبرى في تاريخ التيار الجهادي 862
دور أمريكا في انتصار الجهاد الأفغاني.. 865
أثر الجهاد الأفغاني (1984-1992) على التيار الجهادي المعاصر 878
خامسا: التيار الجهادي ومرحلة الملاذات والشتات (1991 - 1996)........................... 885
سادسا: الشوط الثاني للأفغان العرب في ظل طالبان في 889
سابعا: أهم التجارب الجهادية المسلحة في النصف الثاني من القرن العشرين............ 906
تجربة حركة الشبيبة المغربية (1963) 907
تجربة تنظيم الجهاد المصري(1965-2000).. 907
التجربة الجهادية في سوريا: (1965-1983) 914
حركة الدولة الإسلامية في الجزائر (1973-1976) 918
تجربة الجماعة الإسلامية مصر (1975-2001).. 919
المحاولات الجهادية في تونس إعتبارا من النصف الثاني من الثمانينات 930
تجربة الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا:(1990-2001).. 936
التجارب الجهادية المعاصرة في الجزائر اعتبارا من (1991)..................................... 943
التجارب الجهادية في اليمن (1990- 1998) 953
محاولات بناء تجمعات جهادية في المغرب 962
تجربة الأفغان العرب اللبنانيين 966
التجربة الجهادية في طاجيكستان (1992-2000):.. 967
التجربة الجهادية في أوزبكستان (1998-2001):... 969
التجربة الجهادية لمجاهدي الحزب الإسلامي لتركستان الشرقية:............................. 973
تجربة أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة في مواجهة أمريكا منذ (1996) 975
الخطوط العريضة للبرامج العالمية لمكافحة الارهاب 1990-2000............................ 984
عاشراً: الأفكار التي طرحت لدى الجهاديين 999
منطلقات دعوة الجماعات الاسلامية المسلحة العالمية... 1006
الفصل السابع_حصاد التيار الجهادي في أربعين عاماً.. 1017

بدأ المراجعة والتقييم ومعوقات حصوله 1017
تطبيـق مبـدأ التقيـيم والمراجعـة عـلى واقـع التيـار الجهـادي منـذ 1960 وإلى أحـداث سبتمبر2001 1021
أسباب فشل التيار الجهادي في تحقيق أهدافه خلال (1960-2000) 1023
لحصاد الإيجابي وإنجازات التيار الجهادي في أربعين عاماً مضت 1024
الأخطاء والثغرات والحصاد السلبي للتيار الجهادي عبر أربعين عاماً..................... 1027
أولا-أخطاء المنهج والتفكير.. 1030
(ثانيا) أخطاء وخلل في البنية والهياكل التنظيمية في التيار الجهادي: 1042
(ثالثا) أخطاء في أسلوب العمل وإدارة المواجهة:... 1051
(رابعا) أخطاء وإشكالات ومعوقات وأنواع خلل أخـرى في أسـلوب عمـل التيـار الجهـادي 1053
فهرس المحتويات.. 1059

تم بحمد الله



أمواج للطباعة والنشر والتوزيع
المملكة الأردنية الهاشمية- عمان
تلفاكس: 00962 6 4888361
www.amwaj-pub.com
E mail:amwajpub@yahoo com

